Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

39141

تاريخ اليعقوبي

أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ومنه الى زمن
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب

المعروف بابن واضح الأخباري

المتوفى بعد سنة ٢٩٢

الجزء الأول

من مطبوعات المكتبة المرتضوية في النجف

كل نسخة غير موقعة بتوقيعي صاحب المكتبة تعد مسروقة

١٣٥٨

مطبعة الغري

النجف

893.7Y1
03
3 v. in 1
45-39141

ترجمة المؤلف

هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب، الأخباري الشهير باليعقوبي وبابن واضح ، وكان يقال له مولى بني العباس ومولى بني هاشم لأن جده كان من موالي المنصور الدوانيقي الخليفة العباسي .

وكان هو بحاثة في التاريخ وأخبار البلدان ولقد أعطى التنقيب حقه في سياحته في البلاد شرقاً وغرباً ودخل بلاد فارس وأطال المقام في بلاد أرمينية وكان فيها سنة ٢٦٠ ودخل الهند أيضاً والأقطار العربية فالشام فالمغرب الى الاندلس وأغرق نزعاً في البحث فطفق يسائل أهل الأمصار عنها وعنهم وعن عاداتهم ونحلهم وحكوماتهم وعن المسافات بين البلاد فاذا وثق بنقلهم أثبته في كتابه ، وذكر من فتح البلاد من الخلفاء والأمراء ومبلغ خراجها فلم يدع صغيرة ولا كبيرة وقف عليها إلا وأحصاها فالف كتابه [البلدان] الذي هو أقدم مصدر تاريخي وأوثقه لما تحمله في تأليفه من جهد وعناء وعناية وحسن بلاء

وكان نبوغه في القرن الثالث لأنه كان حياً سنة ٢٩٢ ، ففي ليلة عيد الفطر منها تذكر ما كان عليه بنو طولون في مثل هذه الليلة من بلهنية العيش والنعيم الرغيد والوفر السابغ ، ورثاهم بأبيات مطلعها :

إن كنت تسأل عن جلالة ملكهم * فارتع وعج بمراتع الميدان

(أنظر ص ١٣١ من كتاب « البلدان » طبع النجف) إذاً فلا يكاد يصح ما في معجم الأدباء عن ابي عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب المصري في تاريخه من ان اليعقوبي توفي سنة ٢٨٤ ، ولا ما ذكره الزركلي في الأعلام من ان وفاته كانت سنة ٢٧٨ ، وكأنه تبع جرجي زيدان الذي صدر ترجمته بهذا التاريخ ، ولكنه يقول في اثناء الترجمة في (تاريخ آداب اللغة العربية) ج ٢ ص ١٩٧ « ولكن يؤخذ من سياق كتبه أنه توفي بعد سنة ٢٧٨ »

والمترجم من معاصري ابي حنيفة الدينوري كما أنه صحبه سعيد الطبيب ، وإن حفيده

محمد بن احمد بن خليل التميمي المقدسي ابن سعيد المذكور يروي في كتابه جيب العروس وريحان النفوس عن اليعقوبي بواسطة أبيه وجده خليل (أنظر ص ١٢٢ ومابعدها من كتابه (البلدان)

آثاره

عد ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » وغيره من أرباب المعاجم من آثار المترجم التاريخ الكبير وهو هذا الذي نزفه الى القراء الكرام ، وكان قد نشره المستشرق « هوتسما » وطبعه في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين (الأول) في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ، وتدخل فيه أخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة (والثاني) في تاريخ الاسلام وينتهي في زمن المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩ ، وقد رتبه حسب الخلفاء ، ومن مزاياه التي يمتاز بها عن سائر التواريخ العامة فضلاً عن قدمه أن مؤلفه يأتي فيه بلباب التاريخ ويتحرى القضايا الصادقة ويتجنب الأخبار المستبشعة فتراه يقول (ص ١٢٩ ج ١) من الكتاب « ولهم ـ ملوك فارس ـ أخبار قد أثبتت رأينا اكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها فتركناها لأن مذهبنا حذف كل مستبشع » ذلك لا يلتزم به كل مؤرخ ، فتراه يملي عليك الوقايع والحوادث ببيان سلس وأسلوب جذاب حتى كأنك شاهدتها بنفسك ورأيتها بعينك وبما أن الطبعة الليدنية نادرة الوجود حتى أنه لا يسمع إلا اسمها ولا يهتدي اليها إلا ذو حظ عظيم ، وتشوق رواد المعارف لهذا السفر الثمين الذي طبقت شهرته وشهرة صاحبه العالم الاسلامي وغيره فقد بذلت (المكتبة المرتضوية) الجهود في طبعه خدمة لنشر المعارف فجزاها الله عن العلم وذويه خير الجزاء ، وتمتاز هذه الطبعة بالجودة والصحة والاتقان مضافاً الى بعض التعليقات المهمة التي خلت عنها الطبعة الأولى ، وبعض المميزات الاخرى التي لا تخفى على القراء .

ومن آثار المترجم أيضاً (كتاب البلدان) في الجغرافية ، وقد أوقفناك على أهميته وعناء صاحبه به ومقدار الثقة به ، وقد أفاض فيه - على الخصوص - وأبدع في وصف بغداد كما كانت في أيامه ، ووصف سامراء وتاريخها ، فهو بعد - بحق - من أمهات الكتب الجغرافية لأنه لا ينقل فيه صاحبه عن كتاب آخر ، وكان قد طبع أولاً في ليدن سنة ١٨٦١ ميلادية بعناية المستشرق « جونبول » وطبع ايضاً في جملة المكتبة الجغرافية التي طبع فيها ثمانية مجلدات من كتب الجغرافية العربية بعناية المستشرق « دیغویه » وطبعتها أيضاً إدارة ﴿المكتبة المرتضوية﴾ بمطبعتها الحيدرية في ص ١٣٢

ومن آثاره أيضاً (كتاب) في أخبار الأمم السالفة صغير (وكتاب) مشاكلة الناس لزمانهم ، هذه الكتب الأربعة هي التي ذكرها ياقوت الحموي في المعجم ويظهر من آخر النسخة المطبوعة من كتاب « البلدان » أن له كتاباً آخر أسماه بكتاب (الممالك والمسالك) .

وكان المترجم أديباً شاعراً ونبوغه قبل الطبري والمسعودي ، ومن بديع شعره قوله يصف سمرقند :

علت سمرقند أن يقال لها * زين خراسان جنة الكور
أليس أبراجها معلقة * بحيث لا تستبين للنظر
ودون أبراجها خنادقها * عميقة ما ترام من ثغر
كأنها وهي وسط حائطها * محفوفة بالظلال والشجر
بدر وأنها رحاها المجرة والـ * ـأعلام مثل الكواكب الزهر

(م . ص)

بسم الله الرحمن الرحيم

. . . . . (١) . . . . . .

. . . . . على آدم فلم يطاوعه شيء مما خلق الله جل وعز إلا الجنة ، فلما رأى آدم ما في الجنة من النعيم قال لو كان سبيل إلى الخلود فطمع فيه إبليس لما سمع ذلك منه فبكى ونظر اليه آدم وحوا يبكي فقالا له ما يبكيك قالا لأنكما تفارقان هذا و ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ وكان لباس آدم وحوا ثيابا من نور (فلما ذاقا) من (الشجرة بدت لهما سوآتهما) فزعم أهل الكتاب أن مكث آدم في الأرض قبل أن يدخل الجنة كان ثلاث ساعات ومكث هو وحوا في النعيم والكرامة قبل أن يأكلا من الشجرة فتبدو لهما سوآتهما ثلاث ساعات ، فلما بدت لآدم سوأته أخذ ورقة من الشجرة فوضعها على نفسه ثم صاح ها انا يارب عريان قد أكلت من الشجرة التي نهيتني عنها ، فقال الله إرجع الى الأرض التي منها خلقت فاني مسخر لك ولولدك طير السماء ونون البحار ، وأخرج الله آدم وحوا مما كانا فيه فيما يقول أهل الكتاب في تسع ساعات من يوم الجمعة وهبطا إلى الأرض وهما حزينان باكيان ، وكان هبوطهما على أدنى جبل من

---

(١) كذا بياض في الأصل .

جبال الأرض الى الجنة وكان ببلاد الهند ﴿ وقال قوم ﴾ على ابي قبيس - جبل بمكة - ونزل آدم في مغارة في ذلك الجبل سماها « مغارة الكنز » ودعا الله أن يقدسها ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن آدم لما هبط كثر بكاؤه ودام حزنه على مفارقة الجنة ثم ألهمه الله أن قال لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ واجتباه وأنزل له من الجنة التي كان فيها الحجر الأسود وأمره أن يصيره الى مكة فيبني له بيتاً فصار الى مكة وبنى البيت وطاف به ، ثم أمره الله أن يضحي له فيدعوه ويقدسه فخرج معه جبريل حتى وقف بعرفات فقال له جبريل هذا الموضع أمرك ربك أن تقف له به ، ثم مضى به إلى مكة فاعترض له ابليس فقال ارمه فرماه بالحصى ثم صار الى الأبطح فتلقته الملائكة فقالت له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك ألفي عام ، وأنزل الله عز وجل الحنطة على آدم وأمره أن يأكل من كده فحرث وزرع ثم حصد ثم داس ثم طحن ثم عجن ثم خبز فلما فرغ عرق جبينه ثم أكل فلما امتلأ ثقل ما في بطنه فنزل اليه جبريل ففجه فلما خرج ما في بطنه وجد رائحة تكره فقال ما هذا قال له جبريل رائحة الحنطة ، ووقع آدم على حوا فحملت وولدت غلاماً وجارية فسمى الغلام قابيل والجارية لوبذا ، ثم حملت فولدت غلاماً وجارية فسمى الغلام هابيل والجارية إقليما ، فلما كبر ولده وبلغوا النكاح قال آدم لحوا مري قابيل فليتزوج إقليما التي ولدت معها بيل ومري هابيل فليتزوج لوبذا التي ولدت معقابيل فحسده قابيل أن يتزوج باخته التي ولدت معه ﴿ وقد روى بعضهم ﴾ أن الله عز وجل أنزل لهابيل حوراء من الجنة فزوجه بها وأخرج لقابيل جنية فزوجه بها فحسد قابيل أخاه على الحوراء فقال لهما آدم قربا قرباناً فقرب قابيل من تبن زرعه وقرب هابيل أفضل كبش في غنمه لله فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل فازداد نفاسة وحسداً وزين له الشيطان قتل أخيه فشدخه بالحجارة حتى قتل فسخط الله

على قابيل ولعنه وأنزله من الجبل المقدّس الى ارض يقال لها نود ، ومكث آدم وحوا بنوحان على هابيل دهراً طويلا حتى يقال إنه خرج من دموعهما كالنهر ، ووقع آدم على حوا فحملت فولدت غلاماً بعد أن أتى له مائة وثلاثون سنة فسمّاه شيثاً فكان أشبه ولد آدم بآدم ، ثم زوّج آدم شيثاً فولد له غلام بعد أن أتت عليه مائة وخمس وستون سنة فسماه أنوش ، ثم ولد لأنوش غلام فسماه قينان ، ثم ولد لقينان غلام فسماه مهلائيل ، فهؤلاء ولدوا في حياة آدم وعلى عهده ، ولما حضرت آدم الوفاة جاءه شيث ابنه وولده فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة وجعل وصيته إلى شيث وأمره أن يحفظ جسده ويجعله إذا مات في مغارة الكنز وأن يوصي بنيه وبني بنيه ويوصي بعضهم بعضاً عند وفاتهم إذا كان هبوطهم من جبلهم أن يأخذوا جسده حشمة فيجعلوه وسط الأرض ، وأمر شيثاً ابنه أن يقوم بعده في ولده فيأمرهم بتقوى الله وحسن عبادته وينهاهم أن يخالطوا قابيل اللعين وولده ، ثم صلى على بنيه اولئك واولادهم ونسائهم ثم مات لست خلون من نيسان يوم الجمعة في الساعة التي خلق فيها ، وكانت حياته تسعمائة سنة وثلاثين سنة إتفاقاً .

شيث بن آدم

وقام بعد موت آدم إبنه شيث ، وكان يأمر قومه بتقوى الله سبحانه والعمل الصالح ، وكانوا يسبحون الله ويقدسونه وابناؤهم ونساؤهم ليس بينهم عداوة ولا تحاسد ولا تباغض ولا تهمة ولا كذب ولا خلف ، وكان أحدهم إذا أراد أن يحلف قال لا ودم هابيل ، فلما حضرت وفاة شيث أتوه بنوه وبنو بنيه وهم يومئذ أنوش وقينان ومهلائيل ويرد وأخنوخ ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة وتقدّم إليهم وحلفهم بدم هابيل أن لا يهبط أحد منهم من هذا الجبل المقدس ، ولا يتركوا أحداً من أولادهم يهبط منه ، ولا يخلطوا بأولاد قابيل الملعون ، وأوصى إلى أنوش ابنه ، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم ، وأن يتقي الله ويأمر قومه بتقوى

الله وحسن العبادة ، ثم توفي يوم الثلاثاء لسبع وعشرين ليلة خلت من آب على ثلاث ساعات من النهار ، وكانت حياته تسعمائة واثنتي عشرة سنة .

أنوش بن شيث

وقام أنوش بن شيث بعد أبيه بحفظ وصية أبيه وجده وأحسن عبادة الله وأمر قومه بحسن العبادة ، وفي أيامه قتل قايل الملعون ، رماه لمك الأعمى بحجر فشدخ رأسه فمات ، وكان قد ولد لأنوش قينان بعد أن أتت له تسعون سنة ، ولما حضرت أنوش الوفاة اجتمع اليه بنوه وبنو بنيه قينان ومهلائيل ويرد وأخنوخ ومتوشلح ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ونهاهم أن يهبطوا من جبلهم المقدس أو يدعوا أحداً من بنيهم أن يختلطوا بولد قايل اللعين ، وأوصى قينان بجسد آدم وأمرهم أن يصلوا عنده ويقدسوا الله كثيراً ، وتوفي لثلاث خلون من تشرين الأول حين غابت الشمس ، وكانت حياته تسعمائة وخمساً وستين سنة .

قينان بن أنوش

وقام قينان بن أنوش ، وكان رجلا لطيفاً تمياً مقدساً فقام في قومه بطاعة الله وحسن عبادته واتباع وصية آدم وشيث ، وكان قد ولد له مهلائيل بعد أن أتت عليه سبعون سنة ، فلما دنا موته اجتمع اليه بنوه وبنو بنيه مهلائيل ويرد ومتوشلح ولمك ونساؤهم وأبناؤهم فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ، فاقسم عليهم بدم هابيل أن لا يهبط أحد منهم من جبلهم المقدس الى ولد الملعون قايل ، وجعل وصيته الى مهلائيل ، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم ، ومات قينان وكانت حياته تسعمائة سنة وعشرين سنة .

مهلائيل بن قينان

ثم قام بعد قينان مهلائيل بن قينان فقام في قومه بطاعة الله تعالى واتباع وصيته

وكان قد ولد له يرد بعد أن أتت عليه خمس وستون سنة ، فلما دنا موت مهلائيل أوصى إلى ابنه يرد ، وأوصاه بجسد آدم ، ثم توفي مهلائيل لليلتين خلتا من نيسان يوم الأحد على ثلاث ساعات من النهار ، وكانت حياته ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة .

يرد بن مهلائيل

ثم قام بعد مهلائيل يرد ، وكان رجلا مؤمناً كامل العمل لله سبحانه والعبادة له كثير الصلاة بالليل والنهار ، فزاد الله في حياته ، وكان قد ولد له أخنوخ بعد أن أتت عليه اثنتان وستون سنة ، وفي الأربعين ليرد تم الألف الأول ، ولما مضى من حياة يرد خمسمائة سنة نقض بنو شيث العهد والمواثيق التي كانت بينهم فجعلوا ينزلون الى الأرض التي فيها بنو قابيل ، وكان أول نزولهم أن الشيطان اتخذ شيطانين من الانس إسم أحدهما يوبل والآخر توبلقين فعلمهما أصناف الغناء والزمر فصنع يوبل المزامير والطنابير والبرابط والصور ، وصنع توبلقين الطبول والدفوف والصنوج ، ولم يكن لبني قابيل عمل يشغلهم ولا ذكر لهم إلا أمام الشيطان ، وكانوا يركبون المحارم والمآثم ويجتمعون على الفسق ، وكان ذوو السن من رجالهم ونسائهم أشد في ذلك من شبانهم ، فكانوا يجتمعون فيزمرون ويضربون بالطبول والدفوف والبرابط والصنوج ويصيحون ويضحكون حتى سمع أهل الجبل من بني شيث أصواتهم فاجتمع منهم مائة رجل على أن يهبطوا إلى بني قابيل فينظروا ما تلك الأصوات ، فلما بلغ ذلك يرد أتاهم وناشدهم الله وذكرهم وصية آبائهم وحلف عليهم بدم هابيل ، وقام فيهم أخنوخ بن يرد فقال اعلموا أنه من عصى منكم أبانا يرد ونقض عهود آبائنا وهبط من جبلنا لم ندعه يصعد ابداً فابوا إلا أن يهبطوا ، فلما هبطوا اختلطوا ببنات قابيل بعد أن ركبوا الفواحش ، فلما دنا موت يرد اجتمع اليه بنوه وبنو بنيه أخنوخ ومتوشلح ولمك ونوح فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ونهاهم أن يهبطوا

من الجبل المقدّس وقال إنكم لا محالة تهبطون الى الأرض السفلى فايكم كان آخر هبوطاً فليهبط معه بجسد أبينا آدم ثم ليجعله وسط الأرض كما أوصانا ، فأمر أخنوخ ابنه أن لا يزال يصلي في مغارة الكنز ، ثم توفي يوم الجمعة لليلة خلت من أذار حين غابت الشمس ، وكانت حياته تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة .

أخنوخ بن يرد

ثم قام من بعد يرد أخنوخ بن يرد فقام بعبادة الله سبحانه ، ولما أتت له خمس وستون سنة ولد متوشلح ، وأخذ بنو شيث ونساؤهم وأبناؤهم في الهبوط فعظم ذلك على أخنوخ فدعا ولده متوشلح ولمكا ونوحاً فقال لهم إني أعلم أن الله معذب هذه الامة عذاباً عظيماً ليس فيه رحمة ، وكان أخنوخ أول من خط بالقلم وهو إدريس النبي ، فأوصى ولده أن يخلصوا عبادة الله ويستعملوا الصدق واليقين ، ثم رفعه الله بعد أن أتت له ثلاثمائة سنة .

متوشلح بن أخنوخ

ثم قام متوشلح بن أخنوخ بعبادة الله تعالى وطاعته ، وكان لما أتت عليه مائة وسبع وثمانون سنة ولد له لمك فأوحى الله إلى نوح في عصره وأعلمه أنه باعث الطوفان على الناس ، وأمره ان يعمل السفينة من الخشب ، ولما كانت لنوح ثلاثمائة سنة وأربع وأربعون سنة تمّ الألف الثاني ، وتوفي متوشلح في إحدى وعشرين من ايلول يوم الخميس ، وكانت حياته تسعمائة وستين سنة .

لمك بن متوشلح

فقام لمك بعد أبيه بعبادة الله وطاعته ، وكان قد ولد له بعد أن أتت عليه مائة واثنتان وثمانون سنة ، وكثرت الجبابرة في عصره ، وذلك أنه كان لما وقع بنو شيث في بنات قابيل ولدت منهم الجبابرة ، ثم دنا موت لمك فدعا نوحاً وساماً وحاماً ويافثاً

ونساءهم ولم يكن بقي من أولاد شيث في الجبل أحد غيرهم إلا هبطوا إلى بني قابيل فكانوا ثمانية أنفس ، ولم يكن لهم أولاد قبل الطوفان فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة ثم بكى وقال لهم إنه لم يبق من جنسنا أحد إلا هؤلاء الثمانية الأنفس وأسأل الله الذي خلق آدم وحوا وحدهما ثم كثر ولدهما أن ينجيكم من هذا الرجز الذي أعد للأمة السوء ويكثر ولدكم حتى يملئوا الأرض ويعطيكم بركة أبينا آدم ويجعل في ولدكم الملك ، وأنا متوفى وان يفلت من أهل الرجز غيرك يا نوح فاذا أنا مت فاحملني واجعلني في مغارة الكنز فاذا أراد الله أن تركب السفينة فاحمل جسد أبينا آدم فاهبط به معك ثم اجعله وسط البيت الأعلى من السفينة ، ثم كن أنت وبنوك في طرف السفينة الشرقي ، ولتكن امرأتك وكنائنك في طرف السفينة الغربي ، وليكن جسد آدم بينكم فلا تجوزوا إلى نسائكم ولا يجزن نساؤكم اليكم ، ولا تأكلوا ولا تشربوا معهن ، ولا تقربوهن حتى تخرجوا من السفينة ، فاذا ذهب الطوفان وخرجتم من السفينة الى الأرض فصل انت عند جسد آدم ثم أوص ساماً اكبر بنيك فليذهب بجسد آدم حتى يجعله في وسط الأرض وليجعل معه رجلاً من أولاده يقوم عليه وليكن حبراً لله حياته لا ينكح امرأة ولا يبني بيتاً ولا يهريق دماً ولا يقرب قرباناً من الدواب ولا الطير فان الله مرسل معه ملكاً من الملائكة يدله على وسط الأرض ويونسه ، وتوفي لمك لسبع عشرة ليلة خلت من أذار يوم الأحد على تسع ساعات من النهار ، وكانت حياته سبعمائة وسبعاً وسبعين سنة .

نوح

وأوحى الله عز وجل إلى نوح في أيام جده أخنوخ وهو إدريس النبي وقبل أن يرفع الله إدريس ، وأمره أن ينذر قومه وينهاهم عن المعاصي التي كانوا يركبونها ويحذرهم العذاب ، فاقام على عبادة الله تعالى والدعاء لقومه وحبس نفسه على عبادة الله تعالى والدعاء لقومه لا ينكح النساء خمسمائة عام ثم أوحى الله اليه أن ينكح هيكل

بنت ناموسا بن أخنوخ وأعلمه أنه باعث الطوفان على الأرض وأمره أن يعمل السفينة التي نجاه الله وأهله فيها ، وأن يجعلها ثلاث بيوت سفلاً ووسطاً وعلواً ، وأمره ان يجعل طولها ثلاثمائة ذراع بذراع نوح وعرضها خمسين ذراعاً وسمكها ثلاثين ذراعاً ويصير حوالها رفوف الخشب ، ويكون البيت الأسفل للدواب والوحش والسباع ويكون الأوسط للطير ، ويكون الأعلى لنوح وأهل بيته ، ويجعل في الأعلى صهاريج (١) الماء وموضعاً للطعام ، فولدله بعد أن أتت عليه خمسمائة سنة ، ولما فرغ نوح من عمل السفينة وكان ولد قابيل ومن اختلط بهم من ولد شيث إذا رأوه يعمل الفلك سخروا منه فلما فرغ دعاهم إلى الركوب فيها وأعلمهم أن الله باعث الطوفان على الأرض كلها حتى يطهرها من أهل المعاصي فلم يجبه أحد منهم ، فصعد هو وولده إلى مغارة الكنز فاحتملوا جسد آدم فوضعوه في وسط البيت الأعلى من السفينة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من أذار ، وأدخل الطير البيت الأوسط . وأدخل الدواب والسباع البيت الأسفل وأطبقها حين غابت الشمس . وأرسل الله الماء من السماء وفجر عيون الأرض (فالتقى الماء على أمر قد قدر) وأخذ الأرض كلها والجبال وأظلمت الدنيا وذهب ضوء الشمس والقمر حتى كأن الليل والنهار سواء . وكان الطالع في ذلك الوقت الذي أرسل الله تعالى فيه الماء فيما تقول اصحاب الحساب السرطان والشمس والقمر وزحل وعطارد والرأس مجتمعة في آخر دقيقة من الحوت . فاتصل الماء من السماء والأرض أربعين يوماً حتى علا فوق كل جبل خمس عشرة ذراعا ثم وقف بعد أن لم تبق بقعة من الأرض إلا غمرها الماء وعلاها . ودارت السفينة الأرض كلها حتى صارت الى مكة فطافت حول البيت أسبوعا . ثم انكشف الماء بعد خمسة أشهر . فكان ابتداؤه لسبع عشرة ليلة خلت من أيار الى ثلاث عشرة ليلة

(١) الصهاريج بفتح الصاد المهملة حياض المياه مفرده الصهريج والصهارج بكسر الصاد المهملة في الأول وضمها في الثاني . (المصحح)

خلت من تشرين الأول ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن نوحا ركب السفينة أول يوم من رجب واستوت على الجودي في المحرّم فصار اول الشهور يعدّه . وأهل الكتاب يخالفون في هذا . ولما استوت على الجودي وهو جبل بناحية الموصل أمر الله تعالى ماء السماء فرجع من حيث جاء . وأمر الأرض فبلعت ماءها فاقام نوح بعد وقوف السفينة أربعة أشهر ثم بعث الغراب ليعرف خبر الماء فوجد الجيف طافية على الماء فوقع عليها ولم يرجع . ثم أرسل الحمامة فجاءت بورقة زيتون فعلم أن الماء قد ذهب فخرج لسبع وعشرين من أيار ، فكان بين دخوله السفينة وخروجه سنة كاملة وعشرة أيام ، فلما صار إلى الأرض هو وأهله بنوا مدينة فسموها ثمانين ، ولما خرج نوح من السفينة ورأى عظام الناس تلوح غمه ذلك وأحزنه وأوحى الله اليه أني لن أرسل الطوفان على الأرض بعدها أبداً ، ولما خرج نوح من السفينة أقفلها بقفل ودفع المفتاح إلى سام ابنه ثم زرع نوح وغرس كرماً وعمر الأرض ، وإن نوحا يوماً لنائم إذا انكشف ثوبه فرأى حام ابنه سوءته فضحك وخبّر لأخويه سام ويافث فاخذا ثوباً حتى أتياه به ووجوههما مصروفة عنه فألقيا الثوب عليه فلما انتبه نوح من نومه وعلم الخبر دعا على كنعان بن حام ولم يدع على حام ، فمن ولده القبط والحبشة والهند ، وكان كنعان أول من رجع من ولد نوح إلى عمل بني قابيل فعمل الملاهي والغناء والمزامير والطبول والبرابط والصنوج وأطاع الشيطان في اللعب والباطل ، وقسم نوح الأرض بين ولده فجعل لسام وسط الأرض والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عمان الى البحرين الى عالج ويبرين ووبار والدو والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل فولد كوش بن حام وكنعان بن حام والنوبة والزنج والحبشة ، ونزل يافث بن نوح ما بين المشرق والمغرب فولد له جومر وتوبل وماش وماشج وماجوج ، فولد جومر الصقالبة ، وولد توبل برجان ، وولد ماش الترك والخزر ، وولد ماشج الأشبان وولد ماجوج يأجوج وماجوج وهم في شرقي الأرض من جهة الترك ، وكانت منازل

الصقالبة وبرجان أرض الروم قبل أن يكون الروم ، فهؤلاء ولد يافث ، وعاش نوح بعد خروجه من السفينة ثلاثمائة وستين سنة ، ولما حضرت وفاة نوح اجتمع اليه بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وبنوهم فأوصاهم بعبادة الله تعالى وأمر ساماً أن يدخل السفينة إذا مات ولا يشعر به أحد فيستخرج جسد آدم ويذهب معه بملكيزدق بن ملك بن سام فان الله اختاره ليكون مع جسد آدم في وسط الأرض في المكان المقدس وقال له يا سام إنك إذا خرجت انت وملكيزدق بعث الله معكما ملكاً من الملائكة يدلكما على الطريق ويريكما وسط الأرض فلا تعلمن احداً ما تصنع فان هذا الأمر وصية آدم التي أوصى بها بنيه وأوصى بها بعضهم بعضاً حتى انتهى ذلك اليك فاذا بلغتما المكان الذي يريكما الملك فضع فيه جسد آدم ثم مر ملكيزدق أن لا يفارقه ولا يكون له عمل إلا عبادة الله سبحانه وتعالى ، وأمره أن لا ينكح امرأة ولا يبني بنياناً ولا يهريق دماً ولا يلبس ثوباً إلا من جلود الوحش ولا يقص شعراً ولا ظفراً وليجلس وحده وليكثر حمد الله ثم مات في أيار يوم الأربعاء ، وكانت حياته تسعمائة سنة وخمسين كما حكى الله تعالى ﴿ ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ .

سام بن نوح

وقام سام بن نوح بعد أبيه بعبادة الله وطاعته ، وكان قد ولد له أرفخشد بعد أن أتت عليه مائة سنة وسنتان ثم انطلق وفتح السفينة فاخذ جسد آدم فهبط به سراً من اخويه وأهله ودعا أخويه يافثاً وحاماً فقال لهما إن أبي أوصى إلي وأمرني أن آتي البحر فأنظر في الأرض ثم أرجع فلا تتحركوا حتى آتيكم واستوصوا بامرأتي وبني خيراً ، فقال له أخواه إذهب في حفظ الله فانك قد علمت أن الأرض خربة ونخاف عليك السباع قال سام إن الله تعالى يبعث ملكاً من الملائكة فلا أخاف إن شاء الله تعالى شيئاً ، ودعا سام ابنه لمكا فقال له ولامرأته (يا وزدق) أرسلا معي ابنكما ملكيزدق ينسني في الطريق فقالا له اذهب راشداً فقال سام لأخويه وأهله وولده قد علمتم أن أبانا نوحاً قد أوصى

إلي وأمرني أن أختم السفينة فلا أدخلها أنا ولا احد من الناس فلا يقربن السفينة منكم أحد ، ثم إن ساماً خرج ومعه ابنه فعرض لهما الملك فلم يزل معهما حتى صار بهما إلى الموضع الذي أمروا أن يضعوا جسد آدم فيه فيقال إنه بمسجد منى عند المنارة (ويقول) أهل الكتاب بالشام في الأرض المقدسة فانفتحت الأرض فوضع الجسد فيها ثم انطبقت عليه ، وقال سام للملكيزدق بن لمك بن سام أجلس هاهنا وأحسن عبادة الله فان الله يرسل إليك في كل يوم ملكاً من الملائكة يؤنسك ثم سلم عليه وانصرف فاتى اهله فسأله ابنه لمك عن ملكيزدق فقال إنه قدمات في الطريق فدفنته فحزن عليه ابوه وأمه ، ثم حضرت ساماً الوفاة فأوصى إلى ابنه أرفخشد ، ومات سام يوم الخميس لسبع خلون من ايلول ، وكانت حياته ستمائة سنة .

أرفخشد بن سام

ثم قام أرفخشد بن سام بعبادة الله تعالى وطاعته وكان قد ولد له شالح بعد أن اتت عليه مائة وخمس وثمانون سنة وقد تفرق ولد نوح في البلاد وكثرت الجبابرة والعتاة منهم وأفسد ولد نوح كنعان بن حام واظهروا المعاصي ، ولما حضرت أرفخشد الوفاة جمع اليه ولده واهله وأوصاهم بعبادة الله تعالى ومجانبة المعاصي وقال لشالح ابنه إقبل وصيتي وقم في اهلك بعدي عاملاً بطاعة الله تعالى ، ومات يوم الأحد لسبع بقين من نيسان ، وكانت حياته اربعمائة وخمساً وستين سنة .

شالح بن أرفخشد

ثم قام شالح بن أرفخشد في قومه يأمرهم بطاعة الله تعالى وينهاهم عن معاصيه ويحذرهم ما نال اهل المعاصي من الرجز والعذاب ، وكان قد ولد له عابر بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة ثم حضرته الوفاة فأوصى الى ابنه عابر بن شالح وامره أن يتجنب فعل بني قابيل اللعين ، ومات يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من أذار وكانت حياته اربعمائة وثلاثين سنة .

عابر بن شالح

ثم قام عابر بن شالح يدعو قومه إلى طاعة الله تعالى ويحذر بني سام بن نوح أن يختلطوا بولد كنعان بن حام المغير دين آبائه والمرتكب للمعاصي ، وكان قد ولد له فالغ بعد أن اتت عليه مائة واربع وثلاثون سنة ؛ ثم حضرته الوفاة فأوصى إلى ابنه فالغ فقال له يا بني إن ولد قابيل اللعين لما اكثروا العمل بمعاصي الله سبحانه وتعالى ودخل معهم ولد شيث بعث الله عليهم الرجز فلا تدخل انت ولا اهلك في ملة بني كنعان ومات عابر يوم الخميس لثلاث وعشرين من تشرين الأول ، وكانت حياته ثلثمائة واربعين سنة (وقيل) مائة واربعاً وستين سنة .

فالغ بن عابر

ثم قام بعد عابر فالغ ابنه يدعو الناس إلى طاعة الله تعالى فكان في زمانه اجتماع ولد نوح ببابل ، وذلك إن ماش بن إرم بن سام بن نوح صار الى ارض بابل فولد نمرود الجبار ونبيط وهو ابو النبط ، وهو اول من استنبط الأنهار وغرس الأشجار وعمر الأرض . وكان لسانهم جميعاً السرياني وهو لسان آدم . فلما اجتمعوا ببابل قال بعضهم لبعض لنبنين بنياناً اسفله الأرض واعلاه السماء فلما اخذوا في البنيان قالوا نتخذه حصناً يحرزنا من الطوفان فهدم الله حصنهم وفرق الله السنتهم على اثنين وسبعين لساناً وتفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة من موضعهم ذلك فكان في ولد سام تسعة عشر لساناً وفي ولد حام ستة عشر لساناً وفي ولد يافث سبعة وثلاثون لساناً فلما رأوا ما هم فيه اجتمعوا الى فالغ بن عابر فقال لهم إنه لا يسعكم ارض واحدة مع افتراق السنتكم فقالوا اقسموا الأرض بيننا فقسم لهم فصارت لولد يافث بن نوح الصين والهند والسند والترك والخزر والتبت والبلغر والديلم وما والى ارض خراسان . وكان ملك بني يافث في ذلك الزمان جم شاذ . وصار لولد حام ارض المغرب وما وراء الفرات الى مسقط الشمس . وصار لولد سام الحجاز واليمن وباقي الأرض . وكان قد ولد له

أرغو بعد أن أتت عليه ثلاثون سنة ، وحضرت فالغ الوفاة فأوصى إلى ابنه أرغو ، ومات فالغ يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ايلول ، وكانت حياته مائتي سنة وتسعاً وثلاثين سنة .

أرغو بن فالغ

ثم قام أرغو بن فالغ بعد أبيه وقد تفرقت الألسن على اثنتين وسبعين فرقة لبني سام تسع عشرة فرقة ولولد حام ست عشرة فرقة ولولد يافث سبع وثلاثون ، وكان في زمانه نمرود الجبار وكان مسكنه بابل وكان الذي ابتدأ بناء الصرح وأول من عمل التاج وملك سبعاً وستين سنة ، وكان قد ولد لأرغو ساروغ بعد أن أتت عليه اثنتان وثلاثون سنة ، ولما أتت لأرغو أربع وسبعون سنة من عمره كمل الألف الثالث وحضرت أرغو الوفاة فأوصى ابنه ساروغ ، وتوفي أرغو يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من نيسان ، وكانت حياته مائتي سنة .

ساروغ بن أرغو

وقام ساروغ بن أرغو في ولد سام بعد موت أبيه وقد كثرت الجبابرة وعتت في الأرض ، وكان في زمن ساروغ أول ما عبدت الأصنام ، وكان أول شأن الأصنام أن الناس كان إذا مات لأحدهم الميت الذي يعز عليهم من أب او أخ او ولد صنع صنماً على صورته وسماه باسمه فلما أدرك الخلف الذي بعدهم ظنوا وحدثهم الشيطان أنه إنما صنعت هذه لتعبد فعبدوها ثم فرق الله دينهم ، فمنهم من عبد الأصنام ومنهم من عبد الشمس ، ومنهم من عبد القمر ، ومنهم من عبد الطير ، ومنهم من عبد الحجارة ، ومنهم من عبد الشجر ، ومنهم من عبد الماء ، ومنهم من عبد الريح ، وفتنهم الشيطان وأضلهم وأطغاهم ، وكان قد ولد له ناحور بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة ، ولما حضرت ساروغ الوفاة أوصى ابنه ناحور وأمره بعبادة الله تعالى ومات ساروغ لثلاث بقين من آب يوم الاحد ، وكانت حياته مائتين وثلاثين سنة .

ناحور بن ساروغ

وكان ناحور بمكان أبيه فكثرت عبادة الأصنام في زمانه فأمر الله سبحانه الأرض فزلزلت عليهم زلزلة شديدة حتى سقطت تلك الأصنام فلم يكترثوا بذلك وأعادوا أصناماً مكانها ، وفي زمانه ظهر السحر والكهانة والطيرة وذبح الناس أولادهم للشياطين وجعلت المكاييل والموازين ، وكانت حياة ناحور مائة وثماني واربعين سنة وكانت جبابرة ذلك العصر عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكانوا قد انتشروا في البلاد ، وكانت منازلهم بين أعالي حضرموت الى أودية نجران ، فلما عاثوا وعتوا بعث الله تبارك وتعالى هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح فدعاهم إلى عبادة الله تعالى والعمل بطاعته واجتناب المحارم وكذبوه فقطع الله عنهم المطر ثلاث سنين فوجهوا وفداً لهم الى البيت الحرام يستسقي لهم فاقاموا يطوفون بالبيت ويسعون أربعين صباحاً ثم رفعت لهم سحابتان إحداهما بيضاء فيها غيث ورحمة والأخرى سوداء فيها عذاب ونقمة ، وسمعوا صوتاً ينادي بهم اختاروا أيتهما شئتم فقالوا اخترنا السوداء فمرت وهي على رؤوسهم فلما قربت من البلاد قال لهم هود إن هذه السحابة فيها عذاب قد أظلكم فقالوا عارض ممطرنا فاقبلت ريح سوداء لا تمر بشيء إلا أحرقته فما نجا منهم إلا هود ﴿ ويقال ﴾ إنه نجا لقمان بن عاد وعاش حتى عمّر عمر سبع نسور ، ولما مضت عاد صار في ديارهم بنو ثمود بن جازر بن ثمود بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت ملوكهم تنزل الحجر فلما عتوا بعث الله اليهم صالح بن تالح بن صادوق بن هود نبياً فسألوه أن يأتيهم بآية فأخرج الله لهم ناقة من الأرض معها فصيلها فقال لهم صالح إن لهذه الناقة يوماً ترد فيه الماء ولكم يوماً فاحذروا أن تصدوها عن الماء فكذبوه فقام رجل منهم يقال له قدار فعقرها ضرب عرقوبها بالسيف فارتفع فصيلها على نشز من الأرض ثم رغا فبعث الله عليهم العذاب فما فلت منهم إلا امرأة يقال لها الذريعة ، وضرب الله العرب بقدار المثل .

تارخ بن ناحور

وكان تارخ بن ناحور هو ابو ابراهيم خليل الله في عصر نمرود الجبار ، وكان نمرود أول من عبد النار وسجد لها ، وذلك أنه خرجت نار من الأرض فاتاها فسجد لها وكلمه منها شيطان فبنى عليها بنية وجعل لها سدنة ، وفي ذلك العصر تعاطى الناس علم النجوم وحسبوا الكسوف للشمس والقمر والكواكب السائرة والراتبة وتكلموا في الفلك والبروج وكان الذي علم نمرود ذلك رجلاً نطق (١) وكان تارخ - وهو آزر (٢) أبو ابراهيم - مع نمرود الجبار فحسب المنجمون لنمرود فقالوا له إنه يولد في مملكته مولود يعيب دينه ويزري عليه ويهدم أصنامه ويفرق جمعه فجعل لا يولد في مملكته مولود إلا شق بطنه حتى ولد إبراهيم فستره أبواه وأخفيا أمره وصيراه في مغارة حيث لا يعلم به أحد ، وكان مولده بكوثا ربا ، وكان مولد ابراهيم بعد أن أتت لتارخ مائة وسبعون سنة ، وعاش تارخ أبوه مائتي سنة وخمس سنين .

ابراهيم

ونشأ إبراهيم في زمان نمرود الجبار فلما خرج من المغارة التي كان فيها قلّب طرفه في السماء فنظر في الزهرة فرأى كوكباً مضيئاً فقال ﴿ هذا ربي ﴾ فان له علواً وارتفاعاً ثم غاب الكوكب فقال إن ربي لا يغيب ثم رأى القمر لما طلع فقال (هذا ربي) فلم يلبث أن غاب القمر فقال ﴿ لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾ فلما جاء النهار طلعت الشمس فقال (هذا ربي) هذا أنور وأضوأ فلما غابت الشمس قال غابت وربي لا يغيب ، كما قص الله خبره وأمره ، فلما كملت سنه جعل يعجب إذ رأى

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح (يتفلسف) .

(٢) هذا خلاف قول اكثر المفسرين وخلاف قوله تعالى في النبي (ص) (وتقلبك في الساجدين) الدال على إسلام آباء النبي (ص) فان آزر عمه والعرب تقول للعم أب . (المصحح)

قومه يعبدون الأصنام ويقول ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ فيقولون أبوك علمنا هذا فيقول إن أبي لمن الضالين ، فظهر قوله في قومه وتحدث الناس به وأرسله الله نبياً وبعث اليه جبريل فعلمه دينه فجعل يقول لقومه (إني بريء مما تشركون) وبلغ خبره نمرود فارسل اليه فيها ثم جعل إبراهيم يكسر أصنامهم فيقول ادفعي عن نفسك فالهب نمرود ناراً ووضعه في منجنيق ورمى به فيها فاوحى الله اليها أن (كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) فجلس وسط النار ما تضره فقال نمرود من اتخذ إلهاً فليتخذه مثل إله ابراهيم فآمن معه لوط وكان لوط ابن اخيه خاران بن تارخ ، وأمر الله عز وجل ابراهيم أن يخرج من بلاد نمرود إلى الشام الأرض المقدسة فخرج ابراهيم وامرأته سارة بنت خاران بن ناحور عمه ولوط بن خاران مهاجرين حيث امرهم الله فنزلوا أرض فلسطين وكثر ماله ومال لوط فقال ابراهيم للوط إن الله قد كثر لنا مالنا وماشيتنا فانتقل منا حتى تنزل مدينتي سدوم وعمورة بالقرب من الموضع الذي كان فيه ابراهيم فلما صار لوط الى مدينة سدوم وعمورة ونزلها أتاه ملك تلك الناحية فقاتله وأخذ ماله فمضى ابراهيم حتى استنقذ ماله ووسع الله عز وجل على ابراهيم في كثرة المال فقال رب ما أصنع بالمال ولا ولد لي فأوحى الله عز وجل اليه اني مكثر ولدك حتى يكونوا عدد النجوم ، وكان لسارة جارية يقال لها هاجر فوهبتها لابراهيم فوقع عليها فحملت وولدت إسماعيل ، وابراهيم يومئذٍ ابن ست وثمانين سنة وقال الله اني مكثر ولدك وجاعل فيهم الملك الباقي مدى الدهر حتى لا يدري احد ما عددهم ، فلما ولدت هاجر غارت سارة وقالت أخرجها عني وولدها فأخرجها ومعها إسماعيل حتى صار بهما الى مكة فانزلهما عند البيت الحرام وفارقهما فقالت له هاجر على من تدعنا قال على رب هذه البنية فقال اللهم إني أسكنت ابني بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ونفد الماء الذي كان مع هاجر فاشتد باسماعيل العطش فخرجت هاجر تطلب الماء ثم صعدت الى الصفا فرأت بقربه طائراً واقفاً فرجعت فاذا بالطائر قد فحص برجله الأرض فخرج الماء فجمعته لئلا

يذهب فهي بئر زمزم ، وعمل قوم لوط المعاصي وكانوا يأتون الذكران من العالمين وذلك أن إبليس لعنه الله تعالى تراءى لهم في صورة غلام أمرد ثم أمرهم أن ينكحوه فاشتهوا ذلك حتى تركوا نكاح النساء وأقبلوا على نكاح الذكران فنهاهم لوط فلم ينتهوا وجاروا في الأحكام حتى ضرب بهم في الجور المثل وقالوا (أجور من حكم سدوم) وكان الرجل منهم إذا نال احداً بمكروه فضربه او سحه قال له أعطني أجراً على فعلي بك ، وكان لهم حاكمان يقال لهما شقرى وشقرونى يحكمان بالجور والظلم والعدوان ولما كثر عمل قوم لوط وجورهم بعث الله عز وجل ملائكة لهلاكهم فنزلوا بابراهيم وكان يضيف الأضياف ويعمل القرى فلما نزلوا قرَّب اليهم عجلاً مشوياً فلما رآهم لا يأكلون نكرهم فعرفوه بانفسهم وقالوا إنا رسل ربك لهلاك أهل هذه القرية يعنون سدوم القرية التي كان فيها قوم لوط فقال لهم ابراهيم إن فيها لوطاً ﴿ قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته ﴾ وكانت سارة امرأة ابراهيم واقفة فعجبت من قولهم فبشروها باسحق فقالت (ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً كبيراً) وكان ابراهيم ابن مائة سنة وهي بنت تسعين فلما أتوا الى لوط ورأتهم امرأته دخنت لقومها فجاؤا الى لوط فقالوا ادفع الينا أضيافك فقال (لا تفضحون في ضيفي) فلما اكثروا صدهم جبريل فأعماهم فقالوا له إنا مهلكوهم قال فمتى قالوا الصبح قال تؤخرونهم الى الصبح قال له جبريل ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾ فلما كان السحر قال له جبريل اخرج ثم قلبها عليهم (ويقال) نزلت عليهم نار فلم ينج منهم احد ، وكانت امرأة لوط فيهم فمسخت ملحاً فما بقي منهم مخبر ، ووهب الله لابراهيم إسحق بن سارة فعجب الناس من ذلك وقالوا شيخ ابن مائة سنة وعجوز بنت تسعين سنة فخرج اسحق أشبه شيء بابراهيم ، وكان إبراهيم يزور إسماعيل وأمه في كل وقت ، وبلغ اسماعيل حتى صار رجلاً ثم تزوج امرأة من جرهم فزاره ابراهيم مرة فلم يلقه وكانت أمه قد ماتت فكلم امرأته فلم يرض عنها وسألها عن اسماعيل فقالت في الرعي فقال اذا جاء

فقولي له غير عتبة بابك فلما انصرف اسماعيل من رعيه قالت له امرأته قد جاء هنا شيخ يسأل عنك فقال اسماعيل فما قال لك قالت قال لي قولي له غير عتبة بابك قال أنت خلية فطلقها وتزوج الحيفاء بنت مضاض الجرهمية فعاد اليهم ابراهيم من الحول فوقف ببيت إسماعيل فلم يجده ووجد امرأته فقال كيف حالكم قالت بخير قال هكذا فليكن ، أين زوجك قالت ليس بحاضر إنزل قال لا يمكنني قالت فاعطني رأسك أقبله ففعل ذلك وقال إذا جاء زوجك فاقرأيه السلام وقولي له تمسك بعتبة بابك فلما انصرف جاء اسماعيل فاخبرته امرأته بخبر ابراهيم فوقع على موضع قدمه يقبلها ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم أن يبني الكعبة ويرفع قواعدها ويؤذن في الناس بالحج ويريهم مناسكهم فبنى ابراهيم واسماعيل القواعد حتى انتهى الى موضع الحجر فنادى ابراهيم أبو قبيس إن لك عندي وديعة فاعطاه الحجر فوضعه ، وأذّن ابراهيم في الناس بالحج فلما كان يوم التروية قال له جبريل تروّ من الماء فسميت التروية ، ثم أتى منى فقال له بت بها ، ثم أتى عرفات فبنى بها مسجداً بحجارة بيض ثم صلى به الظهر والعصر ، ثم عمد به الى عرفات فقال له هذه عرفات فاعرفها فسميت عرفات ، ثم أفاض به من عرفات فلما حاذى المأزمين قال له ازدلف فسميت المزدلفة وقال له اجمع الصلاتين فسميت جمع ، وصار الى المشعر فنام عليه فأمره الله أن يذبح ابنه (فالرواية) تختلف في اسماعيل واسحاق فيقول قوم إنه اسماعيل لأنه الذي وضع داره وبيته واسحاق بالشام ، ويقول قوم إنه اسحاق لأنه أخرجه وأخرج أمه معه وكان يومئذٍ غلاماً واسماعيل رجل قد ولد له ، وقد كثرت الروايات في هذا وهذا واختلف الناس فيهما فلما أصبح ابراهيم صار الى منى وقال للغلام زورني بالبيت ، وقال لابنه إن الله أمرني أن أذبحك فقال ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ فأخذ السكين وأضجعه على جمرة العقبة وطرح تحته قرطان حمار (١) ثم وضع الشفرة على حلقه وحوّل وجهه عنه فقلب

(١) القرطان : بضم القاف وقد تكسر هي البرذعة وقال الخليل هي الحلس الذي يلقى تحت الرحل

جبريل الشفرة فنظر إبراهيم فاذا الشفرة مقلوبة ففعل ذلك ثلاث مرات ثم نودي ﴿ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ وأخذ جبريل الغلام وانحط الكبش من قلة ثبير فوضعه تحته فذبحه ، فاهل الكتاب يقولون إنه كان إسحاق وإنه فعل به هذا في برية الأموريين بالشام ، فلما فرغ ابراهيم من حجه وأراد أن يرتحل أوصى إلى ابنه اسماعيل أن يقيم عند البيت الحرام وأن يقيم للناس حجهم ومناسكهم وقال له إن الله مكثر عدده ومثمر نسله وجاعل في ولده البركة والخير ، وتوفيت سارة عند مصيرهم الى الشام فتزوج ابراهيم قطورة فولدت له اولاداً كثيراً وهم زمرن ويقشن ومدن ومدين ويشباق وشوح ، وتوفي ابراهيم وكانت وفاته يوم الثلاثاء لعشر خلون من آب وكانت حياته مائة وخمساً وتسعين سنة .

اسحاق بن ابراهيم

ولما توفي إبراهيم بالشام قام إسحاق بعده وتزوج رفقا بنت بتوئيل فحملت فثقل حملها فأوحى الله عز وجل الى اسحاق إني مخرج من بطنها شعبين وأمتين فأجعل الأصغر أعظم من الأكبر فولدت رفقا عيصو ويعقوب توأمين وخرج عيصو أولاً وخرج يعقوب بعده وعقبه مع عقب عيصو فسمي يعقوب ، وكان اسحاق يوم ولد له ابن ستين سنة وكان اسحاق يحب عيصو ورفقا تحب يعقوب ، وسكن اسحاق وادي جارر وكان قد ذهب بصره فقال لابنه عيصو خذ سيفك وقوسك واخرج فصد لي صيداً حتى آكل وأبارك عليك قبل أن أموت فسمعت رفقا أمه ذلك فقالت ليعقوب إصنع لأبيك طعاماً اذهب الى الغنم فخذ جديين فاصنع طعاماً وقربه لأبيك حتى تقع عليك البركة فقال أخاف أن يلعنني فقالت إن لعنك كانت لعنتك علي فمضى يعقوب وأخذ جديين وذبحهما وطبخهما وقربهما اليه وكان عيصو مشعر الذراع فاخذ يعقوب جلد الجديين فوضعهما على ساعديه فلما قرب الطعام من أبيه قال النغمة نغمة يعقوب والمسحة مسحة عيصو ثم بارك عليه ودعا له وقال له كن رأساً على إخوتك وجاه

عيصو بصيده فقال له اسحاق من قدّم الي الطعام فبارکته ومبارکاً يكون قال خدعني أخي يعقوب قال له اسحاق قد جعلته رأساً عليك وعلى اخوته ثم دعا له وقال على سمينة الأرض تنزل ، وأمر اسحاق يعقوب أن يصير الى حران فيكون عند لابان بن بتوئيل بن ناحور أخي ابراهيم وخاف اسحاق عيصو عليه وأمره أن لا يتزوج من نساء الكنعانيين فصار الى حران الى خاله لابان ، فكان حياة اسحاق مائة وخمساً وثمانين سنة .

يعقوب بن اسحاق

ثم إن اسحاق قال ليعقوب إن الله قد جعلك نبياً وجعل ولدك أنبياء وجعل فيك الخير والبركة وأمره أن يسير الى الفدان وهو موضع بالشام فسار الى الفدان فلمادخلها رأى امرأة معها غنم على البئر تريد أن تسقي غنمها وعلى رأس البئر حجر لا يرفعه إلا عدة رجال فسألها من هي فقالت أنا ليا بنت لابان وكان لابان خال يعقوب فزحزح يعقوب الحجر وسقى لها وسار الى خاله فزوجه إياها فقال يعقوب ان التي كانت مسماة لي راحيل أختها فقال هذه اكبر وأنه أزوجك ايضاً راحيل فتزوجها جميعاً ودخل باليا أولاً فاولدها روبيل وشمعان ولاوى ويهوذا وأشاجر وزفولون وجارية يقال لها دينا ، ثم زوجه خاله بابنته الأخرى وهي راحيل فابطأ عليها الولد حتى عظم ذلك عليها ، ثم وهب الله سبحانه وتعالى يوسف وبنيامين ووقع يعقوب بزلفا جارية كانت لليا فولدت منه كاذ وآشر ونفتالى ، ووقع بوليدة راحيل فولدت دان ﴿ وقال قوم ﴾ ان يعقوب تزوج راحيل قبل ليا (وقال) أهل الكتاب تزوجها جميعاً في وقت واحد فماتت راحيل وبقيت ليا ، وكان يوسف أحب ولد يعقوب الى يعقوب لأنه كان أجملهم وجهاً وكانت أمه أحب نسائه اليه فحسده اخوته ذلك فاخرجوه معهم وكان من خبرهم ما قصه الله عز وجل في كتابه العزيز حتى بيع واستعبد وغاب عن أبيه أربعين سنة ثم ردّه الله سبحانه عليه وجمعهم يوسف بمصر على ما قصه الله في كتابه ،

وولد ليوسف بمصر عدة أولاد فاقام يعقوب بمصر سبع عشرة سنة ولما حضرته الوفاة أوصى يوسف أن لا يدفنه ولده بمصر ، وتوفي وله مائة وأربعون سنة .

ولد يعقوب

وكان ليعقوب من الولد اثنا عشر ذكراً روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويشاجر وزفولون ويوسف وبنيامين وكاذ وآشر ودان ونفتالى ، فهؤلاء بنو يعقوب وهم بنو إسرائيل وهم الأسباط ، وكان لروبيل من الولد خنوخ وفلو وحصران وكرمى وكان لشمعون من الولد نموئيل ويامين وشاوول ، وكان للاوى من الولد جرشون وقهث ومرارى ، وكان ليهوذا من الولد عار وأونان وشيلا وفارص وزارح ، وكان ليشاجر من الولد تولع وفوا ويوب وشمرون ، وكان لآشر من الولد يمنا واشوا وأشوي وبريعا وسارخ ، وكان لزفولون من الولد سارد وأيلون ويحلائيل ، وولد ليوسف بارض مصر أفرائيم ومنشى ، وكان لبنيامين بالع وبخر وأشبال ونعمان وأوخى ومفيم وحفيم وأرد ، وكان لكاذ من الولد صفيان وشونى وأصبون وعارى وأرودى وأرايلى ، وكان لنفتالى من الولد يحصيل وغونى ويصر وشاليم ، فهؤلاء أولاد يعقوب وولد ولده الذين اجتمعوا بمصر عند يوسف مع ولد يوسف الذين ولدوا بمصر وأعطاهم ارضاً وقال ازرعوا فما خرج فاقرضون الخمس ، ولما حضرت يعقوب الوفاة جمع ولده وولد ولده فبارك عليهم ودعا لهم وقال لكل واحد منهم قولاً وأعطى ليوسف سيفه وقوسه وقرّب اليه يوسف ابنيه منشى وأفرائيم فصير منشى على يمينه وأفرائيم عن شماله لأن منشى كان اكبر فقلب يده اليمنى على أفرائيم وأوصى يوسف أن يحمله ويدفنه الى جنب قبر ابراهيم واسحاق ، ولما توفي يعقوب قاموا يبكون عليه سبعين يوماً ثم حمله يوسف وأخرج معه غلماناً من أهل مصر وصار به الى أرض فلسطين فدفنه الى جنب قبر ابراهيم واسحاق ولما فرغوا من دفن يعقوب قال لاخوته ارجعوا معي الى أرض مصر فخافوه فقالوا له قد أوصاك أبوك يعقوب أن

تغفر خطيئتنا قال لا تخشوني فاني أخشى الله فاطمأنت قلوبهم فرجعوا الى أرض مصر فاقاموا بها وعاش يوسف بمصر دهراً ثم حضرته الوفاة فجمع بني اسرائيل وقال إنكم تخرجون بعد حين من أرض مصر إذا بعث الله رجلاً يقال له موسى بن عمران من ولد لاوى بن يعقوب وسيذكركم الله ويرفعكم فأخرجوا بدني من هذه الأرض حتى تدفنوني عند قبور آبائي ، ومات يوسف وله مائة وعشر سنين فصير في تابوت حجارة وصير في النيل ، وكان في ذلك العصر أيوب النبي ابن اموص بن زارح بن رعوئيل ابن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم وكان كثير المال فابتلاه الله تعالى بخطيئة أخطأها فشكر الله وصبر ثم رفع الله عنه البلاء ورد اليه ماله وأضعف له .

موسى بن عمران

وولد موسى بن عمران بن قهث بن لاوى بن يعقوب بمصر في زمان فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب ﴿ ويقال ﴾ كان اسمه ظلمى وبنو إسرائيل يومئذ بمصر قد أقاموا في زمان يوسف في الرق والعبودية ، وكان سحرة فرعون وكهنته قد قالوا له يولد في هذا الوقت مولود من بني اسرائيل يفسد عليك ملكك ويكون به هلاكك وكان فرعون قد ملك مصر دهراً طويلاً ممتعاً بالسلامة حتى قال أنا ربكم الأعلى فامر فرعون فوضع على كل امرأة حامل من بني إسرائيل حرساً فكانت لا تلد منهن امرأة غلاماً إلا قتل ولدها فلما جاء أم موسى المخاض قالت لها القابلة إني اكتم عليك فلما ولدت قالت للحرس إنما خرج منها دم وأوحى الله إلى أم موسى أن اعملي تابوتاً ثم ضعيه فيه وأخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر ففعلت ذلك وضربته الريح فطرحته الى الساحل فرأته امرأة فرعون فدنت منه حتى أخذته فلما فتحت التابوت ورأت موسى وقع عليه منها محبة فقالت لفرعون نتخذه ولداً وطلبت له من ترضعه فلم يأخذ من الرضعات حتى جاءت أمه فاخذ منها وشب أحسن شباب وبلغ في أسرع وقت ما لا يبلغ الصبيان ، وكان يوسف قد قال لبني اسرائيل انكم لن تزالوا في العذاب

حتى يأتي الغلام الجعد ولد لاوى بن يعقوب يقال له موسى بن عمران فلما طال الأمر على بني إسرائيل ضجوا وأتو شيخاً منهم فقال لهم كأنكم به فبينا هم في ذلك إذ وقف عليهم موسى فلما رآه الشيخ عرفه بالصفة فقال له ما اسمك فقال موسى قال ابن من قال ابن عمران فقام هو والقوم وقبلوا يديه ورجليه واتخذهم شيعة ودخل يوماً مدينة من مدائن مصر فاذا رجل من شيعته ينازع رجلاً من آل فرعون فوكزه موسى فقتله ونذر به فرعون وآل فرعون وأرادوا قتله فلما علم ذلك خرج وحيداً على وجهه حتى صار الى مدين وآجر نفسه من شعيب النبي ابن نويب بن عيا بن مدين بن ابراهيم على أن ينكحه إحدى ابنتيه فلما قضى موسى الأجل سار بامرأته يريد بيت المقدس على ما قص الله عز وجل من خبره في كتابه العزيز فبينا موسى يسير في طريقه إذ رأى ناراً فقصد نحوها وخلف أهله فلما دنا منها إذا شجرة تضطرم من أسفلها الى أعلاها ناراً فلما دنا منها تأخرت نفسه ووجل واشتد رعبه فناداه الله جل وعلا ﴿ يا موسى لا تخف إنك من الآمنين ﴾ فسكن عنه رعبه وأمره الله أن يلقي عصاه فالقاها فاذا هي حية كالجذع فامره الله أن يأخذها فصارت عصاً ، وبعثه الله تعالى الى فرعون وأمره أن يأتيه ويدعوه الى عبادة الله فعظم ذلك في قلب موسى فقال الله إني آمرك إلى عبد من عبيدي بطر نعمتي وأمن مكري وزعم أنه لا يعرفني وإني أقسم بعزتي لولا العدل والحجة التي وضعتها بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار تغضب لغضبه السماوات والأرض فقال اللهم اشدد عضدي باخي هارون و ﴿ إني قتلت منهم نفساً فاخاف أن يقتلون ﴾ فقال له الله قد فعلت ذلك فـ ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ﴾ فأخرجا بني اسرائيل هذا أوان إخراجي إياهم من الرق والعبودية فردّ موسى امرأته الى ابيها وصار الى فرعون هو واخوه هارون وأعلمه ما بعثه الله به وخبرّ بني اسرائيل فعظم سرورهم وعلموا أن يوسف صدقهم .

ثم ساروا الى باب فرعون وعليه مدرعة صوف وفي وسطه حبل ليف وفي يده

عصاً فمنع من الدخول فضرب الباب بالعصا فانفتحت الأبواب ثم دخل فقال لفرعون أنا رسول رب العالمين بعثني اليك لتؤمن به وتبعث معي بني اسرائيل ، فاعظم فرعون ذلك فقال له ائت بآية نعلم بها صدقك ﴿ فألقى عصاه فاذا هي ثعبان عظيم ﴾ قد فتح فاه وأهوى نحو فرعون فسأل موسى أن ينجيه عنه ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء من غير سوء — برص — وكان فرعون أراد أن يصدقه فقال له هامان أما في عبيدك أيها الملك من يعمل مثل هذا فاحضر السحرة من جميع البلاد وخبروا بخبر موسى فاقاموا حيناً يعملون من جلود البقر حبالاً مجوفة وعصياً مجوفة ويزوقونها ويصيرون فيها الزيبق ثم احموا المواضع التي أرادوا أن يلقوا فيها الحبال والعصي ثم جلس فرعون واحضره فألقى السحرة حبالهم وعصيهم فلما حمي الزيبق تحرك ومشت الحبال والعصي فالقى موسى عصاه فاكلت ذلك كله حتى لم يبق منه شيء ونكص السحرة فقتل فرعون من قتل منهم وبعث الله موسى بآيات الى فرعون العصا ثم اليد التي خرجت من جيبه بيضاء ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم وموت الأبكار فلما اتصل بهم هذا قال له فرعون إن كشفت عنا الرجز آمنا واخرجنا معك بني اسرائيل فكشف الله عنهم ولم يؤمنوا وامر الله موسى ان يخرج بني اسرائيل فلما أرادوا الخروج طلب جسد يوسف بن يعقوب ليحمله معه كما اوصى يوسف بني إسرائيل فاتته شارح بنت آشر ابن يعقوب فقالت تضمن لي البقاء حتى ادلك عليه حتى ضمن ذلك لها فصارت به الى موضع من النيل فقالت له هو هاهنا فأخذ موسى اربع صفائح ذهب فصورً في واحدة صورة نسر واخرى صورة سبع وأخرى صورة انسان واخرى صورة ثور وكتب في كل صفيحة اسم الله الأعظم والقاها في الماء فطفا التابوت — الحجارة — الذي كان فيه جسد يوسف وبقيت في يد موسى صفيحة واحدة فيها صورة ثور فوهبها لشارح بنت آشر وحمل التابوت وقفل موسى ببني اسرائيل وهم ستمائة الف إنسان بالغ واتبعه فرعون وجنوده فغرقهم الله جميعاً وكانوا الف الف فارس ﴿ وقيل ﴾ هبط جبريل وفرعون واصحابه

يحاولون الدخول إثرهم وإذ قد نزل جبريل بعد أن لم يجزع من خيل فرعون فرس واحد وكان تحت جبريل مهرة وكان تحت فرعون فرس طويل الذنب فدخل جبريل البحر فنظر فرس فرعون إلى مهرة جبريل فاقتحم إثرها البحر وتبعه اصحابه فغرقوا كلهم أعني فرعون وجميع أصحابه وانطبق البحر عليهم وصار موسى الى التيه وجعل بنو إسرائيل يستعجلونه ليدخل الى الأرض المقدسة فاوحى الله الى موسى ﴿ إنها محرّمة عليهم أربعين سنة ﴾ فأقاموا في التيه واشتد بهم العطش فاوحى الله الى موسى أن يضرب بعصاه الحجر فقام موسى مغضباً فضرب الحجر ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ لكل سبط عين يشربون منها فاوحى الله الى موسى إنك ضربت الحجر قبل أن تقدسني ولم تذكر اسمي وانت ايضاً فلا تخرج من التيه وأمره أن يبني فيه قبة الزمان ويجعل فيها الهيكل ويجعل في الهيكل تابوت السكينة ويكون هارون كاهن ذلك الهيكل الذي لا يدخله غيره فجمع غزول نساء بني اسرائيل فنسجت وجميع الحلي وعمل سرادقاً طوله مائة ذراع في صدره الهيكل وفي صدر الهيكل تابوت السكينة وكان عمله ذلك في السنة الثانية من خروجه من مصر وجعل فيه مائدة من ذهب وجعل للقبة أجراس ذهب وكلل القبة بالجوهر وجعل فيها مجمرة ذهب للدخنة وجعل فيها منارة ذهب مكللة بالجوهر فكان هارون وحده يدخل القبة ويقدس الله وموسى على الستر وسائر بني اسرائيل في السرادق وكانت غمامة تجلل القبة ولا تبرحها وأمرهم الله أن يقربوا قربانهم وقال لموسى قل لبني اسرائيل يقربون قرباناً سليمة من العيوب من البقر والغنم ويجعلون شحم القربان على المذبح وينضحون الدم ايضاً عليه وما كان من القربان فهو حل لبني هارون خاصة حرام على غيرهم ومن أذنب منهم ذنباً فليقرب قرباناً لله عند المذبح على قدر ما يجد بقراً أو غنماً أو شفنينين أو فرخي حمام فاوحى الله عز وجل الى موسى أن يكتب العشر الآيات في لوحي زمرّد فكتبها على ما أمره الله وهذه العشر الآيات :

(١) قال الله إني أنا الرّب الذي أخرجتك من أرض بيت الرق والعبودية ولا يكون لك إله آخر دوني ولا تتخذ تمثالاً ولا صنماً مشتبهاً بي من فوق السماء ولا تحت الأرض ولا تسجد لها ولا تعبدها من أجل أنا الرب الملك القاهر قاضي ديون الآباء عن الأبناء (٢) تنمي على الثلاث والرباع لمبغضي واصنع نعمي لمحبي وحافظ وصيتي الى ألوف الآلاف من المحبين لي الحافظين لوصيتي (٣) لا تحلف باسم الرب كاذباً لأن الله لا يزكي من حلف باسمه كاذباً (٤) واذكر يوم السبت لتطهره إعمل ستة أيام واسع في اعمالك كلها واليوم السابع سبت الرب إلهك لا تعمل فيه شيئاً من الأعمال أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك ونعمك وبهائمك والساكن في قراك لأنه في ستة أيام خلق الله السماء والأرض والنجوم وجميع ما فرّع في السماء فلهذا بارك الله اليوم السابع وطهره (٥) وأكرم أباك وأمك لتطول أيامك في الأرض التي أعطاكها الرب إلهك (٦) ولا تقتل (٧) ولا تزن (٨) ولا تسرق (٩) ولا تشهد على صاحبك شهادة كاذبة (١٠) ولا تشته بيت صاحبك ولا زوجة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من مال صاحبك .

وصعد موسى طور سينا فاقام أربعين يوماً فكتب التوراة فاستبطأه بنو اسرائيل فقالوا لهارون إن موسى قد ذهب ولا نظنه يرجع ثم عمدوا الى حلي نسائهم فعملوا منها عجلاً مجوفاً وكانت الريح تدخله فتخور فيه فقال الله لموسى إن بني اسرائيل قد اتخذوا عجلاً وعبدوه من دوني فدعني أهلكهم فدعا لهم موسى وقال يا رب احفظ فيهم ابراهيم واسحاق ويعقوب ولا يشمت بهم أهل مصر ، وهبط موسى من الجبل بعد اربعين يوماً فلما رأى العجل ورآهم عكوفاً عليه اشتد غضبه فالقى الألواح وكسرها وأخذ برأس أخيه هارون فنظر الى العجل يخور فكسره وسحقه حتى صيره كالتراب وذرّاه في الماء وقال لبني لاوى جردوا سيوفكم واقتلوا من قدرتم عليه ممن عبد العجل فجرد بنو لاوى سيوفهم وقتلوا في ساعة واحدة خلقاً عظيماً وقال الله لهم أبيدوا

من اتخذ آلهاً غيري .

وأمر الله موسى أن يعدّ بني اسرائيل ويجعل على كل سبط رجلاً خيراً فاضلاً وكان عددهم ممن بلغ العشرين سنة فما فوقها الى الستين ممن يحمل السلاح ستمائة الف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلاً وكان عده إياهم بعد خروجهم من مصر بسنتين فكان رئيس بني يهوذا نحشون بن عميذاب وعدد من معه من سبطه اربعة وسبعون الفاً وستمائة رجل ، ورئيس بني يشاجر ثنيل بن صوعر وعدد من معه أربعة وخمسون الفاً واربعمائة رجل ، ورئيس سبط زبلون الياب بن حيلون وعدد من معه سبعة وخمسون الفاً واربع مائة رجل ، ورئيس سبط بني روبيل اليصور بن شذياور وعدد من معه سبعة واربعون الفاً وخمسمائة رجل ، ورأس بني شمعون شلوميال بن صورى شذاي وعدد من معه تسعة وخمسون الف رجل وثلاثمائة رجل ، ورأس بنى كاذ السيف بن دعوال وعدد من معه خمسة واربعون الفاً وستمائة وخمسون رجلا ، ورأس بنى افرائيم اليشمع بن عميهوذ وعدد من معه أربعون الفاً وخمسمائة رجل ، ورأس بنى منشا جمليال بن فدا صور وعدد من معه اثنان وثلاثون الفاً ومائتا رجل ، ورأس بنى بنيامين ابيذان بن جذعونى وعدد من معه خمسة وستون الفاً واربع مائة رجل ، ورأس بنى دان أخيعازر بن عميشذاي وعدد من معه اثنان وثلاثون الفاً وسبع مائة رجل ، ورأس بنى آشر فجعيال بن عجزن وعدد من معه أحد واربعون الفاً وخمسمائة رجل ، ورأس سبط نفتالى اخيرع بن عينان وعدد من معه ثلاثة وخمسون الفاً وأربع مائة رجل ، وكان بنو لاوى خدام قبة الزمان وحرسها فلم يدخلوا معهم وكانوا مخصوصين بالكرامة والقدس وخدمة قبة الزمان والتطهير ، فهذا عدد بنى اسرائيل ، واسم رئيس كل سبط منهم ومن كان معه من سبط على ما في السفر الرابع من التوراة ، وأمر الله سبحانه موسى أن يقول لرؤساء أسباط بنى اسرائيل أن يقرب كل عظيم منهم قرباناً فكان قربان كل رجل منهم صحفة فضة من مائة وثلاثين مثقالا

ومصفاة فضة من سبعين مثقالا وملء الصحفة شميد ماتوت بدهن ومدهن ذهب من عشرة مثاقيل مملوأ طيباً وثوراً وكبشاً وحملا حولياً وحولية من المعزى ، وكان الذبح الكامل ثورين وخمسة اكبش وخمسة جداء وخمسة حملان حولية ، وأمر الله عز وجل موسى أن يقول لبنى اسرائيل أن يذبحوا بقرة صفراء مسلمة لا عيب فيها ثم يأخذ دمها فيرشه على جبال قبة الزمان ثم يحرقها وجلدها ثم ليأت رجل آخر فليجمع الرماد وليصيره في موضع فاذا أراد أحدان يطهر فليجعل في الماء من ذلك الرماد فيكون طهوراً

وأقام موسى وبنو اسرائيل في التيه دهراً وكان طعامهم المن وكان المن مثل حب الكسبرة يطحنونه بالأرحاء ويجعلونه أرغفة فيكون طعامهم طيباً أطيب من كل شيء وكان ينزل عليهم بالليل ويجمعونه بالنهار فضجوا وبكوا وجعلوا يقولون من يطعمنا لحماً أما تذكرون ما كنا نأكل بمصر من النون والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والفوم فاشتد غم موسى لذلك وجعلوا يقولون أطعمنا لحماً فقال موسى اللهم إني لا أقوى على بنى اسرائيل فاوحى الله اليه إني مطعمكم لحماً فبعث لهم السلوى وأعلمهم الله أنه يخرجهم الى الشام فبعث موسى الى الشام يوشع بن نون وغيره الى أرض بنى كنعان ليأتوه بخبرها فقالت بنو اسرائيل لا طاقة لنا بحرب الجبابرة وأذن الله لموسى أن ينتقم من أهل مدين فوجه باثني عشر الف رجل من بنى اسرائيل فقتلوا جميع أهل مدين وقتلوا ملوكهم وكانوا خمسة ملوك أوى ورقم وصور وحور وربع ، وقتل بلعام بن باعور في الحرب وكان نبياً فاشار على ملك مدين أن يوجه بالنساء على عسكر بنى اسرائيل حتى يفسدوهم فغضب موسى من ذلك فامر الله موسى أن يقسم تلك الغنائم بين بنى اسرائيل ويأخذ منهم من كل خمسين واحداً فيجعله لله يدفعه الى ولد هارون ثم امره الله أن يوجه بنى اسرائيل الى الشام يقاتلون من بها فوجه جيشاً عظيما فجعلوا يسيرون قليلا قليلا وينزلون ويقولون إنا نخاف الجبارين فاقاموا بجبل ساعير فقال الله تعالى لموسى إن بنى اسرائيل عصوا أمري فليشتروا الطعام بالثمن وليخضعوا الآن لمن كان يخضع لهم

وكان ذلك بعد أن قتل موسى سيحون ملك الأموري واستباح أرضه .

ولما كان في سنة الأربعين من مقامهم في التيه وهي بريّة سينا أوحى الله الى موسى إني قابض هارون إلي فاصعد به الجبل ليأتي ملائكتي فتقبض روحه فاخذ موسى بيد هارون أخيه فلما صعد به الجبل ولم يكن معه إلا اليعازر بن هارون فلما صار على الجبل إذ سرير عليه ثياب فقال له موسى إلبس يا أخي هذه الثياب المطهرة التي أعدها الله لك لتلقاه فيها فلبسها هارون ثم تمدّد على السرير فمات وصلى عليه موسى فلما لم يروا بنو إسرائيل هارون ضجوا وقالوا اين هارون قال لهم موسى قبضه الله اليه فاضطربوا وكان هارون محبباً فيهم لين الجانب لهم فرفعه الله لهم على السرير حتى رأوا وجهه فعلموا أنه قد مات ، وكانت سني هارون يومئذٍ مائة وثلاثاً وعشرين سنة ، وكان له من الولد اربعة نادب واليهو واليعازر وايتمر ، وتوفي في حياته نادب واليهو وبقي اليعازر وايتمر وصار اليعازر مكان هارون يقدس في قبة الزمان ودعا موسى يوشع بن نون وقال له بين يدي إسرائيل سر وشدّ قلبك فانك تدخل ببني اسرائيل الى ارض بني كنعان التي وعدهم الله وهذه التوراة ادفعها الى كهنة بني لاوى الذين كانوا يقومون بتابوت السكينة ووقروا مقام الله واحفظوا وصاياه التي بينها لكم في التوراة وأوصاهم أن يتبعوا ما فيها وبرّك عليهم ، وكان مما أوصى الله عز وجل به لبني اسرائيل على لسان موسى أن قال لهم اذكروا اليوم الذي قمتم فيه قدام الله إذ قال الله لي اجمع هذا الشعب قدامي فأسمعهم كلامي ليخشوني أيام حياتهم فقمتم في أسفل الجبل والجبل يتوقد ناراً الى قلب السماء وكلمني الله من جوف النار فسمعتم الصوت ولم تروا الشبه وأوصاكم الله أن تتعلموا العشر الآيات وأوصاني أن أعلمكم السنن والقضاء فتعملوا بذلك في الأرض التي تصيرون اليها فاحتفظوا بأنفسكم ولا تصنعوا أصناماً مما يشبه ذكراً ولا أنثى ولا شيئاً مما يدب على الأرض ولا مما يكون في البحر ، ولا ترفعوا رؤوسكم الى السماء فتعبدوا النجوم إن الله قد أقسم لا أدخل الأرض الصالحة فانا ميت بهذه الأرض

ولست أعبر الأردن ولكنكم ستعبرون وتصيرون الى الأرض الصالحة التي جعلها الله لكم ميراثاً فلا تضلوا ميثاق الله ربكم الذي واثقكم به فتصنعوا الأصنام ولا تعملوا أعمال السوء قدام إلهكم لو قد صرتم الى الأرض الصالحة فتوشكوا إن عصيتم فتهلكوا وتفرقوا بين الشعوب وإن عبدتم ما يعمله أيدي البشر من خشب وحجارة لا يبصرون وتدعون فلا يسمع لكم دعاء إن الله الرحيم بكم يسمع أصواتكم وإن من سمع من الله مثل الذي سمعتم ورأى مثل الذي رأيتم لا ينبغي أن يعصي الله فقد رأيتم ما صنع الله باهل مصر وأنتم تنظرون فان الله هوالرب الذي ليس غيره الذي بصركم ناره وأسمعكم صوته وأحب آباءكم فاجتبى خلوفهم وأهلك لكم قوماً كانوا أعظم وأشد منكم وإن الله سيدخلكم الأرض الصالحة ويجعلها ميراثاً لكم فاحفظوا سننه التي اوصاكم بها وأمركم بها ليحسن اليكم والى خلفكم من بعدكم ويكثر أيامكم في الأرض ، إقبلوا وصية الله التي أمركم بها لا تزيغوا عنها يميناً ولا شمالاً ، واسلكوا كل طريق أوصاكم بها ربكم ليحسن اليكم ، أحبوا الله من كل قلوبكم ومن همكم ومالكم وقصوهن على أولادكم وأتموها واتلوها في بيوتكم إجعلوها علامة بين أعينكم واكتبوها في منازلكم إن الله سيعطيكم قرى عظاماً لم تبنوها وبيوتاً مملوءة من الخير لم تملأوها وآباراً مطوية لم تحفروها وكروماً وزيتوناً لم تغرسوها فلا تنسوا الله واخشوه واعبدوه واحلفوا باسمه ولا تتبعوا إلهاً آخر ، احذروا غضب الله الذي يبيدكم عن وجه الأرض ولا تخونوا الله واقبلوا أمره واعملوا خيراً وصدقاً ، أذكروا إذ كنتم عبيداً لفرعون فاخرجكم الله بيد شديدة وآيات معجزات عظام ساقت فرعون وأصحابه الى الهلكة وأنتم تنظرون ، إن الله يقول لكم سأعطيكم البلاد الصالحة وأقدركم على الأمم التي بين أيديكم وأظفركم بالجبارين والجرشيين والأموريين والكنعانيين والفرازيين والحويين واليبوسيين هؤلاء السبع الأمم الذينهم اكثر منكم وأشد فاذظفركم الله بهم فاضربوهم وارجموهم ولا ترحموهم ولا تعطوهم ميثاقاً ولا تنكحوهم بناتكم

لكيلا يكونوا لكم عثرة فيزيغون اولادكم عني فيعبدون آلهة غيري فيشتد عليكم غضبي فايبدكم عاجلاً ولكن اكسروا أصنامهم واعثروا مذابحهم واهدموا أنصابهم وأوقدوها ، إنكم إن سمعتم وصيتي وعملتم بقضاياي فسأحفظ لكم نعمكم والميثاق الذي واثقت آباءكم وأكثركم وأثمر زرعكم وماشيتكم ، إجعلوا لله نصيباً في اموالكم فواسوا منه اليتيم والأرملة والمسكين والضعيف والساكن معكم الذي لا زرع له ، إذا قضيتم بين اثنين فاعدلوا ولا تأخذوا الرشا فان الرشوة تعمي عيون الحكام ، ولا تغرسوا شجرة عند مذبح ، ولا تذبحوا قرباناً فيه عيب من ثور ولا كبش ، واقتلوا من يعمل الأصنام التي تعبد من دون الله ، وإذا بلغكم أن أحداً يسجد للشمس والقمر والنجوم او شيء من الأنوار فافحصوا عنه فاذا علمتم صحته فارجموه بالحجارة حتى يموت ، ولا تقبلوا في الأحكام الموجبة للقتل شهادة واحد ولكن شهادة شاهدين او ثلاثة ، وإذا شهد الشهود على من يجب عليه القتل فليبدوا الشهود فليبسطوا أيديهم الى الذي يقتل فاذا أشكل عليكم الحكم فارجعوا الى الأحبار والكهان ، ومن قتل رجلاً خطأ ولم يرده فليفر من ولي الدم حتى لا يدركه ، ولا تسفكوا دم بريء ، أيما رجل قتل رجلاً بريئاً تعمداً فليقتل ، ولا تقتلوا أحداً حتى تقوم عليه شهادة عند الحبر والقاضي فان وقف القاضي على أن احداً شهد بزور فعل بالشاهد ما أراد أن يفعله بالمشهود عليه والنفس بالنفس والعين بالعين واليد باليد والرجل بالرجل وإذا أردتم قتال قوم فاتيتم قريتهم فادعوهم الى السلم فان أجابوكم فاجعلوا عليهم ضريبة فان لم يسلموا فاقتلوا كل من يحمل السلاح ، ولا تفسدوا شجرها ، وقال الله عزوجل لموسى إذا خرجت لقتال عدوك فامكنك الله منهم فرأيت في السبي امرأة وأحببت أن تتخذها لنفسك فادخلها الى بيتك واكشف عن رأسها وقص أظفارها وانزع عنها ثيابها التي سبيت فيها وأقعدها في بيتك ثلاثة أشهر تبكي على ابيها وأمها ثم استحلها فان كرهتها بعد أن تمسها فأخرجها ولا تبعها ولا تأخذ لها ثمناً بعد أن وقعت عليها ،

وأيما ابن عصى أباه ولم يطعه ولم يقبل أمره فليخرجه أبوه الى شيوخ سبعة فيرجموه حتى يذهب الشر والفظيعة منكم ويحذر أمثاله من بني اسرائيل ، وإذا وجد أحد منكم ضالة قد ضلت من صاحبها من نعجة او ثور أو حمار فليردها على صاحبها فان لم يجده فليحبسها في بيته حتى يحضر صاحبها ، ولا تلبسوا ثوباً منسوجاً بقطن وصوف جميعاً واصنعوا خيوطاً في أطراف اكسيتكم ؛ وأيما رجل قذف امرأته ورماها بفجور فلم يصح عليها فليغرم مائة درهم وتكون امرأته آخر الدهر وإن كان ما قذفها به حقاً فلترجم ، وأيما رجل وجد يزني بامرأة لها زوج فليقتلا كلاهما ، وأيما رجل غلب امرأة على نفسها فليقتل الرجل ، وأي رجل وقع على جارية تكون في حجر ابيها فافتضها وأحبها فليعط اباها خمسين مثقالاً فضة ولتكن امرأته آخر الدهر ولا يخل سبيلها ، ولا يحل لرجل أن يمس امرأة قد مسها ابوه ولا ينظر الى عورتها ، ولا يدخل الرجل الجنب مسجداً من مساجد الله ولا تأكلوا ربا الفضة ولا ذهب ، وإذا نذرتم فلا تؤخروا قضاءه ، وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم ولا تنقضوا العهد فان الله يحب من وفى بعهده ، إعتزلوا من كان به برص وتباعدوا منه ، ولا تحبسوا اجر الأجير ولا تأخذوا اباً بذنب ابنه ولا ابناً بذنب ابيه ، وأدوا زكاة اموالكم وثمراتكم الى الحبر قرباناً ، وأعطوا الفقراء والأرامل واليتامى والمساكين وبني السبيل ، وإذا دخلتم الأرض الصالحة فاعملوا مذبحاً للقدس من حجارة مستوية فليقل احبار بني اسرائيل ملعون من يضل الأعمى عن الطريق ملعون من يحيف في القضاء على المساكين واليتيم والأرملة ملعون من يضاجع امراة ابيه ملعون من يضاجع دابة ملعون من يضاجع اخته وامه ملعون من يضاجع ام امراته ملعون من يأكل لحم اخيه سراً ملعون من يأخذ رشوة في قتل نفس زكية ظلماً ملعون كل من لم يعمل بوصية الله ، ثم قال لهم موسى قد بلغتكم وصايا الله وعرفتكم امره فاتبعوا ذلك واعملوا به فقد اتت لي مائة وعشرون سنة وقد حانت وفاتي وهذا يوشع بن نون القيم فيكم بعدي فاسمعوا له

وأطيعوا أمره فانه يقضي بينكم بالحق وملعون من خالفه وعصاه ، وكانت بين وفاة هارون إلى أن حضرت موسى الوفاة سبعة أشهر ثم صعد موسى الى جبل نابون فنظر الى الشام وقال الله له هذه الأرض التي ضمنت لابراهيم وإسحاق ويعقوب أن اعطيها خلفهم وقد أريتكها بعينك ولكنك لن تدخلها فمات في ذلك الموضع فقبره يوشع بن نون ولم يدر أين قبره .

أنبياء بني اسرائيل وملوكهم بعد موسى

وكان موسى لما حضرته وفاته أمره الله عز وجل أن يدخل يوشع بن نون — وكان يوشع بن نون من شعب يوسف بن يعقوب — الى قبة الزمان فيقدس عليه ويضع يده على جسده لتتحول فيه بركته ويوصيه أن يقوم بعده في بني اسرائيل ففعل موسى ذلك فلما مات موسى قام يوشع بعده في بني إسرائيل ثم خرج من التيه بعد وفاة موسى بيوم ﴿ وقال بعض أهل الكتاب ﴾ ثلاثين يوماً وصار الى الشام وفيها الجبابرة ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح ، وكان أول من ملك منهم السميدع ابن هوبر فصار من أرض تهامة الى الشام يريد غزو بني إسرائيل فوجه اليه يوشع بن نون من قتله ثم قام بعده من بني أبيه جماعة فقتلهم يوشع وسار يوشع حتى انتهى الى البلقاء فلقي رجلاً يقال له « بالق » وبه سميت البلقاء فجعلوا يخرجون يقاتلونه فلا يقتل منهم رجلا واحداً فسأل عن ذلك فقيل له إن في مدينته امرأة منجمة تستقبل الشمس بفرجها ثم تحسب فاذا فرغت عرضت عليها الحيل فلا يخرج يومئذ من حضر أجله ، فصلى يوشع ركعتين ثم دعا أن يؤخر الله الشمس ساعة فأخرت له ساعة فاختلط عليها حسابها فقالت لبالق أنظروا ما كانوا يسألونك فأعطهم فان حسابي قد اختلط علي قال تصفحي آلتك وأخرجي منها فانه لا يكون صلح إلا بقتال فتصفحت الحيل على غير علم منها لاختلاط الأمر عليها فقتلوا قتلة لم يقتلها قوم فسألوا يوشع الصلح فابى عليهم حتى يدفعوا اليه المرأة فقال بالق لا أدفعها فقالت ادفعني اليه فدفعها اليه وصالح فقالت له هل تجد فيما أنزل على صاحبك

قتل النساء قال لا قالت فاني قد دخلت في دينك قال فاسكني في مدينة أخرى فأنزلها مدينة أخرى ، ولما افتتح يوشع بن نون البلقاء اكثر بنو اسرائيل الزناء وشرب الخمور ووقعوا على النساء و كثرت فيهم الفاحشة فعظم ذلك على يوشع بن نون وخوفهم الله وحذرهم سطوته فلم يحذروا فأوحى الله عز وجل إلى يوشع بن نون إن شئت سلطت عليهم عدوهم وإن شئت أهلكتهم بالسنين وإن شئت بموت حثيث عجلان فقال هم بنو اسرائيل ولا أحب أن تسلط عليهم عدوهم ولا يهلكوا بالسنين ولكن بموت حثيث فوقع فيهم الطاعون فمات في وقت واحد سبعون الفاً ، وكانت أيام يوشع في بنى اسرائيل بعد موسى بن عمران سبعاً وعشرين سنة .

ثم كان على بنى اسرائيل بعد يوشع بن نون دوشان الكفري فلبث فيهم ثماني سنين ثم كان بعد دوشان عثنايل بن قنز أخي كالب من سبط يهوذا بن يعقوب أربعين سنة وقد كان كثر ظلم بني إسرائيل وعتوهم فسلط الله عليهم كوشان جبار مؤاب فلما ملك عثنايل قتل كوش وملك أربعين سنة ثم ارتدت بنو إسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم عقلون ملك مؤاب خمس عشرة سنة ثم تابوا فبعث الله لهم رجلاً يقال له أهود بن جيرا من سبط افرائيم فقتل عقلون ملك مؤاب وكان يقاتل بشماله ويمينه فسموه ذا اليمينين وهو أول من طبع السيوف ذوات الحدين وكانت قبله ذوات أقفية وفي زمانه بنيت البنية بالشام ، وفي خمس وعشرين سنة من ملك أهود تم الألف الرابع .

ثم ارتدت بنو اسرائيل بعد أهود فسلط الله عليهم يابين ملك كنعان عشرين سنة و كان سمحر بن عانات قد ملك على بنى اسرائيل قبل فقتل من اهل فلسطين ستمائة رجل ثم إن الله رحمهم فبعث اليهم رجلاً يقال له بارق بن ابينعم من سبط نفتالي فملكهم اربعين سنة ثم ارتدت بنو اسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم اهل مدين سبع سنين ، ثم إن الله تعالى رحمهم فبعث اليهم رجلاً يقال له جدعان بن يواس من سبط منشا وكان صالحاً وهو الذي بيت اهل مدين فقتل منهم مائتي الف وخمسة وثمانين الفاً وملكهم

اربعين سنة ، ثم ملك بعده ابنه ابيملك بن جدعون وكان ابن سوء وهو الذي قتل سبعين أخاً كانوا له فقتلته امرأة ورمته بحجر من فوق باب المدينة فشدخته وكان ملكه ثلاث سنين ، ثم ملك تالع بن فواي من سبط يشاجار فاقام ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم ملك جلعاد من سبط منشا وكان له ثلاثون ابناً يركبون معه على ثلاثين مهراً وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، ثم ارتدت بنو إسرائيل الى الكفر فسلط الله عليهم بني عمون سبع عشرة سنة ، وفي زمانه بنيت مدينة صور بالشام وسامهم سوء العذاب ثم إن الله تعالى رحمهم فبعث لهم رجلاً من أهل جلعاد اسمه « يفتح » فقتل من بني اسرائيل من آل أفرائيم اثنين واربعين الفاً وكان من سبط منشا وكان ملكه ست سنين ، ثم كان عليهم أيصان الذي يدعى نخشون سبع سنين ، ثم كان عليهم أيلان من سبط زبلون عشرين سنة ، ثم كان عليهم عكران ثماني سنين ، ثم كان عليهم الانكساس فسامهم سوء العذاب وسلط عليهم أشد التسليط أربعين سنة ، ثم كان عليهم شمسون عشرين سنة ثم لبثوا ليس عليهم أحد اثني عشرة سنة ، ثم كان عليهم عالي الأحباري أربعين سنة ، ثم كان عليهم شمويل النبي وهو الذي ذكره الله تعالى ﴿ إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ﴾ فلما قالوا لشمويل النبي سل الله أن يبعث لنا ملكاً حتى يقاتل عدوه وقال إنه لا وفاء لكم ولا صدق نية وقالوا بلى قال فان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً واسمه « شاول » قالوا والله ماهو من سبط الملك والنبوة ما هو من ولد لاوى ولا يهوذا وإنما هو من سبط بنيامين قال شمويل فليس لكم أن تختاروا على الله فدعا شمويل شاول وهو طالوت فقال له إن الرب أمرني أن أبعثك ملكا على بني اسرائيل والله يأمرك أن تنتقم من عمليق فأهلك عمليق وكل ماله ولا تبق له شيئاً من رجل ولا امرأة ولا صبي رضيع ولا عجل ولا شاة ولا بعير ولا حمار وأوصى الجماعة كلها بهذا وكان عددهم أربع مائة الف مقاتل فأقبل شاول إلى عمليق فقتل أصحاب عمليق وأسر أغاغ ملك العمالقة فأخذه حياً فاستبقاه وامتنعوا من

إتلاف شيء من البقر والغنم وأبقوا لأنفسهم فأوحى الله تعالى إلى شمويل إن شاول عصاني ولم يهلك عمليق وكلما حواه ملكه فقال شمويل لشاول إن الله قد غضب من فعلك فدعا شاول باغاغ فقال ما أمر الموت قال الذبح فذبحه ثم قال شاول لشمويل امض معي لنسجد بين يدي الله تعالى فامتنع فامسك رداء شمويل فخرقه فقال شمويل كذا ينخرق ملكك وارتفعت النصرة عن شاول ودخلته ريح سوء وكان يضطرب ويتغير لونه فقالوا له أصحابه لو أتيت بانسان حسن الصوت من الشعاريين يقرأ عليك إذا دخلتك هذه الريح السوء فأرسل إلى أيشا ابعث الي داود ابنك فبعث به اليه فكان إذا خنق شاول أخذ داود قيتارة بيده وتكلم عليها فيذهب عنه الريح السوء ، ثم اجتمع الحنفاء الذين كانوا في وقت شاول فقاتلهم وهم عبدة النجوم وخرج اليهم شاول في جموعه فخرج منهم رجل طوله خمس أذرع يقال له « غلياث » وهو جالوت فقال يبرزلي منكم رجل واحد فقال داود لشاول أنا أبرز اليه فقال لداود انطلق والرب يكون معك فأخذ عصاً وخمسة أحجار وخرج إلى غلياث فلما رآه احتقره فقال له الى كلب خرجت بعصاً وحجر فقال له الى أشد من الكلب ثم أخذ حجراً من مخلاته ورماه به حتى غاب الحجر في جبهة جالوت وسقط فسعى اليه داود فاخذ سيفه وحز رأسه وأخذ راجعاً فانهزم عسكر غلياث واشتد سرور بني يهوذا فاغتم شاول وحسد داود فطرده عنه وصيره رئيساً على الف ونفاه بمكان بني يهوذا وتزوج ميخل بنت شاول وكان شاول يريد قتل داود فكان يوجهه يقاتل الحنفاء عبدة النجوم فيفتح الله عليه فهم أن يقتله بغير حيلة فهرب داود فجاء الى شمويل النبي فخبره بخبر شاول ولم يزل شاول يحاول قتل داود حتى هرب فمر باخيش ملك جات فلما رآه عرفه فتحيل عليه داود حتى أطلقه فصار الى سارع فنزلها ولما علم شاول أنه قد فاته قتل الكهنة الذين كانوا يقدسون وقال قد علمتم به ولم تخبروني ثم خرج شاول في طلب داود حتى أدركه فدخل داود مغارة فلما صار شاول عند المغارة نزل لحاجته فدخل المغارة وهو لا يعلم أن داود فيها فقام داود فتوارى فقال له اصحابه

يا داود اقتله فقد أمكنك الله منه قال ما كنت لأفعل ، وتوفي شمويل النبي فاجتمعت بنو إسرائيل وأعظموا ذلك وناحوا عليه ثلاثين يوماً وخرج شاول يقاتل الحنفاء والتحم القتال بينهم فهزموا بني اسرائيل وقتل منهم خلق عظيم وكان داود بن ايشا يقاتل العماليق مع قومه من ولد يهوذا فلما انهزم عن شاول جميع بني اسرائيل قام هو وولده يحارب ثم قال لصاحبه الذي يحمل سلاحه خذ سيفك فاقتلني به لئلا يقتلني هؤلاء القلف ويلعبوا بي فلم يفعل فأخذ شاول سيفه فأقامه ثم ألقى نفسه عليه فمات وقتل أولاده الثلاثة وكان ملك شاول أربعين سنة .

داود

ولما مات شاول وهو طالوت إنصرف داود من قتال عمليق الى سقلاغ فاقام بها يومين ثم أتاه الخبر بموت شاول فحزن لذلك وأظهر جزعاً وملك داود على بني يهوذا ، وكان لداود عدة نسوة قد ولدن منه أولاداً فكان اكبر أولاده أمنون وأمه شيتموم والثاني دالويا بن اريخايل ، والثالث أبا شلوم بن موخا ، والرابع ادينا بن دحات ، والخامس سفاطيا بن أبيطال ، والسادس ناتان بن أغلا ، فهؤلاء الستة من ست نسوة ولم تلد ميخل بنت شاول فهربت من داود إلى أصحاب شاول ، واجتمعت بنو اسرائيل من الأسباط على تمليك داود فملكوه بعد سبع سنين ملكها على بني يهوذا خاصة الى أن ملكته جميع أسباط بني اسرائيل ، وينزل داود مدينة صيون وهي بيت المقدس وبنى بها منزلاً وتزوج النساء فولد له بعد أن ملك سمون وسوباب ونوتان وسلامان ويابار واليشوس ونافاق ويافيا واليشماس والسنابا واليفلات ، فكثر أولاد داود وعز ملكه وأعظمته بنو اسرائيل ، وسمع الحنفاء أن داود قد ملك على بني اسرائيل واجتمعوا لقتاله فقاتلهم داود فقتل فيهم قتلا كثيراً حتى أبادهم فلما فرغ من قتالهم حمل تابوت السكينة على عجل حتى أدخله مدينة بيت المقدس وصنع طعاماً لبني اسرائيل لرجالهم ونسائهم وكان في ذلك العصر ناتان النبي فاوحى الله إلى ناتان قل لعبدي داود

ابن لي بيتاً فقد ملكتك على بني اسرائيل بعد أن كنت في صيرة الغنم وقتلت أعداءك فقال ناتان النبي لداود فعظم في قلب داود ﴿ ويقال ﴾ إن ناتان كان ابن داود وقاتل داود الحنفاء فهزمهم وقاتل أهل مؤاب وهزمهم وقاتل أدد ازار ملك سوبا فهزمه وأخذ له الف مركب وسبعة آلاف من الخيل واجتمع أهل الشام ودمشق مع أدد ازار ليقاتلوا داود فقتل منهم إثنين وعشرين الفاً واستحوذ على الأرض فكان أهل الشام جميعاً عبيداً له ثم اجتمعوا جميعاً على محاربة داود فوجه اليهم يؤاب ابن اخته وأيشا أخاه ثم خرج داود حتى عبر نهر الأردن فقتل من القوم أربعين الفاً وقتل أشان رأس القوم ثم وجه يؤاب ابن اخته لقتال بني عمون إلى أسافل الشام ورجع الى بيت المقدس فقام يمشي على سطح له إذ نظر الى برسبا بنت اليات امرأة أوريا بن حنان الشطي فسأل عنها فاخبر بحالها وأنها امرأة أوريا بن حنان فوقعت في قلبه فارسل الى أوريا بن حنان فاقدمه عليه ثم كتب إلى يؤاب ابن اخته أن قدم أوريا أمام الخيل يحارب فقدمه يؤاب فقاتل فقتل (١) وأرسل داود إلى امرأته فتزوجها وأحبلها فارسل الله اليه الملكين على ماقص في كتابه جل وعز ، وأرسل اليه ناتان النبي فقال له يا داود ألم يأمرك الله أن تعدل في القضاء وتحكم بالحق ولاتتبع الهوى قال بلى قال فهذان رجلان يسكنان مدينة واحدة أحدهما غني والآخر فقير وكان للغني مواش وبقر كثيرة ولم يكن للفقير شيء إلا رخلة واحدة صغيرة رباها فشبت معه ومع أولاده

(١) هذا وماهو أشنع منه مما هو في صموئيل الثاني من كتب العهد القديم لا ريب أنه من الخرافات التي لم يثبت بها نقل ودحرته نواميس الأديان واستفاضت الروايات عن ائمة أهل البيت عليهم السلام بتفنيده ، وقد أغرق نزعاً في تكذيبه سيدنا المرتضى علم الهدى في كتابه « تنزيه الأنبياء » ولم يدع شيخنا الحجة البلاغي في كتابه (الهدى) ملتحداً عن القول بان ذلك من مختلقات القصاصين ، وإنك لاتجد من محققي العلماء من يعطف على تلك الخرافة نظر القبول بل ينكرها أشد الانكار ، والأصل فيه ماثبت بالبراهين —

فكانت تأكل من طعامه وتشرب من كأسه وتنام في حجره ونزل بالغني ضيف فلم يأخذ من بقره وغنمه شيئاً وأخذ رخلة الفقير فهيأها لضيفه ، فغضب داود وقال أهل أن يموت ويغرم بتلك الرخلة سبعة أضعاف فقال ناتان النبي لداود أنت الرجل الذي فعلت هذا إن الرب إلهك يقول لك أنا الذي جعلتك ملكاً على بنى اسرائيل بعد أن كنت راعي غنم وأنقذتك من يدي شاول وأعطيتك بيت اسرائيل وبيت يهوذا ففعلت هذا فلا تنتقم منك باشر ولدك ولأسلطنه عليك وعلى نسائك فعظم ذلك على داود فقال له ناتان إن الله قد تجاوز عن سبيلك فلن تموت ولكنه ينتقم منك بشر بنيك وأعلمه الله أن ولده الذي ولدته المرأة يموت فجزع داود واشتد جزعه واشتكى الصبي فلما اشتدت علته صام وقام ليصلي ويبكي ويتمرغ بالشعر على الأرض فلما توفي الصبي أعظم خول داود أن يخبروه بذلك حتى سمع بوشوشتهم فعلم فغسل وجهه ولبس ثيابه وجلس في مجلسه ودعا بطعامه وقال إنما كنت أحزن قبل أن يهلك فاما الساعة فان حزني لا يرده إلي بل أنا أذهب اليه ثم واقع برسبا فحملت غلاماً فسماه سليمان ثم إن ايشا لوم بن داود قتل أخاه امنون وذلك أنه اتهمه باخت له من أمه فقتله وخرج على داود وكان أيشا لوم عظيم الجسم كثير الشعر فبعث اليه داود من ردّه حتى رجع ثم خرج عليه ثانية فهرب منه داود ماشياً على رجليه حتى صعد عقبة طور سينا وبلغ منه الجوع حتى لحقه رجل معه خبز وزيت فاكل منه ودخل أيشالوم مدينة أبيه وصار الى

— القطعية من وجوب عصمة الأنبياء (ع) فلا يعرّض النبي المؤمن المجاهد للقتل لمحض ان ينكح امرأته ، ولا يفعل مافي صموئيل الثاني من الزنا بالمحصنة وهي امرأة أوريا وزوجها مجاهد ، ثم إنه لا يسترد المجاهد فيسكره ليضاجعها في سكره فيموه أمر الحمل من الزنا وإذ أعيت الحيل عرّضه للقتل ، كل ذلك مما يربي بنفسه عنه الذنابى فضلاً عن الأنبياء عليهم السلام ، وكل ما ذكره المؤلف هنا مما لا يلأم الصحيح من تاريخ داود «ع» كأنه مأخوذ من العهد القديم المملوء من الخرافات . (م . ص)

داره وأخذ سراري أبيه فوطئهن وقال ملكني الله على بني اسرائيل وخرج ومعه اثنا عشر الفاً فطلب داود ليقتله فهرب داود حتى جاز نهر الأردن فلما جاز اجتمع اليه جماعة من أصحابه ولفيف من القرى فوجه يؤاب ولده ليحارب أبشالوم وقال له خذه لي حياً صحيحاً فخرجوا فحاربوه وكان أبشالوم على بغل فدخل تحت شجرة بطم فتعلق بها فاندقت عنقه ورماه يؤاب بثلاثة اسهم وطرحه في جب فلما أتى داود الخبر جزع عليه جزعاً شديداً ورجع داود إلى موضعه .

وخرج على داود بعد ذلك أزلا ومعه جبابرة فحاربهم فقتلهم فلما قتلهم وأنقذه الله منهم قام يقدس الله ويسبحه فقال في تقديسه إياك يا رب أعبد ولك أخلص محبتي فانك قوتي وعدتي وملجأي ومخلصي بعد أن أحاطت بي سكرات الموت وقربت مني واحتوت علي أحداث الهلكة فدعوتك في ضيقي واستعنت بك يا إلهي فسمعت صوتي فاستنقذتني من الذين اعتوروني واضطهدوني وكنت ناصري فاخرجتني من الضيق الى الفرج فما أعدلك يا رب وأنصرك للمتوكلين عليك لأنه لا رب غيرك فألهمني القوة وبصرني طريق الرشد وثبت قدمي بين يديك وشدد ساعدي ولا تقدر علي أعدائي وهب لي طاعة بني اسرائيل وصيرهم خولاً خاضعين وألهمني شكرك .

وكان داود إذا سبح الله بهذا الكلام رفع صوتاً حسناً لم يسمع مثله وكان إذا قرأ الزبور قال طوبى لرجل (.....) في سبيل الأئمة لم يسلك وفي مجالس المستهزئين لم يجلس ولكن هواه سنة الله وبسنته تعلم الليل والنهار يكون كشجرة غرست على شط الماء تؤتي أكلها كل حين ولا يتناثر ورقها وليس كذلك المنافقون في القضاء ولا الخاطئون في مجمع الأبرار من أجل أن الله يعلم سبيل الأبرار وسبيل الأئمة يبطل ، ثم يقول سبح الله من في السماء وليسبحه من في العلى ولتسبحه ملائكته كلها ولتسبحه جنوده كلها ولتسبح له الشمس والقمر ولتسبح له الكواكب والنور وليسبح لاسم ربنا الماء الذي فوق السماء وذلك بانه قال لكل شيء كن فكان وهو خلق كل شيء

وبرأه وجعلهن دائمات الأبد وقدَّر كل شيء منهن تقديراً وجعل لهن حداً ومنتهى لا يجاوزنه فليسبح الله من في الأرض والنار والبرد والثلج والجليدفانه خلق الريح العاصف بكلمته ، سبحوا الله تسبيحاً حديثاً في مسجد الصديقين وليفرح اسرائيل بخالقه وإن بني صيون يكبرون ربكم ويسبحون اسمه بالدف والطبل والكبر ، يكبرونه من أجل أن يسر الله بشريعته ويعطي المساكين النصر ليشيد الصديقون بالكرامة ويسبحون على أسرتهم ويكبرون الله على حناجرهم وسيف ذوشفرتين بأيديهم لينتصروا الشعوب ويتعظ الأمم فيوثقوا ملوكهم في القيود وذوي الكرامة بسلاسل من حديد ، ليفعل بهم القضاء الذي كتب والحمد لله لكل الصديقين سبحوه في مقدسه سبحوه في سماء عزته سبحوه بحوله وقوته سبحوه بعظمته سبحوه بصوت العزف سبحوه بالقيتارة والكبر (١) سبحوه بالبرابط والزمر سبحوه بالأوتار والكبر الطويل الحلمات سبحوه في صلاصل السمع سبحوه بالأصوات العلى والندا سبحوا ربنا تسبيحاً خالصاً كل نفس بنفس ، ثم يقول داود في آخر الزبور إني كنت آخر إخوتي وعبد بيت أبي وكنت راعي غنم أبي ويدي تعمل الكبر وأصابعي تقص المزامير فمن ذا الذي حدَّث ربي عني هو ربي وهو الذي سمع مني وأرسل إلي ملائكته فانزعني من غنم إخوتي هم اكبر مني وأحسن فلم يرضهم ربي فبعثني للقاء جنود جالوت فلما رأيته يعبد أصنامه أعطاني النصر عليه فاخذت سيفه فقطعت رأسه .

ثم إن بني اسرائيل وقعوا في داود فاشتد غضب الله عليهم فأمر الله داود أن يحصي عدد بني اسرائيل فأحصاهم فوجدهم ثمان مائة الف رجل بطل وعدد بني يهوذا خمسمائة الف رجل فبعث الله حيرام النبي إلى داود وقال له قل لداود اختر واحدة من

(١) القيتارة بكسر القاف وسكون الياء ثم التاء المثناة وتقال بالثاء المثلثة ايضاً آلة للطرب ذات أوتار والكلمة من الدخيل ، والكبر بفتحتين الطبل أو الطبل ذو الرأسين أو الطبل الذي له وجه واحد ، والبرابط جمع بربط هو العود والمزهر . (م . ص)

ثلاث إما أن يكون جوع سبع سنين وإما أن تدفع إلى اعدائك فيعزونك ثلاثة أشهر ويطرحونك من سلطانك وإما أن يكون موت شديد ثلاثة أيام فضاق داود لذلك وقال ربنا أولى بنا من خلقه فسلط الله عليهم الموت فمات في ساعة واحدة سبعون الف رجل فقال داود يارب إني أنا أسأت فما ذنب هؤلاء الذين يشبهون البهائم فأوحى الله اليه أن ابن لي هيكلاً في بيدر اليبوساني فصعد داود الجبل حتى اشترى البيدر بخمسين أستاراً وابتنى هناك مذبحاً فكف الموت عن بنى اسرائيل ، وكان داود قد أسن وضعف بدنه وكان له ابن يقال له ادونياس فاستمال يؤاب صاحب حروب داود وقوماً من قواد داود وقال لهم قد كبر الملك داود وأنا أولى أن أقوم مقامه فلما بلغ داود ذلك أرسل الى سادوق (١) الكاهن وناتان النبي فقال لهم اجمعوا أهل المملكة واحملوا سليمان ابنى على بغلتي وأجلسوه على منبري فقد جعله الله رأساً على بنى اسرائيل والله يعظم ملكه ويرفع شأنه فمضوا مع سليمان حتى علا منبر داود واجتمع عليه أهل المملكة فقال داود هكذا أعلمنى الله أن يملك سليمان ابنى وعيناي تنظر اليه ، وكان سليمان يومئذٍ ابن اثنتي عشرة سنة ثم اشتدت على داود علته فاوصى سليمان وقال أنا ماضٍ في سبيل كل أهل الأرض لا تمأن (٢) فاعمل بوصايا الرب إلهك واحفظ مواثيقه وعهوده ووصاياه التي في التوراة المنزلة على موسى بن عمران ، ومات داود وله مائة وعشرون سنة وكان ملكه اربعين سنة .

سليمان بن داود

ولما قبض الله عز وجل داود قام مكانه سليمان نبياً وملكاً فسخر الله له الجن والانس والرياح والسحاب والطير والسباع وآتاه ملكاً عظيماً كما قص في كتابه العزيز ، ومال يؤاب صاحب حروب داود وقوم من أصحابه مع اخوة سليمان ليفسدوا

(١) وقيل عالي ، والكاهن في لغتهم كوهن ومعناه العالم الامام وكان هذا الكاهن رجلاً صالحاً

(كذا في هامش الأصل) (٢) لا تمأن اي لا تحذر ولا تتق (م)

على سليمان ملكه فقتلهم سليمان من عند آخرهم وقتل أدونياس أخاه فصلح الملك لسليمان وثبت سلطانه وتزوج بنت فرعون ملك مصر ودخل بها في بيت داود وجمع سليمان بني اسرائيل ليقرب قرباناً فقرب الف ذبيحة فرأى سليمان في ليلة كأن الرب يقول له سل ما أحببت لأعطيك فقال سليمان أنت يارب أنعمت على داود النعمة العظيمة وصيرت عبدك سليمان ملكاً بعده فأعطني قلباً حكيما لأحكم بالعدل وأفهم الخير والشر فقال الله لأنك طلبت هذا الأمر ولم تطلب مالاً ولم تطلب أنفس أعدائك ولم تطلب طول العمر لكنك طلبت حكمة تفهم بها الحكم والقضاء فقد استجبت لك وأعطيتك قلباً فهيماً بصيراً الى الأمر الذي لم يكن لأحد قبلك ولا يكون بعدك مثلك وأعطيتك مالم تطلب من الأموال والعتاق والكرامة وأنت إن سلكت في طريقي وحفظت شرائعي ووصاياي كما حفظ داود أبوك أطيل عمرك وأعظم أمرك ، فكان سليمان يجلس للقضاء ويحكم بين بني إسرائيل فيعجبون لحكمه وعدل قضائه وقوله وحسن لفظه ، وكان لسليمان قواد ووزراء وكتاب ووكلاء فكان وزيره زابود بن ناتان وعلى حروبه بنايا بن يوياداع وخازنه أبيشار وعلى الخراج ادونيرام بن عبدا ، وكان له اثنا عشر وكيلا على نفقاته يقوم كل وكيل بنفقة شهر ، وكانت نفقاته على أسباط بني اسرائيل ، وكانت وظيفته كل يوم ثلاثين كراً من الدقيق السميد وستين كراً من دقيق الخشكار وعشرة ثيران معلوفة وعشرين ثوراً ومائة كبش ، وكان له أربعون الف آري (١) معلق عليها دوابه وكان معجباً بالخيل ، وقد قص الله من خبره فيها ما قص .

وابتدأ سليمان في بناء بيت المقدس وقال إن الله أمر أبي داود أن يبني بيتاً وإن داود شغل بالحروب فأوحى الله اليه أن ابنك سليمان يبني البيت باسمي فأرسل سليمان

(١) الآري بالمد وتشديد الياء وقد تخفف عود يعرض في حائط او في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيه الدابة ويسمى الآخية ايضا (م ص)

في حمل خشب الصنوبر وخشب السرو ثم بنى بيت المقدس بالحجارة فاحكمه ولبسه الخشب من داخل وجعل الخشب منقوشاً وجعل له هيكلا مذهباً وفيه آلة الذهب ثم أصعد تابوت السكينة فجعله في الهيكل وكان في التابوت اللوحان اللذان وضعهما موسى ولما وضع سليمان تابوت السكينة قام بين يدي الهيكل وقد اجتمعت جموع بنى اسرائيل فسبح الله وقدسه وأثنى عليه بالآ نه إذ ملكه على بنى اسرائيل وأجرى بناء بيت المقدس على يده ، وكان يجتمع اليه بنو اسرائيل ويقول تبارك وتعالى الرب الذى وهب الراحة لاسرائيل وتمت كلماته الصالحة فلم يسقط شيء منها مما قاله لعبده موسى ونسأل الله ربنا أن يكون معنا كما كان مع آبائنا ولا يرفضنا ولا يخذلنا يقبل بقلوبنا اليه لنسلك الطريق التي يرضاها ونحفظ سننه وعهوده ووصاياه وأحكامه التي أمر آباء نا بها ويجعل قولنا قريباً منه ورضياً عنده وقلوبنا سالمة له حافظة لأمره .

ولما فرغ سليمان من بيت المقدس عمل عيداً وقرّب فيه الذبائح فاقام أربعة عشر يوماً يفعل ذلك وقد جمع اليه بنى اسرائيل فاذا فرغ من إطعامهم قام فقدس الله وسبحه فلما فرغ أوحى الله اليه أني قد سمعت صلاتك ورأيت قربانك فان دمت على طاعتي وصلت لك ملكك ولولدك بعدك فقدّست هذا البيت آخر الدهر وإن حدثتم عن أمري او نقض أحد منكم عهودي سلبته ملكه وخرّبت هذا البيت الى آخر الأبد ، وقدمت بلقيس ملكة سبا على سليمان وكان من أمرها ما قد قصه الله في كتابه العزيز ، ولما قدمت عليه جاءته بجمال موقرة ذهباً وعنبراً وقالت له لقد بلغنى من أمرك ما لم أصدق به حتى رأيته ثم انصرفت الى بلدها ، وكان سليمان معجباً بالنساء فتزوّج فيما يقال سبع مائة امرأة فيهن بنت فرعون ملك مصر وعدة من نساء بني عمون وعدة من نساء أهل مؤاب جبابرة الشام ومن أدوم ومن الجثانيين وهم الصيدانيون ومن الشعوب التي قد كان الله نهى عن مخالطتهم وكان له سبعمائة فاتخذت امرأة من نساء سليمان تمثالا على صورة أبيها فلما رأى غيرها من نسائه فعلن كفعلها فعاتب الله سليمان

وقال له تعبد الأصنام في بيتك ولاتغضبك لأسلبنك ملكك ولأنزعن العز من يدك ولأفرقن الأسباط من ولدك ولكني أحفظ أباك داود فيك فلا أسلبك الملك بقية عمرك ولا أسلب جميع الأسباط ولكني أدع في يدك سبطين لئلا يذهب ذكرك ، وإن سليمان لجالس على كرسيه المعمول من الذهب المكلل بالجوهر إذ انتزع خاتمه من يده فأخذه شيطان من الشياطين فوضعه في يده ونحى سليمان عن كرسيه وجلس عليه الشيطان ونزع ثياب سليمان ولبسها فمرّ سليمان على وجهه عليه جبة صوف وفي يده قصبة فكان يستطعم ويقول أنا ملك بني اسرائيل سلبني الله ملكي فيسخر منه من يسمعه وينكرون قوله فكان يقف على الصيادين الذين على البحر فيطلب منهم ما يطعمونه ، وأنكر آصف صاحب سليمان وغيره أمر ذلك الشيطان ولم يروه يذكر الله فهرب الشيطان وطرح الخاتم في البحر وأقام سليمان مسلوب الملك أربعين يوماً فانه بعد أن كملت له الأربعون يمشي على شط البحر حائراً إذ قال له بعض الصيادين تعال يا مجنون فخذ هذا الحوت فأعطاه حوتاً قد تغيرت رائحته فصار به الى البحر فغسله وشق بطنه وإذا في داخله حوت آخر فشق بطن الحوت الآخر فاذا خاتمه في جوفه فلبسه وحمد الله وردّ الله عليه ملكه وأقام ملكاً على بني اسرائيل على ما وصف الله جل وعز من ملكه وتسخيره له الطير والجن والانس يعملون له أعاجيب الصنعة ويشيدون له البنيان ويطيعونه في كل أمره أربعين سنة ، ثم توفي ودفن الى جانب قبر داود ، وكان لسليمان يوم ملك اثنتا عشرة سنة فمات وله اثنتان وخمسون سنة .

رحبعم بن سليمان والملوك بعده

ولما مات سليمان بن داود ملك رحبعم بن سليمان فاجتمع اليه أسباط بني إسرائيل وقالوا له إن أباك قد كان غلظ علينا واستعبدنا استعباداً شديداً فخفف انت الآن عنا فقال لهم رحبعم انصرفوا عني اليوم وجيئوني بعد ثلاثة أيام فانصرفوا عنه فاستشار المشيخة من أصحاب أبيه فقال ما ترون قالوا نرى أن تحسن إجابة بني اسرائيل وتلين

لهم القول حتى تملكهم بعد اليوم فترك قول مشيخة بني اسرائيل واستشار أحداثاً نشوا معه فقالوا له نرى أن تغلظ القول لهم ليستقيم لك أمرهم كما استقام لأبيك فلما كان اليوم الثالث اجتمعوا اليه ليسألوه عما ذكروا له فقال لهم إن خنصري أثقل من إبهام أبي فلما قال لهم هذا انصرفوا عنه وتفرقوا في قراهم فلم يبق معه من أسباط بني اسرائيل إلا سبط يهوذا وسبط بنيامين ، وملكت الأسباط العشرة عليهم يوربعم بن ناباط وكان قد هرب من سليمان الى مصر فلما اختلفت بنو اسرائيل على رحبعم بن سليمان قدم ، وجمع رحبعم بن سليمان من سبط يهوذا وسبط بنيامين الف رجل يطلب محاربة يوربعم بن ناباط ومن معه وأوحى الله الى سمعيا النبي أن قل لرحبعم ومن معه لا تحاربوا بني اسرائيل فسمعوا قوله وانصرفوا ، وكان ملك رحبعم سبع عشرة سنة وملك يوربعم ابن ناباط على العشرة الأسباط من جبل فاران فقالت بنو اسرائيل إنا نريد أن نقرب قرابيننا الى الله فكره يوربعم أن يصعدوا الى بيت المقدس فيستميلهم آل يهوذا فيدخلوا في ملكهم فقال ليست بكم حاجة الى الصعود وأنا أعمل لكم مذبحاً فعمل لهم مذبحاً وصير فيه عجلاً من ذهب وقال هذه آلهتكم التي اصعدتكم من أرض مصر واتخذ للعجل أحباراً وعمل عيداً وقرب الذبائح للعجل فأتاه نبي بني اسرائيل فوعظه فمد يده اليه فيبست فقال له ادع الله أن يرد يدي فدعا له النبي فرجعت يد يوربعم ، وأقام يوربعم على طريقه لم يرجع عنها وأهلك الله يوربعم وكل من كان معه وقتله ودمر عليه ، وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك ﴿ أبيام ﴾ بن رحبعم فسلك سبيل أبيه وأظهر الفواحش وارتكب القبيح فبتر الله عمره ، وكان ملكه ثلاث سنين .

ثم ملك ﴿ أسا ﴾ فاظهر العمل بطاعة الله تعالى ومنع الزنا وعاقب عليه وعلى الريب وأخرج من كان يعبد الأصنام من مملكته حتى طرد أمه لما بلغه أنها تعبد الأصنام ، وفي زمانه صار زارح ملك الحبشة وأقبل ملك الهند الى بيت المقدس

فبعث الله عذاباً فاهلك زارح وملك الهند ، وكان ملك أسا أربعين سنة ، ويقال إن بني اسرائيل أوقدوا من خشب أسلحة اصحاب الهند لما قتلهم أسا سبع سنين .

ثم ملك بعده ابنه ﴿ يهوشافط ﴾ فسلك سبيل أبيه وكان ناسكاً صديقاً فملك العشرة أسباط وكان مرضياً في جميع بني إسرائيل ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ﴿ يورام ﴾ ابنه فكفر ورجع قومه إلى عبادة الأصنام وتزوج امرأة أطغته وأضلته ، وكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك ﴿ احزيا ﴾ بعد أبيه فسلك سبيله وكان العشرة الأسباط قد اعتزلت وملكت منهم ملكاً يقال له « يهو » فحارب احزيا حتى قتل من قومه مقتلة عظيمة ثم سلط الله عليهم ملك سورية ففعل بهم مثل ذلك ، وكان ملك احزيا سنة واحدة .

ثم ملكت ﴿ عتلايا ﴾ بنت عمرى فقتلت ولد داود حتى لم يبق من نسل داود أحد إلا غلام يقال له « يواش » وأخذته امرأة من بني عمه يقال لها « يوشبع » عمته وكان يرضع وأفسدت عتلايا وأظهرت الفواحش وأفسدت البلاد واجتمعت بنو اسرائيل الى يويدع الأحباري فاشتكوا اليه الذي تفعل بهم فاجتمعوا فقتلوها وكان ملكها سبع سنين .

وملك بعد عتلايا الغلام الذي كان بقي من بني داود وهو ﴿ يواش ﴾ وكان يوم ملك له سبع سنين فصلحت أمور بنى اسرائيل وظهر فيهم العدل وارتفعت الفواحش وتركوا عبادة الأصنام ثم ظلم في آخر عمره واستعمل القتل حتى قتل أولاد الأحبار وقتل ولد يويدع الأحباري الذي ملكه ثم مات ، وكان ملكه أربعين سنة وهدم من سور بيت المقدس أربعين ذراعاً وانتهب كل ما كان فيها .

ثم ملك بعده ﴿ امصيا ﴾ وكان يشبه مذهب يواش في اول أمره ثم ظلم وجار وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك ﴿ عزيا ﴾ بن امصيا وكان في زمانه أشعيا النبي فاحسن عبادة الله

والعمل بطاعته غير أنه أخذ المجمر ودخل الهيكل ولم يكن ذلك يصلح لأحد إلا للأحبار فعاقبه الله فبرص وعاقب اشعيا النبي لأنه لم ينهه عن ذلك فنزع الله منه النبوة حتى مات عزيا ، وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك ﴿ يوتام ﴾ لما برص أبوه وكان ملكه ست عشرة سنة .

ثم ملك ﴿ احاز ﴾ ابنه فكفر فعبد الأصنام فسلط الله عليه بلعقس (تعلتفلس) ملك بابل فسباه واستعبده وضرب عليه الجزية وأخرب مدينة العشرة الأسباط بفلسطين وهي سبسطية وسبى أهلها فدخل بهم الى ارض بابل ، ثم أرسل الى المدينة قوماً من قبله فعمروها وبنوها فهم الذين يدعون السامرة بفلسطين والأردن فلما سكنوها سلط الله عليهم الأسد ثم بعث اليهم رجلاً من أحبار بني اسرائيل من ولد هارون يعلمهم دين بني اسرائيل فلما دخلوا في دينهم تركهم الأسد وصاروا سامرة فقالوا لا نؤمن بنبي إلا بموسى ولا نعرف إلا ما في التوراة وجحدوا نبوة داود وأنكروا البعث والنشور وامتنعوا من مجالسة الناس والاختلاط بهم ومن تناول شيء منهم ومن حمل الموتى ومن حمل ميتاً اعتزل سبعة أيام يعتزل في الصحراء لا يختلط بهم ثم يغتسل وكذلك من تناول شيئاً لا يحل له ولا يأوون الحائض منازلهم وجعلوا رئيسهم من ولد هارون يسمونه الرئيس ، ويتوارثون على التوراة فليس هم في بقعة من بقاع الأرض إلا يجتمعون فلسطين ، وكان ملك احاز ست عشرة سنة .

ثم ملك بعد احاز ﴿ حزقيل ﴾ ابنه فاحسن عبادة الله تعالى وكسر الأصنام وهدم بيوتها وكان في زمانه سنحاريب بن سراطم ملك بابل فسار الى بيت المقدس فسبى بقية الأسباط فرشاه حزقيل بثلثمائة قنطار فضة وثلاثين قنطار ذهب على أن ينصرف فاخذها ثم غدر فلما فعل ذلك دعا الله اشعيا النبي وحزقيل على سنحاريب فاجاب الله دعاءهما فسلط الله على اصحاب سنحاريب القتل فقتل منهم في ساعة واحدة مائة الف وخمسة وثمانين الفاً فرجع سنحاريب مهزوماً حتى صار الى بابل وقتله ولده شرقتلة ،

وأمر الله سبحانه اشعيا النبي أن يعلم حزقيل أنه ميت فليوص فلما أعلمه الله ذلك دعا الله أن يزيد في حياته حتى يهب له ولداً يملك بعده فزاد الله في حياته خمس عشرة سنة حتى ولد له ولد ، وفي أيام حزقيل رجعت الشمس نحو مطلعها خمس درجات ، وكان ملك حزقيل سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعد حزقيل ﴿ منشا ﴾ بن حزقيل فكفرت بنو اسرائيل في أيامه وكفر وعبد الأصنام وكان أشر ملك في بني اسرائيل وبنى للأصنام مسجداً واتخذ صنماً له أربعة أوجه (١) فنهاه اشعيا فامر به فنشر بالمنشار من رأسه الى رجليه فسلط الله على منشا قسطنطين ملك الروم فحاربه وأسره فاقام في الأسر زماناً ثم تاب الى ربه فرده الله الى ملكه فكسر الصنم وهدم بيوت الأصنام ، وكان ملكه خمساً وخمسين سنة وأيام أسره عشرين سنة .

ثم ملك ﴿ أمون ﴾ بن منشا فاعاد الأصنام حتى كثرت وكان ملكه ست عشرة سنة .

ثم ملك بعده ﴿ يوشيا ﴾ ابنه فاحسن عبادة الله وكسر الأصنام وهدم بيوتها وقتل سدنتها وأحرقهم وكان في العدل وحسن عبادة الله تعالى وجميل مذهبه يشبه داود وسليمان ، وكان ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملك ﴿ يهواخز ﴾ ابنه ثلاثة اشهر ثم أسره فرعون الأعرج ملك مصر ووضع على بلاده الخراج وصير عليها ملكاً من قبله وأخذ يهواخز فذهب به الى مصر فمات هناك .

ثم ملك بعده (يويقيم) أخوه وهو أبو دانيال النبي ، وفي عصره سار بخت نصر ملك بابل إلى بيت المقدس فقتل في بني اسرائيل وسباهم وحملهم الى ارض بابل

(١) وبنى مذبحاً لباعل وسجد للكواكب وكل قوات السماء وأجاز ابنه في النار وكتب عقوداً ورباطات . (عن هامش الأصل)

ثم صار الى أرض مصر فقتل فرعون الأعرج ملكها ، وأخذ بخت نصر التوراة وما كان في الهيكل من كتب الأنبياء فصيرها في بئر وطرح عليها النار وكبسها ، وكان في ذلك العصر ارميا النبي فلما علم بقدوم بخت نصر أخذ تابوت السكينة فخبأه في مغارة حيث لم يعلم به أحد ولم ينج من بخت نصر إلا ارميا ، وكان عدة من حمل بخت نصر الى أرض بابل ثمانية عشر الفاً فيهم الف نبي وملكهم يخنيا بن يهو ياقيم فمنهم اليهود الذين بالعراق ﴿ ويقال ﴾ إن أرميا النبي قال اللهم إني لأعلم من عدلك مالا يعلمه غيري فعلام سلطت بخت نصر على بني اسرائيل فاوحى الله اليه إني إنما أنتقم من عبادي إذا عصوني بشرار خلقي ، ولم يزل بنو اسرائيل في الأسر تحت يد بخت نصر حتى تزوج امرأة منهم يقال لها « سيحب » بنت سلتايل فسألته ان يرد قومها إلى بلدهم فلما رجع بنو اسرائيل إلى بلدهم ملكوا عليهم « زربابل » بن سلتائيل فبنى مدينة بيت المقدس وبنى الهيكل وأقام على بنائه ستاً واربعين سنة وفي زمانه مسخ الله بخت نصر بهيمة أنثى فلم يزل ينتقل في أجناس البهائم سبع سنين ، ثم يقال إنه تاب الى الله عز وجل فاحياه بشراً ثم مات ، وكان زربابل الذي أخرج التوراة وكتب الأنبياء من البئر التي دفنها فيها بخت نصر فوجدها بحالها لم تحترق فاعاد نسخ التوراة وكتب الأنبياء وسننهم وشرائعهم وكان أول من رسم هذه الكتب .

وكان شريعة بني اسرائيل توحيد الله والاقرار بنبوة موسى وهارون إبني عمران ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الله ، وكان صيامهم في كل سنة ستة أيام أولها في رأس السنة وهم يعدون رأس السنة أول يوم من تشرين فاذا مضى من تشرين عشرة أيام صاموا يوماً واحداً وهو اليوم الذي نزلت فيه الألواح الثانية على موسى بن عمران ، ويصومون لعشر خلون من كانون الآخر يوماً وهو يوم نجى الله بني اسرائيل من هامان ، ويصومون لسبعة عشر يوماً من تموز يوماً واحداً وهو اليوم الذي نزل فيه موسى من الطور ، ويصومون لتسعة ايام من آب يوماً واحداً

وهواليوم الذي كان فيه خراب بيت المقدس ، ويصومون لثلاثة أيام من تشرين وهو الذي قتل فيه قدريا بن اخيقام ، ولهم اربعة أعياد في السنة ، عيد الفطير وهواليوم الذي خرج فيه موسى بني اسرائيل من مصر فحملوا عجينهم ولم يختمر فاكلوه فطيراً وهو لخمسة عشر يوماً من نيسان وأيامه سبعة أيام ، ثم عيد استة عشر يوماً يمضي من حزيران وهو يوم أنزلت فيه التوراة على موسى فذلك يوم عيد عندهم معظم ، ثم عيد اول يوم من تشرين وهو رأس السنة عندهم ، ثم عيد في خمسة عشر يوماً من تشرين وهو عيد المظلة ومعناها أن الله عز وجل أمر موسى أن يأمر بني اسرائيل أن يبنوا عريشاً بالسعف والجريد فهم يقيمون ثمانية أيام يتخذون في كنائسهم ظلالات من السعف والجريد وصلواتهم ثلاث صلوات صلاة بالغداة وصلاة عند غروب الشمس وصلاة بعد الغروب فاذا وقف أحدهم للصلاة جمع عقبيه وجعل يده اليمنى على كتفه الأيسر ويده اليسرى على كتفه الأيمن وهو مطرق يركع خمس ركعات لا يسجد فيهن ثم يسجد في الآخرة سجدة واحدة ويسبح بمزامير داود في أول الصلوات ويقرأ في صلاة المغيب من التوراة ، ومعتمدهم في سننهم وشرائعهم على كتب علمائهم وهي الكتب التي يقال لها (.....) بالعبرانية وهي اللغة التي صارت لهم لما عبروا البحر ، وهذا رسم الخط العبراني وهو سبعة وعشرون حرفاً (١)

وسننهم في مناكحهم أن لا يتزوجوا إلا بولي وشاهدين ، وأقل مهورهم للبكر مائتا درهم وللثيب مائة درهم بهذا الوزن لا يكون أقل منه ، والطلاق مباح متى كرهوا ولا يكون إلا بشهود ، وسننهم في ذبائحهم أن لا يأكلوا ما ذبحه غيرهم ، وأن يكون الذي يتولى الذبائح عالماً بالشرايع ثم يأتي بالسكين كلما أراد أن يذبح بها إلى الكامن فاذا رضي حدّها أطلق له الذبح بها وإلا أمره أن يحدّها او يأتي بغيرها فاذا ذبح لم يقربها من حائط تضطرب عليه فاذا فرغ منها نظر الى الحلقوم فان وجده

(١) كذا في الأصل ولم يوجد فيه رسم الخط العبراني . (م . ص)

لم يرغ الغلصمة ووجد الذبح مستوياً لم يؤكل حتى ينظر إلى الرئة فان وجد بها عيباً أو علة أو شقاً أو بثرة أو ورماً لم تؤكل الذبيحة فان سلمت الرئة نظر الى الدماغ فان وجد فيه علة لم تؤكل وإن سلم الدماغ نظر الى القلب فان وجد فيه علة لم يأكله وإن سلم ما في البطون والثرب من الشحم فلا يأكله ولا العروق وأكل ما سوى ذلك .

وتاريخهم على حسابهم من خراب بيت المقدس فعلى هذا يحسبون ولابدّ لهم في كل يوم أن يذكروا اليوم الذي خرب فيه بيت المقدس وكم له إلى يومه ذلك .

المسيح عيسى بن مريم

وكانت حنّة امرأة عمران قد نذرت إن وهب الله لها ولداً أن تجعله لله فلما ولدت مريم دفعتها الى زكرياء بن برخيا بن شوا بن نحرائيل بن سهلون بن ارسوا بن شويل ابن يعود بن موسى بن عمران ، وكان كاهن المذبح فلم يزل كذلك حتى إذا كملت سبع عشرة سنة بعث الله اليها الملك ليهب لها ولداً زكياً فكان من خبرها ما قصه الله عز وجل حتى اشتملت على الحمل فلما كملت أيامها طرقها المخاض على ما قال الله عزوجل ووصف من حالها وحاله وكلامه من تحتها وكلامه في المهد ، وكان مولده بقرية يقال لها (بيت لحم) من قرى فلسطين ، وكان ذلك يوم الثلاثاء لأربع وعشرين يوماً خلت من كانون الأول ﴿ قال ما شاء الله المنجم ﴾ كان الطالع للسنة التي ولد فيها المسيح الميزان ثماني عشرة درجة ، والمشتري في السنبلة احدى وثلاثين دقيقة راجعاً ، وزحل في الجدي ست عشرة درجة وثماني وعشرين دقيقة ، والشمس في الحمل دقيقة والزهرة في الثور أربع عشرة درجة ، والمريخ في الجوزاء احدى وعشرين درجة وأربعاً واربعين دقيقة ، وعطارد في الحمل أربع درجات وسبع عشرة دقيقة ، وأما اصحاب الانجيل فلا يقولون إنه تكلم في المهد ويقولون إن مريم كانت مسماة برجل يقال له يوسف من ولد داود وأنها حملت فلما قرب وضع حملها سار بها الى بيت لحم فلما ولدت ردها الى ناصرة من جبل الجليل فلما كان في اليوم الثامن ختنه على سنة موسى

ابن عمران ، وقد وصف الحواريون أخبار المسيح وذكروا حاله فاثبتنا مقالة واحد واحد منهم وما وصفوه به ، وكان الحواريون إثني عشر من أسباط يعقوب ، وهم شمعون بن كنعان من سبط (. . . . .) ويعقوب بن زبدي (. . . . .) ويحيى بن حابر بن فالى من سبط زبلون ، وفيلفوس من سبط أشر ، ومتى من سبط اشجر بن يعقوب ، وسمعى من سبط هرام بن يعقوب ، ويهودا من سبط يهوذا بن يعقوب ، ويعقوب من سبط يوسف بن يعقوب ، ومنسا من سبط رويبل بن يعقوب وكان دون هؤلاء سبعون رجلاً ، وكان الأربعة الذين كتبوا الانجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا إثنان من هؤلاء الاثني عشر واثنان من غيرهم .

انجيل متى

فأما متى فانه قال في الانجيل في نسب المسيح ايسوع بن داود بن ابراهيم الى اسفل حتى انتهى الى يوسف بن يعقوب بن ماثن بعد اثنين واربعين ابا ، ثم قال وكان يوسف بعل مريم ، وإن المسيح ولد في بيت لحم من قرى فلسطين وملك فلسطين يومئذ هيرودس ، وإن قوماً من المجوس ساروا الى بيت لحم وعلى رؤوسهم نجم يهتدون به حتى رأوه فسجدوا له ، وإن هيرودس ملك فلسطين أراد أن يقتل المسيح ، وإن يوسف أخرجه وأخرج أمه إلى أرض مصر فلما مات هيرودس رده فانزله ناصرة جبل الجليل ، وإنه لما كمل المسيح وبلغ تسعاً وعشرين سنة صار الى يحيى بن زكرياء ليصطنعه فقال يحيى بن زكرياء أنا أحوج اليك منك إلي فقال له المسيح اترك هذا القول فان هكذا ينبغي أن يتم البر فتركه يحيى ، وإن ايسوع خرج بتأييد روح الله الى البرية فصام أربعين يوماً فاقترب اليه الشيطان فقال إن كنت الآن ابن الله فمر هذه الحجارة تصير خبزاً ، فقال ايسوع إنه ليس بالخبز وحده يحيى البشر ولكن بكلمة الله فحمله فصيره على جناح الهيكل ثم قال له الشيطان فألق نفسك الى الأرض فانك إن كنت ابن الله تكنفته ملائكته ، فقال المسيح إنه مكتوب لا تجرب الله

بك ، ثم قال للشيطان إذهب فان لله أسجد وإياه أعبد فتركه الشيطان وذهب ، ثم إن ملائكة الله جل وعز اقتربت منه فجعلوا يخدمونه ثم إن تلامذته اقتربوا اليه فجعل يكلمهم بامثال ووحي وبغير أمثال ، وكان أول ما تكلم به من الانجيل على مافي انجيل متى : طوبى للمساكين القانعة قلوبهم بما عند ربهم بحق إن لهم ملكوت السماء طوبى للجياع العطاش في طاعة الله ، طوبى للصادقين في قولهم التاركين للكذب الذين هم ملح الأرض ونور العالم ، لا تقتلوا ولا تسخطوا أحداً وأرضوا من سخط عليكم وصالحوا خصمكم ، ولا تزنوا ولا تنظروا الى غير نسائكم فان كانت عينكم اليمنى تدعوكم الى الخيانة فاقلعوها حتى تنجوا بابدانكم ، ولا تطلقوا نساءكم من غير زنية ولا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولا بسمائه ولا بأرضه ، ولا تقاوموا الشرّ ولكن من لطمك على عارضك الأيمن فأقبل اليه بعارضك الأيسر ومن أراد أن ينزع قميصك فأعطه ايضاً رداءك ومن سخرك ميلاً فانطلق معه ميلين ومن سألك فأعطه ومن استقرضك فأقرضه ولا تحرمه ، قد سمعتم أنه قد قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك أما أنا فاني أقول لكم أحبوا أعداءكم وصلوا من قطعكم وافعلوا الخير الى من بغضكم ، إن كنتم تحبون الذين يحبونكم فاي أجر لكم ، لا تظهروا صدقاتكم بين أيدي البشر لا تعلم شمائلكم بما عملت أيمانكم ، لا تراؤون الناس بصلاتكم وإذا صليتم فادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم ولا يسمعكم أحد ، وإذا صليتم فقولوا أبانا الذي في السماوات يقدّس اسمك وتأتي ملكوتك تكون مشيئتك كما في السماء وعلى الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واترك لنا الذي علينا كمثل ما نترك نحن لغرمائنا ولا تدخلنا في تجربة يارب ولكن نجنا من الشرير ، ولا تظهروا صيامكم للبشر إذا صمتم لله ربكم ، ولا تغيروا وجوهكم ليراكم الناس فان ربكم يعلم بحالكم ، لا تدّخروا الذخائر حيث السوس والأرضة الأكلة يفسدن وحيث اللصوص يحفرون ولكن تكون ذخائركم عند ربكم الذي في السماء حيث لا سوس يعدو ولا لص يسرق ، ولا تهتموا

بمعاشكم ولا ما تأكلون ولا ما تشربون ولا ما تلبسون ، وانظروا الى طير السماء لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن في البيوت فان الله يرزقهن وأنتم اكرم على الله من الطير ، لا تهتدوا لأولادكم فانهم مثلكم كما خلقتم خلقوا وكما رزقتم رزقوا ، ولا تقل لأخيك أخرج القذى من عينك وفي عينك انت جذع ، لا تنظروا في عيوب الناس وتدعوا عيوبكم ، لا تعطوا القدس ولا اللؤلؤ للخنازير فتدوسه بارجلها ، سلوا ربكم يعطكم وابتغوا اليه فانكم تجدونه رحيماً بكم واقرعوا بابه يفتح لكم ، أما الباب فانه معرض والطريق بين وهو يبلغ الناس التلف وما أصغر الباب وأضيق الطريق التي تبلغ الناس النجاة ، تحفظوا من أهل الكتاب الذين يشبهون الذئاب الضارية كما لا تستطيعون وتقطفون العنبة من الشوك ولا التين من الحنظل هكذا لاتجدون شجرة سوء تخرج نباتاً صالحاً ولا شجرة صالحة تخرج ثمرة سوء ، كل من يسمع كلامي ثم يفهمه فانه يشبه رجلاً حليماً بنى بيته في مكان صلب شديد فجاء المطر ودرت الأنهار وارتفعت الرياح ... (١) ... فسقط البيت .

وفي ذلك الزمان كان الملك هيرودس قد أخذ يوحنا فسجنه وذلك أنه كان يأتي امرأة أخيه فيلفوس فنهاه يوحنا أن يأتي ذلك وكان يريد أن يقتله ويتقي لأنهم كانوا يعظمون يوحنا فقالت له امرأة أخيه اقتل يوحنا فوجه الى السجن فقطع رأس يوحنا ووضعه على طبق واقترب تلاميذه وأخذوا جثته فقبروها وجاءوا المسيح فاخبروه فخرج الى أرض قفر وجعل يأمر أصحابه لا تخبروا أحداً .

---

(١) كذا بياض في الأصل ولا ريب أن هنا سقطاً ، وفي نسخة انجيل منى المطبوع بعد قوله وارتفعت الرياح (ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر ، وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً) (م . ص)

انجيل مرقس

فأما مرقس فانه قال في أول انجيله ايسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب في اشعيا النبي إني مرسل ملأكي قدام وجهك لأصلح سبيلك وإن يحيى بن زكرياء كان يعمد المعمودية للتوبة . وكان لباسه وبر الابل وكان يشد حقويه بغرفة من جلود وإن المسيح جاءه من ناصرة الجليل يعمده في الأردن فلما عمده خرجت روح القدس على الماء كالحمامة وصوت من السماء ينادي من السماء أنت ابني خليلي الذي بك سررت وانصرف الى جبل الجليل فاذا قوم يصطادون السمك فيهم شمعون واندراوس فقال لهما الحقاني أجعلكما تصطادان البشر فمضيا معه فدخل قرية فأبرى مرضاها وبرصها وفتح أعين عميان بها فاجتمع اليه قوم وجعل يكلمهم بأمثال ووحي ويقول بحق أقول لكم لا تذهب القبيلة حتى يذهب السماء والأرض وكلامي لا يذهب .

انجيل لوقا

فأما لوقا فانه يقول في أول الانجيل من أجل أن كثيراً من الناس أحبوا أن يكتبوا القصص والأمور التي عرفناها رأيته يحق علي أن اكتب شيئاً علمته بحقه . إنه كان في أيام هيرودس الملك كاهن يسمى زكرياء من خدام آل ابيا وامرأته من بنات هارون تسمى « اليسبع » وكانا جميعاً بارَّين قدام الله عاملين بوصاياه غير مقصرين في طاعته ولم يكن لهما ولد وكانت اليسبع عاقراً وزكرياء عاقراً قد كبرت سنهما فبينا زكرياء يكهن الدخنة فدخل الهيكل وجماعة خارج الهيكل فتراءى لزكرياء ملك الرب قائماً عن يمين المذبح فارتعد زكرياء حين أبصره وحلت عليه الخشية فقال له الملك لا ترهب يا زكرياء فان الله قد سمع صلواتك وأجاب دعاءك فيهب لك ابناً تسميه يحيى ويكون لك فيه الخير والفرح ويكون عظيماً عند الله ولا يشرب خمراً ولا سكراً ويمتلي من روح القدس إذ هو في بطن أمه ويقبل الى الله بكثير من آل اسرائيل ويحل عليه الروح الذي حل على أولياء النبي ليقبل بقلوب الآباء على أبنائهم ويكونوا لله شعباً كاملا .

فقال زكرياء للملك كيف لي أن أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتي كبيرة السن ، فقال له الملك إني أنا جبريل القائم بين يدي الله عز وجل أرسلني لأبشرك بهذا فمن الآن فكن صامتاً لا تتكلم حتى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق ولم تؤمن بقولي الذي يتم في حينه ، وكان الشعب قياماً ينتظرون زكرياء ويتعجبون من لبثه في الهيكل فلما أن خرج لم يقدر أن يكلمهم فعرفوا وأيقنوا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يؤمي اليهم إيماء ولا يتكلم فلما تمت أيام خدمته انصرف الى بيته وحبلت « اليسبع » امرأته وأقامت تخفي نفسها أشهراً خمسة وتقول هذا الذي صنع الي الرب في أيام نظره إلي ليمحو عني عاري في البشر ، ولما كان في الشهر السادس من حمل امرأة زكرياء أرسل الله جبريل الملك الى جبل الجليل الى مدينة تدعى « ناصرة » الى فتاة عذراء مملكة برجل يسمى يوسف من آل داود إسمها « مريم » فدخل اليها الملك وقال لها السلام عليك أيتها المملوءة من النعمة أيتها المباركة في النساء فلما رأته فزعت من كلامه وجعلت تفكر وتقول ما هذا السلام وقال لها الملك لا ترهبي يامريم قد لاقيت ووافيت عند الله نعمة بحق إنك تحبلين حبلى وتلدين ابناً وسميه « ايسوع » ويكون عظيماً وابن الأعلى يدعى ويعطيه الرب آلهه كرسي داود أبيه ويملك على آل يعقوب إلى الدهر ولا يكون لملكه فناء ولا انقطاع ، فقالت مريم للملك كيف يكون هذا ولم يمسسني رجل قال لها الملك روح القدس يحل عليك وهذا الذي يولد منك قدوس وابن الله يدعى وهذه اليسبع نسيبتك فهي ايضاً حبلى بابن على كبرها وهذا الشهر هو السادس لتلك التي تدعى عاقراً لأنه لا يعجز الله شيء ، فقالت مريم إني أمة الله فليكن لي كما قلت ، ودخلت مريم إلى بيت زكريا وسألت عن سلامة اليسبع فلما سمعت امرأة زكرياء كلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت من روح القدس وقالت لمريم مباركة أنت في النساء بحق إنه لما وقع صوت سلامك في مسامعي بفرح عظيم ارتكض الجنين في بطني وولدت اليسبع امرأة زكرياء ابناً وختنوه يوم

الثامن وسموه « يوحنا » ومن ساعته انفتح فوه وتكلم وبرك الله تعالى وامتلأ زكريا من روح القدس وقال تبارك الرب إله اسرائيل الذي أبلى شعبه وأطلقهم بالخلاص وأقام لنا قرن الخلاص من آل داود كالذي تكلم على ألسنة انبيائه الطاهرين ، ولما كملت لمريم أيامها صعد بها يوسف الى جبل الجليل فولدت ابنها البكر فلفته في الخرق وأضجعته في الأري من أجل أنه لم يكن لها مكان حيث كانا نازلين (.....) (١) فاتاهم ملك الرب ومجد الله أشرق عليهم فخافوه خوفاً شديداً وقال لهم ملك الرب لا تخافوا ولا تحزنوا بحق إني أبشركم بفرح عظيم يعم العالم ، ثم نسب المسيح من يوسف الى آدم وأنه لما تمت له ثمانية أيام أتوا به ليختنوه كسنة موسى وسموه ايسوع وختنوه وأتوا به الى الهيكل وأتوا بذبيحة زوج يمام وفرخي حمام ليقرب عنه وكان هناك رجل يقال له شمعان من الأنبياء فلما دنوا من المذبح ليقربوا عنه احتمله شمعان وقال قد أبصرت عيناي حنانك يا رب فمن الآن فتوفني وكان اهله يصعدونه في كل سنة الى اورشليم في عيد الفسح وكان يخدم العظماء ويعجبون به لما يرون من حكمته ، وأن المسيح لما كملت له ثلاثون سنة دخل الى الهيكل يوم السبت وقام ليقرأ كعادته وأعطى سفر أشعيا النبي ففتح السفر فوجد فيه مكتوباً روح الرب علي من أجل ذلك اصطفاني ومسحني لأبشر المساكين وأرسلني لاشفي المنكسرة قلوبهم ولأبشر المسبيين بالخلاص والعميان بالبصر وأن أجبر المنكسر وأبشر المسبي بالعفو والمغفرة وأن أبشر بالسنة المتقبلة للرب ، وطوى السفر ودفعه الى الخادم وتنحى فجلس فعجب الناس لفعله وقالوا أليس هذا ابن يوسف .

---

(١) كذا بياض في الأصل ، وفي نسخة لوقا المطبوع في الاصحاح الثاني العدد الثامن ذكر بعد ذلك مايلي (وكان في تلك الكورة — اي التي ولد فيها بكر مريم — رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم واذا ملاك الرب) الخ . (م ص)

انجيل يوحنا

وأما يوحنا السليح فانه يقول في أول انجيله في نسبة المسيح قبل كل كانت الكلمة وتلك الكلمة عند الله والله كان هو الكلمة هذه كانت قبل كل شيء كان بها كانت الحياة والحياة هو نور البشر وذلك الضياء في الظلام والظلام لم يدركه كان إنسان كان أرسله الله اسمه « يوحنا » أتى للشهادة ليشهد على النور ليهتدي الناس ويؤمنوا على يده ولم يكن هو النور فان نور الحق لم يزل يضيء ويبين في العالم والعالم كان في يده والعالم لم يعرفه إلى خاصته أتى وخاصته لم تقبله فأما الذين قبلوه وآمنوا به فاعطاهم الله سلطاناً ليكونوا يدعون أبناء الله اولئك الذين يؤمنون باسمه الذي لامن الدم ولاهو من هوى اللحم ولا من شهوة المرء ولد ولكن من الله ولد والكلمة صارت لحماً وحلت فينا ورأينا مجدها مجداً كالوحيد الذي من الأب المملوء من النعمة والقسط ويوحنا شهد عليه ونادى وقال هذا قلت إنه يأتي من بعدي وقد كان قبلي من أجل أنه أقدم مني ومن تمامه كلما نلنا نعمة فاضلة بدل النعمة الأولى لأن التوراة على يدموسى أنزلت فاما الحق والنعمة فبيسوع المسيح ... (١) ... الكلمة التي لم تزل في حضن أبيها .

فهذا قول الأربعة التلاميذ أصحاب الانجيل في نسبة المسيح ، ثم وصفوا بعد ذلك ما كان من أخباره وأنه أبرى المرض والبرص وأقام المقعد وفتح عيون العميان وأنه كان له صاحب يقال له العازر في قرية تدعى بيت عينا في ناحية بيت المقدس وأنه مات فصير في مغارة فاقام أربعة أيام ثم جاء المسيح إلى تلك القرية فخرجت أختان للعازر فقالتا له يا سيدنا إن خليلك العازر قد مات فحزن المسيح عليه وقال أين قبره

(١) كذا بياض في الأصل ، وفي نسخة انجيل يوحنا المطبوع في الاصحاح الأول العدد ١٧ و ١٨ بعد قوله الحق والنعمة (فبيسوع المسيح صارا : الله لم يره أحد قط . الابن الذي هو في حضن الآب خبر) (م . ص)

فاتوا به الى المغـــارة وعليها حجر فقال نحوا الحجر فقالوا قد نتن منذ أربعة أيام فدنا من المغارة فقال رب لك الحمد إني أعلم أنك تعطي كل شيء ولكني أقول من أجل الجماعة الواقفة ليؤمنوا ويصدقوا أنك انت أرسلتني ، ثم قال للعازر قم فقام يجر خماراً عليه ويداه ورجلاه مشدودتان وقد كان معهم قوم من اليهود فآمنوا به وأقبلوا ينظرون إلى العازر ويتعجبون منه فاجتمع عظماء اليهود وأحبارهم فقالوا إنا نخاف أن يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس فقال لهم قيافا رئيس الكهنة لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب باسره فاجمعوا على قتله ودخل المسيح الى أورشليم على حمار وتلقاه أصحابه بقلوب النخل وكان يهوذا بن شمعان من أصحاب المسيح فقال المسيح لأصحابه إن بعضكم يسلمني ممن يأكل ويشرب معي يعني يهوذا بن شمعان ثم جعل يوصي اصحابه ويقول لهم قد بلغت الساعة التي يتحول ابن البشر إلى ابيه وانا أذهب الى حيث لا يمكنكم تجيئوا معي فاحفظوا وصيتي فسيأتيكم الفارقليط يكون معكم نبياً فاذا أتاكم الفارقليط بروح الحق والصدق فهو الذي يشهد علي وإنما كلمتكم بهذا كيما تذكروه إذا أتى حينه فاني قد قلته لكم فاما أنا فاني ذاهب إلى من أرسلني فاذا ما أتى روح الحق يهديكم إلى الحق كله وينبئكم بالأمور البعيدة ويمدحني وعن قليل لا ترونني ثم رفع المسيح عينه إلى السماء وقال حضرت الساعة إني قد مجدتك في الأرض والعمل الذي أمرتني أن أعمله فقد تممته ، ثم قال اللهم إن كان لابد لي من شرب هذا الكأس فهونها علي وليس كما أريد يكون ولكن ما تريد يا رب ثم مضى المسيح مع تلاميذه الى المكان الذي يجتمع هو وأصحابه فيه وكان يهوذا أحد الحواريين يعرف ذلك الموضع فلما رأى الشرط يطلبون المسيح ساقهم والذين معهم من رسل الكهنة حتى وقف بهم على الموضع فخرج اليهم المسيح فقال لهم من تريدون فقالوا ايسوع الناصري فقال لهم ايسوع انا هو فرجعوا ثم عادوا فقال لهم المسيح انا ايسوع الناصري فان كنتم تريدوني فانطلقوا بي لتتم الكلمة وكان مع شمعان الصفا سيف فاخترطه ثم ضرب

عبد سيد الكهنة فقطع يده اليمنى فقال المسيح يا شمعان رد السيف الى غمده فاني لا أمتنع من شرب الكأس التي أعطاني ربي فاخذوا الشرط المسيح وأوثقوه وجاءوا به الى قيافا رئيس اليهود الذي كان أشار بقتله وكان شمعان الصفا يمشي خلفه فدخل مع الأعوان فقيل له انت من تلاميذ هذا الناصري قال لا ، ولما أدخل المسيح على رئيس اليهود جعل يكلمه والمسيح يجيبه بما لا يفهمه فضربه بعض الشرط على فكيه ثم أخرجوا المسيح من عند قيافا الى فرطورين فقال انت ملك اليهود فقال له المسيح أمن نفسك قلت هذا أم أخبرك آخرون عني وجعل يكلمه ويقول إن ملكي ليس من هذا العالم ، ثم إن الشرط أخذوا إكليلاً من ارجوان فوضعوه على رأسه وجعلوا يضربونه ثم أخرجوه وعليه ذلك الاكليل فقال له رؤساء الكهنة اصلبه فقال لهم فيلاطوس خذوه انتم فاصلبوه فاما أنا فلم أجد عليه علة فقالوا قد وجب عليه الصلب والقتل من أجل أنه قال إنه ابن الله ثم أخرجه فقال لهم خذوه انتم فاصلبوه فأخذوا المسيح وأخرجوه وحملوه الخشبة التي صلبوه عليها .

هذا في انجيل يوحنا فأما متى ومرقس ولوقا فيقولون وضعوا الخشبة التي صلب عليها المسيح على عنق رجل قرناني وصاروا به الى موضع يدعى الجمجمة ويسمى بالعبرانية « ايما خاله » وهو الموضع الذي صلب فيه وصلب معه اثنان آخران واحد من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب ، وكتب فيلاطوس في لوح : هذا ايسوع الناصري ملك اليهود ، فقال له رؤساء الكهنة اكتب الذي قال إنه ملك اليهود فقال لهم ما كتبت وقد كتبت ، ثم إن الشرط اقتسموا ثياب المسيح وكانت أمه مريم ومريم بنت قلوفا ومريم المجدلانية قياماً ينظرون اليه فكلم أمه من فوق الخشبة وجعل اولئك الشرط يأخذون اسفنجة فيها خل يقربونها الى انفه فيتكرهها ثم أسلم روحه فجاؤا الى ذينك المصلوبين معه وكسروا سوقهما وأخذ أحد الشرط حربة فطعنه في جنبه فخرج دم وماء ثم كلم فيه أحد التلاميذ لفيلاطوس حتى أنزله وأخذ حنوطاً من مر وصبر ولفه

في ثياب كتان وطيب فكان في ذلك الموضع جنان وفيه قبر جديد فوضعوا المسيح فيه ، وكان ذلك يوم الجمعة فلما كان يوم الأحد — فيما يقول النصارى — بكرت مريم المجدلانية الى القبر فلم تجده فجاءت شمعان الصفا وأصحابه فاخبرتهم أنه ليس في القبر فمضوا فلم يجدوه وجاءت مريم ثانية الى القبر فرأت في القبر رجلين عليهما ثياب بياض فقالا لها لا تبكي ثم التفتت خلفها فرأت المسيح وكلمها وقال لها لا تدنين الي لأني لم أصعد إلى أبي ولكن انطلقي إلى اخوتي وقولي لهم إني أصعد الى أبي وابيكم وإلهي وإلهكم وإنه لما كان عشية الأحد جاءهم وقال لهم السلام معكم كما أرسلني أبي كذلك أرسلكم وإن غفرتم ذنوب احد فهي مغفورة فقالوا هذا الذي يكلمنا روح وخيال قال لهم انظروا إلى آثار المسامير باصبعي وإلى جانبي الأيمن ، ثم قال لهم طوبى للذين لم يروني وصدقوا بي ، وجاءوه بقطعة سمك فاكل وقال لهم إن أنتم صدقتم بي وفعلتم فعلي يحق أن لا تضعوا ايديكم على مريض إلا برئ ولا يضره الموت ، ثم ارتفع عنهم وكان له ثلاث وثلاثون سنة .

هذا ما يقول أصحاب الانجيل وهم يختلفون في كل المعاني قال الله عز وجل ﴿ ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه ﴾ .

ولما رفع عيسى المسيح اجتمع الحواريون الى اورشلم في جبل طور الزيتون وصاروا الى علية كان فيها بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرتلموس ومتاوس ويعقوب (.....) فقام شمعان على الحجر فقال يا معشر الاخوة قد كان ينبغي أن يتم الكتاب الذي سبق فيه روح القدس وأرادوا ان يجعلوا رجلاً يتم به الاثنا عشر فقدموا متى وبرسبا وقالوا اللهم أظهر لنا من تختاره فوقع على متى فاصابهم ريح شديدة امتلأت الغرفة التي كانوا فيها ورأوا مثل لسان النار فتكلموا بألسن شتى ثم قالوا لبطرس ماذا تصنع فقال لهم بطرس قوموا واعمدوا كل انسان منكم باسم

المسيح وتنحوا عن هذه القبيلة المعوجة وأقام بطرس ويوحنا كلما دخلا الكنيسة ذكرا أمر المسيح ووصفا فعله ودعوا الناس الى عبادته فانكروا ذلك عليهم اليهود وأخذوهم فحبسوهم ثم أطلقوهم وقالوا نختار سبعة رجال يقدسون الله ويذكرون حكمته ومسيحه فاختاروا اصطفانس وفيلبس وابرحورس ونيقانوروطيمون وبرمناونيقولاوس الأنطاكي وأقاموهم فصلوا عليهم وقدسوهم فجعلوا يصفون أمر المسيح ويدعون الناس الى دينهم وكان بولس أشد الناس عليهم وأعظمهم ايذاءً لهم وكان يقتل من يقدر عليه منهم ويطلبهم في كل موضع فخرج يريد دمشق ليجمع قوماً كانوا بها فسمع صوتاً يناديه يا بولس كم تضطهدني ففزع حتى لم يبصر ثم جاءه حنانيا فقدس عليه حتى انصرف وبرأت عينه فصار يقوم في الكنائس فيذكر المسيح ويقدسه فارادت اليهود قتله فهرب منهم وصار مع التلامذة يدعو الناس ويتكلم بمثل ما يتكلمون به ويظهر الزهد في الدنيا والتقليل منها حتى قدموه الحواريون جميعاً على أنفسهم وصيروه رأسهم وكان يقوم فيتكلم ويذكر أمر بني اسرائيل والأنبياء ويذكر حال المسيح ويقول ميلوا بنا الى الأمم كما قال الله للمسيح إني وضعتك نوراً للأمم فتصير إخلاصاً الى أقطار الأرض فتكلم كل رجل منهم برأيه وقالوا ينبغي أن يحتفظ بناموس وأن يرسل الى كل بلد من يدعو الى هذا الدين وينهاهم عن الذبائح للأوثان وعن الزنا وعن أكل الدم ، وخرج بولس ومعه رجلان الى أنطاكية ليقيموا دين المعمودية ثم رجع بولس وأخذ فحمل الى ملك رومية فقام فتكلم وذكر حال المسيح فتحالف قوم على قتله لافساده دينهم وذكره المسيح وتقديسه عليه .

ملوك السريانيين

وكان أول الملوك بعد الطوفان بارض بابل ملوك السريانيين فأول من ملك منهم وعقد التاج على رأسه ﴿ شوسان ﴾ وكان ملكه ست عشرة سنة ثم ملك بعده ﴿ بربر ﴾ ابنه عشرين سنة ثم ملك ﴿ اسماشير ﴾ بن الول سبع سنين ثم ملك بعده

﴿ عمرقيم ﴾ ابنه عشر سنين ثم ملك ﴿ اهريمون ﴾ ابنه عشر سنين ثم ملك ﴿ سمادان ﴾ ابنه عشر سنين ثم ملك ﴿ سبير ﴾ ابنه ثماني سنين ثم ملك ﴿ هريمون ﴾ ثماني عشرة سنة ، وملك ابنه ﴿ هوريا ﴾ اثنتين وعشرين سنة ثم ملك ﴿ ارود وحلحابيس ﴾ كلاهما اثنتي عشرة سنة .

ملوك الموصل ونينوى

وكان أول من ملك منهم ﴿ بالوس ﴾ اثنتين وثلاثين سنة وملك ﴿ نينوس ﴾ ابن بالوس اثنتين وخمسين سنة وبنى مدينة نينوى ثم ملكت امرأة يقال لها (شميرم) أربعين سنه ثم ملك ﴿ لاوسنسر ﴾ خمساً وأربعين سنة ، ثم ملك خمسة عشر ملكاً لا تاريخ لهم ولا قصص .

ملوك بابل

فكان أول ملوك بابل بعد السريانيين ﴿ نمرود ﴾ الجبار فملك تسعاً وستين سنة وملك ﴿ كودس ﴾ ثلاثاً وأربعين سنة وملك ﴿ أرقو ﴾ عشر سنين وملك ﴿ بولس ﴾ اثنتين وستين سنة ثم ملك ﴿ سميرم ﴾ اثنتين وأربعين سنة وملك ﴿ قوسميس ﴾ تسعاً وستين سنة وملك ﴿ انيوس ﴾ ثلاثين سنة وملك ﴿ ليلاوس ﴾ اثني عشرة سنة وملك ﴿ اطلوس ﴾ اثنتين وثلاثين سنة وملك ﴿ سفردس ﴾ ثلاثين سنة ثم ملك ﴿ حازم بوس ﴾ ثلاثين سنة ثم ملك ﴿ سعالوس ﴾ ثلاثين سنة وملك ﴿ سبسطاس ﴾ أربعين سنة وملك ﴿ اسنطرس ﴾ أربعين سنة وملك (دمنوطوس) خمساً وأربعين سنة وملك (العروس) ثلاثين سنة وملك (المقرندوس) اثنتين وخمسين سنة وملك (قاربوس) ثلاثين سنة وملك (باباوس) خمساً وأربعين سنة وملك (شرسبا أدوموس) أربعين سنة وملك (دارافوس) ثماني وثلاثين سنة وملك (لاوبس) خمساً وأربعين سنة وملك (فطريس) ثلاثين سنة وملك (فرطاوس) عشرين سنة وملك (افرطا) ستين سنة وملك (قولا) خمساً

وثلاثين سنة وملك (بعنطس) خمساً وثلاثين سنة وملك (اسعلوسرقم) أربع عشرة سنة وملك (اسرعون) سبع سنين وملك (قيم حدوم) ثلاث سنين وملك (فردوح) سبعاً وأربعين سنة وملك « سنحاريب » إحدى وثلاثين سنة وملك « معرسا » ثلاثاً وثلاثين سنة وملك « بخت نصر » خمساً واربعين سنة وملك « فرمورج » سنة واحدة وملك « سطسفر » ستين سنة وملك « ماسوسا » ثماني سنين وملك « معوسا » سبعة أشهر وملك « داريوش » احدى وثلاثين سنة وملك « كسرحوش » عشرين سنة وملك « فرطان » سبعة أشهر وملك « منحسمت » إحدى واربعين سنة وملك « سعلس » سبعة اشهر وملك « داريوش » وهو الذي قتله الاسكندر تسع عشرة سنة وملك « ارطحشاست » سبعاً وعشرين سنة .

هؤلاء الملوك ملوك الدنيا وهم الذين شيدوا البنيان واتخذوا المدن وعملوا الحصون وشرفوا القصور وحفروا الأنهار وغرسوا الأشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الأرضين واستخرجوا المعادن وضربوا الدنانير وصاغوا وكالوا التيجان وطبعوا السيوف واتخذوا السلاح وعملوا آلات الحديد وصنعوا النحاس والرصاص واتخذوا المكاييل والموازين واختطوا البلدان وقلموا الأقاليم واسروا الأعداء واستعبدوا الأسراء واتخذوا السجون ووصفوا الأزمنة وسموا الشهور وتكلموا في الأفلاك والبروج والكواكب وحسبوا وقضوا بما يدل عليه الاجتماع والافتراق والتثليث والتربيع والمجاسدات .

ملوك الهند

قال اهل العلم إن اول ملوك الهند الذي اجتمعت عليه كلمتهم « برهمن » الملك الذي في زمانه كان البدء الأول وهو أول من تكلم في النجوم وأخذ عنه علمها والكتاب الأول الذي تسميه الهند « السندهند » وتفسيره « دهر الدهور » ومنه اختصر الأرجبهر ، والمجسطي ، ثم اختصروا من الأرجبهر الأركند ، ومن المجسطي كتاب بطليوس ، ثم عملوا من ذلك المختصرات والزيجات وما اشبهها من

الحساب ، ووضع التسعة الأحرف الهندية التي يخرج منها جميع الحساب الذي لا يدرك معرفتها وهي (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) فالأول منها واحد وهو عشرة وهو مائة وهو الف وهو مائة والف وهو الف الف وهو عشرة آلاف الف وهو مائة الف الف وعلى هذا الحساب ابداً فصاعداً ، والثاني وهو اثنان وهو عشرون وهو مائتان وهو الفان وهو عشرون الفاً وهو مائتا الف وهو الفا الف وعلى هذا الحساب يجري التسعة الأحرف فصاعداً غير أن بيت الواحد معروف من العشرة وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت ، وإذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ويكون الصفر دارة صغيرة .

وجعلوا الدنيا سبعة اقاليم ﴿ فالاقليم الأول ﴾ الهند وحده مما يلي المشرق البحر وناحية الصين الى الديبل مما يلي أرض العراق إلى خليج البحر مما يلي أرض الهند إلى أرض الحجاز .

والاقليم الثاني الحجاز حده هذا الخليج الى عدن الى أرض الحبشة مما يلي أرض مصر الى الثعلبية مما يلي أرض العراق .

والاقليم الثالث مصر حده مما يلي أرض الحبشة الى أرض الحجاز الى البحر الأخضر مما يلي الجنوب الى المغرب الى الخليج الذي يلي الروم الى نصيبين مما يلي ارض العراق .

والاقليم الرابع وهو العراق حده مما يلي الهند الديبل ومما يلي الحجاز الثعلبية ومما يلي أرض مصر والروم نصيبين ومما يلي أرض خراسان نهر بلخ .

والاقليم الخامس الروم حده مما يلي ارض مصر الخليج ومما يلي المغرب البحر ومما يلي الترك ياجوج وماجوج ومما يلي ارض العراق نصيبين .

والاقليم السادس ياجوج وماجوج حده مما يلي أرض المغرب الترك ومما يلي الخزر البحر ومفاوز بينه وبين سحور الشمال ، ومما يلي المشرق أرض نصيبين ومما يلي خراسان نهر بلخ .

والاقليم السابع الصين حده مما يلي المغرب ياجوج وماجوج ومما يلي المشرق البحر ومما يلي الهند ارض قشمير ومما يلي خراسان نهر بلخ .

﴿ وقالوا ﴾ كل اقليم من هذه الأقاليم يسع مائة فرسخ في مثلها ، وذكر أن قطر الأرض الفان ومائة فرسخ ومدها ستة آلاف وثلاث مائة فرسخ ، وأنهم قدروا هذا الفرسخ على ستة عشر الف ذراع ، وذكروا أن الذراع الذي يحيط باسفل دائرة النجوم وهو فلك القمر مائة الف فرسخ وخمس وعشرون الفاً وستمائة واربعة وستون فرسخاً وأن قطره من حد رأس الحمل الى حد رأس الميزان اربعون الف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ التي قدروا بها الأرض ، فساعات طول النهار في الاقليم الأول ثلاث عشرة ساعة وفي الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي الثالث اربع عشرة ساعة وفي الرابع اربع عشرة ساعة ونصف وفي الخامس خمس عشرة ساعة وفي السادس خمس عشرة ساعة وفي السادس خمس عشرة ساعة ونصف وفي السابع ست عشرة ساعة ، وكل مدينة كانت في مقادير طول نهارها في هذا القدر فهي متوسطة الاقليم الذي هي فيه وما كان فيما بين هذه الأقدار فهي من الاقليم الذي هي اليه أقرب في مقدار الساعات فصار وسط الاقليم الأول على مسيرة نحو من ثلاثين ليلة من خط الاستواء بارض اليمن مدينة سبأ وما والاها الى المشرق والمغرب وذلك فيما دون عدن أبين بقدر عشرة أيام . ووسط الاقليم الثاني مكة وما والاها من المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم الثالث الاسكندرية وما والاها من ناحية الكوفة والبصرة من المشرق والمغرب ، ووسط الاقليم الرابع اصفهان وما والاها مما هو في مثل عرضها من المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم الخامس في أداني أرض مرو وما والاها مما هو في مثل عرضها من المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم السادس برذعة وما والاها مما هو في مثل عرضها ما بين المشرق الى المغرب ، ووسط الاقليم السابع بجبال الترك وما والاها مما هو في مثل عرضها مما بين المشرق والمغرب .

وقالت الهند إن الله عز وجل خلق الكواكب في أول دقيقة من الحمل وهو أول يوم من الدنيا ثم سيرها من ذلك الموضع في أسرع من طرفة العين فجعل لكل كوكب منها سيراً معلوماً حتى يوافي جميعها في عدة أيام السندهند الى ذلك الموضع الذي خلقت فيه كما كانت كهيئتها الأولى ثم يقضي الله تبارك وتعالى ما أحب ، فقالوا إن جميع أيام الدنيا من السندهند منذ اول ما دارت الكواكب الى أن تجتمع جميعاً في دقيقة الحمل كما كانت يوم خلقت الف الف الف وخمسمائة الف الف الف وسبعة وسبعون الف الف الف وسبعمائة الف الف وستة عشر الف الف واربعمائة الف وخمسون الف يوم يكون ذلك شهوراً ستين الف الف الف وثمان مائة الف الف واربعين الف الف شهر ، ويكون من السنين اربعة آلاف الف الف وثلاثمائة الف الف وعشرين الف الف سنة كاملة بسني الشمس على مدارها ، والسنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وخمس ساعات وجزء من اربعمائة جزء من ساعة .

ثم اضطرب أمر الملك بالهند فاقام زماناً طويلاً وهو مالك مفترقة في البلاد لكل طائفة مملكة حتى غزتهم الملوك فخافوا أن يدخل عليهم الوهن وكانوا أهل حكمة ومعرفة وعقول مجاوزون بها مقدار غيرهم من الأمم فاجمعوا على تمليك رجل واحد فملكوا ﴿ زارح ﴾ وكان عظيم الشأن جليل القدر فعظم ملكه وجل سلطانه حتى سار الى أرض بابل ثم تجاوزها الى ملوك بني اسرائيل وهو الذي غزا بني اسرائيل بعد أن مات سليمان بن داود بعشرين سنة وملك اسرائيل يومئذٍ (رحبعم) بن سليمان فضجت بنو اسرائيل الى الله تعالى فسلط الله على زارح وجيشه الموت فانصرف الى بلاده .

ومن ملوكهم ﴿ فور ﴾ وهو الذي غزا بلاده الاسكندر لما قتل ملك الفرس وغلب على أرض العراق وما والاها مما كان في مملكة داريوش ، وذلك أنه كتب اليه يأمره بالدخول في طاعته وكتب اليه (فور) أنه يزحف اليه بالجيوش فبدر الاسكندر فصار الى بلاده وخرج اليه (فور) فحاربه فاخرج (فور) الفيلة وكان العلو على

الاسكندر فكانت لا يقف لها شيء فعمل الاسكندر تماثيل من نحاس ثم حشاها بالنفط والكبريت وأشعل النار في داخلها ثم صيرها على عجل وألبسها السلاح ثم قدمها أمام الصفوف فلما تلاقوا دفعتها الرجال الى الفيلة فلما قربت حملت عليها الفيلة بخراطيمها فكانت تلف الخراطيم على ذلك النحاس وهو يلهب ويشتوي وتنصرف منهزمة فتفل كراديس الهند وتهلكهم ، ثم دعا الاسكندر (فور) ملك الهند الى أن يبارزه فبرز له فقتله الاسكندر مبارزة بعد له واستباح عسكره .

ومن ملوكهم ﴿ كيهن ﴾ وكان رجلاً ذكياً أديباً فملكه الاسكندر بعد (فور) على جميع أرض الهند وكان كيهن قد استعمل الفكر فكان اول من قال بالتوهم وأن الطبيعة تنصرف الى ما تتوهمه فما توهمت أنه ينفعها نفعها وإن كان ضاراً ، وكان كيهن يأكل البيش وهو السم القاتل ثم يتوهم أن على قلبه أحمال ثلج فلا يضره ذلك البيش حتى احترقت رطوبته وكان من أصح خلق الله ذهناً وأحفظه وأذكاه .

ومن ملوكهم ﴿ دبشلم ﴾ وهو الذي وضع في عصره كتاب « كليلة ودمنة » وكان الذي وضعه بيد باحكيم من حكمائهم وجعله أمثالاً يعتبر بها ويتفهمها ذووالعقول ويتأدبون بها فكان ﴿ أول باب ﴾ منها باب السلطان الذي سعى اليه البغاة بخاصته واصحابه المقدمين عنده وكيف ينبغي أن يستعمل الأناة والتثبيت ولا يعجل بقول السعاية وهو باب الأسد والثور ﴿ الباب الثاني ﴾ باب الفحص عن الأمور وكيف تكون العواقب فيها وما يؤدي اليه البغي والتهور والكيد من سوء العاقبة وهو باب الفحص عن خبر دمنة ﴿ الباب الثالث ﴾ باب الأعداء والتحرز منهم والحيلة لهم والكلام الذي يكسب العداوة وما يجب من مداراة الأعداء وانتهاز الفرصة فيهم عند إمكان الأمر والتضرع لهم حتى يمكن الانتقام منهم وهو باب البوم والغربان ﴿ الباب الرابع ﴾ باب المشاورة العلماء والاستعانة بأهل الحزم والامانة وإفشاء الأمور الى أهل العقل وهو باب بلاذ ﴿ الباب الخامس ﴾ باب المعروف والى من

ينبغي أن يصطنع وكيف يفسد وسوء الشكر إذا وضع غير موضعه وحمله من لا يستحقه وكيف يعرف موضعه عند أهله الذين يشكرونه وهو باب السلحفاة والببر والقرد والنجار ﴿ الباب السادس ﴾ باب الظفر بالأمر وإضاعته بعد إمكانه والعجز عن حفظه بعد القدرة عليه وهو باب القرد والغيل ﴿ الباب السابع ﴾ باب المداراة ومصانعة أهل الشأن واحتراز مودتهم واستمالة أهل الانحراف حتى يتخلص من السوء وهو باب السنور والجرذ ﴿ الباب الثامن ﴾ باب معرفة السلطان باعوانه وأقربائه وأهل دخلته واستصلاحه من نالته جفوته منهم واجتلاب ردأته والاستعانة على أموره باهل العفاف والمودة وتفقد أحوال أعوانه وحاشيته ومكافاة المحسن ومعاقبة المسيء على الاساءة وهو باب الأسد وابن آوى ﴿ الباب التاسع ﴾ باب الاخوان والمتصادقين على صحة مودتهم ومقدار الاخوان وعظم النفع بهم ومعاونتهم على أمور الشدة والرخاء وهو باب الحمامة المطوقة ﴿ الباب العاشر ﴾ باب طلب نفع الناس بضر النفس والتفكر في العاقبة وهو باب اللبوة والاسوار .

وقال بعض علماء الهند إن أهل بلاد الهند تواتر عليهم الموت حتى ذهب علماؤهم وضعف الملك وأنه لما ملك ﴿ هشران ﴾ طلب من يحيي له شرائع دين آبائه فاتاه (فلان) وكان داهية فقال له إن الناس جزء من الحيوان وإن الحيوان جزء من النامي وإن النامي من الطبائع الأربع التي هي النار والهواء والأرض والماء وإن النامي ينقسم على ثلاثة أقسام أحدها النبات وله النمو فقط ، والثاني ما يكون في البحر من الأصداف وما أشبهها وله نمو وحس ، والثالث الحيوان البري وله نمو وحس وحركة وإن الحيوان أقل وأحقر من أن يدبرهم الخالق وإنما يدبرهم ويصرفهم الفلك ، فقال له الملك أرني صورة ما تقول وبرهانه فوضع النرد وقال اتفق الناس على أن دور الزمان سنة ومعناها اثنا عشر شهراً ومعناها البروج الاثنا عشر وعلى أن أيام الشهر ثلاثون يوماً ومعناها لكل برج ثلاثون درجة وعلى أن الأيام سبعة ومعناها الكواكب السبعة

السيارة ثم جعل تشبيهاً لذلك فوضع عرصة شبيهة بالسنة وصير فيها أربعة وعشرين بيتاً عدد ساعات الليل والنهار في كل ناحية اثنى عشر بيتاً تشبيهاً بشهور السنة والبروج وصير لها ثلاثين كلباً تشبيهاً بايام الشهر ودرج البروج وصير الفصين تشبيهاً بالليل والنهار وفي كل فص ست جهات لأنه عدد تام له نصف وثلث وسدس في كل فص إذا سقط من أعلاه وأسفله سبع نقط تحت الست واحدة وتحت الخمس اثنتان وتحت الأربع ثلاث تشبيهاً بعدد الأيام والكواكب السبعة السيارة وهي الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وعطارد والزهرة ثم جعلها محنة بين رجلين وأعطى كل واحد فصاً وقال من أعطيته هذه السبع النقط من أعلاها اكثر من صاحبه بدأ فاجتمع له فصان فضرب وما ظهر من الفصين تقلب الكلاب عليه وجعل ذلك تمثيلاً للحظ الذي يناله العاجز بما جرى له الفلك والحرمان الذي يبتلي به الحازم على حسب ما يجري له الفلك فلما ظهر ذلك قبله الملك وفشا في أهل المملكة وصار أهل الهند يجري أمورها بما يدبره الكواكب السبعة السيارة .

وملك ﴿ بلهيت ﴾ وقد غلب على أهل المملكة هذا الدين وكان له عقل ومعرفة فلما رأى ما عليه أهل مملكته ساءه ذلك وبلغ منه ثم سأل هل بقي رجل على دين البرهمية فدل على رجل له عقل ودين فارسل اليه فلما أتاه اكرمه ورفع درجته ثم ذكر له ما قد فشا في أهل مملكته فقال أيها الملك أنا أقيم برهاناً أضطربه ويعرف به فضل الحازم وموضع تقصير العاجز وأجعلها صورة بين اثنين ليبين فضل الحازم على العاجز والمجهد على المقصر والمحتاط على المضيع والعالم على الجاهل فوضع الشطرنج وتفسيرها بالفارسية « هشت رنج » وهشت ثمانية ورنج صفح وصيرها ثمانية في ثمانية فصارت أربعة وستين بيتاً وصيرها اثنين وثلاثين كلباً مقسومة بين لونين كل لون ستة عشر كلباً وقسم الستة عشر على ست صور فالشاه صورة والفرز صورة والفيلان صورة والرخان صورة والفرسان صورة والبيادق صورة فاشتق ذلك من زوج الزوج

وهو أحسن ما يكون من الحساب لأن الأربعة والستين إذا قسمتها كان لها نصف اثنان وثلاثون وهي عدة جميع الكلاب وإذا نصفت الاثنين والثلاثين كان لها نصف وهو ستة عشر وهو ما لكل واحد من الكلاب وإذا نصفت الستة عشر كان لها نصف وهو ثمانية وهي عدة بيادق كل واحد فاذا نصفت الثمانية كان لها نصف وهو أربعة وهو الرخان والفرسان من كل واحد فاذا نصفت الأربعة كان لها نصف وهو اثنان فقد انقسمت أزواجاً ولم يبق في القسم بعد الأزواج إلا الواحد الذي يقسمها كلها آحاداً وهو ليس بعدد ولا معدود ولا زوج ولا فرد لأن أول أعداد الفرد ثلاثة .

ثم قال الحكيم ليس شيء أجل من الحرب لأنه يبين فيها فضل التدبير وفضل الرأي وفضل الحزم وفضل الاحتياط وفضل التعبئة وفضل المكيدة وفضل الاحتراس وفضل النجدة وفضل البأس وفضل القوة وفضل الجلد وفضل الشجاعة ، فمن عدم منه شيء من هذا عرف موضع تقصيره لأن خطأها لا يستقال والعجز فيها متلف للمهج والجهل مبيح للحمى وترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأي جلب للعطب والتقصير سبب للهزيمة وقلة العلم بالتعبئة داعية الانكشاف وقلة المعرفة بالمكيدة تهور الى الهلكة وترك الاحتراس نهزة للعدو ، وجعلها على مثال الحرب فان أصاب ظفر وإن أخطأ هلك فلما رأى الملك صحة البرهان وتبين فضل حكمة الحكيم وعلم أن قد أصاب وأحسن التمثيل وأبان عما قد عمي عنه جمع أهل مملكته فعرفهم ما كشف الله عنهم من الغم وأمرهم أن يقيموها ويتأملوها وقال لهم قد علمنا أن ليس في العالم حي ناطق مفكر ضاحك عاقل إلا الانسان فالانسان عليه مدار جميع ما في العالم لأن الفلك بجميع ما فيه خلقه الخالق للانسان ليعرف به ما يحتاج اليه من زمانه وأوقاته وكذلك ذلل له جميع ما في الأرض وكل ما خلق الله مما في قعر البحر وجو السماء ورؤس الجبال فلما ملك الانسان جميع ما خلق قسم ذلك الانسان ثلاثة أقسام فأكل ثلثاً وسخر ثلثاً وقتل ثلثاً فأكل الطير والسمك وما شاء من النعم والابل وسخر البقر والحمير والدواب وقتل السباع والحيات

والهوام ثم جعل فيه آلات يعلم بها ويعقل بها ويدرك بها ويفهم ففضل الناس بعضهم بعضاً بالعلم والعقل والفهم .

وقد زعم علماء من علماء الهند أنه لما ملكت حوسن (حوسر) بنت بلهيت خرج عليها خارجي وكانت جارية عاقلة فوجهت أبناً لها وكان لها اربعة اولاد فقتل ذلك الخارجي ابنها فعظم ذلك أهل مملكتها وأشفقوا من أخبارها فاجتمعوا على حكيم من حكمائهم يقال له ﴿ قفلان ﴾ وكان ذا حكمة وفطنة ورأي فذكروا ذلك له فقال أنظروني ثلاثاً ففعلوا ذلك وخلا مفكراً ثم قال لتلميذ له أحضرني نجاراً وخشباً من لونين مختلفين أبيض وأسود فاحضره نجاراً فارهاً وخشباً من لونين مختلفين أبيض وأسود فصور صورة الشطرنج وأمر النجار فنجرها ثم قال له أحضرني جلداً مدبوغاً فامره أن يخط فيه أربعة وستين بيتاً ففعل ذلك فنصب ناحية ثم تجاولا حتى فهماها وأحكماها ثم قال لتلميذه هذه حرب بلا ذهاب أنفس ثم حضره أهل المملكة فاخرجها لهم فلما رأوها علموا أنها حكمة لا يهتدي اليها احد وجعل يجاول تلميذه فيقع (شاه مات) و (شاه غلب) فاخبرت الملكة بخبر (قفلان) فاحضرته وأمرته أن يريها حكمته فاحضر تلميذه ومعه الشطرنج فنصبها بينه وبينه فلعبا فغلب أحدهما صاحبه فقال (شاه مات) فانتبهت وعلمت ما أراده وقالت لقفلان أقتل ابني قال انت قلت فقالت لحاجبها أدخل الناس يعزوني فلما فرغت أحضرت قفلان وقالت له سل حاجتك فقال أسأل أن أعطى قمحاً بعدد بيوت الشطرنج أعطى في البيت الأول حبة ... (١) ... ثم يضعف ذلك لي في البيت الثالث على اثناني ثم على هذا الحساب الى آخرها قالت وما مقدار هذا ثم أمرت بالحنطة أن تحضر فلم يقم لذلك شيء حتى أنفدت قوح البلد ثم قوم القمح بالمال حتى فني المال فلما كثر ذلك قال لا حاجة لي به إن قليل الدنيا

(١) كذا بياض في الأصل وفي العبارة سقط ولعل الساقط قوله (وفي البيت الثاني حبتين) فراجع القصة وقد رويت بوجوه مختلفة . (م . ص)

يكفيني ثم سألته عن عدد الحب الذي سأل فقال لها يكون ذلك عدداً ، وهـذا ما في الشطرنج من العدد ﴿ السطر الأول ﴾ مائتان وخمسه وخمسون ﴿ الثاني ﴾ إثنان وثلاثون الفاً وسبعمائه وثمانية وستون ﴿ الثالث ﴾ ثمانية آلاف الف وثلاثمائة وثمانية وثمانون الف وستمائة وثمانية ﴿ الرابع ﴾ الفا الف الف ومائة وسبعة وأربعون الف الف واربعمائة وثلاثة وثمانون الفاً وستمائة وثمانية وأربعون (الخامس) خمسمائة وتسعة وأربعون الف الف الف وسبعمائة وخمسة وخمسون الف الف وثمانمائة الف وثلاثة عشر الفاً وثمان مائة وثمانية وثمانون ﴿ السادس ﴾ مائة وأربعون الف الف الف وسبعمائة وسبعة وثلاثون الف الف الف وأربعمائة وثمانية وثمانون الف الف وثلـثمائة وخمسة وخمسون الفاً وثلاثمائة وثمانية وعشرون ﴿ السابع ﴾ ستة وثلاثون الف الف الف الف الف وثمانية وعشرون الف الف الف الف وسبع مائة وسبعة وتسعون الف الف الف وثمانية عشر الف الف وتسع مائة وثلاثة وستون الفاً وتسع مائة وثمانية وستون ﴿ الثامن ﴾ تسعة آلاف الف الف الف الف ومائتان وثلاثة وعشرون الف الف الف الف الف وثلاث مائة واثنان وسبعون الف الف الف الف وستة وثلاثون الف الف الف وثمان مائة وأربعة وخمسون الف الف وسبع مائة وخمسة وسبعون الفاً وثمان مائة وثمانية ، يكون جميع ذلك في الشطرنج الثمانية ثمانية عشر الف الف الف الف الف وأربع مائة وستة وأربعين الف الف الف الف الف وسبع مائة وأربعة وأربعين الف الف الف الف وثلاثة وسبعين الف الف الف وسبع مائة وتسعة الف الف وخمس مائة وأحد وخمسون الفاً وستمائة وخمسة عشر .

ومنهم ﴿ كوش ﴾ الملك الذي كان في زمانه (سندباذ) الحكيم وكوش هذا وضع كتاب « مكر النساء » .

والهند أصحاب حكمة ونظر وهم يفوقون الناس في كل حكمة فقولهم في النجوم أصح الأقاويل وكتابهم فيه كتاب « السند هند » الذي منه اشتق كل علم من علوم

مما تكلم فيه اليونانيون والفرس وغيرهم وقولهم في الطب المقدَّم ولهم فيه الكتاب الذي يسمى « سسرد » فيه علامات الأدواء ومعرفة علاجها وأدويتها ، وكتاب شرك وكتاب ندان في علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج ، وكتاب سندهشان وتفسيره صورة النجح ، وكتاب فيما اختلفت فيه الهند والروم من الحار والبارد وقوى الأدوية وتفصيل السنة ، وكتاب اسماء العقاقير كل عقار باسماء عشرة ولهم غير ذلك من الكتب في الطب ، ولهم في المنطق والفلسفة كتب كثيرة في أصول العلم منها كتاب طوفا في علم حدود المنطق ، وكتاب ما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم ولهم كتب كثيرة يطول ذكرها ويبعد عرضها .

ودين أهل الهند (البرهمية) وفيهم عبدة الأصنام ولهم ممالك مختلفة وملوك متفرقة لسعة البلد في طوله وعرضه ، فأول ملوكهم مما يتاخم البلاد التي هي اليوم في دار الاسلام ﴿ دانق ﴾ وهو ملك عظيم القدر واسع المملكة كثير العدة ، ثم من بعده ﴿ رهمى ﴾ وهو أعظم قدراً وأعز بلاداً وهو على بحر من البحور وفي بلده الذهب وما أشبهه ، ثم مملكة ﴿ بلهرى ﴾ ثم ﴿ الكمكم ﴾ ومن عندهم يأتي الساج ولهم اتساع في البلاد ، ثم مملكة ﴿ الطافن ﴾ وهم قوم بيض الوجوه ، ثم مملكة ﴿ كنباية ﴾ ومملكة ﴿ الطرسول ﴾ ومملكة ﴿ الموشة ﴾ ومملكة ﴿ المايد ﴾ وهذه الممالك تتاخم الصين وهم يحاربون الصين ، ثم مملكة ﴿ سرنديب ﴾ ثم مملكة ﴿ قمار ﴾ وهي مملكة جليلة القدر عظيمة الأمر يتقدم لملكهم الملوك ، ثم مملكة ﴿ الديبل ﴾ ثم ﴿ الفاربط ﴾ ﴿ الناربط خ ل ﴾ ثم مملكة ﴿ الصيلمان ﴾ ولهم في بعض ممالك يليها النساء .

اليونانيون

وكان لليونانيين حكماء متفلسفون وفلاسفة متكوّرون ومنهم من تكلم في الطب ومنهم من تكلم في حقائق الأمور ومنهم من تكلم في الحساب والأعداد ومنهم من

تكلم في الأفلاك والنجوم ومنهم من تكلم في الحساب والقسمة ومنهم من قال في الهندسة والفلاحة ومنهم من قال في الصنعة والاكسيرات ومنهم من قال في الفراسة ومنهم من قال في الطلسمات والآلات ، فيقال إن أول حكيم وضع كتاباً ودوّن علماً ﴿ أبقراط مقليدس ﴾ بن أبقراط فبفلسفته يتفلسفون الحكماء في الطب واليه يرجعون في المعرفة ، وله من الكتب كتاب « الفصول » وكتاب البلدان والمياه والأهوية ، وكتاب ماء الشعير ، وكتاب تقدمة المعرفة ، وكتاب الجنين ، وكتاب الأركان ، وكتاب الغذاء ، وكتاب الأسابيع ، وكتاب أوجاع النساء وكتاب أبيذيميا ، فهذه مشهورات من كتبه وله بعد ذلك كتب كثيرة فالكتب التي لابد للمتطببين من معرفتها من كتب أبقراط أربعة وهي كتاب الفصول ، وكتاب تقدمة المعرفة ، وكتاب الأهوية والأزمنة ، وكتاب ماء الشعير .

فاما كتاب الفصول فانه قال في كل وجه من العلم قولاً جامعاً في سبعة وخمسين باباً وهي التي تسمى التعليمات (فالتعليم الأول) في الصنعة وصنفها ، قال أبقراط العمر قصير والصناعة طويلة والزمان حديد والتجربة خطر والقضاء عسر (التعليم الثاني) في أصناف الطعام للمرضى وتقديره ، قال أبقراط الأطعمة اللطيفة دقيقة جداً ليست في الأمراض المزمنة ولا في الحادة والاطعمة ايضاً التي على أقصى حد اللطافة ردية مثل ما أن الماء الذي على الحد الأقصى ردي (التعليم الثالث) في اهتياج الحمى قال أبقراط ينبغي أن يتحفظ في الطعام وإن الزيادة منه مضرة وكلما يعرض من الأمراض في الحين بعد الحين فينبغي التحفظ عند اهتياجها (التعليم الرابع) في علات الأمراض قال أبقراط الدليل على حال الأمراض ما يظهر من لفظ الجسد فيها مثل من به ذات الجنب إن ظهر منه نفث عاجل من أول المرض قصر مرضه وإن ظهر ذلك متأخراً طال مرضه وفي مثل البول والبراز والعرق إذا ظهر على الوجه الذي يجري عليه القضاء بالنوع أو على خلاف ذلك على قصر الأمراض وطولها (التعليم الخامس) قال

أبقراط كلما نشت — يعني ذوات الأرواح — فهو كثير حرارة الغريزية ولذلك يحتاج الى كثرة الطعام وإلا يلي جسده (التعليم السادس) فيما ينبغي أن يطعم المحمومين من الطعام ، قال أبقراط التدبيرات الرطبة بجميع المحمومين أمثل ولاسيما للصبيان ولغيرهم من الذين اعتادوا ذلك التدبير لبعض مرة ولبعض اثنتين واكثر وأقل ومرة بعد مرة ، وأعطوا الساعة والعادة والبلاد والسن حقها (التعليم السابع) في معرفة الموقت قال أبقراط فيما يتفرج ، وما قد تفرّج ينبغي أن لا يحرك ولا يحدث به حدث لا بأدوية ولا بغيرها مما يهيج ذلك (التعليم الثامن) في النوم قال أبقراط في أي مرض كان إن جاءه النوم بوجع فذلك يموت وإن نفع النوم فليس يميت وإن ردّ النوم ذهاب العقل فذلك صالح (التعليم التاسع) في سقي الدواء قال أبقراط ينبغي لمن أراد تنقية الأجساد أن ينقيها قبل ذلك أي باذابة ما فيها من الكيميوس الغليظ (التعليم العاشر) في البراز قال أبقراط إن وقع في الجسد وجع أو خرجت في الجسد خراجات فعند ذلك ينبغي أن ينظر في البراز فان كانت مرة صفراء فالجسد كله مريض وإن كان شبيهاً ببراز الأصحاء فالطعام الحشد (التعليم الحادي عشر) قال أبقراط في الأمراض الحادة (.....) لأنها ربما أسرعت الى الدماغ او الى القلب او الكبد فتهلك وربما أسرع انحطاطها فتبرأ (التعليم الثاني عشر) في القضاء في الفرج قال أبقراط الامراض الحادة يقضى عليها بالفرج في أربعة عشر يوماً (التعليم الثالث عشر) قال أبقراط عند ابتداء الامراض إن رأيت أن تحرك شيئاً فحرك وإن صعدت العلة فلزوم الكف أفضل أي إن رأيت موضعاً للعلاج فقبل أن تصعد العلة « التعليم الرابع عشر » في معرفة صالح الامراض وطالحها ، قال أبقراط في كل مرض صحة عقل المريض حسن وقبوله ما يقضى خير وخلاف ذلك شر أي ما يجد العليل في الدماغ والمعدة « التعليم الخامس عشر » في المخنوقين قال أبقراط الذين يختنقون ويخلون

قبل أن يموتون (١) وإن ظهر في أفواههم زبد لم يسلموا (التعليم السادس عشر) في اضمار الجسد والعناء قال أبقراط في كل تحريك الجسد إذا بدأ بتعب ثم ودعته مكانك لم يضرر التعب ﴿ التعليم السابع عشر ﴾ في انقلاب الساعات قال أبقراط انقلاب الساعات . . . (٢) . . . عن عظم البرد والحر وغير ذلك مما يجري مجراه اي انقلاب ساعات الزمان من أجزاء السنة ﴿ التعليم الثامن عشر ﴾ في العرق قال أبقراط إذا كان الزمان شبيهاً بالصيف — يعني الربيع — عند ذلك ينبغي أن يتوقع كثرة العرق مع كل حمى تعرض ﴿ التعليم التاسع عشر ﴾ في الساعات قال أبقراط إن كان الشتاء يابساً بلا رطوبة وكانت رياحاً شمالاً كان الصيف يعني الربيع ممطوراً وكانت رياحه يمانية فلا بد أن يكون في النيظ حمايات حادة ووجع العين واختلاف من الأعناج وعامة ذلك في النساء والذين في طبيعتهم رطبة ﴿ التعليم العشرون ﴾ في تدبير السنين قال أبقراط السنة اليابسة او يأمن الممطورة الرطبة عامتها حمايات طويلة وسيلان البطون وخروج مماشية وجنون وفالج وذبحة وأما أمراض السنة اليابسة فقرح في الرئة ووجع العيون والمفاصل وتقطير البول واختلاف من خراج الأعناج ﴿ التعليم الواحد والعشرون ﴾ في أمراض الساعات والأسنان ، قال أبقراط في الساعات على ما يكون من الأمراض في الصيف وأول القيظ الغلمان والذين يتلونهم في السن أصحاء وحسن حالهم أفضل من غيرهم ، وفي القيظ وبعض الربيع الشيوخ أحسن حالاً ، وفي سائر الربيع والشتاء أهل النصفة في السن أفضل حالاً ﴿ التعليم الثاني والعشرون ﴾ في الأمراض التي تصيب الانسان فيبدأ بالولدان ، قال أبقراط الأمراض التي تصيب الولدان الصغار قرح وسعال وسهر وفزع وورم في السرر

(١) كذا في نسخة الأصل باثبات النون والصحيح حذفها ، وفي العبارة تشويش

(٢) كذا بياض في الأصل وقد كتب المعلق في الهامش هنا العبارة التالية (مما يفعل في توليد الأمراض خاصة) « م . ص »

ورطوبات الأذنين ﴿ التعليم الثالث والعشرون ﴾ قال أبقراط والامراض التي تصيب الصبيان إذا كبروا وجع اللوزتين وبهر وحصاة ودودعراض ودود طوال ودود مثل دود الخل وثآليل وغلظ في أبشارهم وخنازير وخراجات أخر والذين اكبر منهم من قد راهق الاحتلام يصيبهم أمر آخر ويقضى عليهم بالفرج الى أربعين يوماً وعلى بعضها الى سبعة أشهر ومنها الى سبعين يوماً إذا راهقوا الاحتلام وكل أمراض لاتنجلي عن الصبيان الى الاحتلام وعن الجواري الى أن يطمثن فتلك أمراض تنوي زماناً طويلا ﴿ التعليم الرابع والعشرون ﴾ في معرفة ماتداوى به النساء الحوامل ، قال أبقراط النساء الحوامل يداوين لاربعة أشهر فاما دون ذلك من صغر الولد وإما زاد من كبره فينبغي أن يحذر علاجهن ﴿ التعليم الخامس والعشرون ﴾ قال أبقراط ينبغى أن يداوى ما فوق فى الصيف وما أسفل فى الشتاء يعني ما كان فوق الرأس والمعدة وما كان أسفل من المرة الصفراء وما أسفل من الحام وما أشبهه (التعليم السادس والعشرون) فى ذي المشي ، قال أبقراط عند شرب الادوية والخربق ينبغى أن يرطب أجساد الذين لا تخف التنقية عليهم من فوق قبل الدواء بكثرة الطعام (التعليم السابع والعشرون) فى الاختلاف طوعاً قال أبقراط إذا جاء الاختلاف طوعاً كأنه دم أسود مع حمى أو غير حمى فذلك اختلاف سوء وإن كان اختلاف كثير الالوان منتقل من ألوان صالحة الى الوان ردية فذلك اختلاف سوء ايضاً وإن جاء الاول بدواء فهو أمثل والكثير الالوان فلا بأس به (التعليم الثامن والعشرون) فى القراغ من حيث كان ، قال أبقراط كل محموم يعرض له اختلاف لان كثرة إفراغ الدم ترخى الكبد ثم تستقيم النضج (التعليم التاسع والعشرون) فى العرق قال أبقراط العرق فى المحمومين خير إن جاء فى اليوم الثالث أو الخامس (.....) أو السابع عشر أو الواحد والعشرين أو الواحد والثلاثين أو الرابع والثلاثين لان هذا يفرج عن المريض فاما الذي يكون فى غير هذه الايام فذلك عرق مؤذن بوجع وطول مرض ونكسة « التعليم الثلاثون »

في الحمايات اللازمة قال أبقراط الحمايات اللازمة التي لا تقلع بل تشتد في اليوم الثالث فتلك أقرب الى الهلاك والتي تقلع الى أي وجه كان من الاقلاع فتلك أبعد الى الهلاك ﴿ التعليم الحادي والثلاثون ﴾ في علامات الموت قال أبقراط الحمايات اللازمة التي لاتقلع إن كان ظاهر الجسد بارداً وداخله يحترق وكان بصاحبه عطش فتلك علامات موت ﴿ التعليم الثاني والثلاثون ﴾ في الانقباض والكزاز ، قال أبقراط من أصابه انقباض او كزاز فتبعت ذلك الحمى انحل مرضه ﴿ التعليم الثالث والثلاثون ﴾ قال أبقراط من كانت به حمى فاصابه حر شديد في جوفه ووجع في قلبه فذلك شر ﴿ التعليم الرابع والثلاثون ﴾ قال أبقراط من كانت به حمى فورمت شراسيفه وأشرفت وظهرت به قرقرة في جوفه فاصابه مع ذلك وجع صلبه فلم ينفرج بارواح تخرج منه او ببول كثير أوينفرج باختلاف هلك ﴿ التعليم الخامس والثلاثون ﴾ في شرب الخربق قال أبقراط من أصابه انقباض من كثرة الاختلاف على شرب الخربق فذلك ميت ﴿ التعليم السادس والثلاثون ﴾ في القروح في الرئة والضمر في الرئة يكون ذلك في ثمانية عشر الى خمسة وثلاثين ﴿ التعليم السابع والثلاثون ﴾ في الماء الحار والبارد ، قال أبقراط الماء الحار إذا أدمنت عليه يرخي اللحم ويذهب بشدة العصب ويحدر العضل ويهيج الرعاف ويضعف النفس وإن دام ذلك مات ، والبارد يأتي بكزاز وتسوّد ويأتي بنافض وحمى ﴿ التعليم الثامن والثلاثون ﴾ في معرفة المياه قال أبقراط الماء الحار ينضج المدة وليس فى كل خرج ، ولنضج المدة علامات كثيرة وهي لين الجلد وضم الورم ، وإذا كان الماء الحار يفعل ذلك يذهب الوجع ويسكن النافض والانقباض والكزاز ويحل وجع الرأس ﴿ التعليم التاسع والثلاثون ﴾ فى أمور النساء قال أبقراط البخور بالطيب جلاب لطمث النساء نافع لذلك ولأشياء كثيرة غير ذلك إلا أنه يهيج وجعاً فى الرأس وصداعاً « التعليم الأربعون » قال أبقراط أيما امرأة ليست بحبلى ولا مرضعة وتجد فى ثديها لبناً فذلك دليل على أن دم طمثها

قد انقطع ﴿ التعليم الحادي والأربعون ﴾ قال أبقراط إن الأولاد الذكور أكثر ما يكونون في يمين الأرحام والأناث في يسراها « التعليم الثاني والأربعون » قال أبقراط النساء الحبالى اللاتي تصيبهن الحمى فتصلب عليهن فاولئك من غير علة معروفة تبين فان ذلك دال على هلاك ويسقطن فيهلكن « التعليم الثالث والأربعون » قال أبقراط أعط اللبن لمن يشتكي رأسه ولمن به عطش وأيضاً لمن به اختلاف من مرة صفراء وحمى حادة ولمن اختلف دماً كثيراً وهو موافق أن يعطى لمن به ضمر وقرح في رئته إذا لم يكن محموماً جداً ويعطى لمن كانت حماه لينة فاترة مزمنة من غير أن يكون به شيء من العلامات التي ذكرنا ويكون جسده ناحلاً جداً « التعليم الرابع والأربعون » في أزلاق الأمعاء ، قال أبقراط من أصابه زلق الأمعاء وطال به ثم تبع ذلك جشاء حامض لم يكن به قبل ذلك فذلك علامة خير وهو مرض يكون له ثلاثة أسباب من قبل ضعف المعدة أو من قبل بلغم بل المعدة أو من قبل قرح يكون في المعدة « التعليم الخامس والأربعون » قال أبقراط من أصابه وجع في رأسه وضربان شديد فذلك إن سال من أنفه أو من أذنيه أو من فمه قيح أو ماء حل وجعه « التعليم السادس والأربعون » قال أبقراط من أصابه انقطاع في مثانة أو دماغ أو قلب أو صفاق أو شيء من الأمعاء الدقاق أو في معدة أو في كبد فذلك كله مميت « التعليم السابع والأربعون » قال أبقراط من أصابه فزع أو خبث نفس زماناً كثيراً دائماً فذلك يصير الى المرة السوداء « التعليم الثامن والأربعون » قال أبقراط شرب الخمر صرفاً والكماد الحار وقطع العروق وشرب الدواء يحل وجع العينين « التعليم التاسع والأربعون » قال أبقراط ترك كل خراج سرطاني لا يعالج أفضل فان اصحابه إن عولجوا هلكوا سريعاً فان لم يعالجوا بقوا زماناً « التعليم الخمسون » قال أبقراط الخراج الذي ينتؤ سنة واكثر من ذلك فلا بد من أن يقلع منه عظام ويبقى آثارها كالجرب « التعليم الحادي والخمسون » قال أبقراط ذهاب العقل الذي يأتي الضحك

معه يؤثر به ، وذهاب العقل مع الحزن والعبوس لا يؤثر به « التعليم الثاني والخمسون » قال أبقراط في الأمراض الحادة إذا بردت الأطراف فذلك شر « التعليم الثالث والخمسون » قال أبقراط من خرج في كبده خراج ثم تبعه فواق فذلك شر « التعليم الرابع والخمسون » قال أبقراط من كانت به حمى وكان بوله ثفل غليظ شبيه بدشيش الطحين فذلك دليل على أن مرضه يطول « التعليم الخامس والخمسون » قال أبقراط من قاء دماً من غير أن تصيبه غلبة فهو يتخلص فان أخذته غلبة حمى فهو خبيث وينبغي أن يعالج بكل دبوغ اي من الأدوية الدابغة « التعليم السادس والخمسون » قال أبقراط من كان ينقيأ القيح فكوي وخرج القيح أبيض نقياً سلم صاحبه وإن خرج منتناً وسخاً هلك صاحبه وإن كان بكبده خراج قد قيح وكوي وخرج القيح نقياً ابيض سلم لأن القيح في صفاق الكبد وإن خرج القيح شبه ماء الزيتون هلك صاحبه « التعليم السابع والخمسون » قال أبقراط العطاس يكون من قبل الراس إذا سخن الدماغ او برد او ترطب ما بين الدماغ وصفاقه وامتلأ فيفرغ ذلك الهواء ويكون له غنغنة لأن مخرجه من ضيق ، فهذه ابواب كتاب الفصول .

وأما كتابه في تقدمة المعرفة فهو ثلاثة فصول وعشرون تعليماً [الأول] يخبر أبقراط كيف ينبغي للطبيب ان ينتحل تقدمة المعرفة فانه الذي يخبر المرضى بما بهم وما اصابهم قبل ذلك وما هو آتٍ عما يصيبهم وما اغفل المرضى ذكره وأن قومها واسبابها إن كانت من اختلاط الجسد او غيره ونحو هذا [التعليم الثاني] يخبر فيه كيف ينبغي للطبيب ان يحسن النظر في الأمراض الحادة وكيف ينظر في وجوه المرضى إن كانت تشبه وجوه الأصحاء وعلامات الوجوه الدالة على الموت ونحو هذا [التعليم الثالث] يقول فيه إن كان للمرضى ثلاثة ايام واربعة والوجوه على حال وجوه الأصحاء وغير ذلك ينبغي ان يحسن الفكر في الآيات والعلامات على ما تقدّم ذكره وفي علامات العينين واشفارهما والأنف وانضجاع الريض وكيف ينبغي ان يعمل وما المهلك من

علاماته [التعليم الرابع] يصف رجلي المريض وأحوالها وانضجاعه وحك الأسنان بعضها ببعض مع الحمى والدلائل في ذلك وإن كان بالمريض خرج أصابه في مرضه أو قبل مرضه وما يدل عليه ويصف اليدين واضطرابها وما يدلان فى ذلك [التعليم الخامس] يذكر النفس الكثير السريع وما يدل عليه ويذكر أفضل العرق فى الأمراض الحادة والعرق الفاضل والعرق البارد والعرق المتخبث ويذكر أن العرق يكون إما من ضعف الأجساد وإما من دوام خراج [التعليم السادس] يذكر صحة الشراسيف وإذا لم تكن صحيحة وضربان عروقها وما يدل في ذلك والأورام التي بجنب الشراسيف ويخبر عن الأورام وما يصيبها [التعليم السابع] يذكر فيه الخراجات وإذا أزمنت كيف ينبغي أن ينظر فيها وينعت مقادبرها وما يخرج منها وكيف ينبغي أن يخرج [التعليم الثامن] الحبن «١» الذي يكون من الأمراض الحادة والذي يكون من البزاق والذي من الكبد وما يصيب أصحاب الحبن من الأعراض اللاحقة بهم من أجله وعلامات تدل على الموت من اسوداد الأصابع والأرجل ونحو هذا [التعليم التاسع] يذكر تقابض الخصيتين والذكر ويذكر السبات والنوم وكيف ينبغى أن يكون والبراز وكيف ينبغى أن يكون [التعليم العاشر] يذكر فيه البراز كيف يجب خروجه وأسبابه وكيف ينبغي أن تكون البطن فى كل مرض وألوان البراز الدالة على الموت وغير ذلك ويصف الرياح والقراقر ونحو ذلك [التعليم الحادي عشر] يخبر عن البول الصحيح ثم عن البول إذا تغير وأصناف أثفال الأبوال من جهة المثانة [التعليم الثاني عشر] يذكر فيه القيء وأسبابه والنخمة وكيف تنفث ومما تختلط ولونها ويذكر العطاس فى جميع الأمراض التي تلي الرئة وما المميت فى ذلك وما المؤذن بانحلال المرض [التعليم الثالث عشر] يصف فيه النخامة فى أمراض الرئة ولونها مع الوان النخامات ويذكر

«١» الحبن بالحاء المهملة والباء الموحدة المفتوحتين ثم النون ، الاستسقاء والأحبن المستسقي اي الذي به مرض السقي . (م . ص)

فيه البول والبراز والعرق وما يدل كل واحد من هذا عليه [التعليم الرابع عشر] يذكر الخراجات المقيحة واوقاتها التي تنفجر فيها ويصف كيف كل ما يخرج منها وكونها فى كل انسان [التعليم الخامس عشر] يذكر الخراجات النائتة فيما يلي الآذان وما يحدث ذلك فى الذين بهم أمراض الرئة وكيف الدلائل على ذلك والخراجات التي فى سوق الذين بهم أمراض وما يلحقهم فى ذلك [التعليم السادس عشر] يذكر الأوجاع الردية الذاهبة بالعقل ويذكر الحميات وأسبابها فى ايامها [التعليم السابع عشر] يذكر تقدمة المعرفة فى الأمراض الحادة العسرة المزمنة ويذكر حميات الربع وما يلحق اصحابها من أجلها والأيام التي تكون فيها ويذكر أوجاعاً تكون فى الصدغين والجبهة ووجع الآذان وما يلحق المرضى [التعليم الثامن عشر] يذكر أوجاع الحلق المخنقة والحمرة فى الرقبة والصدر والثقب وما يلحق المريض من علامات الهلاك فى ذلك ويذكر أسباب الغرغرة وجراجات تكون (١) ... ووجع مولم فى المفاصل وذكر الخراجات النائتة فى الشباب وشيئاً من أسباب الحمى [التعليم التاسع عشر] يذكر فيه الحمى ووجع الفؤاد وذكر الأيام التي تطول فيها الحمى مع أوجاع تكون فى الحمى [التعليم العشرون] يخبر كيف ينبغى لمن أراد أن يحكم تقدمة المعرفة ان يعرف ما ينجلب من الأمراض التي لا تزال مؤلمة وكيف يعلم وخبر الأركان والعلامات وأجزاء السنة وأسباب البلدان ، فهذه تعليمات كتاب تقدمة المعرفة لبقراط .

فاما كتابه فى الأهوية والازمنة والمياه والأمصار ، فانه يخبر بما يعتري أهلها من الامراض الخاصة والعامة والمؤتلفة والمختلفة بحدود ثابتة ومعالم بينة [فالباب الاول] يقول إنه ينبغى لمن أراد طلب الطب طلباً صادقاً ان يفحص اولاً عن ازمنة

(١) بياض فى الاصل وفى العبارة سقط ، ولعله (مع ورم) وفي ص ٢٨ من كتاب تقدمة المعرفة المطبوع فى النجف سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٧ م ، العبارة التالية (خراجاً مع ورم والم فى مفاصله) . (م . ص)

السنة وما يحدث فيها لأن بعضها لايشبه بعضاً بل بعضها مخالف لبعض وقد تختلف ايضاً في انقلابها بذاتها ﴿ والباب الثاني ﴾ يقول إن السنين اللاتي تحفظ أزمنتها على اعتدالها ومراجعها فان الأمراض التي تحدث فيها تكون شبيهاً وعلى استوائها غير مخالفة ولا مشبهة والازمنة الكثيرة الانتقال فان الأمراض تعرض غير مستوية ولا متواتيه وانحلالها عسر شاق ﴿ الباب الثالث ﴾ يقول إن الرياح الحارة والباردة العامة فيها تغير الأبدان ﴿ الباب الرابع ﴾ يقول ينبغي للطبيب أن يفكر في قوى المياه لانها متخالفة في المذاقة والوزن وكذلك تختلف في القوة اختلافاً شديداً ﴿ الباب الخامس ﴾ يقول في المياه كيف هي أراكدة أو لينه أوخاشنة سايلة ام (.....) نواحي مشرفة صخرية ام صالحة رطبة النضج ﴿ الباب السادس ﴾ يقول إنه ينبغي للطبيب أن يفكر في الأرضين إن كانت جرداء عديمة الماء او شعراء كثيرة الماء او عامرة او غامرة او مشرفة باردة ﴿ الباب السابع ﴾ قال ينبغي أن يذكر غذاء الناس في اي شيء لذاتهم أفي كثرة الشرب والاكل وحب الدعة ام حب العمل والاكل وأن يفحص عن كل واحد من هذه الأشياء في كل بلد ﴿ الباب الثامن ﴾ قال إن مضى شيء من الزمان والسنة فان الطبيب سيخبر بكل مرض عام يعرض لكل واحد من اهلها من قبل تغير أغذيتهم ﴿ الباب التاسع ﴾ قال إذا لم تكن الأمراض من فساد الهواء فانه لا ينزل باهل المدينة عامة ولكنه يكون متفرقاً فاذا فكر الطبيب في هذا النوع وفي هذه الأشياء فعلم علماً شافياً كيف تكون الأزمنة كان حرياً أن يكون علمه صواباً فان علم النجوم ليس بجزء صغير من علم الطب .

وأما كتابه في الاهوية والبلدان ، فانه وصف البلدان ومياهها وخواصها ﴿ فالقول الاول ﴾ في المدن وهي أربع مدائن فالاولى على سمت الاستواء ، والثانية على سمت الفرقدين ، والثالثة بازاء المشرق ، والرابعة بازاء المغرب (فالاولى) قال كل مدينة موضوعة بازاء الرياح الحارة هي التي وسط شرق الشمس الشتوي وغربه

فانها تهب اليها هبوباً دائماً وتكون في كن من أزاء الفرقدين ، ومياه هذه المدينة كثيرة حارة تسخن في القيظ وتبرد في الشتاء ورؤوس سكان هذه المدينة رطبة بلغمية وبطونهم كثيرة الاختلاف دائمة ونساء هؤلاء الناس مرضى ذوات أسقام ابداً بكثرة طمثهن ولا يسقطن وليس ذلك من طبيعتهن ولكن من قبل امراضهن فان حبلن أسقطن اكثر ذلك وأما الصبيان فيصيبهم الكزاز والربو والسقم ورجالهم يعرض لهم البطن واختلاف الدم والسقم الذي يدعى ابيالوس وحمى طويلة شتوية وليلية وبواسير في المقاعد وتعرض لهم الحمى المتلهبة والامراض الحادة والرمد الطويل فاذا أتت لهم خمسون سنة عرضت لهم النزلات من الدماغ فهيج بهم الفالج العارض في جميع البلدان ﴿ والمدينة التي ناحية الشمال ﴾ قال فان كل مدينة موضوعة بازاء ناحية الرياح الباردة مما يلي ناحية المغرب والمشرق والقطبين فان هذه الرياح رياحها البلادية وتكون مستورة من الرياح الحارة ومياهها يابسة بطيئة النضج حلوة اكثر ما تكون ، وسكان هذه المدينة اكثرهم اشداء أقوياء سوقهم الى الدقة اضطراراً وبطونهم خاشنة ورؤوسهم صلبة يابسة شديدة وينالهم الفتق وأسقامهم ذات الجنب والعلل الحادة وكثرة القيح وعروقهم تنقطع ويأكلون كثيراً ولا يعرض الرمد سريعاً فاذا مرضوا تصدّعت أعينهم ويصيبهم إذا بلغوا ثلاثين سنة رعاف كثير ولا تعرض لهم الاسقام الكاهنية فان عرضت كانت شديدة ويطول أعمارهم وأخلاقهم وحشية غير ساكنة ولا هادئة ونساؤهم يكن عواقر لبرد الماء ويبسه وذلك أن الطمث ربما لم يكن على ما ينبغي فاذا حبلن اشتد عليهن الولاد ولا يسقطن ويقل غذاء أولادهن لبرد الالبان ويعرض لهن الكزاز ووجع الرئة ويعرض للصبيان الماء الأصفر في الاثنين فاذا كبروا ذهب ويبطيء احتلامهم (والمدينة الموضوعه سمت الرياح التي من المطلع القيظي والشتوي) قال أبقراط وكل مدينة موضوعة ناحية شرق الشمس تكون أصح من المدينة الموضوعة ناحية الفرقدين ومن الموضوعة ناحية الرياح الحارة ، والحرارة والبرودة فيها أقل وأيسر وأمراض اهلها

قليلة والمياه الكائنة سمت طلوع الشمس نيرة مضيئة صافية طيبة المشم لينة لأن الهواء لا يكون فيها غليظاً والشمس تحول بينه وبين أن يغلظ ، وصورة سكان هذه المدينة حسنة الألوان نيرة ضوية وأصوات رجالهم صافية حديدة يغضبون سريعاً ونباتها وأعشابها أقوى وأصح وهي في ذاتها وهيئتها تشبه فصل الربيع في قلة الحر والبرد وأسقامها قليلة ضعيفة ونساؤها يعلقن كثيراً ويلدن بغير مشقة ﴿ والمدينة الرابعة سمت المغرب ﴾ هي في كن من الرياح الشرقية وتهب اليها الرياح الحارة والباردة من ناحية الفرقدين فتكون كثيرة الأمراض ومياهها غير نقية ولاصافية وإن علته الهواء الكائن عند الأسحار وذلك أن أسحار هذه المدينة تطول جداً والشمس لاتشرق فيها اول ما تشرق حتى ترتفع وتعلو وتهب فيها رياح باردة في القيظ ويكون رجالها مصفارين مرضى تضير بهم الأمراض كلها وأصواتهم باحّة ونهارهم ردي في أيام الخريف لكثرة تغيره فهذا الباب الأول في المدن الأربع .

والقول الثاني في ﴿ المياه ﴾ وهي أربعة اصناف (أولها) المياه الراكدة مثل البطائح التي لاتجري ، والثاني العيون النابعة ، والثالث المياه التي تكون من الأمطار والرابع المياه التي تكون من الثلوج ، قال أبقراط المياه الظاهرة المستوية على وجه الأرض التي لاتجري والأمطار تمطر عليها وتقوم معها ولاتنزع والشمس دائمة الاشراق عليها والاحتراق بها فتكون ردية لا لون لها تولد المرة وتكون في الشتاء باردة جامدة كدرة بلغمية تورث من يشرب منها الجوحة والطحال (.....) وتكون بطونهم خاشنة وتهزل التراقي والوجوه وتنتفخها ويكثر أهلها الطعم ويدفع ظماؤهم وعطشهم ويلزمهم المرض في الشتاء والصيف ويعرض لهم الماء الأصفر ويعرض لهم في القيظ اختلاف الأغراس وحمى ربع طويلة مزمنة ، وشباب هؤلاء القوم تعرض لهم أوجاع الرئة واسقام تختر عقولهم ، وأما الشيوخ فانه تعرض لهم حمى اللهبية تدل على تحرقه يبس بطونهم وأما نساؤهم فيعرض لهن أنواع الورم من قبل بلغم أبيض فلا يحبلن إلا بعد عسر ولا

بلدن إلا بمشقة ويكون أولادهن عظاماً وكلما عزلوا هزلوا ودقوا ، ويعرض للصبيان أدرة وللرجال سقم وقروح في سوقهم ولا يكون الأعمار فيها طويلة ويدخل عليهم الكبر سريعاً في ضمن الازمان وربما أصاب النساء ما يتوهمن أنه حبل ثم يبطل ومياه العيون النابعة من بعض الصخور ردية لانها خاشنة والعيون النابعة من أرض حارة ومن أرض معادن الحديد والنحاس والفضة والذهب والكبريت والشب والزفت والنطرون فان هذه كلها إنما تكون من شدة الحرارة فلا تكون من هذه الأرضين مياه نافعة مصلحة بل تكون عامتها خاشنة يعرض منها ومن شربها عسر البول وشدة الاختلاف ، والمياه التي تنصب عن مواضع مشرفة ومن تلال ترابية أفضل المياه وأصحها وهي حلوة لا تحتاج لكثرة مزاج الشراب وتكون في المشتاء حارة وفي الصيف باردة فهذه حالة المياه النابعة من العيون الغائرة ، وخير هذه المياه السائلة من أفق الشمس ولا سيما الشرق الصيفي لانها بيضاء براقة طيبة الريح ، وكلما كان من المياه مالحاً بطيء النضج خاشناً فان الذين يشربون منه بلا حاجة اليه ليس بنافع لهم وإن بعض الطبائع والاسقام ربما انتفعت به وكلما كان طعم المياه الى الملوحة فكلها ردية مفسدة وكل عين تكون سمت شرق الشمس فماؤها خير المياه ثم بعدها العيون التي بين أفق الشمس القيظي والغرب القيظي وأفضلها المائلة الى الشرق ثم التي بين مغرب الشمس الشتوي والقيظي وأردأها العيون التي في ناحية الجنوب ، فاما العيون التي تنزل أفق الشرق الشتوي والغرب الشتوي فما كان منها ناحية الجنوب فهي ردية جداً وما كان منها ناحية الشمال فهو خير ، فمن كان خاشن البطن فان المياه الخفيفة الصافية له نافعة ولمن كان بطنه ليناً لدناً بلغمياً ضارة فان المياه المالحة تسهل البطن فقد أخطأ الناس في ذلك ، ومياه الامطار خفيفة عذبة والشمس تخطف من الماء رقيقه وخفيفه وتصعد الماء من الانهار والبحور والمواضع الرطبة ولذلك صارت مياه الامطار تعفن وتروح رائحة ردية لانها اجتمعت من رياح شتى فصارت أسرع عفناً وتغيراً فان الرطوبة التي تنشفها الشمس متفرقة لا تزال معلقة

في الهواء فاذا اجتمعت كلها والتفت بالرياح المتضادة اللاقية بعضها بعضاً انصبت حينئذٍ ولاسيما إذا كانت المقايسة كما ينبغي ، واكثر ما يكون هذا إذا استحكم اجتماع السحاب واستقبلته ريح أخرى فمزقته وإذا تزاحمت سحابة أخرى على السحابة الأولى وقطعتها انحدرت حينئذٍ الرطوبة من ثقلها وتمزقها الرياح فتكون الأمطار السابغة ، فهذه المياه أفضل المياه إلا أنه ينبغي أن تكون رائحته ردية ويعرض لمن شرب منها البحة والسعال وثقل الصوت وإذا طبخت لم يغن عنها الطبخ شيئاً ، وأما المياه التي تكون من الثلوج والجليد فكلها ردية لانها إذا جمدت مرة لم ترجع الى طبيعتها الاولى وما كان من الماء خفيفاً عذباً صافياً نقياً أقلت من الجمود وطار وما كان من الماء كدراً بقي على حاله ويعرف ذلك بانه لو صير في اناء في ايام الشتاء وكيل بكيل معلوم ووضع تحت السماء جمد فان وضع في الشمس حتى ينحل ثم كيل ذلك الماء وجد وقد نقص نقصاناً بيناً فذلك العلامة إن لطيف الماء يتنفس ولا يقع عليه الجمود ولا يتنفس ولا يبرح (.....) وماء الثلوج أردى المياه وإذا شرب الناس المياه المختلفة عرض لهم الاسر والحصاة في المثانة ووجع الخاصرة ووجع الوركين وفي الاثنيين أدرة ولاسيما إذا شربوا من مياه أنهار واسعة أو من بحيرة ينصب فيها من سيول شتى مختلفة لان منها العذب والمالح والشبي ومنها ماء السيل من مواضع حارة فاذا شربت عرضت الاسقام ، واللبن الردي يولد الحجارة في مثانات المرضعين والنساء لا تصيبهن الحصاة لان مبالهن واسع .

والقول ﴿ الثالث ﴾ في الازمنة إذا كانت سقيمة أو سليمة ، قال أبقراط إنه إن كان طلوع الكواكب وغيرها على ما ينبغي وكانت مياه كثيرة في الخريف وفي الشتاء يسيرة ولا يكون الضحو كثيراً ولا البرد فوق المقدار فكانت مياهها متعدلة في الربيع وفي القيظ كانت سليمة صحيحة ويصح الهواء ، وإذا كان الشتاء يابساً والربيع كثير الامطار جنوبياً عرض للناس في الصيف الحمى والرمد واختلاف الاغراس لكل ذي طبيعة رطبة ، وإذا كان في وقت طلوع الكوكب الذي يدعى الكلب

وهو الشعرى مطر كثير وشتاء وهبت الرياح على انوائها كفت الاسقام ورجي أن يكون الخريف صحيحاً فان لم يكن ذلك كان الموت في الصبيان وفي النساء وقل في المشيخة فمن نجا عرضت له الحمى الربع وربما آل الى جمع الماء الاصفر وإذا كان الشتاء جنوبياً كثير الامطار والربيع يابساً شمالياً فان النساء الحوامل يسقطن في فصل الربيع فان ولدن كان أولادهن مسقومين إما يموتون من ساعتهم وإما يعيشون مهازيل ، وأما سائر الناس فمنهم من يعرض له الاختلاف ورمد يابس ومنهم من يعرض له النزلات من رأسه الى رئته فاما المبلغمون والنساء فيعرض لهم اختلاف الاغراس ، وأما أصحاب المرة الصفراء (. . . . .) فتعرض لهم النوازل لسخافة جلودهم وذبولة عصبهم وربما ماتوا فجأة وربما يبس جانبهم الايمن ، وما كان من الامصار يقابل شرق الشمس ورياحه سليمة ومياهه غائرة فقل ما يضيره تغير الهواء وكل مدينة يشرب أهلها ماء ساخناً بطاحياً وليست موضوعة تحت الشرق وليست رياحها سليمة ضيّر بأهلها تغير الهواء ، وإن كان الصيف يابساً عاماً ذهبت الامراض سريعاً ، وإن كان كثير الامطار طالت الامراض ، وإن عرض لاحد من الناس قرحة في هذه الاسقام أو البطن أو الماء الاصفر هلك ، وإذا كان الصيف كثير الامطار وكان جنوبياً والخريف كمثل ما كان الشتاء يابساً سقيماً فتعرض للمبلغمين والشيوخ أبناء أربعين سنة حمى تسمى القوسوس ، وأما أصحاب المرة الصفراء فيعرض لهم ذات الجنب ووجع الرئة ، وإذا كان الصيف يابساً جنوبياً وكان الخريف كثير الامطار شمالياً عرض للناس وجع الرأس وسعال وبحوحة وزكام وعرض لبعضهم السل ، وإذا كان الصيف يابساً شمالياً ولم يمطر عند طلوع الشعرى نفع أصحاب البلغم والرطوبات وأضر باصحاب المرة الصفراء وربما نقلهم الى المرة السوداء ، والتغير الكثير يكون في تصرف الشمس والتصرف الصيفي اكثر تغيراً من الشتوي والخريفي اكثر تغيراً من الربيعي ، وكل بلد يكثر تغير زمانه لا يكون مستوياً ويكون فيه

جبال طوال سامية شامخة وكل بلد يقل تغير زمانه فهو مستوي .

ثم يذكر أبقراط اختلاف صور الناس في أحوالهم واعتدال خلقهم والسبب الذي أشبه بعضهم بعضاً وأن ذلك باتفاق الزمان والمطالع ويذكر حال الرجال والنساء في كثرة الأولاد وقلتهم وما يوجب النسل ويقطعه ، ويقولون إن سكان البلاد الشاهقة المستوية الكثيرة المياه تكون صورهم حسنة وأجسامهم جسيمة وتكون غرائزهم الى اللين والتوأدة وليسوا باهل بأس وشجاعة ، ومن سكن أرضاً رقيقة قليلة المياه جرداء وكان مزاج هوائها غير معتدل كانت صورهم خاشنة والوانهم الى الصفرة أو الى السواد وأخلاقهم ردية وغضبهم شديد وطباعهم مخالفة بعضها بعضاً لأن باختلاف الأزمان يكون اختلاف الطبائع ثم بعد الازمان والبلاد الغذاء بالمياه لأن غذاء الانسان من بعد البلاد بالمياه

ثم تكلم أبقراط بعد ذلك في الرياح وهبوبها والتي تهب من موضع الى موضع وقسمها باربعة أقسام ويقول إن الريح من تخلل الهواء وإنما نشؤها من اصطكاك أجرام الهواء فهذه أغراض كتاب أبقراط في الأهوية والأزمنة الذي فسره ﴿ جالينوس ﴾ وشرح ما ذهب اليه أبقراط في فصل فصل ومعنى معنى ، فهذه كتب أبقراط التي عليها يعتمد واليها يرجع وهذه أغراضها وقد فسرها جالينوس وشرح كما فصله له وذهب اليه وأبان عن قوله وترجم معانيه وأوضحها .

فاما كتاب ماء الشعير فانه يذكر فيه الأمراض الحادة التي تسمى وجع الجنب والرئة والبرسام والحمى المحرقة وأخبر كيف يشرب ماء الشعير والأيام التي يكون شربه فيها وكيف يدبَّر ومتى الأوقات التي ينبغي أن يشرب فيها والأوقات التي يمتنع منها وما يكون الطعام عليه وذكر صنوفاً من العلل الحادة والأمراض المحرقة وقال في كل صنف منها .

وأما كتابه الذي يسميه (كتاب الأركان) فان معنى الأركان اي الطبائع الأربع الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وأركان البدن وهو العصب والعروق

والعظام والجلد والدم فهذه اركان بها قوام العالم ، قال أبقراط إن الأجسام لو كانت شيئاً واحداً لم تصل الأوجاع اليها ابداً ولكنها من اشياء مختلفة وطبائع متباعدة مضر بعضها ببعض ، وطبيعة الانسان وسائر الحيوان إذا صارت على هذه الصفة فمن الضرورة أن لا يكون الانسان شيئاً واحداً بعينه وكذلك سائر الطبائع إنما قوامها بالرطوبة واليبس والحر والبرد ويتكلم في هذا بكلام واضح .

وكان لبقراط تلاميذ ترجموا كتبه وبعضهم عمل كتباً ونسبها اليه إقراراً له بالعلم والفضل فمنهم [ديا سقوريدس] صاحب كتاب الأشجار والعقاقير فانه وضع كتاباً في منافع الاشجار وصور كل شجرة بصورتها وذكر ما تنفع له تلك الشجرة ، ومنهم ﴿ ارسجانس ﴾ صاحب (الكناش) الذي فيه صفة البدن ، فكان أحكم حكيم بعده وأهم عالم بالطب وأفهمه لما فسر من كتاب أبقراط هو جالينوس على تباعد ما بينهما من السنين فان بينهما زماناً طويلاً غير أنه كالذي تلا أبقراط في الحكمة ولحق به في العلم وفسر كتبه وعمل كتباً كثيرة من كتب الطب التي عليها المعوّل واليها يرجع وكان رجلاً فيلسوفاً منطقياً حكيماً .

فأول كتب جالينوس كتاب في فرق الطب المخالفة بعضها بعضاً في الجنس وهي فرقة الرأي والفكر والقياس والفرقة الثانية فرقة التجارب والثالثة فرقة الحيل ، وكتاب في الطعام ، وكتاب في نبض العروق ، وكتاب في تشريح العصب ، وكتاب في تشريح العروق والاوراد ، ومقالتان في علل النفس ، وأربع مقالات في الصوت وكتاب في منافع الاعضاء سبع عشرة مقالة ، وكتاب في تشريح الرحم ، وكتاب في علامات العين ، وكتاب في طب أصحاب التجارب ، وثلاث مقالات في حركة الرئة والصدر ، وكتاب التشريح الكبير في خمس عشرة مقالة ، فالمقالة الاولى في العضل والرطوبات التي في اليدين ، والثانية في العضل الذي في الرجلين ، والثالثة في العصب والعروق والاوراد التي في اليدين والرجلين ، والرابعة في العضل الذي

يحرك الخدين والشفتين والعضل الذي يحرك اللحى الأسفل الى ناحية الرأس والى ناحية الرقبة والى ناحية الكتفين ، والمقالة الخامسة في عضل الصدر والعضل الذي على المتنين وعضل عظم الصلب ، والمقالة السادسة في آلات الغذاء وهي الأمعاء والبطن والكبد والطحال والكلى والمثانة والمرارة وما أشبه ذلك ، والمقالة السابعة في تشريح الفؤاد المقالة الثامنة في أجزاء الصدر المقالة التاسعة في تشريح الفؤاد ، المقالة العاشرة في تشريح العينين واللسان والمريء وما يتصل به ، المقالة الحادية عشرة في الحنجرة والعظم الذي يتصل بها والعصب الذي تحتها المقالة الثانية عشرة في تشريح آلات التوليد يعني آلات المني والرحم والمذاكير ، المقالة الثالثة عشرة في تشريح العروق النابضة وهي الشريانان والعروق التي لا تنبض ، المقالة الرابعة عشرة في العصب المنبت من الدماغ ، المقالة الخامسة عشرة في العصب المنبت في الصلب

وله كتاب التشريح غير هذا في عدة مقالات قد ذكر فيها الجلد والشعر والأظفار واللحم والشحم ولحم الوجه والأغشية التي تغشى بعض الأعضاء مثل غشاء القلب والمعدة والكلى والكبد والصفاقات والعضلة الفاصلة بين الصدر والبطن والمجاري والعروق النابضة وفصد العروق ومن أين تبتدىء العروق ومجاري البول فيما بين الكليتين والمثانة الى الذكر ومجراه من المثانة الى السرة في الطفل وأوعية المرة الصفراء والمشاء والمنخرين والمجاري الخارجة من الأذنين وقصبة الرئة وما ينبت منها وينبت في الرئة والأوعية التي في التديين التي فيها اللبن وباقي الأشياء المفرغة التي في البدن التي تحويها الأوعية أي شيء من الرطوبات والاشياء المفرغة في اي شيء من الاوعية وما في الرأس من الشؤون والالتحام وغير ذلك والشؤون التي في الوجه واللحى الأسفل وما فيه من النقب والالتحام والاسفنان والعظم الذي على رأس قصبة الرئة وما يتصل من جنبتي الموضع والعظم العريض الذي في البطن والورك والاضلاع والكتفين والمنكبين وعظم الترقوتين والعضد وعظم الساق وعظام الكف والأصابع وعظم الفخذ والقصر(١) والذي على الركبة وعظم الساق وعظام القدم واشتراك قحف الرأس بالأغشية التي على

(١) القصر بفتحتين جمع القصرة وهو أصل العنق إذا غلظت . (م . ص)

الدماغ والعصب الذي ينبت في الوجه كله والعضل الذي في الصدغين والعضل الذي به يكون المضغ والعضل الذي يحرك الخدين والشفتين واللسان وما يحركه من العضل والعضل الذي يحرك العينين ويذكر الفم والشفتين واللسان واللثة واللهاة وطبق الحلقوم والنغانغ والأنف والمنخرين والأذنين والرقبة والعضل الذي فيها والعضلة التي على الأصابع والعضلة التي تحت الترقوة وطبيعة الرقبة وعضل الحجاب والساعد ويقول في التشريح قولاً هذا غرضه فيه ﴿ ومقالتان ﴾ في علل النفس و (كتاب) القوى الطبيعية في الأفعال النفسانية (ومقالة) في البول من الدم (ومقالة) في الأدوية المسهلة ﴿ وكتاب ﴾ يسميه (آراء أبقراط وأفلاطون) في قوى النفس الناطقة وهي التخييل والفكر والحفظ ، ويقول إن الدماغ مبتدأ العصب والقلب مبتدأ العروق النابضة والكبد مبتدأ العروق التي لا تنبض ، والقوى التي يقوم بها البدن في عشر مقالات (ومنافع الأعضاء) في سبع عشرة مقالة (وكتاب) العناصر يخبر فيه أن الحار والبارد والرطب واليابس عناصر عامية لجميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد والعناصر الأرض والنار والهواء والماء وعناصر بدن الانسان دم وبلغم والمرتان الصفراء والسوداء والعنصر هو أقصى جزء في الشيء الذي هو له عنصر ﴿ وكتاب الأمزجة ﴾ وهو ثلاث مقالات في تصنيف أمزجة أبدان الناس وتركيب البدن الفاضل وخصب البدن والمزاج الردى الذي ليس يستوي وقوى الادوية المركبة والادوية التي يسهل وجودها (وكتاب) حفظ الاصحاء (وكتاب) في الاطعمة (وكتاب) في الكيموس الجيد والردي (وكتاب) في التدبير الملطف (ومقالة) في تصنيف الامراض (ومقالة) في علل الامراض (ومقالة) في تصنيف الامراض (ومقالة) في الغلظ الخارج من الطبيعة (ومقالة) في الامتلاء (ومقالتان) في تصنيف الحميات والامراض الباطنة ﴿ وكتاب ﴾ في أزمان الامراض (وكتاب) في عسر النفس ﴿ وكتاب ﴾ في البحرانات

(وكتاب) في نبض العروق ومعرفة كل واحد من أجناس النبض والأسباب الفاعلة لأصناف النبض ، وتقدمة معرفة في ست عشرة مقالة (وكتاب) حيلة البرء وهو كتاب بين فيه طريق شفاء جميع الأمراض وأتبع ذلك في هذا الفن (مقالة) في العلل الواصلة وهي العلل القريبة التي تصل ما بين العلة البعيدة والمريض (ومقالة) في البول من الدم في البدن (وكتاب) في فرقة أصحاب الحيل (ومقالة) في السل (ومقالة) في علاج صبي يرضع (ومقالة) في تدبير أبقراط للأمراض الحادة ﴿ ومقالة ﴾ في فصد العروق ، وفسر كتب أبقراط في فصل فصل وقول قول وبين الحال الحال فيه .

والذي تلا أبقراط من رؤساء الحكماء [سقراط] رأس الحكماء وأول من لفظ بحكمته ما حفظ عنه وسمع منه ، وحكي أن طيماوس قال له أيها المعلم لم لا تدون لنا حكمتك في المصاحف قال له يا طيماوس ما أوثمك بجلود البهائم الميتة وأشد تهمتك للجواهر الحية الخالدة وكيف وجود العلم من معدن الجهل والسبب مه من عنصر العقل فقال له أيعطبطش — تلميذه — لو أمليت علي كتاباً يخلد عنك فقال الحكمة لا تحتاج إلى جلود الضان ، وقال بعض تلامذته لو زودتنا كتاباً من حكمتك تسبر به عقولنا قال له سقراط لا ترغبن في تدوين حكمة في جلود الشاء حتى يكون ذلك أبلغ عندك من علمك ولسانك ، فلما حضرته الوفاة سأله تلاميذه أن يزودهم حكمة يرجعون اليها فتكلم فى أخلاق النفس ثم تكلم فى الفلك وقال إنه كري وكان قدسقي سماً فمات .

وبعده ﴿ فيثاغورس ﴾ وهو أول من نطق فى الأعداد والحساب والهندسة ووضع الألحان وعمل العود وكان فى زمن ملك يقال له ﴿ اغسطس ﴾ فهرب منه فتبعه وركب فيثاغورس البحر حتى صار الى الهيكل فى جزيرة فاحرقه الملك عليه بالنار وكان لفيثاغورس تلميذ يقال له ﴿ ارشميدس ﴾ فعمل المرايا المحرقة فأحرقت مراكب العدو فى البحر .

ومنهم ﴿ بلينوس ﴾ النجار الذي يقال له « اليتيم » وهو صاحب الطلسمات الذي جعل لكل شيء طلسماً .

ومنهم ﴿ أوجانس ﴾ صاحب الهندسة والقسمة وأنواع الفلسفة وكان يقال له « ديوجانس الكلب » وقيل له لأي شيء سميت الكلب قال لأني أهر على الأشرار وأبصبص للأخيار وآوي الاسواق .

ومنهم ﴿ افليموس ﴾ صاحب « مخانيقا » وهي الحركات التي بالماء مثل الصورة تعمل فيحركها الماء من غير أن يحرك شيء منها ويخرجها من موضع ويحطها في موضع والآلات التي تحرك بالماء من غير أن تحرك فتخرج فيبتلعها وتخرج ايضاً وترتحل محققة وله أشكال ذلك تعمل فتصح .

ومنهم ﴿ افليمون ﴾ صاحب الفراسة وكتاب بين فيه ما يدل عليه الفراسة في الخلقة والأصوات والشمائل وبرهن ذلك .

ومنهم ﴿ ديمقراطيس ﴾ وهو الذي يزعم أن العالم مركب من هباء وله كتاب في طبائع الحيوان وما يوافق منها طبائع الانسان .

ومنهم ﴿ افلاطون ﴾ وكان تلميذاً « لسقراط » وهو الذي تكلم في النفس وصفاتها مثل ما تكلم به أبقراط في الجسد وصفاته فقال إن للنفس ثلاث قوى ، أحدها في الدماغ وبه يكون الفكر والروية ، والثاني في القلب وبه يكون الغضب والشجاعة والثالث في الكبد وبه يكون الشهوة والمحبة ثم اطرد الكلام في الروح النفسانية حتى وصف الأعضاء كلها ثم ذكر ما يصلح النفس وما يفسدها فقال إن كل عيب مضاد خلاص النفس فلا ينبغي أن نعد الحياة صالحة فقط ولكن موتاً صالحاً وينبغي أن نعد الحياة والموت صالحين .

ومنهم ﴿ إقليدس ﴾ صاحب كتاب إقليدس في الحساب وتفسير إقليدس المفتاح على ما قال بطلميوس أنه تقدمة لمعرفة الحساب ومفتاح علم كتاب المجسطي في

النجوم ومعرفة الأوتار التي تقع على قسي قطع الدوائر التي هي أفلاك الكواكب التي يسمها المنجمون الكردجات لتعديل مسير الكواكب في الطول والعرض وسرعتها وابطائها واستقامتها ورجوعها وتشريقها وتغريبها ومساقط شعاعها وعلم ساعات الليل والنهار ومطالع البروج واختلاف ذلك في أقاليم الأرض وحساب القران والاستقبال وكسوف الشمس والقمر واختلاف النظر من آفاق الأرض في جميع نواحي السماء وكتاب [اقليدس] ثلاث عشرة مقالة ولها من الأشكال في هذه الثلاث عشرة مقالة اربعمائة واثنان وخمسون شكلاً بالبرهان والشرح الذي إذا فهمه من يطلب علم الحساب سهل عليه كل باب من الحساب وانفتح له فيبتدي بذكر الأسباب التي منها يزلف العلم ويعرفها يحاط بالمعلوم وهي الخبر والمثال والخلف والترتيب والفصل والبرهان والتمام ، فاما الخبر فهو خبر المقدم على الجملة قبل التفسير ، وأما المثال فهو صورة الاشكال المخبر عنها المدلول بصفتها على معنى الخبر ، وأما الخلف فهو خلاف المثال وصرف الخبر الى مالا يمكن ، وأما الترتيب فهو تأليف العمل المتفق على مراتبه في العلم ، وأما الفصل فهو الفصل بين الخبر الممكن وغير الممكن ، وأما البرهان فهو الحجة على تحقيق الخبر وأما التمام فهو تمام العلم بالمعلوم ﴿ والمقالة الأولى ﴾ في النقطة التي لا جزء لها والخط الذي هو طول بلا عرض وهو سبعة وأربعون شكلاً ﴿ المقالة الثانية ﴾ في كل سطح متوازي الأضلاع قائم الزوايا يحيط به الخطان المحيطان بالزاوية القائمة وهي أربعة وأربعون شكلاً ﴿ المقالة الثالثة ﴾ في الدوائر المتساوية التي أقطارها متساوية والخطوط التي تخرج من مراكزها الى الخطوط المحيطة بها والخط المماس الدائرة الذي يجوزها ولا يقطعها وهي خمسة وثلاثون شكلاً ﴿ المقالة الرابعة ﴾ إذا كان شكل في شكل وكانت زوايا الشكل الداخل تماس أضلاع الشكل الخارج وهي ستة عشر شكلاً ﴿ المقالة الخامسة ﴾ في الجزء الذي هو مقدار الاكبر من المقدار الأصغر من الأعظم إذا كان بعده وهي خمسة وعشرون شكلاً ﴿ والمقالة السادسة ﴾ في السطوح المتساوية

التي زوايا كل سطح منهـا متساوية لزوايا السطح الآخر ، والأضلاع التى تكون تحيط بالزوايا المتساوية متناسبة ، والسطوح المتكافية الأضلاع التى تكون أضلاعها متناسبة وهي إثنان وثلاثون شكلا ﴿ المقالة السابعة ﴾ في الواحد والعدد الزوج الذي ينقسم بقسمين متساويين ، والعـدد الفرد الذي لا ينقسم بقسمين متساويـين ويزيد على الزوج بواحـد والعدد الذى يسمى زوج الزوج وهو الذى كل زوج يعـده بعدة مرات عددها زوج والعدد الذى يسمى زوج الفرد وهو الذى كل زوج يعده بعدة مرات عددها فرد ، والعدد الذى يسمى فرد الفرد وهو الذى كل فرد يعده بعدة مرات عددها فرد ، والعدد الذى يسمى أول هو الذى يعده الواحد فقط ، والأعداد التى كل واحد منهـا أول عنـد الآخر هي التى ليس بها عدد مشترك يعدها جميعاً إلا الواحد فقط ، والعدد المركب هو الذى يعده عدد آخر ، والأعداد التى كل واحد منها مركب عند الآخر هى التى يعدها عدد آخر مشترك لهـا ، والعدد المضروب في عدد آخر هو الذى يضاعف بعدة ما فى المضروب فيه من الآحاد ويكون ما اجتمع عدداً آخر ، والعدد المربـع هو المجتمع من ضرب عـدد فى نفسه ويحيط به عددان متساويان ، والعـدد المكعب هو المجتمع من ضرب عدد فى نفسه ثم فى نفسه ويحيط به ثلاثة أعداد متساوية ، والعـدد المسطح هو الذى يحيط به عددان ، والعدد المصمت هوالذى يحيط به ثلاثة أعداد ، والعدد التام هو المساوى لجميع أجزائه ، والأعداد المناسبة هي التى تكون فى الأول منها من أضعاف الثاني مثل ما في الثالث من أضعاف الرابع ، والأعداد المسطحة والمصمتة المتشابهة هي التى أضلاعها متناسبة ، وهذه المقالة تسعة وثلاثون شكلا ﴿ والمقالة الثامنة ﴾ فى الأعداد التى تلي بعضها بعضاً والطرفين اللذين كل واحد منهما أول عند الآخر وهى خمسة وعشرون شكلا ﴿ والمقالة التاسعة ﴾ في ضرب الأعداد المسطحة المتشابهة وما يكون من ضرب العدد فى العدد المربع والأعداد التى يعـد بعضها بعضاً فى العدد المكعب وما يكون من ضرب المكعب في عدد غير مكعب وما يكون من الأعداد المؤلفة على نسب يتلو بعضها

بعضاً من المربع وكيف يكون المكعب وما يكون من الأعداد المتناسبات من المصمت المكعب والمسطح ، والأعداد التي يعد بعضها بعضاً وكيف يتنقص الأزواج من الازواج والأفراد من الأفراد والأزواج من الأفراد والأفراد من الأزواج وهي ثمانية وثلاثون شكلا ﴿ المقالة العاشرة ﴾ فى الخطوط التي يكون لها مقدار واحد مشترك يقدرها جميعاً يقال لها المتقادرات والخطوط المتباينات التي ليس لها مقدار واحد مشترك يقدرها جميعاً والخطوط المتقادرات التي يكون لمربعاتها سطح واحد يكون مقداراً لها يقدرها وهي مائة وأربعة أشكال ﴿ المقالة الحادية عشرة ﴾ فى المصمت الذي له طول وسمك وسطح وهي أحد وأربعون شكلا ﴿ المقالة الثانية عشرة ﴾ فى السطح الكثير الزوايا المتشابهة التي قدر بعضها عند بعض فى الدوائر كعدد المربعات التي تكون من أقطار الدوائر وهى خمسة عشر شكلا ﴿ المقالة الثالثة عشرة ﴾ وهى آخر مقالات اقليدس في خط يقسم على ذات وسط وطرفين وهي واحد وعشرون شكلا .

ولا قليدس هذا كتاب فى المناظر واختلافها من مخارج العيون والشعاع يقول فيه إن الشعاع تخرج من العين على خطوط مستقيمة وتحدث بعد سموت لا نهاية لكثرتها فان الأشياء التي يقع عليها الشعاع تبصر والتي لا يقع عليها الشعاع لا تبصر ويمثل فى ذلك أشكالا مختلفة يبين بها مخرج النظر وكيف يختلف عدة الأشكال التي يبين بها ذلك أربعة وستون شكلا .

ومنهم [نيقوماخس] الحكيم الفيثاغوري وهو الذي يسمى القاهر عند المفاضلة وهو أبو أرسطاطا ليس وله كتاب [الارثماطيقي] الذى قصد فيه لابانة الأعداد وذكر ما تقدمت به الفلاسفة ، فقال نيقوماخس إن القدماء الأولين الذين أظهروا العلم ونفذوا فيه وكان أولهم فيثاغورس حدوا بان قالوا إن الفلسفة معناها الحكمة وإن اسمها مشتق منها فقالوا الحكمة حقيقة العلم بالأشياء الدائمة وافتن فى صدر الكتاب فى ذكر الحكمة وفضلها وما قالته الحكماء فى فضيلة العلم ثم افتتح كتابه فقال إن جميع ما فى الدنيا من الأشياء

الحكم فى الطبيعة تقديرها إنما هي بالعدد وقد يحقق القياس قولنا إن العدد بمنزلة المثال الذى يحتذى عليه وهو كله بكماله معقول وهذه الأشياء التى تلحقها الكمية وهي أشياء مختلفة فمن الاضطرار أن يكون هذا العدد اللازم بهذه الأشياء مؤلفاً مقدراً على حدته لا من أجل غيره فان كل مؤلف إنما هو من أشياء مختلفة لا محالة ومن أشياء موجودة فان التى ليست بموجودة لا يقدر على تأليفها وما كان منها موجوداً إلا أنها غير متشاكلة يمكن تأليفها والاشياء المؤتلفة إنما تألفت من أشياء موجودة مختلفة متشاكلة لانه إن لم يكن مختلفاً فهو واحد لا يحتاج إلى إيتلاف فان لم يكن متشاكلا فليس بمتجانس وإن ليس متجانساً فانما هو متضاد لا يقع به إيتلاف والعدد هو من هذه الاشياء فان فيه نوعين مختلفين متشاكلين متجانسين وهو الزوج والفرد فان إيتلافهما على حسب اختلافهما تألفاً مشتبكاً لا انقضاء له [فالقول الاول] من الارثماطيقي فى أبواب أحدها حدود العدد وهو ينقسم قسمين يقال لاحدهما الفرد والآخر الزوج فالفرد ينقسم ثلاثة أقسام منه أول غير مركب وهو الذى لا يعده عدد مثل سبعة واحد عشر ومنه ثاني مركب وهو الذى له عدد مثل تسعة وخمسة عشر ومنه ثالث مركب بطبعه وعند الاضافة إلى مركب آخر أول وهما اللذان لكل واحد منهما عدد يعده وليس لهما عند المقايسة عدد مشترك مثل تسعة إلى خمسة وعشرين ، والزوج ينقسم ثلاثة أقسام منه زوج الزوج وهو المنقسم أزواجاً إلى الوحدانية مثل أربعة وستين ومنه زوج الفرد وهو المنقسم مرة واحدة بنصفين ثم يقف مثل أربع عشرة وثماني عشرة ومنه زوج الزوج والفرد وهو الذى لا ينقسم نصفين اكثر من مرة ولا ينتهي إلى الوحدانية وتكلم فى هذا بكلام مشروح [والقول الثاني] فى الكمية المفردة وهو العدد الزائد والعدد المعتدل والناقص فاما الزائد فهو الذى تزيد جملة أجزائه على جملته إذا اجتمعت الاجزاء مثل اثني عشر وأربعة وعشرين فان الاثني عشر لها نصف وثلث وربع وسدس وجزء من اثني عشر فاذا جمعتها زاد العدد ، والمعتدل الذى تعادل جملة أجزائه

جملته مثل ستة وثمانية وعشرين فان لستة نصفاً وثلثاً وسدساً فيكون مبلغه إذا جمع ستة سواء والناقص الذي تنقص جملة أجزائه من جملته مثل ثمانية وأربعة وعشرين فان الثمانية لها نصف وربع وثمن فاذا اجتمع كان سبعة ونقص واحداً وجعل في ذلك أشكالا وأصح القول [القول الثالث] في الكمية المضافة وهي تنقسم قسمين أحدهما المعادلة لما اضيف اليها مثل المائة المعادلة للمائة والعشرة المعادلة للعشرة ومنه الخروج عن الاعتدال وينقسم قسمين أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير ينقسم خمسة أقسام، فمنه المتضاعف مثل اثنين من أربعة وأربعة من ثمانية ، ومنه الزائد جزءً مثل ثلاثة عند أربعة فان الأربعة مثلها ومثل ثلثها ، ومنه الزائد جزءين مثل ثلاثة وهي أول الأفراد إلى الخمسة وهي الثانية من الأفراد فحدث زيادة جزءين ثم على هذا الترتيب تحدث زيادة أجزاء ، ومنه المضاعف الزائد جزءً وهو يظهر بين عددين أحدهما مثل الآخر ومثل جزء منه كالخمسة إذا أضيفت إلى الاثنين فانه مثل مضاعف الاثنين وزيادة جزء ، ومنه المضاعف الزائد جزءين مثل أربعة عند واحد ، والصغير ينقسم على خمسة أقسام منه تحت المضاعف ومنه تحت الزائد جزء ومنه تحت الزائد أجزاء ومنه تحت المضاعف أجزاء ، ثم يقول في الاعداد الثلاثة التي أحدها كبير والآخر وسط والثالث صغير فاذا طلب اعتدالها ألقى من الاوسط مثل الاصغر ومن الاعظم مثل ما بقي من الاوسط ومثل الاصغر فاذا تعادلت الاعداد فقد تمت إضافتها ، ثم يقول فيما يزيد من الاعداد وينقص في المضاعفات ويجعل لذلك شكلا مثلثاً بركنين وفي الشكل واحد وعشرون بيتاً ، فالاول ستة أبيات وأوله واحد ثم يضعفه إلى اثنين وثلاثين ، والثاني خمسة أبيات وأوله ثلاثة ثم يضعفه إلى ثمانية وأربعين ، والثالث أربعة أبيات وأوله تسعة ثم يضعفه إلى اثنين وسبعين ، والرابع ثلاثة أبيات وأوله سبعة وعشرون ثم يضعفه إلى مائة وثمانية ، والخامس بيتان أوله واحد وثمانون ويضعفه فيصير مائة واثنين وستين ، والسادس بيت وهو آخر مائتان وثلاثة وأربعون ، ثم

يقول في العدد المربع الذي يزيد عليه ضعفه ، ثم يتكلم في السطوح والخطوط والنقط ويصف السطوح الثلثة والمربعة والمسدسة والأضلاع التي يقوم بها السطوح ومسائحها ﴿ ثم يقول ﴾ في العدد المخمس ذي الأضلاع المعتدلة المخمسة وكيف نموها ثم المسدسة ثم المسبعة ثم المثمنة ثم يصف كيف تركيبها ويضرب لها جدولاً خمسة في تسعة ويتكلم في أجزاء من المثلثات والمربعات والمخمسات والمسدسات مما له جرم بلا سطح وماله جرم وسطح ﴿ ثم يقول ﴾ في تركيب الأشياء التي تركب من أخلاط شتى [ثم يقول] في الوسائط التي هي ثلاثة أنواع واحد للحساب والثاني للمساحة والثالث لتأليف اللحون ﴿ ويقول ﴾ إن بعض الأولين جعلوها عشراً وبين وسائط الحساب ووسائط المساحة ووسائط اللحون ويتكلم في كل نوع منها بكلام مشروح وبرهان بين .

ومنهم ﴿ أراطس ﴾ الذي عمل صورة الفلك كهيئة البيضة فحكى بها الفلك وصور فيها البروج .

ومنهم ﴿ أرسطاطاليس ﴾ بن نيقماخس الجهراسيني وكان تلميذاً لافلاطون فتكلم في العالم العلوي والسفلي في صلاح العالم وفساده وفي أخلاق النفس وفي حقيقة المنطق ووضع أصول الحكمة وانقسامها وتشعبها فاول كتبه ﴿ كتاب المدخل ﴾ إلى علم الفلسفة وهو الذي يسمى باليونانية « ايساغوجي » فاوله ذكر الحد وماقوام الحد ومن أين اشتق اسم الحد وما فضيلة الحد وما فيه فساد الحد والفرقة بين الحد والمحدود ﴿ والثاني ﴾ ذكر الفلسفة وكيف اشتقت ﴿ والثالث ﴾ كتاب قوى النفس التي هي بالفكر والغضب والشهوة فما خرج عن هذا الاعتدال كان فاسداً ﴿ والكتاب الرابع ﴾ فى المنطق الذي هو أصل الفلسفة ﴿ والكتاب الخامس ﴾ يذكر فيه انقسام الأشياء ضربين ما لابد منه كالغذاء وما منه بد كتنظيف الثوب ﴿ والكتاب السادس ﴾ فى الأمور وهي ثلاثة واجبة كقولك النار حارة وممكنة كقولك زيد كاتب وممتنعة كقولك النار باردة ﴿ والكتاب السابع ﴾ فى الجنس

وهو ثلاثة اقسام جنس العادة وجنس الطبيعة (.....) ﴿ والكتاب الثامن ﴾ يذكر فيه ما لا يتجزأ وهو ينقسم على أربعة إما لأنه لا أجزاء له كالنقطة وإما لصغره كحبة الخردل وإما لصلابته كالحجر وإما أنه لا على أجزاء ﴿ والكتاب التاسع ﴾ فى المناسبة وهو على أربعة إما طبيعة كمناسبة الأب لابنه وإما مهنة كمناسبة التلميذ معلمه وإما مشيئة كمناسبة للصديق صديقه وإما عرضية كمناسبة العبد سيده ، ثم كتبه بعد ذلك فى أربعة أنواع ، أحدها المنطقيات ، والثاني فى الطبائع ، والثالث فيما يوجد مع الأجسام ويواصلها ، والرابع فيما لا يوجد مع الأجسام ولا يواصلها ، وكتبه فى المنطق ثمانية فالأول سمي ﴿ بقاطيغورياس ﴾ وغرضه فيه القول على المقولات المفردة العشر ورسمها بما يميز به كل واحد منها من غيره ومما يعمها ويعم العدة منها وما يخص كل واحد منها فتحد الأشياء التي تقدمها فى الوصف ولشبه منها أن جوهراً محمولا وجوهراً حاملا ليس بجوهري فيه بل عرضي وأن عرضاً حاملا وعرضاً محمولا عليه أي منقولا عليه (.....) ليبين أن جواهر محسوسة وأعراضاً ثواني غير محسوسة مقولة على المحسوسة وأعراضاً محسوسة وأعراضاً ثواني غير محسوسة مقولة على المحسوسة ويبين عن العشرة باعيانها وبرسومها وعوامها وخواصها ، وهذه العشرة الجوهر ثم الكمية ثم الكيفية ثم المضاف ثم الأين ثم المتى ثم الفاعل ثم المفعول ثم الوضع ثم الجدة ، وانما سمي كتاب المقولات لأن هذه الأسماء أجناس وهي مقولة من الأنواع والواحد بمنزلة الجوهر فانه مقول على الجسم والجسم مقول على المتنفس وغير المتنفس والمتنفس مقول على الحيوان والنبات والحيوان مقول على الانسان والفرس والأسد والانسان مقول على زيد وعمرو وخالد التي هي غير متجزئة والفرس على هذا الفرس بالاشارة وذلك الفرس بالشبه والكمية مقولة على المتصلة والمنفصلة وسائر اجزائها وكذلك سائر جميع الأجناس ﴿ والثاني ﴾ هو المسمى بـ « كتاب التفسير » وغرضه فيه القول على التفسير للقضايا المقدمات للمقاييس العلمية أعني الجوامع التي هي أخبار موجبه أو سالبة أو (.....)

ما في أوله فبين عما منه يكون القضايا من الاسم والحرف والقول والتصريف والمخبر عن القول وعن القضايا المؤلفة من اسم وحرف وثالث ورابع كقولنا « النار هي حارة » وما يعرض في ذلك وفي الفحص عن أي القضايا أشد تناسباً الموجبة لسالبتها أم للموجبة الموجبة المضادة لها ، وإنما سماه كتاب التفسير لأنه أراد المقالة على الجزم والبسيط المقول الذي ليس فيه اشتراك اسم وأراد أن يفصل بينه وبين القول الذي ليس بجازم الذي يكذب ولا يصدق وهو تسعة ، الاستخبار كقولك « من أين جئت » والدعاء كقولك « يا فلان اقبل » والراغب كقولك في الأمر (إني أطلب اليك أن تفعل كذا وكذا) والتعجب كقولك في الامر « ما الذي يكون من هذا » (.....) كقولك « أقسمت بالله لتذهبن » والشك كقولك « لعل الامر على ما قيل » والوضع كقولك « تكون هذه الضيعة وقفاً على المساكين » والمجازى كقولك « إن فعلت كذا وكذا أجزتك بكذا » والمقالة قد تلقب القاباً شتى في جهات مختلفة فاذا كان القول يوجب شيئاً لشيء سمي « موجبة » وإذا كان يفلت شيئاً سمي « سالبة » فاما إذا كان مقدماً ليستخرج منه شيء سمي « مقدمة » فاذا كان مستخرجاً من مقدمات قبله سمي « نتيجة » وإذا كانت مقدمات ونتيجتها معها سمي « صيغة » ﴿ والثالث ﴾ المسمى ﴿ انوليطيقا ﴾ ومعناه التفائص ، وغرضه فيه الابانة عن الجوامع المرسلة أعني ما هي وكيف هي ولِمَ هي ، وغرضه النوع الجامع للمعاني الثلاثة وما قيل على الجامعة المرسلة ووجود الجامعة وكيف تركيب الجوامع وكم نوع يكون وما الذي يظهر من صوادقها بذاته وما الذي يظهر من الحركة ﴿ والكتاب الرابع ﴾ المسمى ﴿ ابود قطيقا ﴾ ومعناه الاصلاح ، وغرضه فيه الابانة عن الامور المتضحة البرهانية وكيف هي وما ذا ينبغي أن يؤلف ، ويسمى هذا الكتاب « البيان والبرهان » لانه يصف فيه التميز الذي يميز به الحق من الباطل والصدق من الكذب ، فيقول إن المقدمات على جهة المقدمة المجتمعة عليها المعروفة عند العامة المركبة من الجزءين السابقين في العلم

بمنزلة قول القائل « كل انسان حي » والثانية الموجبة للمجادلة فانها وإن كانت صحيحة في نفسها فانها مجهولة عند العامة وهي تحتاج الى وساطة يعرف بها صحتها بمنزلة قولنا « كل انسان جوهر » ﴿ فأما كتابه ﴾ الخامس المسمى ﴿ طوبيقا ﴾ فغرضه فيه الابانة عن الأسماء الخمسة التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض عن الحد فتعرف مائية الجنس ومائية النوع لئلا يذهب عن أحدها الجنس والنوع فانما يعرف هذا بالفصل الذي يفصل بين النوع والجنس وماخاصية كل واحد منهما أوما الأعراض من الجواهر (وأما كتابه) السادس وهو المسمى ﴿ سوفسطيقا ﴾ فغرضه فيه القول على المغالطة ويقول كم نوع يكون المغالطة ويخبر كيف الاحتراس من قبول تلك الأغاليط ، وهو الذي رد فيه على السوفسطائية (وأما كتابه) السابع وهو المسمى ﴿ ريطوريقا ﴾ ومعناه البلاغة في الأنواع الثلاثة في الحكومة وفي المشورة وفي الحمد وفي الذم والجامع لها التقريظ (وأما كتابه) الثامن وهو المسمى [فوايطيقا] فغرضه فيه القول على صناعة الشعر وما يجوز فيه الشعر ومايستعمل من الأوزان وكل نوع (. . . . .) فهذه اغراضه في كتبه المنطقيات الأربعة المقدمة والاربعة التالية .

فأما كتبه الطبيعية (كتاب) سمع الكيان ، وهو الخبر الطبيعي إنه بين فيه عن الاشياء الطبيعية وهي الخمسة المشتملة على الطبائع كلها التي لا وجود لشيء من الطبائع دونها وهي العنصر والصورة والمكان والحركة والزمان فانه لاوجود لزمان إلا بحركة ولا وجود لحركة إلا بمكان ولا وجود لمكان إلا بصورة ولا وجود لصورة إلا بعنصر وهذه الخمسة منها اثنان جوهران وهما العنصر والصورة وثلاثة أعراض جوهرية ﴿ والثاني ﴾ هو المسمى (كتاب السماء والعالم) وغرضه فيه الابانة عن الاشياء الفلكية غير ذوات الفساد وهي صنفان [أحدها] صنف مستدير الصنعة وحركته الاستدارة وهو الفلك المحيط بالاشياء وهو ركن خامس لا يلزمه الكون ولا الفساد [والصنف الثاني] الفلكي المستدير بالتكوين وإن لم يكن مستديراً بالحركة وهي

الأربعة الاركان (النار ، والهواء ، والأرض ، والماء) فان هذه ليست بمستديرة الحركة بل مستقيمة الحركة مستديرة بالكون ، والمستديرة الكون هي التي يكون بعضها من بعض بالانقلاب بمنزلة الشيء الذي يستدير وينقلب بمنزلة النار التي تستدير وتنقلب فتكون من الهواء والهواء من الماء والماء من الارض وكل واحد من هذه الاركان يستدير بالكون بعضه على بعض فالنار والهواء الى فوق والماء والأرض الى أسفل (وكتابه الثالث) وهو المسمى ﴿ كتاب الكون والفساد ﴾ وغرضه فيه الابانة عن مائية الكون والفساد ككون الماء هواءً والهواء ماءً وكيف يكون وكيف يفسد بالطبيعة ﴿ والكتاب الرابع ﴾ في الشرائع وهو (كتاب المنطق في الآثار العلوية) وغرضه فيه الابانة عن عرض الكون والفساد وكون كل كائن وفساده مما بين نهاية فلك القمر الى مركز الأرض فيما بين الجو وما على الأرض ومافي بطنها وعن الآثار العارضة فيها كالسحاب والضباب والرعد والبرق والريح والثلج والمطر وغير ذلك (وكتاب) في المعادن وهو (الخامس) وغرضه فيه الابانة عن كون الأجرام المتكونة في باطن الأرض وكيفياتها وخواصها وعوامها والمواضع الخاصة بها (والكتاب السادس) في الابانة عن علل النبات وكيفياته وخواصه وعوامه وعلل أعضائه ومواضع الخاصة به وحركاته ، فهذه أغراضه في كتبه الطبيعية .

فاما كتبه النفسانية فهما كتابان فكتابه ﴿ الأول ﴾ منهما كتاب النفس وغرضه فيه الابانة عن مائية النفس وقوامها وفصولها وتفصيل الحس وتعديد أنواعه وفضائل النفس وعاداتها والأمور المحمودة منها والأمور المذمومة منها ، فالمحمودة المنطق والعدل والحكمة والحكم والحلم والشجاعة والقوة والجرءة وشرف النفس والتحرج ، والأمور المذمومة منها الجور والفسق والنفاق والغشم والكذب والنميمة والخيانة (والكتاب الثاني) في الحس والمحسوس والابانة عن علل الحس للمحسوس ، وغرضه فيه أن يخبر ما الحس والمحسوس وكيف يقبل الحس الأشياء المحسوسة وكيف يكون الحس والمحسوس شيئاً

واحداً و هما مختلفان في الأدوات وهل الأشياء بذواتها وأجرامها أم بذواتها دون أجرامها ﴿ ثم كتابه ﴾ في الكلام الروحاني ، وغرضه فيه ذكر الصورة المجردة من الهيولى التي في العالم الأعلى والقوى الروحانية ومعرفة اتصال قوى تلك الصور بالقوى الطبيعية وهل هي بحركة او بلاحركة وكيف يدبر تلك القوى هذه القوى وإن كل واحد من القوى الجرمية الغليظة جزء من تلك الأشياء الشريفة ، وبين ما العقل وما المعقول وما النفس الكلية وما هبوطها وطلوعها (ثم كتابه) في التوحيد فقال إن العلية الثانية علة العلل والدهر تحتها وهي مبدعة الاشياء والابداع لها ، وقال في هذا قولاً بين فيه التوحيد .

فاما كتبه في الخلق (.....) والابانة عن أخلاق النفس والسعادة في النفس والبدن وتدبير العامة والخاصة وتدبير الرجل امرأته والسياسة وتدبير المدن وقصص أهل التدبير للمدن ، فهذه أغراض كتب (أرسطاطاليس) الحكيم المذكورة الشريفة وما بعدها من الكتب فتبع لها .

ومن حكماء اليونانيين ﴿ بطلميوس ﴾ وهو الذي وضع كتاب المجسطي و كتاب ذات الحلق وذات الصفائح وهي الاسطرلاب والقانون فأما كتاب (المجسطي) ففي علم النجوم والحركات وتفسير المجسطي الكتاب الاكبر ، وهو ثلاث عشرة مقالة فابتدأ (المقالة الاولى) من المجسطي بذكر الشمس لانها الاس لا يوصل الى علم شيء من حركات الفلك إلا بها فقال في (الباب الاول) إن الشمس فلك خارج المركز عن مركز العالم قد سمت ناحية منه مصعدة نحو ما يحاذى بها من فلك البروج متباعدة عن مركز الارض ودنت الناحية الاخرى منه منحدرة نحو الارض متباعدة عما يحاذى بها من فلك البروج ، فموضع السمو هو الموضع الذي فيه تبطيء الشمس وموضع الدنو هو الذي فيه تسرع ، ثم تكلم في ذلك بقول واضح (والباب الثاني) في قدر كلية الارض عند كلية السماء (.....) ووضعت وضع الفلك المائل وموضع عمران

الأرض ومقادير ساعاتها فيما بين خط الاستواء الى القطب الشمالي واختلاف ما بين هاذين الموضعين وقدر ذلك الاختلاف في نواحي الأفق من قبل اختلاف مواضع أهل الأرض وحركة الشمس والقمر (والباب الثالث) في الكرة المستقيمة مع قسي فلك البروج المفروضة

والمقالة الثانية ثلاثة عشر باباً ﴿ الباب الأول ﴾ في المواضع المسكونة من الأرض ﴿ والباب الثاني ﴾ في معرفة مقدار ما بين الفلك المستقيم وبين مطلع الفلك المائل من تقويس دائرة أفق المطلع ومقادير النهار في كل يوم في طوله وقصره ﴿ الباب الثالث ﴾ في معرفة ارتفاع القطب وانخفاض الأخرى التي هي مقابلته وهو عرض الاقليم من الصفة والرسوم قبل ارتفاع القطب وما بقي الى منتهى سمت الرؤوس التي في تدوير وسط السماء ﴿ الباب الرابع ﴾ في معرفة مر الشمس في سمت رؤوس أهل البلاد اين يكون ذلك ومتى يكون وفي أي موضع من أجزاء البروج تكون الشمس يومئذٍ فوق رؤوسهم ﴿ الباب الخامس ﴾ في مقدار الظل نصف النهار في برجي الاستواء وبرجي التغير [الباب السادس] في خواص المواضع من طريق ما بين المشرق والمغرب والخطوط التي يوازي بعضها بعضاً في استواء ما بينها من العرض [الباب السابع] في اختلاط مطالع الفلك المائل عن طلوع الفلك المستقيم [الباب الثامن] في جدولة مطالع خطوط أقاليم الأرض ومطلع طريقة خط خط [الباب التاسع] في معرفة طول الليل والنهار من أزمان ساعات الأقاليم ومعرفة مطالع أجزاء البروج والجزء الطالع والجزء المتوسط السماء [الباب العاشر] في الزوايا التي تقع فيما بين الفلك المائل وبين تدوير منتصف النهار الذي في وسط السماء [الباب الحادي عشر] في الزوايا التي تقع بين الفلك المائل وتدوير أفق المطلع الى حد الجنوب من ربع الدوائر في كل اقليم من الأقاليم [الباب الثاني عشر] في الزوايا والتقاويس التي تكون في دائرة الأفق التي تدور على قطب دائرة الأفق في مواضع الأقاليم [الباب الثالث عشر] في وضع جداول القسي والزوايا التي في أقاليم الأرض ، فهذه ابواب المقالة الثانية .

والمقالة الثالثة من المجسطي عشرة أبواب (فالباب الأول) في معرفة مقدار طول السنة وعدد أيامها (والباب الثاني) في وضع الجداول لحركة الشمس الوسطى (الباب الثالث) في معرفة جهات الحركة المستديرة المتفقة (والباب الرابع) في معرفة ما يظهر من اختلاف حركة الشمس في المنظر والرؤية (والباب الخامس) في الابحاث الجزوية عن الاختلاف (الباب السادس) في صنعة فصول جداول القطع الجزوية الاختلاف [الباب السابع] في وضع جداول اختلاف حركة الشمس (الباب الثامن) في معرفة موضع الشمس في مسيرها الاوسط (الباب التاسع) في حساب الشمس ومعرفة حقيقة موضعها (الباب العاشر) في معرفة اختلاف الايام ما بين نهار يوم وليلته وبين نهار يوم آخر وليلته .

المقالة الرابعة من المجسطي أحد عشر باباً (فالباب الاول) من أي الارصاد ينبغي أن يكون البحث عن القمر (الباب الثاني) في معرفة أزمان أدوار القمر (الباب الثالث) في معرفة تقسيم حركات القمر الوسطى (الباب الرابع) في وضع جداول تكون فيها حركات القمر الوسطى (الباب الخامس) في أن الجهتين جهة مركز الخارج وجهة فلك التدوير في حركات القمر يدلان على أمر واحد (الباب السادس) في برهان اختلاف حركة القمر الأولى المفردة (الباب السابع) في تقويم مسير القمر في الطول والاختلاف « الباب الثامن » في معرفة موضع حركات القمر الوسطى في الطول والاختلاف « الباب التاسع » في تقويم مسير القمر الاوسط في العرض وفي ابتدائه « الباب العاشر » في وضع جداول اختلاف القمر المفرد « الباب الحادي عشر » في أي مقدار يكون اختلاف القمر ، فهذه الاربع مقالات تجزي عن جميع ما يحتاج اليه من كتاب المجسطي وتسع مقالات بعدها في صفة المراكز وتقديم حركة التدوير وصنعة جداول الحركة وجداول طول الكواكب .

وكتاب في ذات الحلق فانه ابتدأ بذكر عمل ذات الحلق وهي تسع حلقات بعضها في جوف بعض « إحداهن » ذات علاقة « والثانية » المعترضة فيها من

المشرق والمغرب ﴿ والثالثة ﴾ الحلقة التي تدور بهاتين الحلقتين على ما بين أسفلها الى أعلاها ﴿ والرابعة ﴾ الجارية تحت الحلقة ذات العلاقة ﴿ والخامسة ﴾ حاملة نطاق البروج وفيها تركيب المحور ﴿ والسادسة ﴾ حاملة نطاق البروج الاثنى عشر ﴿ والسابعة ﴾ تحت حلقتي الفلك وهي حلقة مركبة في المحور ليؤخذ بها عرض الكواكب الثابتة الجارية فيما بين أرباع الفلك ، والحلقة ﴿ الثامنة ﴾ جارية في حجري المحور والحلقة ﴿ التاسعة ﴾ مركبة في الحلقة الثانية لمجرى الفلك المستقيم (.....) يحط في الجنوب ويرفع السماء على قدر إسقالة (١) الفلك المستقيم ، ويذكر فيه كيف يبتدأ بعملها وكيف يكتب عليها وكيف تركب كل واحدة في الأخرى وكيف تجزأ وتخطط وتسمر حتى لا تزول وكيف تنصب ، ثم يذكر العمل بها في تسعة وثلاثين باباً ، فالباب ﴿ الأول ﴾ من أبواب مواضع العمل في ذات الحلق والتداوير التي فيها ، والباب (الثاني) في امتحانها ، والباب (الثالث) في أخذ ظل الشمس بها ، والباب [الرابع] إذا أردت أن تأخذ بها عرض اقليم أو مدينة أو موضع ، والباب [الخامس] إذا أردت أن تأخذ بها عرض كل إقليم ما هو ، والباب ﴿ السادس ﴾ إذا أردت أن تعرف النهار كيف يقصر ويطول في السرطان ، والباب « السابع » إذا أردت معرفة مقدار كل يوم من أيام السنة ، والباب « الثامن » إذا أردت معرفة استواء الليل والنهار في الاقليم الأول ، الباب « التاسع » إذا أردت أن تعلم كيف تطلع البروج في الأقاليم باقل من ثلاثين جزءً أو اكثر ، الباب [العاشر] علم رد أجزاء البروج الى جزء الفلك المستقيم ، الباب [الحادي عشر] في معرفة كل برج وكيف يغيب بمطلع نظيره ويطلع بمغيبه في الأجزاء ، الباب « الثاني عشر » إذا أردت أن تعلم كيف تطلع البروج وسط السماء على اختلاف من أجزائها ، الباب

(١) الاسقاله بالكسر ما يربطه المهندسون من الأخشاب والحبال ليتوصلوا بها الى المحال المرتفعة الجمع أساقيل (عامية) (تاج العروس)

« الثالث عشر » إذا أردت معرفة كل برج منها ، الباب (الرابع عشر) إذا أردت معرفة الطالع والأوتاد الأربعة بالنهار من قبل الشمس ، الباب (الخامس عشر) إذا أردت معرفة الطالع بالليل من القمر والكواكب ، الباب (السادس عشر) إذا أردت أن تعلم كم ساعة مضت من النهار ، الباب (السابع عشر) إذا أردت أن تعلم أي ساعة يظهر القمر أو كوكب من الكواكب الثابتة ، الباب (الثامن عشر) إذا أردت أن تعلم ساعات القرانات ، الباب (التاسع عشر) إذا أردت أن تعرف مقدار المشرقين والمغربين في كل بلد ، الباب (العشرون) إذا أردت أن تعلم لكل برج مقدار مطلعه من المشرق ومغربه من المغرب ، الباب « الحادي والعشرون » إذا أردت أن تعلم الكواكب التي تغيب فى كل بلد ، الباب « الثاني والعشرون » إذا أردت أن تعلم الطرائق الخمس التي ذكرها الحكماء فى الفلك فى كل بلد ، الباب « الثالث والعشرون » إذا أردت أن تعرف الأقاليم السبعة ، الباب « الرابع والعشرون » إذا أردت معرفة كل إقليم منها ، الباب « الخامس والعشرون » إذا أردت أن تعرف كيف يكون النهار الأقصر إذا صارت الشمس فى الجدي فى الموضع الذي يكون عرضه ثلاثة وستين جزءً وذلك أقصى ما يسكن من ناحية الشمال ويكون النهار أربع ساعات ونحوها وليله عشرين ساعة ويكون النهار الأطول فيه عشرين ساعة وليله أربع ساعات وهي جزيرة يقال لها جزيرة تولى من ارض أوربيا وهي شمالي أرض الروم الباب « السادس والعشرون » إذا أردت أن تعرف المواضع التي تغيب عنها الشمس ستة أشهر فيكون ظلمة راتبة وتطلع عليه الشمس ستة أشهر فيكون ضوءً راتباً وهوالوضع الذي يحاذي محور الشمال ، الباب « السابع والعشرون » إذا أردت أن تعلم كل كوكب من الكواكب الثابتة من أي جزء من أجزاء البروج التي تطلع فى كل موضع تريد من الأرض ، الباب « الثامن والعشرون » إذا أردت أن تعلم كم جزء بين رأس الحمل والطالع من أجزاء المطالع فى كل بلد ، الباب [التاسع والعشرون]

إذا أردت أن تعلم لكل مدينة وبلد من أي الأقاليم هي ، الباب ﴿ الثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعلم عرض القمر او كوكب من الكواكب ، الباب (الحادي والثلاثون) إذا أردت أن تقوم خط وسط السماء في موضعه من سمت كل بلد ، الباب ﴿ الثاني والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف طول الكواكب وعرضها بعد معرفتك بجري وسط السماء ، الباب ﴿ الثالث والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف موضع رأس التنين وذنبه وهل تلتقي بفلكي الشمس والقمر ، الباب ﴿ الرابع والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف المطالع من قبل ساعات المأ ، الباب ﴿ الخامس والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف مجرى الفلك الذي فيه الكواكب الثابتة ، الباب ﴿ السادس والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف تشريق الكواكب وتغريبها ، الباب ﴿ السابع والثلاثون ﴾ إذا أردت أن تعرف طول مدينة من المدن ، ﴿ الباب الثامن والثلاثون ﴾ في معرفة أجزاء طول المدن ، الباب ﴿ التاسع والثلاثون ﴾ في استخراج القوس من حساب الجبر ، فهذه ابواب ذات الحلق .

وكتاب في ذات الصفائح ، وهي ﴿ الاصطرلاب ﴾ فانه يبتدئ بذكر عملها وكيف تعمل وحدودها ومقاديرها وتركيب حجرها وصفائحها وعنكبوتها وعضادتها وكيف تجزأ وتقسم وتحفظ على قسمة أجزائها ومقنطراتها وميلها ، ويشرح ذلك ويصفه صفيحة إقليم إقليم وطول كل إقليم وعرضه ومواضع الكواكب والساعات فيها والطالع والغارب والمائل والجنوبي والشمالي ورأس الجدي ورأس السرطان ورأس الحمل ورأس الميزان ، ثم يذكر العمل بها ، فالباب (الأول) إمتحانها حتى تصح ، والباب « الثاني » في امتحان طر في العضادة ، الباب « الثالث » في علم ما مضى من النهار من ساعة وأي برج ودرجة الطالع ، الباب « الرابع » في علم ما مضى من ساعات الليل وما الطالع من البروج والدرج ، الباب « الخامس » في معرفة موضع الشمس من البروج والدرج ، الباب « السادس » في علم مواضع القمر في أي برج ودرجة

هو وأين الكواكب السبعة ، الباب « السابع » في علم عرض القمر ، الباب « الثامن » في علم مطالع البروج الاثنى عشر في الأقاليم السبعة ومعرفة كل برج منها ، الباب « التاسع » في قطع المطالع للفلك المستقيم وما يصيب كل درجة من درج السواء ، الباب « العاشر » في علم ساعات الليل والنهار كم تكون في كل زمان في كل إقليم ، الباب « الحادي عشر » في علم مقدار نهار كل كوكب من الكواكب الثابتة وما يجري في الفلك من حين طلوع الكواكب الى حين غروبها الباب « الثاني عشر » فى معرفة طول الكواكب وعرضها ، الباب « الثالث عشر » فى معرفة زوال الكواكب الثابتة فانها تزول فى كل سنة من سني القمر درجة ، الباب « الرابع عشر » فى معرفة ميل البروج عن خط الاستواء الذي هو مدار الحمل والميزان الباب « الخامس عشر » فى معرفة المدائن أيها أقرب الى الشمال والى الجنوب ، الباب « السادس عشر » فى معرفة أقرب المدائن من المشرق وأقربها الى المغرب ، الباب [السابع عشر] فى معرفة عرض كل إقليم ، الباب [الثامن عشر] فى علم أي إقليم أنت فيه ، الباب [التاسع عشر] في علم عرض الاقليم وأي المدائن أردت ، الباب [العشرون] فى علم تقدير الطرائق وهي خمس وكيف مجاريها ، ويشرح فى كل باب من هذه الأبواب شرحاً طويلاً بين فيه ما يحتاج اليه والى معرفته ، فهذه أغراضه في ذات الصفائح .

وأما كتابه ﴿ القانون ﴾ فى علم النجوم وحسابها وقسمة أجزائها وتعديلها فمن أتم كتب النجوم وأوضحها ، وكان أول ما ابتدأ به فى ذكر دور السماء التي تدور فيها هذه الكواكب ﴿ باب ﴾ فى علم مسير الكواكب فى كل يوم ، فيقول إن مسير الشمس فى كل يوم يكون تسعاً وخمسين دقيقة ومسير أوج القمر سبع دقائق ومسير رأس التنين وهو الجوزهر ثلاث دقائق ومسير زحل دقيقتان ومسير المشتري خمس دقائق ومسير المريخ إحدى وثلاثون دقيقة ومسير الزهرة درجة وست وثلاثون دقيقة ومسير عطارد أربع درج وخمس دقائق ومسير قلب الأسد ست ثواني [وباب]

في علم أوساط الكواكب وتقويمها وتعديلها إذا كانت لا يمكن أن تقوم إلا باوساطها ﴿ وباب ﴾ في تحريك أرباع الفلك على ما ذكر أصحاب الطلسمات أن أرباع الفلك تتحرك ثمانية أجزاء مقبلة وثمانية أجزاء مدبرة والجزء درجة فتقبل في كل ثمانين سنة وتدبر على كل ثمانين سنة جزءً « وباب » في ميل الشمس وعرض الكواكب الستة وتباعدها من خط الاستواء الى الشمال والى الجنوب ، ووضع لكل كوكب منها في ذلك جدولاً ، أما ميل الشمس فميلها عن خط الاستواء وأما ميل عرض الكواكب فتباعدها من مسير الشمس « وباب » في مقام الكواكب السبعة ورجوعها وكيف يلتمس على ذلك من زحل والمشتري والمريخ إذا كان بين كل واحد منها وبين الشمس مائة وعشرون أو مائتان وأربعون درجة ومن الزهرة وعطارد إذا تباعدا من الشمس تباعدها الأكبر فكان بين الزهرة وبينها ست وأربعون درجة وبين عطارد ثلاث وعشرون درجة « وباب » في طلوع الكواكب السبعة من تحت شعاع الشمس ومغيبها من بين يديها ومن خلفها « وباب » في تقويم الساعات وتعديلها وإخراجها من الساعات المعوجة الى الساعات المستوية « وباب » في علم عرض المدائن وطولها ، وقسم مدائن العالم بين الأقاليم السبعة فجعل لكل مدينة طولاً وعرضاً وجعلها في جدول سماه جدول المدائن ووضعه على ثلاثة أبواب ، فالباب ﴿ الأول ﴾ فيه تسمية المدائن ، والباب « الثاني » طول كل مدينة ، والباب « الثالث » عرض كل مدينة وهو انحرافها عن حد رأس الجدي والميزان الى الشمال ، ووضع لكل إقليم عرضه وهو انحراف وسطه عن رأس الحمل والميزان الى الشمال ، وأثبته على رأس جدول مطالعه ، فاذا أردت عرض مدينة من مدائن العالم وكانت مما قد أثبته في تسمية المدائن وإلا نظر الى عرض أي إقليم هو أقرب فاي إقليم وجد عرض تلك المدينة أقرب الى عرضه فتلك المدينة من ذلك الاقليم « وباب » فيه عرض كل إقليم ، فقال « الأول » ست عشرة درجة ودقيقة « والثاني » ثلاث وعشرون درجة وإحدى عشرة دقيقة

﴿ والثالث ﴾ ثلاثون درجة واثنتان وعشرون دقيقة ﴿ والرابع ﴾ ست وثلاثون درجة ﴿ والخامس ﴾ أربعون درجة وست وخمسون دقيقة (والسادس) خمس وأربعون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة (والسابع) ثمان وأربعون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة (وباب) ذكر فيه انحراف القمر وهو الذي يسمى ﴿ البراكفيس ﴾ وأخبر أنه رؤية القمر وذلك أن للقمر موضعين مختلفين أحدهما موضع رؤيته والآخر منزلته المعتدلة (وباب) فى اجتماع الشمس والقمر والاستقبال وكيف يحسب لذلك حتى يصح (وباب) فى كسوف القمر ونواحيه (وباب) فى كسوف الشمس وكيف يحسب فى وقت الاجتماع (وباب) في تعديل ما يوجد بجداول الكواكب والطالع وغير ذلك (وباب) من التعديل فى استخراج الطالع وفيه مائة وثمانون جدولاً وبين كل قول بالأشكال .

وتسمية ملوك اليونانيين والروم وما ملك كل ملك على ما بينا من أسمائهم آخر هذا الفصل

ملوك اليونان والروم

وكان أول ملوك اليونانيين — وهم أولاد يونان بن يافث بن نوح ، وهو أول من سماه بطلميوس فى القانون من ملوكهم — ﴿ فيلفوس ﴾ وكان جباراً عاتياً وكان ملكه سبع سنين . ثم ملك ابنه ﴿ الاسكندر ﴾ وهو الذي يقال له ذوالقرنين واسم أمه المفيدا ، وكان معلمه (أرسطاطاليس) الحكيم فجل قدر الاسكندر وعظم ملكه واشتد سلطانه وأعانته الحكمة والعقل والمعرفة ، وكان معه نجدة وبأس وهمة عالية دعته إلى أن كتب الى ملوك الأقاليم والآفاق يدعوهم الى طاعته ومن كان قبله من ملوك اليونانيين يؤدي الى ملوك أرض بابل من الفرس خرجاً لجلالة تلك المملكة وعظم قدرها وصغر الممالك فى جنبها ، فلما كتب الى ملك فارس يدعوه الى طاعته عظم عليه فسار الاسكندر حتى أتى أرض بابل وملك الفرس يومئذ ﴿ دارا بن دار ﴾ فحاربه حتى قتله وحوى خزائن ملكه وتزوج ابنته ثم صار الى أرض فارس وقتل من

بها من المرازبة والرؤساء وافتتح البلاد ثم صار الى أرض الهند فزحف اليه ﴿ فور ﴾ ملك الهند فحاربه حتى قتله ثم صير الاسكندر على الهند ملكاً من قبله من أهل الهند يقال له « كيهن » وانصرف فشرق وغرب ثم رجع إلى أرض بابل بعد أن دوخ الأرض فلما صار في أداني العراق مما يلي الجزيرة اعتل فاشتدت علته فلما يئس من نفسه وعلم أن الموت قد نزل به كتب إلى أمه كتاباً يعزيها عن نفسه وقال لها فى آخره إصنعي طعاماً واجمعي من قدرت عليه من نساء أهل المملكة ولا يأكل من طعامك من أصيب بمصيبة قط ، فعملت طعاماً وجمعت الناس ثم أمرتهم أن لا يأكل من أصيب بمصيبة قط فلم يأكل أحد فعلمت ما أراد ، ومات الاسكندر بموضعه الذي كاتب منه فاجتمع أصحابه فكفنوه وحنطوه وصيروه فى تابوت من ذهب ثم وقف عليه عظيم من الفلاسفة فقال : هذا يوم عظيم كشف الملك عنه وأقبل من شره ما كان مدبراً وأدبر من خيره ما كان مقبلاً فمن كان باكياً على ملك فعلى هذا الملك فليبك ومن كان متعجباً من حادث فمن هذا الحادث فليتعجب ، ثم أقبل على من حضره من الفلاسفة فقال : يا معاشر الحكماء ليقل كل امرئ منكم قولاً يكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً ، فقام كل واحد من تلامذة أرسطاطاليس فضرب بيده على التابوت (ثم قال) أيها المنطيق ما أخرسك أيها العزيز ما أذلك أيها القانص أنى وقعت موضع الصيد فى الشرك من هذا الذي يقنصك (ثم قام آخر) فقال : هذا القوي الذي أصبح اليوم ضعيفاً والعزيز الذي أصبح اليوم ذليلاً (وقام آخر) فقال : قد كانت سيوفك لا تجف ونقماتك لا تؤمن وكانت مدائنك لا ترام وكانت عطاياك لا تبرح وكان ضياؤك لا يكف فاصبح ضوؤك قد خمد ونقماتك لا تخشى وأصبحت عطاياك لا ترجى وأصبحت سيوفك لا تنتضى وأصبحت مدائنك لا تمنع (ثم قام آخر) فقال : هذا الذي كان للملوك قاهراً فقد أصبح اليوم للسوقة مقهوراً (وقام آخر) فقال : قد كان صوتك مرهوباً وكان ملكك غالباً فاصبح الصوت قد انقطع والملك قد اتضع (وقام آخر) فقال : ألا امتنعت من الموت

إذ كنت من الملوك ممتنعاً وهلا ملكت عليه إذ كنت عليهم مملكاً (وقام آخر) فقال : حركنا الاسكندر بسكونه وأنطقنا بصموته [وتكلموا] بنحوهذا الكلام ثم أطبق التابوت وحمل الى الاسكندرية فتلقته أمه بعظماء أهل المملكة فلما رأته قالت : يا ذا الذي بلغت السماء حكمته وحاز أقطار الأرض ملكه ودانت الملوك عنوةً له مالك اليوم نائماً لا تستيقظ وساكتاً لا تتكلم من يبلغك عني بانك وعظتني فاتعظت وعزيتني فتعزيت فعليك السلام حياً وهالكاً فنعم الحي كنت ونعم الهالك أنت ، ثم أمرت به فدفن ، وكان ملك الاسكندر مع ما نال من الدنيا اثنتي عشرة سنة .

ثم ملك بعد ذي القرنين ﴿ بطليوس ﴾ خليفة الاسكندر وكان حكيما عالماً وكان ملكه عشرين سنة ، ثم ملك ﴿ فيلفوس ﴾ وكان جباراً فاشتد سلطانه وعتا في ملكه وفي أيامه عملت الطلسمات ، وكان ملكه ثماني وثلاثين سنة ، ثم ملك ﴿ هورحيطوب ﴾ الأول خمساً وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ فيلوبطور ﴾ سبع عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ فيفانس ﴾ أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ فيلوبطور ﴾ الثاني خمساً وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ هورحيطوب ﴾ الثاني سبعاً وعشرين سنة .

ملوك الروم

ثم صار الملك من بعد اليونانيين — أولاد يونان بن يافث بن نوح — الى الروم وهم ولد روم بن سماحير بن هوبا بن علقا بن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم « ع » فغلبوا على البلد وتكلموا بلغة القوم وانتسبوا الى الرومية ودرست اليونانية إلا ما بقي في أيدي هؤلاء من فضل حكمهم ، وكان أول من ملك من الروم بعد اليونانيين ﴿ فها ساطق ﴾ وهو جاليوس الأصغر بن روم وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ أغسطس ﴾ فلما أتى لملكه سنة ولد المسيح « ع » واتصل ملك أغسطس ثلاثاً وأربعين سنة ، ثم ملك ﴿ طباريس ﴾ اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملك ﴿ جايس ﴾ أربع سنين ، ثم ملك ﴿ قلوديس ﴾ أربع عشرة سنة ،

.... (١) .... ثم ملك ﴿ اسفسيانوس ﴾ عشر سنين وكان أهل مملكته يسمونه الآله ووجه ابناً له يقال له « ططوس » الى بيت المقدس فحصرها أربعة أشهر وكان قد اجتمع اليها فى عيد من أعياد اليهود خلق عظيم فاشتد عليهم الحصار حتى أكلوا الصبيان ومات اكثرهم من الجوع ثم افتتحها فقتل وسبى وأحرق الهيكل بالنار ، ثم ملك ﴿ ططوس ﴾ ثلاث سنين وانشق في زمانه جبل يقال له أبرمور وخرجت منه نار أحرقت مدناً كثيرة ، ثم ملك (دو مطيانوس) خمس عشرة سنة وفي زمانه ظهر « أبو لوس » صاحب الطلسمات من أهل طوانة ووثب بدو مطيانوس أهل مملكته فقتلوه ، ثم ملك ﴿ يودس ﴾ « ٢ » سنة واحدة ، ثم ملك ﴿ طريانوس ﴾ تسع عشرة سنة ، ثم ملك (ادريانوس) إحدى وعشرين سنة ووثب به يهود بيت المقدس فامتنعوا أن يؤدوا اليه الخراج فوجه اليهم من قتلهم وأمر بقتل من بقي منهم ببيت المقدس ، ثم ملك (هيلوس انطونينوس) ثلاثاً وثلاثين سنة ، ثم ملك (مرقس انطونينوس) خمساً وعشرين سنة ، ثم ملك (الاسكندر) بن ماميا ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ مكسيميانوس ﴾ ثلاث سنين ، ثم ملك ﴿ جورد يانوس ﴾ ثلاث سنين ، ثم ملك ﴿ فيلفوس ﴾ سنتين ، ثم ملك ﴿ ديقيوس ﴾

(١) بياض فى الأصل ، وذكر المسعودي فى التنبيه والاشراف المطبوع أنه ملك بعده ابنه « نيرون » بن قلوديس ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم ملك (غلباس) سبعة أشهر ثم ملك (اوثون) ثلاثة أشهر ، ثم ملك (بيطاليس) ثمانية اشهر ، ثم ملك بعده [اسفسيانوس] المذكور ، ولكنه فى كتابه مروج الذهب يقول إن الذي ملك بعد نيرون اسفسيانوس وابنه ططوس مشتركين فى الملك ثلاث عشرة سنة .

« ٢ » كذا فى الأصل ، وفى التنبيه والاشراف سماه [نرواس قيصر] وقال إنه ملك سنة وخمسة أشهر وفي مروج الذهب سماه ﴿ يونوس ﴾ وقال إنه ملك سنة .

[م . س]

سنة واحدة ، ثم ملك (جالوس) ثلاث سنين ، ثم ملك (ولريانوس) ست سنين ... (١) ... ثم ملك (قروس) سبع سنين ، ثم ملك (دقليطيانوس) عشرين سنة ، ثم ملك (قسطنطين ومكنيوس) عشر سنين .

وكانت ملوك اليونانيين ومن ملك بعدهم من الروم مختلفة فطائفة منهم على دين الصابئين وكانوا يسمون الحنفاء وهم الذين يقرون ويعترفون بخالق ويزعمون أن لهم نبياً مثل « اورانى وعابيد يمون وهرمس » وهو المثلث بالنعمة ، ويقال إنه إدريس النبي وهو أول من خط بالقلم وعلم علم النجوم ، ويقولون في الخالق جل وعز على قول هرمس إما أن يعقل الله فعسرا وأن ينطق به فلا يمكن وإن الله علة العلل المكون للعالم جملة واحدة ، وطائفة منهم أصحاب « زينون » وهم السوفسطائية وتفسير هذا الاسم باليونانية المغالطة وبالعربية التناقضية ، يقولون لا علم ولا معلوم ﴿ واحتجوا ﴾ باختلاف الناس وانتصاف بعضهم من بعض ﴿ وقالوا ﴾ نظرنا في أقوال الناس المختلفين فوجدناها مختلفة غير متفقة وأصبناهم في اختلافهم مجتمعين على أن الحق مؤتلف غير مختلف وأن الباطل مختلف غير مؤتلف ، وكان في اجتماعهم شاهد لهم أنهم لم يعلموا بالصواب فلما أقروا بهذا لم يبق للحق موضع يطمع في إصابته إلا في الخاصة منهم فعلمنا أن ذلك لا يوجد إلا باحد وجهين إما بالتسليم للمدعي وإما بالكشف لدعواه فنظرنا في الدعوى فأصبنا بما يعمهم فلم نجز تصديقهم لخلتين إحداهما أن يكذب بعضهم بعضاً والأخرى إجماعهم على أنهم لم يعلموا بالصواب فلم يبق إلا كشف الدعوى ففعلنا فأصبناهم أهل تكائؤ وتجار بدور الغلبة عليهم جميعاً بالاستواء بينهم تقوى هذه مرة ومخالفتها أخرى

(١) بياض في الأصل ، وفي التنبيه والاشراف أنه ملك بعد ولريانوس (طاقطوس) وعاضده على الملك أخوه (فوروس) ملكا تسعة أشهر ثم ملك (بروبس) تسع سنين ثم ملك « قروس » المذكور ، ومثل ذلك في تاريخ الكامل لابن الأثير « ج ١ » ويختلف ما ذكراه مع مافي مروج الذهب فراجع [م . ص]

فلم نصب عند طائفة منهم فضلاً ولا تشارك فيه ولا حاجة ولا تساوي بها ولا تجاري فيها فلما أعوز وجود الحق في عامتها وخاصتها بالدعوى بالمناظرة لم يبق للعلم موضع يوجد فيه ولا للحق مذهب يصاب منه فقضينا أنه لا علم ولا معرفة لأن الشيء إذا كان ثابتاً لا محالة فلا بد من الاحاطة في الاتفاق أو في الاختلاف فلا يذكر ذاكر وهو غائب فقال فلان غائب فاصابه فلو قال هو أو غيره فلان حاضر وليس بحاضر فخرج من الصدق ثم خالفه مخالف فقال بل هو غائب فكان أحدهما صادقاً لا محالة لأنه لا يعدو إذا كان الشيء ثابتاً حقاً أن يكون حاضراً أو غائباً فاذا لم يكن شيئاً فكلاهما كاذب فيما قال من أنه حاضر أو غائب لأن الحاضر شيء والغائب شيء فان لم يكن شيئاً فليس بحاضر ولا غائب ، واحتجوا بنحو هذا (. . . . .) آخر فقالوا إن كانت الأشياء كلها تدرك بالعلم والعلم بالعلم فالى نهاية أو الى لانهاية فان تناهى فالى غير معلوم وما لم يكن معلوماً فهو مجهول فأنى تعلم الأشياء بمجهول فان لم تتناه ولم تكن لذلك غاية فلا إحاطة به وما لم يحط به فمجهول أيضاً فكان الوجهان في هذا القياس مجهولين غير معلومين فأنى يعلم شيء مجهول دون أن يعلم جميع الأشياء وذلك أبعد ، وشققوا في هاذين النوعين وكثر سعيهم وعظمت مؤنتهم ﴿ وقالت طائفة ﴾ تسمى الدهرية لا دين ولا رب ولا رسول ولا كتاب ولا معاد ولا جزاء بخير ولا بشر ولا ابتداء لشيء ولا انقضاء له ولا حدوث ولا عطب وإنما حدوث ما سمي حدثاً تركيبه بعد الافتراق وعطبه تفريقه بعد الاجتماع وجميع الوجيين في الحقيقة حضور غائب ومغيب حاضر ، وإنما سميت الدهرية لزعمها أن الانسان لم يزل ولن يزول وأن الدهر دائر لا أول له ولا آخر « واحتجوا » فيما ادعوا بان قالوا إنما يعرف في وجود الشيء وفقده حالان لا ثالث لهما حال الشيء فيها موجود فأنى يحدث ما قد كان ووجد وحال لا شيء فيها فأنى يكون الشيء في حال لا تشبيه لها وذلك أبعد وكذلك القول في المدعي من العطب لا يعرف غير حالين ، حال الشيء فيها قائم فمحال قول من ادعى العطب للشيء في حال كونه وقيامه ، وحال لا شيء فيها فأنى يكون

العطب الأدنى وذلك محال فان أقرّ مخالفونا بصدقنا دخلوا في قولنا ونقضوا قولهم فان أنكروا قولنا ادعوا حالاً ثالثة لا عدم فيها ولا وجود فذلك أقبح الثلاثة حالة ﴿ وقالت فرقة ﴾ منهم إن أصل الأشياء في الأزلية حبة كانت فانفلقت فبدا منها العالم على ما ترى من اختلافه في ألوانه وإحساسه ﴿ وزعم بعضهم ﴾ أنه غير مختلف في معانيه وإنما تختلف معانيه من جهة إحساسه ﴿ وأنكر بعضهم ﴾ ذلك وأثبتوا له اختلافاً في معانيه وتحقيقه ، وقالت المنكرة لتحقيق الاختلاف الأشياء إنما تختلف باختلاف الاحساس لها وإنه لا حقيقة لشيء منها تبين بها دون غيرها ﴿ وادعوا ﴾ من الدلالات في ذلك أن أهل المرض الحادث من الصفراء مثل أصحاب اليرقان إذا ذاق أحد منهم العسل وجده مراً وأهل السلامة من هذا الداء يجدونه حلواً فان الخفاش يغشيه ضوء النهار ويذكي بصره الليل ، فان كان النور يزيد الأبصار نوراً والظلمة مغشية لها وجب أن يكون نور النهار الظلمة للخفاش وغيرها تغشي بصره النار وقد يوجد ذلك في بعض الناس وغيرهم من الحيوان والطير وغيره ، وإن الليل إذا كان مذكياً للأبصار على ما وصفنا فليلها نور كما أن النهار نور لمن خالفها والليل ظلمة لها (فان قلتم) إن ذلك لآفة دخلت على هذه الأصناف (قلنا لكم) عند من خالفهم أو عند من وافقهم ﴿ فان قلتم ﴾ عند من خالفهم ﴿ قلنا ﴾ بل الآفة دخلت على من وافقهم (فان قلتم) عند من وافقهم (قلنا) بل الآفة دخلت على من خالفهم عندهم فلا فضل لأحد الصنفين على أحد ﴿ وقالوا ﴾ ألا ترون الكاتب يكتب الكتاب عدلاً مستقيما فيراه كذلك من قبل وجهه فان نظر اليه من خلفه رآه بخلاف ما كان يعرف وإن ازور عنه معوجاً أو خالفه رآه مخالفاً كما تكتب الألف في صورة تميز من جميع الحروف فاذا استقبلتها رأيتها ألفاً وإذا استدبرتها رأيتها كالباء وإذا انحرفت عنها رأيتها كالنون أو كالباء ، وإن الغائب عن موضعه حاضر موضعاً آخر ، وكذلك القول في الالوان والأصوات والطعوم والأعيان والملابس كما ترى الشخص من قرب كبيراً وصغيراً من

بعد كلما قرب الداني منه ازداد كبراً وكلما بعدمنه ازداد صغراً في عينه ، وكذلك الصوت يسمع من قريب قوياً ومن بعيد خفياً وكذلك الطعم تذوق الشيء قليلاً فتجده قليل الحلاوة فاذا زدت منه طعمه .. (١) .. وكذلك اللمس تحس الشيء قليلا فتجده فاتراً وتلمسه شديداً فتجده حاراً ، وترى الصورة من قريب ثابتة مختلفة فيزداد الرأي لها بعداً فيرى أنها مستوية غير مختلفة ﴿ وزعموا ﴾ أن جميع الأشياء تدور على التكافؤ والتجاري وكادوا أن يحلفوا بالسوفسطائية ﴿ وقالت طائفة أخرى ﴾ إن الأشياء فروع لأصول أربعة لم تزل ولا تزول فولدت وظهر العالم منها وهي الأفراد السوادج الحر والبرد والرطوبة واليبس تثبت بانفسها لا باعتماد ولا إرادة ولا مشيئة (وقالت طائفة أخرى) إن الأصول أربعة وهي أمهات ما في العالم ومعها خامس لم يزل ولا يزول يدبرها ويؤلف بينها بارادة ومشيئة وحكمة ويؤلف بين زوجاتها ويتولد نتائجها عنه لا يمنع أضدادها من القرب بعضها من بعض وهو العلم ﴿ وقالت طائفة ﴾ وهم أصحاب الجوهر وهم الأرسطاطاليسية إن الأشياء شيئان جوهر وعرض والجوهر ينقسم قسمين حي ولا حي وحده القائم بنفسه وافتراقه في الخاصة لا في الحد ، والعرض تسعة فمنها الكمية وهو العدد وصورها أربع الكيل والمساحة والوزن والقول ، ثم الكيفية وصورها ثمان الكون والفساد والهيئة والحيلة والقوة والضعف والألف والمألوف ، ثم الاضافة وصورها أربع طبيعي وصناعي واستحسان ومودة ، ثم متى وهي الواقعة على الوقت يعني بالوقت الزمان وصور الزمان ثلاثة الماضي والمستقبل والدائم ، ثم أنى وهي الواقعة على المكان الست جهات يعني أمام وخلف وأعلى وأسفل ويمين ويسار ، ثم الجدة وهي الملك وصورة الملك قسمان إما خارج وإما داخل فمعنى خارج مثل الملوك والدار والأثاث ونحوه ومعنى داخل مثل العلم والحكمة ، ثم النصبة ومعنى النصبة هيئة الشيء كقول القائل فلان قائم وفلان قاعد وفلان ذاهب وفلان جاء ، ثم الفاعل فهو قسمان إما أن يفعل بالاختيار

(١) بياض في الأصل ولعل الساقط قوله (وجدته كثير الحلاوة) [م ص]

وإما أن يفعل بالطبع فالمختار مثل الحي الباقي الآكل الشارب ، والفاعل بالطبع كحركة العناصر الأربعة مثل النار تسمو من الوسط الى العلو تكرر وإن كانت دون الأرض، وكالأرض من العلو الى الوسط الى مركزها الأخص بها ، والماء من العلو الى دون الأرض ، ثم المنفعل وهو القابل للتأثير الفاعل فيه حال طينته المحتملة لأن يديرها ويربها في جميع الأشكال ، فهذه مقالات اليونانيين ومن تلاهم من الروم ومذاهب متكلميهم وفلاسفتهم وحكمائهم وأهل النظر منهم .

ملوك الروم المتنصرة

وكان أول من ملك من ملوك الروم فخرج من مقالة اليونانية الى النصرانية ﴿ قسطنطين ﴾ وكان سبب ذلك أنه كان يحارب قوماً فرأى في منامه كأن رماحاً نزل بها من السماء عليها صلبان فلما أصبح حمل على رماحه الصلبان ثم حارب فظفر ، وكان ذلك سبب تنصره فقام بدين النصرانية وبنى الكنائس وجمع الأساقفة من كل بلد لاقامة دين النصرانية فكان أول اجتماع لهم فاجتمعوا بنيقية ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وأربع بطارخة بطرخ الاسكندرية وبطرخ رومية وبطرخ أنطاكية وبطرخ القسطنطينية ، وكان سبب جمع قسطنطين هؤلاء أنه لما تنصر وحلت النصرانية بقلبه أراد أن يستقصي علمها فأحصى مقالات أهلها فوجد ثلاث عشرة مقالة (فمنها) قول من قال إن المسيح وأمه كانا إلهين (ومنها) قول من قال إنه من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم ينقص الأولى انفصال الثانية (ومنها) مقالة من قال بتألهه (ومنها) مقالة من قال بتعبيدة (ومنها) مقالة من قال إن جسده كان خيالاً مثل متى وأصحابه (ومنها) مقالة من قال هو الكلمة (ومنها) مقالة من قال هو الابن (ومنها) مقالة من قال هو روح قدسه (ومنها) مقالة من قال هو ابن يوسف (ومنها) مقالة من قال هو نبي من الأنبياء (ومنها) مقالة من قال هو لاهوتي وناسوتي ، فجمع قسطنطين ثلاث مائة وثمانية عشر أسقفاً وأربعة بطارخة ولم يكن في ذلك العصر غيرهم

وكان بطرخ الاسكندرية يقول إن المسيح مألوه مخلوق فلما اجتمعوا ناظروه في ذلك فاجمع مقالة القوم جميعاً أن قالوا إن المسيح ولد من الأب قبل كون الخلائق وهو من طبيعة الأب ولم يذكروا روح القدس ولا أثبتوه خالقاً ولا مخلوقاً ولكن وقفوا على أن الأب الآله والابن آله منه وخرجوا من نيقية ، وكان ملك قسطنطين خمساً وخمسين سنة .

ثم ملك ﴿ يوليانوس ﴾ سنة واحدة ، ثم ملك ﴿ دسيوس ﴾ سنة واحدة وفي أيامه ظهر أصحاب الكهف بعد أن كانوا قد ماتوا بعد دهر طويل وكانوا عدة نفر وراع ومعهم كلب الراعي واسماؤهم (١) مكسلمينا ، ومراطوس ، وشاه بونوس وبطربوس ، ودواس ، وبوالس ، وكنيفرطو ، وبوطر ، والراعي مليخا ، وهو صاحب الكلب واسم الكلب « قطمير » فخرجوا بعد مائة سنة ويقال ثلاث مائة سنة وتسع سنين وبعثوا بعضهم ومعه دراهم يمتار لهم طعاماً فانكرت السوقة ضرب دراهمه ثم اتبعوه حتى صاروا الى المغارة فعمي أمرهم على القوم وبني على المغارة مسجد يصلى فيه .

ثم ملك ﴿ والنطيانوس ﴾ أربع سنين ، ثم ملك ﴿ تيدوسوس ﴾ الأكبر وكان في عصر الاجتماع الثاني للنصرانية فاجتمع له بالقسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً وثلاثة بطارخة ولم يحضرها بطرخ رومية فوضعوا صحيفة الأمانة وأثبتوا روح القدس وكانت صحيفة الأمانة التي وضعوها « أومن بالله الواحد الأب ملك كل شيء خالق السماوات والأرض وما يرى وما لا يرى وبالرب المسيح ابن الله الذي ولد قبل الدهر نور من نور آله حق من آله حق مولود ليس بمخلوق ومن سوس الأب به كان كل شيء من أجلنا البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بروح القدس ومن مريم العذراء فصار بشراً وصلب من أجلنا على عهد بلاطس النبطي وأصيب وقبر وقام لثلاثة أيام كما هو في الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الأب الذي ليس لملكه فناء

(١) إختلف في ضبط أسمائهم على خمسة أقوال ، وقد ذكرها صاحب تاج العروس شارح القاموس في مادة (تكهف) ولها ذكر ايضاً في كتب التفاسير (م ص)

وبروح القدس الرب الذي من الأب اشتق الذي تكلم فيه الأنبياء وبواحدة القدسية الكنيسة السليحية للحواريين أومن بمعمودية واحدة بمغفرة الخطايا وقيام الأموات » وحرموا من قال بعد هذا شيئاً وافترقوا من القسطنطينية ، وكان ملك تيدوسوس سبع عشرة سنة .

ثم ملك بعده ابن أخيه ﴿ تيدوسوس ﴾ الأصغر ﴿ ووالنطيانوس ﴾ وكان الجمع الثالث للنصرانية فاجتمع بافسس وحضر مائتا أسقف وخالف نسطور على القوم جميعاً وقال إن المسيح جوهران وكيانان آله تام بجوهره وكيانه فالأب ولد الآله ولم يلد إنساناً والأم ولدت إنساناً ولم تلد الآله فقال له قريلس إن كان الأمر كما قلت فمن عبد المسيح فهو مسيء لأنه قد يكون عبد قديماً ومحدثاً ومن ترك عبادته فقد كفر لأنه يكون قد ترك عبادة القديم كما ترك عبادة المحدث ومن عبد الآله دون الانسان فلم يعبد المسيح إذ كان لا يستحق أن يقال مسيحاً من إحدى جهتيه دون الأخرى فاوجب ذلك على من حضر ، وخالفه بطرخ أنطاكية فقال نسطور بطرخ أنطاكية يقول بمثل قولي وهرب نسطور الى أرض العراق فصارت النسطورية بالعراق وصيروا رئيسهم مكان البطرخ جاثليق فافترقوا على هذا ، وكان ملك تيدوسوس الأصغر سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك ﴿ مرقيانوس ﴾ وكان في عهده الاجتماع الرابع وكان سبب ذلك أن الطرسيوس صاحب اليعقوبية قال إن المسيح جوهر واحد وطبيعة واحدة فانكرته النصارى فاجتمع ستمائة وثلاثون أسقفاً بالقسطنطينية وناظروا طرسيوس فقالوا له : إن كان المسيح كما زعمت طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هي الطبيعة المحدثة ، وإن كان القديم من المحدث فالذي لم يزل هو الذي لم يكن فلم يرجع عن مقالته فحرموه فصار الى أرض مصر والاسكندرية وكان طبيباً فاقام بها ، وكان ملك مرقيانوس خمس سنين .

ثم ملك بعده ﴿ اليون وانمون ﴾ (١) سبع عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ زينون ﴾

(١) كذا في الأصل ، وفي تاريخ الكامل لابن الأثير (ثم ملك ليون —

ثماني عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ انسطاسيوس ﴾ وكان الجمع الخامس للنصرانية في عصره وذلك إن قوماً من رؤساء النصارى قالوا ان جسد المسيح كان خيالاً على غير حقيقة فاجتمعوا لذلك وقالوا إن كان جسده خيالاً فيجب أن يكون فعله خيالاً على غير حقيقة وهذا بقول السوفسطائية أشبه منه بقول النصارى ولعن اولئك الذين قالوا هذا وبرئت النصارى منهم ، وكان ملك انسطسيوس سبعاً وعشرين سنة .. (١) .. ثم ملك ﴿ يوسطوس ﴾ الثاني تسعاً وعشرين سنة وفي عصره ولد محمد رسول الله (ص)

ثم ملك ﴿ يوسطوس ﴾ الثالث عشرين سنة ، ثم ملك ﴿ طيبريوس ﴾ أربع سنين .. (٢) .. وكان في أيامه الجمع السادس للنصرانية ، وذلك ان قورس الاسكندراني زعم أن المسيح مشيئة واحد وفعل واحد فقال وهذا شبيه بقول اليعقوبية فاجتمعوا لذلك ورضوا ببطرخ رومية وكتب كتاباً ولم يحضر ولم يكن للنصرانية جمع بعدها ، وكان ملك [هرقل وقسطنطين] ابنه اثنتين وثلاثين سنة .

ثم ملك ﴿ قسطنطينوس ﴾ ثماني عشرة سنة ، ثم ملك ﴿ بطرخ ﴾ رومية ثلاث سنين ، ثم ملك [فلسعردى] [٣] أربع سنين ، ثم ملك [اليون وقسطنطين]

— الكبير ست عشرة سنة ثم ملك ليون الصغير سنة) ومثله ما في مروج الذهب للمسعودي وكذا في التنبيه والاشراف له غير أنه سماهما لاوون الكبير ولاوون الصغير

(١) بياض في الأصل ، وفي التنبيه والاشراف أن الذي ملك بعد انسطسيوس هو (يوسطين) وقد ملك تسع سنين [وهو يوسطوس الاول] ثم ملك يوسطوس الثاني المذكور .

(٢) بياض في الاصل ، وفي التنبيه والاشراف للمسعودي وكذا في تاريخ الكامل لابن الاثير أن الذي ملك بعد طيبريوس هو [موريق] ملك عشرين سنة وأربعة أشهر ثم ملك [فوقاس] ثماني سنين وأربعة أشهر ثم ملك هرقل المذكور ، ومثلها مافي مروج الذهب [ج ٢] .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي التنبيه والاشراف وكامل ابن الاثير أن الذي —

ابنه تسعاً وعشرين سنة .

وكانت شهور الروم التي يجرون عليها حسابهم وتأريخاتهم اثنى عشر شهراً أولها كانون الآخر وهو الشهر الذي يسمونه بالرومية « ينوارس » وهو رأس السنة عندهم وهذه أسماء شهورهم ينوارس وهو كانون الآخر ، وبلياس وهو شباط ، ونرلس وهو آذار ، وابرلس وهو نيسان ، ومايس وهو أيار ، ويولس وهو حزيران وأغسطس وهو تموز ، وستنبرس وهو آب ، واقطبرس وهو ايلول ، ونونبرس وهو تشرين الأول ، واكبرس وهو تشرين الآخر ، ومورس وهو كانون الأول .

وكانت مملكتهم من حد الفرات الى حد الاسكندرية مما صار في أرض الاسلام سوى ما بارض الروم مما هو في أيديهم الى هذه الغاية ، وكانت أعظم مدائنهم الرها من أرض الجزيرة وهي من ديار مضر ، ثم أنطاكية وبها كرسي بطرس وكف يحيى ابن زكرياء في كنيسة القسيان وهي الكرسي الرابع والبطرك الكبير فما كان في مملكة الروم وصار في الاسلام أرض الجزيرة من حران والرها وسائر كورها وبالس وسميساط وملطية وأذنة وطرسوس وجند قنسرين والعواصم وسائر كورها وجند حمص ، ومدينة حمص إحدى المدن المعدودة في مملكة الروم ، ثم اللاذقية وهي من حمص ايضاً وجند دمشق ، وكان عمال ملك الروم بها آل جفنة من غسان ، وجند الأردن وكانت اليهم أيضاً وعمالها من قبل الروم من آل جفنة الغسانيين ، وجند فلسطين بكوره وتنيس ودمياط والاسكندرية ، فهذه مملكة الروم الخاصة مما صارت في أرض الاسلام ثم لهم ماخلف الدرب الى بلاد الصقالبة والألان والافرنج ، ومن المدن التي في بلاد الروم المشهورة المعروفة مثل رومية ونيقية وقسطنطينية وأماسية وخرشنة وقرة وعمورية وصملة

— ملك قبل اليون هو [تيدوس] المعروف بالأرمني وكان ملكه في السنة التي بويع فيها سليمان بن عبد الملك وهي سنة ٩٦ ، وقد ذكر المسعودي مايخالف ذلك كله في مروج الذهب [ج ٣] (م . ص)

والقلمية وسلندوا وهرقلة وصقلية وقلطنه وأنطاكية المحترقة ودهرناطه وملوية وسلوقية وامربه وقونية وجبوس وبلوس وبراوعس وسلنيقة .

ملوك فارس

فارس تدعي لملوكها أموراً كثيرة مما لا يقبل مثلها من الزيادة في الخلقة حتى يكون للواحد عدة أفواه وعيون ويكون للآخر وجه من نحاس ويكون على كتفي آخر حيتان تطعم أدمغة الرجال وطول المدة في العمر ودفع الموت عن الناس وأشباه ذلك مما يدفعه العقول ويجري فيه مجرى اللعبات والهزل ومما لاحقيقة له ، ولم يزل أهل العقول والمعرفة من العجم ومن له شرف والبيت الرفيع من أبناء ملوكهم ودهاقينهم وذوي الرواية والأدب لا يحققون هذا ولا يصححونه ولا يقولونه ووجدناهم إنما يحسبون ملك فارس من لدن ﴿ أردشير بابكان ﴾ فمن كان عندهم من أول ملوكهم والمملكة الأولى قبل اردشير [شيومرث] سبعين سنة [أوشهنج فيشداد] اربعين سنة [طهمورث] ثلاثين سنة ﴿ جم شاد ﴾ سبعمائة سنة ﴿ الضحاك ﴾ الف سنة ﴿ افريدون ﴾ خمسمائة سنة ﴿ منوجهر ﴾ مائة وعشرين سنة ﴿ افراسياب ﴾ ملك الترك مائة وعشرين سنة ﴿ زوطهماسب ﴾ خمس سنين ﴿ كيقباذ ﴾ مائة سنة [كي كاووس] مائة وعشرين سنة [كي خسرو] ستين سنة « كي لهراسب » مائة وعشرين سنة « كي بشتاسب » مائة واثنتي عشرة سنة « كي اردشير » مائة واثنتي عشرة سنة « خمانى » بنت جبر زاد ثلاثين سنة « دارا » بن جهرزاد اثنتي عشرة سنة ، ثم قتله الاسكندر الذي يقال له ذو القرنين فافترق ملك فارس وملك ملوك يسمون ملوك الطوائف ، وهؤلاء كان ملكهم ببلخ ، ويزعم النسابون أنهم من ولد عامور ابن يافث بن نوح ، وكانوا على دين الصابئين يعظمون الشمس والقمر والنار والنجوم السبعة ولم يكونوا مجوساً ولكنهم كانوا على شرائع الصابئين ،

وكان كلامهم السرياني به يتكلمون وبه يكتبون ، وهذا رسم الخط

السرياني (١) ولهم أخبار قد أثبتت رأينا اكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها فتركناها لأن مذهبنا حذف كل مستبشع .

المملكة الثانية من أردشير بابكان

وملك ﴿ أردشير ﴾ وهو أول ملوك الفرس المتمجسة ، وكان ملكه باصطخر وامتنع عليه بعض كور فارس فحاربهم حتى فتحها ثم صار الى إصبهان ثم صار الى الأهواز ثم إلى ميسان ثم رجع الى فارس فحارب ملكاً يقال له [اردوان] فقتله وسمى أردشير شاهنشاه وبنى بيت نار باردشيرخرّه ، ثم صار الى الجزيرة وأرمينية وآذربيجان ثم صار الى سواد العراق فسكنه وصار الى خراسان فافتتح كوراً منها ولما دوّخ البلاد عقد لابنه سابور الملك بعده وتوجه وسماه الملك ، وتوفي أردشير وكان ملكه أربع عشرة سنة .

وملك ﴿ سابور ﴾ بن أردشير فغزا بلاد الروم وفتح منها عدة بلدان وأسر خلقاً من الروم فبنى مدينة جند يسابور وأسكنها سبي الروم وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر وعرضه الف ذراع ، وفي أيام سابور بن أردشير ظهر (ماني) ابن حماد الزنديق فدعا سابور الى الثنوية وعاب مذهبه فمال سابور اليه وقال (ماني) إن مدبر العالم إثنان وهما شيئان قديمان نور وظلمة خالقان فخالق خير وخالق شر فالظلمة والنور كل واحد منهما في نفسه اسم لخمسة معان اللون والطعم والرائحة والمحسة والصوت وإنها سميعان بصيران عالمان وإنه ما كان من خير ومنفعة فهو من قبل النور وما كان من ضرر وبلاء فهو من قبل الظلمة وإنهما كانا غير ممتزجين ثم امتزجا ، والدليل على ذلك أنه لم تكن صورة ثم حدثت وأن الظلمة هي بدأت للنور بالممازجة وأنهما كانا متماسين على مثال الظل والشمس ، والدليل على ذلك استحالة كون شيء لا من شيء وأن الظلمة بدأت للنور بالممازجة وأنه لما كان مخالطة الظلام للنور مفسدة له كان محالاً أن يكون النور بدأها لأن النور من شأنه الخير ، والدليل على أنهما إثنان قديمان خير وشر أنه

(١) لم يوجد في الأصل المطبوع في ليدن رسم خط السرياني الذي أشار اليه (م ص)

لما وجدوا المادة الواحدة لا يكون منها فعلان مختلفان مثل النار الحارة المحرقة لا يكون منها التبريد والذي يكون منه التبريد لا يكون منه التسخين فذلك الذي يكون منه الخير لا يكون منه الشر والذي يكون منه الشر لا يكون منه الخير ، والدليل على أنهما حيان فاعلان أن الخير تثبت له فعلاً والشر تثبت له فعلاً ، فاجابه سابور الى هذه المقالة وأخذ بها أهل مملكته فعظم ذلك عليهم فاجتمع حكماء أهل مملكته ليصدوه عن ذلك فلم يفعل ووضع ﴿ ماني ﴾ كتباً يثبت بها الاثنين ، ومما وضع كتابه الذي يسميه (كنز الأحياء) يصف ما في النفس من الخلاص النوري والفساد الظلمي وينسب الأفعال الردية إلى الظلمة ، وكتاب يسميه (الشابرقان) يصف فيه النفس الخالصة والمختلطة بالشياطين والعلل ويجعل الفلك مسطوحاً ﴿ ويقول ﴾ إن العلم على جبل مائل يدور عليه الفلك العلوي ، وكتاب يسميه (كتاب الهدى والتدبير) واثنا عشر إنجيلاً يسمي كل انجيل منها بحرف من الحروف ، ويذكر الصلاة وما ينبغي أن يستعمل لخلاص الروح و (كتاب سفر الأسرار) الذي يطعن فيه على آيات الأنبياء ، و (كتاب سفر الجبابرة) وله كتب كثيرة ورسائل ، فاقام سابور على هذه المقالة بضع عشرة سنة ثم أتاه (الموبذ) فقال إن هذا قد أفسد عليك دينك فاجمع بيني وبينه لأناظره فجمع بينهما فظهر عليه الموبذ بالحجة فرجع سابور عن الثنوية الى المجوسية وهمّ بقتل (ماني) فهرب فاتى الى بلاد الهند فاقام بها حتى مات سابور .

ثم ملك بعد سابور ﴿ هرمز ﴾ بن سابور وكان رجلاً شجاعاً وهو الذي بنى مدينة (رامهرمز) ولم تطل أيامه وكان ملكه سنة واحدة .

ثم ملك ﴿ بهرام ﴾ بن هرمز وكان مشغوفاً بالعبيد والملاهي وكتب تلاميذ « ماني » اليه أن قد ملك ملك حدث السن كثير التشاغل فقدم الى أرض فارس واشتهر أمره وظهر موضعه فاحضره بهرام فسأله عن أمره فذكر له حاله فجمع بينه وبين الموبذ فناظره ثم قال له الموبذ يذاب لي ولك رصاص يصب على معدتي ومعدتك فاينا لم يضره

ذلك فهو على الحق فقال هـــذا فعل الظلمة ، فأمر به بهرام فحبس وقال له إذا أصبحت دعوت بك فقتلتك قتلة ماقتل بها أحد قبلك فلم يزل (ماني) ليله سلخ حتى خرجت نفسه وأصبح بهرام فدعا به فوجدوه قد مات فأمر بجز رأسه وحشا جسده بالتبن وتتبع أصحابه فقتل منهم خلقاً عظيماً ، وكان ملك بهرام بن هرمز ثلاث سنين .

ثم ملك [بهرام بن بهرام] وكان ملكه سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده ابنه (بهرام ابن بهرام بن بهرام) فكان ملكه أربع سنين ، ثم ملك اخوه ﴿ نرسى ﴾ بن بهرام تسع سنين ، ثم ملك ﴿ هرمز ﴾ بن نرسى تسع سنين وولد له ابن سماه ﴿ سابور ﴾ وعقد له الملك ، ومات هرمز وسابور صبي في المهد فأقام أهل مملكته متلومين عليه حتى ترعرع وشب ثم ظهر منه عتو وجبرية فغزا بلاد العرب وعوّر عليهم المياه وغزاه ملك الروم وهو ﴿ اليانوس ﴾ فاعانته العرب من جميع القبائل ثم تسرعت قبائل العرب الى سابور فاوقعت به في دار ملكه حتى هرب وخلا ملكه فانتهب مدينته وخزائنه ثم جاء سهم غرب فقتل اليانوس ملك الروم فملكت الروم ﴿ يوبنيانوس ﴾ فصالح سابور وأقام سابور على معـــاداة العرب لا يظفر باحد منهم إلا خلع كتفه فلذلك سمي سابور ذا الاكتاف وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة .

ثم ملك ﴿ أردشير ﴾ بن هرمز أخو سابور فساءت سيرته وقتل الأشراف والعظماء منهم فخلع بعد أن ملك أربع سنين ، وملكت الفرس ﴿ سابور بن سابور ﴾ فخضع له أردشير المخلوع ومنحه الطاعة وسقط على سابور فسعاط فقتله ، وكان ملكه خمس سنين .

وملك بعد سابور ﴿ بهرام ﴾ بن سابور وكتب الى الآفاق يعدهم العدل والنصفة والاحسان وأقام على ملكه احدى عشرة سنة ثم ثار عليه قوم فقتلوه .

ثم ملك ﴿ يزدجرد ﴾ بن سابور وكان فظاً غليظاً مستطيلاً سيء السيرة قليل الخير كثير الشر فسامهم سوء العذاب ثم رمحه فرسه فقتله ، وكان ملكه احدى وعشرين سنة

ثم ملك ﴿ بهرام جور ﴾ بن يزدجرد وكان قد نشأ بارض العرب وكان ابوه قد دفعه الى النعمان فارضعته نساء العرب ونشأ على أخلاق جميلة ، وقد كان لما مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولي ابناً له لسوء مذهبه وقالوا بهرام ابنه قد نشأ بارض العرب لا علم له بالملك وأجمعوا على أن يملكوا رجلاً غيره فسار بهرام في العرب فلما لقي الفرس هابته فأخذوا تاج الملك والزينة التي تلبسها الملوك فوضعوها بين أسدين وقالوا لبهرام ولكسرى أيكما أخذ التاج والزينة من بين هاذين الأسدين فهو الملك فقالوا لبهرام فأخذ جرزاً وتقدم فضرب الأسدين حتى قتلهما وأخذ التاج والزينة فأذعنوا له وأعطوه الطاعة فوعدهم من نفسه خيراً وكتب الى الآفاق يعدهم بذلك ويعلمهم ما هو عليه من العدل وتوخى عمارة البلاد ، وقدم المنذر بن النعمان عليه فرفع منزلته وكان بهرام رجلاً مؤثراً للهو متشاغلاً عن الرعية ثم صار لطلب الصيد واللهو واستخلف أخاه نرسي على المملكة فلما بلغ ﴿ خاقان ﴾ ملك الترك حال بهرام طمع فيه فأراد أن يسير نحوه فبلغ بهرام ذلك فسار اليه حتى قتله وكتب الى رعيته بالفتح ثم خرج يوماً يتصيد فامعن في طلب عير ثم طرحه فرسه في موضع حمأة فمات ، فكان ملكه تسع عشرة سنة

ثم ملك ﴿ يزدجرد ﴾ بن بهرام وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكان ليزدجرد هذا ابنان يقال لأحدهما « هرمز » وللآخر « فيروز » فغلب هرمز على الملك بعد أبيه فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة وأخبر ملكها بقصته وبمذاهب أخيه وجوره فأمده بجيش فأقبل بهم وقاتل أخاه فقتله وشتت جمعه وملك ﴿ فيروز ﴾ فنال الناس في أيامه جدب وقحط ومجاعة شديدة وغاضت الأنهار والعيون فلم يزل على تلك حالهم ثلاث سنين ثم خصبت البلاد وسار فيروز الى بلاد الترك ليحارب ملكها وقد كان الصلح وقع بين الفرس والترك فلما قرب من البلاد أرسل اليه ملك الترك يسأله الرجوع ويعظم عليه ترك الوفاء فلم يقبل فحفر له خندقاً عميقاً ثم عماه فلما قرب منه عبأ عسكره واقتحمه فسقط وجميع جنده في ذلك الخندق فمات وحوى ملك الترك أمواله وأخذ

أختاً له ، وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة فلما بلغ الفرس مقتل فيروز أعظموه فسار رئيس من رؤسائهم يقال له ﴿ سوخرا ﴾ في جمع وعدة حتى لقي ملك الترك فحاربه ونال منه فدعاه ملك الترك الى الصلح على أن يدفع اليه كما حواه من خزائن فيروز ويرد أخته ومن في يده من أصحابه ففعل ذلك وانصرف عنه .

وملك ﴿ بلاش ﴾ بن فيروز وكانت مدته أربع سنين ، ثم ملك اخوه (قباذ) ابن فيروز وكان صغير السن فترك لسوخرا تدبير المملكة فلما بلغ وصار في حد الرجال لم يرض بتدبير سوخرا فقتله وقدم مهران ، ثم إن الفرس ازالت قباذ عن ملكه وحبسته وملكت أخاه ﴿ جامسب ﴾ بن فيروز فاقام قباذ في الحبس وأخوه الملك ، ثم إن أختاً لقباذ دخلت الحبس فتعرض لها صاحب الحبس وأطمعته في نفسها وقالت إنها طامث ثم دخلت فاقامت عند قباذ يوماً ثم لفته في بساط وأخرجته على عنق غلام جلد فهرب قباذ يريد ملك الهياطلة فلما صار بابرشهر نزل برجل فاقام عنده ثم سأله أن يطلب له امرأة فاتاه بجارية فوقع عليها وأعجبه حسنها وجمالها ، ثم مضى الى ملك الهياطلة فاقام عنده سنة ثم بعث معه جيشاً فلما رجع بابر شهر فقال للرجل الذي نزل عنده ما فعلت تلك الجارية فأتى بها وقد ولدت صبياً كاحسن ما يكون من الصبيان فسماه كسرى انوشروان وزحف قباذ الى بلاده فغلب على الملك وقوي أمره واشتدت شوكته وغزا بلاد الروم وكوّر الكور والطساسيج وعقد لابنه انوشروان الملك ودعاه فاوصاه باحسن الوصية وعرّفه كما يحتاج اليه ، وكان ملك قباذ ثلاثاً وأربعين سنة .

ثم ملك ﴿ انوشروان ﴾ بن قباذ فكتب الى أهل مملكته يذكر لهم وفاة قباذ ويعدهم من نفسه خيراً ويأمرهم بمالهم فيه الحظ ويوعز اليهم في الطاعة والمناصحة وعفا عن قوم كانوا يتحملون عليه وقتل (مزدق) الذي كان أمر الناس بان يتساووا في الأموال والحرم ، وقتل (زراذشت) بن خركان لما ابتدع في المجوسية ، وقتل أصحابها وقدّم أهل المملكة والشرف وغزا بلداناً عدة مما لم يكن في مملكة الفرس

فضمها الى ملكه ، وجرى بينه وبين بخطيانوس ملك الروم ... (١) ... فغزا أنوشروان بلاد الروم فقتل وسبى وغلب على مدن كثيرة من الجزيرة والشام منها الرها ومنبج وقنسرين والعواصم وحلب وأنطاكية وأفامية وحمص وغيرها ، وأعجبته أنطاكية فبنى مدينة مثلها لم يخرم منها شيئاً ثم جاء بسبي أنطاكية فارساهم فيها فلم ينكروا شيئاً ومسح أنوشروان البلاد ووضع عليها الخراج وألزم كل جريب من الغلات بقدر احتماله فلم تزل السنة جارية على ذلك والبلاد عامرة ورتب لديوان المقاتلة رجلاً رضي حزمه وعزمه وأخذ مقاتلته مما يحتاج اليه من السلاح ، وجعل ديوان العطاء ودفاتر الأسماء والحلي وسمات الدواب وديوان العرض على مثل ذلك .

وكان أنوشروان نبيلاً كريماً ظاهر العدل لا يسأله إنسان شيئاً إلا يحري إجابته فسار اليه ﴿ سيف بن ذي يزن ﴾ فأعلمه أن الحبشة قدمت بلاد اليمن وغلبت عليها وأنه صار الى « هرقل » ملك الروم فلم يجد عنده ما يحب فبعث معه باهل السجون في البحر وقوّد عليهم رجلا من مشيخة قواده شجاعاً مجرباً يقال له ﴿ وهرز ﴾ فصار الى بلاد اليمن حتى قتل الحبشة وأفناهم ورمى ملكهم (أبرهة) فقتله وأقام في البلد وملك سيف بن ذي يزن ، وعقد أنوشروان لابنه « هرمز » الملك من بعده ، وكانت أم هرمز بنت خاقان ملك الترك ، وكتب له في ذلك كتاباً بالعهد وأمره فيه بما يأمر به مثله وأوصاه أحسن الوصايا وامتحنه فوجده بحيث يحب وأجابه على كل ما قال له بجواب سديد وتنكر ، ولا يأتيه إلا بقول حسن لطيف ، وهلك أنوشروان وكان ملكه ثماني وأربعين سنة .

ثم ملك ﴿ هرمز ﴾ بن أنوشروان فقرأ على الناس كتاباً عاما يعد فيه بالعدل

(١) بياض في الأصل ، وقد ذكر المؤرخون — منهم ابن الأثير في الجزء الأول من تاريخه الكامل — ما جرى بين بخطيانوس ملك الروم وبين أنوشروان مما سبب غزو أنوشروان بلاد الروم . (م . ص)

والانصاف والعفو والاحسان ويأمرهم بما فيه مصالح ونال ظفراً وعزاً ففتح عدة مدائن ثم اجتروا أعاديه عليه وغزوا بلاده وكان أغلظ الأعداء عليه ﴿ شابه ﴾ ملك الترك فانه زحف في خلق عظيم حتى دخل بلاد خراسان وكاد أن يحتوي عليها وأقبل ملك الخزر في جموع حتى نزل آذربيجان فعظم ذلك عليه وخاف أن لا يكون له طاقة بصاحب الترك فأتاه رجل من قواده يقال له ﴿ بهزاد ﴾ فاعلمه أن عنده رجلاً يقال له [مهران ستاد] عالماً (. . . . .) وإن خاتون امرأته سألت عما قبلهم فاخبرها أن ابنتها تلد من ملك الفرس ابناً يلي الملك بعد أبيه وأنه يزحف اليه ملك الترك في خلق عظيم فيوجه اليه بانسان ليس بالنبيه يقال له (بهرام شوبين) في شرذمة من الجند ويقتل ذلك الملك ويصطلم ملكه فلما سمع هرمز ذلك سره ثم طلب بهرام شوبين فقيل له ما نعرف هذا إلا رجلاً من أهل الري هو بآذربيجان فوجه اليه فأقدمه ثم وجهه الى « شابه » ملك الترك في اثني عشر الف مقاتل فقال (موبذان موبذ) لهرمز ما أخلقه أن ينال ظفراً غير أن في قرنة حاجبه دليلا على ثلمة يثلمها في ملكك وقال له زاجر كان له مثل ذلك فكتب هرمز الى بهرام أن يرجع فلم يرجع ووافاه بهرام بهراة ﴿ وشابه ﴾ مقر ، وكان عند (شابه) رجل وجه به هرمز من يخدعه يقال له (هرمزجرابزين) حتى فر منه ثم ارتحل عنه فارسل (شابه) من عرف خبر بهرام فانصرف اليه فأعلمه حاله فارسل اليه (شابه) في الرجوع فأجابه بهرام بجواب غليظ شديد ثم لقيه وقد جاءه جنده وقد كان مع (شابه) قوم عرافون وسحرة وكانوا يلبسون على أصحاب بهرام ثم التحمت الحرب فاستحر القتل في أصحاب (شابه) حتى قتل منهم خلق عظيم فولوا منهزمين وقتل بهرام منهم مقتلة عظيمة ولحق (شابه) فرماه بحربة طويلة فقتله وأخذ ساحراً كان مع صاحب الترك فاراد بهرام أن يستبقيه فيكون عدة له في حروبه ثم رأى أن قتله أصلح فكتب بالفتح الى هرمز فسر به وكتب به الى الآفاق ثم خرج [برموذه] بن شابه فلقي بهرام فحاربه وبايته وكانت بينهما حرب شديدة ثم بايته بهرام فهزمه ولحقه

فحصره في حصن فطلب ﴿ برموذه ﴾ بن شابه الأمان على أن يكون ذلك من هرمز الملك فكتب بهرام الى هرمز فاجابه وكتب له كتاب أمان وكتب الى بهرام أن يسرحه اليه فخرج ﴿ برموذه ﴾ بن شابه من الحصن وكان هرمز قد وجه ناساً إلى بهرام شوبين فصار ﴿ برموذه ﴾ الى هرمز فاكرمه هرمز وبرّه وأجلسه معه على السرير وأخبره ﴿ برموذه ﴾ بما صار الى بهرام من الأموال العظام والكنوز وأنه قد كتم ذلك عن أمنائه وأخبر أمناؤه بمثل ذلك وأن الذي بعث به قليل من كثير فكتب هرمز الى بهرام يأمره أن يحمل اليه ما في يده من الأموال فغلظ ذلك على بهرام وأخبر به جنده فذكروا هرمز أقبح ذكر وخلعه هو وجميع جنده فلما بلغ ذلك هرمز إغتم له وكتب الى بهرام يعتذر اليه والى جنده من مثل ذلك فلم يقبل بهرام ولا جنده قول هرمز وبعث بهرام الى هرمز بسفط فيه سكاكين معوجة الرؤوس فلما رآها هرمز علم أنه قد عصى فقطع أطراف السكاكين وردها اليه فعلم بهرام ما أراد فارسل الى ﴿ خاقان ﴾ ملك الترك يطلب صلحه على أن يرد عليه كل أرض حازها من بلاده وسار بهرام حتى صار إلى الري ثم دبر أن يوقع بين هرمز وبين ابنه كسرى أبرويز شراً وكان هرمز متهما لابنه وكان قد بلغه أن قوماً قد حملوه على أن يثب بابيه فضرب دراهم كثيرة وصير عليها اسم كسرى أبرويز وبعث بها الى مدينة هرمز فكثرت في أيدي الناس ، ولما بلغ هرمز خبرها اشتد غمه فاراد أن يحبس ابنه كسرى أبرويز فلما بلغ أبرويز الخبر هرب الى آذربيجان فاجتمع اليه من بها من مرازبتها ورؤسائها وعاقدوه وبايعوه ووجه هرمز الى بهرام بجيش مع رجل يقال له « آذينجشنس » فلما صار في بعض الطريق قتله رجل حواري كان آذينجشنس أخرجه من الحبس وضمه الى نفسه وافترق اصحابه فلما قتل آذينجشنس ضعف أمر هرمز واجترأ عليه جنده وكانوا متغضبين له كارهين لولايته فكتبوا الى ابنه أبرويز فقدم بجيش من آذربيجان فخلعوا هرمز وملكوا أبرويز وأخذ هرمز فحبس وسملت عيناه فاقام في الحبس أياماً ثم دخل اليه ابنه فكلمه فقال له هرمز أقتل من صنع بي

هذا وكان قد احتوى على تدبير الملك بندى وبسطام خالا ابرويز وكان ملك هرمز اثني عشرة سنة .

فلما استقام أمر ابرويز وبلغه مسير بهرام شوبين اليه خرج في جيشه ومعه بندى وبسطام حتى وقف على بهرام بالنهروان وكلمه وعظم عليه الأمر فاجابه بهرام بجواب غليظ شديد وكان ﴿ كردويه ﴾ أخو بهرام مع كسرى أبرويز وألحقه بهرام وانكشف عن كسرى جنده وأسلمه أصحابه فمر هاربا فلما كان في بعض الطريق رجع بندى وبسطام خالاه فقتلا هرمز أباه ولحقاه في بعض الطريق واستمر به الهرب حتى ساءت حالته واشتد بؤسه وجزعه فطلب طعاما فلم يجد إلا خبز شعير ولحقته خيل بهرام فاحتال له خاله بندى حتى نجاه فمضى حتى صار الى الرها فأخذ بندى فأتي به بهرام فحبسه ثم أفلت من الحبس فصار الى آذربيجان وصار كسرى الى الرها يريد ﴿ مورق ﴾ ملك الروم فحبسه صاحب الرها وكتب الى مورق ملك الروم يخبره أنه أتاه لينصره فاستشار ملك الروم أصحابه في أمره فاشار بعضهم بأن لا يجاب وأشار بعضهم بان يجاب فاجابه ملك الروم وزوجه ابنته ووجه معه بجيش عظيم وشرط عليه الشروط إذا تم له نصره ووجه اليه كسرى بثلاثة نفر من أصحابه فشرط عليهم كلما أراد ووجه بابنته وبالجيش عليهم أخاله يقال له ﴿ ثيادوس ﴾ ومعه رجل يجري مجرى الف رجل فسار كسرى بجيشه بعد ابتنائه بابنة ملك الروم الى ناحية آذربيجان وكان بندى خاله قد صار اليها فلما علم بمكانه لقيه في جيش عظيم ولما علم بهرام شوبين بما اجتمع لكسرى كتب الى وجوه أصحابه يخبرهم بسوء مذهب آل ساسان ويصف سيرة ملك ملك ويدعوهم لنفسه ووقعت الكتب في يد كسرى قبل أن تصل الى القوم فكتب اليه باغلظ الجواب عن القوم ورد اليه الرسول فزحف اليهم بهرام حتى صار الى آذربيجان فحاربه محاربة شديدة وأخذت الحرب من الفريقين وخرج الرومي الذي كان يجري مجرى الف رجل فقال لكسرى أين عبدك هذا الذي غصبك ملكك

حتى أقتله فقال هو صاحب الأبلق فحمل عليه وتراجع بهرام الى ورائه ثم تراجع عليه فضربه بسيفه فقده بنصفين فضحك كسرى وقال زِه فغضب أخوملك الروم وقال سررت أن قتل رجلنا وصاحبنا فقال لا ولكن صاحبكم قال لي أنى العبد الذي غصبك وغلبك ملكك فأردت أن تعلم أن العبد يضرب في كل يوم عدة ضربات كل مثل هذا واشتدت الحرب حتى انهزم كسرى وصعد في جبل فكاد يهلك ثم ثاب جند كسرى وانهزم بهرام شوبين فمضى منصرفاً لا يلوي على شيء متوجهاً الى ملك الترك واستقام الأمر لكسرى أبرويز فكتب الى صاحب الروم بذلك وأهدى له ملك الروم ثوبين فيهما الصلب فلبسهما فقال الفرس قد تنصر ثم كتب في النصارى أن يكرموا ويقدموا ويبرزوا ويخبر بما قد جرى بينه وبين الرومي من العصمة واللحمة والموادعة وأنه لم يقل هذا ملك من الملوك قبله ووثب بندى خال كسرى بثيادوس أخي ملك الروم فصه (١) فوقع الشر وقال أخو ملك الروم إما أن تدفع إلي بندى وإما أن يعود الشر فسكنه كسرى وورد بهرام شوبين بلاد الترك فاكرمه خاقان وبرّه وكان لخاقان أخ يقال له ﴿ نمارس ﴾ يداريه خاقان فرآه بهرام فقال لخاقان كيف اجترأ هذا عليك هذه الجرأة فسمع أخو خاقان الكلام فتواعده فقال بهرام متى شئت فابرز فدفع خاقان ملك الترك الى أخيه نشابة والى بهرام نشابة ثم أخرجهما الى الصحراء فرمى أخو خاقان بهرام فأصابه فشك سلاحه ورماه بهرام فقتله فسر خاقان بقتل أخيه لمعاندته ولما كان يخافه منه وكان كسرى يرهب مكان بهرام شوبين مع خاقان ولا يأمن أن يجري عليه شراً فوجه برجل من وجوه الفرس يقال له [بهرام جرابزين] وكان كبيراً في الفرس ووجه معه الى خاقان بهدايا ويسأله أن يبعث اليه بهرام شوبين وأمر جرابزين أن يتلطف فقدم على خاقان بالهدايا وذكر له أمر بهرام فلم يجد عنده الذي يحب فتلطف « بخاتون » امرأة خاقان وأهدى لها جوهراً ومتاعاً وسألها في أمر

(١) يقال صم الرجل بحجر إذا ضربه به . (م . ص)

بهرام فوجهت برجل من أصحابها له إقدام وجرأة قلب وقالت له ادخل الى بهرام شوبين فاقتله فانطلق حتى استأذن عليه وكان نوم بهرام فلم يأذن له فقال إن الملك خاقان وجهني في أمر مهم فأذن له فلما دخل عليه قال إن الملك حملني رسالة أخبرك بها سراً من غير حضور أحد فقام من مجلسه ودنا منه كأنه يساره ووجأه بخنجر معه تحت أبطه وخرج التركي مسرعاً فركب دابته ودخل أصحاب بهرام فرأوه بتلك الحال فقالوا أيها الليث الضرغام من أقصدك ، وأيها الجبل المنيف من هدك ، فقص عليهم القصة وكتب الى خاقان يعلمه أنه لا وفاء له ولا شكر ، ومات بهرام فحمل الى الناووس ولما علم جرابزين بموته ارتحل الى كسرى فأخبره فسرّ به وأظهره في مملكته وكتب به الى آفاقه ، ولما مات بهرام بعث ملك الترك الى كردية امرأة بهرام وأصحابه يخبرهم بغمه وأنه قد قتل كل من شرك في قتله ووجه باخيه ﴿ نطرا ﴾ اليهم وكتب الى كردية امرأة بهرام شوبين أنه يرغب فيها ويأمرها أن تتزوج نطرا فحملت كردية امرأة بهرام جند أخيها وارتحلت باصحابها ومن معها تريد بلاد الفرس فلحقها نطرا أخو خاقان فبرزت اليه في السلاح وقالت لا أتزوج إلا من كان في الشجاعة والقوة مثل بهرام فابرز إلي فبرز اليها أخو خاقان فقتلته ومضت لوجهها ، وكان كسرى قد غضب على خاله بندى فسمل عينيه وقطع رجليه وصلبه حياً لما فعل بابيه فلما علم بسطام أخو بندى ما فعل كسرى باخيه خلع كسرى وصار الى الري وجمع وبلغه أن كردية أخت بهرام وامرأته قد أقبلت من بلاد الترك فتلقاها ومن معها فذم اليها كسرى وخبرها بغدره وفجوره وسألها أن تقيم عنده بمن معها وأن تزوجه نفسها ففعلت وكتب الى أخيها كردي تعلمه ذلك وتسأله أن يأخذ لها ولمن معها أماناً من كسرى فأخبر كسرى بمصير كردية بمن معها من جند بهرام وأصحابه الى الري وتزوج بسطام خاله بها ومقامها معه فعلم ذلك كسرى ودعا كردي أخاها فسأله أن يتلطف بها حتى تقتل بسطام وتقدم فيتزوجها فوجه كردي أبرخة امرأته الى كردية أخته بما ذكر له الملك

وأنفذ اليها كتب الأمانات لها ولمن معها باوثق ما يكون من العهود فقبلوا أصحابها ووثبوا على بسطام فقتلوه وقدمت كردية على كسرى فتزوجها وأحلها محلاً رفيعاً فاستقامت لكسرى اموره ودانت له بلاده ثم وثبت الروم بمورق ملكها فقتلوه وملكوا غيره وصار اليه ابن مورق فوجه معه جيشاً ثم قتل ابن مورق وملك هرقل نفزا أصحاب كسرى فقتلهم وشردهم وزحف اليهم حتى هزم (شهر براز) صاحب كسرى ، وكان كسرى لما اشتد ملكه قد طغا وبغى وعتا وظلم وجار وأخذ اموال الناس وسفك الدم فمقته الناس لما نال منهم ولاحتقاره إياهم وأن عظماء الفرس لما رأوا ما هم فيه من الذل والبلاء والمكروه من كسرى خلعوه وجاءوا بابن له يقال له (شيرويه) فملكوه وأدخلوه المدينة ونادوا شيرويه (شاهنشاه) واخرجوا من في السجون ممن كان كسرى يريد قتلهم فهرب كسرى حتى دخل بستاناً له فأخذوه فحبسوه ثم قالوا لشيرويه إنه لا يستقيم الملك ان يكون « ابرويز » حياً فاقتله وإلا خلعناك فوجه شيرويه الى ابيه برسالة غليظة يعنفه فيها على فعله ويذكر له ما نال من اهل مملكته وما كان من سوء سيرته فاجابه بجواب تفنيد وتجهيل له فوجه اليه برجل كان كسرى ابرويز قطع يد ابيه بغير سبب ولا جرم إلا انه قيل له إن ابن هذا يقتلك فقطع يده وكان من خاصته فلما دخل عليه سأله عن اسمه ... (١) ... قال له شأنك وما امرت به فضربه حتى قتله ، ثم إن شيرويه حمل اباه الى الناووس وقتل قاتله ، وكان ملك كسرى ابرويز ثماني وثلاثين سنة .

ولما ملك شيرويه بن ابرويز اطلق من في المحابس وتزوج بنساء ابيه وقتل سبعة عشر أخاً ظلماً واعتداءً فلم يستقم ملكه ولم يصلح حاله فاشتد سقمه ومات بعد ثمانية اشهر ، وملكت الفرس ابناً لشيرويه طفلاً يقال له ﴿ اردشير ﴾ واختاروا له رجلا

(١) بياض في الأصل ، قال ابن الأثير في تاريخه الكامل « إن الذي باشر قتل كسرى شاب يقال له مهرهرمز بن مردانشاه من ناحية نيمروذ » (م . ص)

يقال له ﴿ مه آذرجشنس ﴾ فحضنوه إياه ليقوم بتدبير الملك فأحسن التدبير وقام بالأمر فيما محموداً وجرت أمور المملكة ، وكان ﴿ شهر براز ﴾ الذي كان موجهاً لحرب الروم قد عظم أمره فكره موضع مه آذرجشنس وكتب الى الفرس أن يوجهوا اليه برجال سماهم وإلا أقبل اليهم حتى يحاربهم فلم يفعلوا فاقبل شهر براز في ستة آلاف الى جانب مدينة المملكة وحاصر من فيها وقاتلهم ثم فكر فاحتال حتى دخل المدينة فاخذ عظماء الفرس فقتلهم وفضح نساءهم وقتل أردشير الملك ، وكان ملك أردشير سنة وستة أشهر .

وجلس ﴿ شهر براز ﴾ على سرير الملك ودعا نفسه ملكاً فلما رأت الفرس فعل شهر براز أعظمته وقالت مثل هذا لا يملك علينا فوثبوا به وقتلوه وجروا برجله ولما قتلت الفرس شهر براز طلبوا رجلاً من أهل الملك فلم يجدوه فملكوا ﴿ أبوران ﴾ بنت كسرى فاحسنت السيرة وبسطت العدل والاحسان وكتبت الى آفاقها كتاباً تعدفيه بالعدل والاحسان وتأمرهم بجميل المذهب والقصد والسداد ووادعت ملك الروم ، وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

ثم ملكت ﴿ آزرميدخت ﴾ بنت كسرى واستقام أمرها فقال (فرخهرمزد) اصبهبذ خراسان انا اليوم قريع الناس وعماد مملكة فارس فزوجيني نفسك فقالت لا يجوز لملكة أن تزوج نفسها ولكن إذا أردت أن تصل الي فاتني بالليل فرضي بذلك فامرت صاحب حرسها أن يرصده حتى يدخل ثم يقتله فلما كان الليل أتى فدخل وبصر به صاحب الحرس فقال من أنت فقال انا فرخهرمزد فقال وما تصنع في مثل هذا الوقت في موضع لا يدخله مثلك فضربه حتى قتله وطرحه في الرحبة فلما غدا الناس رأوه قتيلاً فرفعوا خبره وكان ابنه رستم الذي لقي سعد بن ابي وقاص بالقادسية بخراسان فقدم فقتل آزرميدخت ، وكان ملكها ستة أشهر .

ثم ملك رجل من عقب اردشير بن بابك يقال له ﴿ كسرى ﴾ بن مهرجشنس

وقد كان دعي الى الملك قبل ذلك فامتنع منه وكان مقامه بالأهواز فلما ملك لبس التاج وجلس على السرير فقتلوه بعد أيام فلم يتم له شهر فأعوز عظماء الفرس من يملكونه من أهل بيت المملكة ثم وجدوا رجلاً يقال له ﴿ فيروز ﴾ قد أولده أنو شروان من قبل أمه فملكوه ضرورة فلما أجلس ليتوج وكان ضخم الرأس قال ما أضيق هذا التاج فتطيرت عظماء الفرس من قوله فقتلوه ، وأقبل ابن لكسرى كان قد هرب الى نصيبين لما قتل شيرويه يقال له ﴿ فرخزاد خسرو ﴾ فتوج وملك وكان نبيلاً فملك سنة ، ثم وجدوا ﴿ يزدجرد ﴾ بن كسرى وكانت أمه حجامة وقع عليها كسرى فجاءت بيزدجرد فتطيروا منه فغيبوه ثم اضطروا اليه فجاءوا به وأمورهم مضطربة وأهل مملكته مجترئون عليه ولما أتى لملكه أربع سنين قدم سعد بن أبي وقاص القادسية فبعث اليه برستم ثم صار المسلمون الى المدائن وهي مدينة الملك يوم النيروز وقد استعدت الفرس بصنوف الأطعمة واستعدت أحسن الزينة فانهزمت الفرس وهرب يزدجرد فلم يزل المسلمون يتبعونه حتى صاروا الى مرو فدخل طاحونة وقتله صاحب الطاحونة ، وكان ملكه الى أن قتل عشرين سنة .

وكانت الفرس تعظم النيران ولا تستنجي بالماء إنما تستنجي بالدهن ولا تتخذ لقصورها ابواباً إنما كانت ابوابها عليها الستور يحفظها الخرس من الرجال ولا تأكل إلا بزمزمة وهو الكلام الخفي وتنكح الأمهات والأخوات والبنات وتذهب الى انه صلة لهن وبر بهن وتقرب الى الله فيهن ، ولم تكن لها حمامات ولا كنف ، وكانت تعظم الماء والنار والشمس والقمر والأنوار كلها ، وكانت تعد الأزمنة على شهورها وايام اعيادها ، وكان الخريف عندهم شهريور ماه ومهر ماه وآبان ماه ، والشتاء آذر ماه ودي ماه وبهمن ماه ، والربيع اسفندارمذ ماه وفروردين ماه واردیبهشت ماه والقيظ خرداذ ماه وتير ماه ومرداذ ماه ، وكانت تزيد في الخريف خمسة ايام تسميها ايام الأندركاه فتكون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشهورهم ثلاثين يوماً

ورأس سنتهم يوم النوروز وهو أول يوم من فروردين ويكون ذلك في نيسان وآذار وقد مرت الشمس في حمل وهو يوم عيدهم المعظم عندهم ، ويوم المهرجان وهو استة عشر يوماً يمشي من مهر ماه ثم يكون بين النوروز والمهرجان مائة وخمسة وسبعون يوماً وذلك خمسة أشهر وخمسة وعشرون يوماً ، والمهرجان في تشرين الآخر ، وكانت الفرس تسمي كل يوم من أيام شهورهم باسم وهي الروزات فاولها هرمز بهمن اردبهشت شهريور اسفندارمذ خرداذ مرداذدي باذر آذر آبان خورماه تيرجوش دي بهمر مهر سروش رشن فروردين بهرام رام باذدي بدين دين ارد اشتاذ اسمان زامياذ مار سفندانيران .

وكان من قول الجماعة منهم — فيما يقولونه من ﴿ زراذشت ﴾ الذي يدعون أنه نبيهم — أن يكون النور قديماً لم يزل وهم يسمونه ﴿ زوران ﴾ وأنه فكر في الشر لهفوة كانت منه علمهم منها لأن الحسن مستحيل الى قبح والطيب الريح الى نتن وأن القديم عندهم غير ممتنع من أن يلزمه التغيير والفساد في بعضه لا في كله فلما فكر القديم في الشر فتنفس الصعداء فخرج ذلك الغم من جوفه فامتثل بين يديه ويسمون ذلك الغم الممتثل بين يدي القديم ﴿ أهرمن ﴾ ويسمون أيضاً زروان هرمز (قالوا) فأراد أهرمن محاربة هرمز فكره ذلك هرمز لئلا يفعل شراً فصالحه على أن يصير اليه خلق كل ضار فاسد ﴿ وزعموا ﴾ أنهما جسمان وروحان وبينهما فرجة للحنق لأنهما ليسا بملتقيين ﴿ وقالوا ﴾ إن هرمز النور الفاعل الأجرام وأزواجها وأن أهرمن إنما يفعل المضار في هذه الجواهر كالسم في الهوام والغيظ والغضب والضجر والشرور والتعادي والحنق والخوف في الحيوان فان الله هو فاعل الأعيان وأعراضها الراتبة .

وكانت منازل ملوك الفرس في أول ملك أردشير بن بابكان باصطخر من كور فارس ثم لم تزل الملوك تنتقل حتى ملك أنو شروان بن قباذ فنزل المدائن من أرض العراق فصارت دار الملك ، وأجمع العلماء من المنجمين والمتطببين أنه ليس في المملكة بلد أصح ولا أفضل ولا أعدل من تلك البقعة وما قرب منها من إقليم بابل ، وكانت

البلاد التي تملكها الفرس ويحوز سلطانها فيها من كور خراسان نيسابور وهراة ومرو ومرو الروذ والفارياب والطالقان وبلخ وبخارا وباذغيس وباورد وغرشستان وطوس وسرخس وجرجان ، وكان على هذه الكور عامل تسميه اصبهذ (١) خراسان ومن كور الجبل طبرستان والري وقزوين وزنجان وقم واصبهان وهمذان ونهاوند والدينور وحلوان وماسبذان ومهرجانقذق وشهرزور والصامغان وآذربيجان، وكان لهذه الكور اصبهذ يقال له اصبهذ آذربيجان وكرمان وفارس، وكورها اصطخر وشيراز والرجان والنوبندجان وجور وكازرون وفسا ودارأبجرد وأردشير خره ونسابور والأهواز وكورها جند يسابور والسوس ونهر تيرى ومناذر وتستر وايذج ورام هرمز ، وعلى هذه اصبهذ يقال له اصبهذ فارس ، وكور العراق ولها ثمانية وأربعون طسوجاً (٢) على الفرات ودجلة ، فسقي الفرات بادوريا والأنبار وبهرسير والرومقان والزاب الأعلى والزاب الأسفل والزاب الأوسط وزندورد وميسان وكوثى ونهر درقيط ونهرجوبر والفلوجة العليا والفلوجة السفلى وبابل وخطرنية والجبة والبداة والسليحين وفرات بادقلا وسورا وبربسما ونهر الملك وبار وسما ونستر ، وسقي دجلة نهر بوق ونهربين وبزرجسابور والراذان الأعلى والراذان الأسفل والزابيين والدسكرة ونرازروز وسلسل ومهروذ وجلولاء والنهروان الأوسط والنهروان الأسفل وجازر والمدائن والبندنيجين ورستقباذ

(١) الاصبهذ هو صاحب تدبير الملك ، وقدجعل أردشير في عهده الاصبهذين اربعة الأول بخراسان والثاني بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام فهؤلاء الأربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الأربعة .

(٢) ينقسم الرستاق الى طساسيج وينقسم كل طسوج الى عدة من القرى واكثر ما تستعمل هذه اللفظة في سواد العراق ، وتفسير الطسوج الناحية . (م ص)

وابزقباذ والمبارك وبادرایاوبا کسایا ، ولهم اصبهبذ رابع يسمى اصبهبذ المغرب ، وكانت آخر مسالح (١) الفرس مما يلي الفرات الأنبار ثم تصير الى مسالح الروم ، ومما يلي دجلة (.....) ثم تصير الى مسالح الروم إلا أن يتعاور القوم فيدخل الفرس بلاد الروم على المخالبة وربما دخل الروم بلاد الفرس ، وكل الاسم الواقع على كل ملك للفرس ﴿ كسرى ﴾ وكانوا إن سموه وذكروه قالوا كسرى شاهنشاه معناه ملك الملوك ، وكانت تسمي الوزير ﴿ بزرجفرمذار ﴾ معناه متقلد الأمور ، وكانت تسمي العالم القيم بشرائع دينهم ﴿ موبذموبذان ﴾ ومعناه عالم العلماء ، وأول من رفع عليه منها الاسم ﴿ زرادشت ﴾ وكانت تسمي قيم النار ﴿ الهربذ ﴾ وكانت تسمي الكاتب ﴿ دبيربذ ﴾ وكانت تسمي العظيم منهم ﴿ الاصبهبذ ﴾ ومعناه الرئيس والذي دونه ﴿ الفادوسبان ﴾ ومعناه دافع الأعداء ، وتسمي رئيس البلد ﴿ المرزبان ﴾ وتسمي رئيس الكور ﴿ الشهربج ﴾ وتسمي أصحاب الحروب وقواد الجيوش ﴿ الأساورة ﴾ وتسمي صاحب المظالم ﴿ شاهريشت ﴾ وتسمي صاحب الديوان ﴿ المرد مارعد ﴾ .

ممالك الجربى

وكان ولد عامور بن توبل بن يافث بن نوح — لما قسم فالغ بن عابر بن ارفخشد بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح — خرجوا في يسرة المشرق فقطع قوم منهم ولد ناعوما ناحية الجربي على سمت الشمال فانتشروا في البلاد فصاروا عدة ممالك وهم البرجان والديلم والتبر والطيلسان وجيلان وفيلان واللان والخزر والدودانية والأرمن ، وكانت الخزر المتغلبة على عامة بلاد أرمينية وعليها ملك يقال له ﴿ خاقان ﴾ وله خليفة يقال له [يزيد بلاش] على الران وجرزان والبسفرجان

(١) المسلحة بالفتح مثل الثغر والمرقب وجمعه المسالح وهي مواضع المخافة ، وفي الحديث كان أدنى مسالح فارس الى العرب العذيب . (تاج العروس)

والسيسجان ، وكانت هذه الكور تسمى أرمينية الرابعة التي فتحها قباذ ملك الفرس فصارت الى انوشروان الى باب اللان مأة فرسخ وفيها ثلاثمائة وستون مدينة ، وغلب ملك الفرس على الباب والأبواب وطبرسران والبلنجر ، وبنى مدينة قاليقلا ومدناً كثيرة فاسكنها قوماً من أهل فارس ثم غلبت الخزر على ما كانت فارس غلبتهم عليه فاقام في أيديهم حيناً ثم غلبتهم الروم فملكت على أرمينية الرابعة ملكاً يقال له ﴿ الموريان ﴾ وافترقوا عدة رياسات كل رئيس منهم في قلعته وحصنه فهي لهم ممالك معروفة .

وقطع قوم من ولد عامور ما وراء النهر ثم افترقوا في البلاد فصارت ممالك متفرقة وأمم كثيرة فمنهم الختل والقواديان والاشروسنة والسغد والفرغانة والشاش والترك والخرلخية والتغزغز والترك الكيماكية والتبت ، وفي الترك قوم اصحاب مدر ومدن وحصون وفيهم قوم في رؤوس الجبال والصحاري كالبدو ولهم شعور طوال ومنازلهم خيام اللبود فاذا غزوا كان في الخيمة الواحدة عشرون مقاتلاً ويرمون فلا يخطئون وبيوتهم متصلة من أول كور خراسان الى جبال التبت وجبال الصين .

وأما التبت فبلد واسع أعظم من الصين ومملكتهم جليلة وهم اصحاب منعة وحكمة يضاهون صنعة الصين ، وفي بلادهم غزلان سررها المسك وهم عبدة أصنام ولهم بيوت نيران وشوكتهم شديدة فليس يحاربهم أحد .

ملوك الصين

ذكرت الرواة وأهل العلم ومن صار الى بلاد الصين فاقام بها الدهر الطويل حتى فهم أمرهم وقرأ كتبهم وعرف أخبار المتقدمين منهم ورأوه في كتبهم وسمعوه من أخبارهم ومكتوب على ابواب مدنهم وبيوت أصنامهم ومنقور في الحجارة قد أجري فيه الذهب — أن أول من ملك الصين ﴿ صاين ﴾ بن باعور بن يرج بن عامور ابن يافث بن نوح بن لمك فانه كان عمل فلكاً حكى به فلك نوح فركب فيه ومعه

جماعة من ولده وأهله حتى قطع البحر فصار الى موضع استحسنه وأقام به فسمي ذلك الموضع ﴿ الصين ﴾ باسمه فكثر ولده وتناسلت ذريته فكان ذريته على دين قومه واتصل ملكه ثلاثمائة سنة .

ومنهم ﴿ عرون ﴾ الذي شيد البنيان وعمل الصنعة واتخذ الهيا كل المذهبة وعمل فيها صورة أبيه وجعلها في صدر الهيكل فكان إذا دخل سجد لتلك الصورة تعظيماً لصورة أبيه ، وكان لصابن اسم تفسيره بالعربية ابن السماء فمن ذلك الزمان صارت الأوثان تعبد في بلاد الصين ، وكان ملك عرون مائة وأربعين سنة .

ومنهم ﴿ عير ﴾ الذي سار في بلاد الصين طولاً وعرضاً وبنى المدن العظام وشيد القباب من الجزلان والنحاس المذهب وعمل صورة أبيه من ذهب مكلل بالجوهر والرصاص والنحاس المزوق فاتخذها أهل مملكته جميعاً في مدنهم وبلدانهم وقالوا ينبغي للرعية أن تعمل صورة ملك قد ملكها من السماء وعدل فيها ، واتصل ملك عير مائة وثلاثين سنة .

ومنهم ﴿ عينان ﴾ الذي سام أهل مملكته سوء العذاب ونفاهم الى جزائر البحر فكانوا يصيرون من تلك الجزائر الى مواضع فيها الثمار ليأكلوا منها فيجدون بها الوحوش ولم يزالوا كذلك حتى أنسوا بالوحوش وأنست بهم ، وكانوا ينزون عليها وربما نزت تلك على نسائهم فيأتي بينهم الخلق المشوهة ، وباد القرن الأول وأتى قرن بعد قرن فذهبت عنهم لغاتهم وصاروا يتكلمون ما لا يفهم ففي الجزائر التي تجتاز منها الى أرض الصين أمر عظيم من هذا الضرب وأمم كثيرة ، وكان يسمى عينان اسماً تفسيره بالعربية خلقه الشر ، وكان ملكه مائة سنة .

ومنهم ﴿ خرابات ﴾ الذي ملك وهو حدث السن ثم احتنكت سنه فعلا أمره وحسن تدبيره ووجه بوفد من قبله الى أرض بابل وما اتصل بها من بلاد الروم يتعرفون ما فيها من الحكمة والصنعة وحمل معهم من صنعة الصين وما يعمل بها من

ثياب الحرير وغيره وما يؤتى به من تلك البلاد من الآلات وغيرها وأمرهم أن يحملوا اليه كل صنعة وظريفة من أرض بابل وبلاد الروم وأن يتعرفوا شرائع دين القوم فكان ذلك أول ما دخل من متاع الصين للتجارة ، وذلك أن الملوك استظرفت ما أتاهم من متاع الصين فعملوا المراكب وحملوا فيها التجارة فكان ذلك أول دخول التجار الى الصين وكان ملك خرابات ستين سنة .

ومنهم ﴿ توتال ﴾ وأهل الصين يقولون إنهم وجدوا مكتوباً على أبواب مدنهم أنه لم يملكهم ملك قط مثله ورضوا به رضاً لم يرضوا مثله بأحد قط ، وهو الذي سن لهم كل سنة هم عليها في أديانهم وأفعالهم وصناعاتهم وشرائعهم وأحكامهم ، وكان ملكه ثماني وسبعين سنة فلما مات أقاموا يبكون عليه زماناً طويلاً ويحملونه على أسرة الذهب وعجل الفضة ثم جمعوا له العود والعنبر والصندل وسائر الطيب وألهبوه بالنار وطرحوه فيها وجعل خاصته يلقون أنفسهم في تلك النار أسفاً عليه ووفاءً له وصار هذا سنة فيهم وجعلوا صورته على دنانيرهم وهم يسمون الدنانير ﴿ الكونخ ﴾ وعلى أبواب منازلهم الصور .

وبلاد الصين بلاد واسعة فمن أراد الصين في البحر قطع سبعة أبحر كل بحر منها له لون وريح وسمك ونسيم ليس هو في البحر الذي يليه ﴿ فأولها ﴾ بحر فارس الذي يركب فيه من سيراف وآخره رأس الجمجمة وهو ضيق فيه مغائص اللؤلؤ ، والبحر ﴿ الثاني ﴾ الذي مبتدأه من رأس الجمجمة يقال له « لاروى » وهو بحر عظيم وفيه جزائر « الوقواق » وغيرهم من الزنج ، وفي تلك الجزائر ملوك ، وإنما يسار في هذا البحر بالنجوم وله سمك عظيم وفيه عجائب كثيرة وأمور لا توصف ، ثم البحر ﴿ الثالث ﴾ الذي يقال له « هركند » وفيه جزيرة « سرنديب » وفيه الجوهر والياقوت وغيره ولها جزائر فيها ملوك ولهم ملك عليهم ، وفي جزائر هذا البحر الخيزران والقنا والبحر ﴿ الرابع ﴾ يقال له « كلاه بار » وهو بحر قليل الماء وفيه حيات عظام

وربما ركبت الريح فيه فقطعت المراكب وفيه جزائر فيها شجر الكافور ، والبحر ﴿ الخامس ﴾ يقال له « سلاهط » وهو بحر عظيم كثير العجائب ، والبحر ﴿ السادس ﴾ يقال له « كردنج » وهو كثير الأمطار ، والبحر ﴿ السابع ﴾ يقال له « بحر صنجي » ويقال له ايضاً « كنجلي » وهو بحر الصين وإنما يسار فيه بريح الجنوب حتى يصيروا إلى بحر عذب عليه المسالح والعمران حتى ينتهوا إلى مدينة « خانفو » .

ومن أراد الصين على البر فانه سار في نهر بلخ وقطع بلاد السغد وفرغانة والشاش والتبت حتى يصير اليها ، والملك في حصن له منفرد وصاحب شرطته خادم وصاحب خراجه خادم وصاحب حرسه خادم وصاحب أخباره خادم وأكثر أعوانه الخدم وهم ثقاته ، وخراجهم من رؤوس الرجال يوجبون على كل رجل بالغ جزية لأنهم لا يدعون رجلاً بغير صناعة فاذا تعطل عن العمل بعلة أو هرم أنفقوا عليه من مال الملك ، وهم يعظمون أموالهم ويطول حزنهم عليهم ، واكثر عقوباتهم القتل فهم يقتلون على الكذب ويقتلون على السرقة ويقتلون على الزنا إلا قوماً معروفين ، ومن تظلم من عامل الأعمال فصحت مظلمته قتل ذلك العامل وإلا قتل المتظلم منه إن كان كاذباً مبطلاً ، وحدود الصين من البر ثلاثة حدود ومن البحر حد واحد ﴿ فالحد الأول ﴾ الترك والتغزغز ولم تزل بينهم حروب متصلة ثم اصطلحوا وتصاهروا (والحد الثاني) التبت وبين التبت والصين جبل عليه مسالح يحترسون من التبت ، ومسالح للتبت يحترسون من الصين وهم ما بين حد البلدين ﴿ والحد الثالث ﴾ الى قوم يقال لهم « المانساس » لهم مملكة منفردة وهم في بلاد واسعة ﴿ ويقال ﴾ إن سعة بلادهم طول عدة سنين في عرض مثل ذلك لا يعرف أحد من وراءهم وهم قوم يقاربون أهل الصين ، والحد الواحد الذي يلي البحر فمنه يأتي المسلمون على ما ذكرنا من عدد البحور ودياناتهم عبادة الأوثان والشمس والقمر ، ولهم أعياد لأصنامهم أعظمها عيد في

أول السنة يقال له (الزارار) يخرجون الى مجمع ويعدون فيه الأطعمة والأشربة ثم يأتون برجل قد حبس نفسه على ذلك الصنم العظيم وعلى جميع شهواته وتمكن من كل ما يريد فتقدم الى ذلك الصنم وقد صير على أصابع يده شيئاً يشعل بالنار ثم يحرق أصابعه بالنار ويسير جها بين يدي ذلك الصنم حتى يحترق ويقع منها ميتاً فيقطع فمن نال منه شظية أو خرقة من ثيابه فقد فاز ، ثم يأتون برجل آخر يريد أن يحبس نفسه للصنم للسنة المجدودة فيقف موضعه ويلبس الثياب ويضرب عليه بالصنوج ثم يفترقون فيأكلون ويشربون ويقيمون أسبوعاً وينصرفون ، وهذا الشهر الذي هـذا العيد فيه تسمية جناح وهو أول يوم من حزيران ، وللصين حساب أيضاً وتسمي الشهور باسماء مخالفة على حساب قد فهموه فاولها جناح ورداح ورادح ومالح وكسران وبارد ونمرود وكنعان وزاغ وهراه وهرهر وباهر .

ملوك مصر من القبط وغيرهم

وكان بيصر بن حام بن نوح لما خرج من بابل بولده وأهل بيته وكانوا ثلاثين نفساً أربعة أولاده وهم مصر وفارق وماح وياح ونساؤهم ، فسار بهم الى منف وكان بيصر قد كبر وضعف وكان مصر أكبر ولده وأحبهم اليه فاستخلفه وأوصاه باخوته واقتطع مصر لنفسه وولده مسيرة شهرين من أربعة أوجه وكان منتهى ذلك من الشجرتين بين رفح والعريش الى أسوان طولاً ومن برقة الى أيلة عرضاً ، وأقام مصر متملكاً بعد أبيه دهراً وكان له أربعة اولاد وهم (قفط وأشمن واتريب وصا) فقسم لهم شط النيل وقطع لكل واحد قطيعة يحوزها هو وولده ، ثم ملك بعد مصر قفط ابن مصر ، ثم ملك أشمن بن مصر ، ثم ملك أتريب بن مصر ، ثم ملك صا بن مصر ، ثم ملك تدارس بن صا ، ثم ملك ماليق بن تدارس ، ثم ملك حرايا بن ماليق (١) ثم

(١) كذا في الأصل ، وفي العبارة سقط لأن الذي ملك بعد حرايا بن ماليق (كلى) ابن حرايا ثم ملك أخوه ماليا بن حرايا . (م . ص)

ملك أخوه ماليا بن حرايا ، ثم ملك لوطس بن ماليا ، فلما حضرت لوطس الوفاة ملكت ابنته حوريا فلما حضرت حوريا الوفاة ملكت بنت عم لها يقال لها دلقا بنت ماموم ، وكان أولاد بيصر قد كثروا وامتلأت البلاد منهم فلما ملكوا النساء طمعت فيهم العمالقة ملوك الشام فغزاهم ملك العمالقة وهو يومئذ الوليد بن دومع ووطئ البلاد فرضوا أن يملكوه عليهم فاقام دهراً طويلاً ، ثم ملك بعده آخر من العمالقة يقال له الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف ثم ملك آخر من العمالقة يقال له دارم بن الريان ، ثم ملك بعده كاسم بن معدان ثم ملك فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب ، فاختلفت الروات في نسبه (فقالوا) هو رجل من لخم ﴿ وقالوا ﴾ من غيرها من قبائل اليمن ﴿ وقالوا ﴾ من العمالقة ﴿ وقالوا ﴾ من قبط مصر يقال له « ظلما » وهو الذي كان من أمره مع موسى ما قد قصه الله جل وعز ، فعاش عمراً طويلا وعتا وبغى حتى قال أنا ربكم الأعلى ثم غرقه الله وجنوده في بحر القلزم فلما غرّق الله فرعون ومن معه لم يبق في البلد إلا الذرية والعبيد والنساء فاجتمع رأيهم على أن يملكوا امرأة يقال لها ﴿ دلوكة ﴾ لخافت أن يتخطى اليها ملوك الأرض فبنت حائطاً يحيط بارض مصر من القرى والمزارع والمدن وعملت أعمالا كثيرة ، وكان ملكها عشرين سنة ، ثم ملك دركون بن بلوطس ، ثم ملك بودس بن دركون ، ثم ملك لقاس بن بودس ثم ملك دنيا بن بودس ، ثم ملك نمادس بن مرينا فطغا وعتا فقتلوه ، ثم ملك بلوطس بن منا كيل ، ثم ملك ماليس بن بلوطس ، ثم ملك نوله بن منا كيل وهو فرعون الأعرج الذي سبى ملك بيت المقدس وصنع ببني اسرائيل ما لم يصنعه أحد وعتا وبلغ مبلغاً لم يبلغه أحد قبله بعد فرعون فصرعته دابته فدقت عنقه ، ثم ملك مرينوس ، ثم ملك نقاس بن مرينوس ، ثم ملك قومس بن نقاس ، ثم ملك منا كيل (١) اددامه الأعرج وهو (لحسار بر) الذي غزاه بخت نصر فهزمه وخرّب مصر وسبى أهلها فاقاموا

(١) كذا في الأصل ، وقد سماه المسعودي في مروج الذهب (كاميل) (م ص)

بعد ذلك يملكهم الروم فتنصروا في ذلك الوقت ، ثم غلبت فارس على الشام في أيام أنو شروان فملكوهم عشر سنين ، ثم ظهرت الروم فكان أهل مصر يؤدون الى الروم خراجاً والى فارس خراجاً يدفعون شر الفريقين ، ثم خرجت فارس عن الشام وصار أمرهم الى الروم فدانوا بدين النصرانية ، وكان حكيم القبط هرمس القبطي وهم أصحاب البرابي الذين يكتبون بخط البرابي وهوذا الخط الموجود (.....) وفي دهرنا قد عدم الناس معرفة قراءته والسبب في ذلك أنه لم يكن يكتب به منهم إلا الخواص وكانوا يمنعون العوام والذين يقومون به منهم حكماؤهم وكهانهم وكانت فيه أسرار دينهم وأصول مقالتهم التي لا يطلعون عليها إلا كهانهم ولا يعلمون بها أحداً إلا أن يأمر الملك بتعليمه فلما قهرتهم الروم وملكتهم بسطوة شديدة وسلطان أبطلوا ما كانوا يقومون به من سعيهم وأعمالهم وحملوهم في بدء أمورهم على شرائع اليونانيين حتى فسدت لغتهم وماز ج كلامهم كلام الروم ثم تنصرت الروم فحملوهم على التنصر فدرس جميع ما كانوا فيه من أمر دينهم وسنتهم وقتل الروم كهانهم وعلماءهم فهلك من كان يفهم ذلك الكتاب ومنع من بقي منهم من تعليمه والنظر فيه فلذلك ليس يوجد أحد يقرأه منهم ولا غيره ، وكانت ديانتهم عبادة الكواكب والقول بانها مدبرة مختارة وهم أصحاب القضايا بالنجوم وأنها تسعد وتنحس لأنهم زعموا أنها آلهتهم التي تحييهم وتميتهم وترزقهم وتسقيهم ، وكان من قولهم إن الارواح قديمة كانت في الفردوس الأعلى وإنه في كل ستة وثلاثين الف سنة يفنى جميع ما في العالم إما من تراب — يريدون الأرض وزلزلتها وخسوفها — اومن نار واحراق وسموم مهلك وإما من ريح هواء ردي فاسد غليظ عام يسد الأنفاس لغلظه فيهلك الحيوان ويتلف الحرث والنسل ثم يحيي الطبيعة من كل جنس من أجناس الحرث والنسل ويرجع العالم بعد فساده ، وكانت عندهم أن هذه الأرواح آلهة تنزل فتصير في الأصنام فتتكلم الأصنام لذلك وإنما كانوا يخدعون عوامهم بذلك ويسترون العلة

التي بها كانت تتكلم أصنامهم وهي بصنعة كان كهانهم يصنعوها وعقاقير يستعملونها وحيل يحتالونها حتى تصفر وتصيح بصنعة يحكون بها من حلقة الصنم كحلقة الطير أو البهيمة فيكون صوت ذلك الصنم مثل صوت جنسه من الحيوان ثم يترجم كهانهم ذلك الصوت من الصنم على ما يريدون اقتضاء به مما قد اتفقوا به من حساب النجوم وعلم الفراسة ، ويخبرون أن الأرواح إذا خرجت صارت الى هذه الآلهة التي هي الكواكب فتغسلها وتطهرها إن كانت لها ذنوب ثم تصعد الى الفردوس وحيث كانت ، ويقولون إن أنبياءهم كانوا يكلمونهم الكواكب ويعلمونهم بأن الأرواح تنزل الى الأصنام فتسكن فيها وتخبر بالحادث قبل أن يحدث ، وكانت لهم فطنة عجيبة دقيقة يوهمون بها العوام أنهم يكلمون الكواكب وأنها تنبئهم بما يحدث ولم يكن ذلك إلا لجودة علمهم بالأسرار التي للطوالع وصحة الفراسة فلم يكونوا يخطئون إلا القليل ، وادعوا علم ذلك من الكواكب وأنها تنبئهم بما يحدث وهذا باطل غير معقول ، ثم ملكهم اليونانيون ودخلوا في ملتهم ثم ملكهم الروم فتنصروا .

وكانت مملكة القبط أرض مصر ، فمن كور الصعيد منف ووسيم والشرقية والقيس والبهنسا وأهناس ودلاص والفيوم وأشمون وطحا وأبشاية وهووقفط والأقصر وأرمنت ، ومن كور أسفل الأرض أتريب وعين شمس وتنوا ومي وبنا وبوصير وسمنود ونوسا والأوسية والبجوم وبسطة وطرابية وقريط وصان وإبليل وسخا وبيلة والأفراحون ونقيزة والبشرود وطوة ومنوف العليا ومنوف السفلى ودمسيس وصا وشباس والبذقون وإخنا ورشيد وقرطسا وخربتا وترنوط ومصيل ومليدش .

والقبط تحسب سنيها على ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشهورها اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوماً ولها خمسة أيام تسميها النسيء ، فاول شهور القبط الذي يجعلونه رأس سنتهم « توت » ويسمون أول يوم منه « نيروز » وتقول إن فيه ابتداء عمارة الأرض ، وهذه اسماء شهورهم (توت بابه هتور كيك طوبه امشير برمهات

برموذه بشنش بونة ابيب مسرى) وكانت الخمسة الأيام التي ينسئونها بين مسرى وتوت ، والخط الذي تكتب به القبط بين اليوناني والرومي وهو على هذا الرسم (١)

ممالك البربر والأفارقة

وكانت البربر والأفارقة — وهم أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح — لما ملك إخوتهم بارض مصر فاخذوا من العريش الى أسوان طولاً ومن أيلة الى برقة عرضاً — خرجوا نحو المغرب فلما جازوا أرض برقة أخذوا البلاد فغلب كل قوم منهم على بلد حتى انتشروا بارض المغرب فاول من يملك منهم ﴿ لواته ﴾ في أرض يقال لها أجدابية من جبال برقة ، وملكت ﴿ مزاته ﴾ في أرض يقال لها وَدان فنسب هؤلاء القوم إلى أبيهم ، وجاز قوم منهم الى بلد يقال لها تورغة فملكوا هناك وهم هواره وسار آخرون الي بلاد ارميك وهم بذرعة ، وسار قوم الى طرابلس يقال لهم المصالين وجاز قوم الى غربي طرابلس يقال لهم وهيله ، ثم استعلت بهم الطريق فاخذ قوم الى القيروان يقال لهم برقشانه ، وأخذ آخرون ذات الشمال فصاروا الى تاهرت وهم الذين يقال لهم كتامه ومجيسة ، وأخذ قوم آخرون الى سجلماسة وهم الذين يقال لهم نفوسة ولمايه ، وأخذ قوم الى جبال هكار وهم الذين يقال لهم لمطه ويسمون العمالات وهم في بادية في غير مساكن ، وأخذ قوم الى طنجة يقال لهم مكناسة ، وأخذ قوم الى السوس الأقصى وهم الذين يقال لهم مداسه ، وقد ذكر قوم من البربر والأفارقة بانهم من ولد بربر بن عيلان بن نزار ، وقال آخرون إنهم من جذام ولخم ، وكانت مساكنهم فلسطين فأخرجهم بعض الملوك ولما صاروا الى مصر منعتهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل ثم غربوا فانتشروا في البلاد ، وقال آخرون إنهم من اليمن نفاهم بعض الملوك من بلد اليمن الى أقاصي المغرب ، وكل قوم ينصرون روايا تهم والله أعلم بالحق في ذلك .

(١) لم يذكر في الاصل رسم الخط القبطي . (م . ص)

ممالك الحبشة والسودان

وكان ولد حام بن نوح قصدوا عند تفرق ولد نوح من أرض بابل الى المغرب فجازوا من عبر الفرات الى مسقط الشمس ، وافترق ولد كوش بن حام — وهم الحبشة والسودان لما عبروا نيل مصر — فرقتين فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والحبشة والزنج ، وقصدت فرقة المغرب وهم زغاوة والحبس والقاقو والمريون ومرندة والكوكو وغانه ، فاما النوبة لما صارت في الجانب الغربي من النيل وتجاوزت مملكة القبط — وهم ولد بيصر بن حام بن نوح — تملكوا هناك فصارت النوبة مملكتين ﴿ فاحداهما ﴾ مملكة الذين يقال لهم (مقرة) وهم في شرق النيل وغربه ومدينة مملكتهم « دنقلة » وهم الذين سالموا المسلمين وأدوا اليهم البقط (١) وبلادهم بلاد نخل وكرم وزرع ، واتساع المملكة شبيه بشهرين ﴿ والمملكة الثانية ﴾ من النوبة الذين يقال لهم « علوة » أعظم خطراً من مقرة ، ومدينة مملكتهم يقال لها « سوبة » ولهم بلاد واسعة شبيهة بثلاثة أشهر والنيل متشعب عندهم في عدة خلجان .

مملكة البجة

وهم بين النيل والبحر ولهم عدة ممالك في كل بلد ملك منفرد ﴿ فأول مملكة ﴾ البجة من حد « أسوان » وهي آخر عمل المسلمين من التيمن بين المشرق والمغرب الى حد « بركات » وهم الجنس الذي يقال لهم « نقيس » ومدينة المملكة يقال لها (هجر) ولهم قبائل وبطون كما تكون للعرب فمنهم (الحدرات وحجاب والعماعر وكوبر ومناسه ورسفه وعربربعه والزنافج) وفي بلادهم المعادن من التبر والجوهر والزمرد ، وهم مسالمون للمسلمين والمسلمون يعملون في بلادهم في المعادن

(١) البقط بفتح الباء الموحدة وسكون القاف المعجمة ثم الطاء المهملة أن تعطي الرجل البستان على الثلث أو الربع . (م . ص)

﴿ والمملكة الثانية ﴾ من البجة مملكة يقال لها ﴿ بقلين ﴾ كثيرة المدن واسعة يضارعون في دينهم المجوس والثنوية فيسمون الله عز وجل ﴿ الزسجير الأعلى ﴾ ويسمون الشيطان (صحى حراقه) وهم الذين ينتفون لحاهم ويقلعون ثناياهم ويختتنون وبلادهم بلادمطر ، ثم ﴿ المملكة الثالثة ﴾ يقال لها ﴿ بازين ﴾ وهم يتاخمون مملكة علوة من النوبة ويتاخمون بقاين من البجة ويحاربون هؤلاء وزرعهم الذي يأكلونه (.....) وهو طعامهم واللبن ﴿ المملكة الرابعة ﴾ يقال لها [جارين] ولهم ملك خطير ومملكه ما بين بلد يقال له [باضع] وهو ساحل البحر الأعظم الى حد بركات من مملكة بقلين الى موضع يقال له [حل الدجاج] وهم قوم يقلعون ثناياهم من فوق وأسفل ويقولون لا يكون لنا أسنان كاسنان الحمير وينتفون لحاهم ﴿ والمملكة الخامسة ﴾ يقال لها (قطعة) وهي آخر ممالك البجة ومملكهم واسعة من حد موضع يقال له باضع الى موضع يقال له فيكون ، ولهم حد شديد وشوكة صعبة ولهم دار مقاتلة يقال لها [دار السوا] فيها أحداث شباب جلد مستعدون للحرب والقتال ، ثم ﴿ المملكة السادسة ﴾ وهي مملكة النجاشي وهو بلد واسع عظيم الشأن ، ومدينة المملكة [كبر] ولم تزل العرب تأتي اليها للتجارات ولها مدن عظام وساحلهم [دهلك] ومن في بلاد الحبشة من الملوك فهم من تحت يد الملك الأعظم يعطونه الطاعة ويؤدون اليه الخراج ، والنجاشي على دين النصرانية اليعقوبية ، وآخر مملكة الحبشة الزنج وهم يتصلون بالسند وما ضارع هذه البلدان ويتصل أيضاً بما دون الزنج مما يتأخم السند والكرك ، وهم قوم لهم حساب واجتماع قلوب .

وأما السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب وأنهم قطعوا البلاد فصارت لهم عدة ممالك ﴿ فأول ﴾ ممالكهم [الزغاوة] وهم النازلون بالموضع الذي يقال له [كانم] ومنازلهم أخصاص القصب وليسوا بأصحاب مدن ويسمى ملكهم [كاكره]

ومن الزغاوة صنف يقال لهم [الحوضن] ولهم ملك هو من الزغاوة ﴿ ثم مملكة ﴾ أخرى يقال لهم (ملل) وهم يبادون صاحب كانم ويسمى ملكهم ميوسى ﴿ ثم مملكة ﴾ الحبشة ، ولهم مدينة يقال لها [ثبير] ويسمى ملك هذه المدينة [مرح] ويتصل بهم القاقو إلا أنهم معولين وملكهم ملك ثبير (ثم مملكة) الكوكو وهي أعظم ممالك السودان وأجلها قدراً وأعظمها أمراً ، وكل الممالك يعطي لملكها الطاعة ، والكوكو اسم المدينة ، ودون هذا عدة ممالك يعطونه الطاعة ويقرون له بالرئاسة على أنهم ملوك بلدانهم فمنهم ﴿ مملكة المرو ﴾ وهي مملكة واسعة وللملك مدينة يقال لها [الحيا] ومملكة مردة ، ومملكة الهربر ، ومملكة صنهاجة ، ومملكة تذكرر ، ومملكة الزيانير ، ومملكة ارور ، ومملكة قاروت ، فهذه كلها تنسب الى مملكة الكوكو ﴿ ثم مملكة ﴾ غانه وملكها أيضاً عظيم الشأن وفي بلاده معادن الذهب وتحت يده عدة ملوك فمنهم مملكة عام ومملكة سامه ، وفي هذه البلاد كلها الذهب .

ملوك اليمن

ذكرت الرواة ومن يدعي العلم بالأخبار وأحوال الأمم والقبائل أن أول من ملك من ولد قحطان — بن هود النبي ابن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح — ﴿ سبا ﴾ بن يعرب بن قحطان ، وكان اسم سبا عبد شمس لأنه كان أول من ملك من ملوك العرب وسار في الأرض وسبى السبايا ، وكان يعرب بن قحطان أول من حيي بأنعم صباحاً أبيت اللعن .

ثم ملك بعد سبا ﴿ حمير ﴾ بن سبا واسم حمير زيد وكان أول ملك لبس التاج من الذهب مفصصاً بالياقوت الأحمر .

ثم ملك بعد حمير أخوه ﴿ كهلان ﴾ بن سبا فطال عمره حتى هرم .

ثم ملك بعد كهلان ﴿ ابو مالك ﴾ بن عميكرب بن سبا فدام ملكه ثلاثمائة سنة

ثم ملك بعد أبي مالك ﴿ حنادة ﴾ بن غالب بن زيد بن كهلان ، وكان

أول من صنع السيوف المشرفية وكان يصنع الطعام للجن بالليل ، وملك مائة وعشرين سنة

وملك بعد حنادة ﴿ الحارث ﴾ بن مالك بن افريقيس بن صيفي بن يشجب ابن سبا مائة وأربعين سنة .

ثم ملك بعد الحارث بن مالك ﴿ الرائش ﴾ وهو الحارث بن شداد بن ملطاط ابن عمرو بن ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبا ، وهو أول من غزا وأصاب الأموال وأدخل اليمن الغنائم من غيرها فسمي الرائش فغلب اسمه ، وكان ملكه مائة وخمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعد الرائش ابنه ﴿ أبرهة ﴾ بن الرائش وهو أبرهة ذو منار وذلك أنه صار الى ناحية المغرب وكان إذا غلب على بلد ضرب عليها النار ، وكان ملكه مائة وثمانين سنة .

ثم ملك بعد أبرهة ابنه ﴿ افريقيس ﴾ بن أبرهة فسلك سبيل أبيه ، وكان ملكه مائة وأربعاً وستين سنة .

ثم ملك بعد افريقيس أخوه ﴿ العبد ﴾ بن أبرهة وكان يسمى ذا الاذعار لأنه ذعر العدو وكان يأتي بقوم عجيبة خلقهم ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعد ذي الاذعار ﴿ الهدهاد ﴾ بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وكان ملكه سنة واحدة .

ثم ملك بعد الهدهاد ﴿ زيد ﴾ وهو تبع الأول بن نيكف فطال عمره وطغا وبغى وعتا [فيزعم الرواة] أنه ملك أربعمائة سنة ثم قتلته بلقيس .

وملكت ﴿ بلقيس ﴾ بنت الهدهاد بن شرحبيل فكان ملكها مائة وعشرين سنة ثم كان من أمرها مع سليمان ما كان فصار ملك اليمن لـ [سليمان بن داود] ثلاثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك ﴿ رحبعم ﴾ بن سليمان بن داود عشر سنين ثم رجع الأمر الى حمير فملك [ياسر ينعم] (١) بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن شرحبيل واشتد سلطانه فكان ملكه خمساً وثمانين سنة .

ثم ملك ﴿ شمّر ﴾ بن افريقيس بن أبرهة ثلاثاً وخمسين سنة .

ثم ملك ﴿ تبع ﴾ الأقرن بن شمر بن عميد فغزا الهند وأراد أن يغزو الصين وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة .

ثم ملك ﴿ ملكيكرب ﴾ بن تبع فغزا البلاد ففرّق قومه في أقاصي الأرض وقتلهم الى سجستان وخراسان واجتمعوا عليه فقتلوه ، وكان ملكه ثلثمائة وعشرين سنة

ثم ملك ﴿ حسان ﴾ بن تبع فاقام زماناً لا يغزو ، ثم وقع بين طسم وجديس ما وقع فسار اليهم تبع فلما قرب منهم قال له رجل من طسم كان معه إن معهم امرأة يقال لها « اليمامة » تنظر فلا تخطئ فاخاف أن تنذرهم فامر أصحابه فقطعوا من شجر الزيتون وقال ليحمل كل واحد منكم غصناً عظيماً من الزيتون خلفه فحمل كل غصناً عظيماً فلما نظرت قالت أرى شجراً يمشي قالوا وهل تمشي الشجر ، قالت نعم ورب كل حجر ومدر ، وإنها لخلف رجال حمير ، فكذبوها وصبحهم حسان فقتلهم وملّه قومه وثقلت عليهم وطأته فواطئوا أخاه عمرو بن تبع على قتله فلاذي رعين فانه نهى عن ذلك فقتله ، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن تبع بعد أن قتل أخاه فذهب عنه النوم وتنغص عيشه فقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه حتى بلغ الى ذي رعين فقال قد أشرت عليك أن لا تفعل فكتبت بيتي شعر هما عندك وكان قد دفع اليه رقعة فيها :

ألا من يشتري سهراً بنوم * سعيد من يبيت قرير عين

(١) كذا في الأصل ، وفي مروج الذهب وغيره سماه (ناشر النعم) وقال إنه ابن يعفر بن عمرو . (م . ص)

فأما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الآله لذي رعين

وكان ملك عمرو أربعاً وستين سنة ..

ثم ملك ﴿ تبع ﴾ بن حسان بن بحيله بن كليكرب بن تبع الأقرن ، وهو أسعد ابو كرب وهو الذي سار من اليمن الى يثرب وكان القطيون قد تملك على الأوس والخزرج فساءهم سوء العذاب فخرج مالك بن العجلان الخزرجي فشكا ذلك الى تبع فاعله غلبة قريظة والنضير عليهم فساق تبعاً اليهم فقتل من اليهود وكان تبع خلف ابناً له بين أظهرهم فقتلوه فزحف اليهم وحاربهم وكان رئيس الأنصار عمرو بن طلحة الخزرجي من بني النجار وكانوا يحاربونه بالنهار ويقرونه بالليل فيقول إن قومنا لكرام وجمع عظماء اليهود وقال إني مخرب هذه البلدة يعني المدينة فقالت الأحبار وعظماء اليهود إنك لا تقدر على ذلك قال ولم قالوا لأنها لنبي من بني اسماعيل يكون مخرجه من عند البيت المحرم فخرج وأخرج معه قوماً من أحبار اليهود فلما قرب من مكة أتاه نفر من هذيل فقالوا له إن هذا البيت الذي بمكة فيه أموال وكنوز وجوهر فلو أتيته فاخذت ما فيه وإنما أرادوا أن يفعل فيهلكه الله ﴿ وقيل ﴾ إنما أشار عليه قوم أن يهدمه ويحول حجارته الى اليمن فيبني بها هناك بيتاً تعظمه العرب فدعا تبع أحبار اليهود فذكر ذلك لهم فقالوا ما نعلم لله بيتاً في الأرض غير هذا البيت وما أراده أحد بسوء إلا أهلكه الله واعترضته علة في ليلته فقال له الأحبار إن كنت أضمرت لهذا البيت مكروهاً فارجع عنه وعظمه فرجع عما كان أضمر فاذهب الله عنه العلة فقتل من أشار عليه بهدمه وطاف به وعظمه ونحر وحلق رأسه ورأى في النوم أن اكسه فكساه الخصف فتجافى فرأى في نومه أن اكسه فكساه الملاء المعضد وقال شعراً فيه :

١ وكسونا البيت الذي حرم الله ملاءً معضداً وبرودا
ونحرنا بالشعب ستة آلا * ف ترى الناس نحوهن ورودا
وأمرنا أن لا نقرب الكعـ ..... بة ميتاً ولا دماً مصفودا

ثم طفنا بالبيت سبعاً وسبعاً * وسجدنا عند المقام سجودا
وأقمنا فيه من الشهر سبعاً * وجعلنا لبابه إقليدا

ثم رجع إلى اليمن ومعه الأحبار من اليهود فتهود هو وقومه ، وكان ملكه ثماني وسبعين سنة ، ثم تفرقت ملوك قحطان وملكوا أقواماً متفرقين منهم [عمرو] ابن تبع ثم نزعوه وملكوا [مرثد] بن عبد كلال أخا تبع لأمه فاقام أربعين سنة ثم ملك [وليعة] بن مرثد تسعاً وثلاثين سنة ، ثم ملك (أبرهة) بن الصباح وكان من أحكم ملوك اليمن وأغلظهم وكان ملكه ثلاثاً وتسعين سنة ، ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن ذي قيفان ، ثم ملك (ذو الكلاع) ثم ملك (لخيعة) ذو شناتر فكان من أخبث ملوك حمير وأرداها وكان يعمل عمل قوم لوط يبعث الى الغلام من أبناء الملوك فيلعب به ثم يتطلع في غرفة له وفي فمه السواك حتى بعث الى ذي نواس ابن أسعد ليلعب به فدخل ومعه سكين فلما خلا به وثب عليه ذو نواس وقتله وحز رأسه وصيره في الموضع الذي يتطلع منه فلما خرج صاح به من في الباب من الجيش ياذا نواس لاباس ، فقال الباس على صاحب الراس ، فنظروا فاذا به قد قتله فملكوا ذا نواس ، وكان ملك ذي شناتر سبعاً وعشرين سنة .

وملك ﴿ ذو نواس ﴾ بن أسعد وكان اسمه (زرعة) فعتا وهو صاحب « الأخدود » وذلك أنه كان على دين اليهودية وقدم اليمن رجل يقال له (عبد الله) ابن الثامر وكان على دين المسيح فاظهر دينه باليمن وكان إذا رأى العليل والسقيم قال أدعو الله لك يشفيك وترجع عن دين قومك فيفعل ذلك فكثر من اتبعه وبلغ ذانواس فجعل يطلب من قال بهذا الدين ويحفر لهم في الأرض الأخدود ويحرق بالنار ويقتل بالسيف حتى أتى عليهم فسار رجل منهم الى النجاشي وهو على دين النصرانية فوجه النجاشي الى اليمن بجيش عليهم رجل يقال له « أرياط » وهم في سبعين الفاً ومع أرياط في جيشه « أبرهة الأشرم » فسار اليه ذو نواس فلما التقوا انهزم ذو نواس

فلما رأى ذو نواس افتراق قومه وانهزامهم ضرب فرسه واقتحم به البحر فكان آخر العهد به ، وكان ملك ذي نواس ثماني وستين سنة . ودخل أرياط الحبشي اليمن فاقام بها عدة سنين ثم نازعه أبرهة الأشرم الأمر فافترقت الحبشة مع أرياط طائفة ومع أبرهة طائفة وخرجا للحرب وسار كل واحد الى صاحبه فلما التقوا قال أبرهة لأرياط ما نصنع يا أرياط بان نقتل الناس بيني وبينك أبرز إلي وأبرز اليك فاينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده عنه فبرز كل واحد الى صاحبه فضربه أرياط بالحربة فشرم عينيه وضربه غلام لأبرهة فقتله واجتمعت الحبشه باليمن على أبرهة فلما بلغ النجاشي غضب وحلف ليطأن أرضه برجله أو ليجزن ناصيته فحلق أبرهة رأسه وبعث بها اليه وبجراب من تراب أرضه وقال إنما أنا عبدك وأرياط عبدك اختلفنا في أمرك وكل طاعته لك فرضي عنه وخرج سيف بن ذي يزن الى قيصر يستجيش على الحبشة فاقام قبله سبع سنين ثم رده وقال هم قوم على دين النصرانية لا أحاربهم فسار الى كسرى فوجه باهل السجون ووجه معهم رئيساً يقال له « وهرز » فلما قدم البلد حارب الحبشة فقتل أبرهة الحبشي وغلب على البلد ، ثم ملك سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح وسيف الذي يقول فيه أمية بن أبي الصلب :

لا يطلب الثار إلا ابن ذي يزن * أقام في البحر للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته * فلم يجد عنده الأمر الذي قالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة * من السنين لقد أبعدت إيغالا
حتى أتى بني الأحرار يقدمهم * إذهب اليك لقد أسرعت قلقالا

وكانت ملوك اليمن يدينون بعبادة الأصنام في صدر من ملكهم ثم دانوا بدين اليهود وتلوا التوراة وذلك أن أحباراً من اليهود صاروا اليهم فعلموهم دين اليهودية ولم يكونوا يتجاوزون اليمن إلا أن يغيروا على البلاد ثم يرجعوا الى دار ملكهم .

وكور بلاد اليمن تسمى « مخاليف » وهي أربعة وثمانون مخلافاً وهذه أسماؤها

(اليحصبين ، ويكلا ، وذمار ، وطمؤ ، وعيان ، وطام ، وهمل ، وقدم وخيوان ، وسنحان ، وريحان ، وجرش ، وصعدة ، والأخروج ، ومجيح وحراز ، وهوزن ، وقفاعة ، والوزيرة ، والحجر ، والمعافر ، وعنة ، والشوافى وجبلان ، ووصاب ، والسكون ، وشرعب ، والجند ، ومسور ، والنجة والمزدرع ، وحيران ، ومأرب ، وحضور ، وعلقان ، وريشان ، وجيشان والنهم ، وبيش ، وضنكان ، وقربى ، وقنونا ، ورنية ، وزنيف ، والعرش والخصوف ، والساعد ، وبلجة ، والمهجم ، والكدراء ، والمعقر ، وزبيد ورمع ، والركب ، وبني مجيد ، ولحج ، وأبين ، والواديين ، وألهان . وحضرموت . ومقرى . وحيس . وحرض . والحقلين . وعنس . وبني عامر ومأذن . وحملان . وذي جرة . وخولان . والسرو . والدثينة . وكيبة . وتبالة)

ومن السواحل (عدن) وهي ساحل (صنعاء . والمندب . وغلافقة . والحردة والشرجة . وعثر . والحمضة . والسرين . وجدة)

هذه بلاد مملكة اليمن وبلدانها وكانوا ربما أغاروا على البلدان فيرجعون الى بلادهم واليمن قبائل كثيرة إذا دخلت فيهم قضاعة ﴿ فقد روي ﴾ أن رجلاً سأل رسول الله « ص » أيما أكثر نزار أو قحطان قال ما شاب قضاعة . وقضاعة في هذا الوقت مقيمة على أنها ولد ملك بن حمير .

وهذه جماهير قبائل اليمن مع من دخل فيهم من نزار من قضاعة وجذام ولخم وبجيلة وخثعم . وكان أول من ذكر اسمه وعرف قدره ﴿ سبا ﴾ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . فمن ولده كهلان بن سبا وحمير بن سبا . فمن قبائل كهلان ﴿ طيء ﴾ بن أدد بن زيد بن عريب بن كهلان ﴿ والأشعر ﴾ بن أدد بن زيد ﴿ وعنس ﴾ بن قيس بن الحارث بن مرة بن أدد ﴿ وجذام ولخم وعاملة ﴾ وهم بنو عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد ﴿ ومذحج ﴾ بن أدد بن زيد

ابن عريب بن كهلان . فمن قبائل مذحج سعد العشيرة (١) بن مذحج . ومراد ابن مذحج . والنخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج . وحكم وجعفى ابنا سعد العشيرة بن مذحج . وخولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج . وزبيد بن الصعب بن سعد العشيرة بن مذحج ﴿ وهمدان ﴾ واسمه أوسلة بن خيار بن ربيعة ابن مالك بن زيد بن كهلان ﴿ وخثعم وبجيلة ﴾ ابنا أنمار بن نزار بن عمرو بن الحبار ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ﴿ والأزد ﴾ بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان . فمن قبائل (الأزد) عك بن عدثان (٢) بن الذنب ابن عبد الله بن الأزد . على أن عكا تنسب الى عدنان بن أدد . والعتيك بن أسد بن عمرو بن الأزد . وغسان وهو مازن بن الأزد . فمن قبائل غسان (خزاعة) وهو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن غسان (.....) بن وادعة بن عمران بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس (والأوس والخزرج) ابنا حارثة بن ثعلبة بن غسان . قال حسان بن ثابت الانصاري

ونحن بنو الغوث بن نبت بن مالك به * بن زيد بن كهلان وأهل المفاخر

ومن قبائل حمير (قضاعة) وقضاعة فيما يزعم النسابون ابن نزار بن معد بن عدنان وكان نزار يكنى أبا قضاعة . فمن قبائل قضاعة بهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة . وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وعذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وسليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة : والقين بن جسر بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان : وتنوخ

---

(١) سمي سعد العشيرة لأنه بلغ ولده وولد ولده مائة رجل يركبون معه فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتي وقاية لهم من العين .

(٢) عدثان بالثاء المثلثة قبل الألف . وقال بعض النسابين هو بالنون (م ص)

وهو مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان فهذه جماهير قضاعة

ومن حمير بن سبا ﴿ الصدف ﴾ بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن وائل بن عبد شمس بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، والناس في حضرموت مختلفون (وقد ذكر قوم) أنهم من الأمم الخالية التي تقطعت مثل (طسم وجديس وعاد وثمود وعبس الأولى وأوبار وجرهم) وكان تفرق أهل اليمن في البلاد وخروجهم عن ديارهم بسبب سيل العرم ، وكان أول ذلك — على ما حملته الروات — أن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد كان رئيس القوم وكان كاهناً فرأى أن بلاد اليمن تغرق فاظهر غضبة على بعض ولده وباع مرباعه وخرج هو وأهل بيته فصار الى بلاد « عك » ثم ارتحلوا الى « نجران » فحاربتهم مذحج ثم ارتحلوا عن نجران فمروا ﴿ بمكة ﴾ وبها يومئذٍ « جرهم » فحاربوهم حتى أخرجوهم عن البلد فصاروا الى « الجحفة » ثم ارتحلوا الى يثرب فتخلف بها الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ولحق بهم جماعة من الأزد غير ابني حارثة فصار بعضهم حلفاء ودخل بعضهم معهم وتفرقت الأزد بيثرب وكانت يثرب منازل اليهود فنازعتهم وغلبهم اليهود بكثرتهم وقهروهم حتى كان الرجل من اليهود ليأتي منزل الأنصاري فلا يمكنه دفعه عن أهله وماله حتى دخل رجل منهم يقال له الفطيون الى دار مالك بن العجلان فوثب عليه فقتله ثم صار الى بعض ملوك اليمن فشكا اليه ما يلقون من اليهود فسار ذلك الملك اليهم بجيشه حتى قتل من اليهود مقتلة عظيمة فصلحت حال الأوس والخزرج وغرس النخل وأنشأوا المنازل وسار باقي القوم يأمون الشام حتى صاروا الى أرض « السراة » فاقام أزد شنؤة بالسراة وما حولها وخرج منهم قبائل الى عمان فكان أول من صار منهم الى عمان مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وتزوج

مالك بامرأة من عبد القيس فولدت له عدة أولاد ﴿ فيقال ﴾ إن أصغر ولده قتله كان معه في إبل له فقام مالك بن فهم يطوف في الابل فرفع رأسه فتوهمه ابنه سارقاً فرماه فقتله ، وكان يقال لأمه سليمة فيقال إن مالك بن فهم قال :

أعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رماني

ثم لحق بعد مالك بن فهم جماعة من بطون الأزد — منهم الربيعة وعمران بنو عمرو بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وهم بارق وغالب ويشكر بن قيس بن صعب ابن دهمان ، وقوم من عامر وقوم من حوالة — بعمان فلما صاروا بعمان انتشروا بالبحرين وهجر وكان بارض تهامة من الأزد الجدرة وهم من ولد عمرو بن خزيمة ابن جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد ، وذلك أن عمراً بنى جدار الكعبة فسمي الجادر وسار منهم نفر إلى هراة من أرض خراسان .

وسارت غسان الى الشام حتى نزلت بارض البلقاء وكان بالشام قوم من سليح قد دخلوا ذمة الروم وتنصروا فسألتهم غسان أن تدخل معهم في ذلك فكتبوا الى ملك الروم فاجابهم ملك الروم إلى ذلك ثم ساء مجاورتهم عامله على دمشق فحمل عليهم صاحب الروم بجماعة من العرب من قضاعة من قبل ملك الروم ، ثم إن غسان طلبت الصلح فاجابهم ملك الروم وكان رئيس غسان يومئذٍ جفنة بن علية بن عمرو بن عامر فتنصرت غسان فاقامت بالشام مملكة من قبل صاحب الروم وسار من ولد حوالة بن الهنو بن الأزد الى الموصل فنزلوها وكان أهل اليمن يرون أن بلدهم يغرق من سد مأرب فحصنوه وحرسوه فلما بعث الله عليهم سيل العرم دخل عليهم الماء من جحر لجرذ كان تحفر في السد فغرقهم .

ملوك الشام

وكانت الشام دار ملك بني إسرائيل فيقال إن أول ملك بدمشق ﴿ بالغ ﴾

ابن بعور ، ثم ملك ﴿ يوباب ﴾ وهو أيوب بن زارح الصدّيق وكان من خبره ما قد قصه الله عز وجل ثم ملك ﴿ مينسوس ﴾ وكانت بنو إسرائيل تحاربهم ، ثم ملك ﴿ هوسير ﴾ من أهل « لدّ » ثم انقطعت الممالك فكانت ملوك بني اسرائيل حتى انقرضوا ، وغلبت الروم على ملكها فخرج القوم عن البلاد فكانت قضاعة أول من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملكوهم فكان أول الملك (لتنوخ) ابن مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدخلوا في دين النصرانية فملكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب فكان أول من ملك منهم ﴿ النعمان ﴾ بن عمرو بن مالك ثم غلبت بنو سليح وهم بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وأقامت بنو سليح زماناً على ذلك فلما تفرقت الأزد وصار من صار منهم إلى تهامة ومن صار إلى يثرب ومن صار الى عمان وغير ذلك من البلدان فصارت غسان الى الشام فقدموا أرض البلقاء فسألوا سليحاً أن يدخلوا معهم فيما دخلوا فيه من طاعة ملك الروم وأن يقيموا في البلاد لهم مالهم وعليهم ما عليهم ، فكتب رئيس سليح وهو يومئذٍ « دهمان بن العملق » الى ملك الروم وهو يومئذٍ ﴿ توشر ﴾ وكان منزله « أنطاكية » فاجابهم الى ذلك وشرط عليهم شروطاً فاقاموا ثم جرى بينهم وبين ملك الروم مشاجرة بسبب الأتاوة التي يقبضها ملك الروم حتى أن رجلاً من غسان يقال له « جذع » ضرب رجلاً من أصحاب ملك الروم بسيفه فقتله فقال بعضهم [خذ من جذع ما أعطاك] فذهب مثلا فحاربهم صاحب الروم فاقاموا ملياً يحاربونه « ببصرى » من أرض دمشق ثم صاروا الى « المخفق » فلما رأى ملك الروم صبرهم على الحرب ومقاومتهم جيوشه كره أن تكون ثلمة عليهم وطلب القوم الصلح على أن لا يكون عليهم ملك من غيرهم فاجابهم ملك الروم الى ذلك فملك عليهم ﴿ جفنة ﴾ بن علية بن عمرو بن عامر واستقام الذي بينهم وبين الروم وصارت أمورهم واحدة ، وكان أول ملك جل قدره وعلا ذكره من

غسان بعد جفنة بن علية ﴿ الحارث ﴾ بن مالك بن الحارث بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عدي بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ، وملك بعده ﴿ الحارث ﴾ الأكبر بن كعب بن علية ابن عمرو بن عامر ، وكعب هو جفنة وهو ابن مارية وأمه مارية بنت عاديا بن عامر ثم ملك أخوه ﴿ الحارث ﴾ الأعرج فنزل الجولان ، ثم ملك أخوه ﴿ الحارث ﴾ الأصغر ، ثم ملك ﴿ جبلة ﴾ بن المنذر ، ثم ملك ﴿ الحارث ﴾ بن جبلة (١) ثم ملك [الأيهم] بن جبلة ، ثم (جبلة) بن الأيهم ، وكان الحارث بن أبي شمر بن الأيهم مملكا بالأردن وكان منزل جبلة دمشق ، وفي جبلة بن الأيهم وأمه يقول حسان بن ثابت :

لله در عصابة نادمتهم * يوماً بجلق في الزمان الأول
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

(١) كان للحارث هذا مقام رفيع عند الروم وكانوا يهابون سطوته ويعجبون بشجاعته وقد بالغوا في تقريبه وترفيته والخلع عليه حتى سموه ملكاً وبطريقاً ، وبلغ من شهرته في الشجاعة وشدة البأس حتى كانت النساء يخوفن أولادهن باسمه فاذا بكى أو تمرد قالت له أمه « أسكت وإلا أتيتك بالحارث بن جبلة » وهو الذي وقعت بينه وبين المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء اللخمي المعركة الهائلة التي يسميها العرب (يوم ذات الخيار) أو (عين أباغ) فكان من جراتها قتل المنذر ودخول قنسرين في حوزة الحارث بعد أن قتل بعض أبنائه ، والمنذر هذا هو صاحب (الغريين) ويوم البؤس والنعيم ، وهي القصة المشهورة التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان في مادة (الغريان) وذكرها غيره من المؤرخين . (م . ص)

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

ملوك الحيرة من اليمن

قالت الرواة وأهل العلم إنه لما تفرّق أهل اليمن قدم ﴿ مالك ﴾ بن فهم بن غنم بن دوس حتى نزل أرض العراق في أيام ملوك الطوائف فاصاب قوماً من العرب من معد وغيرهم بالجزيرة فملكوه عشرين سنة ثم أقبل ﴿ جذيمة ﴾ الأبرش فتكهن وعمل صنمين يقال لهما [الضيزنان] فاستهوى أحياءً من أحياء العرب حتى صار بهم الى أرض العراق وبها دار أياد بن نزار وكانت ديارهم بين أرض الجزيرة الى أرض البصرة فحاربوه حتى إذا صار الى ناحية يقال لها [بقة] على شط الفرات بالقرب من الأنبار وكانت تملك الناحية إمرأة يقال لها [الزباء] ملكت تلك الناحية وكانت شديدة الزهادة في الرجال فلما صار جذيمة الى أرض الأنبار واجتمع له من أجناده ما اجتمع قال لأصحابه إني قد عزمت على أن أرسل الى الزباء فاتزوجها وأجمع ملكها إلى ملكي فقال غلام له يقال له قصير إن الزباء لو كانت ممن تنكح الرجال لسبقت اليها فكتب اليها وكتبت اليه أن أقبل إلي أزوجك نفسي فارتحل اليها فقال له قصير لم أر رجلاً يزف الى امرأة قبلك وهذه فرسك ﴿ العصا ﴾ قد صنعتها فاركبها وانج بنفسك فلم يفعل فلما دخل عليها كشفت عن فخذها فقالت : أدأب عروس ترى قال : دأب فاجرة، بظراء غادرة ، فقطعته الزباء وركب قصير الفرس (العصا) ونجا ، ولما قتل جذيمة ملك مكانه ابن أخته ﴿ عمرو ﴾ بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن حارث ابن مالك بن عمم (١) بن نمارة بن لخم فقال قصير لعمرو لا تعصني أنت قال قل ما بدا لك قال اجدع انفي واقطع أذني وخلني ففعل ذلك فصار الى الزباء وقال إني كنت من النصح لجذيمة على ما رأيت ولعمرو ابن اخته حتى ملكته فكان جزائي عنده أن فعل بي ما ترين فجئتك لأكون في خدمتك ولعل الله أن يجري قتل عمرو على يدك ولم يزل

(١) عمم بميمين واسمه عدي وإنما اشتهر بذلك لأنه أول من اعتم . (م ص)

يحتال لها حتى وجهته في تجارة فاتاها باموال كثيرة مرة بعد مرة فاعجبها ذلك فوثقت به فلما استحكمت ثقتها به صار الى عمرو فقال أقعد الرجال في الصناديق فحمل أربعة آلاف رجل على الفي جمل معهم السيوف ثم أدخلهم مدينتها وفيهم عمرو وفرق الصناديق في منازل أصحابها وأدخل عدة منها دارها فلما كان الليل خرجوا وقتلوا الزباء وخلقاً من أهل مملكتها ، وملك عمرو بن عدي خمساً وخمسين سنة ، ثم ملك [امرؤ القيس] ابن عمرو خمساً وثلاثين سنة ، ثم ملك أخوه ﴿ الحارث ﴾ بن عمرو سبعاً وثمانين سنة ، ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي أربعين سنة ، ثم ملك ﴿ المنذر ﴾ بن امرئ القيس وهو المحرق ، وإنما سمي محرقاً لأنه أخذ قوماً حاربوه فحرقهم فسمي لذلك محرقاً ، ثم ملك ﴿ النعمان ﴾ وهو الذي (١) بنى الخورنق فبينما هو جالس ينظر منه الى ما بين يديه من الفرات وما عليه من النخل والأجنة والأشجار إذ ذكر الموت فقال وما ينفع هذا مع نزول الموت وفراق الدنيا فتنسك واعتزل الملك وإياه عنى عدي بن زيد حيث يقول :

وتفكر ربَّ الخورنق إذ أشـ * ـرف يوماً وللهدى تفكير
سرَّه حاله وكثرة ما يمـ * ـلك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ * ـطة حي الى الممات يصير

(١) هذا هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأعور السائح من أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة عاصر فيها من ملوك الفرس يزدجرد الأول وبهرام جور وكان من أشد ملوك العرب نكاية في أعدائه وأبعدهم مغاراً ، غزا الشام مراراً وأكثر من المصائب في أهلها وسبى وغنم وجند الجند على نظام عرف به وكان عنده من الجيش كتيبتان احداهما مؤلفة من رجال الفرس إسمها (الشهباء) والأخرى من تنوخ اسمها [دوسر] فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب ، أنظر أخباره في (العرب قبل الاسلام) لجرجي زيدان . (م . ص)

وملك بعده ﴿ المنذر ﴾ بن النعمان ثلاثين سنة ، ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن المنذر وهو الذي قتل الحارث بن ظالم عنده خالد بن جعفر بن كلاب فنذر دمه وطلبه فطلب الحارث ابنه وكان مسترضعاً في آل سنان فقتله .

ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن المنذر الثاني (١) وهو ابن هند وكان يلقب [مضرط الحجارة] وكان قد جعل الدهر يومين يوماً يصيد فيه ويوماً يشرب فاذا جلس لشربه أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى يرتفع مجلس شرابه فقال طرفة بن العبد :

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثاً حول حجرتنا تخور
قسمت الدهر في زمن رخيٍ * كذاك الدهر يعدل أو يجور
من الزمرات أسبل قادماها * فضرتها مركنة درور
لعمرك إن قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير
لنا يوم ولكروان يوم * تطير البائسات ولا نطير
فأما يومهن فيوم سوءٍ * تطاردهن بالخسف الصقور
وأما يومنا فنظل ركباً * وقوفاً لا نحل ولا نسير

ولم يزل طرفة يهجوه ويهجو أخاه قابوساً ويذكرها بالقبيح ويشبب باخت عمرو ويذكرها بالعظيم فكان مما قال فيه :

(١) هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس الملقب بابن ماء السماء ويسمى المحرق الثاني ويعرف باسم أمه هند بنت عمة امرئ القيس الشاعر الشهير ولدت للمنذر عمراً هذا وقابوساً وكان حكمه ١٦ سنة وكان شديد السلطان وقد غزا بني تميم في دارهم وقتل من بني دارم كثيرين (يوم أوراة) الثاني وبالغ بالعظمة والكبرياء حتى توهم في نفسه الفضل على الناس كلهم وخيل له أنه ليس من أمير في العرب لا يخدمه ويتمنى رضاه وكانت تلك الدعوى سبب قتله ، فقتله عمرو بن كلثوم التغلبي لقضية صدرت من أمه هند مع أم عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل بن ربيعة مما هو مسطور في التاريخ .

إن شرار الملوك قد علموا * طراً وأدناهم من الدنس
عمرو وقابوس وابن أمهما * من يأتهم للخنا بمحتبس
يأت الذي لا تخاف سبّته * عمرو وقابوس قينتا عرس
يصبح عمرو على الأمور وقد * خضخض ما للرجال كالفرس

وكان المتلمس (١) حليفاً لطرفة فكان يساعده على هجائه فقال لهما عمرو قد طال ثواكما ولا مال قبلي ولكن قد كتبت لكما إلى عاملي بالبحرين يدفع لكل واحد منكما مائة الف درهم فاخذ كل واحد منهما صحيفة فاستراب المتلمس بامره فلما صار على نهر الحيرة لقيا غلاماً عبادياً فقال له المتلمس أتحسن أن تقرأ قال نعم قال اقرأ هذه الصحيفة فقرأها فاذا فيها إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه فطرح الصحيفة وقال لطرفة في صحيفتك مثل هذا قال ليس يجترئ على قومي بهذا وأنا بذلك البلد أعز منه فمضى طرفة الى عامل البحرين فلما قرأ صحيفته قطع يديه ورجليه وصلبه .

ثم ملك أخوه ﴿قابوس﴾ بن المنذر (٢) ثم ملك ﴿المنذر﴾ بن المنذر أربع سنين

وكان هؤلاء الملوك من قبل الأكاسرة يؤدون اليهم الطاعة ويحملون الخراج وكانت قبائل معدّ مجتمعة عليهم وكان أشدها امتناعاً غطفان وأسد بن خزيمة وكان يأتيهم الرجل من معد على جهة الزيارة فيحيونه ويكرمونه وكان ضمن إياهم من رؤساء القبائل الربيع بن زياد العبسي والحارث بن ظالم المري وسنان بن أبي حارثة والنابغة الذبياني الشاعر ، وكانت الملوك تعظم الشعراء وترفع أقدارهم لما يقون لهم من المدح

(١) المتلمس لقب جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوقن بن حرب بن وهب بن بلى بن أحمس بن ضبعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو الشاعر الشهير خال طرفة بن العبد وبصحيفته المذكورة يضرب المثل فيقال (أشأم من صحيفة المتلمس)

(٢) ملك قابوس بن المنذر أربع سنين ، وكان ضعيفاً وفيه لين وسموه فتة العرب وله مع بني يربوع (يوم طخفة) المشهور . (م . ص)

والذكر فكان النابغة مقدماً عند ملوكهم ثم شبب بامرأة المنذر في قصيدته التي يقول فيها

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

فنذر المنذر دمه فهرب الى الشام الى ملوك غسان ثم اعتذر الى المنذر بشعره الذي يقول فيه :

فانك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المنتأى منك واسع

ويقول :

نبئت أن أبا قابوس أوعدني * ولا قرار على زأر من الأسد

وكان مع المنذر أهل بيت من بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، وكان من أهل ذلك البيت عدي بن زيد العبادي وكان خطيباً شاعراً قد كتب العربية والفارسية وكان المنذر قد جعل عندهم ابنه « النعمان » فأرضعوه وكان في حجورهم فكتب كسرى الى المنذر أن يبعث له بقوم من العرب يترجمون الكتب له فبعث بعدي بن زيد وأخوين له فكانوا في كتابه يترجمون له فلما مات المنذر قال كسرى لعدي بن زيد هل بقي أحد من أهل هذا البيت يصلح للملك قال نعم إن للمنذر ثلاثة عشر ولداً كلهم يصلح لما يريد الملك فبعث فأقدمهم وكانوا من أجمل أهل بيت المنذر إلا ما كان من النعمان فانه كان أحمر أبرش قصيراً فكان أهل بيت عدي بن زيد الذين ربّوه وأمه سبية يقال لها « سلمى » يقال إنها من كلب فأنزلهم عدي بن زيد كل واحد على حدته وكان يفضل أخوة النعمان عليه في النزل ويريهم أنه لا يرجوه ويخلو بهم رجلاً رجلاً ويقول لهم إن سألكم الملك هل تكفوني العرب فقولوا له لن نكفيكم إلا النعمان وقال للنعمان إن سألك الملك عن اخوتك فقل إن عجزت عنهم فأنا عن العرب أعجز وكان من بني المنذر رجل يقال له الأسود وكانت أمه من بني الرباب وكان من الرجال وكان بحضنه أهل بيت من الحيرة يقال لهم بنو مرينا كانوا أشرافاً وكان منهم رجل يقال له عدي بن أوس بن مرينا كان مارداً شاعراً وكان يقول للأسود بن المنذر أخي النعمان

إنك قد عرفت أني لك راج وأن طلبتي اليك ورغبتي أن تخالف عدي بن زيد فانه ولك
ما ينصحك أبداً فلم يلتفت الى قوله فلما أمر كسرى عدي بن زيد أن يدخلهم على
جعل يدخلهم رجلاً رجلاً فكان يرى رجلاً ما رأى مثلهم فاذا سألهم هل تكفونني
ما كنتم تكفون قالوا لن تكفيك العرب إلا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً
وسيماً فكلمه فقال هل تستطيع أن تكفيني العرب قال نعم قال فكيف تصنع بأخوتك
قال إن عجزت عنهم فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه وألبسه اللؤلؤ فلما خرج وقد
ملك قال عدي بن أوس بن مرينا للأسود دونك قد خالفت الرأي ومضى النعمان
مملكاً على عدي بن مرينا فأمر قوماً من خاصة النعمان وأصحابه أن يذكروا عدياً
زيد عنده ويقولوا إنه يزعم أن الملك عامله وأنه هو ولاه ولولاه ما ولي وكلاماً نحو هذا
فلم يزالوا يتكلمون بحضرة النعمان حتى أحفظوه وأغضبوه على عدي بن زيد فكتب
النعمان إلى عدي عزمت عليك إلا زرتني فاستأذن كسرى وقدم عليه فلما صار الى النعمان
أمر بحبسه في حبس لا يصل اليه فيه أحد وكان له مع كسرى أخوان يقال لأحدهما
أبي وللآخر سمي وكانا عند كسرى وكان أحدهما يسره هلاكه والآخر يحب
صلاحه فجعل عدي يقول الشعر في محبسه ويستعطف النعمان ويذكر له حرمته ويعظه
بذكر الملوك المتقدمين فلم ينفعه ذلك وجعل أعداؤه من آل مرينا يحملون عليه النعمان
ويقولون له إن أفلت قتلك وكان سبب هلاكك فلما يئس عدي أن يجد عند النعمان
خيراً كتب الى أخيه :

ألا ابلغ أبيـاً على نأيه * وهل ينفع المرء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤا * د كنت به والهاً ما سلم
لدى ملك موثق بالحديـ * ـد إما بحق وإمـا ظلم
فلا تلفين كذاك الغلا * م إن لا تجد عارماً تعترم
فأرضك أرضك إن تأتنا * تنم نومة ليس فيها حلم

وكتب الى ابنه عمرو بن عدي وكانت له ناحية من كسرى

لمن ليل بذي حبس طويل * عظيم شقه حزن دخيل
وما ظلم امرئ في الجيد غل * وفي الساقين ذو حلق طويل
ألا هبلتك أمك عمرو بعدي * أتقعد لا أفك ولا تصول
ألم يحزنك أن أباك عانٍ * وأنت مغيَّب غالتك غول
تغنيك ابنة القين بن جسر * وفي كاب فيصحبك الشمول
فلو كنت الأسير ولا تكنه * إذاً علمت معد ما أقول
وإن أهلك فقد أبليت قومي * بلاءً كله حسن جميل
وما قصرت في طلب المعالي * فتقصر في المنية أو تطول

فقام أخوه وابنه ومن معهما الى كسرى فكلماه في أمره فكتب كسرى الى النعمان يأمره بتخلية سبيله ووجه في ذلك رسولاً قال فسأل أبي بن زيد الرسول أن يبدئ بعدي فابتدأ الرسول به فقال عدي إنك إن فارقتني قتلت قال كلا لا يجترئ النعمان على الملك فبلغ النعمان مصير رسول كسرى إلى عدي فلما خرج من عنده وجه اليه النعمان من قتله ووضع على وجهه وسادة حتى مات ثم قال للرسول إن عدياً قد مات وأعطاه وأجازه وتوثق منه أن لا يخبر كسرى إلا أنه وجده ميتاً وكتب الى كسرى أنه مات .

وكان عمرو بن عدي يترجم الكتب لكسرى وطلب كسرى جارية ووصف صفتها فلم توجد له فقال له عمرو بن عدي بن زيد أيها الملك عند عبدك النعمان بنات له وقرابات على أكثر مما يطلب الملك ولكنه يرغب بنفسه عن الملك ويزعم أنه خير منه فوجه كسرى الى النعمان يأمره أن يبعث اليه ابنته ليتزوجها فقال النعمان أما في بين السواد وفارس ما بلغ الملك حاجته ولما انصرف الرسول خبر كسرى بقول النعمان قال كسرى وما يعني بالعين قال عمرو بن عدي بن زيد أراد البقر ذهاباً بابنته عن الملك

فغضب كسرى وقال رب عبد قد صار إلى أكبر من هذا ثم صار أمره الى تباب فبلغت النعمان فاستعد وأمسك عنه كسرى شهراً ثم كتب اليه بالقدوم عليه فعلم النعمان ما أراد فحمل سلاحه وما قوي عليه ولحق بجبلي طيئ ، وكانت سعدى بنت حارثة عنده فسأل طيئاً أن يمنعوه من كسرى فقالوا لا قوة لنا به فانصرف عنهم وجعلت العرب تمنع من قبوله حتى نزل في بطن ذي قار في بني شيبان فلقي هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فدفع اليه سلاحه وأودعه بنته وحرمته ومضى إلى كسرى فنزل ببابه فامر به فقيد ثم وجه به الى خانقين فلقيه عمرو بن عدي بن زيد فقال يا نعيم (تصغيراً به) لقد شددت لك أواخي لا يقلعها إلا المهر الأرن فقال أرجو أن تكون قد قرنتها بقارح فلما مضى به الى خانقين طرح به تحت الفيلة فداسته حتى قتلته وقرب للأسود فاكلته ، ووجه كسرى الى هانئ بن مسعود أن ابعث الي مال عبدي الذي عندك وسلاحه وبناته فلم يفعل هانئ فوجه اليه كسرى بجيش فاجتمعت ربيعة وكانت وقعة ذي قار فمزقت العرب العجم وكان أول يوم ظفرت فيه العرب بالعجم ﴿ ويروى ﴾ عن رسول الله (ص) أنه قال هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا .

حرب كندة

وكانت بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم وكانت كندة قد اجتمعت على رجلين أحدهما سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب وكان على بني الحارث بن معاوية عمرو بن زيد ، وشرحبيل بن الحارث على السكون ، واجتمعت حضرموت على عدة رؤساء منهم مسعر بن مستعر ، وسلامة بن حجر ، وشراحيل بن مرة ، وعدة بعد هؤلاء فزال هؤلاء كلهم وطالت الحرب بينهم وفتنت رجالهم ودامت حتى ضرستهم وكثر القتل في كندة وملكت حضرموت علقمة بن ثعلب وهو يومئذ غلام فلانت كندة بعض اللين وكرهت محاربة حضرموت ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق فلما

افترق أهل اليمن وانتشروا في البلاد ملك كل قوم عظيمهم وصارت كندة إلى أرض معد فجاورتهم ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم يقال له ﴿ مرتع ﴾ بن معاوية بن ثور فملك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه ﴿ ثور ﴾ بن مرتع فلم يقم إلا يسيراً حتى مات فملك بعده ﴿ معاوية ﴾ بن ثور ، ثم ملك ﴿ الحارث ﴾ بن معاوية فكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك ﴿ وهب ﴾ بن الحارث عشرين سنة ثم ملك بعده ﴿ حجر ﴾ بن عمرو آكل المرار (١) ثلاثاً وعشرين سنة ، وهو الذي حالف بين كندة وربيعة وكان تحالفهم بالذنائب (٢) ثم ملك بعده ﴿ عمرو ﴾ ابن حجر أربعين سنة ، وغزا الشام ومعه ربيعة فلقيه الحارث بن أبي شمر فقتله ، فملك بعده ﴿ الحارث ﴾ بن عمرو ، وأمه ابنة عوف بن ملحم الشيباني ونزل بالحيرة وفرق ملكه على ولده ، وكان له أربعة أولاد (حجر ، وشرحبيل ، وسلمة الغلفاء ومعدي كرب) فملك حجراً في أسد وكنانة ، وملك شرحبيل على غنم وطيء والرباب ، وملك سلمة الغلفاء على تغلب والنمر بن قاسط ، وملك معدي كرب على

(١) المرار بالضم شجر مر من أفضل العشب وأضخمه إذا أكلته الابل قلصت عنها مشافرها فبدت أسنانها . ﴿ قيل ﴾ سمي حجر آكل المرار لكثر كان به ﴿ وقيل ﴾ لأن ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سليح يقال له (زياد) بن هبولة من الضجاعمة فقالت له ابنة حجر كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار تعني كاشراً عن انيابه ﴿ وقيل ﴾ إنه كان في نفر من أصحابه في سفر فاصابهم الجوع فاما هو فأكل المرار حتى شبع ونجا وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك اكثرهم ففضل عليهم بصبره على أكله المرار ، توفي حجر بن عمرو هذا سنة ٤٥٠ ميلادية .

(٢) الذنائب موضع بنجد هو على يسار طريق مكة ﴿ وقيل ﴾ هو عن يسار (لجة) للمصعد الى مكة وبه قبر (كليب) وفيها منازل ربيعة ثم منازل بني وائل (قاله في تاج العروس) (م . ص)

قيس بن عيلان ، وكانوا يجاورون ملوك الحيرة فقتلوا الحارث وقام ولده بما كان في أيديهم وصبروا على قتال المنذر حتى كافئوه فلما رأى المنذر تغلبهم على أرض العرب نفسهم ذلك وأوقع بينهم الشرور فوجه الى سلمة الغلفاء بهدايا ثم دس إلى شرحبيل من قال له إن سلمة أكبر منك وهذه الهدايا تأتيه من المنذر فقطع الهدايا فاخذها ثم أغرى بينهما حتى تحاربا فقتل شرحبيل فكانت معه تميم وضبة فلما قتل خاف الناس أن يقولوا لأخيه سلمة إن أخاك قد قتل وجعل يسمع قولهم فجزع لقتل أخيه وندم على أن المنذر إنما أراد أن يقتل بعضهم بعضاً فقال :

إن جنبي عن الفراش لناب * كتجافي الأسر فوق الظراب

من حديث نمي إلي فماتر * قأ دمعي ولا أسيغ شرابي

وتنكرت بنو أسد بحجر بن عمرو وساءت سيرته فيهم وكانت عنده فاطمة بنت ربيعة أخت كليب ومهلهل فولدت له هنداً فلما خاف على نفسه حملها فاجتمعت بنو أسد على قتله فقتلوه وادعى قبائل من بني أسد قتل حجر ، وكان القائم بامر بني أسد علباء ابن الحارث أحد بني ثعلبة ، وكان امرؤ القيس بن حجر غائباً فلما بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد لبني اسد فلما كان في الليلة التي أراد ان يغير عليهم في صبيحتها نزل بجمعه ذلك فذعر القطا فطار عن مجاثمه فمر ببني أسد فقالت بنت علباء ما رأيت كالليلة قطاً اكثر فقال علباء (لو ترك القطا لغفا ونام) فارسلها مثلاً وعرف ان جيشاً قد قرب منه فارتحل واصبح امرؤ القيس فاوقع بكنانة فأصاب فيهم وجعل يقول يا لثارات ﴿ حجر ﴾ فقالوا والله ما نحن إلا من كنانة فقال :

ألا يا لهف نفسي بعد قوم * هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني ابيهم * وبالأشقين ما كان العقاب

وافلتهن علباء جريضاً * ولو ادركنه صفر الوطاب

وفي هذا الوقت يقول عبيد بن الأبرص الأسدي لامرئ القيس بن حجر في قصيدة طويلة

يا ذا المعيرنا بقتـ * ـل أبيه إذلالاً وحينا
أزعمت أنك قد قتلـ * ـت سراتنا كذباً ومينا
هلا على حجر ابن أم * قطام تبكي لا علينا
إنا إذا عض الثقـا * ف برأس صعدتنا لوينا
تحمي حقيقتنـا وبعـ * ـض القوم يسقط بين بينا

وفي هذا يقول ايضاً عبيد في قصيدة له طويلة :

يا أيها السائل عن مجدنا * إنك مستغبٍّ بنا جاهل
إن كنت لم تأتك أنباؤنا * فاسأل بنا يا أيها السائل
سائل بنا حجراً غداة الوغى * يوم يؤتى جمعه الحافل
يوم لقوا سعداً على مأقط * وحاولت من خلفه كاهل
فاوردوا سرباً له ذبلا * كأنهن اللهب الشاعل

ومضى امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس فاقام زماناً وكان يدمن مع ندامى له فأشرف يوماً فاذا براكب مقبل فسأله من أين أقبلت قال من نجد فسقاه مما كان يشرب فلما أخذت منه الخمرة رفع حقيرته وقال :

سقينا امرأ القيس بن حجر بن حارث * كؤوس الشجا حتى تعوَّد بالقهر
وألهاه شرب ناعم وقراقر * وأعياه ثار كان يطلب في حجر
وذلك لعمري كان أسهل مشرعاً * عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال يا أخا أهل الحجاز من قائل هذا الشعر قال عبيد ابن الأبرص قال صدقت ثم ركب واستنجد قومه فامدوه بخمسمائة من مذحج فخرج الى أرض معد فاوقع بقبائل من معد وقتل الأشقر بن عمرو وهو سيد بني أسد وشرب في قحف رأسه ، وقال امرؤ القيس في شعر له :

قولا لدودان عبيد العصا * ما غركم بالأسد الباسل

يا أيها السائل عن شأننا * ليس الذي يعلم كالجاهل
حلت لي الخمر وكنت امرءاً * عن شربها في شغل شاغل

وطلب قبائل معد امرأ القيس وذهب من كان معه وبلغه ان المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه فاراد الرجوع الى اليمن فخاف حضرموت وطلبته بنو اسد وقبائل معد فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معد على طلبه ولم يمكنه الرجوع سار الى سعد بن الضباب الأيادي وكان عاملا لكسرى على بعض كور العراق فاستتر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب فلما مات سعد خرج امرؤ القيس الى جبل طيء فلقي طريف بن ... (١) ... الطائي فسأله ان يجيره فقال والله مالي من الجبلين إلا موضع ناري فنزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل ينتقل في طيء مرة وفي جديلة مرة وفي نبهان مرة حتى صار الى تيماء فنزل بالسموءل بن عاديا فسأله أن يجيره فقال له انا لا اجير على الملوك ولا اطيق على حربهم فاودعه ادراعاً وانصرف عنه يريد ملك الروم حتى صار الى قيصر ملك الروم فاستنصره فوجه معه تسعمائة من أبناء البطارقة ، وكان امرؤ القيس قد مدح قيصر فسار الطماح الأسدي الى قيصر فقال له إن امرأ القيس شتمك في شعره وزعم انك علج اغلف فوجه قيصر الى امرئ القيس بحلة قد نضح فيها السم فلما لبسها تقطع جلده وايقن بالموت فقال :

تأوبني دائي القديم فغلسا * احاذر ان يزداد دائي فأنكسا
لقد طمح الطماح من بعد ارضه * ليلبسني من دائه ما تلبسا
فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط انفسا

وهذه الأبيات في قصيدة له طويلة ، وقال ايضاً في حاله تلك :

ألا ابلغ بني حجر بن عمرو * وابلغ ذلك الحي الحريدا
باني قد بقيت بقاء نفس * ولم اخلق سلاما او حديدا

(١) بياض في الأصل ، وطريف هذا هو ابن مالك بن جدعان الطائي .

ولو أني هلكت بارض قومي * لقلت الموت حق لا خلودا
ولكني هلكت بارض قوم * بعيداً من دياركم بعيدا
بارض الشام لا نسب قريب * ولا مولى فيسعف أو يجودا

ومات امرؤ القيس بانقرة من أرض الروم .

ولد اسماعيل بن ابراهيم

وإنما أخرنا خبر إسماعيل وولده وختمنا بهم أخبار الأمم لأن الله عز وجل ختم بهم النبوة والملك واتصل خبرهم بخبر رسول الله (ص) والخلفاء ﴿ ذكرت الرواة والعلماء ﴾ أن اسماعيل بن إبراهيم أول من نطق بالعربية وعمر بيت الله الحرام بعد أبيه إبراهيم وقام بالمناسك ، وأنه كان أول من ركب الخيل العتاق وكانت قبل ذلك وحوشاً لا تركب ﴿ وقال بعضهم ﴾ إن إسماعيل أول من شق الله فاه باللسان العربي فلما شب أعطاه الله القوس العربية فرمى عنها وكان لا يرمي شيئاً إلا أصابه فلما بلغ أخرج الله من البحر مائة فرس فاقامت ترعى بمكة ما شاء الله ثم ساقها الله اليه فاصبح وهي على بابه فرسنها فركبها وأنتجها وكانت دواب الناس البراذين وركبها اسماعيل وبنوه وولده وفي إسماعيل يقول بعض شعراء معد :

أبونا الذي لم يركب الخيل قبله * ولم يدر شيخ قبله كيف تركب

ويقال إنما سميت أجياد مكة لأن الخيل كانت فيها فأوحى الله عز وجل الى اسماعيل أن يأتي الخيل فاتاهم فلم يبق فرس إلا أمكنته من ناصيتها فركبها وركبها ولده ، فكان اسماعيل أول من ركب الخيل ، وأول من اتخذها ، وأول من نفى أهل المعاصي عن الحرم فقال أعربه فسميت العربة بذلك فكان ولد جرهم بن عامر لما صار أخوتهم من بني قحطان بن عامر الى اليمن فملكوا صاروا هم الى أرض تهامة فجاوروا اسماعيل بن ابراهيم فتزوج إسماعيل ﴿ الحنفاء ﴾ بنت الحارث بن مضاض الجرهمي فولدت له اثنى عشر ذكراً وهم (قيدار ونابت واديبل ومبشام ومسمع ودوما ومسا وحداد

وتيما ويطور ونافس وقيدما) وهذه الأسماء تختلف في الهجاء واللغة لأنها مترجمة من العبرانية ، فلما كملت لاسماعيل مائة وثلاثون سنة توفي فدفن في الحجر فلما توفي إسماعيل ولي البيت بعده نابت بن اسماعيل ﴿ ويقال ﴾ وليه قيدار وبعد قيدار نابت بن اسماعيل ، وافترق ولد اسماعيل يطلبون السّعة في البلاد وحبس قوم أنفسهم على الحرم فقالوا لا نبرح من حرم الله ، ولما توفي نابت وقد تفرق ولد اسماعيل فولي البيت ﴿ المضاض ﴾ بن عمرو الجرهمي جد ولد اسماعيل وذلك أن من بقي في الحرم من ولد اسماعيل كانوا صغاراً فلما ولي المضاض نازعه السميدع بن هوبر ثم ظهر عليه المضاض فمضى السميدع الى الشام وهو أحد ملوك العمالقة واستقام الأمر لمضاض حتى توفي ، ثم ملك بعده ﴿ الحارث ﴾ بن مضاض ، ثم ملك ﴿ عمرو ﴾ بن الحارث بن مضاض ثم ملك ﴿ المعتسم ﴾ بن الظليم ، ثم ملك ﴿ الحواس ﴾ بن جحش بن مضاض ثم ملك ﴿ عداد ﴾ بن صداد بن جندل بن مضاض ، ثم ملك ﴿ فسحص ﴾ (١) ابن عداد بن صداد ، ثم ملك ﴿ الحارث ﴾ بن مضاض بن عمرو ، وكان آخر من ملك من جرهم وطغت جرهم وبغت وظلمت وفسقت في الحرم فسلط الله عليهم (الذر) فاهلكوا به عن آخرهم ، وكان ولد اسماعيل منتشرين في البلاد يقهرون من ناواهم غير أنهم كانوا يسلمون الملك لجرهم للخؤولة وكانت جرهم تطيعهم في أيامهم ولم يكن أحد يقوم بامر الكعبة في أيام جرهم غير ولد اسماعيل تعظيما منهم لهم ومعرفة بقدرهم فقام بأمر الكعبة بعد نابت أمين ثم يشجب بن أمين ثم الهميسع ثم أدد فعظم شأنه في قومه وجل قدره وأنكر على جرهم أفعالهم وهلكت جرهم في عصره ثم عدنان بن أدد ثم معدّ بن عدنان ثم افترق ولد عدنان في البلاد ولحق قوم منهم باليمن ، منهم عك والديث والنعمان فولد لعك من بنت أرغم بن جماهر الأشعري ، ثم هلك وبقي ولده بعده فانتموا الى الأخوال والدار ، وكان عدنان أول من وضع الأنصاب وكسى الكعبة ، وكان

(١) كذا في الأصل وفي الهامش [فينحاص] (م . ص)

معد بن عدنان أشرف ولد اسماعيل في عصره وكانت أمه من جرهم ولم يبرح الحرم فكان له من الولد عشرة أولادهم (نزار وقضاعة وعبيد الرماح وقنص وقناصة وجنادة وعوف وأود وسلهم وجنب) وكان معد يكنى أباقضاعة فانتسب عامة ولد معد في اليمن اليه وكان لهم عدد كثير وانتمت قضاعة الى ملك حمير ، وقضاعة فيما يقال ولد على فراش معد ، وكان معد أول من وضع رحلاً على جمل وناقة وأول من زمها بالنساع

وكان نزار بن معد سيد بني أبيه وعظيمهم ومقامه بمكة ، وأمه « ناعمة » بنت جوشم بن عدي بن دبّ الجرهمية ، وكان له من الولد أربعة (مضر وأياد وربيعة وأنمار) وأمهم « سودة » بنت عك بن عدنان ﴿ ويقال ﴾ إن أم مضر وأياد « حبية » بنت عك بن عدنان ، وأم ربيعة وأنمار « جدالة » بنت وعلان بن جوشم الجرهمي ، ولما حضرت نزار الوفاة قسم ميراثه على ولده الأربعة فاعطى مضر وأياد وربيعة وأنمار ماله فمضر وربيعة الصريحان من ولد إسماعيل ، فاعطى مضر ناقته الحمراء وما أشبهها من الحمرة فسمي مضر الحمراء ، وأعطى ربيعة الفرس وما أشبهها فسمي ربيعة الفرس ، وأعطى أياد غنمه وعصاه وكانت الغنم برقاء فسمي أياد البرقاء ويقال أياد العصا ، وأعطى أنمار جارية له تسمى بجيلة فسمي بها ، وأمرهم إن تخالفوا أن يتحاكموا الى الأفعى بن الأفعى الجرهمي فكان منزله بنجران فتحاكموا اليه .

فاما أنمار بن نزار فانه تزوج في اليمن فانتسب ولده الى الخؤولة فمنهم بجيلة وخثعم ومن يخرج من ولد نزار غيرهم .

وأما ربيعة بن نزار فانه فارق اخوته فصار مما يلي بطن عرق إلى بطن الفرات فولد له أولاد منهم أسد وضبيعة وأكلب وتسعة بعدهم ولا ينسبون في اليمن ، وانتشر ولد ربيعة بن نزار وولد ولده حتى كثروا وامتلأت منهم البلاد ، فجماهير قبائل ربيعة ﴿ بهنة ﴾ بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ﴿ وعنزة ﴾ بن أسد بن ربيعة ﴿ وعبد القيس ﴾ بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ﴿ ويشكر ﴾

ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ﴿ وحنيفة ﴾ بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ﴿ وعجل ﴾ بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر ﴿ وقيس ﴾ بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر ﴿ وتيم اللات ﴾ بن ثعلبة بن عكابة

وكانت الحكومة والرئاسة من ربيعة في بني ضبيعة ولد بهثة بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ، ثم تحولت الحكومة والرئاسة في ولد عنزة بن أسد بن ربيعة ، ثم تحولت في عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، ثم سارت عبد القيس حتى نزلت « اليمامة » بسبب حرب كانت بينهم وبين بني النمر ابن قاسط وكانت أياد باليمامة فاجلوهم ، ثم صارت الرئاسة في النمر بن قاسط ، ثم تحولت من النمر بن قاسط فصارت في بني يشكر بن صعب بن علي بن بكر ، ثم تحولت الرئاسة من يشكر بن صعب فصارت في بني تغلب ، ثم صارت في بني شيبان .

وكانت لربيعة أيام مشهورة وحروب معروفة فمن مشهور أيامهم ﴿ يوم السلان ﴾ فان مذحج أقبلت تريد غزو أهل تهامة ومن بها من اولاد معد فاجتمع ولد معد لحرب مذحج وكان اكثرهم ربيعة فرأسوا عليهم ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم ابن بكر فالتقوا ومذحج بالسلان فهزموا مذحجاً وكان لهم الظفر ، وأما [يوم خزاز] فان اليمن أقبلت وعليهم سلمة بن الحارث بن عمرو الكندي فرأست ولد معد كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة فلما رأى سلمة كثرة القوم استجار ببعض الملوك فامده فالتقوا بخزاز وعلى ولد معد كليب ففضت جموع اليمن ، واما ﴿ يوم الكلاب ﴾ فان سلمة وشرحبيل ابني الحارث بن عمرو الكندي تحاربا فكان مع سلمة ربيعة ومع شرحبيل قيس فكثرت ربيعة قيساً فقتلت شرحبيل بن الحارث بن عمرو وكان لهم العلو ، وأما ﴿ ايام البسوس ﴾ فانها بين بني شيبان وتغلب بسبب قتل جساس بن مرة بن ذهل ابن شيبان كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم التغلبي فاشتبكت الحرب واتصلت حتى افنتهم ودامت اربعين سنة ، واما ﴿ يوم ذي قار ﴾ فانه لما قتل

كسرى أبرويز النعمان بن المنذر بعث الى هانئ بن مسعود الشيباني أن ابعث إلي ما كان عندي النعمان استودعك من أهله وماله وسلاحه وكان النعمان أودعه ابنته وأربعة آلاف درع فابى هانئ وقومه أن يفعلوا فوجه كسرى بالجيوش من العرب والعجم فالتقوا بذي قار فاتاهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فقلدوه بامرهم فقالوا لهانئ ذمتك ذمتنا ولا نخفر ذمتنا فحاربوا الفرس فهزموهم ومن معهم من العرب وكان مع الفرس أياس بن قبيصة الطائي وغيره من اخوة معد وقحطان فاتى عمرو بن عدي بن زيد كسرى وأخبره الخبر فخلع كتفه فمات فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

وأما أياد بن نزار فانه نزل اليمامة فولد له أولاد انتسبوا في القبائل فيقول النسابون إن تميماً تميم بن النبت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن أياد وأنهم انتسبوا الى قيس ، وكانت ديار أياد بعد اليمامة الحيرة ومنازلهم الخورنق والسدير وبارق ثم أجلاهم كسرى عن ديارهم فانزلهم تكريت (مدينة قديمة على شط دجلة) ثم أخرجهم عن تكريت الى بلاد الروم فنزلوا بانقرة من أرض الروم ورئيسهم يومئذ كعب (١) بن مامة ثم خرجوا بعد ذلك ، فجماهير قبائل أياد أربعة (مالك وحذافة ويقدم ونزار) فهذه بطون أياد ، وفيهم يقول الأسود بن يعفر التميمي .

أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد
الواطئون على صدور نعالهم * يمشون في الدفني والأبراد
عفت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
بلد تخيرها لطول مقيلها * كعب بن مامة وابن أم دؤاد

وذكر ابو دؤاد الأيادي بعض ذلك ، وكان ابو دؤاد أشعر شعرائهم وبعده تميم بالعراق فلما بلغه أن كسرى آلى على نفسه أن ينفي أياداً من تكريت وهي من

(١) وهذا كعب يضرب به المثل في السخاء والوفاء . (عن الهامش)

أرض الموصل كتب صحيفة بعث بها اليهم وفيها :

سلام في الصحيفة من لقيط * الى من بالجزيرة من أياد
فان الليث يأتيكم بيـاتاً * فلا يشغلكم سوق النقـاد
أتاكم منهم سبعون الفـاً * يزجون الكتائب كالجراد

وأما مضر بن نزار فسيد ولد أبيه وكان كريماً حكيماً ﴿ ويروى ﴾ عنه أنه قال لولده من يزرع شراً يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما أصلحكم واصرفوها عن هواها فيما أفسدكم فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر ووقاية ﴿ وروي ﴾ أن رسول الله (ص) قال لا تسبوا مضراً وربيعة فانهما كانا مسلمين ﴿ وفي حديث آخر ﴾ فانهما كانا على دين ابراهيم ، فولد مضر بن نزار الياس بن مضر وعيلان بن مضر وامهما الخنفاء بنت اياد بن معد . فولد عيلان بن مضر قيس بن عيلان فانتشر ولده وكثروا وصار فيه العدد والمنعة ، فجماهير قبائل قيس بن عيلان ﴿ عدوان ﴾ بن عمرو بن قيس ﴿ وفهم ﴾ بن عمرو بن قيس ﴿ ومحارب ﴾ ابن خصفة بن قيس ﴿ وباهلة ﴾ بن اعصر بن سعد بن قيس ﴿ وفزارة ﴾ بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس [وسليم] بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس [وعامر] بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن [وهوازن] ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس [وسلول] بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن [وثقيف] وهو قسي بن منبه ابن بكر بن هوازن ، وثقيف ينسب الى اياد بن نزار [وكلاب] بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة [وعقيل] بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة [وقشير] بن كعب ابن ربيعة بن عامر [والحريش] بن كعب بن عامر [وعوف] بن عامر بن ربيعة وكانت الرئاسة والحكومة في قيس وانتقلت في عدوان وكان اول من حكم منهم وراس عامر بن الضرب ثم صارت في فزارة ثم صارت في عبس ثم صارت في بني عامر

ابن صعصعة ، ولم تزل فيهم ، وكانت لقيس أيام مشهورة وحروب متصلة منها يوم البيداء . ويوم شعب جبلة . ويوم الهباءة . ويوم الرقم . ويوم فيف الريح . ويوم الملبط . ويوم رحرحان . ويوم العرى . ويوم حرب داحس والغبراء بين عبس وفزارة .

وكان الياس بن مضر قد شرف وبان فضله ، وكان أول من انكر على بني إسماعيل ماغيروا من سنن آبائهم وظهرت منه أمور جميلة حتى رضوا به رضاً لم يرضوا باحد من ولد إسماعيل بعد أود فردهم إلى سنن آبائهم حتى رجعت سنتهم تامة على أولها ، وهو أول من أهدى البدن الى البيت ، وأول من وضع الركن بعد هلاك ابراهيم فكانت العرب تعظم الياس تعظيم أهل الحكمة وكان للياس من الولد مدركة واسمه (عامر) وطابخة واسمه (عمرو) وقمعة واسمه (عمير) وأمهم جميعاً خندف واسمها (ليلى) بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكان الياس قد أصابه السل فقالت خندف امرأته لئن هلك لا أقمت ببلد مات به ، وحلفت أن لا يظلها بيت وأن تسيح في الأرض فلما مات خرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزناً ، وكانت وفاته يوم الخميس فكانت تبكيه وإذا طلعت شمس ذلك اليوم بكت حتى تغيب فصارت مثلا ﴿ وقيل ﴾ لرجل من أياد هلكت امرأته ألا تبكيها فقال :

ولو أنه أغنى بكيت كخندف * على الياس حتى ملها السر تندب

إذا مونس لاحت خراطيم شمسه * بكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب

يعني بقوله مونس يوم الخميس لأن العرب كانت تسمي الأيام بغير أسمائها في هذا الوقت فكانت تسمي الأحد الأول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والأربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شيار ، وكانوا يسمون أيام الشهر عشرة أسماء كل ثلاث ليال اسم فالثلاث التي أول الهلال الغرر ثم النفل ثم التسع ثم العشر ثم البيض ثم الظلم ثم الخنس ثم الحنادس ثم المحاق والآخر ليلة السرار إذا استتر الهلال وكانوا يسمون المحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الأول خوان وربيع الآخر وبصان

وجمادى الأولى حنين وجمادى الآخرة رنّى ورجب الأصم وشعبان عاذل ورمضان ناتق وشوال وعل وذا القعدة ورنة وذا الحجة برك ، وكان آخرون من العرب يسمون الثلاث ليال من أول الشهر هلال ثم ثلاث قمر حين يقمر ثم ثلاث بهر حين يضيء ويبهر لونه وثلاث نقل وثلاث بيض وثلاث درع وثلاث ظلم وثلاث حنادس وثلاث دآدي وليلتان محاق وليلة سرار .

وولد لطابخة بن الياس أد بن طابخة فتفرقت من ولد أد بن طابخة أربع قبائل وهي ﴿ تميم ﴾ بن مر بن أد ﴿ والرباب ﴾ وهو عبد مناة بن أد ﴿ وضبة ﴾ بن أد ﴿ ومزينة ﴾ بن أد ، وكان العدد في تميم بن مر بن أد حتى امتلأت منهم البلاد وافترقت قبائل تميم فمن جماهير قبائل تميم [كعب] بن سعد بن زيد مناة [وحنظلة] بن مالك بن زيد مناة ، وهم يسمون البراجم ، وبنو دارم ، وبنو زرارة بن عدس ، وبنو أسد ، وعمرو بن تميم ، فهؤلاء ولد أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وفيهم العدد والمنعة والبأس والنجدة والشعر والفصاحة ، وكانت الرئاسة في تميم وكان أول رئيس فيهم سعد بن زيد مناة بن تميم ثم حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وكانت لهم أيام مشهورة وحروب معروفة فمنها يوم الكلاب ، ويوم المروت ، ويوم جدود ، ويوم النسار .

وكان مدركة بن الياس سيد ولد نزار قد بان فضله وظهر مجده وخرج أخوه قمعة الى خزاعة فتزوج فيهم وصار ينسب ولده معهم وكان ولده فيهم ، وكان من ولده عمرو بن لحي بن قمعة وهو أول من غير دين ابراهيم ، وولد مدركة بن الياس خزيمة وهذيلاً وحارثة وغالباً ، وأمهم سلمى ابنة الأسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ويقال بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وأما حارثة فدرج صغيراً ، وأما غالب فانتسبوا في بني خزيمة ، وأما هذيل بن مدركة فان العدد منهم في بني سعد بن هذيل ثم تميم بن سعد ثم في معاوية بن تميم والحارث بن تميم وهذيل شجعان اصحاب حروب وغارات

ونجدة وفصاحة وشعر .

وكان خزيمة أحد حكام العرب ومن يعد له الفضل والسؤدد ، فولد خزيمة بن مدركة كنانة ، وأمه عوانة بنت قيس بن عيلان ، وأسد ، والهون وأمهم برة بنت مر بن أد بن طابخة أخت تميم بن مرة ، فاما أسد بن خزيمة فان ولده انتشروا في اليمن وهم [جذام ولخم وعاملة بنو عمرو بن أسد] وكانت مضر تدعي جذاماً خاصة ، وبنو أسد مقيمون على أنهم منهم يواصلونهم على ذلك ويعدونهم منهم ، قال امرؤ القيس ابن حجر الكندي :

صبرنا عن عشيرتنا فبانوا * كما صبرت خزيمة عن جذام

وقال عبد المطلب بن هاشم في شعر له :

فقل لجذام إن أتيت بلادهم * وخص بني سعد بها ثم وائل

أنيلوا وأدنوا من وسائل قومكم * فيعطف منكم قبل قطع الوسائل

وقال عبيد بن الأبرص في شعر له طويل :

أبلغ جذاماً ولخماً إن عرضت لهم * والقوم ينفعهم علم إذا علموا

بانكم في كتاب الله إخوتنا * إذا تقسمت الأرحام والنسم

ويقال إن هذا الشعر لشمعان بن هبيرة الأسدي ، فاما جذام بن عدي بن الحارث فانها مقيمة على نسبها في اليمن فتقول جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب بن عريب بن مالك بن كهلان ، وكان لأسد بن خزيمة من الولد [دودان وكاهل وعمرو وهند والصعب وتغلب] وكان العدد في دودان ومنه افترقت قبائل بني أسد ، وقبائل بني أسد [قعين وفقعس ومنقذ ودبان ووالبة ولاحق وحرثان ورئاب وبنو الصيداء] وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة الى تهامة ، وكانت لطيء محالفة متفقة معها ودارهما تكاد أن تكون واحدة ، وكانت محاربة لكندة حتى قتلت حجر بن الحارث بن عمرو الكندي وهرب امرؤ القيس وذلت كندة ثم

حاربت بني فزارة حتى قتلت بدر بن عمرو ثم اختلف الذي بينها وبين طيء فتحارب الحيان أسد وطيء حتى قتلوا لام بن عمرو الطائي وأسروا زيد بن مهلهل وهو زيد الخيل وأخذوا السبايا ، وقال زيد الخيل :

ألا أبلغ الأقيال قيس بن نوفل * وقيس بن أهبان وقيس بن جابر
بني أسد ردوا علينا نساءنا * وأبناءنا واستمتعوا بالأباعر
وبالمال إن المال أهون هالك * إذا طرقت احدى الليالي الغوابر
ولا تجعلوها سنة يقتدى بها * بني أسد واعفوا بايد قوادر

فأطلقوه وردوا ظعائنهم لما سمعوا هذا الشعر وبقي فرس لزيد وكان زيد يحب الخيل فقال زيد :

يا بني الصيداء ردوا فرسي * إنما يفعل هذا بالذليل
عودوا مهري الذي عودته * دلج الليل وإيطاء القتيل

فردوا عليه فرسه ، وكانت بنو أسد تقول قتلنا أربعة كلهم بنو عمرو وكل سيد قومه ، قتلنا حجر بن عمرو ملك كندة ، ولام بن عمرو الطائي ، وصخر بن عمرو السلمي ، وبدر بن عمرو الفزاري .

والهون بن خزيمة وهو القارة وإنما سموا القارة لأن بني كنانة لما خرجت بنو أسد بن خزيمة من تهامة وخالفوا كنانة وضموا القليل الى الكثير جعلوا بني الهون ابن خزيمة قارة بينهم لاحد دون أحد ﴿ ويقال ﴾ إن بني الهون نزلوا أرضاً منخفضة والعرب يسمون الأرض المنخفضة القارة فقيل لهم أصحاب القارة والقارة المرامي فقال بعضهم ﴿ قد أنصف القارة من راماها ﴾ ويقال إن حرباً جرت بين الهون بن خزيمة وبين بكر بن كنانة فقال رجل من بني بكر أيما أحب اليكم المراماة أو المسابقة فقال رجل منهم :

قد علمت سلمى ومن والاها * أنا نصد الخيل عن هواها

قد أنصف القارة من راماها * أما إذا ما فئة نلقاها
نردها دامية كلاها

وقبائل بني الهون بن خزيمة ﴿ عضل وديش ﴾ ابنا يثيع بن الهون بن خزيمة فاما ﴿ الحكم ﴾ بن الهون بن خزيمة فانه صار الى اليمن فحل بلاد مذحج فولد له بها أولادومات فانتسب ولده الى حكم بن سعد العشيرة .

وطير في كنانة بن خزيمة فضائل لا تحصى شرفها وعظمته العرب ﴿ فروي ﴾ أن كنانة أتي وهو نائم في الحجر فقيل له تخير يابا النضر بين الهضيل أو الهذر أو عمارة الجدر أو عز الدهر فقال كل هذا يا رب فأعطيه ، فولد كنانة بن خزيمة ﴿ النضر وجدال وسعداً ومالكاً وعوفاً ومخرمة ﴾ وأمهم « هالة » بنت سويد بن الغطريف وهو حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الغوث ، وعلياً وغزوان ، وأمهما برة بنت مر ، وجرولا والحارث وامهما من أزد شنوءة ، وعبد مناة وأمه الذفراء واسمها عكبهة بنت هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، فاما مخرمة فيقال إنهم بنو ساعدة رهط سعد بن عبادة ، وبنوعبد مناة بن كنانة فهم عدد كنانة ، فمنهم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة ، وبنو الدئل بن بكر ، وبنو ضمرة بن بكر . منهم بنو غفار بن مليك بن ضمرة ، وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة الذين أصابهم خالد بن الوليد بالغميصاء ، وبنو مدلج ابن مرة بن عبد مناة ، ومن بني مالك بن كنانة بن خزيمة بنوفقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، ومن بني فقيم كان النسأة وهم القلامس كانوا ينسئون ويحلون ويحرمون ، وكان أولهم حذيفة بن عبد فقيم الذي يسمى القلمس ثم صار ذلك في ولده فقام بعده عباد بن حذيفة ابنه ثم بعد عباد قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم جنادة بن عوف وهو أبو ثمامة ، ومنهم فراس بن غنم ابن مالك بن كنانة ، فهذه جماهير قبائل كنانة .

واما النضر بن كنانة فكان اول من سمي القرشي ﴿ يقال ﴾ إنه سمي القرشي

لتقرشه وارتفاع همته ﴿ وقيل ﴾ لتجارته ويساره ﴿ ويقال ﴾ لدابة في البحر تسمى القرش سمته أمه قريشاً تصغير قرش ، فمن لم يكن من ولد النضر بن كنانة فليس بقرشي ، فولد النضر بن كنانة مالكاً ويخلد والصلت ، وكان النضر أبا الصلت وأم ولد النضر عكرشة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، وأما يخلد فلم يبق منهم أحد يعرف ، وأما ولد الصلت فصاروا في خزاعة ، وكان من ولده كثير بن عبد الرحمان الشاعر وهو الذي يقول في النسب :

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي * بكل هجان من بني النضر أزهرا

وكان ﴿ مالك ﴾ بن النضر عظيم الشأن وكان له من الولد فهر والحارث وشيبان أمهم [جندلة] بنت الحارث بن مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي ﴿ ويقال ﴾ إن اسم فهر بن مالك [قريش] وإنما فهر لقب والاسم قريش ، وظهر في فهر بن مالك علامات فضل في حياة أبيه فلما هلك ابوه قام مقامه ، وكان لفهر بن مالك من الولد (غالب والحارث ومحارب وجندلة) أمهم (ليلى) بنت الحارث بن تيم ابن سعد بن هذيل ، فمن ولد الحارث بن فهر ضبة بن الحارث رهط أبي عبيدة بن الجراح ، ومن ولد محارب بن فهر شيبان بن محارب رهط الضحاك بن قيس ، وكان غالب بن فهر أفضلهم وأظهرهم مجداً ﴿ فيروى ﴾ أن فهر بن مالك قال لابنه غالب حين حضرته الوفاة : أي بني إن في الحذر انغلاق النفس ، وإنما الجزع قبل المصائب فاذا وقعت مصيبة تزدجرها وإنما القلق في غليانها فاذا قامت فبرد حر مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك وما ترى في آثارها من محق الحياة ثم اقتصر على قليلك وإن قلت منفعته فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير مما أخلق وجهك إن صار اليك ، فلما مات فهر شرف غالب بن فهر وعلا أمره وكان له من الولد (لوي وتيم الأدرم) أمهما (عاتكة) بنت يخلد بن النضر بن كنانة (ويعلب ووهب وكثير وحراق) هؤلاء لا بقية لهم . فأما تيم الأدرم فانه أعقب

وكان ﴿ لوي ﴾ بن غالب سيداً شريفاً بين الفضل ﴿ يروى ﴾ أنه قال لأبيه غالب بن فهر وهو غلام حدث : يا أبه رب معروف قل إخلافه ، ونصر ـ يا أبه ـ من أخلفه أخمله ، وإذا أخمل الشيء لم يذكر ، وعلى المولى تكبير صغيره ونشره وعلى المولى تصغير كبيره وستره ، فقال له ابوه يا بني إني أستدل بما اسمع من قولك على فضلك ، واستدعي به الطول لك في قومك ، فان ظفرت بطول فعد على قومك واكف غرب جهلهم بحلمك ، والم شعثهم برفقك ، فانما يفضل الرجال الرجال بفعالهم فانها على اوزانها واسقط الفضل ومن لم تعل له درجة على آخر لم يكن له فضل وتعليا ابداً على السفلى فضل ، فلما مات غالب بن فهر قام لوي بن غالب مقامه وكان للوي من الولد (كعب وعامر وسامة وخزيمة) وامهم (عائذة) (وعوف والحارث وجشم) امهم (ماوية) بنت كعب بن القين (وسعد) بن لوي امه (سمرة) بنت غالب بن الهون بن خزيمة ، فأما (سامة) بن لوي فانه هرب من اخيه (عامر) بن لوي وذلك إنه كان بينهما شر فوثب سامة على عامر ففقأ عينه فخافه عامر فهرب منه فصار الى عمان . فيقال إنه مرّ ذات يوم على ناقة له فوضعت الناقة مشفرها في الأرض فعلقها افعى ونفضها فوقعت على سامة فنهشت الأفعى سامة فقتلته . فقال فيما يزعمون حين احس بالموت :

عين فابكي لسامة بن لوي * علقت ما بساقه العلاقه
لم يروا مثل سامة بن لوي * يوم حلوا به قتيلاً لناقه
بلغا عامراً وكعباً رسولاً * أن نفسي اليهما مشتاقه
إن تكن في عمان داري فاني * ماجد قد خرجت من غير فاقه
رب كاسٍ هرقت يا بن لوي * حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الحتوف يا بن لوي * ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه

فأما خزيمة بن لوي وهو ﴿ عائذة ﴾ فانه نزل في شيبان فانتسب ولده في ربيعة

وأما ﴿ الحارث ﴾ وهو جشم وسعد فانهم نزلوا في هزان فانتسبوا فيهم ، وفيهم يقول جرير بن الخطفي :

بني جشم لسم لهزان فانتموا * لأعلى الروابي من لوي بن غالب

وأما ﴿ عوف ﴾ بن لوي فانه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى إذا كان في أرض غطفان أبطأ به بعيره فانطلق من كان معه من قومه فاتاه ثعلبة بن سعد بن ذبيان فاحتبسه وجعله له أخاً فصار نسبه في عوف بن سعد بن ذبيان ، قال الحارث بن ظالم وهو من بني مرة بن عوف :

وما قومي بثعلبة بن سعد * ومـا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي إن سألت بني لوي * بمكة علموا مضر الضرابا
سفهنا باتبـاع بني بغيض * وترك الأقربين لنا انتسابا

وقال الحارث بن ظالم في ذلك ايضاً :

إذا فارقت ثعلبة بن سعد * وأخوتهم نسبت إلى لؤي
إلى نسب كريم غير [.....] * وحي هم أكارم كل حي
فان يبعـد بهم نسبي فمنهم * قرابين الآله بنو قصي

وللحارث بن ظالم في هذا شعر كثير ، وقد كان عمر بن الخطاب دعا بني عوف إلى أن يردّهم إلى نسبهم في قريش فشاوروا علي بن أبي طالب (ع) فقال لهم أنتم أشراف في قومكم فلا تكونوا مستلحقين في قريش ، فاما عامر بن لؤي فانه كان له من الولد (حسل بن عامر ومعيص بن عامر وعويص بن عامر) وأمهم امرأة من (قرن) . وليس لعويص بن عامر بقية والبقية في حسل ومعيص .

فاما ﴿ كعب ﴾ بن لؤي فكان أعظم ولد أبيه قدراً و أعظمهم شرفاً وكان أول من سمى يوم الجمعة بالجمعة و كانت العرب تسميه (عروبة) فجمعهم فيه و كان يخطب عليهم فيقول : إسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا أن الليل ساج ، والنهار ضاح

والأرض مهاد ، والسماء عماد ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ، والأبناء ذكر ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم ، فهل رأيتم من هالك رجع ، او ميت نشر ، الدار أمامكم والظن غير ما تقولون ، وحرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به ، فسيأتي نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم يقول

نهار وليلي كل أوب بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها
يأوبان بالأحداث حين تأوبا * وبالنعم الضافي علينا ستورها
ضروف وأنباء تغلب أهلها * لها عقد ما يستحل مريرها
على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم يقول يا ليتني شاهد نجوى دعوته ، لو كنت ذا سمع وذا بصر ويد ورجل لنصبت له تنصب الجمل . ولأرقلت إرقال الفحل . فرحاً بدعوته . جذلاً بصرخته فلما مات كعب أرخت قريش من موت كعب . وكان لكعب من الولد مرة وهصيص وأمهما وحشية ابنة شيبان بن محارب بن فهر بن مالك . وعدي بن كعب وأمه حبية بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان . فعدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب . وولد هصيص بن كعب سهما وجمحاً .

وكان مرة بن كعب سيداً هماماً فتزوج هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة . وكان سرير أول من نسأ الشهور فولدت هند لمرة كلاباً ثم تزوج مرة ..... بنت سعد بن بارق فولدت له تيماً ويقظة . فتيم بن مرة رهط ابي بكر ومخزوم ابن يقظة بن مرة رهطه ايضاً . وشرف كلاب بن مرة وجل قدره واجتمع له شرف الأب والجد من قبل الأم لأنهم كانوا يجيزون الحج ويحرمون الشهور ويحلونها فكانوا يسمون النسأة والقلامس ، وكان لكلاب بن مرة من الولد قصي وزهرة وفيما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صريحا قريش ابنا كلاب . وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل الأزدي وكان سعد بن سيل أول من حليت له السيوف

بالذهب والفضة وله يقول الشاعر :

لا أرى في الناس شخصاً واحداً * فاعلموا ذاك كسعد بن سيل

فلما مات كلاب تزوجت فاطمة بنت سعد بن سيل ربيعة بن حرام العذري فخرج بها الى بلاد قومه فحملت قصياً معها وكان اسمه « زيد » فلما بعد من دار قومه سمته « قصياً » فلما شب قصي وهو في حجر ربيعة قال له رجل من بني عذرة : الحق بقومك فانك لست منا فقال ممن انا فقال سل أمك فسألها فقالت : انت اكرم منه نفساً وولداً ونسباً انت ابن كلاب بن مرة وقومك آل الله وفي حرمه ، وكانت قريش لم تفارق مكة إلا أنهم لما كثروا قلت المياه عليهم فتفرقوا في الشعاب فكره قصي ذلك وأحب أن يخرج الى قومه فقالت له أمه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج في حجاج قضاعة فاني أخاف عليك فلما دخل الشهر الحرام شخص معهم حتى قدم مكة وأقام قصي بمكة حتى شرف وعز وولد له الأولاد ، وكانت حجابة البيت الى خزاعة وذلك أن الحجابة كانت الى أياد فلما أرادوا الرحيل عن مكة حملوا الركن على جمل فلم ينهض الجمل فدفنوه وخرجوا وبصرت بهم امرأة من خزاعة حين دفنوه فلما بغت أياد اشتد ذلك على مضر وأعظمته قريش وسائر مضر فقالت الخزاعية لقومها اشرطوا على قريش وسائر مضر أن يصيروا اليكم حجابة البيت حتى أدلكم على الركن ففعلوا ذلك فلما أظهروا الركن صيروا اليهم الحجابة فقدم قصي بن كلاب مكة والحجابة الى خزاعة والاجازة الى صوفة وهو الغوث بن مر أخي تميم ، وكان الحج وإجازة الناس من عرفات اليه ثم صارت الى عقبه من بعده ، وبنو القيس بن كنانة ينسئون الشهور ويحلون ويحرمون فلما رأى قصي ذلك جمع اليه قومه من بني فهر بن مالك وحازم اليه فلما حضر الحج حال بين صوفة وبين الاجازة وقامت معه خزاعة وبنو بكر وعلموا أن قصياً سيصنع بهم كما صنع بصوفة وأنه سيحول بينهم وبين أمر مكة وحجابة البيت وانحازوا عنه وصاروا اليه فلما رأى ذلك أجمع لحربهم وبعث الى أخيه من أمه دراج

ابن ربيعة العذري فاتاه أخوه بمن قدر عليه من قضاعة ﴿ وقيل ﴾ وافى دراج وقصي قد نصب لحرب القوم ودراج يريد البيت فاعان أخاه بنفسه وقومه فاقتتلوا قتالا شديداً بالأبطح حتى كثرت القتلى في الفريقين ثم تداعوا الى الصلح وأن يحكم ما بينهم رجل من العرب فيما اختلفوا فيه فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن كنانة فقضى بينهم بان قصياً أولى بالبيت وأمر مكة من خزاعة وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش ففيه الدية فودوا خمساً وعشرين بدنة وثلاثين حرجاً (١) وأن يخلوا بين قصي وبين البيت ومكة فسمي يعمر « الشداخ » ولم يكن بمكة بيت في الحرم إنما كانوا يكونون بها نهاراً فاذا أمسوا خرجوا فلما جمع قصي قريشاً وكان أدهى من رأي من العرب أنزل قريشاً الحرم وجمعهم ليلاً وأصبح بهم حول الكعبة فمشت اليه أشراف كنانة وقالوا إن هذا عظيم عند العرب ولو تركناك ما تركتك العرب فقال والله لا أخرج منه فثبت وحضر الحج فقال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب ما صنعتم وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجاً ففعلوا فجمع من ذلك شيئاً كثيراً فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً ونحر بمكة وجعل حظيرة فجعل فيها الطعام من الخبز واللحم وسقى الماء واللبن وغدا على البيت فجعل له مفتاحاً وحجبة وحال بين خزاعة وبينه فثبت البيت في يد قصي ثم بنى داره بمكة وهي أول دار بنيت بمكة وهي دار الندوة ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنه لما تزوج قصي الى حليل بن حبشية الخزاعي « حبى » ابنته وولدت له أوصى حليل عند موته بولاية البيت الى قصي وقال إنما ولدك ولدي وأنت أحق بالبيت ، وكانت حبى بنت حليل بن حبشية قد ولدت لقصى بن كلاب (عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد قصي) ﴿ وقال آخرون ﴾ دفع حليل بن حبشية المفتاح الى ابي غبشان وهو سليمان بن

(١) الحرج بفتحتين جمع الحرجة ، جماعة الغنم أو الابل . (م)

عمرو بن بوي بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشتراه قصي منه وولاية البيت بزق خمر وقعود (١) فقيل (أخس من صفقة أبي غبشان) ووثبت خزاعة فقالت لا نرضى بما صنع ابو غبشان فوقعت بينهم الحرب فقال بعضهم :

ابو غبشان أظلم من قصي * وأظلم من بني فهر خزاعه
فلا تلحوا قصياً في شراه * ولوموا شيخكم إذ كان باعه

فولي قصي البيت وأمر مكة والحكم ، وجمع قبائل قريش فامرهم بابطح مكة وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس الجبال فقسم منازلهم بينهم فسمي مجمعاً وفيهم يقول الشاعر (٢)

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً * به جمع الله القبائل من فهر

وملكه قومه عليهم فكان قصي أول من أصاب الملك من ولد كعب بن لوي فلما قسم أبطح مكة أرباعاً بين قريش هابوا أن يقطعوا شجر الحرم ليبنوا منازلهم فقطعها قصي بيده ثم استمروا على ذلك ، وكان قصي أول من أعز قريشاً وظهر به فخرها ومجدها وسناها وتقرشها فجمعها وأسكنها مكة وكانت قبل متفرقة الدار قليلة العز ذليلة البقاع حتى جمع الله ألفتها وأكرم دارها وأعز مثواها ، وكانت قريش كلها بالأبطح خلا بني محارب والحارث ابني فهر وبني تميم بن غالب وهو الأدرم وبني عامر ابن لوي فانهم نزلوا الظواهر ، ولما حاز قصي شرف مكة كلها وقسمها بين قريش واستقامت له الأمور ونفى خزاعة هدم البيت ثم بناه بنياناً لم يبنه أحد وكان طول جداره تسع أذرع فجعله ثماني عشرة ذراعاً وسقفها بخشب الدوم (٣) وجريد النخل وبنى

(١) القعود — بفتح القاف — من الابل : ما يقتعده الراعي في كل حاجة والقعود ايضاً الفصيل . وايضاً البكر الى أن يثني ، جمعه أقعدة وقعد وقعدان وقعائد [المنجد]

(٢) هو حذافة بن نصر بن غانم العدوي يخاطب أبا لهب .

(٣) الدوم — بفتح الدال المهملة وسكون الواو شجر يشبه النخل وضخام الشجر

دار الندوة ، وكان لا ينكح رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر ولا يعقدون
لواء بالحرب ولا يعذرون (١) غلاماً إلا في دار الندوة ، وكانت قريش في حياته
وبعد وفاته ترى أمره كالدين المتبع ، وكان أول من حفر بمكة بعد اسماعيل بن
ابراهيم فحفر العجول (٢) في أيام حياته وبعد وفاته ﴿ ويقال ﴾ إنها في دار أم
هاني بنت أبي طالب ، وكان قصي أول من سمى الدابة الفرس وكانت له دابة يقال
لها العقاب السوداء ، وكان لقصي من الولد عبد مناف ، وكان يدعى القمر وهو السيد
والنهر (٣) واسمه المغيرة ، وعبد الدار ، وعبد العزى ، وعبد قصي ﴿ ويقال ﴾
إن قصياً قال سميت اثنين بالآهي وآخر بداري وآخر بنفسي ، وقسم قصي بين ولده
فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وحافتي
الوادي لعبد قصي ، وقال قصي لولده من عظم لئيماً شاركه في لؤمه ، ومن استحسن
مستقبحاً شركه فيه ، ومن لم تصلحه كرامتكم فدلوه بهوانه ، فالدواء يحسم الداء .

ومات قصي ودفن بالحجون ، ورأس عبد مناف بن قصي وجل قدره وعظم شرفه
ولما كبر أمر عبد مناف بن قصي جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة
يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد بينهم الحلف الذي يقال له حلف الأحابيش (٤) وكان

(١) يقال عذر الغلام عذراً إذا ختنه .

(٢) العجول بفتح العين المهملة بئر بمكة ، وقيل إن الذي حفرها عبد شمس لا قصي .

(٣) نهر ككتف ، يقال رجل نهر صاحب نهار على النسب كما قالوا عمل وطعم
وقال الشاعر (لست بليلي ولكني نهر) وهو كناية عن وضاءة وجهه

(٤) قيل إنما سموا بالأحابيش لأنهم تحالفوا في جبل حبشي الذي باسفل مكة على
ستة أميال منها فسموا باسم الجبل ، وقال ابن اسحاق الأحابيش هم بنو الهون وبنو الحرث
من كنانة وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا أي تجمعوا فسموا بذلك ، ذكره السهيلي
في شرح « السيرة » .

(م . ص)

مدبّر بني كنانة الذي سأل عبد مناف عقد الحلف عمرو بن هلال بن معيص بن عامر وكان تحالف الأحابيش على الركن يقوم رجل من قريش والآخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله القاتل وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها وعلى التعاقد وعلى التعاون على كل من كادهم من الناس جميعاً ما بل بحر صوفة وما قام حراوثبير وما طلعت شمس من مشرقها الى يوم القيامة ، فسمي حلف الأحابيش .

فولد عبد مناف بن قصي هاشماً — واسمه عمرو ، وكان يقال له عمرو العلا وسمي هاشماً لأنه كان يهشم الخبز ويصب عليه المرق واللحم في سنة شديدة نالت قريشاً — وعبد شمس والمطلب ونوفلاً وأبا عمرو وحنة وتماضر وأم الأخنس وأم سفيان وهالة وفلابة ، وأمهم جميعاً — إلا نوفلاً وأبا عمرو — عاتكة بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، فولدت له هؤلاء ، وهي التي جرت حلف الأحابيش (.....) وأم نوفل وأبي عمرو واقدة بنت أبي عدي وهو عامر بن عبد نهم من بني عامر بن صعصعة ﴿ ويقال ﴾ إن هاشماً وعبد شمس كانا توأمين فخرج هاشم وتلاه عبد شمس وعقبه ملتصق بعقبه فقطع بينهما بموسى ﴿ فقيل ﴾ ليخرجن بين ولد هاذين من التقاطع ما لم يكن بين أحد .

وشرف هاشم بعد أبيه وجل أمره واصطلحت قريش على أن يولّى هاشم بن عبد مناف الرئاسة والسقاية والرفادة فكان إذا حضر الحج قام في قريش خطيباً فقال : « يامعشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم أضياف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه وقد خيركم الله بذلك واكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فاكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد أعيوا وتفلوا (١) وقملوا وأملوا

(١) يقال تفل الرجل أنتن ريحه لترك الطيب والأدهان . (م . ص)

فاقروهم واغنوهم » فكانت قريش ترافد على ذلك وكان هاشم يخرج مالا كثيراً ويأمر بحياض من أدم فتجعل في موضع زمزم ثم يسقي فيها من الآبار التي بمكة فيشرب منها الحاج ، وكان يطعمهم بمكة ومنى وعرفة وجمع ، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق ويحمل لهم المياه حتى يتفرق الناس الى بلادهم فسمي هاشماً ، وكان أول من سن الرحلتين رحلة الشتاء الى الشام ورحلة الصيف الى الحبشة الى النجاشي وذلك أن تجارة قريش لا تعدو مكة فكانوا في ضيق حتى ركب هاشم الى الشام فنزل بقيصر فكان يذبح في كل يوم شاة ويضع جفنة بين يديه ويدعو من حواليه ، وكان من أحسن الناس وأجملهم ، فذكر لقيصر فأرسل اليه فلما رآه وسمع كلامه أعجبه وجعل يرسل اليه فقال هاشم أيها الملك لي قوم وهم تجار العرب فتكتب لهم كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجاراتهم حتى يأتوا بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ففعل قيصر ذلك وانصرف هاشم فجعل كلما مرّ بحي من العرب أخذ من أشرافهم الايلاف (١) أن يأمنوا عندهم وفي أرضهم فأخذوا الايلاف من مكة والشام ، قال الأسود بن شعر الكلبي كنت عسيفاً لعقيلة من عقائل الحي أركب الصعبة والذلول لا أليق مطرحاً من البلاد أرتجي فيه ربحاً من الأموال أن لا يرغب اليه من الشام بخرثيه (٢) وأثاثه أريد كبة (٣) العرب فعدت ودهم الموسم فدفعت اليها مسدفاً فحبست الركاب حتى انجلى عني قميص الليل وإذا جزر تنحر وأخرى تساق ، وأكلة وحسه على الطهاة (. . . . .) ألا عجلوا فبهرني ما رأيت فتقدمت أريد عميدهم وعرف رجل شأني فقال أمامك فدنوت فاذا رجل على عرش سام تحته نمرقة قد كار عمامة سوداء وأخرج من ملاثمها جمة فينانة (٤) كأن الشعرى تطلع من جبينه وفي يده مخصرة وحوله مشيخة جلة منكسو الأذقان ما منهم أحد يفيض بكلمة ودونهم خدم

(١) الايلاف العهد (٢) الخرثي بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة اردأ المتاع وسقطه (٣) الكبة بفتح الكاف وتشديد الباء الموحدة الجماعة من الناس .
(٤) الجمة بضم الجيم وتشديد الميم مجتمع شعر الرأس ، وفينانة طويلة حسنة (م)

مشمرون الى أنصاف وإذا برجل مجبر على نشز من الأرض ينادي : يا وفد الله هلموا الى الغداء وإنسيان على طريق من طعم يناديان يا وفد الله من تغدّى فليرجع الى العشاء وقد نمي اليّ من حبر من أحبار اليهود أن النبي الأمي هذا أوان توكفه فقلت لأعرف ما عنده يا نبي الله فقال مه وكأن وقد له فقلت لرجل كان الى جانبي من هذا فقال أبو نضلة هاشم بن عبد مناف فخرجت وأنا أقول : هذا والله المجد لا مجد آل جفنة ، ومر مطرود بن كعب الخزاعي برجل مجاور في بني هاشم وبنات له وامرأة في سنة جديبة فخرج يحمل متاعه ورحله هو وولده وامرأته لا يأويه أحد فقال مطرود الخزاعي :

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو حللت بدارهم * ضمنوك من جوع ومن اقواف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
نسبوا اليه الرحلتين كليهما * عند الشتاء ورحلة الأصياف
الآخذون العهد في آفاقها * والراحلون لرحلة الايلاف

وخرج هاشم بتجارات عظيمة يريد الشام فجعل يمر بأشراف العرب فيحمل لهم التجارات ولا يلزمهم لها مؤنة حتى صار الى « غزة » فتوفي بها ، ولما هلك هاشم ابن عبد مناف جزعت قريش وخافت أن تغلبها العرب فخرج عبد شمس الى النجاشي ملك الحبشة فجدد بينه وبينه العهد ثم انصرف فلم يلبث أن مات بمكة ودفن بالحجون وخرج نوفل الى العراق وأخذ عهداً من كسرى ثم أقبل فمات بموضع يقال له سلمان وقام بأمر مكة المطلب بن عبد مناف .

وكان لهاشم من الولد عبد المطلب والشفاء أمهما سلمى بنت عمرو بن زيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو ابن الخزرج ، ونضلة بن هاشم أمه أميمة بنت عدي بن عبد الله ، وأسد أبو فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب (ع) وأمه قيلة بنت عامر بن مالك بن المطلب

وابو صيفي انقرض نسله إلا من رقيقة بنت أبي صيفي ، وصيفي درج صغيراً ، وأمهما هند بنت عمرو بن ثعلبة بن الخزرج ، وضعيفة وخالدة وأمهما واقدة بنت أبي عدي وحنة بنت هاشم وأمها أم عدي بنت حبيب بن الحارث الثقفية ، وكان هاشم لما أراد الخروج الى الشام حمل امرأته سلمى بنت عمرو إلى المدينة لتكون عند أبيها وأهلها ومعه ابنه عبد المطلب فلما توفي أقامت بالمدينة ، وكان المطلب بن عبد مناف قد قام بامر مكة بعد أخيه هاشم فلما كبر عبد المطلب بلغ المطلب مكانه ووصف له حاله ، ومر رجل من تهامة بالمدينة فاذا غلمان يتناضلون وإذا غلام فيهم إذا أصاب قال انا ابن هاشم انا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل من انت يا غلام قال انا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فانصرف الرجل حتى قدم مكة فوجد المطلب بن عبد مناف جالساً في الحجر فقال يابا الحارث علمت أني جئت من يثرب فوجدت غلماناً يتناضلون وقص عليه ما رأى من عبد المطلب ، قال وإذا أظرف غلام ما رايته قط قال المطلب اتفاته أما والله لارجع الى اهلي حتى أتيته فخرج المطلب حتى أتى المدينة عشاءً ثم خرج على راحلته حتى أتى بني عدي بن النجار فلما نظر الى ابن اخيه قال هذا ابن هاشم قال القوم نعم وعرف القوم المطلب قالوا هذا ابن اخيك فان اردت اخذه الساعة لا تعلم امه فانها إن علمت حلنا بينك وبينه فأناخ راحلته ثم دعاه يا ابن اخي انا عمك فقد اردت الذهاب بك الى قومك فاركب فما كذب عبد المطلب ان جلس على عجز الراحلة وجلس المطلب على الرحل ثم بعثها فانطلقت فلما علمت امه عاقت تدعو حربها «١» فأخبرت ان عمه ذهب به ودخل المطلب مكة وهو خلفه والناس في اسواقهم ومجالسهم فقاموا يرحبون به ويحيونه ويقولون من هذا معك فيقول عبدي ابتعته بيثرب ثم خرج حتى أتى الحزورة «٢» فابتاع له

«١» الحرب بفتحتين الهلاك والويل .

«٢» الحزورة بتخفيف الواو بوزن قسورة ، قال السهيلي في [روض الأنف] هو اسم سوق كانت بمكة وادخلت في المسجد لما زيد فيه . [م . ص]

حلة ثم أدخله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم فلما كان العشي البسه ثم جلس في مجلس بني عبد مناف وأخبرهم خبره وجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلة فيطوف في سكك مكة وكان أحسن الناس فتقول قريش هذا عبد المطلب فلج اسمه عبد المطلب وترك شيبة ولما حضر رحيل المطلب الى اليمن قال لعبد المطلب انت يابن أخي أولى بموضع أبيك فقم بامر مكة فقام مقام المطلب ، فتوفي المطلب في سفره ذلك بردمان (١) فقام عبد المطلب بامر مكة وشرف وساد وأطعم الطعام وسقى اللبن والعسل حتى علا اسمه وظهر فضله وأقرت له قريش بالشرف فلم يزل كذلك .

قال محمد بن الحسن : لما تكامل لعبد المطلب مجده وأقرت له قريش بالفضل رأى وهو نائم في الحجر آتيا أتاه فقال له قم يا أبا البطحاء واحفر زمزم ، حفيرة الشيخ الأعظم ، فاستيقظ فقال اللهم بين لي في المنام مرة أخرى فرآه يقول قم فاحفر برة قال وما برة ؟ قال مضنة ضن بها على العالمين وأعطيتها ، ثم رأى قائلا يقول له قم يا ابا الحارث فاحفر زمزم ، لا تنزف ولا تذم ، تروي الحج الأعظم ، ثم رأى ثالثة قم فاحفر ، قال وما أحفر ، قال احفر بين الفرث والدم ، عند مبحث الغراب الأعظم ، وقرية النمل فاذا أبصرت الماء فقل هلم الى الماء الروا ، أعطيته على رغم الأعدا ، فلما استيقن عبد المطلب أنه قد صدق جلس عند البيت مفكراً وذبحت بقرة بالحزورة فافلتت وأقبلت تسعى حتى طرحت نفسها موضع زمزم فسلخت هناك وقسم لحمها وبقي الفرث والدم ، فقال عبد المطلب الله اكبر ثم سعى لينظر فاذا قرية نمل مجتمع في الأرض فانطلق فاتى بمعول وابنه الحارث وحيده فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما هذه قال أمرني ربي أن أحفر ما يروي الحجيج الأعظم فقالوا له أمر ربك بالجهل لم تحفر في مسجدنا ، قال بذلك امرني ربي فلم يحفر إلا قليلا حتى بدا الطي فكبر واجتمعت قريش فعلمت لما رأت الطي أنه قد صدق ، وليس له من الولد إلا الحارث

(١) ردمان : موضع باليمن من حصون الحيمة . (مراصد الاطلاع)

فلما رأى وحدته قال اللهم إن لك علي نذراً إن وهبت لي عشرة ذكور أن أنحرلك أحدهم وحفر حتى وجد سيوفاً وسلاحا وغزالا من ذهب مقرطاً مجزعاً ذهباً وفضة فلما رأت قريش ذلك قالوا يا ابا الحارث (. « ١ » .) من فوق الأرض ومن تحتها فاعطنا من هذا المال الذي أعطاك الله فانها بئر أبينا اسماعيل فأشركنا معك فقال إني لم أومر بالمال إنما أمرت بالماء فامهلوني فلم يزل يحفر حتى بدا الماء فكبر ثم قال بحرها لا تنزف وبنى عليها حوضاً وملأه ماء ونادى هلم الى الماء الروا ، أعطيته على رغم العدا ، وكانت قريش تفسد ذلك الحوض وتكسره فرأى في المنام أن قم فقل اللهم إني لا أحله لمغتسل ولكن لشارب حل ، فقام عبد المطلب فقال ذلك فلم يكن يفسد ذلك الحوض أحد إلا رمي بداء من ساعته فتركوه ، ولما استقام له الماء دعا ستة قداح فجعل لله قدحين أسودين وجعل للكعبة قدحين أبيضين وجعل لقريش قدحين أحمرين ثم أخذها بيده واستقبل الكعبة ثم أفاض وهو يقول :

يا رب انت الأحد الفرد الصمد * إن شئت ألهمت الصواب والرشد
وزدت في المال وأكثرت الولد * إني مولاك على رغم معد

ثم ضرب فخرج الأسودان لله فقال قال ربكم هو مالي ثم أفاض وهو يقول :

لاهم أنت الملك المحمود * وانت ربي المبدئ المعيد
من عندك الطارف والتليد * إن شئت ألهمت بما تريد

فخرج الأبيضان للكعبة فقال أخبرني ربي أن المال كله له فحلى به الكعبة وجعله صفائح على باب الكعبة ، وكان أول من حلى الكعبة ، ولما رأت قريش ما أعطيه قست ذلك عليه فقالت إنا لشركاء معك لأنها بئر أبينا إسماعيل فقال هذا شيء خصصت به دونكم فنافروه الى كاهنة بني سعد فقضت له عليهم ﴿ وروى بعضهم ﴾

(١) بياض في الأصل ، وذكر المؤرخون منهم ابن الأثير في الكامل : أنه لما رأت قريش ذلك قالت (يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق فقال لا ...)

أن ماء عبد المطلب نفد في الطريق ومياه القوم فخافوا الهلكة فقال عبد المطلب ليحفر كل رجل منا لنفسه حفيراً ثم ليتعد فيه حتى يأتيه الموت ففعلوا ثم قال إن إلقاءنا بايدينا لعجز فلو ركبنا وطلبنا الماء فلما استوى على راحلته انفجرت تحت صدرها عين ماء فقال ردوا الماء فقالوا لقد قضى الله علينا ولا حاجة في أن نناويك فانصرفوا ، ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزوا ، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب فمشت بنو عبد الدار الى بني سهم فقالوا امنعونا من بني عبد مناف فلما رأى ذلك بنو عبد مناف اجتمعوا خلا بني عبد شمس ﴿ فان الزبيري قال ﴾ لم يكن ولد عبد شمس في حلف المطيبين ولا ولد عبد مناف وإنما كان فيهم هاشم وبنو المطلب وبنو توفل ﴿ وقال آخرون ﴾ كانت بنو عبد شمس معهم فاخرجت لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب طيباً في جفنة ثم وضعتها في الحجر فتطيب بنو عبد مناف وأسد وزهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر فسموا حلف المطيبين ، فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا من ادخل يده في دمها ولعق منه فهو منا فادخلت ايديها بنو سهم وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو عدي وبنو مخزوم فسموا اللعقة ، وكان تحالف المطيبين ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً وقالت اللعقة قد اعتدنا لكل قبيلة قبيلة ، وكان عبد المطلب لما حفر زمزم صار الى الطائف فاحتفر بها بئراً يقال لها ﴿ ذا الهرم ﴾ فكان يأتيه احياناً فيقيم بذلك الماء فاتى مرة فوجد به حيين من قيس عيلان وهم بنو كلاب وبنو الرباب فقال عبد المطلب الماء مائي وانا احق به وقال القيسيون الماء ماؤنا ونحن احق به ، قال فاني انافركم الى من شئتم يحكم بيني وبينكم فنافروه الى سطيح الغساني وكان كاهن العرب يتنافرون اليه فتعاهد القوم وتعاقدوا على ان سطيحاً إن قضى بالماء لعبد المطلب فعلى كلاب وبني الرباب مائة من الابل لعبد المطلب وعشر (١) لسطيح وإن سطيح قضى بالماء للحيين فعلى عبد

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح وعشرون لسطيح فراجع . (م ص)

المطلب مائة من الابل للقوم وعشرون لسطيح فانطلقوا وانطلق عبد المطلب بعشرة نفر من قريش فيهم حرب بن أمية فجعل عبد المطلب لا ينزل منزلاً إلا نحر جزوراً وأطعم الناس فقال القيسيون إن هذا الرجل عظيم الشأن جليل القدر شريف الفعل وإنما نخشى أن يطمع حاكمنا بهذا فيقضي له بالماء فانظروا لا ترضوا بقول سطيح حتى تخبئوا خبئاً فان أخبرنا ما هو رضينا بحكمه وإلا لم نرض به فبينا عبد المطلب في بعض الطريق إذ فني ماؤه وماء أصحابه فاستسقى القيسيين من فضل مائهم فابوا أن يسقوهم وقالوا انتم الذين تخاصمونا وتنازعونا في مائنا والله لا نسقيكم ، فقال عبد المطلب فيهلك عشرة من قريش وأناحي لأطلبن لهم الماء حتى ينقطع خيط عنقي وأبلى عذراً فركب راحلته وأخذ الفلاة فبينا هو فيها إذ بركت راحلته وبصرته القوم فقالوا هلك عبد المطلب فقال القرشيون كلا والله لهو أكرم على الله من ان يهلكه وانما مضى لصلة الرحم فانتهوا اليه وراحلته تفحص بكركرها على ماء عذب روي قد ساح على ظهر الأرض فلما رأى القيسيون ذلك اهرقوا اسقيتهم واقبلوا نحوهم ليأخذوا من الماء فقال القرشيون كلا والله لستم الذين منعتمونا فضل مائكم فقال عبد المطلب خلوا القوم فان الماء لا يمنع فقال القيسيون هذا رجل شريف سيد وقد خشينا ان يقضى له علينا فلما وصلوا الى سطيح قالوا إنا قد خبأنا لك خبئاً واخذ إنسان منهم تمرة في يده فقال فأخبرنا ما هو فقال : خبأتم لي ما طال فسمك ، ثم اينع فما هلك ، القى التمرة من يدك ، فقالوا له قاتله الله اخبئوا له خبئاً هو اخفى منه فأخذ إنسان جرادة فقالوا له إنا قد خبأنا لك خبئاً فاخبرنا ما هو قال : خبأتم لي ما رجله كالمنشار ، قالوا إي ، قال ما طار فسطع ، ثم قبض فوقع ، فترك الصيد أفضع ، قالوا ما له قاتله الله اخبئوا له خبئاً هو اخفى من هذا فاخذوا راس جرادة فجعلوه في خرز مزادة ثم علقوه في عنق كلب لهم يقال له سوار ثم ضربوه حتى ذهب ثم رجع على الطريق فقالوا قد خبأنا لك خبئاً فاخبرنا ما هو قال : خبأتم لي راس جرادة ، في خرز مزادة ، بين عنق سوار والقلادة ، قالوا اقض بيننا قال قد قضيت اختصمتم

أنتم وعبد المطلب في ماء بالطائف يقال له ﴿ ذو الهرم ﴾ فالماء ماء عبد المطلب ولا حق لكم فيه فادوا الى عبد المطلب مائة من الابل والى سطيح عشرين فنعلوا وانطلق عبد المطلب ينحر ويطعم حتى دخل مكة فنادى مناديه يا معشر أهل مكة إن عبد المطلب يسألكم بالرحم لما قام كل رجل منكم حدثته نفسه أن يغنيني عن هذا الغرم فأخذ مثل ما حدثته نفسه فقاموا وأخذوا من بعير واثنين وثلاثة على قدر ما حدثت كل امرئ منهم نفسه وفضلت بعد ذلك جزائر فقال عبد المطلب لابنه ابي طالب أي بني قد أطعمت الناس فانطلق بهذه الجزائر فانحرها على أبي قبيس حتى يأكلها الطير والسباع ففعل ابو طالب ذلك فأصابها الطير والسباع قال ابو طالب :

ونطعم حتى يأكل الطير فضلنا * إذا جعلت أيدي الفيضين ترعد

قال أبو إسحاق وغيره من أهل العلم تزوج عبد المطلب النساء فولد له الأولاد ولما كمل عشرة رهط قال أللهم إني كنت نذرت لك نحر أحدهم وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت فأقرع فصارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب وكان أحب ولده اليه وكان ولده العشرة الحارث وبه يكنى وقثم ، وأمهما صفية بنت جندب من ولد عامر بن صعصعة ، والزبير وابو طالب وعبد الله والمقوم وهو عبد الكعبة ، أم الأربعة فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحمزة أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، أمهما نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط ، وأبو لهب وهو عبد العزى ، وأمه لبنى بنت هاجر بن مناف بن ضاطر الخزاعي والغيداق وهو جحل ، وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعي ، وكن بناته ستا أم حكيم البيضاء وعاتكة وبرة وأروا وأميمة ، أمهن جميعا فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وصفية أمها هالة بنت أهيب .

فانطلق عبد المطلب بعبد الله ليذبحه وأخذ الشفرة واتبعه ابنه الحارث فلما سمعت ذلك قريش لحقته وقالت يا أبا الحارث إنك إن فعلت ذلك صارت سنة في قومك ولم

يزل الرجل يأتي بولده الى هاهنا ليذبحه فقال إني عاهدت ربي وإني موف له بما عاهدته فقال له بعضهم أفده فقام وهو يقول :

عاهدت ربي وانا موف عهده * أخاف ربي إن تركت وعده
والله لا يحمد شيء حمده

ثم أحضر مائة من الابل فضرب بالقداح عليها وعلى عبد الله فخرجت على الابل فكبر الناس وقالوا قد رضي ربك فقال عبد المطلب :

لاهمّ رب البلد المحرم * الطيب المبارك المعظم
أنت الذي أعنتني في زمزم

ثم قال إني معيد القداح فاعادها فخرجت على الابل فقال :

لاهمّ قد أعطيتني سؤالي * أكثرت بعد قلة عيالي
فاجعل فداه اليوم جلّ مالي

ثم ضرب بالقداح ثالثة فخرجت على الابل فنحرها ونادى مناديه ألا فخذوا لحمها وانصرف عنها ووثب الناس يأخذونها فلذلك يقول مرة بن خالف الفهمي :

كما قسمت نهباً ديات ابن هاشم * ببطحاء بسل حيث يعتصب البرك

وصارت الدية من الابل على ما سن عبد المطلب ، ولما قدم ﴿ أبرهة ﴾ ملك الحبشة صاحب الفيل مكة ليهدم الكعبة فتهاربت قريش في رؤوس الجبال فقال عبد المطلب لو اجتمعنا فدفعنا هذا الجيش عن بيت الله فقالت قريش لابد لنا به فاقام عبد المطلب في الحرم وقال لا أبرح من حرم الله ولا اعوذ بغير الله فأخذ اصحاب أبرهة ابلاً لعبد المطلب وصار عبد المطلب الى ابرهة فلما استأذن عليه قيل له قد اتاك سيد العرب وعظيم قريش وشريف الناس ، فلما دخل عليه اعظمه ابرهة وجل في قلبه لما رأى من جماله وكماله ونبله فقال لترجمانه قل له سل ما بدا لك فقال إبلاً لي اخذها اصحابك فقال لقد رايتك فأجللتك واعظمتك وقد تراني حيث نهدم مكرمتك وشرفك فلم تسألني

الانصراف وتكلمني في إبلك فقال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت الذي زعمت تريد هدمه رب يمنعك منه فرد الابل وداخله ذعر لكلام عبد المطلب فلما انصرف جمع ولده ومن معه ثم جاء الى باب الكعبة فتعلق به وقال :

لاهمّ إن تعف فانهم عيالك . (١) . إلا فشيء ما بدا لك

ثم انصرف وهو يقول :

لاهمّ إن المرء يمـ * ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدواً محالك
ولئن فعلت فانه * أمر تتم به فعالك

وأقام بموضعه فلما كان من غد بعث ابنه عبد الله ليأتيه بالخبر ودنا وقد اجتمع اليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه إن أمكنهم ذلك فأتى عبد الله على فرس شقراء يركض وقد جردت ركبته فقال عبد المطلب قد جاءكم عبد الله بشيراً ونذيراً والله ما رأيت ركبته قط قبل هذا اليوم فأخبرهم ما صنع الله باصحاب الفيل ، وقال عبد المطلب لما كان من أصحاب الفيل ما كان :

أيها الداعي لقد أسمعتني * ثم مابي عن نداكم من صمم
هل بدا لله أمر أم لـه * سنة في القوم ليست في الأمم
قلت والأشرم تردى خيله * إن ذا الأشرم غرّ بالحرم
إن للبيت لربّا مانعاً * من يرده بأثام يصطلم

(١) كذا في الأصل وفيه من اختلال الوزن والقافية ما لا يخفى ، وقد أورد البيت ابن كثير الشامي في تاريخه كما يلي :

إن كنت تاركهم وقبـ * ـلتنا فأمر ما بدا لك

وجعله من جملة الأبيات التالية ، ومثله ابن الأثير في الكامل (ج ١) ولم يوجد فيما بايدينا من المصادر رواية البيت مستقلاً وبوجه صحيح . (م . ص)

رامه تبع فيما قد مضى * وكذا حمير والحي قدم
فاثنى عنه وفي أوداجه * جارح أمسك منه بالكظم
هلكت بالبغي فيه جرهم * بعد طسم وجديس وجم
وكذا الأمر بمن كاد بحر * ب فأمر الله بالأمر اللمم
نعرف الله وفينا سنة * صلة الرحم وإيفاء الذمم
لم تزل لله فينا حجة * يدفع الله بها عنا النقم
نحن أهل الله في بلدته * لم يزل ذاك على عهد ابرهم

أديان العرب

وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل الملل والانتقال الى البلدان والاتجاعات فكانت قريش وعامة ولد ﴿ معد ﴾ بن عدنان على بعض دين إبراهيم يحجون البيت ويقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظمون الأشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ويعاقبون على الجرائم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معد ثعلبة بن أياد بن نزار بن معد، فلما خرجت أياد وليت خزاعة حجابة البيت ففيروا ما كان عليه الأمر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد أن تطلع الشمس وخرج عمرو بن لحي — واسم لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر — الى أرض الشام وبها قوم من العمالقة يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأوثان التي أراكم تعبدون قالوا هذه أصنام نعبدها نستنصرها فننصر ونستسقي بها فنسقى فقال ألا تعطوني منها صنماً فاسير به الى أرض العرب عند بيت الله الذي تفد اليه العرب فأعطوه صنماً يقال له ﴿ هُبَل ﴾ فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة فكان أول صنم وضع بمكة ثم وضعوا به [إساف ونائلة] كل واحد منها على ركن من أركان البيت فكان الطائف إذا طاف بدأ بأساف فقبله واستلم به ، ونصبوا على الصفا صنماً يقال له ﴿ مجاور الريح ﴾ وعلى المروة صنماً يقال له

﴿ مطعم الطير ﴾ فكانت العرب إذا حجت البيت فرأت تلك الأصنام سألت قريشاً وخزاعة فيقولون نعبدها لتقربنا الى الله زلفى ، فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلون لها تقرباً الى الله فيما يقولون ، فكان لكلب بن وبرة وأحياء قضاعة ﴿ ودّ ﴾ منصوباً بدومة الجندل بحرش « بجرش خ ل » وكان لحمير وهمدان ﴿ نسر ﴾ منصوباً بصنعاء ، وكان لكنانة ﴿ سواع ﴾ وكان لغطفان ﴿ العزى ﴾ وكان لهذيل وبجيلة وخثعم ﴿ ذو الخلصة ﴾ وكان لطيئ [الفلس] منصوباً بالحبس ، وكان لربيعة وأياد ﴿ ذو الكعبات ﴾ بسنداد من أرض العراق وكان لثقيف (اللات) منصوباً بالطائف ، وكان للأوس والخزرج (مناة) منصوباً بفدك مما يلي ساحل البحر ، وكان لدوس صنم يقال له (ذو الكفين) ولبني بكر بن كنانة صنم يقال له (سعد) وكان لقوم من عذرة صنم يقال له (شمس) وكان للأزد صنم يقال له (رئام) فكانت العرب إذا أرادت حج البيت الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده ثم تلبوا حتى تقدموا مكة فكانت تلبياتهم مختلفة ، وكانت تلبية قريش : لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك تملكه وما ملك ، وكانت تلبية كنانة : لبيك اللهم لبيك اليوم يوم التعريف يوم الدعاء والوقوف ، وكانت تلبية بني أسد : لبيك اللهم لبيك يا رب أقبلت بنو أسد أهل التوائي والوفاء والجلد اليك ، وكانت تلبية بني تميم : لبيك اللهم لبيك لبيك عن تميم قد تراها قد اخلقت أثوابها وأثواب من وراءها وأخلصت لربها دعاءها ، وكانت تلبية قيس عيلان : لبيك اللهم لبيك لبيك أنت الرحمان أتتك قيس عيلان راجلها والركبان ، وكانت تلبية ثقيف : لبيك اللهم إن ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك ، وكانت تلبية هذيل : لبيك عن هذيل قد أدلجوا بليل في إبل وخيل ، وكانت تلبية ربيعة : لبيك ربنا لبيك لبيك إن قصدنا اليك ﴿ وبعضهم ﴾ يقول : لبيك عن ربيعة سامعة لربها مطيعة ، وكانت حمير وهمدان يقولون : لبيك عن حمير وهمدان والحليفين من حاشد وألهان ، وكانت تلبية

الأزد : لبيك رب الأرباب تعلم فصل الخطاب لملك كل مثاب ، وكانت تلبية
مذحج : لبيك رب الشعرى ورب اللات والعزى ، وكانت تلبية كندة وحضرموت
لبيك لاشريك لك تملكه أو تهلكه أنت حكيم فاتركه ، وكانت تلبية غسان : لبيك رب
غسان راجلها والفرسان ، وكانت تلبية بجيلة : لبيك عن بجيلة في بارق ومخيلة
وكانت تلبية قضاعة : لبيك عن قضاعة لربها دفاعة سمعاً له وطاعة ، وكانت تلبية
جذام : لبيك عن جذام ذوي النهى والأحلام ، وكانت تلبية عك والأشعريين :

نحج للرحمان بيتاً عجبا * مستتراً مضبباً محجبا

وكانت العرب في أديانهم على صنفين (الحمس) و (الحلة) فاما الحمس فقريش
كلها ، وأما الحلة فخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً ، وكانوا يشددون على أنفسهم
في دينهم فاذا نسكوا لم يسلئوا سمناً ولم يدخروا لبناً ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها
حتى تعافه ولم يجزوا شعراً ولا ظفراً ولم يدهنوا ولم يمسوا النساء ولا الطيب ولم يأكلوا
لحماً ولم يلبسوا في حجهم وبراً ولا صوفاً ولا شعراً ، ويلبسون جديداً ويطوفون
بالبيت في نعالهم لا يطأون أرض المسجد تعظيماً له ولا يدخلون البيوت من أبوابها ولا
يخرجون الى عرفات ويلزمون مزدلفة ويسكنون في حال نسكهم قباب الأدم ، وكانت
الحلة — وهي تميم وضبة ومزينة والرباب وعكل وثور وقيس عيلان كلها ما خلا
عدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وربيعة بن نزار كلها وقضاعة وحضرموت وعك
وقبائل من الأزد — لا يحرمون الصيد في النسك ويلبسون كل الثياب ويسلئون السمن
ولا يدخلون من باب بيت ولا دار ولا يأويهم ما داموا محرمين ، وكانوا يدهنون
وينطيون ويأكلون اللحم فاذا دخلوا مكة بعد فراغهم نزعوا ثيابهم التي كانت عليهم
فمن قدروا على أن يلبسوا ثياب الحمس كراءً أو عارية فعلوا ولا طافوا بالبيت عراة
وكانوا لا يشترون في حجهم ولا يبيعون ، فهاتان الشريعتان للتان كانت العرب عليهما
ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود وفارقوا هذا الدين ، ودخل آخرون في

النصرانية ، وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية ، فاما من تهوّد منهم فاليمن بأسرها كان « تبع » حمل حبرين من أحبار اليهود الى اليمن فابطل الأوثان وتهود من باليمن وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير ، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى منهم عثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن أسد ، ومن بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة بنو تغلب ، ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم ، وتزندق حجر بن عمرو الكندي .

حكام العرب

وكان للعرب حكام ترجع اليها في أمورها وتتحاكم في منافراتها ومواريثها ومياهها ودمائها لأنه لم يكن دين يرجع الى شرائعه فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة ، وكان أول من استقضي اليه فحكم الأفعى ابن الأفعى الجرهمي وهو الذي حكم بين بني نزار في ميراثهم ، ثم سليمان بن نوفل ، ثم معاوية ابن عروة ، ثم سخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الدئل ، ثم الشداخ — وهو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة — وسويد بن ربيعة ابن حذار بن مرة بن الحارث بن سعد ، ومخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد ابن عمرو بن تميم ، وكان يجلس على سرير من خشب فسمي ذا الأعواد ، وأكثم ابن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن ، وعامر بن الضرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس ، وهرم بن قطبة بن سيار الفزاري ، وغيلان ابن سلمة بن معتب الثقفي ، وسنان بن أبي حارثة المري ، والحارث بن عباد بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن الضحيان بن الضحاك بن النمر بن قاسط ، والجعد بن صبرة الشيباني ، ووكيع بن سلمة بن زهير الأيادي وهو صاحب الصرح بالحزورة

وقس بن ساعدة الأيادي ، وحنظلة بن نهد القضاعي ، وعمرو بن حممة الدوسي وكان في قريش حكام منهم عبد المطلب ، وحرب بن أمية ، والزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ، والوليد بن المغيرة المخزومي .

أزلام العرب

وكانت العرب تستقسم بالأزلام في كل أمورها وهي « القداح » ولا يكون لها في سفر ومقام ولا نكاح ولا معرفة حال إلا رجعت الى القداح ، وكانت القداح سبعة فواحد عليه ﴿ الله عز وجل ﴾ والآخر (لكم) والآخر (عليكم) والآخر (نعم) والآخر (منكم) والآخر (من غيركم) والآخر (الوعد) فكانوا إذا أرادوا أمراً رجعوا الى القداح فضربوا بها ثم عملوا بما تخرج القداح لا يتعدونه ولا يجوزونه وكان لهم أمناء على القداح لا يثقون بغيرهم ، وكانت العرب إذا كان الشتاء ونالهم القحط وقلت ألبان الابل استعملوا الميسر وهي الأزلام وتقامروا عليها وضربوا بالقداح وكان قداح الميسر عشرة سبعة منها لها أنصب وثلاثة لا أنصب لها فالسبعة التي لها أنصب يقال لأولها (الفذ) وله جزء (والتوأم) وله جزءان (والرقيب) وله ثلاثة أجزاء (والحلس) وله أربعة أجزاء (والنافس) وله خمسة أجزاء (والمسبل) وله ستة أجزاء (والمعلى) وله سبعة أجزاء ، والثلاثة التي لا أنصب لها أغفال ليس عليها اسم يقال لها (المنيح والسفيح والوغد) فكانت الجزور تشترى بما بلغت ولا ينقد الثمن ثم يدعى الجزار فيقسمها عشرة أجزاء فاذا قسمت أجزاؤها على السواء أخذ الجزار أجزاءه وهي الرأس والأرجل وأحضرت القداح العشرة واجتمع فتيان الحي فاخذ كل فرقة على قدر حالهم ويسارهم وقدر احتمالهم فيأخذ الأول الفذ وهو الذي فيه نصيب واحد من العشرة أجزاء فاذا خرج له جزء واحد أخذ من الجزور جزءاً وإن لم يكن يخرج له غرم ثمن جزء من الجزور ويأخذ الثاني التوأم وله نصيبان من أجزاء الجزور فان خرج أخذ جزءين من الجزور وإن لم يخرج غرم ثمن الجزءين وكذلك سائر القداح على ما سمينا

منها فما خرج أخذ صاحبه ما فيه وما لم يخرج غرم ما فيه من الأجزاء فاذا عرف كل رجل منهم قدحه دفعوا القداح الى رجل أخس لا ينظر اليها معروف أنه لم يأكل لحماً قط بثمن ويسمى ﴿ الحرضة ﴾ ثم يؤتى بالمجول — وهو ثوب شديد البياض — فيجعل على يده ويعمد الى السلفة — وهي قطعة من جراب — فيعصب بها على كفه لئلا يجد مس قدح يكون له في صاحبه هوى فيخرجه ، ويأتي رجل فيجلس خلف الحرضة يسمى ﴿ الرقيب ﴾ ثم يفيض الحرضة بالقداح فاذا نشز منها قدح استله الحرضة فلم ينظر اليه حتى يدفعه الى الرقيب فينظر لمن هو فيدفعه لصاحبه فيأخذ من أجزاء الجزور على نصيبه منها فان خرج من الثلاثة الأغفال شيء رد من ساعته وإن خرج أولاً أخذ صاحبه نصيبه وضربوا بباقي القداح على التسعة الأجزاء الأخر فان خرج الثاني أخذ صاحبه جزءين وضربوا بباقي القداح على الثمانية الأجزاء الأخر فان خرج المعلى عخذ صاحبه نصيبه وهو السبعة الأجزاء التي بقيت وخرجوا وفقاً ووقع غرم ثمن الجزور ألى من خاب سهمه وهم أربعة صاحب الرقيب والحلس والنافس والمسبل ، ولهذه الأقداح ثمانية عشر سهماً فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً وأخذ كل واحد من الغرم مثل الذي كان نصيبه من اللحم لو فاز قدحه ، وإن خرج المعلى أول القداح أخذ صاحبه سبعة أجزاء الجزور وكان الغرم على أصحاب القداح التي خابت واحتاجوا أن يخرجوا جزوراً أخرى لأن في قداحهم المسبل وله ستة أجزاء ولم يبق من اللحم إلا ثلاثة أجزاء ، ولم ينبغي لمن خاب قدحه في الجزور الأولى أن يأكل منها شيئاً فانه يعاب به ، فان خرجوا الجزور الثانية وضربوا عليها القداح فخرج المسبل أخذ صاحبه ستة أجزاء الجزور الأخرى الثلاثة الباقية من الجزور الأولى وثلاثة أجزاء من الجزور الثانية ولزمه الغرم في الجزور الأولى ولم يلزمه في الثانية شيء لأن قدحه قد فاز وبقي من الجزور الثانية سبعة أجزاء فيضرب عليها بقداح من بقي فان خرج النافس أخذ صاحبه خمسة أجزاء ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً لأن قدحه قد فاز ولزمه الغرم من الأولى وبقي جزءان من الجزور

وفيما بقي من القداح الخلس له أربعة أجزاء فيحتاجون أن ينحروا جزوراً أخرى لتتمة أربعة ، ولا ينبغي لمن خاب قدحه في الجزور الثانية أن يأكل منها شيئاً لأنه يعاب به وإن نحروا الجزور الثالثة وفاز الخلس أخذ صاحبه أربعة أجزاء جزأين من الجزور الثانية وجزأين من الجزور الثالثة ولم يغرم من الجزور الثالثة شيئاً لأنه فاز قدحه ويبقى ثمانية أجزاء من الجزور الثالثة فضرب بباقي القداح عليها حتى يخرج قداحهم وفقاً لأجزاء الجزور ، فهذا حساب غرمهم الثمن كما وصفت ، وربما كانت أجزاء اللحم موافقة لأجزاء القداح فلا يحتاجون الى نحر شيء إنما ينحر الجزور إذا قصرت اجزاء اللحم عن بعض القداح فان عاد بعض من فاز قدحه ثانية فخاب غرم من ثمن الجزور التي خاب قدحه منها على هـذا الحساب فان فضل من أجزاء اللحم شيء وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الأجزاء لأهل المسكنة من العشيرة ، فهذا تفسير الميسر وكانوا يفتخرون به ويرون أنه من أفعال الكرم والشرف ، ولهم في هذه أشعار كثيرة يفتخرون بها .

شعراء العرب

وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم فاذا كان في القبيلة الشاعر المفلق المصيب المعاني المخير الكلام أحضروه في أسواقهم التي كانت تقوم لهم في السنة ومواسمهم عند حجهم البيت حتى تقف وتجتمع القبائل والعشائر فتسمع شعره ويجعلون ذلك فخراً من فخرهم وشرفاً من شرفهم ، ولم يكن لهم شيء يرجعون اليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر فبه كانوا يختصمون وبه يتمثلون وبه يتفاضلون وبه يتقاسمون وبه يتناضلون وبه يمدحون ويعابون ، فكان ممن قدم شعره في جاهلية العرب على ما أجمعت عليه الرواة وأهل العلم بالشعر وجاءت به الآثار والأخبار من شعراء العرب في جاهليتها مع من أدركه الاسلام فسمي « مخضرماً » (١) فانهم دخلوا مع من تقدم فسموا الفحول

(١) الخضرمة في الأصل قطع طرف الأذن ، وفي الحديث (خطبنا —

وقدموا على تقدم أشعارهم في الجودة وإن كان بعضهم أقدم من بعض وهم على ما بينا من أسمائهم ومراتبهم على الولاء ﴿ فأولهم ﴾ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن ... (١) ...

والنابغة الذبياني وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

وزهير بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى ﴿ ربيعة ﴾ بن رياح بن قرط بن الحارث

— رسول الله « ص » على ناقة مخضرمة) أي قطع طرف أذنها ، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم فلما جاء الاسلام أمروا أن يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم منه أهل الجاهلية ، ومنه قيل لمن أدرك الخضرمتين المخضرم ، وقال ابن خالويه خضرم خلط ومنه المخضرم الذي أدرك الجاهلية والاسلام كذا في (تاج العروس) في مادة « خضرم » .

(١) بياض في الأصل ، وحجر آكل المرار هو ابن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور الاكبر ، وهو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ، هكذا نسبه الآمدي في « المؤتلف والمختلف » ص ٩ ولكن شارح القاموس في تاج العروس بمادة (مرر) جعل آكل المرار لقب حجر بن معاوية الأكرم بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور وهو كندة ، وقد ناقض ما ذكره في مادة (حجر) من أنه لقب حجر بن معاوية بن ثور وهو كندة . وابن سلام الجمحي في « طبقات الشعراء » ص ٢٤ جعله ابن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة ، وعلى كل فان امرأ القيس هذا هو رافع لواء الشعراء الى النار كما روي ذلك في حديث ، وهو صاحب المعلقة الشهيرة التي مطلعها : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ويعرف بالملك الضليل ، توفي نحو ٨٠ سنة قبل الهجرة .

(م . ص)

ابن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد .

والأعشى ، وهو أعشى وائل وهو ﴿ ميمون ﴾ بن قيس بن جندل بن شراحيل ابن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

وعبيد بن الأبرص بن حشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد .

ومهلهل وهو ﴿ امرؤ القيس ﴾ بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

وعلقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم والحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم ابن عامر بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل .

وعمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل .

وسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر بن وائل ، والأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وسويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عامر ابن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل .

وأوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عمرو بن خلف بن نمير بن أسيد بن عمرو ابن تميم بن مر .

وذو الاصبع العدواني وهو ﴿ حرثان ﴾ بن حارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عباد بن يشكر بن عدوان ، وهو الحارث بن عمرو ابن قيس بن عيلان .

وبشر بن أبي خازم وهو ﴿ عمرو ﴾ بن عوف بن حنش بن ناشرة بن أسامة ابن والبة .

وعنترة بن شداد بن معاوية بن نزار بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض .

وعبدة بن الطبيب التميمي (١)

والمتلمس وهو ﴿ جرير ﴾ بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوفان بن حرب ابن وهب بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار .

وابو دؤاد الأيادي وهو ﴿ حوثرة ﴾ بن الحارث بن الحجاج .

والمرقش الاكبر وهو ..... (٢)

والمرقش الأصغر وهو ﴿ ربيعة ﴾ بن معاوية بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

والمسيب بن علس بن عمرو بن قضاعة بن عمرو بن زيد بن ثعلبة بن دعدى بن مالك ابن جشم بن مالك بن جماعة بن جلى .

وعدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن

---

(١) عبدة بن يزيد [الطبيب] بن عمرو بن علي من تميم من المخضرمين شهد الفتوح وقتال الفرس مع المثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن بالمدائن وغيرها وهو صاحب الرثية التي منها : (وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما) توفي نحو سنة ٢٥ هجرية .

(٢) بياض في الأصل ، واسم المرقش الاكبر عوف وقيل عمرو ، وقيل ربيعة ابن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل ، شاعر جاهلي عشق ابنة عمه [أسماء] بنت عوف وقال فيها شعراً كثيراً واتصل مدة بالحارث ابي شمر الغساني ونادمه ومدحه واتخذه الحارث كاتباً له توفي قبل الهجرة بـ ٧٥ سنة . (م)

امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم .

وسلامة بن جندل بن عبد عمرو بن عبد الحارث ، وهو ﴿ مقاعس ﴾ بن عمرو ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وسحيم بن وثيل بن عمرو بن كرز بن وهيب بن حميري بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

والجميح الأسدي وهو ﴿ منقذ ﴾ بن الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين

وحاتم الطائي وهو ﴿ حاتم ﴾ بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس ابن عدي بن أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث .

وطفيل الخيل وهو ﴿ طفيل ﴾ بن عوف بن خليف بن ضبيس بن مالك بن سعد ابن عوف بن هلال بن غنم بن غني .

والسفاح وهو ﴿ سلمة ﴾ بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب .

وتأبط شراً وهو ﴿ ثابت ﴾ بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان .

وابن المضلل الأسدي وهو ﴿ جلد ﴾ بن قيس بن مالك بن منقذ بن طريف ابن عمرو بن قعين .

وكعب الأمثال الغنوي وهو كعب بن سعد بن علقمة بن ربيعة بن زيد بن أبي مليل ابن رفاعة بن مسلم بن سعد . والحكم بن (... «١» ...)

«١» بياض في الأصل ، ولعل الحكم هذا هو ابن المقداد بن الحكم بن الصباح أحد بني مخاشن بن عصيم ثم أحد بني زهرة بن قيس بن عمرو بن ثومة بن مخاشن بن لأي ابن شمخ بن فزارة ، شهد الحرب المعروفة بـ « بنات قين » وكان فارساً ويعرف بالاصم الفزاري وبالحكم بن زهرة ، وهي أمه ، ترجمه الآمدي في (المؤتلف والمختلف) ص٤٣

ومروان القرظ بن زنباع بن جذيمة بن رواحة بن قطيعة
ابن عبس .

ودريد بن الصمة بن الحارث بن بكر بن علقمة بن جداعة بن عوف بن جشم بن
معاوية بن بكر بن هوازن .

وأمية بن ابي الصلت وهو ﴿ عبد الله ﴾ بن ربيعة بن عتدة بن غيرة بن عوف
ابن قسي وهو ثقيف .

والأفوه الأودي وهو ﴿ صلاة ﴾ بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن
عوف بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج .

وعمرو بن قمئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

وضابئ بن الحارث بن أرطاة بن شهاب بن عبيد بن حلول بن قيس بن حنظلة
ابن مالك .

وخفاف بن ندبة ، وندبة هي أمه وأبوه عمير بن الحارث بن عمرو بن الشريد
ابن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم .

والمتنخل الهذلي وهو ﴿ مالك ﴾ بن غنم بن سويد بن حبشي بن خناعة بن
الديل بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل .

والذهاب الفحل وهو ﴿ مالك ﴾ بن جندل بن مسلمة بن مجمع بن ضبيعة بن عجل
وعروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن سفيان بن عوذ بن غالب بن
قطيعة بن عبس بن بغيض .

والحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وهو فارس النعامة .

وأنس بن مدرك بن عمرو بن سعد بن عوف بن العتيك بن حارثة بن عامر بن
تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن خثعم .

والمنخل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سوادة بن مالك بن ثعلبة بن غنم بن

حبيب بن كعب بن يشكر .

وأثيم بن شراحيل بن عبد رضى بن عبد عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة والحارث بن ظالم بن حذيمة بن يربوع بن غيض بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وصفوان بن حصين بن مالك بن رفاعة بن سالم بن عبيد بن سعد العنزي .

والسموءل بن عاديا وهو ينسب الى غسان ، فيقول بعضهم إنه يهودي من سبط يهوذا وعمرو بن الأهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

ومطرود بن كعب بن عرفطة بن النافذ بن مرة من تميم بن سعد بن كعب بن عمرو ابن ربيعة الخزاعي .

وأوس بن غلفاء بن فقعس بن معبد بن عامر بن عمامة .

وحصين بن الحمام بن ربيعة بن حرام بن وائلة بن سهم بن (... «١» ...) عامر بن صعصعة .

والركاض الأسدي وهو ركاض بن اباق بن بديل أحد بني دبير .

وسويد بن كراع العكلي — والحويدرة واسمه ﴿ قطبة ﴾ بن أوس بن محصن

«١) بياض في الأصل ، وسهم هذا هو ابن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان ، وكان الحصين هذا سيد بني سهم ابن مرة ويلقب (مانع الضيم) وكان ممن نبذ عبادة الأوثان في الجاهلية ، وتوفي قبل الهجرة بنحو عشر سنين ، وقيل أدرك الاسلام ، وقد سقط من الأصل قبل (عامر ابن صعصعة) من ينتمي اليه فيحتمل أنه توبة بن الحمير الخفاجي صاحب ليلى الأخيلية أو أنه (قيس) بن الملوح صاحب لبنى الكعبية ، أو أنه (خداش) بن زهير بن ربيعة ، أو غير هؤلاء ممن كان من الشعراء الجاهليين أو المخضرمين وينتمي الى عامر ابن صعصعة المذكور (أنظر أخبارهم في الأغاني والشعر والشعراء وغيرها) (م .)

ابن جرول بن حبيب الأعظم بن عبد العزى بن خزيمة بن رزام بن مازن بن ثعلبة ابن سعد بن ذبيان .

وأعشى بني أسد وهو (قيس) بن بجرة بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين .

وابن الزبعري السهمي وهو ﴿ عبد الله ﴾ بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم من قريش .

و ... «١» ... قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وابن دجاجة الفقيم وهو ﴿ بكير بن برد ﴾ بن أنس بن امرئ القيس .

وسويد بن سلامة بن حديج بن قيس بن عمرو بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة ابن عبس بن بغيض .

ومقيس بن صبابة أخو بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن كنانة وأدرك الاسلام وأسلم ثم ارتد فقتل يوم فتح مكة كافراً .

والمسيب بن الزفيل بن حارثة بن حيان بن قيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب ابن هبل الكلبي .

والبراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جدي بن ضمرة الكناني .

وسبرة بن عمرو بن أهنان بن دثار بن فقعس .

---

(١) بياض في الأصل ، والذي ينتمي الى قطن بن نهشل من الشعراء الجاهليين — غير سويد بن سلامة الذي ذكره — إثنان (احدهما) نهشل بن حري بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل ، ذكره ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) وأنشد له أبياتاً و (ثانيهما) ابو الغول علباء بن جوشن من بني قطن بن نهشل ، ذكره الآمدي في (المختلف والمؤتلف) وابن قتيبة في (الشعر والشعراء) وأنشد له أبياتاً .

وشافع بن عبد العزى الضمري — وسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي .

ومصروف ، واسمه ﴿ عمرو ﴾ بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل .

وابن رميلة الضبي — وقيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل

ومرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبيد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة ابن سليم بن منصور .

ومن شعراء الجاهلية الفحول المتقدمين الذين أدركوا الاسلام — النابغة الجعدي وكان في السن مثل النابغة الذبياني ، واسمه ﴿ قيس ﴾ بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن عامر بن صعصعة .

وتميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وكعب بن زهير وهو ﴿ ربيعة ﴾ بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن غنم بن عمرو بن أد .

وعبد الله بن عامر بن كرب الكندي .

وأبو سمال الأسدي واسمه ﴿ شمعان ﴾ بن هبيرة بن مساحق .

وزيد بن مهلهل وهو ﴿ زيد الخيل ﴾ بن يزيد بن منهب بن عبد رضى بن المخلس بن ثور بن عدي بن كنانة بن مالك بن نبهان بن عمرو بن الغوث .

والحطيئة واسمه ﴿ جرول ﴾ بن أوس بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس .

وضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو المحاربي .

والشماخ بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن

ابن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

وأبو ذؤيب الهذلي وهو خويلد بن خالد بن محرّث بن ربيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل .

وابو كبير الهذلي وهو ﴿ عامر ﴾ بن الحليس .

والحرث بن عمرو بن جرجة بن يربوع بن فزارة .

وعبد بني الحسحاس وهو ﴿ سحيم ﴾ بن هند بن سفين بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة (١) .

أسواق العرب

كانت أسواق العرب عشرة أسواق يجتمعون بها في تجاراتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم وأموالهم فمنها ﴿ دومة الجندل ﴾ يقوم في شهر ربيع الأول ورؤساؤها غسان وكلب أي الحيين غلب قام ، ثم ﴿ المشقر ﴾ بهجر يقوم سوقها في جمادى الأولى تقوم بها بنو تيم رهط المنذر بن ساوى ، ثم ﴿ صحار ﴾ يقوم في أول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ، ثم يرتحلون من صحار الى ﴿ ريا ﴾ يعشرهم فيها الجلندي وآل الجلندي ، ثم سوق ﴿ الشحر ﴾ شحر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي عليه السلام ، ولم تكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ، ثم سوق ﴿ عدن ﴾ يقوم في أول يوم من شهر رمضان ويعشرهم بها الأبناء ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الآفاق ، ثم سوق ﴿ صنعاء ﴾ يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الأبناء ، ثم سوق ﴿ الرايّة ﴾ بحضرموت ولم

(١) تجد أخبار هؤلاء الشعراء في « الأغاني » لأبي الفرج ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، والمختلف والمؤتلف للآمدي ، وطبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان وغيرها من المعاجم .

(م ص)

يكن يصل اليها إلا بخفارة لأنها لم تكن أرض مملكة وكان من عز فيها بز ، وكانت كندة تخفر فيها ، ثم سوق ﴿ عكاظ ﴾ بأعلى نجد يقوم في ذي القعدة وينزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر ، وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم ثم سوق (ذي المجاز) وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز الى مكة لحجهم ، وكان في العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هـذه الأسواق فسموا المحلون ، وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمون ، وأما المحلون فكانوا قبائل

من أسد وطيء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة ، وأما الذادة المحرون فكانوا من بني عمرو بن

تميم وبني حنظلة بن زيد منـاة ، وقوم

من هذيل ، وقوم من بني شيبان

وقوم من بني كلب بن وبرة

فكانوا هؤلاء

يلبسون

السلاح لدفعهم عن النـاس ، وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم (. . . . .) وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوهها البراقع فيقال إن أول عربي كشف قناعه ﴿ ظريف ﴾ بن غنم العنبري ففعلت العرب مثل فعله .

نجز الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوله مولد رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

فهرس مواضيع الكتاب

ص	
٠٣	شيث بن آدم
٠٤	انوش بن شيث
٠٤	قينان بن انوش
٠٤	مهلائيل بن قينان
٠٥	يرد بن مهلائيل
٠٦	أخنوخ بن يرد
٠٦	متوشلح بن أخنوخ
٠٦	لمك بن متوشلح
٠٧	نوح (ع)
١٠	سام بن نوح
١١	ارفخشد بن سام
١١	شالح بن ارفخشد
١٢	عابر بن شالح
١٢	فالغ بن عابر
١٣	أرغو بن فالغ
١٣	ساروغ بن أرغو
١٤	ناحور بن ساروغ
١٥	تارخ بن ناحور
١٥	ابراهيم (ع)
١٩	اسحاق بن ابراهيم
٢٠	يعقوب بن اسحاق
٢١	ولد يعقوب
٢٢	موسى بن عمران (ع)
٣٣	أنبياء بني إسرائيل وملوكهم بعد موسى (ع)
٣٧	داود (ع)
٤٢	سليمان بن داود
٤٥	رحبعم بن سليمان والملوك بعده
٥٢	المسيح عيسى بن مريم (ع)
٥٣	إنجيل متى
٥٦	إنجيل مرقس
٥٦	إنجيل لوقا
٥٩	إنجيل يوحنا
٦٣	ملوك السريانيين
٦٤	ملوك الموصل ونينوى
٦٤	ملوك بابل
٦٥	ملوك الهند
٦٩	كتاب كليلة ودمنة وواضعه
٧١	الشطرنج وواضعه
٧٥	اليونانيون

ص	
٧٦	كتاب الفصول لأبقراط الحكيم
٨٢	كتابه في تقدمة المعرفة
٨٤	كتابه في الأهوية والأزمنة والمياه والأمصار
٨٥	كتابه في الأهوية والبلدان
٩١	كتابه في ماء الشعير
٩١	كتابه الأركان اي الطبائع الاربع
٩٢	كتب جالينوس الحكيم
٩٦	كتب اقليدس الحكيم
٩٩	كتاب الارثماطيقي لنيقو ماخس الحكيم
١٠٢	كتب ارسطاطاليس الحكيم
١٠٧	كتب بطلميوس الحكيم منها المجسطي
١١٢	الاصطرلاب
١١٥	ملوك اليونان
١١٧	ملوك الروم
١٢٣	ملوك الروم المتنصرة
١٢٨	ملوك فارس

ص	
١٢٩	المملكة الثانية من اردشير بابكان
١٤٥	ممالك الجربي
١٤٦	ملوك الصين
١٥٠	ملوك مصر من القبط وغيرهم
١٥٤	ممالك البربر والأفارقة
١٥٥	ممالك الحبشة والسودان
١٥٥	ممالك البجة
١٥٧	ملوك اليمن
١٦٦	ملوك الشام
١٦٩	ملوك الحيرة من اليمن
١٧٦	حرب كندة
١٨١	ولد اسماعيل بن ابراهيم
٢١١	أديان العرب
٢١٤	حكام العرب
٢١٥	أزلام العرب
٢١٧	شعراء العرب
٢٢٦	أسواق العرب

فهرس الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٠١	١٢	خقلت	خلقت
٠٢	٠٩	ىم	ثم
٠٣	٠٢	بنوحان	ينوحان
٠٣	٠٧	وولده وولده	وولده وولدولده
٠٨	٠٢	ثلاث	ثلاثة
٠٩	٠٢	يعدهً	يعده
١٤	٢٢	وضرب الله	وضرب
٣٣	١٨	أنظروا	أنظر
٣٣	٢٢	الله	اليه
٤٨	٠٧	سبسطبة	سبسطية
٤٨	١٤	تاول	تناول
٦٣	٠٧	يربد	يريد
٦٥	٢١	الأرجيهر	الأرجيهر
٧٨	٠٩	الفيظ حمايات	القيظ حميات
٧٨	١١	حمايات	حميات
٨٠	٠١	في الحمايات	في الحميات
٨٠	٠١	الحمايات	الحميات
٨٠	٠٣	الحمايات	الحميات
٨٨	٠٩	المشتاء	الشتاء
١٠١	٧	ثللاثة	ثلاثة
١٠١	٩	زيارة	زيادة
١٠٣	١٠	ولشبه	والشبه
١٠٣	١٥	الجد	الجدة
١٠٤	١٥	النقائص	النقائض
١٠٦	١٤	ومواضع	والمواضع
١٠٩	٠٨	ليلتة	ليلته
١١١	١٨	راتبه	راتبة
١١٩	٠٣	عسرين	عشرين
١٣٥	١١	الملك	ملك
١٣٥	١٢	مظفراً	ظفراً
١٣٨	٢٠	فقدم	في امره فقدم
١٤٠	٠٥	نزا	فغزا
١٤٣	٠٩	٩ زوران	زروان
١٤٤	١٤	والزابيين	والزابيين
١٤٤	١٥	ورستقباذ	ورستقباذ
١٤٦	١٨	الروات	الرواة
١٥٧	١٣	الروات	الرواة
١٦٢	١٤	الصلب	الصلت
١٦٣	٠١	وىكلا	ويكلا
١٦٥	٠٧	الروات	الرواة
١٦٩	٠٣	الروات	الرواة
١٧٤	٢٢	تأنا	تأتنا
١٨١	٠٧	الروات	الرواة
١٨١	١٧	فاتاهم	فاتاها
٢٠٤	١٤	الاعظم	الاعصم
٢١٦	١١	عخذ	اخذ
٢١٦	١٢	ألى	على
٢٢٠	١٥	المخضرميين	المخضرمين
٢٢٣	٠٣	يربوع	يربوع
٢٢٣	٢١	المخضرميين	المخضرمين

تاريخ اليعقوبي

أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ومنه الى زمن
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب

المعروف بابن واضح الاخباري

المتوفى بعد سنة ٢٩٢

الجزء الثاني

من نشريات المكتبة المرتضوية في النجف

كل نسخة غير موقعة بتوقيع صاحب المكتبة تعد مسروقة

١٣٥٨

مطبعة الغري

النجف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي التوفيق ، الحمد رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

إنه لما انقضى كتابنا الأول الذي اختصرنا فيه ابتداء كون الدنيا وأخبار الاوائل من الأمم المتقدمة ، والممالك المتفرقة ، والأسباب المتشعبة ، ألفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة ، وأصحاب السير والأخبار والتأريخات ولم نذهب الى التفرد بكتاب نصنفه ونتكلف منه ما قد سبقنا اليه غيرنا لكنا قد ذهبنا الى أجمع المقالات والروايات لأنا قد وجدناهم اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمار وزاد بعضهم ونقص بعض فاردنا أن نجمع ما انتهى الينا مما جاء به كل امرئ منهم لأن الواحد لا يحيط بكل العلم ﴿ وقد قال ﴾ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب : العلم اكثر من أن يحفظ فخذوا من كل علم محاسنه ﴿ وقال ﴾ جعفر ابن حرب الأشج : وجدت العلم كالمال في يد كل انسان منه شيء فاذا حوى الرجل منه جملة سمي موسراً ويحوي الآخر ما هو اكثر منه فيسمى موسراً ، وكذلك العلم لا يحوي منه شيئاً إلا سمي عالماً وإن كان غيره أعلم منه ، ولو كنا لا نسمي العالم عالماً حتى يحوي العلم كله لم يقع هذا الاسم على احد من الآدميين ﴿ وقال بعض الحكماء ﴾ ليس طلبي للعلم طمعاً في بلوغ قاصيته ، واستيلاء على غايته ، ولكن لانتماسي شيئاً

لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه ﴿ وقال بعض الحكماء ﴾ إن لم تكن عالماً فتعلم ، وان لم تكن حكيماً فتحكم فانه قل ما تشبه رجل بقوم إلا أن يكون منهم ، وقال بعضهم العلم روح والعمل بدن والعلم أصل والعمل فرع والعلم والد والعمل مولود وكان العمل بمكان العلم ولم يكن العلم بمكان العمل ﴿ وقال بعضهم ﴾ من طلب العلم لرغبة أو رهبة أو منافسة أو شهوة كان حظه منه على حسب الرهبة ومن طلب العلم لكرم العلم والتمسه لفضل الاستبانة كان حظه منه بقدر كرمه وانتفاعه به حسب استحقاقه ﴿ وقال بعضهم ﴾ كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى العلم .

وابتدأ كتابنا هذا من مولد رسول الله « ص » وخبره في حال بعد حال ووقت بعد وقت الى أن قبضه الله اليه وأخبار الخلفاء بعده ، وسيرة خليفة بعد خليفة ، وفتوحه وما كان منه وعمل به في أيامه وسني ولايته ، وكان من روينا عنه ما في هذا الكتاب اسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي عن أشياخ بني هاشم ، وابو البختري وهب ابن وهب القرشي عن جعفر بن محمد وغيره من رجاله ، وأبان بن عثمان عن جعفر بن محمد ، ومحمد بن عمرو الواقدي عن موسى بن عقبة وغيره من رجاله ، وعبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي ، وأبو حسان الزيادي عن أبي المنذر الكلبي وغيره من رجاله ، وعيسى بن يزيد بن دأب ، والهيثم بن عدي الطائي عن عبد الله بن عباس الهمداني ، ومحمد بن كثير القرشي عن أبي صالح وغيره من رجاله ، وعلي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، وأبو معشر المدني ، ومحمد بن موسى الخوارزمي المنجم ، وما شاء الله الحاسب في طوالع السنين والأوقات ، وأثبتنا عن غير هؤلاء الذين سمينا جملاً جاء بها غيرهم ، ورواها سواهم ، وعلمناها من سير الخلفاء وأخبارهم ، وجعلناه كتاباً مختصراً حذفنا منه الأشعار ، وتطويل الأخبار ، وبالله العونة والتوفيق والحول والقوة .

مولد رسول الله « ص »

وكان مولد رسول الله [ص] في عام الفيل بينه وبين الفيل خمسون
وكان على ما رواه بعضهم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول ﴿ وقيل ﴾
الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأول ﴿ وقال ﴾ من رواه عن جعفر بن محمد
الجمعة حين طلع الفجر لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ﴿ وولد ﴾ على
أصحاب الحساب بقران العقرب [قال ماشاء الله المنجم] كان طالع السنة التي
فيها القران الذي دل على مولد رسول الله الميزان اثنتين وعشرين درجة حد الز
وبيتها ، والمشتري في العقرب ثلاث درجات وثلاثا وعشرين دقيقة ، وزحل في العق
ست درجات وثلاثا وعشرين دقيقة راجعا ، وهما في الثاني من الطوالع ، والشمس
نظير الطالع في الحمل اول دقيقة ، والزهرة في الحمل على درجة وست وخمسين دق
وعطارد في الحمل على ثماني عشرة درجة وست عشرة دقيقة ، والقمر وسط السماء
السرطان درجة وعشرين دقيقة ﴿ وقال الخوارزمي ﴾ كانت الشمس يوم
رسول الله في الثور درجة ، والقمر في الأسد على ثماني عشرة درجة وعشر دق
وزحل في العقرب تسع درجات وأربعين دقيقة راجعا ، والمشتري في العقرب درج
وعشر دقايق راجعا ، والمريخ في السرطان درجتين وخمسين دقيقة ، والزهرة
الثور اثنتي عشرة درجة وعشر دقايق ، وكانت قريش تؤرخ السنين بموت قصي
كلاب لجلالة قصي فلما كان عام الفيل أرخت به لاشتهار ذلك العام فكان تأري
من مولد رسول الله .

ولما ولد رسول الله رجمت الشياطين وانقضت الكواكب ، فلما رأت ذلك قري
انكرت انقضاض الكواكب وقالوا ما هذا إلا لقيام الساعة ، وأصابت الناس زل
عمت جميع الدنيا حتى تهدمت الكنائس والبيع وزال كل شيء يعبد دون الله عز و
عن موضعه وعميت على السحرة والكهان أمورهم ، وحبست شياطينهم ، وطلعت نجو

لم تر قبل ذلك فانكرتها كهان اليهود ، وزلزل ايوان كسرى فسقطت منه ثلاث عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بالف عام ، ورأى عالم الفرس وحكيمهم — وهو الذي تسميه الفرس ﴿ موبذان موبذ ﴾ القيم بشرايع دينهم — كأن إبلاً عراباً تقود خيلاً صعاباً حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فراع ذلك كسرى انو شروان وأفزعه فوجه الى النعمان فقال هل بقي من كهان العرب احد ، قال نعم سطيح الغساني بدمشق من أرض الشام ، قال فجئني بشيخ من العرب له عقل ومعرفة أوجه اليه فاتاه بعبد المسيح بن بقيلة فوجه اليه فخرج اليه عبد المسيح على جمل حتى قدم دمشق فسأل عنه فدل عليه وهو ينزل في باب الجابية فوجده في آخر رمق فنادى في أذنه بأعلى صوته :

أصمّ أم تسمع غطريف اليمن * يا فارج الكربة أعيت من ومن

وفاصل الخطبة في الأمر الغنن * أتاك شيخ الحي من آل يزن

فقال عبد المسيح ، على جمل مشيح ، نحو سطيح ، حين أشفى على الضريح بعناك ملك بني ساسان بهدم الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً عراباً ، تقود خيلاً صعاباً ، حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد ، يابن ذي يزن تكون هنة وهنات ، ويموت ملوك وملكات . بعدد الشرافات . إذا غاضت بحيرة ساوة . وظهرت التلاوة . بارض تهامة ، وظهر صاحب الهراوة . فليست الشام لسطيح شاماً . ثم فاضت نفسه .

وجاء رجل من أهل الكتاب الى ملأ من قريش فيهم هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة فقال ولد لكم الليلة مولود قالوا لا . قال أخطأكم والله معشر قريش فقد ولد إذاً بفاسطين غلام اسمه ﴿ أحمد ﴾ به شامة كلون الحر الأدكن يكون به هلاك أهل الكتاب . فلم يريموا حتى قيل لهم إنه ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام فمضى الرجل حتى نظر اليه ثم قال هو والله هو . وبل أهل الكتاب منه

فلما رأى سرور قريش بما سمعت منه قال والله ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب .

وكان تزويج عبدالله لآمنة بنت وهب بعد حفر زمزم بعشر سنين ، وقيل بضع عشرة سنة ، وبين فداء عبد المطلب لابنه وبين تزويجه إياه سنة ، فكان اسم عبد الله أبي رسول الله (عبد الدار) ﴿ وقيل ﴾ كان اسمه (عبد قصي) فلما كان في السنة التي فدي فيها قال عبد المطلب هذا عبد الله فسماه يومئذ كذلك وكان بين تزويج أبي رسول الله بأمه وبين مولده — على ما روى جعفر بن محمد — عشرة أشهر ﴿ وقال ﴾ بعضهم سنة وثمانية أشهر ﴿ وروي ﴾ عن أمه أنها قالت رأيت لما وضعته نوراً بدا مني ساطعاً حتى أفزعني ولم أر شيئاً مما يرينه النساء ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنها قالت سطع مني النور حتى رأيت قصور الشام ولما وقع الى الأرض قبض قبضة من تراب ثم رفع رأسه الى السماء (.....) فكان اول لبن شربه بعد أمه لبن « ثويبة » مولاة أبي لهب وقد أرضعت ثويبة هذه حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ﴿ وقال رسول الله « ص » ﴾ بعد ما بعثه الله رأيت أبا لهب في النار يصيح العطش العطش فيسق في ثمر إبهامه فقلت بم هذا فقال بعتقي ثويبة لأنها أرضعتك .

وتوفي عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله — على ما روى جعفر بن محمد — بعد شهرين من مولده ﴿ وقال بعضهم ﴾ إنه توفي قبل أن يولد ، وهذا غير صحيح لأن الاجماع على أنه توفي بعد مولده ﴿ وقال آخرون ﴾ بعد سنة من مولده ، وكانت وفاة عبد الله بالمدينة عند أخوال أبيه بني النجار في دار تعرف بدار النابغة ، وكانت سنه يوم توفي خمساً وعشرين سنة .

واسترضع في بني سعد بن بكر بن هوازن ، وكان عبد المطلب دفعه الى الحارث ابن عبد العزى بن رفاعة السعدي زوج حليمة بنت أبي ذؤيب السعدي فلم يزل مقيماً في

بني سعد يرون به البركة في أنفسهم وأموالهم حتى كان من شأنه في الذي أتاه في صورة رجل فشق عن بطنه وغسل جوفه ما كان فخافوا عليه وردوه إلى جده عبد المطلب وله خمس سنين وقيل أربع سنين وهو في خلق ابن عشر وقوته .

وتوفيت أمه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بعد ما أتى عليه ست سنين وثلاثة أشهر ولها ثلاثون سنة ، وكان وفاتها بموضع يقال له « الأبواء » بين مكة والمدينة وكان عبد المطلب جد رسول الله يكفله .

وعبد المطلب يومئذ سيد قريش غير مدافع قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً ، وسقاه زمزم وذا الهرم ، وحكمته قريش في أموالها ، وأطعم في المحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال ، قال أبو طالب :

ونطعم حتى تأكل الطير فضلنا * إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد

ورفض عبادة الأصنام ، ووحد الله عز وجل ، ووفى بالنذر ، وسن سننا نزل القرآن بأكثرها وجاءت السنة من رسول الله بها ، وهي الوفاء بالنذور ، ومائة من الابل في الدية ، وألا تنكح ذات محرم ، ولا تؤتى البيوت من ظهورها . وقطع يد السارق . والنهي عن قتل الموؤدة . والمباهلة . وتحريم الخمر . وتحريم الزنا والحد عليه . والقرعة . وألا يطوف أحد بالبيت عريان . وإضافة الضيف . وألا ينتفوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم . وتعظيم الأشهر الحرم . ونفي ذوات الرايات ولما قدم صاحب الفيل خرجت قريش من الحرم فارة من أصحاب الفيل . فقال عبد المطلب والله لا أخرج من حرم الله وابتغي العز في غيره فجلس بفناء البيت ثم قال :

لاهمَّ إن تعف فانهم عيالك * (١) إلا فشيء ما بدا لك

فكانت قريش تقول عبد المطلب ابراهيم الثاني . وكان المبشر لقريش بما فعل الله بأصحاب الفيل عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله . فقال عبد المطلب قد جاءكم

(١) أنظر ما علقناه في هامش ص ٢١٠ من الجزء الأول . (م ص)

عبد الله بشيراً ونذيرا . فاخبرهم بما نزل باصحاب الفيل فقالوا إن كنت لعظيم البركة لميمون الطائر منذ كنت .

وكانت لعبد المطلب من الولد الذكور عشرة ومن الاناث أربع . عبد الله وهو أبو رسول الله . وأبو طالب وهو عبد مناف . والزبير وهو أبو الطاهر . وعبد الكعبة وهو المقوم . وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم حكيم البيضاء وعاتكة وبرة وأروى وأميمة بنات عبد المطلب . والحارث وهو اكبر ولد عبد المطلب وبه يكنى . وقثم وأمهما صفية بنت جندب بن حجير بن زباب بن حبيب ابن سوأة بن عامر بن صعصعة . وحمزة وهو أبو يعلى أسد الله وأسد رسول الله . وأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة . وهي أم صفية بنت عبد المطلب . والعباس وضرار أمهما نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط . وأبو لهب وهو عبد العزى وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعي . والغيداق وهو جحل وإنما سمي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأطعمهم الطعام . وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك ابن نوفل الخزاعي . فهؤلاء أعمام رسول الله وعماته . وكان لكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد . وحج عامر بن مالك ملاعب الأسنة البيت فقال رجال كانهم جمال جون . فقال بهؤلاء تمنع مكة . وحج اكثم بن صيفي في ناس من بني تميم فرآهم يخترقون البطحاء كأنهم أبرجة الفضة يلحقون الأرض جيرانهم فقال يابني تميم إذا أحب الله أن ينشأ دولة نبت لها مثل هؤلاء هؤلاء غرس الله لاغرس الرجال

وكان يفرش لعبد المطلب بفناء الكعبة فلا يقرب فراشه حتى يأتي رسول الله وهو غلام فيتخطى رقاب عمومته فيقول لهم عبد المطلب « دعوا ابني إن لابني هذا لشأنا » وكان عبد المطلب قد وفد على سيف بن ذي يزن مع جلة قومه لما غلب على اليمن فقدمه سيف عليهم جميعاً وآثره ثم خلا به فبشره برسول الله ووصف له صفته فكبر عبد المطلب وعرف صدق ما قال سيف ثم خر ساجداً فقال سيف هل أحسست لما قلت نبأ فقال له

نم ولدلا بني غلام على مثال ما وصفت أيها الملك . قال فاحذر عليه اليهود وقومك . وقومك أشد من اليهود والله متم أمره ومعلي دعوته . وكان أصحاب الكتاب لا يزالون يقولون لعبد المطلب في رسول الله منذ ولد فيعظم بذلك ابتهاج عبد المطلب . أما والله لئن فنستني قريش الماء — يعني ماء سقاه الله من زمزم وذي الهرم — لتنفسني غداً الشرف العظيم والبناء الكريم والعز الباقي والسناء العالي . الى آخر الدهر . ويوم الحشر . ووالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع ففزعوا وقالوا قد سقانا الله بك مرة بعد أخرى فادع الله أن يسقينا وسمعوا صوتاً ينادي من بعض جبال مكة [معشر قريش إن النبي الأمي منكم وهذا أوان توكفه ألا فانظروا منكم رجلاً عظاماً جساماً له سن يدعو اليه وشرف يعظم عليه فليخرج هو وولده ليمسوا من الماء ويلتمسوا من الطيب ويستلموا الركن وليدع الرجل ويؤمن القوم فخصبتم ماشئتم إذاً وغثتم] فلم يبق أحد بمكة إلا قال هذا شيبة الحمد هذا شيبة الحمد فخرج عبد المطلب ومعه رسول الله وهو يومئذ مشدود الأزار فقال عبد المطلب [اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم مسئول غير مبخل وهؤلاء عبادك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنيهم التي أقحلت الضرع وأذهبت الزرع فاسمعن اللهم وأمطرن غيثاً مريعاً مغدقاً] فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجه وفي ذلك يقول بعض قريش :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد فقدنا الكرى واجلوذ المطر
منا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت يوماً به مضر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به * ما في الأنام له عدل ولا خطر

وأوصى عبد المطلب الى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة والى أبي طالب برسول الله وسقاية زمزم . وقال له قد خلفت في أيديكم الشرف العظيم الذي تطأون به رقاب الناس . وقال لأبي طالب :

أوصيك يا عبد مناف بعدي * بمفرد يد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد * فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد * فانت من أرجى بني عندي
لدفع ضيم أو لشد عقد

وتوفي عبد المطلب ولرسول الله ثماني سنين ولعبد المطلب مائة وعشرون سنة وقيل مائة وأربعون سنة ، وأعظمت قريش موته ، وغسل بالماء والسدر وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر ، ولف في حلتين من حلل اليمن قيمتها الف مثقال ذهب ، وطرح عليه المسك حتى ستره ، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغييبه في التراب ، واحتبى ابنه بفناء الكعبة لما غيب عبد المطلب واحتبى ابن جدعان التيمي من ناحية والوليد بن ربيعة المخزومي فادعى كل واحد الرئاسة ﴿ وروي ﴾ عن رسول الله أنه قال : إن الله يبعث جدي عبد المطلب امة واحدة في هيئة الأنبياء وزي الملوك .

فكفل رسول الله بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب عمه فكان خير كافل ، وكان ابو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه ﴿ قال ﴾ علي بن أبي طالب : أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله ، وخرج به إلى بصرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين قال والله لا أكلك إلى غيري ، وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأم أولاده جميعاً ﴿ ويروى ﴾ عن رسول الله — لما توفيت وكانت مسلمة فاضلة — أنه قال : اليوم ماتت أمي ، وكفنها بقميصه ، ونزل على قبرها ، واضطجع في لحدها فقيل له يا رسول الله لقد اشتد جزعك على فاطمة ، قال إنها كانت أمي إذ كانت لتجيع صبيانها وتشبعني وتشعثهم وتدهنني وكانت أمي .

ولما بلغ العشرين ظهرت فيه العلامات وجعل أصحاب الكتب يقولون فيه ، ويتذاكرون أمره ، ويتوصفون حاله . ويقربون ظهوره . فقال يوماً لأبي طالب يا عم إني أرى

في المنام رجلاً يأتيني ومعه رجلان فيقولان هو هو وإذا بلغ فشأنك به . والرجل لا يتكلم . فوصف أبو طالب ما قال لبعض من كان بمكة من أهل العلم . فلما نظر إلى رسول الله قال : هذه الروح الطيبة هـذا والله النبي المطهر . فقال له أبو طالب كم على ابن أخي لا تغرّ به قومه والله انما قلت لعلي ما قلت ولقد أنبأني أبي عبدالمطلب بأنه النبي المبعوث وأمرني أن أستر ذلك لئلا يغرى به الأعادي .

الفجـــار

وشهد رسول الله الفجار وله سبع عشرة سنة ، وقيل عشرون سنة ، وكان سبب الفجار — وهي الحرب التي كانت بين كنـانة وقيس — أن رجلاً من بني ضمرة يقال له ﴿ البراض ﴾ بن قيس — وكان بمكة في جوار حرب بن أمية — وثب على رجل من هذيل يقال له [الحارث] فقتله وأخرجه حرب بن أمية من جواره فلحق بالنعمان بن المنذر فاجتمع هو وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب وكان النعمان يوجه في كل سنة بلطيمة الى عكاظ للتجارة ولا يعرض لها احد من العرب حتى قتل النعمان أخا بلعاء بن قيس ، فكان بلعاء بعد ذلك يغير على لطائم النعمان فلما اجتمع عروة والبراض عنده قال من يجير لطائمي قال البراض أنا وقال عروة أنا مثله فتنازعا كلاماً فلما خرجا توجه عروة لينصرف عرضه البراض فقتله وأخذ ما كان معه من لطائم النعمان فاجتمعت قيس على قوام البراض ولجأت كنانة إلى قريش فاعانتها وخرجت معها فاقتتلوا في رجب وكان عندهم الشهر الحرام الذي لا تسفك فيه الدماء . فسمي الفجار لانهم فجروا في شهر حرام . وكان على كل قبيل من قريش رئيس وعلى بنى هاشم الزبير بن عبدالمطلب ﴿ وقد روي ﴾ أن أبا طالب منع أن يكون فيها أحد من بنى هاشم . وقال هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام ولا أحضره ولا أحد من أهلي . فأخرج الزبير بن عبدالمطلب مستكرهاً . وقال عبد الله بن جدعان التيمي وحرب بن أمية لا نحضر حرباً تغيب عنه بنو هاشم فخرج الزبـير ﴿ وقيل ﴾ ان أبا طالب كان يحضر في

الأيام ومنه رسول الله فاذا حضر هزمت كنانة قيساً فعرفوا البركة بحضوره فقالوا يا ابن مطعم الطير وساقي الحجيج لا تغب عنا فانا نرى مع حضورك الظفر والغلبة ، قال فاجتنبوا الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فاني لا أغيب عنكم ، فقالوا ذاك لك فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم ﴿ وروي ﴾ عن رسول الله أنه قال شهدت الفجار مع عمي أبي طالب وأنا غلام ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنه شهد الفجار وهو ابن عشرين سنة . وطعن أبا براء ملاعب الأسنة فارداه عن فرسه وجاء الفتح من قبله « فجمعنا جميع الروايات » وملك حرب بن أمية بن عبد شمس بالشأم بعد الفجار باشهر .

حلف الفضول

حضر رسول الله حلف الفضول وقد جاوز العشرين ﴿ وقال ﴾ بعد ما بعثه الله لقد حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم ولو دعيت اليه لأجبت . وكان سبب حلف الفضول أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والنعرة فتحالف المطيبون وهم بنو عبد مناف وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر على أن لا يسلموا الكعبة ما أقام حراء وثبير وما بل بحر صوفة . وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه ﴿ وقيل ﴾ إن الطيب كان لأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب وهي توأم عبد الله أبي رسول الله . وتحالفت اللعقة وهم بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدي . على أن يمنع بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم عن بعض . وذبحوا بقرة فغمسوا أيديهم في دمها . فكانت قريش تظلم في الحرم الغريب ومن لا عشيرة له حتى أتى رجل من بني أسد بن خزيمة بتجارة فاشتراها رجل من بني سهم فاخذها السهمي وأبى أن يعطيه الثمن فكلم قريشاً واستجار بها وسألها إعانته على أخذ حقه فلم يأخذ له أحد بحقه فصعد الأسدي أبا قبيس فنادى بأعلا صوته :

يا أهل فهر لمظلوم بضاعته ✻ ببطن مكة ناء الأهل والنفر

إن الحرام لمن تمت حرامته * ولا حرام لثوبي لابس الغدر

وقد قيل لم يكن رجل من بني أسد ولكنه قيس بن شيبة السلمي باع متاعاً من أبي خلف الجمحي وذهب بحقه فقال هذا الشعر . وقيل بل قال :

يال قصي كيف هذا في الحرم * وحرمة البيت وأخلاق الكرم

أظلم لا يمنع مني من ظلم

فتذمرت قريش فقاموا فتحالفوا أن لا يظلم غريب ولاغيره ولأن يؤخذ للمظلوم من الظالم . واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي . وكانت الأحلاف هاشم وأسد وزهرة وتيم والحارث بن فهر . فقالت قريش هذا فضول من الحلف فسمي حلف الفضول ﴿ وقال بعضهم ﴾ حضره ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاعة والفضل بن حشاعة . والفضل بن بضاعة . فسمي بهذا حلف الفضول ﴿ وقدقيل ﴾ إن هؤلاء النفر حضروا حلفاً لجرهم فسمي حلف الفضول بهم وشبه الحلف في تلك السنة

بنيـــان الكعبة

ووضع رسول الله الحجر في موضعه حين اختصمت قريش وهوابن خمس وعشرين وذلك إن قريشاً هدمت الكعبة بسبب سيل أصابهم فهدمها ﴿ وقيل ﴾ بل كانت امرأة من قريش تجمر الكعبة فطارت شررة فأحرقت باب الكعبة . وكان طولها تسعة أذرع فنقضوها . وكان أول من ضرب فيهـا بمعول الوليد بن المغيرة المخزومي وحفروا حتى انتهوا الى قواعد ابراهيم فقلعوا منها حجراً فوثب الحجر ورجع مكانه فأمسكوا ﴿ ويقال ﴾ إن الذي بدر الحجر من يده أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وخرج عليهم ثعبان فحال بينهم وبين البناء فاجتمعوا فقال ماذا ترون فقال أبو طالب : إن هذا لا يصلح ان ينفق فيه إلا من طيب المكاسب فلا تدخلوا فيه مالاً من ظلم ولا عدوان فاحضروا ما لم يشكوا فيه من طيب أموالهم ورفعوا أيديهم الى السماء فجاء طائر فاختطف الثعبان حتى ذهب فوضعوا أزرهم يعملون عراة إلا رسول الله

فانه أبى أن ينزع ثوبه فسمع صائحاً يصيح لا تنزع ثوبك . ونقلت الحجارة التي بني بها البيت من جبل يقال له [السيادة] من أعلا الوادي وصيروها ثماني عشرة ذراعا وكانت كل قبيلة تلي طائفة منها فكانت بنوعبد مناف تلي الربع وسائر ولد قصي بن كلاب . وبنو تيم الربع . ومخزوم الربع . وبنو سهم وجمح وعدي وعامر بن فهر الربع . فلما أرادوا أن يضعوا الحجر اختصموا فيه وقالت كل قبيلة نحن نتولى وضعه فاقبل رسول الله وكانت قريش تسميه ﴿ الأمين ﴾ فلما رأوه مقبلاً قالوا قد رضينا بحكم محمد بن عبد الله فبسط رسول الله رداءه ووضع الحجر في وسطه وقال ليحمل كل قبيلة بجانب من جوانب الرداء ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا ذلك فحمل عتبة بن ربيعة أحد جوانب الرداء . وابو زمعة بن الأسود وابو حذيفة بن المغيرة وقيس بن عدي السهمي وقيل العاص بن وائل فلما بلغ الموضع أخذه رسول الله ووضعه بموضعه الذي هو به وسقفوها ولم يكن لها قبل ذلك سقف .

تزويج خديجة بنت خويلد

وتزوج رسول الله خديجة بنت خويلد وله خمس وعشرون سنة ﴿ وقيل ﴾ تزوجها وله ثلاثون سنة . وولدت له قبل أن يبعث [القاسم . ورقية . وزينب . وام كلثوم] وبعد ما بعث عبد الله وهو الطيب . والطاهر لأنه ولد في الاسلام . وفاطمة [وروى بعضهم] عن عمار بن ياسر انه قال انا اعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد كنت صديقاً له فانا لنمشي يوماً بين الصفا والمروة إذ بخديجة بنت خويلد واختها هالة فلما رأت رسول الله جاء تني هالة اختها فقالت يا عمار ما لصاحبك حاجة في خديجة قلت والله ما ادري فرجعت فذكرت ذلك له فقال ارجع فواضعها وعدها يوماً تأتيها فيه ففعلت فلما كان ذلك اليوم ارسلت الى عمرو بن اسد وسقته ذلك اليوم ودهنت لحيته بدهن اصفر وطرحت عليه حبراً ثم جاء رسول الله في نفر من اعمامه تقدمهم ابوطالب فخطب ابوطالب فقال « الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل . وجعل

لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به
م إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح ولا يقاس باحد إلا
عظم عنه وإن كان في المال قل فان المال رزق حائل وظل زائل وله في خديجة رغبة
ولها فيه رغبة ، وصداق ما سألتموه عاجله من مالي ، وله والله خطب عظيم ، ونبأ
شايع » فتزوجها وانصرف فلما أصبح عمها عمرو بن أسد أنكر ما رأى فقيل له هذا
ختنك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أهدى لك هذا وقال متى زوجته فقيل له بالأمس
قال ما فعلت قيل له بلى نشهد أنك قد فعلت فلما رأى عمرو رسول الله قال اشهدوا
أني إن لم أكن زوجته بالأمس فقد زوجته اليوم وأنه ما كان مما يقول الناس إنها استأجرته
شيء ولا كان أجيراً لأحد قط ﴿ وروى ﴾ محمد بن اسحاق أن خويلد بن أسد بن
عبد العزى زوج خديجة ابنته من رسول الله بعد الفجار بخمس سنين [وروى بعضهم]
أنه قتل في الفجار أو مات عام الفجار .

المبعث

وبعث رسول الله لما استكمل أربعين سنة فكان مبعثه في شهر ربيع الأول
﴿ وقيل ﴾ في رمضان ، ومن شهور العجم في شباط ، وكانت سنته التي بعث فيها
سنة قران في الدلو ﴿ قال ما شاء الله الحاسب ﴾ كان طالع السنة التي بعث فيها
رسول الله — وهو القران الثالث من قران مولده — السنبلة أربع درجات ، والقمر
في الميزان سبع عشرة درجة ، والمريخ من الطالع في السنبلة ثلاث عشرة درجة راجعاً
والمشتري في الخامس في الجدي إحدى وعشرين درجة ، وزحل في الدلو في السادس
في تسع درجات حد الزهرة في الحوت ، والشمس في الثامن في الحمل دقيقة ، وعطارد
في الحمل اربع عشرة درجة ، وحد مدخل السنة منذ اول يوم دخلت فيه الشمس
﴿ وقال الخوارزمي ﴾ كانت الشمس يومئذ في الدلو أربعاً وعشرين درجة وخمس
عشرة دقيقة ، والقمر في السرطان سبع عشرة درجة ، وزحل في الدلو تسع عشرة درجة

والمشتري (.....) اثنتي عشرة درجة ، والمريخ في الحوت خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة في الحمل إحدى عشرة درجة ، وعطارد في الدلو ثلاثا وعشرين درجة وثلاثين دقيقة .

وكان جبريل يظهر له فيكلمه وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعر من ذلك رسول الله (ص) ثم قال له إن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان ، فكان أول أمره ، فكان رسول الله (ص) يأتي خديجة ابنة خويلد ويقول لها ما سمع وتكلم به فتقول له استر يا ابن عم فو الله اني لأرجو أن يصنع الله بك خيراً ، وأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين [وقال بعضهم] يوم الخميس ﴿ وقال ﴾ من رواه عن جعفر بن محمد (ع) يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك جعله عيداً للمسلمين ، وعلى جبريل جبة سندس ، وأخرج له درنوكا من درانيك الجنة فاجلسه عليه وأعلمه أنه رسول الله ، وبلغه عن الله وعلمه ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ وأتاه من غد وهو متدثر فقال ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ وقال رسول الله « ص » أول ما نهاني عنه جبريل بعد عبادة الأصنام ملاحاة الرجال ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن إسرافيل وكل به ثلاث سنين ، وأن جبريل وكل به عشرين سنة ﴿ وقال آخرون ﴾ ما زال جبريل موكلاً به ، وقد كان ورقة بن نوفل قال لخديجة بنت خويلد اسأليه من هذا الذي يأتيه فان كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض والدعة واللين ، وإن كان جبريل فقد أتاه بالقتل والسبي ، فسألته فقال جبريل فضربت خديجة جبهتها .

وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر أتاه جبريل فأراه الوضوء فتوضأ رسول الله (ص) كما توضأ جبريل ثم صلى ليريه كيف يصلي فصلى رسول الله (ص) ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن الظهر — الصلاة الوسطى — أول صلاة صلاها رسول الله وكان يوم جمعة ، ثم أتى خديجة ابنة خويلد فأخبرها فتوضأت وصلت ، ثم رآه علي بن

أبي طالب ففعل كما رآه يفعل ، ولما بعث رميت الشياطين بشهب من السماء ومنعت من أن تسترق السمع فقال إبليس ما هذا إلا لأمر قد حدث ونبي قد بعث ، وأصبحت الأصنام في جميع الدنيا منكسة ، وخمدت النيران التي كانت تعبد .

وكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء ، وعلي بن أبي طالب من الرجال ثم زيد بن حارثة ، ثم أبو ذر ﴿ وقيل ﴾ ابو بكر قبل أبي ذر ، ثم عمرو بن عبسة السلمي ، ثم خالد بن سعيد بن العاص ، ثم سعد بن ابي وقاص ، ثم عتبة بن غزوان ثم خباب بن الأرت ، ثم مصعب بن عمير ﴿ وروي ﴾ عن عمرو بن عبسة السلمي قال أتيت رسول الله أول ما بعث وبلغني أمره فقلت صف لي أمرك فوصف لي أمره وما بعثه الله به فقلت هل يتبعك على هذا أحد قال نعم امرأة وصبي وعبد ، يريد خديجة بنت خويلد وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة .

وأقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم أمره وهو يدعو إلى توحيد الله عز وجل وعبادته والاقرار بنبوته ، فكان إذا مر بملأ من قريش قالوا إن فتى ابن عبد المطلب ليكلم من السماء ، حتى عاب عليهم آلهتهم وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفاراً ، ثم أمره الله عز وجل أن يصدع بما أرسله فاظهر أمره وقام بالأبطح فقال إني رسول الله أدعوكم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ، فاستهزأت منه قريش وآذته وقالوا لأبي طالب : إن ابن أخيك قد عاب آلهتنا وسفّه أحلامنا وضلل أسلافنا فليمسك عن ذلك وليحكم في أموالنا ما يشاء ، فقال : إن الله لم يبعثني لجمع الدنيا والرغبة فيها وإنما بعثني لأبلغ عنه وأدل عليه ، وآذوه أشد الايذاء فكان المؤذون له جماعة منهم ابو لهب والحكم بن ابي العاص وعقبة بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي وعمرو بن الطلاطلة الخزاعي ، وكان أبو لهب أشد أذى له ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن رسول الله قام بسوق عكاظ عليه جبة حمراء فقال يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا ، وإذا رجل يتبعه عليه

غديرتان كأن وجهه الذهب وهو يقول : يا أيها الناس إن هذا ابن أخي وهو كذاب فاحذروه ، فقلت من هذا فقيل لي هذا محمد بن عبد الله وهذا ابو لهب بن عبد المطلب عمه ، وكان المستهزئون به العاص بن وائل السهمي والحارث بن قيس بن عدي السهمي والأسود بن المطلب بن أسد والوليد بن المغيرة المخزومي والأسود بن عبد يغوث الزهري وكانوا يوكلون به صبيانهم وعبيدهم فيلقونه بما لا يحب حتى أنهم نحروا جزوراً بالحزورة ورسول الله قائماً يصلي فامروا غلاماً لهم فحمل السلا والفرث حتى وضعه بين كتفيه وهو ساجد فانصرف فأتى أبا طالب فقال كيف موضعي فيكم قال ما ذاك يا ابن أخي فاخبره ما صنع به ، قال فاقبل ابو طالب مشتملاً على السيف يتبعه غلام له فاخترط سيفه وقال والله لا تكلم رجل منكم إلا ضربته ثم أمر غلامه فأمرّ ذلك السلا والفرث على وجوههم واحداً واحداً ثم قالوا حسبك هذا فينا يا ابن اخينا ، واجتمعت قريش إلى أبي طالب فقالوا ندعوك الى نصفة هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أحسن قريش وجهاً وأكملهم هيئة فخذه وصيره ابنك وصير الينا محمداً نقتله ، فقال ما أنصفتموني أدفع اليكم ابني تقتلونه وتدفعون إلي ابنكم أغذوه ، وقال ابو طالب في ذلك :

عجبت لحلم يا ابن شيبة عارف * واحلام اقوام لديك سخاف
يقولون شايع من اراد محمداً * بسوء وقم في امره بخلاف
اضاميم إما حاسد ذو خيانة * وإما قريب منه غير مصاف
ولا يركبن الدهر منك ظلامة * وانت امرؤ من خير عبد مناف
وإن له قربى اليكم وسيلة * وليس بذي حلف ولا بمضاف
ولكنه من هاشم في صميمها * إلى ابحر فوق البحور طواف
فان غضبت فيه قريش فقل لها * بني عمنا ما قومكم بضعاف
فما قومكم بالقوم يخشون ظلمهم * وما نحن فيما ساءكم بخلاف

وقال ايضاً : —

وينهض قوم نحوكم غير عزل * ببيض حديث عهدها بالصياقل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الاسراء

وأسري به وأتاه جبريل بالبراق ، وهو أصغر من البغل واكبر من الحمار مضطرب الأذنين ، خطوه مد بصره ، له جناحان يحفز انه من خلفه ، عليه سرج ياقوت ، فمضى به إلى بيت المقدس فصلى به ، ثم عرج به الى السماء فكان بينه وبين ربه كقاب قوسين أو أدنى ، ثم هبط به فنزل في بيت أم هاني بنت أبي طالب فقص عليها القصة فقالت له بأبي أنت وأمي لاتذكر هذا لقريش فيكذبوك ، وفي الليلة التي أسري به افتقده ابوطالب فخاف أن تكون قريش قد اغتالته أو قتلته فجمع سبعين رجلا من بني عبد المطلب معهم السفار وأمرهم أن يجلس كل رجل منهم إلى جانب رجل من قريش وقال لهم إن رأيتموني ومحمداً معي فأمسكوا حتى آتيكم وإلا فليقتل كل رجل منكم جليسه ولا تنظروني ، فوجدوه على باب أم هاني فاتى به بين يديه حتى وقف على قريش فعرفهم ما كان منه فاعظموا ذلك وجل في صدورهم وعاهدوه وعاقدوه أنهم لا يؤذون رسول الله ولايكون منهم اليه شيء يكرهه ابداً .

النـــذارة

وأمره الله عز وجل أن ينذر عشيرته الأقربين ، فوقف على المروة ثم نادى بأعلا صوته يا آل فهر فاجتمعت اليه بطون قريش حتى لم يبق أحد منهم ، فقال له أبو لهب هذه فهر ثم نادى يا آل غالب فانصرفت بنو محارب وبنو الحارث بن فهر ، ثم نادى يا آل لوي فانصرفت بنو تيم الأدرم بن غالب ، ثم نادى يا آل كعب فانصرفت بنو عامر وبنوعوف بن لؤي ، ثم نادى يا آ مرة فال نصرفت بنوعدي بن كعب وبنو سهم وجمح ابني هصيص بن كعب ، ثم نادى يا آل كلاب فانصرفت بنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، ثم نادى يا آل قصي فانصرفت بنو زهرة ، ثم

نادى يا آل عبد مناف فانصرفت بنو عبد الدار وبنو عبد العزى ابني قصي ، ثم نادى يا آل هاشم فانصرفت بنو عبد شمس وبنو نوفل ، وأقام بنو عبد المطلب ، فقال ابو لهب هذه هاشم قد اجتمعت فجمعهم في بعض دورهم ﴿ وحدثني ﴾ أبو عبد الله الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي من ولد ربيعة بن الحارث أنهم كانوا في دار الحارث بن عبد المطلب وكانوا أربعين رجلاً يزيدون رجلا او ينقصونه فصنع لهم طعاماً فاكلوا عشرة عشرة حتى شبعوا ، وكان جميع طعامهم رجل شاة وشرابهم عس من لبن ، وإن منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق ، ثم أنذرهم كما أمره الله تعالى وأعلمهم تفضيل الله إياهم واختصاصه لهم إذ بعثه بينهم ، وأمره أن ينذرهم ، فقال ابو لهب خذوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم فان منعتموه قتلتم وإن تركتموه ذللتم ، فقال ابوطالب ياعورة والله لننصرنه ثم لنعينه ، يا ابن اخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلنا حتى نخرج معك بالسلاح وأسلم يومئذ جعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وأسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدتهم وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين فاخذت قريش من استضعفت منهم إلى الرجوع عن الاسلام والشتم لرسول الله ، فكان ممن يعذب في الله عمار بن ياسر وياسر أبوه وسمية أمه حتى قتل ابو جهل سمية طعنها في قبلها فماتت فكانت أول شهيدة في الاسلام ، وخباب بن الأرت وصهيب بن سنان وابو فكيهة الأزدي وعامر بن فهيرة ، وبلال بن رباح ، وقال خباب بن الأرت يا رسول الله ادع لنا قال إنكم لتعجلون لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يمشط بامشاط الحديد ويشق بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، واشتد على القوم العذاب ونالهم منه أمر عظيم فرجع عن الاسلام خمسة نفر منهم ابو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ﴿ فروي ﴾ أن فيهم نزلت هذه الآية ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ إلى آخر الآية .

مهاجرة الحبشة

ولما رأى رسول الله ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب وما هو فيه من الأمن بمنع أبي طالب عمه إياه قال لهم ارحلوا مهاجرين الى أرض الحبشة الى النجاشي فانه يحسن الجوار ، فخرج في المرة الأولى اثنا عشر رجلاً وفي المرة الثانية سبعون رجلا سوى أبنائهم ونسائهم وهم المهاجرون الأولون فكان لهم عند النجاشي منزلة ، وكان يرسل الى جعفر ويسأله عما يريد فلما بلغ قريشاً ذلك وجهت بعمرو بن العاص وعمارة بن الوليد المخزومي الى النجاشي بهدايا وسألوه أن يبعث اليهم بمن صار اليه من أصحاب رسول الله وقالوا سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا وضلوا أمواتنا وعابوا آلهتنا وإن تركناهم ورأيهم لم نأمن أن يفسدوا دينك فلما قال عمرو وعمارة للنجاشي هذا أرسل الى جعفر فسأله فقال إن هؤلاء على شر دين يعبدون الحجارة ويصلون للأصنام ويقطعون الأرحام ويستعملون الظلم ويستحلون المحارم وإن الله بعث فينا نبياً من أعظمنا قدراً وأشرفنا سرراً وأصدقنا لهجةً وأعزنا بيتاً فامر عن الله بترك عبادة الأوثان واجتناب المظالم والمحارم والعمل بالحق والعبادة له وحده فرد على عمرو وعمارة الهدايا وقال أدفع اليكم قوماً في جواري على دين الحق وأنتم على دين الباطل ، وقال لجعفر اقرأ علي شيئاً مما أنزل على نبيكم فقرأ عليه [كهيعص] فبكى وبكى من بحضرته من الأساقفة ، فقال له عمرو وعمارة إنهم يزعمون أن المسيح عبد مملوك فاوحشه ذلك وأرسل الى جعفر وقال له ما تقول وما يقول صاحبكم في المسيح قال إنه يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فاخذ عوداً بين اصبعيه ثم قال ما يزيد المسيح على ما قلت ولا مقدار هذا ، وكان عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد تلاحيا في طريقهما وكان عمارة رجلاً مغرماً بالنساء وكان معه امرأته رابطة بنت منبه بن الحجاج السهمي فقال عمارة قل لها فلتقبلني فقال سبحان الله أتقول هذا لابنة عمك ، قال والله لتفعلن ولأضربنك بهذا السيف فقال لها قبليه ثم إن عمارة اعتقل عمراً فالقاه في البحر

فعام عمرو وأوهمه انه فعل هذا مزاحاً فقال ألق الى ابن عمك الحبل سبحان الله أهكذ
يكون المزاح فالقى اليه الحبل فخرج فلما أراد عمرو وعمارة الانصراف وأيسا من ع
النجاشي قال عمرو لعمارة لو ارسلت إلى امرأة الملك النجاشي فلعلنا ننال منها حاجت
عنده ففعل ذلك ولاطفها حتى ارسلت اليه بطيب من طيب الملك فكاد عمرو عما
وقال للنجاشي إن صاحبي هذا ارسل الى امرأة الملك حتى اطمعته في نفسها وبعثت
بطيب من طيب الملك فاخذه النجاشي فنفخ في انثييه السم ، وقيل الزئبق فهام
الوحوش على وجهه فلم يزل هائماً حتى قدم قوم من بني مخزوم فسألوه ان يأذن لهم
اخذه فنصبوا له فأخذوه فلم يزل يضطرب في ايديهم حتى مات ، وانصرف عمرو
المشركين خائباً ، وأقام المسلمون بارض الحبشة حتى ولد لهم الأولاد ، وجم
اولاد جعفر ولدوا بارض الحبشة ، ولم يزالوا بها في امن وسلامة . واسم النجاشي اصح

حصار قريش لرسول الله وخبر الصحيفة

وهمت قريش بقتل رسول الله واجمع ملأها على ذلك وبلغ ابا طالب فقال :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد في التراب دفينا
ودعوتني وزعمت انك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت ديناً قد علمت بانه * من خير اديان البرية دينا

فلما علمت قريش انهم لا يقدرون على قتل رسول الله (ص) وان ابا طالب
يسلمه وسمعت بهذا من قول ابي طالب . كتبت الصحيفة القاطعة الظالمة ان لا يباع
احداً من بني هاشم ولا ينا كحوهم ولا يعاملوهم حتى يدفعوا اليهم محمداً فيقتلوه . وتعاقدوا
على ذلك وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً . وكان الذي كتبها منصور
عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فشلت يده ثم حصرت قريش رسول الله
واهل بيته من بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف في الشعب الذي يقال له شعب بني
هاشم بعد ست سنين من مبعثه . فاقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب

ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله (ص) ماله وأنفق ابو طالب ماله وانفقت خديجة بنت خويلد مالها وصاروا الى حد الضر والفاقة ، ثم نزل جبريل على رسول الله « ص » فقال إن الله بعث الأرضة على صحيفة قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعة وظلم إلا المواضع التي فيها ذكر الله فخبر رسول الله (ص) أبا طالب بذلك ، ثم خرج ابو طالب ومعه رسول الله وأهل بيته حتى صار الى الكعبة فجلس بفنائها وأقبلت قريش من كل أوب فقالوا قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد وأن تشتاق الى قومك وتدع الهجاج في ابن أخيك فقال لهم يا قوم احضروا صحيفتكم فلعلنا أن نجد فرجا وسببا لصلة الأرحام وترك القطيعة وأحضروها وهي بخواتيمهم فقال هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها قالوا نعم قال فهل أحدثتم فيها حدثا قالوا اللهم لا ، قال فان محمداً أعلمني عن ربه أنه بعث الأرضة فأكلت كلما فيها إلا ذكر الله أفرأيتم إن كان صدقاً ماذا تصنعون قالوا نكف ونمسك ، قال فان كان كاذباً دفعته اليكم تقتلونه ، قالوا قد أنصفت واجملت ، وفضت الصحيفة فاذا الأرضة قد أكلت كل ما فيها إلا مواضع اسم الله عز وجل ، فقالوا ما هذا إلا سحر وما كنا قط أجد في تكذيبه منا ساعتنا هذه ، واسلم يومئذ خلق من الناس عظيم ، وخرج بنوهاشم من الشعب وبنوالمطلب فلم يرجعوا اليه .

وفاة القاسم ابن رسول الله

وتوفي القاسم ابن رسول الله فقال وهو في جنازته ونظر الى جبل من جبال مكة يا جبل لو ان ما بي بك لهدك ، وكان القاسم يوم توفي اربع سنين ثم توفي عبد الله ابن رسول الله بعده بشهر ولم يفطم ، فقالت خديجة يا رسول الله لو بقي حتى افطمه ، قال ان فطامه في الجنة ، وسألت خديجة رسول الله فقالت فاين اولادي منك قال في الجنة ، قالت بغير عمل ، قال الله اعلم بما كانوا عاملين ، قالت فاين اولادي من غيرك . قال في النار . قالت بغير عمل . قال الله اعلم بما كانوا عاملين .

ما نزل من القرآن بمكة

ونزل من القرآن بمكة اثنتان وثمانون سورة على ما رواه محمد بن حفص بن أسد الكوفي عن محمد بن كثير ، ومحمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وكان اول ما نزل على رسول الله «ص» ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ثم نون والقلم وما يسطرون ، ثم والضحى ، ثم يا أيها المزمل ، ثم يا أيها المدثر ، ثم فاتحة الكتاب ، ثم تبت ، ثم إذا الشمس كورت ، ثم سبح اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يغشى ، ثم والفجر ، ثم ألم نشرح لك صدرك ، ثم الرحمن ، ثم والعصر ثم إنا أعطيناك الكوثر ، ثم ألهاكم التكاثر ، ثم أرأيت الذي يكذب بالدين . ثم ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل . ثم والنجم إذا هوى . ثم عبس وتولى . ثم إنا أنزلناه في ليلة القدر . ثم والشمس وضحاها . ثم والسماء ذات البروج . ثم والتين والزيتون . ثم لايلاف قريش . ثم القارعة . ثم لا أقسم بيوم القيامة . ثم ويل لكل همزة . ثم والمرسلات عرفا . ثم ق والقرآن المجيد . ثم لا أقسم بهذا البلد . ثم والسماء والطارق . ثم اقتربت الساعة . ثم ص والقرآن ذي الذكر . ثم الأعراف . ثم سورة الجن . ثم سورة يس . ثم تبارك الذي نزل الفرقان . ثم حم الملائكة . ثم سورة مريم . ثم سورة طه . ثم طسم الشعراء . ثم طس النمل . ثم طس القصص . ثم سورة بني إسرائيل . ثم سورة يونس . ثم سورة هود . ثم سورة يوسف . ثم الحجر . ثم الأنعام . ثم الصافات . ثم لقمان . ثم حم المؤمن ثم حم السجدة . ثم حم عسق . ثم الزخرف . ثم حم سباء . ثم تنزيل الزمر ثم حم الدخان . ثم حم الجاثية . ثم الأحقاف . ثم والذاريات . ثم هل أتاك حديث الغاشية . ثم سورة الكهف . ثم سورة النحل . ثم إنا أرسلنا نوحا . ثم سورة إبراهيم . ثم اقترب للناس حسابهم . ثم قد أفلح المؤمنون . ثم الرعد ثم والطور . ثم تبارك الذي بيده الملك . ثم الحاقة ثم سأل سائل . ثم عم يتساءلون

م والنازعات غرقاً . ثم إذا السماء انفطرت . ثم سورة الروم . ثم العنكبوت .

وقداختلف الناس في هذا التأليف (في غير رواية ابن عباس) وكان الاختلاف فيها يسيراً ﴿ وروى ﴾ محمد بن كثير ومحمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس انه قال كان القرآن ينزل مفرقاً لاينزل سورة سورة فما نزل أولها بمكة أثبتناها بمكة وان كان تمامها بالمدينة وكذلك مانزل بالمدينة وأنه كان يعرف فصل ما بين السورة والسورة إذا نزل بسم الله الرحمن الرحيم فيعلمون أن الأولى قد انقضت وابتدئ بسورة أخرى [وروى بعضهم] أن التوراة أنزلت لست خلون من شهر رمضان . والزبور لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد التوراة بالف وخمسمائة عام . والانجيل لثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بثمانمائة عام . وقيل ستمائة ﴿ وروى آخرون ﴾ ان القرآن نزل لعشرين ليلة خلت من شهر رمضان ﴿ وروى ﴾ جعفر بن محمد (ع) انه قال إن الله لم يبعث قط نبياً إلا بما هو أغلب على أهل زمانه فبعث موسى الى قوم كان الأغلب عليهم السحر فاتاهم بما ضل معه سحرهم من العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفلاق البحر وانفجار الحجر حتى خرج منه الماء والطمس على وجوههم وغيره آياته . وبعث داود في زمن أغلب الأمور على أهله الصنعة والملاهي فألان له الحديد وأعطاه حسن الصوت فكانت الوحوش تجتمع لحسن صوته . وبعث سليمان في زمان قد غلب على الناس فيه حب البناء واتخاذ الطلسمات والعجائب فسخر له الريح والجن . وبعث عيسى في زمان أغلب الأمور على أهله الطب فبعثه باحياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص . وبعث محمداً (ص) في زمان أغلب الأمور على أهله الكلام والكهانة والسجع والخطب فبعثه بالقرآن المبين والمحاورة .

وفاة خديجة وأبي طالب

وتوفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ولها خمس وستون سنة . ودخل عليها رسول الله (ص) وهي تجود بنفسها فقال : بالكره

منى ما ارى ولعل الله أن يجعل في الكره خيراً كثيراً، إذا لقيت ضراتك في الجنة
يا خديجة فاقرئيهن السلام، قالت ومن هن يا رسول الله قال إن الله زوجنيك في الجنة
وزوجني مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم وكلثوم اخت موسى . فقالت بالرفاء
والبنين . ولما توفيت خديجة جعلت فاطمة تتعلق برسول الله (ص) وهي تبكي وتقول
أين أمي أين أمي . فنزل عليه جبريل فقال قل لفاطمة إن الله تعالى بنى لامك بيتاً في الجنة
من قصب لا نصب فيه ولا صخب .

وتوفي ابو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام ولهست وثمانون سنة ﴿ وقيل ﴾ تسعون
سنة . ولما قيل لرسول الله إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ثم
دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلث مرات ثم قال يا عم ربيت
صغيراً و كفلت يتيماً ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيراً . ومشى بين يدي سريره
وجعل يعرضه ويقول وصلتك رحم وجزيت خيراً (وقال) اجتمعت على هذه الأمة في
هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً — يعني مصيبة خديجة وأبي طالب —
﴿ وروي ﴾ عنه أنه قال إن الله عز وجل وعدني في أربعة في أبي وأمي وعمي وأخ
كان لي في الجاهلية .

عرض رسول الله نفسه على القبائل وخروجه الى الطائف

واجترأت قريش على رسول الله (ص) بعد موت أبي طالب وطمعت فيه وهموا
به مرة بعد أخرى . وكان رسول الله (ص) يعرض نفسه على قبائل العرب في كل
موسم ويكلم شريف كل قوم لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول لا أكره أحد
منكم إنما أريد أن تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى ابلغ رسالات ربي . فلم يقبله أحد
وكانوا يقولون قوم الرجل أعلم به . فعمد لثقيف بالطائف فوجد ثلاثة نفر اخوة هم يومئذ
سادة ثقيف وهم عبد ياليل بن عمرو . وحبيب بن عمرو . ومسعود بن عمرو . فعرض عليهم
نفسه وشكا اليهم الملأ فقال أحدهم انه يسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك . وقال

الآخر أعجز على الله أن يرسل غيرك . وقال الآخر والله لا اكلمك ابداً لئن كنت رسولا كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك . وتهزأوا به وأفشوا في قومهم ما قالوه له وقعدوا له طريق فلما مر رسول الله (ص) رجموه بالحجارة حتى أدموا رجله . فقال رسول الله (ص) ما كنت أرفع قدماً ولا أضعها إلا على حجر . ووافاه بالطائف عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومعهما غلام لهما نصراني يقال له عداس فوجها به الى رسول الله (ص) فلما سمع كلامه أسلم ورجع رسول الله الى مكة .

قدوم الانصار مكة

وكانت الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة أهل عز ومنعة في بلادهم حتى كانت بينهم الحروب التي أفنتهم في أيام لهم مشهورة . منها يوم الصفينة . وهو أول يوم جرت الحرب فيه . ويوم السرارة ويوم وفاق بنى خطمة ويوم حاطب بن قيس . ويوم حضير الكتائب . ويوم أطم بني سالم . ويوم ابتروه(١) ويوم البقيع . ويوم بعاث . ويوم مضرس ومعبس . ويوم الدار . ويوم بعاث الآخر . ويوم فجار الانصار . وكانوا يقتتلون في هذه المواضع التي تعرف أيامهم بهـا ويقتتلون قتالا شديدا . فلما ضرستهم الحرب والقت بركها عليهم وظنوا انها الفناء واجترأت عليهم بنو النضير وقريظة وغيرهم من اليهود . خرج قوم منهم إلى مكة يطلبون قريشا لتقويهم ويعزوا فاشترطوا عليهم شروطا لم يكن لهم فيها مقنع . وكان المشترط عليهم ابو جهل بن هشام المخزومي ﴿وقد قيل﴾ ان قريشا قد كانت أجابتهم حتى قدم أبو جهـل من سفر له وكان غائبـاً فنقض الحلف واشترط عليهم شروطا لم يقنعوا بها ثم صاروا الى الطائف فسألوا ثقيفا فابطأوا عنهم فانصرفوا . وقدم رجل منهم بعد مبعث رسول الله (ص) يقال له سويد بن الصامت

(١) كذا في الأصل ولعله يوم البزوة . وبزوة موضع قريب من المدينة كما ورد ياقوت في معجم البلدان فليراجع . (م ص)

من الأوس حاجاً او معتمراً فبلغه امر رسول الله (ص) فلقيه وكلمه فدعاه رسول الله (ص) إلى الله فقال له سويد إن معي مجلة لقمان قال فاعرضها عليَّ فعرضها عليه فقال رسول الله (ص) إن هذا الكلام لحسن والذي معي احسن منه كلام الله . وقرأ عليه فقال يا محمد ان هذا الكلام حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج ثم قدم نفر منهم ايضاً الى مكة وهم بنو عفراء يتفاخرون مع اسعد بن زرارة فلقيهم رسول الله (ص) ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال رجل منهم يقال له أياس بن معاذ يا قوم هذا والله النبي الذي كانت اليهود توعدكم به فلا يسبقنكم اليه أحد فاسلموا وأخذ عليهم رسول الله (ص) الايمان بالله وبرسوله ثم انصرفوا فاخبروا قومهم الخبر وقد كانوا سألوه ان يوجه معهم رجلا من قبله يدعون الناس بكتاب الله فبعث اليهم رسول الله (ص) مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ويعلمهم الاسلام وكان أول من قدم المدينة ثم خرج اثنا عشر رجلا منهم اليه فلقوه وهم أصحاب العقبة الاولى فآمنوا بالله وصدقوه وانصرفوا الى المدينة وكثر خبره وفشا الاسلام فيها فلما كان العام القابل خرج اليه جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج فوافى منهم سبعون رجلا وامرأتان فأسلموا وصدقوه واخذ رسول الله (ص) عليهم بيعة النساء فسألوه ان يخرج معهم الى المدينة وقالوا انه لم يصبح قوم في مثل ما نحن فيه من الشر ولعل الله ان يجمعنا بك ويجمع ذات بيننا فلا يكون أحد أعز منك فقال لهم رسول الله (ص) قولا جميلا ثم انصرفوا الى قومهم فدعوهم الى الاسلام فكثر حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر حسن من ذكر رسول الله (ص) وسألوه الخروج معهم وعاهدوه ان ينصروه على القريب والبعيد والاسود والاحمر فقال له العباس بن عبد المطلب دعني - فداك أبي وأمي - آخذ العهد عليهم فجعل ذلك اليه وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم وعلى ان يحاربوا معه الاسود والاحمر وان ينصروه على القريب والبعيد وشرط (ص)

لهم الوفاء بذلك والجنة .

خروج رسول الله (ص) من مكة

واجتمعت قريش على قتل رسول الله (ص) وقالوا ليس له اليوم احد ينصره وقد مات ابو طالب فاجمعوا جميعا على ان يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد فيجتمعوا عليه فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فلا يكون لبني هاشم قوة بمعاداة جميع قريش ، فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك وأنهم أجمعوا على ان يأتوه في الليلة التي اتعدوا فيها خرج رسول الله (ص) لما اختلط الظلام ومعه ابو بكر ، وإن الله عز وجل أوحى في تلك الليلة الى جبريل وميكائيل ﴿ اني قضيت على احدكما بالموت فايكما يواسي صاحبه فاختار الحياة كلاهما فأوحى الله اليهما هلا كنتما كعلي بن ابي طالب آخيت بينه وبين محمد وجعلت عمر احدهما اكثر من الآخر فاختار علي الموت وآثر محمداً بالبقاء وقام في مضجعه ، إهبطا فاحفظاه من عدوه ﴾ فهبط جبريل وميكائيل فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يحرسانه من عدوه ويصرفان عنه الحجارة وجبريل يقول بخ بخ لك يا ابن ابي طالب من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات ، وخلف علياً « ع » على فراشه ولرد الودائع التي كانت عنده وصار الى الغار فكمن فيه وأتت قريش فراشه فوجدوا علياً « ع » فقالوا أين ابن عمك قال قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه وأعمى الله عليهم المواضع فوقفوا على باب الغار وقد عششت عليه حمامة فقالوا ما في هذا الغار احد وانصرفوا ، وخرج رسول الله (ص) متوجهاً الى المدينة ومر بام معبد الخزاعية فنزل عندها ثم نفذ لوجهه حتى قدم المدينة ، وكان جميع مقامه بمكة حتى خرج منها الى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه ﴿ وروى بعضهم ﴾ انه قال ما علمت قريش أين توجه رسول الله ﴿ ص ﴾ حتى سمعوا هاتفاً من بعض جبال مكة يقول :

فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وقال أبو سفيان من السعود ، سعد هذيم ، وسعد تميم ، وسعد بكر فسمعوا في الليلة المقبلة قائلاً يقول :

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أنيبا الى داعي الهدى وتمنيا * على الله في الفردوس منية عارف

فعلمت قريش أنه قد مضى إلى يثرب ، واتبعه سراقة بن جعشم المدلجي لما صار الى ماء بني مدلج فلما لحقه قال رسول الله « ص » اللهم اكفنا سراقة فساخت قوائم فرسه فصاح يا ابن أبي قحافة قل لصاحبك أن يدعو الله باطلاق فرسي فلعمري لئن لم يصبه مني خير لا يصبه مني شر ، فلما رجع إلى مكة خبرهم الخبر فكذبوه ، وكان أشدهم له تكذيباً ابو جهل فقال سراقة :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً * لأمر جوادي حيث ساخت قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً * رسول وبرهان فمن ذا يكاتمه

قدوم رسول الله « ص » المدينة

وقدم رسول الله « ص » المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول ﴿ وقيل ﴾ يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، والشمس يومئذ في السرطان ثلاثاً وعشرين درجة وست دقائق ، والقمر في الأسد ست درجات وخمساً وثلاثين دقيقة ، وزحل في الأسد درجتان ، والمشتري في الحوت ست درجات راجعاً والزهرة في الأسد ثلاث عشرة درجة ، وعطارد في الأسد خمس عشرة درجة ، فنزل على كلثوم بن الهدم فلم يلبث إلا أياماً حتى مات كلثوم وانتقل فنزل على سعد بن خيثمة في بني عمرو بن عوف فمكث أياماً . ثم كان سفهاء بني عمرو ومنافقوهم يرجونه في الليل فلما رأى ذلك قال ما هذا الجوار فارتحل عنهم وركب راحلته وقال خلوا زمامها فجعل لا يمر بحي من أحياء الأنصار إلا قالوا له يا رسول الله انزل بنا فانك تنزل في العدة والكثرة ، فيقول خلوا زمام الراحلة فانها مأمورة حتى وقفت على باب أبي أيوب

الأنصاري فبركت فنخست بقضيب فلم تبرح فنزل بأبي أيوب فأقام عنده أياماً ثم انتقل الى حجرانه ﴿ وقيل ﴾ إن ناقته بركت في موضع المسجد فنزل فجاء أبو أيوب فأخذ رحله فمضى بها الى منزله وكلمته الأنصار في النزول بها فقال المرء مع رحله ، وقدم علي بن أبي طالب (ع) بفاطمة بنت رسول الله (ص) وذلك قبل نكاحه إياها وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم فنزل مع رسول الله (ص) ثم زوجها رسول الله من علي (ع) بعد قدومه بشهرين ، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها الى رسول الله (ص) فلما زوجها علياً (ع) قالوا في ذلك فقال رسول الله (ص) ما أنا زوجته ولكن الله زوجه ، وقدم العباس بن عبد المطلب بزينب بنت رسول الله وكانت بالطائف حين هاجر رسول الله (ص) عند أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان التغلبي ثم رجع العباس الى مكة ، وقدم المهاجرون فنزلوا منازل الأنصار فواسوهم بالديار والأموال .

افتراض الصوم والصلاة

وافترض الله عز وجل شهر رمضان . وصرفت القبلة نحو المسجد الحرام في شعبان بعد مقدمه بالمدينة بسنة وخمسة أشهر ﴿ وقيل ﴾ بسنة ونصف . وأنزل الله عز وجل ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ وكان بين نزول افتراض شهر رمضان وبين توجه القبلة الى الكعبة ثلاثة عشر يوماً ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن رسول الله (ص) كان يصلي الظهر في مسجد بني سلمة فلما صلى ركعتين نزل عليه صرف القبلة الى الكعبة فاستدار حتى جعل وجهه الى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين . وبنى مسجداً باللبن وسقفه بالجريد وقيل له يا رسول الله لو وسعت المسجد فقد كثر المسلمون فقال لا عرش كعرش موسى وعمل غلام للعباس يقال له كلاب منارة ولم تكن للمسجد منارة على عهد رسول الله (ص) وكان بلال يؤذن ثم أذن معه ابن أم مكتوم . وكان أيهما سبق أذن فاذا كانت

الصلاة أقام وأخذ ﴿ وروى الواقدي ﴾ أن بلالاً كان إذا أذن وقف على باب رسول الله « ص » فقال الصلاة يارسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح .

ما نزل من القرآن بالمدينة

ونزل عليه من القرآن بالمدينة اثنتان وثلاثون سورة ، أول ما نزل ويل للمطففين ثم سورة البقرة ، ثم سورة الأنفال ، ثم سورة آل عمران ، ثم الحشر ، ثم سورة الأحزاب ، ثم سورة النور ، ثم الممتحنة ، ثم إذا فتحنا لك ، ثم سورة النساء ، ثم سورة الحج ، ثم سورة الحديد ، ثم سورة محمد ، ثم هل أتى على الانسان ثم سورة الطلاق ، ثم سورة لم يكن ، ثم سورة الجمعة ، ثم تنزيل السجدة ، ثم المؤمن ، ثم إذا جاءك المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم التحريم ، ثم التغابن . ثم الصف . ثم المائدة . ثم براءة . ثم إذا جاء نصر الله والفتح . ثم إذا وقعت الواقعة . ثم والعاديات . ثم المعوذتين جميعاً . وكان آخر ما نزل ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾ إلى آخر السورة [وقيل] إن آخر ما نزل عليه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة . وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بغدير خم ﴿ وقيل ﴾ آخر ما نزل ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ ﴿ وقال ابن عباس ﴾ كان جبريل اذا نزل على النبي بالوحي يقول له ضع هذه الآية في سورة كذا في موضع كذا . فلما نزل عليه ﴿ اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ قال ضعها في سورة البقرة ﴿ قال ابن مسعود ﴾ نزل القرآن بأمر ونهي وتحذير وتبشير ﴿ وقال جعفر بن محمد عليه السلام ﴾ نزل القرآن بحلال وحرام وفرائض وأحكام وقصص وأخبار وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وعبر وأمثال وظاهر وباطن وخاص وعام .

وأقام رسول الله (ص) يتلوم ويتهيأ للقتال حتى أنزل الله عز وجل

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ والآية التي بعدها وقال ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ﴾ الى آخر الآية . فكان الرجل من المؤمنين يعد بعشرة من المشركين حتى أنزل الله عز وجل ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا مائتين ﴾ وأنزل الله عليه سيفاً من السماء له غمد فقال له جبريل ربك يأمرك أن تقاتل بهذا السيف قومك حتى يقولوا لا آله الا الله وأنك رسول الله فاذا فعلوا ذلك حرمت دماؤهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله . فكان أول سرية سارت ولواء عقد في الاسلام لحمزة بن عبد المطلب . وقد ذكرنا هذا وغيره في كتابنا هذا بعد انقضاء الغزوات التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقعة بدر العظمى

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد مقدمه المدينة عشر شهراً . وكان سببها أن أبا سفيان بن حرب قدم من الشأم بعير لقريش تحمل تجارات وأموالاً فخرج رسول الله (ص) يعارضه وجاء الصريخ الى قريش بمكة يخبرهم الخبر وكان الرسول بذلك ضمضم بن عمرو الغفاري فخرجوا نافرين مستعدين وخالف أبو سفيان الطريق فنجا بالعير وأقبلت قريش مستعدة لقتال رسول الله (ص) وعلتهم الف رجل ﴿ وقيل ﴾ تسعمائة وخمسون . وكانوا ينحرون كل يوم من الجزور عشراً أو تسعاً فنحر أبو جهل بن هشام عشراً . وأمية بن خلف الجمحي تسعاً وسهيل بن عمرو عشراً . وعتبة بن ربيعة عشراً وشيبة بن ربيعة تسعاً . ومنبه ونبيه ابنا الحجاج السهميان عشراً . وأبو البختري العاص بن هشام الأسدي عشراً والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف عشراً . والعباس بن عبد المطلب عشراً ﴿ وقيل ﴾ ان العباس نحر يوم الوقعة فأكفئت القدور وأنه خرج مستكرهاً كالاسير وقال عبد الله بن العباس ان ابي أطعم أسيراً وما أطعم أسير قبله [وروى ابن اسحاق]

أن حكيم بن حزام كان من المطعمين وكان أبو لهب عليلاً فلم يمكنه الخروج فأعانهم باربعة آلاف درهم ﴿ وقيل ﴾ بل كان أبو لهب قامر العاص بن هشام المخزومي فقمره نفسه فدفعه اليهم مكانه ، وخرج رسول الله « ص » في ثلاث مائة [وقيل] تسعين رجلاً منهم ، من المهاجرين واحد وثمانون ، ومن الأنصار مائتان واثنان وثلاثون رجلاً ، ومعه فرسان فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد بن عمرو البهراني ﴿ ويقال ﴾ فرس لمرثد بن ابي مرثد الغنوي ، ومعه سبعون راحلة فالتقوا يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان فقتل من المسلمين أربعة عشر رجلاً ، وقتل من المشركين من سادات قريش سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً ، فامر رسول الله برجلين من الأسارى فضربت أعناقهما ، وهما عقبة بن ابي معيط بن ابي عمرو بن أمية والنضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، وأخذ الفداء من ثمانية وستين رجلاً ، وافتدى العباس نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفاً لهما من بني فهر .

وقال العباس لرسول الله « ص » إنه لا مال لي فدعني أسأل الناس بكفي ، فقال أين المال الذي دفعته الى أم الفضل — يعني لبابة بنت الحارث الهلالية امرأته — وقلت لها يكون عدة ، فقال أشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك غيري وغيرها فافتدى نفسه بسبعين أوقية ، وابني أخيه بسبعين أوقية ، وقال رسول الله « ص » في الليلة التي بات فيها العباس أسيراً لقد أسهرني أنين العباس عمي في القيد منذ الليلة وأسلم العباس وخرج إلى مكة يكتم إسلامه ، وتوفي ابو لهب بعد وقعة بدر بايام أو بعد ان أتاهم الخبر بتسعة ايام ، وكان اول من قدم مكة وخبر بخبر قريش ومن قتل منها عمرو بن جحدم الفهري .

وأعز الله نبيه وقتل من قريش من قتل ، فأوفدت العرب وفودها الى رسول الله وحاربت ربيعة كسرى ، وكانت وقعتهم بذي قار ، فقالوا عليكم بشعار النهامي

فنادوا يا محمد يا محمد فهزموا جيوش كسرى وقتلوهم فقال رسول الله (ص) اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا ، وكان يوم ﴿ ذي قار ﴾ بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة ، وضحى رسول الله « ص » بالمدينة . وخرج الناس الى المصلى بعدتهم ولم يخرج قبل ذلك . وكانت العنزة بين يديه وذبح شاتين بالمصلى بيده ﴿ وقيل ﴾ شاة . ومضى في طريق ورجع في أخرى .

وقعة أحد

وكانت وقعة أحد في شوال بعد بدر بسنة . اجتمعت قريش واستعدت لطلب ثأرها يوم بدر واستعانت بالمال الذي قدم به ابو سفيان وقالوا لا تنفقوا منه شيئاً إلا في حرب محمد . فكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله « ص » يخبرهم وبعث الكتاب مع رجل من جهينة فخبر رسول الله « ص » أصحابه بخبرهم . وخرج المشركون وعدتهم ثلاثة آلاف ورئيسهم ابو سفيان بن حرب وكان رأي رسول الله أن لا يخرج من المدينة لرؤيا رآها في منامه ان في سيفه ثلمة . وان بعيراً يذبح له . وانه ادخل يده في درع حصينة . وتأولها محمد ان نفراً من اصحابه يقتلون وان رجلاً من اهل بيته يصاب . وان الدرع المدينة . فأشارت عليه الأنصار بالخروج فلما لبس لباس الحرب ردت اليه الأنصار الأمر وقالوا لا نخرج عن المدينة . فقال الآن وقد لبست لامتي والنبي إذا لبس لامته لا ينزعها حتى يقاتل ويفتح الله عليه . فخرج وخرج المسلمون وعدتهم الف رجل حتى صاروا إلى احد . ووافى المشركون فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله رماه وحشي عبد لجبير بن مطعم بحربة فسقط ومثلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقت عن كبده فاخذت منها قطعة فلاكتها وجدعت انفه فجزع عليه رسول الله (ص) جزعاً شديداً ﴿ وقال ﴾ لن اصاب بمثلك وكبر عليه خمساً وسبعين تكبيرة . وانهزم المسلمون حتى بقي رسول الله (ص) وما معه إلا ثلاثة نفر علي (ع) والزبير وطلحة . وقال المنافقون قتل محمد . ورماه عبدالله بن قمئة

فأثر في وجهه ، واقتحم خالد بن الوليد وكان على ميسرة المشركين الثغرة فقتل عبدالله بن جبير وجماعة من المسلمين ناشبة كان رسول الله صيرهم على تلك الثغرة ، ودخل عسكر رسول الله (ص) وفيه كانت هزيمة المسلمين قال الله تعالى ﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم ﴾ وعاتب الله المسلمين في آيات من كتابه ، وقتل من المسلمين ثمانية وستون رجلا ومن المشركين اثنان وعشرون رجلا ثم رجع المشركون وفرق الله جمعهم ، وجاء يهودي حتى وقف على باب الأطم الذي فيه النساء ، وكان حسان بن ثابت معهن فصاح اليهودي اليوم بطل السحر ثم ارتقى يصعد فقالت صفية بنت عبد المطلب يا حسان انزل اليه فقال رحمك الله يا بنت عبد المطلب لو كنت ممن ينازل الأبطال خرجت مع رسول الله أقاتل ، فأخذت صفية السيف ﴿ وقيل ﴾ أخذت هراوة فضربت اليهودي حتى قتلته ، ثم قالت انزل فاسلبه فقال لا حاجة لي في سلبه ﴿ وروي ﴾ أن رسول الله (ص) ضرب لصفية يومئذ بسهم ، فلما كان من غد يوم أحد نادى رسول الله (ص) فخرجوا على علتهم وعلى ما أصابهم من الجروح وخرج رسول الله (ص) حتى انتهى إلى حمراء الأسد ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيداً ، فهم الذين أجابوا الله ورسوله من بعد ما أصابهم القرح .

وقعة بني النضير

ثم كانت وقعة بني النضير وهم فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به ، وكذلك قريظة بعد أحد باربعة اشهر ، وكان رسول الله بعث اليهم — بعد أن وجه من يقتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي أراد أن يمكر برسول الله — أن أخرجوا من دياركم وأموالكم ، فوجه اليهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه المنافقون لاتخرجوا فانا نعينكم فلم يخرجوا ، فسار اليهم رسول الله بعد العصر فقاتلهم فقتل منهم جماعة وخذلهم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فلما رأو

أنه لا قوة لهم على حرب رسول الله (ص) طلبوا الصلح فصالحهم على أن يخرجوا من بلادهم ولهم ما حملت إلا بل من خرثي متاعهم لا يخرجون معهم بذهب ولا فضة ولا سلاح فتحملوا الى الشام وأسلم سلام بن (... «١» ...) ويامين النضيري، وكانت غنائمهم لرسول الله خالصة ففرقها بين المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين ابا دجانة وسهل بن حنيف فانهما شكيا حاجة، وفي هذه الغزاة شرب المسلمون الفضيخ فسكروا فنزل تحريم الخمر.

وقعة الخندق

ثم كانت وقعة الخندق وهو يوم الأحزاب في السنة السادسة بعد مقدم رسول الله بالمدينة بخمسة وخمسين شهراً، وكانت قريش تبعث إلى اليهود وسائر القبائل فتحرضهم على قتال رسول الله «ص» فاجتمع خلق من قريش إلى موضع يقال له ﴿ سلع ﴾ واشار عليه سلمان الفارسي (رض) ان يحفر خندقاً فحفر الخندق وجعل لكل قبيلة حداً يحفرون اليه وحفر رسول الله (ص) معهم حتى فرغ من حفر الخندق وجعل له ابواباً وجعل على الأبواب حرساً من كل قبيلة رجلا وجعل عليهم الزبير بن العوام وامره إن راى قتالا ان يقاتل، وكانت عدة المسلمين سبعمائة رجل، ووافى المشركون فانكروا امر الخندق وقالوا ما كانت العرب تعرف هذا واقاموا خمسة ايام فلما كان اليوم الخامس خرج عمرو بن عبدود واربعة نفر من المشركين نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي. وعكرمة بن ابي جهل. وضرار بن الخطاب الفهري. وهبيرة بن ابي وهب المخزومي. فخرج علي بن ابي طالب (ع) الى عمرو بن عبد ود فبارزه وقتله وانهزم الباقون. وكبا بنوفل بن عبد الله بن المغيرة فرسه فلحقه علي (ع) فقتله. وبعث الله

«١» بياض في الأصل، وسلام هذا هو ابن مشكم، وهو الذي نهى القوم لما تآمروا على قتل النبي (ص) بالقاء صخرة على رأسه وهو جالس الى جنب جدار بيت، وكان حامل الصخرة عمرو بن جحاش. (م. ص)

على المشركين ريحاً وظلمة فانصرفوا هاربين ﴿ لا يلوون ﴾ على شيء حتى ركب ا
سفيان ناقته وهي معقولة فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك قال عوجل الشيخ ، وكان
الحرب — على ما روى بعضهم — ثلاثة أيام بالرمي بغير مجالدة ولا مبارزة وانصر
في اليوم الثالث حتى فاتت صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء الآخ
فقال رسول الله (ص) شغلونا عن الصلاة ملأ الله بطونهم وقبورهم ناراً ، ثم أم
بلالاً فأقام الصلاة فصلى الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء وذلك قبل أن ينزل عليه
﴿ فان خفتم فرجالا أو ركبانا ﴾ وفي هذه الوقعة ظهر النفاق وقال المنافقون تعـ
يا محمد بقصور كسرى وقيصر ولأحدنا لا يقدر على الغائط ما هذا إلا غرور ، فانزل الله
عز وجل سورة الأحزاب ، وقص فيها ما قص ، فكان قوم من اليهود صاروا إلى
رسول الله (ص) منهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق فقالوا له يا محمد نز
﴿ الم ﴾ قال نعم ، قال جاءك بها جبريل من عند الله قال نعم ، قال حيي بن اخطب
ما بعث الله نبياً إلا أعلمه قدر ملكه فالألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فذلك
إحدى وسبعون سنة ، فهل غير هذا قال نعم ﴿ المص ﴾ قال هي أثقل وأطول
الف واحد ولام ثلاثون والميم أربعون وصاد ستون (١) فهذه إحدى وثلاثون ومائة
سنة ، فهل غير هـذا قال نعم ﴿ الر ﴾ قال هي أثقل وأطول الف واحد واللا
ثلاثون والراء مائتان ، فهذه مائتان وإحدى وثلاثون سنة ، فهل غير هـذا قال نعم
﴿ المر ﴾ قال هذه أثقل وأطول الف واحد ولام ثلاثون وميم أربعون وراء مائتان
فهذه مائتان وإحدى وسبعون ، لقد لبس علينا أمرك يا محمد فلا ندري أقليلا أعطيت
أم كثيراً ولعلك أعطيت ﴿ الم والمص والر والمر ﴾ فذلك سبعمائة وأربع وستون (٢)

(١) هذا على حساب المغربيين فان الصاد تحسب عندهم بستين وإلا فهي بحساب
الجمل الكبير المعروف تعد بتسعين . (٢) كذا في الأصل ، والظاهر زيادة
(وستون) لأن مجموع الأعداد المذكورة سبعمائة وأربعة فليلاحظ . (م . ص)

... ، وقتل يوم الخندق من المسلمين ستة ومن المشركين ثمانية .

وقعة بني قريظة

ثم كانت وقعة بني قريظة — وهي فخذ من جذام اخوة النضير ﴿ ويقال ﴾ ... يهودهم كان في أيام عاديا بن السموءل ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه ﴿ وقد قيل ﴾ إن قريظة اسم جدهم — بعقب الخندق ، وكان بينهم وبين ... رسول الله صلح فنقضوه ومالوا مع قريش فوجه اليهم سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة ... وخوات بن جبير فذكروهم العهد وأساؤا الاجابة فلما انهزمت قريش يوم الخندق دعا ... رسول الله علياً فقال له قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة وقال عزمت عليكم أن تصلوا ... العصر إلا في بني قريظة ، وركب حماراً له فلما دنا منهم لقيه علي بن أبي طالب (ع) ... فقال يا رسول الله لا تدن ﴿ فقال ﴾ أحسب أن القوم أساءوا القول فقال نعم ... يا رسول الله ﴿ فيقال ﴾ إنه قال بيده هكذا وهكذا فانفرج الجبل حتى رأوه وقال ... يا عبدة الطاغوت يا وجوه القردة والخنازير فعل الله بكم وفعل ، فقالوا يا أبا القاسم ... ما كنت فاحشاً فاستحيى فرجع القهقرى ، ولم يتخلف عنه من المهاجرين أحد وأفاء ... عامة الأنصار فقتل من بني قريظة ثم تحصنوا فحاصرهم رسول الله اياماً حتى نزلوا على ... حكم سعد بن معاذ الأنصاري فحضر سعد عليلا فقالوا له يا ابا عمرو واحسن فقال قد آن ... لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم ارضيتم بحكمي قالوا نعم ، ثم قال قد حكمت ان ... تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتجعل اموالهم للمهاجرين دون الأنصار ، فقال رسول الله ... لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات ثم قدمهم عشرة عشرة فضرب اعناقهم ... وكانت عدتهم سبعمائة وخمسين فانصرف رسول الله واصطفى منهم ست عشرة جارية ... فقسمها على فقراء بني هاشم واخذ لنفسه منهن واحدة يقال لها ريحانة ، وقسمت اموال ... بني قريظة ونساؤهم واعلم سهم الفارس وسهم الراجل فكان الفارس يأخذ سهمين والراجل ... سهما ، وكان اول مغنم اعلم فيه سهم الفارس وكانت الخيل ثمانية وثلاثين فرساً .

وقعة بني المصطلق

ثم كانت وقعة بني المصطلق من خزاعة لقيهم رسول الله بالمريسيع وهزمهم وسبا منهم فكان ممن سبي في غزاته جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار وقتل ابوها وعمها وزوجها فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي فكاتبها فأتت رسول الله في مكاتبتها فقضى عليها مكاتبتها وتزوجها وجعل صداقها عتقها ، فلم يبق عنده من سبي بني المصطلق أحد إلا أعتقه وتزوجوا من فيهم من النساء لتزويج رسول الله جويرية ، وفي هذه الغزاة قال أصحاب الافك في عائشة ما قالوا فانزل الله عز وجل براءتها ، وكانت تخلفت لبعض شأنها فجاء صفوان بن المعطل السلمي فصيرها على بعيره وقادها فقال من قال فيها الافك ، وجلد رسول الله حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وعبد الله بن ابي ابن سلول ، وهو الذي تولى كبره وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش وأسلم بنو المصطلق وبعثوا الى رسول الله باسلامهم فبعث الوليد بن عقبة بن ابي معيط ليقبض صدقاتهم فانصرف الى رسول الله (١) فانزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ﴾

غزاة الحديبية

ثم كانت غزاة الحديبية خرج رسول الله (ص) في سنة ست يريد العمرة ومعه ناس وساق من الهدي سبعين بدنة وساق أصحابه ايضاً وخرجوا بالسلاح فصدته قريش عن البيت فقال ما خرجت أريد قتالا وإنما أردت زيارة هذا البيت ، وقد كان رسول الله رأى في المنام أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ المفتاح فارسلت اليه قريش مكرز بن حفص فابى أن يكلمه وقال هذا رجل فاجر فبعثوا اليه الحليس بن علقمة من بني الحارث بن عبد مناة وكان من قوم يتألهون فلما رأى الهدي قد اكلت أوبارها

(١) كذا في الأصل وفي العبارة سقط ولعله « وقال إنهم منعوا صدقاتهم وكان الأمر بخلافه فغضب النبي (ص) وهم أن يغزوهم » فانزل الله الخ . (م . ص)

رجع فقال يا معشر قريش إني قد رأيت ما لا يحل صده عن البيت فبعثوا بعروة بن مسعود الثقفي فكلم رسول الله فقال له رسول الله يا عروة أفي الله أن يصد هذا الهدي عن هذا البيت فانصرف اليهم عروة بن مسعود فقال تالله ما رأيت مثل محمد لما جاء له فبعثوا اليه سهيل بن عمرو فكلم رسول الله وأرفقه وقال نخليها لك من قابل ثلاثة أيام فأجابهم رسول الله وكتبوا بينهم كتاب الصلح ثلاث سنين وتنازعوا بالكتاب لما كتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﴾ حتى كادوا أن يخرجوا الى الحرب فقال سهيل بن عمرو والمشركون لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، وقال المسلمون لا نمحها فامر رسول الله أن يكتبوا وأمر عليا فكتب ﴿ بسمك اللهم من محمد بن عبد الله ﴾ (١) وقال اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي ، وشرطوا أن يخلوا مكة له من قابل ثلاثة ايام ويخرجوا عنها حتى يدخلها بسلاح الراكب وأن الهدنة بينهم ثلاث سنين لا يؤذون احداً من اصحاب رسول الله ولا يمنعونه من دخول مكة ولا يؤذي احد من اصحاب رسول الله احداً منهم ، ووضع الكتاب على يد سهيل بن عمرو وامر رسول الله المسلمين أن يحلقوا وينحروا هديهم في الحل فامتنعوا وداخل اكثر الناس الريب فحلق رسول الله ونحر فحلق المسلمون ونحروا وانصرف رسول الله الى المدينة ثم خرج من قابل وهي عمرة القضاء فدخل مكة على ناقة بسلاح الراكب واخلتها قريش ثلاثا وخلفوا بها حويطب بن عبد العزى فاستلم رسول الله الركن بمحجنه وصدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، وخرج عنها بعد ثلاث فابتنى بميمونة بنت الحارث الهلالية زوجه بسرف . وغدرت قريش فقتلت رجلاً من خزاعة ممن دخل في شرط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) ثم قال رسول الله (ص) لعلي « ع » ولك مثلها ، او كما قال ، وكان الأمر كما ذكر . فلم يذكره المصنف لبنائه على الاختصار (كذا في هامش الأصل)

وقعة خيبر

ثم كانت وقعة خيبر في أول سنة سبع ففتح حصونهم وهي ستة حصون السلالم والقموص والنطاة والقصارة والشق والمربطة ، وفيها عشرون الف مقاتل ففتحها حصناً حصناً فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكان القموص من أشدها وأمنعها وهو الحصن الذي كان فيه مرحب بن الحارث اليهودي فقال رسول الله لأدفعن الراية غداً إن شاء الله إلى رجل كرار غير فرار يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا ينصرف حتى يفتح الله على يده فدفعها إلى (علي) فقتل مرحباً اليهودي واقتلع باب الحصن وكان حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع فرمى به علي بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون ، وقدم جعفر بن أبي طالب في ذلك اليوم من أرض الحبشة فقام اليه رسول الله فقبل ما بين عينيه ثم قال والله ما أدري بأيهما أنا اشد سروراً بفتح خيبر ام بقدوم جعفر ، واصطفى صفية بنت حيي بن أخطب وأعتقها وتزوجها وقسم بين بني هاشم نساءهم ورجالهم وأوساق التمر والقمح والشعير ، ثم قسم بين الناس كافة وبلغه ما فيه أهل مكة من الضر والحاجة والجدب والقحط فبعث اليهم بشعير ذهب ﴿ وقيل ﴾ نوى ذهب مع عمرو بن أمية الضمري وأمره أن يدفعه الى ابي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية بن خلف وسهيل بن عمرو ويفرقه ثلاثاً ثلاثاً فامتنع صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو من أخذه وأخذه ابو سفيان كله وفرقه على فقراء قريش وقال جزى الله ابن أخي خيراً فانه وصول لرحمه ، وجاءته زينب بنت الحارث أخت مرحب بالشاة المسمومة فاخذ منها لقمة وكلمته الذراع فقالت إني مسمومة وكان يأكل معه بشر ابن البراء بن معرور فمات فقال الحجاج بن علاط السلمي لرسول الله قد أسلمت ولي بمكة مالي فتأذن لي أن أتكلم بشيء يطمئنون اليه لعلي أن آخذ مالي فأذن له فخرج حتى قدم مكة فاتته قريش فقالوا مرحباً بك يابن علاط هل عندك خبر من هذا القاطع قال نعم إن كتتم علي فتعاهدوا أن يكتموا عليه حتى يخرج قال والله إني ما جئت حتى

هزم محمد وأصحابه هزيمة وحتى أخذ أسيراً وقالوا نقتله بسيدنا حيي بن أخطب فاستبشروا وشربوا الخمور وبلغ العباس والمسلمين الخبر فاشتد جزعهم وأخذ الحجاج كل ما كان له ثم أتى العباس وأخبره بما فتح الله على نبيه وأن سهام الله قد جرت على خيبر وقتل ابن ابي الحقيق وبات رسول الله عروساً بابنة حيي بن أخطب ثم خرج من مكة فأصبح العباس مسروراً فقال له ابو سفيان تجلداً للمصيبة يا أبا الفضل فقال العباس إن الحجاج والله خدعكم حتى أخذ ماله وقد أخبرني باسلامه وأنه ما انصرف حتى فتح الله على نبيه وقتل ابن أبي الحقيق وبات عروساً بابنة حيي بن أخطب وفتح جميع الحصون فأعولت امرأة الحجاج واجتمع اليها نساء المشركين واشتدت كآبة المسلمين وغاهم .

فتح مكة

وكانت خزاعة في عقد رسول الله وكنانة في عقد قريش فأعانت قريش كنانة فأرسلوا موالهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم فجاءت خزاعة الى رسول الله فشكوا اليه ذلك فأحل الله لنبيه قطع المدة التي بينه وبينهم وعزم على غزو مكة وقال اللهم أعم الأخبار عنهم — يعني قريشاً — فكتب حاطب بن ابي بلتعة مع سارة مولاة ابي لهب إلى قريش يخبر رسول الله وما اعتزم عليه فنزل جبريل فأخبره بما فعل حاطب فوجه بعلي بن أبي طالب والزبير وقال خذا الكتاب منها فلحقاها وقد كانت تنكبت الطريق فوجد الكتاب في مشعرها ﴿ وقيل ﴾ في فرجها فاتيا به الى رسول الله فأسرّ الى كل رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سماه وأن يكتم ما قال له فأسر الى خزاعي بن عبد نهم أن يلقاه بمزينة بالروحاء ، وإلى عبد الله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسقيا ، والى قدامة بن ثمامة أن يلقاه ببني سليم بقديد ، وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه ببني ليث بالكديد .

وخرج رسول الله (ص) يوم الجمعة حين صلى صلاة العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثمان ﴿ وقيل ﴾ لعشر مضين من رمضان ، واستخلف على المدينة

أبا لبابة بن عبد المنذر ولقيته القبائل في المواضع التي سماها لهم وأمر الناس فافطروا وهم
الذين لم يفطروا العصاة ودعا بماء فشربه وتلقاه العباس بن عبد المطلب في بعض الطر
فلما صار بمر الظهران خرج ابو سفيان بن حرب يتجسس الأخبار ومعه حكيم بن حز
وبديل بن ورقاء وهو يقول لحكيم ما هذه النيران فقال خزاعة أحمشتها الحرب، فق
خزاعة أقل وأذل وسمع صوته العباس فناداه يا أبا حنظلة فاجابه فقال له يا أبا الفضل
هذا الجمع قال هذا رسول الله فاردفه على بغلته ولحقه عمر بن الخطاب وقال الحمد لله الذ
أمكن منك بغير عهد ولا عقد فسبقه العباس إلى رسول الله فقال يا رسول الله هذ
ابو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً فقال له رسول الله (ص) قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني
محمد رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وجعل يمتنع من أن يقول وأنك رسول الله
فصاح به العباس فقال ، ثم سأل العباس رسول الله (ص) أن يجعل له شرفاً وقال
إنه يحب الشرف فقال رسول الله (ص) من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن
واوقفه العباس حتى رأى جند الله فقال له يا أبا الفضل لقد أوتي ابن أخيك ملكاً
عظيماً فقال إنه ليس بملك إنما هي النبوة ، ومضى أبو سفيان مسرعاً حتى دخل مكة
فاخبرهم الخبر وقال هو اصطلام إن لم تسلموا وقد جعل أن من دخل داري فهو آمن
فوثبوا عليه وقالوا وما يسع دارك فقال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو
آمن ، وفتح الله على نبيه وكفاه القتال ودخل مكة ودخل أصحابه من أربعة بواب
وأحلها الله له ساعة من نهار ، ثم قام رسول الله « ص » فخطب فحرمها ، وأجارت
أم هاني بنت أبي طالب حموين لها الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة فأراد علي
عليه السلام قتلهما فقال رسول الله (ص) يا علي قد أجرنا من أجارت أم هاني وآمنهم
جميعاً إلا خمسة نفر أمر بقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة ، وأربع نسوة ، وهم
عبد الله بن عبد العزى بن خطل من بني تيم الاكرم بن غالب ، وكان رسول الله (ص)
وجهه مع رجل من الأنصار فشد على الأنصاري فقتله وقال لا طاعة لك ولا لمحمد ، وعبد الله

ابن سعد بن أبي سرح العامري ، وكان يكتب لرسول الله « ص » فصار الى مكة فقال أنا أقول كما يقول محمد والله ما محمد نبي ولقد كان يقول لي اكتب (عزيز حكيم) فاكتب « لطيف خبير » ولو كان نبياً لعلم فآواه عثمان وكان أخاه من الرضاع وأتى به إلى رسول الله (ص) فجعل يكلمه فيه ورسول الله ساكت ، ثم قال هلا فقلتموه فقالوا انتظرنا أن تومئ فقال إن الأنبياء لا تقتل بالايماء ، ومقيس بن صبابة أحد بني ليث بن كنانة ، وكان أخوه قتل فاخذ الدية من قاتله ثم شد عليه فقتله ، والحويرث ابن نقيذ بن وهب بن عبد قصي ، كان ممن يؤذي رسول الله بمكة ويتناوله بالقول القبيح ، والقينة سارة مولاة بني عبد المطلب ، وكانت تذكر رسول الله بالقبيح وهند بنت عتبة ، وقريبة وفرتنا جاريتا ابن خطل كانتا تغنيان في هجاء رسول الله وأسلمت قريش طوعاً وكرهاً ، وأخذ رسول الله مفتاح البيت من عثمان بن أبي طلحة وفتح الباب بيده وستره ثم دخل البيت فصلى فيه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضادتي الباب فقال لا آله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فله الحمد والملك لا شريك له .

ثم قال ما تظنون وما أنتم قائلون ، قال سهيل نظن خيراً ونقول خيراً أخ كريم وابن عم كريم وقد ظفرت ، قال فاني أقول لكم كما قال أخي يوسف ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ ثم قال ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فانه موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فانهما مردودان إلى أهليهما ألا وإن مكة محرمة بحرمة الله لم تحل لأحد من قبلي ولا تحل لأحد من بعدي وإنما حلت لي ساعة ثم أغلقت فهي محرمة إلى يوم القيامة لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد ، ألا إن في القتل شبه العمد الدية مغلظة ، والولد للفراش وللعاهر الحجر [ثم قال] ألا لبئس جيران الذين (١) كنتم فاذهبوا فأنتم الطلقاء ، ودخل

(١) كذا في الأصل ولعل العبارة « لبئس جيران البيت كنتم » (م . ص)

مكة بغير إحرام وأمر بلالاً ان يصعد على الكعبة فأذن فعظم ذلك على قريش وقال عكرمة بن أبي جهل وخالد بن أسيد إن ابن رباح ينهق على الكعبة وتكلم قوم معهما فأرسل اليهم رسول الله فقالوا قد قلنا فنستغفر الله فقال ما أدري ما اقول لكم ولكن تحضر الصلاة فمن صلى فسبيل ذلك وإلا قدمته فضربت عنقه .

وأمر بكل ما في الكعبة من صورة فمحيت وغسلت بالماء ، ودعا بعثمان بن طلحة فقال رأيت في الكعبة قرني الكبش فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في الكعبة شيء فصيرا في بعض الجدر ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن رسول الله قسم ما كان في الكعبة من المال بين المسلمين ﴿ وقال آخرون ﴾ أقره ونادى منادي رسول الله من كان في بيته صنم فليكسره فكسروا الأصنام ، ودعا رسول الله بالنساء فبايعنه وكانت الخيل اربع مائة فرس ، ونزلت عليه (ص) سورة إذا جاء نصر الله والفتح فقال نعيت إلي نفسي .

وبعث رسول الله « ص » وهو بمكة خالد بن الوليد الى بني جذيمة بن عامر وهم بالغميصاء وقد كانوا في الجاهلية أصابوا من بني المغيرة وقتلوا عوفاً ابا عبد الرحمن بن عوف فخرج عبد الرحمن بن عوف مع خالد بن الوليد ورجال من بني سليم وقد كانوا قتلوا ربيعة بن مكدم في الجاهلية فخرج جذل الطعان فقتل من بني سليم بدم ربيعة مالك بن الشريد ، وبلغ جذيمة ان خالداً قد جاء ومعه بنو سليم فقال لهم خالد ضعوا السلاح فقالوا إنا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون فانظر ما بعثك رسول الله له فان كان بعثك مصدقاً فهذه إبلنا وغنمنا فأعد عليها قال ضعوا السلاح قالوا إنا نخاف أن تأخذنا باحنة الجاهلية فانصرف عنهم وأذّن في القوم وصلوا فلما كان في السحر شن عليهم الخيل فقتل المقاتلة وسبى الذرية فبلغ رسول الله (ص) فقال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد ، وبعث علي بن ابي طالب (ع) فأدى اليهم ما أخذ منهم حتى العقال وميلغة الكلب وبعث معه بمال ورد من اليمن فودى القتلى وبقيت

معه منه بقية فدفعها علي اليهم على أن يحملوا رسول الله مما علم ومما لا يعلم فقال رسول الله لما فعلت أحب إلي من حمر النعم ، ويومئذ قال لعلي (فداك ابواي) وقال عبدالرحمن بن عوف والله لقد قتل خالد القوم مسلمين فقال خالد إنما قتلتهم بابيك عوف بن عبدعوف فقال له عبد الرحمن ما قتلت بابي ولكنك قتلت بعمك الفاكه بن المغيرة .

وقعة حنين

ثم كانت وقعة حنين بلغ رسول الله (ص) وهو بمكة أن هوازن قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً ورئيسهم مالك بن عوف النصري ومعهم دريد بن الصمة من بني جشم شيخ كبير يتبركون برأيه وساق مع هوازن أموالهم وحرمهم فخرج اليهم رسول الله (ص) في جيش عظيم عددهم اثنا عشر الفاً ، عشرة آلاف اصحابه الذين فتح بهم مكة ممن أسلم طوعاً وكرهاً وأخذ من صفوان بن أمية مائة درع وقال عارية مضمونة فأعجبت المسلمين كثرتهم وقال بعضهم ما نؤتى من قلة فكره رسول الله ذلك من قولهم ، وكانت هوازن قد كمنت في الوادي فخرجوا على المسلمين وكان يوم عظيم الخطب وانهزم المسلمون عن رسول الله «ص» حتى بقي في عشرة من بني هاشم ﴿ وقيل ﴾ تسعة وهم علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وابو سفيان ابن الحارث ونوفل بن الحارث وربيعة بن الحارث وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب والفضل بن العباس وعبد الله ابن الزبير بن عبد المطلب ﴿ وقيل ﴾ أيمن بن أم أيمن قال الله عز وجل ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ وأبدى بعض قريش ما كان في نفسه فقال ابو سفيان لا تنتهي والله هزيمتهم دون البحر ، وقال كلدة بن حنبل اليوم بطل السحر ، وقال شيبة بن عثمان أقتل محمداً فأراد رسول الله «ص» ليقتله فأخذ النبي الحربة منه فاشعرها فؤاده فقال رسول الله للعباس صح يا للأنصار ، وصح يا أهل بيعة الرضوان ، صح يا أصحاب سورة البقرة

يا أصحاب الشجرة ، ثم انفض الناس وفتح الله على نبيه وأيده بجنود من الملائكة ومضى علي بن أبي طالب الى صاحب راية هوازن فقتله ، وكانت الهزيمة ، وقتل من هوازن خلق عظيم وسبي منها سبايا كثيرة بلغت عدتهم الف فارس وبلغت الغنائم اثني عشر الف ناقة سوى الأسلاب ، وقتل دريد بن الصمة فأعظم الناس ذلك فقال رسول الله « ص » إلى النار وبئس المصير إمام من أئمة الكفر إن لم يكن يعين بيده فانه يعين برأيه ، قتله رجل من بني سليم ، وقتل ذو الخمار سبيع بن الحارث فقال رسول الله (ص) أبعده الله إنه كان يبغض قريشاً .

وصارت السبايا والأموال في أيدي المسلمين ، وبلغت هزيمة المسلمين الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وكان جميع من استشهد اربعة نفر ، وجاءت الشيماء بنت حليمة أخت رسول الله (ص) من الرضاعة إلى رسول الله فحباها وأكرمها وبسط لها رداءه وكلمته في السبايا وقالت إنما هن خالاتك وأخواتك فقال ما كان لي ولبني هاشم فقد وهبته لك فوهب المسلمون ما كان في أيديهم من السبايا كما فعل إلا الأقرع ابن حابس وعيينة بن حصن فقال رسول الله (ص) اللهم نوه سهيمها فخرج لها (١) عجوز وكلمته في مالك بن عوف النصري رئيس جيش هوازن وآمنه فجاء مالك وأسلم ووجه رسول الله (ص) لحصار الطائف ، وأعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم هوازن وأعطى اثني عشر رجلا مائة مائة من الابل وهم ابو سفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث بن كلدة العبدري والحارث بن هشام بن المغيرة وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية بن خلف وحويطب بن عبد العزى والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ومالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس ، وأعطى الباقين ما دون ذلك وسألته الأنصار ودخلها غضاضة فقال رسول الله (ص) إني اعطي قوماً تألفاً وأكلكم الى ايمانكم ، وتكلم بعضهم

(١) كذا في الأصل وفيه سقط ولعله [فجاءته عجوز] الخ . (م . ص)

فقال قاتل بنا محمد حتى إذا ظهر أمره وظفر أتى قومه وتركنا فاسقط الله سهمهم وأثبت المؤلفة قلوبهم سهماً في الصدقات ، وخرج رسول الله (ص) الى الطائف ووجه علي بن ابي طالب (ع) فلقي نافع بن غيلان بن سلمة بن معتب في خيل من ثقيف فقتله وانهزم اصحابه وحصرها رسول الله «ص» بضعة وعشرين يوماً ونزل اليه أربعون رجلا ، وأمر رسول الله (ص) بقطع الكروم فكلموه فتركها وأمر أن لا تقطع ثم انصرف رسول الله وخلف أبا سفيان بن حرب على حصار الطائف ووجه علياً (ع) لكسر الأصنام فكسرها .

غزاة مؤتة

ووجه جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة في جيش الى الشأم لقتال الروم سنة ثمان ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنه قال أمير الجيش زيد بن حارثة فان قتل زيد بن حارثة فجعفر بن ابي طالب فان قتل جعفر بن ابي طالب فعبد الله بن رواحة فان قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون من احبوا ﴿ وقيل ﴾ بل كان جعفر المقدم ثم زيد بن حارثة ثم عبد الله بن رواحة ، وصار الى موضع يقال له ﴿ مؤتة ﴾ من الشأم من البلقاء من أرض دمشق ، فأخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل ثم أخذها جعفر فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسري فقطعت يده اليسرى ثم ضرب وسطه ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل ، فرفع لرسول الله (ص) كل خفض وخفض له كل رفع حتى رأى مصارعهم وقال رأيت سرير جعفر المقدم فقلت يا جبريل إني كنت قدمت زيداً فقال إن الله قدم جعفراً لقرابتك ، ونعاهم رسول الله (ص) فقال أثبت الله لجعفر جناحين من زبرجد يطير بهما في الجنة حيث يشاء ، واشتد جزعه وقال على جعفر فلتبك البواكي ، وتأمر خالد بن الوليد على الجيش [قالت] أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت امرأة جعفر وأم ولده جميعاً دخل علي رسول الله وبدي في عجين فقال يا اسماء ابن ولدك فاتيته بعبد الله ومحمد وعون فأجلسهم جميعاً في

حجره وضمهم اليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه فقلت بأبي وأمي أنت يا رسول الله لم تفعل بولدي كما تفعل بالأيتام لعله بلغك عن جعفر شيء فغايته العبرة وقال رحم الله جعفراً فصحت وا ويلاه وا سيداه فقال لاتدعي بويل ولا حرب وكل ما قلت فانت صادقة ، فصحت وا جعفراه وسمعت صوتي فاطمة بنت رسول الله (ص) فجاءت وهي تصيح وا ابن عماه ، فخرج رسول الله (ص) يجر رداءه ما يملك عبرته وهو يقول على جعفر فلتبك البواكي ، ثم قال يا فاطمة اصنعي لعيال جعفر طعاماً فانهم في شغل فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيام فصارت سنة في بني هاشم .

الغزوات التي لم يكن فيها قتال

وكانت غزوات فيما بين ذلك لم يكن فيها قتال كان رسول الله يخرج فلا يلقى كيداً وينصرف ، وإنما قدمنا ما كان فيها القتال على التي لا قتال فيها لتفرد الغزوات التي لم يكن فيها قتال .

﴿ غزاة الأبواء ﴾ خرج رسول الله (ص) إلى ودان فرجع ولم يلق كيداً .

﴿ وغزاة بواط ﴾ مثل ذلك .

﴿ وغزاة ذي العشيرة ﴾ من بطن ينبع وادع بها بني مدلج وحلفاء لهم من بني ضمرة وكتب بينهم كتاباً والذي قام بذلك بينهم مخشي بن عمرو الضمري .

﴿ وغزاة قرقرة الكدر ﴾ خرج رسول الله في طلب مكدر بن جابر الفهري ويقال كرز بن جابر حين كان أغار على سرح المدينة وذلك أن أبا سفيان ضاف سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير فقراه وسقاه خمراً ثم خرج من تحت ليلته حتى مرَّ بمكان يقال له ﴿ العريض ﴾ فوجد بها رجلين من الأنصار في صور لهما من النخل فقتلهما وانصرف إلى مكة فبلغ رسول الله الخبر فبلغ قرقرة الكدر ولم يلق كيداً وانصرف .

﴿ وغزاة حمراء الأسد ﴾ خرج رسول الله (ص) من غد يوم أحد وقد

ذكرناها مع خبر أحد .

﴿ وغزاة بدر الصغرى ﴾ وهي بدر الموعد لميعاد أبي سفيان بن حرب ، فخرج رسول الله (ص) في شعبان في السنة الرابعة فاقام عليها ثماني ليال ينتظرون أباسفيان ووافق السوق وكانت عظيمة فتسوق المسلمون فربحوا ربحاً حسناً ، وقال المنافقون للمؤمنين حين خرجوا لميعاد أبي سفيان قد قتلوكم عند بيوتكم فكيف إذا أتيتموهم في بلادهم وقد جمعوا لكم والله لا ترجعون ابداً فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله في ذلك ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .

وانصرف رسول الله ولم يلق كيداً ، وخلفهم أبو سفيان وقال هذا عام جدب ولا يصلحكم يا معشر قريش إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وإني راجع فرجعوا بعد أن كان قد بلغ مر الظهران .

﴿ وغزاة تبوك ﴾ سار رسول الله (ص) في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشام يطلب بدم جعفر بن أبي طالب ووجه الى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد ، وحض رسول الله أهل الغنى على النفقة فأنفقوا نفقات كثيرة وقووا الضعفاء وقال رسول الله (ص) أفضل الصدقة جهد المقل فاتاه البكاؤن يستحملونه وهم هرمى بن (.. « ١ » ..) عمرو بن عوف ، وسالم بن عمير ، وعمرو بن

« ١ » بياض في الأصل ، وهرمى هذا هو ابن عبد الله بن رفاعة بن بحرة بن مجدعة بن عدي بن نمير بن واقف ، ذكره ابن سعد في الطبقات وقال « كان قديم الاسلام وهو من البكائين الذين استحملوا النبي (ص) في غزوة تبوك » وقد سقط في محل البياض بعض البكائين وهما اثنان على أقل الروايات إذ لم يجعلهم أحد من المؤرخين أقل من سبعة ، أما عمرو بن عوف الذي ذكر في (الكتاب) فليس من البكائين —

الحمام ، وعبد الرحمن بن كعب ، وصخر بن سلمان ، فقال ما أجد ما أحملكم عليه وأتوه قوم من الأغنياء فاستأذنوه وقالوا دعنا نكن مع من تخلف فقال الله تعالى ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ وهم الجد بن قيس ، ومجمع بن جارية ، وخدام بن خالد فأذن لهم رسول الله (ص) فقال الله تعالى ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ وخرج رسول الله « ص » غرة رجب سنه تسع واستخلف علياً على المدينة واستعمل الزبير على راية المهاجرين وطلحة على الميمنة وعبد الرحمن بن عوف على الميسرة وخرجت النساء والصبيان يودعونه عند الثنية فسماها ثنية الوداع .

وسار رسول الله (ص) فاصاب الناس عطش شديد فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله لسقانا فدعا الله فسقاهم وقدم رسول الله (ص) تبوك في شعبان فاتاه يحنة بن رؤبة أسقف أيلة فصالحه وأعطاه الجزية وكتب له كتاباً وانصرف رسول الله (ص) فجلس له أصحاب العقبة لينفروا به ناقته فقال لحذيفة نحهم وقل لهم لتنحن او لأدعونكم بأسمائكم وأسماء آبائكم وعشائركم فصاح بهم حذيفة ، وكان خروجه (ص) في رجب وانصرف في شهر رمضان وكان حذيفة يقول إني لأعرف اسماءهم واسماء آبائهم وقبائلهم

الأمراء على السرايا والجيوش

ووجه رسول الله (ص) على السرايا والجيوش الأمراء وعقد لهم الألوية والرايات ، فاول ذلك حمزة بن عبد المطلب على سرية إلى ساحل البحر ﴿ وقيل ﴾

— وإنما سالم بن عمير الذي ذكر فيه هو من بني عمرو بن عوف ، فالذي يترجح في النظر أن العبارة (ومن بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير) فزيدت الواو قبل سالم واسقط لفظ (ومن بني) قبل عمرو ، كما عبر بذلك ابن هشام في السيرة (ج ٢ ص ٣٧) وجعلهم سبعة رجال وإن جعلهم الديار بكري في تاريخ الخميس (ج ٢ ص ١٣٧) خمسة عشر رجلاً وبعضهم أقل ، والبكاؤن هم الذين نزلت فيهم آية [قل لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون]

ان أولهم عبيدة بن الحارث بن المطلب على سرية إلى ثنية المرة في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقي به جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن منهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذٍ بسهم وكان أول سهم رمي في الأسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية ، وجاء المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان ابن جابر الحارثي حليف بني نوفل وكانا مسلمين ولكنهما خرجا فتوصلا بالكفار وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل .

وسعد بن أبي وقاص على سرية الخرار وهو ماء من الجحفة فاصاب نعماً لبني ضمرة فارسلوا الى رسول الله (ص) فردها بالحلف الذي بينهم وبينه .

وحمزة بن عبد المطلب على سرية الى ساحل البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقي أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعاً للفريقين جميعاً وانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن قتال .

وعبد الله بن جحش بن رئاب على سرية الى نخلة في ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار وكتب له كتاباً وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره ولا يستكره من أصحابه احداً فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ينظر فيه فاذا فيه إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف لترصد بها قريشاً وتعلم أخبارها فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم احد فلما نزل نخلة مرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي فقاتلوه فأسروا منهم رجلين فكانا أول أسير من المشركين وأفلت القوم وأخذوا ما كان معهم فعزل رسول الله (ص) خمس العير وقسم سائرها لأصحابه فكان أول خمس قسم في الاسلام .

ووجه مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب على سرية الى جمع ، وذلك إنه قدم على النبي نفر من ﴿ العضل وديش ﴾ — وهما حيان من الهون بن خزيمة — فقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا أصحابك يفقهوننا ويقرئوننا القرآن فبعث فيهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن البكير حليف بني عدي وعاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح العمري وزيد بن دثنة البياضي وعبد الله بن طارق الظفري وخبيب بن عدي العمري ، فلما كانوا على ماء يقال له الرجيع لهذيل خرج بعض الناس حتى انتهى إلى هذيل فقال إن هاهنا نفراً من أصحاب محمد هل لكم أن تأخذهم ونسلبهم ونبيعهم من قريش فما راع المسلمين إلا الرجال بايديهم السيوف فقالوا استأسروا فلكم العهد والعقد ولا نقتلكم ولكن نبيعكم من قريش ، فنادى مرثد وهو أمير القوم وعاصم وخالد فصاحوا بالقوم وسلوا سيوفهم وتهيأوا للقتال وأما خبيب وعبد الله وزيد فلانوا وأعطوا بأيديهم فقاتل أصحابهم قتالاً شديداً وقتل مرثد وخالد بن البكير وقاتل عاصم ابن ثابت حتى قتل .

وزيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله (ص) على سرية الى قردة لما انصرف رسول الله « ص » من بدر الصغرى ميعاد أبي سفيان هابت قريش أن يأخذوا طريقهم الى الشام على بدر فتركوا ذلك الطريق وسلكوا طريق العراق فخرج ابوسفيان وأبو العاص ابن الربيع في غير قريش في مال كثير الى الشام فبعث رسول الله [ص] فأصابهم وما فيها وخرج القوم هاربين ابو سفيان واصحابه فسبقوهم فقدم زيد بذلك المال وأسر معاوية بن المغيرة بن ابي العاص جد عبد الملك بن مروان ﴿ وقيل ﴾ إنه قدم به وأقبل أبو العاص بن الربيع حتى دخل المدينة فاستجار بزينب ابنة رسول الله فلما صلى رسول الله (ص) الغداة نادت زينب ألا إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله (ص) حين انصرف أسمعتم قالوا نعم قال قد أجرت من أجارت ، إن أدنى المؤمنين يجير على أقصاهم ، وقام فدخل (ص) عليها فقال

لا يفوتك أكرمي مثواه ، ورد عليه ما أخذ له فرجع إلى مكة فرد الى كل ذي حق حقه ثم أسلم ورجع الى رسول الله « ص » فرد عليه زينب بالنكاح الأول .

وأيضاً زيد بن حارثة على سرية الى الجموم أو الجموم ، فأصاب امرأة من مزينة يقال لها ﴿ حليمة ﴾ فدلتهم على محلة من محال بني سليم فاصابوا في تلك المحلة نعماً وأسارى وكان في اولئك الأسارى زوج حليمة فلما قفل بها وهب رسول الله (ص) المزنية زوجها ونفسها .

ومرة أخرى لزيد على جيش الى جذام ، وكان ابن خليفة الكلبي لما انصرف من عند قيصر مرّ بأرض جذام فأغار عليه الهنيد بن عارض الجذامي فسلبه ما كان معه وأدركه نفر من المسلمين فاستنقذ ما أخذ منه فدفعوه الى دحية فوجه رسول الله (ص) زيد بن حارثة فسبى وقتل وأخذ الهنيد وابنه فضرب أعناقهما .

ووجه ايضاً زيداً على جيش الى وادي القرى وكانت أم قرفة ابنة ربيعة بن بدر وقد تزوجها مالك بن حذيفة بن بدر - بعثت الى رسول الله [ص] بار بعين رجلا من بطنها وقالت ادخلوا عليه المدينة فبعث رسول الله [ص] زيد بن حارثة في خيل فلقيهم بوادي القرى فهزم وارتث زيد من القتلى فحلف أن لا يغسل ولا يدهن حتى يغزوهم فسأل رسول الله [ص] أن يبعث به اليهم فبعثه في خيل عظيمة فالتقوا بوادي القرى فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمت بنو فزارة وقتلوا وسبيت يومئذ أم قرفة فقتلها قتلاً عنيفاً شقها بين بكرين وأما ابنتها فوقعت في سهم قيس بن المحسر فاستوهبها رسول الله [ص] منه لخاله حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم فولدت عبد الرحمن بن حزن .

ومرة على جيش الطرف الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله [ص] سار اليهم فاصاب من نعمهم عشرين بعيراً ولم يكن بينهم قتال .

والمنذر بن عمرو الأنصاري على سرية الى بئر معونة ، وذلك إن أسد بن معونة قدم على رسول الله (ص) بهدية من قبل عمه أبي براء بن مالك ملاعب الأسنة وأهدى له فرسين ونجائب وكان صديقاً للنبي [ص] فقال رسول الله (ص) والله لا أقبل هدية مشرك ، فقال لبيد بن ربيعة ما كنت أرى أن رجلاً من مضر يرد هدية أبي براء ، فقال لو كنت قابلاً من مشرك هدية لقبلتها منه ، قال فانه يستشفيك من دبيلة في بطنه قد غلبت عليه فتناول رسول الله « ص » جبوبة (١) من تراب فأمرها على لسانه ثم دافها بماء ثم سقاه إياه فكأنما أنشط من عقال ، وكان أبو براء سأل رسول الله (ص) أن يبعث اليه بنفر من أصحابه ليفقههم في الدين ويبصروهم شرايع الاسلام فقال رسول الله (ص) إني أخاف أن يقتلهم بنو عامر فارسل أبو براء أنهم في جواري فبعث اليه المنذر بن عمرو ونفراً من أصحابه في تسعة وعشرين عامتهم بدري فاغار عليهم عامر بن الطفيل وتابعه ثلاثة أحياء من بني سليم ، رعل وذكوان وعصية فلذلك لعنهم رسول الله (ص) وأقبل عامر الى حرام بن ملحان وهو يقرأ كتاب رسول الله (ص) فطعنه بالرمح فقال الله اكبر فزت بالجنة ، واقتتل القوم قتالا شديداً وكثرتهم بنو سليم فقتلوا من عند آخرهم ما خلا المنذر بن عمرو فانه قال لهم دعوني أصلي على أخي حرام بن ملحان قالوا نعم فصلى عليه ثم أخذ سيفاً وأعنق نحوهم فقاتلهم حتى قتل ، وقال الحارث بن الصمة ما كنت لأرغب بنفسي عن سبيل مضى فيه المنذر والله لأذهبن فلئن ظفر لأظفرن ولئن قتل لأقتلن فذهب وقتل ، واعتق عامر بن الطفيل أسعد بن زيد الدينارى عن رقبة كانت على أمه .

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة الى البلقاء من أرض الشأم فاصيبوا بمؤتة وقد قدمنا ذكرهم قبل هذا الموضع .

وبعث رسول الله (ص) غالب بن عبد الله الكناني الى بني مدلج وهم حلفاؤه

(١) الجبوبة المدرة .

وهم الذين قال الله فيهم ﴿ إذ جاءوكم حصرت صدورهم ﴾ فقالوا لسنا عليك ولسنا معك ولم يجيبوه فقال الناس اغزهم يا رسول الله فقال إن لهم سيداً أديباً إن يأخذ إلا خيرة أموره وإنهم إذا نحروا نجوا ، وإذا لبوا عجوا ، رب غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله .

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم نميلة بن عبد الله الليثي إلى بني ضمرة فرجع الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله قالوا لا نحاربه ولا نسالمه ولا نصدقه ولا نكذبه فقال الناس يا رسو الله اغزهم فقال دعوهم فان فيهم عدداً وسؤدداً ورب شيخ صالح من بني ضمرة غاز في سبيل الله .

وبعث [ص] عمرو بن أمية الضمري إلى بني الديل فرجع فقال يا رسول الله أدركتهم فلولا ، وجئتهم حلولا ، دعوتهم إلى الله ورسوله فأبوا أشد الاباء فقال الناس اغزهم يا رسول الله فقال رسول الله (ص) دعوا بني الديل إياكم ألا إن سيدهم قد صلى وأسلم فيقول أسلموا فيقولون نعم .

وبعث رسول الله (ص) عبد الله بن سهيل بن عمرو العامري الى بني معيص ومحارب بن فهر ومن يليهم من السواحل في خمس مائة فلقيهم على المدير فلما واقعهم دعاهم الى الاسلام فجاء معه نفر فقال رسول الله « ص » تهامة قطيعة الايمان كجذع النخل حلو أوله حلو آخره ،

وبعث صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبيدة بن الجراح على جيش الى ذات القصة وكان بها قوم من محارب وثعلبة وأنمار فخرج أبو عبيدة وأصحابه يسيرون ليلتهم حتى أصبحوا فلما أبصر القوم بهم هربوا وخلفوا إبلهم فغنموا الأموال وأخذوا رجلا واحداً فأتوا به رسول الله فخمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخذ الخمس وفرق الباقي على أصحاب السرية وأسلم الرجل فتركه .

وعمر بن الخطاب على جيش الى زبية قريبة من الطائف فلم يلق كيداً .

وعلي بن أبي طالب عليه السلام على جيش إلى فدك وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن بها جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار علي بن أبي طالب (ع) الليل وكمن النهار حتى صبحهم فقتلهم .

وأبو العوجاء السلمي على سرية فاستشهد كل من كان في السرية فلم ينصرف منهم أحد

وعكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي — أسد بن خزيمة — على سرية الى الغمرة .

وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي الى قطن .

ومحمد بن مسلمة الأنصاري أخو بني حارثة على جيش الى القرطاء من هوازن .

وبشير بن سعد الأنصاري على سرية إلى فدك فاصيب أصحابه جميعاً ولم يرجع منهم أحد ، ثم بعث اليهم غالب بن عبد الله الليثي فجاء بمرداس بن نهيك الفدكي .

ومرة أخرى الى فروحان من أرض خيبر .

وعبد الله بن رواحة الأنصاري على سرية الى خيبر مرتين إحداهما الى أصحاب اليسير بن رزام اليهودي وأصحابه وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله (ص) .

وعبد الله بن أنيس الأنصاري إلى خالد بن سفيان بن نبيح وكان يجمع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ليغزوه فقتله ﴿ ويقال ﴾ لم تكن سرية إنما كان وحده

وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على جيش الى بلعنبر فأصابهم وهم خلوف فجاء بسباياهم فطرحهم في المسجد فركب اليه رجالاتهم فلما دخلوا المسجد صاحوا يا محمد اخرج إلينا وكان فيهم بسامة بن الأعور وسمرة بن عمرو قال الله عز وجل ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم ﴾ فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه وطلبوا اليه أن يحكم سمرة بن جندب وأن يهب لهم ثلثاً ويؤخر ثلثاً ويأخذ ثلثاً فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من أراد أن يعتق من ولد اسماعيل فليعتق من هؤلاء .

وكعب بن عمير الأنصاري على سرية الى ذات أطلاح ويقال الى ذات أباطح فاستشهدوا جميعاً ولم يرجع من السرية أحد .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص على جيش الى ذات السلاسل من أرض الشام وبها ناس من بني عذرة وبلي وقبائل من اليمن ، وكان معه ابو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وأعطاه مالاً وقال استنفر من قدرت عليه فلما شارف القوم نهاهم أن لا يوقدوا ناراً فشق ذلك على المسلمين لشدة القر فقال قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا فكلموا أبا بكر في ذلك فابى عمراً فلم يأذن له فصاح به أبو بكر يا بن بياعة العباء اخرج إلي فابى قال يا بن دباغة القرظ اخرج إلي فابى فلما كان في السحر أغار عليهم فأصاب وظفر فقال لأبي بكر كيف رأيت رأي ابن بياعة العباء وصلى عمرو بن العاص بالناس وهو جنب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره ابو عبيدة بن الجراح فقال عمرو يا رسول الله كان البرد شديداً ولو اغتسلت لمت فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي على سرية الى إضم فلقي عامر بن الأضبط الأشجعي فحمل عليه محلم بن جثامة بن قيس فطعنه فخاصمه عيينة بن حصن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بديته فعجل نصفاً وأخر نصفاً فقام اليه محلم بن قيس فقال يا رسول الله استغفرلي قال قتلت مسلماً لعنك الله فما لبث بعدها إلا خمساً حتى مات .

وعبد الرحمن بن عوف على سرية الى كلب وعممه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعمامة سوداء وأسدلها بين يديه ومن خلفه وقال هكذا فاعتم فانه أشبه وأعرف وأمره إن فتح الله عليه أن يزوجه ابنة سيدهم ففتح الله عليه فتزوج تماضر بنت الأصبغ التي صولحت عن ربع الثمن بثمانين الف دينار .

وأمر صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام حين خرج الى

تبوك (.. « ١ » ..) وكان للمهاجر ابن أمية أميره على صنعاء ، وزياد بن لبيد البياضي على حضرموت وصدقاتها ، وعدي بن حاتم على صدقات طيء ، ومالك بن نويرة اليربوعي على صدقات حنظلة ، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات بني سعد ، وعلي بن أبي طالب (ع) الى أهل نجران يجمع صدقاتهم وأخذ جزيتهم وخالد بن الوليد على سرية إلى دومة الجندل ، وعتاب بن أسيد بن أبي أمية على مكة وأبو سفيان بن حرب على نجران ، ويزيد بن أبي سفيان على تيماء ، وخالد بن سعيد ابن العاص بن أمية على صنعاء فقبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو عليها ، وعمرو ابن سعيد بن العاص بن أمية على قرى عربية ، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية على الخط بالبحرين ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط الى بني المصطلق - وكذب عليهم وقد جئنا بحديثه في غزاة بني المصطلق - والعلاء حليف سعيد بن العاص على القطيف بالبحرين ، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي على الغنائم ، وأبو رهم الغفاري أميره على المدينة حين غزا خيبر [ويقال] أبو رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وأبو رهم الغفاري ايضاً على المدينة في غزاة الفتح وأميره على الموسم والناس بعد على الشرك عتاب بن أسيد فوقف عتاب بالمسلمين ووقف المشركون على حدتهم ، وأبو بكر أميره على الموسم في سنة تسع وبعض الناس مشركون فوقف ابو بكر بالمسلمين ووقف المشركون ناحية على مواقفهم ، وفي تلك السنة وجه

« ١ » بياض في الأصل ، وقد ذكر ابن الأثير في الكامل (ج ٢ ص ١٠٦) [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — حين خرج الى تبوك — استخلف على أهله بالمدينة علي بن أبي طالب (ع) فارجف به المنافقون وقالوا ماخلفه إلا استثقالا فلما سمع علي ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله (ص) فاخبره ما قال المنافقون فقال صلى الله عليه وآله وسلم كذبوا وإنما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فرجع] وذكر مثله ابن عساكر في التاريخ (ج ١ ص ١٠٧) [م . ص

علي بن أبي طالب عليه السلام بسورة براءة فأخذها من أبي بكر فقال ابو بكر يا رسول الله هل نزل فيَّ شيء فقال لا ولكن جبريل قال لي لا يبلغ هذا إلا أنت أو رجل من أهلك فقرأها على أهل مكة ﴿ ويقال ﴾ قرأها على سقاية زمزم وأمن فنادى إن من كان له عهد من رسول الله في تأجيله أربعة اشهر فهو على عهده ومن لم يكن له عنده عهده فقد أجله خمسين ليلة .

وأميره على صلاة وفد ثقيف عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ومعاذ بن جبل على بعض اليمن ، وعلى المقاسم يوم بدر محمية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدى حليف بني جمح ، وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جيش الى ناحية الشأم فانفذه أبو بكر بعد وفاة رسول الله [ص] وكان ابو بكر وعمر في الجيش وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعث السرايا والجيوش قال اغزوا بسم الله في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً .

ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الملوك يدعوهم الى الاسلام فوجه عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى وكتب اليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله الى الناس كافة « لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » فاسلم تسلم فان أبيت فان عليك آثام المجوس ﴾

وكتب اليه كسرى كتاباً جعله بين سرقتي حرير وجعل فيهما مسكاً فلما دفعه الرسول الى النبي فتحه فأخذ قبضة من المسك فشمه وناوله أصحابه وقال لا حاجة لنا في هذا الحرير ليس من لباسنا وقال : لتدخلن في امري أو لآتينك بنفسي ومن معي وأمر الله أسرع من ذلك فأما كتابك فانا أعلم به منك فيه كذا وكذا ، ولم يفتحه ولم يقرأه ورجع الرسول الى كسرى فاخبره ﴿ وقد قيل ﴾ ان كسرى لما وصل اليه الكتاب وكان « ..... » ذراع أدم قدّه شتورا فقال رسول الله [ص]

يمزق الله ملكهم كل ممزق .

ووجه دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر وكتب اليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بداعية الاسلام فاسلم تسلم ويؤتك الله أجرك مرتين « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » فان توليت فان عليك إثم الأريسيين ﴾ .

فكتب هرقل « إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم أنه جاء نبي كتابك مع رسولك وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الانجيل بشرنا بك عيسى بن مريم وإني دعوت الروم الى أن يؤمنوا بك فابوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم ولوددت أني عندك فاخدمك وأغسل قدميك » فقال رسول الله (ص) يبقى ملكهم ما بقى كتابي عندهم .

ووجه عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ، وشجاع بن وهب الى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وحاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية ، وجرير ابن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع الحميري ، والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى من بني تميم بالبحرين ، وعمار بن ياسر الى الأيهم بن النعمان الغساني ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامري الى ابني هوذة بن علي الحنفي باليمامة ، والمهاجر بن أبي أمية الى الحارث بن عبد كلال الحميري ، وخالد بن الوليد الي الديان وبني قنان ، وعمرو بن العاص الى جيفر ، وعباد بن الجلندى الى عمان ، وكتب اليهم جميعاً بمثل ما كتب به الى كسرى وقيصر وسليم بن عمرو الأنصاري الى حضرموت ، وبعث قوماً من أصحابه في قتل قوم من المشركين ، فوجه عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان بن حرب فلم يقتله ، وبعث محمد بن مسلمة وأبا ناثلة سلكان بن سلامة وعباد بن بشر وأبا عبس بن جبر والحارث

ابن أوس في قتل كعب بن الأشرف اليهودي فقتلوه في النضير ، وبعث عبد الله بن رواحة الى اليسير بن رزام اليهودي الخيبري فقتله ، وبعث عبد الله بن عتيك وأبا قتادة بن ربعي وخزاعي بن الأسود ومسعود بن سنان وابن عتيك أميرهم ، في قتل سلام بن أبي الحقيق فقتلوه بخيبر ، وبعث في قتل ابن ابي جذعة وقال للموجه إن أدبته حيا فاقتله وأحرقه بالنار فأصابه قد لسعته حية فمات ، وبعث عبد الله بن أبي حدرد في قتل رفاعة بن قيس الجشمي فقتله ، وبعث علي بن أبي طالب عليه السلام في قتل معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أمية فقتله .

وفود العرب الذين قدموا على رسول الله « ص »

وقدمت عليه وفود العرب ولكل قبيلة رئيس يتقدمهم فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعي بن عبد نهم ، وأشجع ورئيسهم عبد الله بن مالك ، وأسلم ورئيسهم بريدة وسليم ورئيسهم وقاص بن قمامة ، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثامة ، وفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن ، وبنو بكر ورئيسهم عدي بن شراحيل ، وطيء ورئيسهم عدي بن حاتم ، وبجيلة ورئيسهم قيس بن غربة ، والأزد ورئيسهم صرد بن عبد الله وخثعم ورئيسهم عميس بن عمرو ، ووفد نفر من طيء ورئيسهم زيد بن مهلهل وهو زيد الخيل ، وبنو شيبان « .... » وعبد القيس ورئيسهم الأشج العصري ثم وفد الجارود بن المعلى فولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قومه ، وأوفدت ملوك حمير باسلامهم وفوداً وهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ، وكتبوا اليه باسلامهم فبعث اليهم معاذ بن جبل وعكل ورئيسها خزيمة ابن عاصم ، وجذام ورئيسها فروة بن عمرو ، وحضرموت ورئيسها وائل بن حجر الحضرمي ، والضباب ورئيسها ذو الجوشن ، وبنو أسد ورئيسها ضرار بن الأزور ﴿ وقيل ﴾ نقادة بن العايف ، وعامر بن الطفيل في بني عامر فرجع ولم يسلم ، وأربد ابن قيس رجع ولم يسلم ، وبنو الحارث بن كعب رئيسهم يزيد بن عبد المدان ، وبنو

وعليهم عطارد بن حاجب ، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بن نويرة ، وبنو تميم وعليهم ابو ليلى خالد بن الصعب ، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس ابنا حارثة من بني عليم ، وهمدان ورئيسهم مسلمة بن هزان الحداني ، وباهلة ورئيسهم مطرف ابن كاهن الباهلي ، وبنو حنيفة ومعهم مسيلمة بن حبيب الحنفي ومراد ، ورئيسهم فروة بن مسيك ، ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض .

كتاب النبي (ص)

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم الى رؤساء القبائل يدعوهم الى الاسلام ، وكان كتابه الذين يكتبون الوحي والكتب والعهود علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعمرو ابن العاص بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح والمغيرة بن شعبة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وحنظلة بن الربيع وأبي بن كعب وجهيم بن الصلت والحصين النميري .

وكتب صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل اليمن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى أهل اليمن فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو وقع بنا رسولكم مقدمنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغنا ما أرسلتم به وأخبرنا ما كان قبلكم ونبأنا باسلامكم وأن الله قد هداكم أن اصلحتم واطعتم الله واطعتم رسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي والصفي ، وما على المؤمنين من الصدقة عشر ما سقى البعل وسقت السماء ، وما سقي بالقرب نصف العشر وإن في الابل من الأربعين حقة قد استحقت الرحل وهي جذعة ، وفي الخمس والعشرين ابن مخاض ، وفي كل ثلاثين من الابل ابن لبون ، وفي كل عشرين من الابل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ذكر او جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم شاة فانها فريضة الله الذي افترض على المؤمنين ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، فمن أعطى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على الكافرين

فانه من المؤمنين له ذمة الله وذمة رسوله محمد رسول الله ، وأنه من أسلم من يهودي او نصراني فانه من المؤمنين له مثل مالهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يغير عنها وعليه الجزية في كل حالم من ذكر او أنثى حر او عبد دينار واف من قيمة المعافري أو عرضه فمن أدى ذلك الى رسول الله فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين وأن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا أهله انما هي زكاة تؤدونها الى فقراء المؤمنين في سبيل الله وأن مالك بن مرارة قد أبلغ الخبر وحفظ الغيب فآمركم به خيراً ، إني قد أرسلت اليكم من صالحي أهلي وأولى كتابهم وأولى علمهم فامركم به خيراً فانه منظور اليه والسلام ﴾ وكان الرسول بالكتاب معاذ بن جبل .

وكتب إلى همدان ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى عمير ذي مران ومن أسلم من همدان سلم انتم فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد ذلك فانه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الروم فابشروا فان الله قد هداكم بهداه وإنكم إذا شهدتهم أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فان لكم ذمة الله وذمة رسوله على دمائكم وأموالكم وأرض البور التي أسلمتم عليها سهلها وجبلها وعيونها وفروعها غير مظلومين ولا مضيق عليكم ، وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته إنما هي زكاة تزكونها عن اموالكم لفقراء المسلمين ، وان مالك بن مرارة الرهاوي قد حفظ الغيب وبلغ الخبر فآمركم به خيراً فانه منظور اليه ﴾ وكتب علي بن ابي طالب .

وكتب الى نجران ﴿ بسم الله من محمد رسول الله الى اسقفة نجران بسم الله فاني احمد اليكم إله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب اما بعد ذلكم فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد فان ابيتم فالجزية وإن ابيتم آذنتكم بحرب والسلام ﴾ .

وكتب إلى أهل هجر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى أهل هجر سلم أنتم فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني أوصيكم بالله وأنفسكم أن لا تضلوا بعد إذ هديتم ولا تغووا بعد إذ رشدتم أما بعد ذلكم فانه قد جاءني وفدكم فلم آت فيهم إلا ما سرهم وإني لو جهدت حقي كله فيكم أخرجتكم من هجر فشفعت شاهدكم ومننت على غائبكم ، اذكروا نعمة الله عليكم أما بعد فانه قد أتاني ما صنعتم وأن من يجمل منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء فاذا جاءكم امرأؤكم فاطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله فانه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله ولا عندي أما بعد يا منذر بن ساوى فقد حمدك لي رسولي وأنا ان شاء الله مثيبك على عملك ﴾ .

وقدم اليه أهل نجران ورئيسهم ابو حارثة الأسقف ومعه العاقب والسيد وعبد المسيح وكوز وقيس والأيهم ، فوردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دخلوا أظهروا الديباج والصلب ودخلوا بهيئة لم يدخل بها أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعوهم فلقوا رسول الله فدارسوه يومهم وساءلوه ما شاء الله فقال ابو حارثة يا محمد ما تقول في المسيح قال هو عبد الله ورسوله ، فقال تعالى الله عما قلت يا أبا القاسم هو كذا وكذا ونزل فيهم ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ﴾ إلى قوله ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ فرضوا بالمباهلة فلما أصبحوا قال ابو حارثة أنظروا من جاء معه وغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخذاً بيد الحسن والحسين عليهما السلام تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب (ع) بين يديه وغدا العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدر والحلي وقد حفوا بابي حارثة فقال ابو حارثة من هؤلاء معه قالوا هذا ابن عمه وهذه ابنته وهذان ابناها فجثا رسول الله (ص) على ركبتيه ثم ركع فقال ابو حارثة جثا والله

كما نجئو النبيون للمباهلة ، فقال له السيد أدن يا أبا حارثة للمباهلة فقال إني أرى رجلاً حريصاً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً فان كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام ، قال ابو حارثة يا أبا القاسم لا نباهلك ولكنا نعطيك الجزية فصالحهم رسول الله على الفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة اربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك ، وكتب لهم رسول الله كتاباً ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من النبي محمد رسول الله لنجران وحاشيتها إذ كان له عليهم حكمه في كل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق كان أفضل ذلك كله لهم غير الفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة اربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى هذا الحساب ، الف في صفر والف في رجب ، وعليهم ثلاثون ديناراً مثواة رسلي شهراً فما فوق ، وعليهم في كل حرب كانت باليمن دروع عارية مضمونة لهم بذلك جوار الله وذمة محمد ، فمن اكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة ﴾ فقال العاقب يا رسول الله إنا نخاف أن تأخذنا بجناية غيرنا قال فكتب ، ولا يؤخذ أحد بجناية غيره ، شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، وكتب علي بن أبي طالب ، فلما قدموا نجران أسلم الأيهم وأقبل مسلماً .

أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وتزوج إحدى وعشرين امرأة ﴿ وقيل ﴾ ثلاثاً وعشرين ، دخل ببعضهن وطلق بعضاً ولم يدخل ببعض ، واللاتي دخل بهن أولهن ﴿ خديجة ﴾ ابنة خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وولدت أولاده أجمعين خلا ابراهيم ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

ثم ﴿ سودة ﴾ بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لوي ، تزوجها بمكة .

ثم ﴿ عائشة ﴾ بنت ابي بكر بن ابي قحافة ، تزوجها ودخل بها بالمدينة .

ثم ﴿ غزية ﴾ بنت دودان بن عوف بن جابر بن ضباب من بني عامر بن لوي وهي أم شريك التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم ﴿ حفصة ﴾ بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي .

ثم ﴿ زينب ﴾ بنت خزيمة بن الحارث من بني عامر بن صعصعة ، وهي أم المساكين ولم تمت من نسائه عنده غيرها وغير خديجة .

ثم ﴿ أم حبيبة ﴾ بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

ثم ﴿ زينب ﴾ بنت جحش بن رئاب بن قيس بن يعمر بن صبرة من بني أسد بن خزيمة .

ثم ﴿ أم سلمة ﴾ بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

ثم ﴿ جويرية ﴾ واسمها « برة » بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية من خزاعة

ثم ﴿ صفية ﴾ بنت حيي بن اخطب من بني النجار من سبط هارون النبي .

ثم ﴿ ميمونة ﴾ بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالي .

ثم ﴿ مارية ﴾ أم ابراهيم .

هؤلاء اللاتي دخل بهن طلق منهن أم شريك وأرجأ منهن سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة ، وآوى عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة ،

والنسوة اللاتي لم يدخل بهن ﴿ خولة ﴾ بنت الهذيل بن هبيرة الثعلبية ، هلكت في الطريق قبل وصولها اليه ﴿ وشراف ﴾ أخت دحية بن خليفة الكلبي ، حملت اليه فهلكت قبل دخولها عليه ﴿ وسنا ﴾ بنت الصلت بن حبيب بن حارثة السلمي ماتت قبل أن تصل اليه ﴿ وريحانة ﴾ بنت شمعون القريظية ، عرض عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاسلام فأبت إلا اليهودية فعزلها ثم أسلمت بعد فعرض عليها التزويج فاجابت وضرب الحجاب فقالت بل تتركني في ملكك يا رسول الله فلم تزل في ملكه حتى قبض ﴿ وأسماء ﴾ بنت النعمان الكندي من بني آكل المرار

كانت من أجمل نسائه وأتمهن فقلن لها نساؤه إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله إذا دخلت عليه ، فلما دخل وأرخى الستر قالت أعوذ بالله منك فصرف وجهه عنها ثم قال أمن عائذ الله إلحقي باهلك ، فخلف على أسماء بنت النعمان الكندي المهاجر ابن أمية المخزومي ، ثم خلف عليها بعد المهاجر قيس بن مكشوح المرادي ﴿ وقتيلة ﴾ بنت قيس بن معدي كرب ، وهي أخت الأشعث بن قيس بن فلان (١) قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل خروجها اليه من اليمن فخلف عليها عكرمة بن أبي جهل ﴿ وعمرة ﴾ بنت يزيد بن عبيد بن رواس الكلابي ، بلغه أن بها بياضاً فطلقها ولم يدخل بها ﴿ والعالية ﴾ بنت ظبيان بن عمرو الكلابي طلقها ﴿ والجونية ﴾ امرأة من كندة وليست بأسماء كان ابو أسيد الساعدي قدم بهـا عليه فوليت عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها فقالت إحداهما لها إن رسول الله يعجبه من المرأة إذا دخل عليها ومد يده اليها أن قالت أعوذ بالله منك ففعلت ذلك فوضع يده على وجهه واستتر بها وقال عذت فعاذت (٢) ثلاث مرات ثم خرج وامر أبا أسيد الساعدي أن يمتعها برازقيتين ويلحقها باهلها فزعموا انها ماتت كمداً ﴿ وليلى ﴾ بنت الحطيم الأوسي أتته وهو غافل فخطأت منكبه فقال من هذا اكله الأسود قالت انا بنت الحطيم وابى مطعم الطير وقد جئتك اعرض نفسي عليك ، قال قد قبلتك فاتت نساءها فقلن لها بئس ما صنعت انت امرأة غيور ورسول الله كثير الضرائر إنا نخاف ان تغاري فيدعو عليك فتهلكي إستقيليه فاتته فاستقالته فاقالها فدخلت حائطاً من حيطان المدينة فاكلها الأسود ﴿ وصفية ﴾ بنت بشامة العنبرية ، عرض عليها المقام عنده اورد ها إلى اهلها فاختارت اهلها فردها ﴿ وضباعة ﴾ بنت عامر القيسية كانت عند عبد الله

(١) فلان — هو معدي كرب .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصحيح [عذت بمعاذ] كما في نهاية ابن الأثير وغيرها .

(م . ص)

ابن جدعان فطلقها ثم تزوجها هشام بن المغيرة فولدها سلمة فخطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى سلمة فقال استأمرها فقالت أفي رسول الله ؟ رضيت فبلغه عنها كبر فأمسك عنها

مولد ابراهيم ابن رسول الله « ص »

وولد ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه مارية القبطية في ذي الحجة سنة ثمان ولما ولد هبط جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال السلام عليك يا أبا ابراهيم وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه فدفعه رسول الله (ص) الى أم بردة بنت المنذر بن زيد من بني النجار ، وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكبش ، وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله امرأة أبي رافع فجاء ابو رافع الى رسول الله فاخبره فوهب له عبداً وغارت نساء رسول الله واشتد عليهن حيث رزق منها ولداً ﴿ فروى ﴾ الزهري عن عروة عن عائشة قالت دخل علي رسول الله ومعه ابنه ابراهيم يحمله فقال انظري الى شبهه بي ، قالت عائشة أرى شبهها قال أما ترين بياضه ولحمه قالت من قصر عليه اللقاح أبيض وسمن [وتوفي] ابراهيم في سنة عشر وله سنة وعشرة أشهر وكسفت الشمس ساعتين من النهار فقال الناس كسفت لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم فافزعوا الى مساجدكم ، وقال (ص) إن العين تدمع والقلب يخشع وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون ولكنا لا نقول ما يسخط الرب .

وأعتق صلى الله عليه وآله وسلم جماعة عبيداً واماءً منهم زيد بن حارثة بن شراحيل . وأسامة بن زيد ، وابو رافع — قبطي أهداه له المقوقس — وأنسة وكان حبشياً ، وابو كبشة وكان فارسياً ، وأبو لبابة ، وابو لقيط ، وابو أيمن وابو هند ، ورافع ، وسفينة ، وثوبان ، وصالح (وهو شقران) وأم أيمن حبشية كان ابو طالب خلفها عليه واسمها « بركة » ويقال « خضرة » ويقال إنه ورثها

عن أبيه وكان يسمي كل شي له .

وكانت رايته صلى الله عليه وآله وسلم العقاب وكانت سوداء على عمل الطيلسان وكان له سيف يقال له المخذم وسيف يقال له الرسوب ، وسيفه الذي يلزمه ذوالفقار ﴿ وقد روي ﴾ أن جبريل نزل به من السماء فكان طوله سبعة أشبار وعرضه شبر وفي وسطه كال (١)

وكانت عليه (ص) قبيعة فضة وفيه حلقتان فضة ورمحه المثوي (٢) وحربته العنزة وكان يمشي بها في الأعياد بين يديه ويقول هكذا أخلاق السنن ، وقوسه الكتوم ، وكانته الكافور ، ونبله المتصله ، وترسه الزلوق ، ومغفره السبوغ ودرعه ذات الفضول وفيها زردتان زائدتان ، وفرسه السكب ، وفرس آخر المرتجز وفرس آخر السجل ، وفرس آخر البحر .

وأجرى (ص) الخيل فجاء فرسه سابقا فجثا على ركبتيه وقال ما هو إلا البحر وكان يقول ﴿ الخيل في نواصيها الخير ﴾ وكانت له ناقة يقال لها القصوى ، وناقة يقال لها العضباء . وناقة يقال لها الجدعاء .

وسابق صلى الله عليه وآله وسلم بالابل فجاءت ناقته العضباء سابقة وعليها أسامة ابن زيد فقال الناس سبق رسول الله . فقال رسول الله (ص) سبق أسامة .

وكانت بغلته الشهباء يقال لها [الدلدل] أهداها له المقوقس . وبغلة أخرى طويلة مرتفعة يقال لها « الايلية » وحماره اليعفور .

وكانت له شاة يشرب من لبنها يقال لها « غيثة » وقدح يقال له « الريان »

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصحيح ﴿ فقار ﴾ وفي النهاية لابن الأثير بمادة [فقر] إنه كان اسم سيف النبي (ص) ذا الفقار لأنه كان فيه حفر صغار

(٢) في الحديث ، إن رمح النبي (ص) كان اسمه المثوي — بصيغة اسم الفاعل — سمي به لأنه يثبت المطعون به من الثوى الاقامة (نهاية ابن الأثير)

وقدح يقال له العير ، وقضيب يقال له المشوق ، وحبة يقال لها الكن ، وعمامة سوداء يقال لها السحاب [وذكر ابوالبختري] أنه كان له منطقة من أدم مشورة فيها إبزيم وثلاث حلقات كالفلك من فضة فانه كان يلبس برود الحبر أزراً أو أردية البيضاء ، والقلنسوة الحبر ، والجبة السندس الخضراء ، وليس بالذي عن لبسها فما لبس الصوف حتى قبضه الله اليه .

وكان له فراش أدم ، وكان يلبس الملحفة المصبوغة بالزعفران والورس ويلبس الازار الواحد يعقده بين كتفيه .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتطيب حتى يصبغ الطيب رداءه من موضع رأسه وحتى يرى وميض المسك من مفرقه ، وحتى يعرف مجيئه بطيب رائحته من بعيد قبل ان يرى ، وكان يقول أطيب الطيب المسك ، وكان لا يعرض عليه طيب إلا تطيب منه .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الخروج من منزله امتشط وسوى جمته وأصلح شعره ، وكان يقول إن الله يحب من عبده أن يكون له حسن الهيئة [ويروى] أنه كان يلبس البرنس والشملة ، وكان له ثوبان ، وكان يلبس الخاتم ويصير فصه مما يلي الكف ويلبسه في اليد اليمنى واليد اليسرى ويضعه في إصبعه الوسطى في المفصل ويديره في أصابع يده .

خطب رسول الله (ص) ومواعظه وتأديبه بالاخلاق الشريفة

وكان يخطب أصحابه ويعظهم ويعلمهم محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال [خطب] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال في خطبته : أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . وإن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى ولا يدري ما الله صانع فيه وأجل قد بقي ما يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته . في الشبيبة قبل الكبر . وفي

ذلك من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ألا أنبئكم بشر من ذلك من يبغض الناس ويبغضونه ﴿ وقيل له ﴾ ما أفضل ما أعطي العبد ﴿ قال ﴾ نحيزة (١) من عقل يولد معه ، قالوا فاذا أخطأه ذلك ﴿ قال ﴾ فليتعلم عقلا ، قالوا فان أخطأه ذلك ﴿ قال ﴾ فليتخذ صاحباً في الله غير حسود ، قالوا فان أخطأه ذلك ﴿ قال ﴾ عليه بالصمت ، قالوا فان أخطأه ذلك ﴿ قال ﴾ فميتة قاضية ﴿ وقال ﴾ لرجل من ثقيف ماالمروة فيكم ، فقال : الصلاح في الدين وإصلاح المعيشة وسخاء النفس وحسن الخلق فقال : كذلك هي فينا ﴿ وقال ﴾ من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه إن الله عند لسان كل قائل فلينظر قائل ما يقول ﴿ وقال ﴾ ما أتاني جبريل إلا ووعظني ﴿ وقال ﴾ في آخر قوله إياك والمشازرة (٢) فانها تكشف العورة وتذهب بالعز ﴿ وسأله ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال له ما عندي شيء ، فقال له عدني فقال اني لأستعمل الرجل وغيره يكون أيقظ عيناً وأمثل رجلة وأشد مكيدة وإني لأعطي الرجل وغيره أحب الي منه أعطيه تألفاً (وقال) من لم يحمد عدلاً ويذم جوراً فقد بارز الله بالمحاربة (وقال) أشرف الأعمال ثلاثة ذكر الله عز وجل على كل حال وانصاف الناس من نفسك ، ومواساة الاخوان (وقال) موت البنات من المكرمات (وقال) الصبر عند الله ضد الغيرة ولا يملكه احد ، وعظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه (وقال) ان أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم أخلاقاً (وقال) كل معروف صدقة وما وقي به اللسان صدقة ، فقيل لمحمد بن المنكدر وما ذاك . قال إعطاء الشاعر وذي اللسان (وقال) ما من ذنب إلا وله عند الله التوبة الا سوء الخلق انه لا يخرج من شيء الا وقع في شر منه (وقال) اياك ومهلك فان ذا مهل قتل أخاه ونفسه وسلطانه . وأتاه رجل فقال له ألك مال كل . قال نعم من أكل المال . فقال

(١) النحيزة . الطبيعة (يقال هو كريم النحيزة) .

(٢) المشازرة : المعاداة . (المنجد)

إذا الله انعم عليك بنعمته فليبن (١) عليك [وقال] لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله إني لأحب أن تكون دابتي فارهة وثيابي جياداً حتى ذكر شراك نعله وعلاقة سوطه ﴿ فقال ﴾ إن الله جميل يحب الجمال فانما الكبر أن يمنع الحق ويغمص الباطل ﴿ وسأل ﴾ سائل رسول الله فقال ما أصبح في بيت آل محمد غير صاع من طعام وإنهم لأهل تسعة أبيات فهل لهم عنه غنى ، ولم يرد صلى الله عليه وآله وسلم سائلاً قط وإنه كان يعالج حظاء (١) من جريد فمر به رجل ، فقال أكفيكه يا رسول الله ، فقال شأنك فلما فرغ منه ، قال له ألك حاجة قال نعم تضمن لي على الله الجنة فأطرق طويلا ثم رفع رأسه اليه ، فقال ذلك لك فلما ولى ناداه يا عبد الله أعني بطول السجود .

وخطب صلى الله عليه وآله وسلم على ناقته فقال : يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا كتب وكأن الحق على غيرنا وجب وكأن الذين يشيعون من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وآمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال قد اكتسبه من غير معصية ، ورحم ، وصاحب أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن أذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره ووسعته السنة ولم يعدها (٣) الى البدعة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم وعظني جبريل فقال لي أحبب (٤) من شئت

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح [فلتبين عليك] أي فلتظهر عليك آثاره

(٢) حظاء بكسر الحاء المهملة جمع حظوة وهو السهم الصغير الذي لا نصل له . ويعالجه أي يصلحه . (نهاية)

(٣) كذا في الأصل والظاهر (ولم يتعدها) .

(٤) كتب في هامش الأصل بدل هذه النسخة (أحبب من أحببت فانك —

فانك ميت واعمل ما شئت فانك ملاقيه « وقال » صلى الله عليه وآله وسلم من طلب الرزق من حله فليبذر على الله « وقال » استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا ﴿ وقال ﴾ لا طلاق إلا بعد نكاح ولا عتق إلا بعد ملك ولا صمت إلا من خدوة الى الليل ولا وصال في صيام ولا رضاع بعد فطام ولا يتم بعد احتلام ولا يمين لامرأة مع زوجها ولا يمين لولد مع والده ولا يمين للمملوك مع سيده ولا تعرب بعد الهجرة ولا يمين في قطيعة رحم ولا نذر في معصية ، ولو أن أعرابياً حج عشر حجج ثم هاجر كان فريضة الاسلام عليه إذا استطاع اليه سبيلا ، ولو أن مملوكاً حج عشر حجج ثم عتق كان فريضة الاسلام عليه إن استطاع اليه سبيلا ﴿ وقال ﴾ أعظم الذنوب عند الله أصغرها عند العباد وأصغر الذنوب عند الله أعظمها عند العباد ﴿ وقال ﴾ لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ، والناس سواء كأسنان المشط ، والمرء كثير باخيه ، ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، والمستشار مؤتمن ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم او سكت فسلم (وذكر) الخيل فقال صلى الله عليه وآله وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير بطونها كنز وظهورها حرز « وأجرى » الخيل فجاء فرس له أدهم سابقاً فجثا على ركبتيه ثم قال ما هو إلا البحر ﴿ وقال ﴾ يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ﴿ وقال ﴾ ان الله عز وجل يقول ويل للذين يخلون الدنيا بالدين ، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقية ، اياي يغرون ، أم علي يجترئون ، فاني حلفت لاتيحنهم فتنة تترك الحليم منهم حيران .

﴿ وروي عنه ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال كان تحت الجدار الذي ذكره الله

— مفارقه ، وافعل ما شئت فانك مجزي عليه ، وعش ماشئت فانك ميت) (م ص)

عز وجل في كتابه (كنز لها) كان الكنز لوحاً من ذهب مكتوب فيه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم عجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح عجباً لمن يوقن بالقدر كيف يحزن عجباً لمن يوقن بالنار كيف يضحك عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمأن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ ﴿ وقال ﴾ للطاعم الشاكر أجر الجائع الصابر ولئن يعافى أحدكم فيشكر خير له من أن يبيت قائماً ويصبح صائماً معجباً [وقال | لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، قيل يا رسول الله فكيف يذل نفسه قال يعرضها لما لا تطيق من البلاء « وقال » اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ﴿ ووجد ﴾ في كتاب عند أسماء بنت عميس من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآجلات الجانيات المعقبات رشداً باقياً خير من العاجلات العابدات المعقبات غياً باقياً ، المسلم عفيف من المظالم عفيف من المحارم ، بئس العبد عبد هواه يضله ، بئس العبد عبد رغب اليه بذلة بئس العبد عبد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ﴿ وقال ﴾ أربع من قواصم الظهر إمام تطيعه ويضلك ، وزوجة تأمنها وتخونك ، وجار سوء إن علم سوءً أذاعه وإن علم خيراً ستره ، وفقير إذا نحل لم يجد صاحبه ﴿ وقال ﴾ ما من عبد إلا وفي علمه وحلمه نقص ألا ترون أن رزقه يجري بالزيادة فيظل مسروراً مغتبطاً وهذان الليل والنهار يجريان بنقص عمره لا يحزنه ذلك ولا يحتفل به ، ضل ضلاله ما أغنى عنه رزق يزيد وعمر ينقص ﴿ وقال ﴾ إن بني اسرائيل أذهبوا خشية الله من قلوبهم فحضرت أبدانهم وغابت قلوبهم وإن الله لا يقبل من عبد لا يحضر من قلبه ما يحضر من بدنه ﴿ وقال ﴾ من ازداد علماً ثم لم يزدد زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً ، من أعان إماماً جائراً ولم يخطئه لم يفارق قدمه قدمه بين يدي الله حتى يأمر به « الى النار » ﴿ وأتاه رجل ﴾ من بني قشير يقال له قرة بن هبيرة فقال يا رسول الله كانت لنا أرباب وربات فهدانا الله بك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم اكثر اهل الجنة البله وأهل عليين ذوو الألباب ﴿ وقال ﴾ الأئمة من قريش لكم عليهم حق ولهم عليكم حق

ماحكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا ﴿ ووقف «ص» ﴾ على بيت فيه جماعة من قريش فقال إنكم ستولون هذا الأمر ومن وليه منكم فاسترحم فلم يرحم وحكم فلم يعدل وعاهد فلم يف فعليه لعنة الله ﴿ وقال ﴾ الدين النصيحة الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ، قال لله ولكتابه ولنبيه ولائمة الحق ﴿ وقال ﴾ بالحنيف من منى نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها حتى يبلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن ، اخلاص العمل ، وصحة الورع ، والنصيحة لولاة الأمر [وقال] للمسلم على أخيه المسلم من المعروف ست يسلم عليه اذا لقيه وينصح له اذا غاب عنه ويعوده اذا مرض ويشيع جنازته اذا مات ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ﴿ وقال ﴾ أنصر أخاك ظالماً او مظلوماً قالوا يارسول الله كيف ننصره ظالماً ، قال يكفه عن الظلم (وقال) اذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة من صدقة جارية أو علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له (وقال) ثلاثة لاترد لهم دعوة ، المظلوم وامام عادل والصائم حتى يفطر (وقال) ثلاث يتبعن ابن آدم بعد موته سنة سنها في المسلمين فعمل بها فله أجرها وأجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، وصدقة تصدق بها من مال أو ثمر فما جرت تلك الصدقة فهي له ، ورجل ترك ذرية يدعون له .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته شر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولكل شيء آفة وآفة هذا الرأي الهوى (وقال) اكفلوا لي ستا اكفل لكم الجنة اذا حدثتم فلا تكذبوا ، واذا ائتمنتم فلا تخونوا . واذا وعدتم فلا تخلفوا . كفوا ألسنتكم . وغضوا أبصاركم . وصونوا فروجكم [وقال «ص»] يقول الله عزوجل لا يزال عبدي يصدق حتى يكتب صديقاً ولا يزال عبدي يكذب حتى يكتب كذابا ﴿ وقال ﴾ ويل للذي يتحدث بالكذب ليضحك به القوم ويل له وويل له [وروي] أنه قال عليكم بالصدق وان ظننتم فيه الهلكة فان عاقبته النجاة واياكم

والكذب وإن ظننتم فيه النجاة فان عاقبته الهلكة ﴿ وقال ﴾ من خلف على مال أخيه ظالماً فليتبوأ مقعده من النار ، فقال رجل وإن كان يسيراً يا رسول الله فقال ولو كان قضيباً من أراك ، ومن اقتطع حق امرئ بؤمن بيمينه فقد أوجب الله عليه النار وحرم عليه الجنة .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لو كان لي مثل شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني كذوباً ولا جباناً ولا بخيلاً [وقال] له رجل يا رسول الله أعطني رداءك فألقاه عليه فقال ما أريده قال قاتلك الله أردت أن تبخلني ولم يجعلني الله بخيلاً (وقال) خياركم من يرجى خيره ولا يتقى شره وشراركم من يتقى شره ولا يرجى خيره فان الله اكرمكم بالاسلام فزينوه بالسخاء وحسن الخلق (وقال) صلى الله عليه وآله وسلم الخير أسرع الى البيت الذي يغشى من الشفرة الى سنام البعير [وقال (ص)] إياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا ، اللؤم كفر والكفر في النار ، قال الله عز وجل [ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون] (وقال « ص ») رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل النكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وإن أول أهل الجنة دخولا أهل المعروف ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تعطي صلة الحبل ، ولو شسع النعل ، ولو أن تفرغ من دلوك في أناء المستسقي ، ولو أن تنحي الشيء عن طريق الناس يؤذيهم ، ولو أن تلقى أخاك فتسلم عليه ، ولو أن تلقاه ووجهك اليه منطلق ، ولو أن رجلا سبك بأمر يعلمه فيك تعلم فيه نحوه فلا تسبه ليكون لك أجر ذلك ويكون عليه وزره (وقال) إن الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف

اليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث الى الأرض الجدبة ليحييها ويحيي بها أهلها وإن الله جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض اليهم المعروف وبغّض اليهم فعاله وحظر على طلاب المعروف الطلب وحظر عليهم إعطاءه كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها أو يعفو الله عن اكثره ﴿ وقال ﴾ الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق الى الله أحسن الناس الى عياله [وسأله رجل] فقال أي الناس أحب الى الله فقال أنفع الناس للناس [قال] فأي الأعمال أحب الى الله قال ادخال سرور على مسلم إطعام جوعته وكساء عورته وقضاء دينه (وقال) إن الله ينصب للغادر لواءاً يوم القيامة فيقال ألا إن هذا لواء فلان (وقال له) بعضهم أخبرنا بخصال يعرف المنافق بها ﴿ فقال ﴾ من حلف فكذب ووعد فأخلف وخاصم ففجر وأوتمن فخان وعاهد فغدر [وقال] إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى أنه يقول له فما منعك أن رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله عبده حجته قال يا رب إني وثقت بك وخفت من الناس [وقال] من أعطي عطاء ووجد فليجزه فان لم يجزه فليثن به ومن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ، وقال له قوم من المهاجرين يا رسول الله إخواننا من الأنصار واسونا وبذلوا لنا وقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله [فقال] إلا ما أثنيتم به عليهم ودعوتم الله لهم [وقال] والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد شيئاً بغير حقه إلا لقي الله بحمله يوم القيامة [وقال] الهدية تذهب السخيمة وتجدد الأخوة وتثبت المودة [وقال] لو أهدي إلي كراع لقبلته ولو دعيت اليه لأجبت [وقال] ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ، وصدقة المؤمن ظله او ظله من صدقته [وروي عنه] صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما من الأعمال شيء أحب إلي من ثلاثة إشباع جوعة المسلم وقضاء دينه وتنفيس كربته ، من نفس عن مؤمن كربته نفس الله عنه كرب يوم القيامة والله في عون عبده ما كان العبد في عون أخيه [وقال] إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة لذي فقر مدقع ولذي عسر مفظع ولذي دم مفجع

[وقال] من سأل وله أوقية والأوقية أربعون درهماً فقد سأل الناس الحافاً (وسأله) رجلان وهو يقسم مغانم خيبر « فقال » لاحظ لغني ولا لقوي مكتسب (وقال) لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة « ١ » سوي (وقال) من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم (قيل) يا رسول الله ما يغنيه قال لغداته أو لعشاته (وقيل له) يا رسول ما الغناء قال غداء وعشاء (وقال) من سأل عن ظهر غنى جاء يوم القيامة بوجهه كدوح يعرف بها (قالوا) يا رسول الله ما ظهر غنى قال قوت ليلة أو قوت يوم [وسأله] حكيم بن حزام فاعطاه فقال إن هذا المال خضر فمن أخذه بطيب نفس بستر بورك له فيه ومن أخذه باشراف لم يبارك له فيه فكان كآكل يأكل ولا يشبع : وسأله : الأنصار فلم يسألوه شيئاً إلا أعطاهم حتى أنفدوا ما عنده [ثم قال] أما بعد يا معشر الأنصار ما يكن عندنا من خير فلن أوخره عنكم وإنه من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يصبر يصبره الله ولن يعطي عبد أفضل ولا أوسع من الصبر : وقال : من يضمن لي خلة أضمن له الجنة فقيل ما هي يا رسول الله قال أن لا تسأل أحداً شيئاً ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر (رض) يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تنهض من فراشك الى مسجدك كيف تصنع ، قلت الله ورسوله أعلم ، قال تتعفف ﴿ وقال ﴾ لا يفتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (وقال) الأيدي ثلاث فيد الله العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل السفلى الى يوم القيامة ، فاستعفف عن السؤال ما استطعت (وقال) لبعضهم ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مشرف فخذه فتموله أو تصدق به (وقال) لا صدقة إلا عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف (وقال) المسألة خروج في وجه الرجل يوم القيامة إلا أن يسأل سلطانه أو من لا بد منه ﴿ وقيل له ﴾ أي الصدقة أفضل

« ١ » المرة بفتح الميم وتشديد الراء القوة والشدة . والسوي الصحيح الأعضاء (نهاية)

(فقال) أن تصدق وأنت صحيح تخاف الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا (وقال) من أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهو له صدقة ، ومن سره الانساء في الأجل والمد في الرزق فليصل رحمه ﴿ وقال ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم ﴿ وأتاه رجل ﴾ فقال من أبر قال أمك وأباك وأخاك وأختك وأدناك أدناك (وقال) يقول الله تبارك وتعالى من وقر أباه أطلت في أيامه ومن وقر أمه رأى لبنيه بنين (وقال) ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور (وقال) من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ﴿ وقال ﴾ أربع من سنن المرسلين الحياء والنكاح والحلم والسواك ﴿ وقال (ص) ﴾ قال الله سبحانه وتعالى لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لأولين عليكم شراركم ولأجعلن أموالكم في أيدي بخلائكم ولأمنعكم قطر السماء ثم ليدعوني خياركم فلا أستجيب لهم ويسترحموني فلا أرحمهم ويستسقوني فلا أسقيهم ﴿ وقال ﴾ أربع من كن فيه كمل اسلامه وإن كان ما بين قرنه الى قدمه خطاء الأمر بالمعروف والحياء والشكر وحسن الخلق ، وأربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة إيواء اليتيم ورحمة .. (١) .. ورفق بمملوكه وشفق على والديه ﴿ وقال (ص) ﴾ التودد الى الناس نصف الايمان والرفق نصف العيش وما عال امرؤ وفى اقتصاده .

* *
*

(١) بياض في الأصل ، وقد ذكر هذا الحديث الصدوق ابن بابويه في باب الأربعة من الخصال ص ١٠٦ كما يلي « أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة من آوى اليتيم ورحم الضعيف وأشفق على والديه ورفق بمملوكه » (م . ص)

حجة الوداع

وحج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر وهي حجة الاسلام خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة حتى أتى ذا الحليفة لبس ثوبين صحاريين أزار ورداء ﴿ وقيل ﴾ خرج من المدينة وقد لبس الثوبين ودخل المسجد بذي الحليفة وصلى ركعتين وكنّ نساؤه جميعاً معه ثم خرج فاشعر بُدنه من الجانب الأيمن ثم ركب ناقته القصوى فلما استوت به على البيداء أهل بالحج ﴿ وقال الواقدي ﴾ عن الزهري عن سالم عن أبيه ، وعن الزهري في اسناد له عن سعد بن أبي وقاص قالا أهل رسول الله متمتعاً بالعمرة الى الحج ﴿ وقال بعضهم ﴾ بالحج مفرداً ﴿ وقال بعضهم ﴾ بحجة وعمرة ، ودخل مكة نهاراً من كداء — وهي عقبة المدنيين — على راحلته حتى انتهى الى البيت فلما رأى البيت رفع يديه فوق زمام ناقته ، وبدأ بالطواف قبل الصلاة وخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر ويوم عرفة حين زالت الشمس على راحلته قبل الصلاة من الغد يوم منى ، فقال (ص) في خطبته ، نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم بلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم ، إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأئمة الحق ، واللزوم لجماعة المؤمنين ، فان دعوتهم محيطة من ورائهم ، ودعا بالبدن فصفت بين يديه وكانت مائة بدنة فنحر منها بيده ستين بدنة ﴿ وقيل ﴾ أربعاً وستين وأعطى علياً عليه السلام سائرها فنحرها وأخذ من كل ناقة بضعة فجمعت في قدر واحدة فطبخت بالماء والملح ثم اكل هو وعلي عليه السلام وحسا من المرق ورمى جمرة العقبة على ناقته ووقف عند زمزم وأمر ربيعة بن أمية بن خلف فوقف تحت صدر راحلته وكان صيتاً فقال يا ربيعة قل يا أيها الناس إن رسول الله يقول لعلكم لا تلقوني على مثل حالي هذه وعليكم هذا هل تدرون أي بلد هذا وهل تدرون أي شهر هذا وهل تدرون أي يوم هذا ، فقال الناس نعم هذا البلد الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام

قال ﴿ ص ﴾ فان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة بلدكم هذا وكحرمة شهركم هذا وكحرمة يومكم هذا ، ألا هل بلغت قالوا نعم ﴿ قال ﴾ اللهم اشهد واتقوا الله ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ فمن كانت عنده أمانة فليؤدها ﴿ ثم قال [ص] ﴾ الناس في الاسلام سواء ، الناس طف الصاع (١) لآدم وحواء لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بتقوى الله ، ألا هل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال « ص » ﴾ لا تأتوني بأنسابكم وأتوني باعمالكم فأقول للناس هكذا ولكم هكذا ، ألا هل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال « ص » ﴾ كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول دم أضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان آدم بن ربيعة مسترضعاً في هذيل فقتله بنو سعد بن بكر ﴿ وقيل ﴾ في بني ليث فقتلته هذيل ، ألا هل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ قال (ص) ﴾ وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ، ألا هل بلغت ، قالوا نعم قال اللهم اشهد [قال] يا أيها الناس [إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله [ألا وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض [وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم] رجب الذي بين جمادى وشعبان يدعونه رجب مضر (٢) وثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ألا هل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد [قال (ص)] أوصيكم بالنساء خيراً فانما هن عوار عندكم لا يملكن لأنفسهن

(١) أي قريب بعضكم من بعض ، يقال هذا طف المكيال وطفافه أي ماقرب من ملئه ، وقيل هو ما علا فوق رأسه .

(٢) في الحديث (رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) أضاف رجباً الى مضر لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم فكانهم اختصوا به . (نهاية)

شيئاً وإنما اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق كسوتهن ورزقهن بالمعروف ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحداً ولا يأذن في بيوتكم إلا بعلمكم واذنكم فان فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرّح ، ألاهل بلغت قالوا نعم ، قال اللهم اشهد [قال ص] فاوصيكم بمن ملكت أيمانكم فاطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون وأن أذنبوا فكانوا عقوباتهم إلى شراركم ، ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد قال (ص) إن المسلم أخو المسلم لا يغشه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحل له دمه ولا شيء من ماله إلا بطيب نفسه ، ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد

﴿ ثم قال ص ﴾ إن الشيطان قد يئس أن يعبد بعد اليوم ولكن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون فقد رضي به ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال ﴾ « ص » أعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله وضارب غير ضاربه ومن كفر نعمة مواليه فقد كفر بما أنزل الله على محمد ومن انتمى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال ﴾ « ص » ألا إني إنما امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله وإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق وحسابهم على الله ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد (ثم قال ص) لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يملك بعضكم رقاب بعض إني قد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ألاهل بلغت ، قالوا نعم ، قال اللهم اشهد ﴿ ثم قال ص ﴾ إنكم مسئولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

ولم ينزل صلى الله عليه وآله وسلم مكة ، وقيل له في ذلك لو نزلت يا رسول الله بعض منازلك ، فقال ما كنت لأنزل بلداً أخرجت منه ، ولما كان يوم النفر دخل البيت فودع ونزل عليه [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الاسلام دينا]

وخرج (ص) ليلا منصرفا إلى المدينة فصار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له « غدير خم » لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة وقام خطيبا واخذ بيد علي بن أبي طالب (ع) فقال : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ﴿ ثم قال ص ﴾ أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، قالوا وما الثقلان يا رسول الله قال الثقل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بايديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي .

الوفاة

ولما قدم صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أقام أياما وعقد لأسامة بن زيد بن حارثة على جلة المهاجرين والأنصار وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه من أرض الشام (وروي) عن أسامة أنه قال أمرني رسول الله أن أغزو ﴿ ببنى ﴾ من ارض فلسطين صباحا ثم أحرق ﴿ وروى آخرون ﴾ أن رسول الله ﴿ ص ﴾ أمره أن يوطئ الخيل أرض البلقاء ، وكان في الجيش أبو بكر وعمر وتكلم قوم وقالوا حدث السن وابن سبع عشرة سنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم لئن طعنتم عليه فقبله طعنتم على أبيه وإن كانا لخليقين للامارة ، واشتكى رسول الله « ص » قبل أن ينفذ الجيش وكان أسامة مقيما بالجرف فلما اشتدت عليه قال أنفذوا جيش أسامة فقالها مرارا واعتل أربعة عشر يوما ﴿ وتوفي ﴾ يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ، ومن شهور العجم أذار ، وكان قران العقرب [قال ما شاء الله المنجم] كان طالع السنة التي توفي فيها رسول الله وهو القران الرابع من مولده الجدي ثماني عشرة درجة والزهرة فى . . . . سبع عشرة درجة ، والشمس في الحمل دقيقة ، والقمر في الحمل

درجتين وثلاثين دقيقة ، وعطارد ..... احدى عشرة درجة وثلاث عشرة دقيقة والمشتري في الميزان ثلاثاً وعشرين درجة واربع دقائق راجعاً ، والمريخ في الجدي خمس دقائق ﴿ وقال الخوارزمي ﴾ كانت الشمس يوم توفي رسول الله في الجوزاء ست درجات ، والقمر في الجوزاء ثلثاً وعشرين درجة ، وزحل في القوس تسعاً وعشرين درجة ، والمريخ في الحوت أحدى عشرة درجة ، والزهرة في السرطان ثماني عشرة درجة ، وعطارد في الجوزاء ثماني وعشرين درجة ، والرأس في الجدي خمساً وعشرين درجة .

وكان سنه ثلاثاً وستين سنة ، وغسله علي بن أبي طالب عليه السلام والفضل بن العباس بن عبد المطلب وأسامة بن زيد يناولان الماء وسمعوا صوتاً من البيت يسمعون الصوت ولا يرون الشخص فقال ﴿ السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، لتبلون في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور ، إن في الله خلفاً من كل هالك ، وعزاء من كل مصيبة ، عظم الله أجوركم والسلام ورحمة الله ﴾ فقيل لجعفر بن محمد من كنتم ترونه فقال جبريل .

وكفن صلى الله عليه وآله وسلم في ثوبين صحاريين وبرد حبرة ونزل قبره علي ابن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب ﴿ وقيل ﴾ الفضل بن العباس وشقران مولى رسول الله ﴿ ص ﴾ ونادت الأنصار اجعلوا لنا في رسول الله نصيباً في وفاته كما كان لنا في حياته فقال علي (ع) ينزل رجل منكم فانزلوا أوس بن خولي أحد بني الحبلى ، وكان حفر قبره ابو طلحة بن سهل الأنصاري ولم يكن

بالمدينة من يحفر غيره وغير أبي عبيدة بن الجراح ، وكان ابو عبيدة بن الجراح يشق ويحفر وسطاً وأبو طلحة يلحد ﴿ وقيل ﴾ إنهما سابقا حفراً فسبق أبو طلحة بالحفر وصلي عليه أياماً والناس يأتون ويصلون إرسالاً ، ودفن ليلة الأربعاء في بعض الليل وطرحت تحته قطعة رحله وكانت ارجوان وربّع قبره ولم يسنم .

ولما توفي صلى الله عليه وآله وسلم قال الناس ما كنا نظن أن رسول الله يموت حتى يظهر على الأرض ، وخرج عمر فقال والله ما مات رسول الله ولا يموت وانما تغيب كما غاب موسى بن عمران أربعين ليلة ثم يعود والله ليقطعن أيدي قوم وارجلهم وقال ابو بكر بل قد نعاه الله الينا فقال إنك ميت وانهم ميتون ، فقال عمر والله لكأني ما قرأتها قط ثم قال لعمري لقد أيقنت أنك ميت ولكنما أبدى الذي قلته الجزع .

ولم يخلف صلى الله عليه وآله وسلم من الولد إلا فاطمة وتوفيت بعده باربعين ليلة ﴿ وقال قوم ﴾ بسبعين ليلة ﴿ وقال آخرون ﴾ ثلاثين ليلة ﴿ وقال آخرون ﴾ ستة أشهر ، وأوصت علياً زوجها أن يغسلها فغسلها وأعانته أسماء بنت عميس وكانت تخدمها وتقوم عليها ، وقالت ألا ترين إلى ما بلغت أفأحمل على سرير ظاهراً قالت لا لعمري يا بنت رسول الله ولكني أصنع لك شيئاً كما رأيته يصنع بالحبشة ، قالت فأرنيه فارسلت الى جرائد رطبة فقطعتها ثم جعلتها على السرير نعشاً . وهو أول ما كانت النعوش . فتبسمت وما رؤيت متبسمة إلا يومئذ . ودفنت ليلاً ولم يحضرها أحد إلا سلمان وأبو ذر ﴿ وقيل ﴾ عمار . وكان بعض نساء رسول الله أتينها في مرضها فقلن يا بنت رسول الله صيري لنا في حضور غسلك حظاً قالت أترين تقلن في كما قلتن في أمي لا حاجة لي في حضوركن . ودخلن اليها في مرضها نساء رسول الله وغيرهن من نساء قريش فقلن كيف أنت قالت أجدني كارهة لدنياكن مسرورة لفراقكن ألقى الله ورسوله بحسرات منكن فما حفظ لي الحق ولا رعيت مني الذمة ولا قبلت الوصية ولا عرفت الحرمة وكان سنها ثلاثاً وعشرين سنة .

صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخما مفخما ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق أطول من المربوع وأقصر من المشذب لم تعبه ثجلة (١) ولم تزر به صعلة (٢) وسيما قسيما لم يماشه أحد من الناس إلا طاله وإن كان الماشي له طويلا . عظيم الهامة رجل الشعر . إن تفرقت (٣) عقيقته افرقت فرقا لا يجاوز شعره شحمة أذنه أزهر اللون . مشربا حمرة . في عينيه دعج . وفي أشفاره وطف . وفي صوته صحل (٤) وفي لحيته كثافة . وكان أكثر شيبه في لحيته حول الذقن وفي رأسه في فودي رأسه ، سهل الخدين ، ضليع الفم . حلو المنطق لا نزر ولا هذر (٥) دقيق المسربة ، معتدل الخلق . عريض الصدر والكتف . بعيد ما بين المنكبين . واسع الظهر غير ما تحت الأزرار من الفخذ والساق . أنور المتجرد . موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط . عاري ما سوى ذلك من الشعر . أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر . طويل الزندين . رحب الراحتين . شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف . خمصان الأخمصين . ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب أو يتقلع من صخر . وإذا التفت التفت معا . خافض الطرف نظره الى الأرض أكثر من نظره الى السماء . جل نظره الملاحظة . يبدأ من لقي بالسلام . وكان جل جلوسه القرفصى وكان يأكل على الأرض . وكان إذا دعاه رجل فقال يا رسول الله قال

(١) الثجلة بضم الثاء المثلثة وسكون الجيم ضخم البطن .

(٢) الصعلة بفتح الصاد وسكون العين المهملتين صغر الرأس . (نهاية)

(٣) الذي ورد في الحديث في صفة شعره صلى الله عليه وآله وسلم « إن انفرقت عقيقته فرق » أي شعره سمي عقيقة تشبيها بشعر المولود . (م . ص)

(٤) الصحل بالتحريك البحة .

(٥) النزر القليل أي ليس بقليل فيدل على عي ولا كثير فاسد . (نهاية)

لبيك ، وإذا قال يا أبا القاسم قال يا أبا القاسم ، وإذا قال يا محمد قال يا محمد ، وإذا أخذ الرجل بيده لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها وإذا نازعه رداءه لا يجاذبه حتى يخليه ، وإذا سأله سائل حاجة لم يرده إلا بحاجته او بميسور من القول .

المشبهون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وكان المشبهون برسول الله ﴿ جعفر ﴾ بن أبي طالب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشبهت خلقي وخلقي ﴿ والحسن ﴾ بن علي عليه السلام ، وكانت فاطمة (ع) تقول : —

﴿ بأبي شبيه بأبي * غير شبيه بعلي ﴾

﴿ ويقال ﴾ إن أبا بكر قال له وقد لقيه في بعض طرق المدينة :

﴿ بأبي شبيه بالنبي * غير شبيه بعلي ﴾

[وقثم] بن العباس بن عبد المطلب [وأبو سفيان] بن الحارث بن عبد المطلب [وأسهد] ابن العبرة [وهاشم] بن عبد المطلب بن عبد مناف [ومسلم] بن معتب بن ابي لهب .

نسبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمهاته الى ابراهيم والعواتك والفواطم اللاتي ولدنه

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اد بن أدد بن هميسع بن يشجب بن أمين بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ — وهو إدريس النبي — بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم عليه السلام .

﴿ وأم ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب ، وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ﴿ وأم ﴾ عبد الله بن عبد المطلب ، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ﴿ وأم ﴾ عبد المطلب — وهو شيبة الحمد — بن هاشم ، سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، واسمه زيد مناة [ويقال] بل اسمه تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ﴿ وأم ﴾ هاشم عاتكة بنت مرة ابن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ﴿ وأم ﴾ عبد مناف — واسمه المغيرة بن قصي — حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة ﴿ وأم ﴾ قصي — واسمه زيد ابن كلاب — فاطمة بنت سعد بن سيل بن عامر الجادر .. (١) .. من الأزد أزد شنوءة وهم حلفاء بني نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة [وأم] كلاب بن مرة ، هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة [وأم] مرة بن كعب بن لوي . ماوية بنت القين بن جسر بن شيع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة [وأم] كعب بن لؤي . وحشية بنت شيبان [وأم] لؤي بن غالب . سلمى بنت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن خزاعة ﴿ وأم ﴾ غالب بن فهر . ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس ابن مضر [وأم] فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن مضاض بن عامر بن دب بن جرهم [وأم] مالك بن النضر عاتكة

(١) بياض في الأصل . وعامر هذا الملقب بـ « الجادر » هو ابن عمرو بن خثعمة بن بكر بن يشكر بن قسي بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران الأزدي لقب بالجادر لأنه بنى جداراً للكعبة دون السيل الذي دخلها وصدع بنيانها . يسمى ذلك الجدار الجادر ، قاله في تاج العروس بمادة (جدر) (م . ص)

— وهي عكرشة وهي الحصان — بنت عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ﴿ وأم ﴾ النضر بن كنانة ، برة بنت مرّ بن أد بن طابخه بن الياس بن مضر ﴿ وأم ﴾ كنانة بن خزيمة ، هند بنت قيس عيلان ﴿ وأم ﴾ خزيمة بن مدركة ، سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار ﴿ وأم ﴾ مدركة بن الياس ، خندف وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة [وأم] الياس ابن مضر الحنفاء بنت أياد بن نزار بن معد بن عدنان ﴿ وأم ﴾ مضر بن نزار ، شقيقة بنت عك بن عدنان بن أدد ﴿ وأم ﴾ نزار بن معد ، ناعمة بنت جوشم بن عدي ابن دبّ بن جرهم ﴿ وأم ﴾ معد بن عدنان ، تيمة بنت يشجب بن يعرب بن قحطان « . (١) . » ﴿ وأم ﴾ أد بن أدد ، المعحا بنت عمرو بن تبع بن سعد ذي فائش بن حمير [وأم] أدد بن الهميسع ، حية بنت قحطان [وأم] الهميسع ابن يشجب ، حاربه بنت مراد بن زرعة بن ذي رعين بن حمير ﴿ وأم ﴾ يشجب ابن أمين ، قطامة بنت علي بن جرهم « . (٢) . » ﴿ وأم ﴾ إسماعيل بن ابراهيم هاجر أمة كانت لسارة أم اسحاق وهي قبطية ﴿ ويزعم آخرون ﴾ أنها رومية [وأم] ابراهيم — وهو ابراهيم بن تارخ — ادنيا بنت بر بن ارغو بن فالغ ابن عابر بن شالخ .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر أن يقول انا ابن العواتك وربما قال أنا ابن العواتك من سليم ، واللاتي ولدنه من العواتك اثنتا عشرة عاتكة عشر منهن مضريات ، وقحطانية وقضاعية ، والمضريات ثلاث من قريش ، وثلاث

(١) بياض في الأصل ، وقد سقط منه ذكر أم عدنان ونسبها ولم نجد لها ذكراً فيما بايدينا من التواريخ .

(٢) بياض في الأصل ، وقد سقط منه ذكر أم أمين ونسبها كما انه سقط بين امين و بين اسماعيل من آبائه (ص) وذكر أمهاتهم وأنسابها . (م . ص)

من سليم ، وعدوانيتان ، وهذلية واسدية .

فأما القرشيات فولدنه من قبل أسد بن عبد العزى ، أم اسد بن عبد العزى الحطيا وهي ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وأمها قبلة بنت حذافة بن جمح وأمها أمية بنت عامر بن الحمان بن الحارث ، وهو غسان بن خزاعة ، وأمها عاتكة بنت هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وأم هلال بن وهيب عاتكة بنت عتوارة بن الطرب بن الحارث بن فهر ، وأمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة بن خزيمة .

وأما السليميات فولدته من قبل هاشم ، أم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة ابن سليم بن منصور ، وأم مرة بن هلال عاتكة بنت مرة بن عدي بن سليمان بن قصي بن خزاعة ، ويقال هي عاتكة بنت جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس ابن بهثة بن سليم .

وأما العدوانيتان فولدتاه من قبل أمهات أبيه عبد الله ومن قبل مالك بن النضر فاما التي ولدته من قبل عبد الله فهي السابعة من أمهاته ﴿ ويقال ﴾ الخامسة وهي عاتكة بنت عامر بن ظرب بن عمرو بن يشكر بن الحارث ، وهو عدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان ، ومن قال هي الخامسة فيقول عاتكة بنت عبد الله بن الحارث بن والله ابن ظرب بن عمرو ، وأما العدوانية الثانية فأم مالك بن النضر بن كنانة ، وهي عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان .

وأما الهذلية فولدته من قبل هاشم . وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال ، وامها ماوية بنت حورة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فأم معاوية بن بكر بن هوازن عاتكة بنت سعد بن هذيل .

واما الأسدية فولدته من قبل كلاب بن مرة . وهي الثالثة من امهاته وهي عاتكة بنت دودان بن اسد بن خزيمة .

وأما القحطانية فولدته من قبل غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وأم غالب بن فهر ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة ، وأمها سلمى بنت طابخة بن الياس ابن مضر ، وأمها عاتكة بنت الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وهي الثالثة من أمهات النضر بن كنانة .

وأما القضاعية فولدته من قبل كعب بن لوي ، وهي الثالثة من أمهاته عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

تسمية من ولدته من الفواطم

قال وأخبرني غير واحد من أهل العلم أنه كان يكثر يوم حنين ويقول أنا ابن الفواطم ، فاخبرني النسابون أنه ولدته من الفواطم أربع فواطم قرشية وقيسيتان وأزدية فاما القرشية فولدته من قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب ، وهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

والقيسيتان أم عمرو بن عائذ بن عمران ، وهي فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى ابن رزام بن بكر بن هوازن وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور والأزدية أم قصي بن كلاب ، وهي فاطمة بنت سعد بن سهل .

وكان عمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — لما قبضه الله على مكة عتاب بن أسيد ابن العاص ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي والمنذر بن ساوى التميمي [وبعضهم] يقول مكان العلاء أبان بن سعيد بن العاص ، وعلى عمان عباد وجيفر ابنا الجلندى ﴿ وقال بعضهم ﴾ عمرو بن العاص ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن معاذ بن جبل وابو موسى عبد الله بن قيس الأشعري يفقهان الناس ، وعلى مخاليف الجند وصنعاء المهاجر بن أبي أمية المخزومي ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري ، وعلى مخاليف اليمن خالد بن سعيد بن العاص وعلى ناحية من نواحيها يعلى بن منية التميمي ، وعلى نجران فروة بن مسيك المرادي ﴿ وقال بعضهم ﴾ أبوسفيان بن

حرب ، وعلى صدقات أسد وطي عدي بن حاتم ، وعلى صدقات حنظلة مالك بن نويرة الحنظلي ﴿ وقال بعضهم ﴾ على صدقات بني يربوع ، وعلى صدقات بني عمرو وتميم سمرة بن عمرو بن جناب العنبري ، وعلى صدقات بني سعد الزبرقان بن بدر وعلى صدقات مقاعس والبطون قيس بن عاصم .

خبر سقيفة بني ساعدة

وبيعة أبي بكر

واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « . . (١) . . » يغسل فاجلست سعد بن عبادة الخزرجي وعصبته بعصابة وثنت له وسادة وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين فاتوا مسرعين فنحوا الناس عن سعد وأقبل أبو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح فقالوا يا معاشر الأنصار منا رسول الله فنحن أحق بمقامه ، وقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر منا الأمراء وأنتم الوزراء ، فقام ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الأنصار فتكلم وذكر فضلهم ، فقال أبو بكر ما ندفعكم عن الفضل وما ذكرتم من الفضل فانتم له أهل ولكن قريش أولى بمحمد منكم وهذا عمر بن الخطاب الذي قال رسول الله أعز الدين به ، وهذا أبو عبيدة بن الجراح الذي قال رسول الله أمين هذه الأمة فبايعوا أيهما شئتم فابيا وقالوا والله ما كنا لنتقدمك وأنت صاحب رسول الله وثاني اثنين فضرب أبو عبيدة على يد أبي بكر وثنى عمر ثم بايع من كان معه من قريش ، ثم نادى ابو عبيدة يا معشر الأنصار انكم كنتم أول من نصر فلا تكونوا أول من غير وبدل . وقام عبد الرحمان بن عوف وتكلم فقال يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي . وقام المنذر بن الأرقم فقال ما ندفع فضل من ذكرت

(١) بياض في الأصل وفيه سقط ولعله (وهو بعد) لم يغسل الخ . (م ص)

وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد — يعني علي بن أبي طالب — فوثب بشير بن سعد من الخزرج فكان أول من بايعه من الأنصار وأسيد بن حضير الخزرجي وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر وسادة سعد بن عبادة وحتى وطئوا سعداً وقال عمر اقتلوا سعداً قتل الله سعداً ، وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر ، فقال بعضهم ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى بمحمد ، فقال العباس فعلوها ورب الكعبة ، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي عليه السلام فلما خرجوا من الدار قام الفضل ابن العباس وكان لسان قريش فقال يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم وقام عتبة بن أبي لهب فقال :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
عن أول الناس ايماناً وسابقة * وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن * جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس في القوم ما فيه من الحسن

فبعث اليه علي عليه السلام فنهاه ، وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام بن العاص ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي ابن كعب ، فارسل أبو بكر الى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة ابن شعبة فقال ما الرأي قالوا الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن ابي طالب حجة لكم على علي إذا مال معكم فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلاً ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ، ثم قال ﴿ إن الله بعث

محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً فمنَّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أموراً ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأ فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع فاما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه وإما صرفتموهم عما مالوا اليه ولقد جئتك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك . . (١) . . عنكم ، على رسلكم بني هاشم فان رسول الله منا ومنكم ﴾ .

فقال عمر بن الخطاب إي والله وأخرى إنا لم نأتكم لحاجة اليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم .

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال : إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً وللمؤمنين ولياً فمن على أمته به حتى قبضه الله اليه واختار له ما عنده فخلى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق لا مائلين بزيغ الهوى فان كنت برسول الله خفتنا أخذت وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم فما تقدمنا في أمرك فرطاً ولا حللنا وسطاً ولا برحنا سخطاً وإن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا اليك وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلى على الناس امورهم ليختاروا فاختاروك فأما ما قلت إنك تجعله لي فان كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك فان رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها

(١) بياض في الأصل ، ولعل الساقط (فعدلوا بالأمر) عنكم الخ . كما في الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٦ .

(م . ص)

فخرجوا من عنده ، وكان فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر ابو سفيان بن حرب وقال أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم وقال لعلي بن أبي طالب أمدد يدك أبايعك وعلي معه قصي فقال :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم واليكم * وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم * فانك بالأمر الذي يرتجى ملي
وإن امرءاً يرمي قصياً وراءه * عزيز الحمى والناس من غالب قصي

وكان خالد بن سعيد غائباً فأتى علياً فقال هلم أبايعك فو الله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام يدعونه الى البيعة له فقال لهم اغدوا على هذا محلقين الرؤوس فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر .

وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله فاتوا في جماعة حتى هجموا على الدار وخرج علي (١) ومعه السيف فلقيه عمر فصارعه عمر فصرعه وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن الى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم أياماً ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ولم يبايع علي عليه السلام إلا بعد ستة أشهر وقيل أربعين يوماً .

* *
*

(١) لعل الصحيح (فخرج الزبير) لاتفاق المؤرخين على أن الذي خرج من البيت وكسر عمر سيفه هو الزبير لا علي فالظاهر أن ذلك وقع من غلط الناسخ أو الطابع فراجع .
(م . ص)

أيام أبي بكر

وكانت بيعة أبي بكر يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واسم أبي بكر عبد الله ابن عثمان بن عامر، وكان يسمى عتيقاً لجماله، وأمه سلمى بنت صخر من بني تيم بن مرة، وكان منزله بالسنح (١) خارج المدينة، وكانت امرأته حبيبة بنت خارجة فيه، وكان له ايضاً منزل بالمدينة فيه أسماء بنت عميس فلما ولي كان منزله المدينة وأتته فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب ميراثها من أبيها فقال لها قال رسول الله ﴿ إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة ﴾ فقالت أفي الله أن ترث أباك ولا أرث أبي أما قال رسول الله المرء يحفظ في ولده فبكى ابو بكر بكاء شديداً

وأمر أسامة بن زيد أن ينفذ في جيشه وسأله أن يترك له عمر يستعين به على أمره فقال فما تقول في نفسك فقال يابن أخي فعل الناس ما ترى فدع لي عمر وانفذ لوجهك فخرج أسامة بالناس وشيعه ابو بكر فقال له ما أنا بموصيك بشيء ولا آمرك به وإنما آمرك بما أمرك به رسول الله وامض حيث ولّاك رسول الله فنفذ أسامة فاقام منذ خرج إلى أن قدم المدينة منصرفاً ستين يوماً أو اربعين يوماً ثم دخل المدينة ولواؤه معقود حتى دخل المسجد فصلى ثم دخل الى بيته ولواؤه الذي عقده رسول الله (ص) معه .

وصعد ابو بكر المنبر عند ولايته الأمر فجلس دون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمرقاة ثم حمد الله وأثنى عليه وقال ﴿ إني وليت عليكم ولست بخيركم فان استقمت فاتبعوني وإن زغت فقوموني لا أقول إني أفضلكم فضلاً ولكني أفضلكم حملاً ﴾ وأثنى على الأنصار خيراً وقال انا وإياكم معشر الأنصار كما قال القائل .

جزى الله عنا جعفراً حين ازلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلّت
ابوا أن يملونا ولو أن امنا * تلاقي الذي يلقون منا لملت

(١) بالضم ، كقفل .

فاعتزلت الأنصار عن أبي بكر فغضبت قريش وأحفظها ذلك فتكلم خطباؤها وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش قم فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار ففعل ذلك فقام الفضل بن العباس فرد عليهم ثم صار الى علي عليه السلام فأخبره وأنشده شعراً قاله فخرج علي مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير وردّ على عمرو بن العاص قوله فلما علمت الأنصار ذلك سرّها وقالت ما نبالي بقول من قال مع حُسن قول علي واجتمعت الى حسان بن ثابت فقالوا أجب الفضل فقال إن عارضته بغير قوافيه فضحني قالوا فاذكر علياً فقط ، فقال :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه * أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله * فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزة * مكانك هيهات الهزال من السمن
وأنت من الاسلام في كل منزل * بمنزلة الطرف البطين من الرسن
وكنت المرجى من لوي بن غالب * لما كان منه والذي بعد لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده * اليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه في الاخا ووصيه * وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن

وتنبأ جماعة من العرب ، وارتد جماعة ووضعوا التيجان على رؤوسهم وامتنع قوم من دفع الزكاة الى أبي بكر ، وكان ممن تنبأ طليحة بن خويلد الأسدي بنواحيه وكان أنصاره غطفان ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاري ، والأسود العنسي باليمن ومسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة ، وسجاح بنت الحارث التميمية ثم تزوجت بمسيلمة وكان الأشعث بن قيس مؤذنها ، فخرج ابو بكر في جيشه الى ذي القصة (١) ودعا عمرو بن العاص فقال يا عمرو إنك ذو رأي قريش وقد تنبأ طليحة فما ترى في علي قال لا يطيعك قال فالزبير قال شجاع جسر قال فطلحة قال للخفض والظعن قال فسعد

(١) ذو القصة بفتح القاف موضع على أربعة وعشرين من المدينة المشرفة (تاج العروس)

قال محش حرب قال فعثمان قال أجلسه واستعن برأيه قال فخالد بن الوليد قال بؤس للحرب نصير للموت له أناة القطاة ووثوب الأسد ، فلما عقد له قام ثابت بن قيس ابن شماس وقال * يا معشر قريش أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له أما والله ما نحن عميا عما نرى ولا صما عما نسمع ولكن أمرنا رسول الله بالصبر فنحن نصبر * وقام حسان فقال :

يا للرجال لخلفة الأطوار * ولما أراد القوم بالأنصار
لم يدخلوا منا رئيساً واحداً * يا صاح في نقض ولا إمرار

فعظم على أبي بكر هذا القول فجعل على الأنصار ثابت بن قيس وأنفذ خالداً على المهاجرين فقصد طليحة ففرق جمعه وقتل خلقاً من أتباعه وأخذ عيينة بن حصن فبعث به الى أبي بكر مع ثلاثين أسيراً وهو مكبل بالحديد فجعل الصبيان يصيحون به لما دخل المدينة يا مرتد فيقول ما أمنت طرفة عين قط فاستتابه وأطلق سبيله ولحق طليحة بالشام وجاور بني حنيفة وبعث بشعر الى أبي بكر يعتذر اليه ويراجع الاسلام يقول فيه :

فهل يقبل الصديق أني مراجع * ومعطيه ما أحدثت من حدث يدي
وأني من بعد الضلالة شاهد * شهادة حق لست فيها بملحد

فلما انتهى قوله الى أبي بكر رقّ له وبعث اليه فرجع ، وقد هلك ابو بكر وقام عمر على قبره وبعث به مع سعد بن أبي وقاص الى العراق وأمره أن لا يستعمله .

وأما الأسود بن عنزة (١) العبسي فقد كان تنبأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما بويع ابو بكر ظهر أمره واتبعه على ذلك قوم فقتله قيس بن مكشوح المرادي وفيروز الديلمي دخلا عليه منزله وهو سكران فقتلاه .

(١) كذا في الأصل ، وذكره ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ١١ وسماه عيهلة بن عوف بن كعب العنسي — بالنون — وعنس بطن من مذحج ، وكان يلقب ذا الخمار لأنه كان معمماً متخمراً أبداً . (م . ص)

وقد كان ابو بكر عقد لشرحبيل بن حسنة وأمره أن يقصد لمسيلمة الكذاب وإلا يأتيه برأيه ثم عقد لخالد وبعثه على شرحبيل فكتب خالد الى شرحبيل أن لا تعجل حتى آتيك ، ونفذ خالد بن الوليد مسرعاً إلى اليمامة الى مسيلمة الحنفي الكذاب وكان قد أسلم ثم تنبأ في سنة عشر وزعم أنه شريك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النبوة وكان كتب الى رسول الله ﴿ ص ﴾ إني أشركت معك فلك نصف الأرض ولي نصفها ولكن قريش قوم لا يعدلون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ فلقي خالد مجاعة في جماعة فأسرهم وضرب أعناقهم واستبقى مجاعة وزحف الى مسيلمة فخرج مسيلمة فقاتله بمن معه من ربيعه وغيرها قتالاً شديداً وقتل من المسلمين خلق عظيم ثم قتل مسيلمة في المعركة طعنه أبو دجانة الأنصاري فمشى اليه مسيلمة في الرمح فقتله ورماه وحشي بحربته فقتله وهو يومئذٍ ابن مائة وخمسين سنة وأتى مجاعة الحنفي الى خالد فأوهمه أن في الحصن قوماً بعد وقال ما أتاك إلا سرعان الناس ، ودعا الى الصلح فصالحهم خالد على الصفراء والبيضاء ونصف السبي ثم نظروا وليس في الحصن أحد إلا النساء والصبيان فألبسهم السلاح ووقفهم على الحصون ثم أشار الى خالد فقال أبوا علي فتأخذ الربع ففعل ذلك خالد وقبل منهم فلما فتحت الحصون لم يجدوا إلا النساء والصبيان فقال أمكراً يا مجاعة قال إنهم قومي وأجاز لهم وافتتحت اليمامة وهربت سجاح فماتت بالبصرة ، وكان فتح مسيلمة في سنة إحدى عشرة وقتل في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ، وخطب خالد إلى مجاعة ابنته فروجه إياها فكتب اليه ابو بكر تتوثب على النساء وعند أطناب بيتك دماء المسلمين .

وأمر ابو بكر خالداً أن يسير الى العراق فسار ومعه المثنى بن الحارثة حتى صار الى مدينة « بانقيا » فافتتحها وسبى من فيها ثم صار الى مدينة « كسكر » فافتتحها وسبى من فيها ثم سار حتى لقي بعض ملوك الأعاجم يقال له « جابان » فهزمه وقتل

أصحابه ثم سار حتى انتهى الى فرات بادقلى يريد ﴿ الحيرة ﴾ وملكها النعمان فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم النعمان فلحق بالمدائن ونزل خالد ﴿ الخورنق ﴾ وسار حتى صير الحيرة خلف ظهره وكانوا على محاربته ثم دعوا إلى الصلح فصالحهم على سبعين الفاً عن رؤوسهم ﴿ وقيل ﴾ مائه الف درهم .

وتجرد أبو بكر لقتال من ارتد وكان ممن ارتد وممن وضع التاج على رأسه من العرب [النعمان] بن المنذر بن ساوى التميمي بالبحرين فوجه العلاء بن الحضرمي فقتله ﴿ ولقيط ﴾ بن مالك ذو التاج بعمان وجه اليه حذيفة بن محصن فقتله بصحار من أرض عمان ، وكان ذو التاج « . . (١) . . » من بني ناجية وبشر كثير من عبد القيس فقتل الله ذا التاج وسبى المسلمون ذراريهم وبعثوا بها الى ابي بكر فباعها باربع مائة درهم ، ثم وجه لقتال من منع الزكاة وقال لو منعوني عقالاً لقاتلتهم وكتب الى خالد بن الوليد أن ينكفئ الى مالك بن نويرة اليربوعي فسار اليهم ﴿ وقيل ﴾ إنه كان نداهم (٢) فأتاه مالك بن نويرة يناظره واتبعته امرأته فلما رآها خالد أعجبته فقال والله لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك فنظر مالكاً فضرب عنقه وتزوج امرأته فلحق ابو قتادة بابي بكر فاخبره الخبر وحلف أن لا يسير تحت لواء خالد لأنه قتل مالكاً مسلماً ، فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر يا خليفة رسول الله إن خالداً قتل رجلا مسلماً وتزوج امرأته من يومها فكتب ابو بكر الى خالد فأشخصه فقال يا خليفة رسول الله إني تأولت وأصبت وأخطأت ، وكان متمم بن نويرة شاعراً فرثى أخاه

(١) بياض في الأصل ، قال ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ١٤٣ « جمع لقيط ذو التاج جموعه وعسكر بدبا وخرج جيفر وعياذ وعسكرا بصحار وارسلا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما . . فاقتتلوا وجاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية » الخ .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله تصحيف [بدأهم] . (م . ص)

بمراث كثيرة ولحق بالمدينة الى أبي بكر فصلى خلف ابي بكر صلاة الصبح فلما فرغ ابو بكر من صلاته قام متمم فاتكأ على قوسه ثم قال :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يابن الأزور

أدعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ما دعوته ولا غدرت به ، وكتب ابو بكر الى زياد بن لبيد البياضي في قتال من ارتد باليمن ومنع الزكاة فقاتلهم ، وكان لكندة ملوك عدة يتسمون بالملك ولكل واحد منهم حمى لا يرعاه غيره فأغار زياد ليلاً وهم في محاجرهم فأصاب الملوك [جمداً ومخوصاً ومشرح وأبضعة] وسبى النعم وسبايا كثيرة فعارضهم الأشعث بن قيس فانتزع السبايا من أيديهم وانتهى الى ابي بكر بارتداد الأشعث وما فعل فوجه عكرمة ابن أبي جهل في جيش لمحاربتهم فوافى وقد حصرهم زياد بن لبيد والمهاجر بن أبي أمية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغنموا غنائم كثيرة فقال المهاجر وزياد لمن معهما قد قدم إخوانكم من الحجاز فأشركوهم وأعطوهم وطلب الأشعث الصلح وأخذ الأمان لعشيرته ونسي نفسه فلما قرأ عكرمة الصحيفة وليس فيها اسم الأشعث كبر وأخذه فأتى به أبا بكر في وثاق فمن عليه أبو بكر وأطلق سبيله وزوجه أم فروة أخته .

وأراد ابو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب عليه السلام فأشار أن يفعل فقال إن فعلت ظفرت فقال بشرت بخير ، فقام ابو بكر في الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم فسكت الناس فقام عمر فقال لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لانتدبتموه فقام عمرو بن سعيد فقال لنا تضرب أمثال المنافقين يا ابن الخطاب فما يمنعك انت ماعبت علينا فيه فتكلم خالد بن سعيد وأسكت أخاه فقال ما عندنا إلا الطاعة فجزاه ابو بكر خيراً ، ثم نادى في الناس بالخروج وأمير هم خالد بن سعيد وكان خالد من عمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باليمن فقدم وقد توفي رسول الله ﴿ ص ﴾ فامتنع عن البيعة

ومال الى بني هاشم فلما عهد ابو بكر لخالد قال له عمر أتولي خالداً وقد حبس عنك بيعته وقال لبني هاشم ما قد بلغك فو الله ما أرى أن توجهه وحل لواءه ودعا يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص فعقد لهم وقال إذا اجتمعتم فأمير الناس ابو عبيدة وقدمت عليه العشاير من اليمن فانفذهم جيشاً بعد جيش فلما قدمت الجيوش الشأم كتب اليه ابو عبيدة يعلمه إقبال ملك الروم في خلق عظيم فجعل يسرح اليه الجيش بعد الجيش والأول فالأول ممن يقدم عليه من قبائل العرب ثم تتابعت عليه كتب ابي عبيدة بكل أخبار جمع الروم فوجه ابو بكر عمرو بن العاص في جيش من قريش وغيرهم ثم كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد أن يسير الى الشأم ويخلف المثنى بن حارثة بالعراق فنفذ خالد في أهل القوة ممن كان معه وخلف المثنى ابن حارثة الشيباني في بقية الجيش بالعراق وسار خالد الى الشأم فلما صار الى عين التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقبة بن أبي هلال النمري فتحصنوا منه ثم نزلوا على حكمه فضرب عنق النمري ثم سار حتى لقي جمعاً لبني تغلب عليهم الهذيل بن عمران فقدمه فضرب عنقه وسبى منهم سبايا كثيرة بعث بهم الى المدينة وبعث الى كنيسة اليهود فأخذ منهم عشرين غلاماً وصار الى الأنبار فاخذ دليلا يدله على طريق المفازة فمر بتدمر فتحصن أهلها فاحاط بهم ففتحوا له وصالحهم ثم مضى الى حوران فقاتلهم قتالا شديداً .

فقيل إن خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافاهم ففتحوا ﴿ بصرى وأجنادين ﴾ من فلسطين وكانت بينهم وبين الروم وقعات باجنادين صعبة في كل ذلك يهزم الله الروم وتكون العاقبة للمسلمين .

وروى بعضهم أن خالد بن الوليد صار الى غوطة دمشق ثم فرعها الى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى ﴿ العقاب ﴾ فبها سميت ثنية العقاب وصار الى حوران فقصد مدينة ﴿ بصرى ﴾ فحاربهم فسألوه الصلح فصالحهم ثم صار الى [أجنادين] وبها جمع للروم فحاربهم محاربة شديدة وتفرق جمع الكفرة وكانت وقعة أجنادين يوم السبت

ليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة .

وبعث ابو بكر عثمان بن ابي العاص وندب معه عبد القيس فسار في جيش الى توّج ففتحها وسبى أهلها وافتتح مكران وما يليها ، ووجه العلاء بن الحضرمي في جيش ففتح ﴿ الزارة ﴾ وناحيتها من أرض البحرين وبعث الى أبي بكر بالمال فكان أول مال قسمه ابو بكر في الناس بين الأحمر والأسود والحر والعبد ديناراً لكل انسان .

وقدم أياس بن عبد الله بن الفجاءة السلمي على أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله إني قد اسلمت فاعطاه ابو بكر سلاحاً فخرج من عنده فبلغه أنه يقطع الطريق فكتب الى طريفة بن حاجزة إن عدو الله ابن الفجاءة خرج من عندي فبلغني أنه قطع الطريق وأخاف السبيل فسر اليه حتى تأخذه ، وتقدم طريفة فسار اليه فقتل قوماً من أصحابه ثم لقيه فقال إني مسلم وإنه مكذوب علي فقال طريفة فان كنت صادقاً فاستأسر حتى تأتي أبا بكر فتخبره فاستأسر فلما قدم به على ابي بكر أخرجه الى البقيع فحرّقه بالنار وحرق ايضاً رجلا من بني أسد يقال له [شجاع] بن ورقاء كان ينكح « ..... »

وقال عمر بن الخطاب لأبي بكر يا خليفة رسول الله إن حملة القرآن قد قتل اكثرهم يوم اليمامة فلو جمعت القرآن فاني أخاف عليه أن يذهب حملته فقال ابو بكر أفعل مالم يفعله رسول الله فلم يزل به عمر حتى جمعه وكتبه في صحف وكان مفترقاً في الجريد وغيرها وأجلس خمسة وعشرين رجلا من قريش وخمسين رجلا من الأنصار وقال اكتبوا القرآن واعرضوا على سعيد بن العاص فانه رجل فصيح .

﴿ وروى بعضهم ﴾ أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان جمعه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتى به يحمله على جمل فقال هذا القرآن قد جمعته وكان قد جزأه سبعة أجزاء .

﴿ فالجزء الأول ﴾ البقرة وسورة يوسف والعنكبوت والروم ولقمان وحم السجدة والذاريات وهل أتى على الانسان وألم تنزيل السجدة والنازعات وإذا الشمس

كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت وسبح اسم ربك الأعلى ولم يكن فذلك جزء البقرة ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

﴿ الجزء الثاني ﴾ آل عمران وهود والحج والحجر والأحزاب والدخان والرحمان والحاقة وسأل سائل وعبس والشمس وضحاها وإنا أنزلناه وإذا زلزلت وويل لكل همزة لمزة وألم تر ولايلاف ، فذلك جزء آل عمران ثمان مائة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .

﴿ الجزء الثالث ﴾ النساء والنحل والمؤمنون ويس وحم عسق والواقعة وتبارك الملك ويا أيها المدثر وأرأيت وتبت وقل هو الله احد والعصر والقارعة والسماء ذات البروج والتين والزيتون وطس النمل ، فذلك جزء النساء ثمانمائة وست وثمانون آية وهو سبع عشرة سورة .

﴿ الجزء الرابع ﴾ المائدة ويونس ومريم وطس والشعراء والزخرف والحجرات وق والقرآن المجيد واقتربت الساعة والممتحنة والسماء والطارق ولا أقسم بهذا البلد وألم نشرح لك والعاديات وإنا أعطيناك الكوثر وقل يا أيها الكافرون ، فذلك جزء المائدة ثمانمائة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .

﴿ الجزء الخامس ﴾ الأنعام وسبحان واقترب والفرقان وموسى وفرعون وحم المؤمن والمجادلة والحشر والجمعة والمنافقون ون والقلم وإنا أرسلنا نوحا وقل أوحي إلي والمرسلات والضحى وألهاكم ، فذلك جزء الأنعام ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

﴿ الجزء السادس ﴾ الأعراف وابراهيم والكهف والنور وص والزمر والجاثية والذين كفروا والحديد والمزمل ولا أقسم بيوم القيامة وعم يتساءلون والغاشية والفجر والليل إذا يغشى وإذا جاء نصر الله ، فذلك جزء الأعراف ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

﴿ الجزء السابع ﴾ الأنفال وبراءة وطه والملائكة والصافات والأحقاف والفتح والطور والنجم والصف والتغابن والطلاق والمطففين والمعوذتين ، فذلك جزء الأنفال ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

﴿ وقال بعضهم ﴾ إن علياً قال نزل القرآن على أربعة ارباع ربع فينا وربع في عدونا وربع أمثال وربع محكم ومتشابه .

وقسم ابو بكر بين الناس بالسوية لم يفضل احداً على أحد وكان يأخذ في كل يوم من بيت المال ثلاثة دراهم أجرة ، وكان تسمى خليفة رسول الله ، واعتل ابو بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فلما اشتدت به العلة عهد الى عمر بن الخطاب فامر عثمان أن يكتب عهده وكتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر خليفة رسول الله الى المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله أما بعد فاني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا واني ما ألوتكم نصحاً والسلام ﴾ وقال لعمر بن الخطاب يا عمر أحبك محب وأبغضك مبغض فلئن أبغض الحق فلقديماً ما ولئن استمر في الباطل فلربما ، ودخل عبد الرحمان بن عوف في مرضه الذي توفي فيه فقال كيف أصبحت يا خليفة رسول الله فقال أصبحت مولياً وقد زدتموني على ما بي إذ رأيتموني استعملت رجلا منكم فكلكم قد أصبح ورماً أنفه وكل يطلبها لنفسه ، فقال عبد الرحمن والله ما أعلم صاحبك إلا صالحاً مصلحاً فلا تأس على الدنيا قال ما آسى إلا على ثلاث خصال صنعتها ليتني لم أكن صنعتها ، وثلاث لم أصنعها ليتني كنت صنعتها وثلاث ليتني كنت سألت رسول الله عنها ، فاما الثلاث التي صنعتها فليت أني لم أكن تقلدت هذا الأمر وقدمت عمر بين يدي فكنت وزيراً خيراً مني أميراً ، وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب ، وليتني لم أحرق الفجاءة السلمي إما أن اكون قتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً ، والثلاث التي ليت اني كنت فعلتها فليتني قدمت الأشعث بن قيس وضربت عنقه فانه تخيل إلي انه لا يرى شيئاً

من الشر إلا أعان عليه ، وليت أني بعثت أبا عبيدة الى المغرب وعمر الى أرض المشرق فأكون قدمت يدي في سبيل الله ، وليت أني ما بعثت خالد بن الوليد الى براخة ولكن خرجت فكنت ردءاً له في سبيل الله ، والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله عنهن فلمن هذا الأمر فلا ننازعه فيه وهل للأنصار فيه من شيء ، وعن العمة والخالة أيورّثان او لا يورّثان ، وإني ما أصبت من دنياكم بشيء ولقد أقمت نفسي في مال الله وفيء المسلمين مقام الوصي في مال اليتيم إن استغنى تعفف وإن افتقر أكل بالمعروف ، وإن والي الأمر بعدي عمر بن الخطاب ، وإني استسلفت من بيت المال مالاً فاذا مت فليبع حائطي في موضع كذا وليرد الى بيت المال ، وأوصى ابو بكر بغسله أسماء بنت عميس امرأته فغسلته ودفن ليلاً وورثه ابو قحافة السدس .

وكان الغالب على ابى بكر عمر بن الخطاب ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ومن شهور العجم في آب ﴿ وقيل ﴾ لليلتين بقيتا منه سنة ثلاث عشرة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن في البيت الذي فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان له يوم توفي ثلاث وستون سنة ، وكان له من الولد الذكور ثلاثة ، توفي أحدهم في حياته وهو عبد الله ، وخلف اثنين محمداً وعبد الرحمن وكان حاجبه مولاه سديد ، وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر وحج بالناس سنة اثنتي عشرة ، وكان عمال ابى بكر لما توفي عتاب بن أسيد في مكة ، وعثمان بن ابى العاص على الطائف ، ورجل من الأنصار على اليمامة ، وحذيفة بن محصن على عمان والعلاء بن الحضرمي على البحرين ، وخالد بن الوليد على جيش الشام ، والمثنى بن حارثة الشيباني على الكوفة ، وسويد بن قطبة على البصرة .

صفة أبى بكر

وكان ابو بكر أبيض نحيفاً خفيف العارضين أحنى لا يستمسك أزاره على حقويه معروق الوجه غائر العينين عاري الاشاجع يخضب لحيته بالحناء والكتم .

وكان من يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر علي بن أبي طالب عليه السلام وعمر ابن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله ابن مسعود .

أيام عمر بن الخطاب

ثم استخلف عمر بن الخطاب — بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ﴿ وقيل ﴾ لسبع بقين منه سنة ثلاث عشرة ، وكان ذلك من شهور العجم في آب ، والشمس يومئذ في الأسد ست عشرة درجة ، والقمر في العقرب اربعاً وعشرين درجة وعشر دقائق وزحل في القوس ثلاثين درجة راجعاً ، والمشتري في الحوت تسع درجات وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمريخ في الثور إحدى وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والزهرة في الحوت تسع درجات ، وعطارد في السنبلة عشر درجات وثلاثين دقيقة ، والرأس في القوس اثنتي عشرة درجة وخمساً وثلاثين دقيقة .

فصعد المنبر فجلس دون مجلس أبي بكر بمرقاة وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وذكر أبا بكر وفضله وترحم عليه ، ثم قال ﴿ ما أنا إلا رجل منكم ولولا إني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله لما تقلدت أمركم ﴾ فأثنى الناس عليه خيراً .

وكان أول ما عمل به عمر أن رد سبايا أهل الردة الى عشائرهم وقال اني كرهت أن يصير السبي سنة على العرب ، وكتب عمر الى أبي عبيدة بن الجراح يخبره بوفاة ابي بكر مع يرفأ مولاه وكتب بعقده وولايته على الشأم مكان خالد بن الوليد مع شداد ابن أوس ، وصير خالداً موضع أبي عبيدة .

وكان عمر سيء الرأي في خالد على أنه ابن خاله لقول كان قاله في عمر وقد

كان خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين فتحوا ﴿ مرج الصفر ﴾ من أرض دمشق وحاصروا مدينة دمشق قبل وفاة أبي بكر باربعة أيام فستر ابو عبيدة الخبر عن خالد حتى ورد كتاب ثان من عمر على أبي عبيدة يأمره أن يتوجه الى ﴿ حمص ﴾ ونواحي الشأم فعلّم بذلك خالداً فقال رحم الله أبا بكر لو كان حياً ما عزلني ، وكتب عمر الى ابى عبيدة إن كذب خالد نفسه فيما كان قاله عمله وإلا فانزع عمامته وشاطره ماله فشاور خالد أخته فقالت والله ما أراد ابن حنتمة إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك من عملك فلا تفعلن فلم يكذب نفسه فقام بلال فنزع عمامته وشاطره ابو عبيدة ماله حتى نعله فافرد واحدة عن الأخرى وأقاموا على ما كانوا عليه في حصار دمشق حولا كاملاً وايامًا ، وكان ابو عبيدة بباب الجابية وخالد بباب الشرقي وعمرو بن العاص بباب توما ويزيد بن أبي سفيان بباب الصغير فلما طال على صاحب دمشق الأمر أرسل الى أبي عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية وألح خالد على باب الشرقي لما بلغه أن أبا عبيدة عزم على أن يصالح القوم وأن القوم قد وثقوا به للصلح ففتحه عنوة فقال خالد لأبي عبيدة اسبهم فاني دخلتها عنوة فقال لا قد أمنتهم ، ودخل المسلمون المدينة وتم الصلح وذلك في رجب سنة أربع عشرة .

﴿ وروى الواقدي ﴾ أن خالد بن الوليد صالحهم وكتب للأسقف كتاباً للصلح وأعطاهم الأمان فأجاز ابو عبيدة ذلك .

وفي هذه السنة سن عمر قيام شهر رمضان وكتب بذلك الى البلدان وأمر أبي بن كعب وتميم الداري أن يصليا بالناس فقيل له في ذلك إن رسول الله لم يفعله وإن ابا بكر لم يفعله فقال إن تكن بدعة فما احسنها من بدعة (١)

(١) الذي ذكره البخاري في صحيحه ج ٣ في باب فضل من قام رمضان ما رواه عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمان بن عبد القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب [رض] ليلة في رمضان الى المسجد فاذا الناس اوزاع —

ووجه أبو عبيدة عمرو بن العاص الى الأردن وفلسطين فجمع القوم جموعاً ليدفعوا عمراً وأصحابه فوجه ابو عبيدة الى عمرو شرحبيل بن حسنة ووجه ابو عبيدة نحو جمع الروم ففتح الأردن عنوةً ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وكان المتولي لذلك شرحبيل بن حسنة ، وقد كان الروم لما بلغهم إقبال ابي عبيدة تحولوا إلى فحل فعبأ ابو عبيدة المسلمين فجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته هاشم بن عتبة وعلى الرجالة سعد بن زيد وعلى الخيل خالد بن الوليد وأقبلت الروم فكان أول من لقيهم خالد فهزم الله الروم وطلبوا الصلح على ان يؤدوا الجزية فاجابهم ابو عبيدة الى ذلك وانصرف وخلف عمرو بن العاص على باقي الأردن ووجه بخالد على مقدمته الى بعلبك وأرض البقاع فافتتحها وصار الى حمص ولحقه ابو عبيدة فحصروا أهل حمص حصاراً شديداً ثم طلبوا الصلح فصالحهم عن جميع بلادهم على أن عليهم خراج مائة وسبعين الف دينار ثم دخل المسلمون المدينة وبث ابو عبيدة عماله في نواحي حمص ثم أتاه خبر ماجمع طاغية الروم من الجموع في جميع البلدان وبعثه اليهم من لاقبل لهم به فرجع الى دمشق وكتب الى عمر بن الخطاب بذلك وكتب اليهم عمر أنه قد كره رجوعكم من أرض حمص الى دمشق ، وجمع ابو عبيدة اليه المسلمين وعسكر باليرموك وكان جبلة بن الأيهم الغساني على مقدمة الروم في جيش من قومه وجعل ابو عبيدة خالد بن الوليد

— متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله وفي تاريخ ابن الأثير (ج ٣ ص ٢٣) عن الواقدي إنه أول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في شهر رمضان وكتب به الى البلدان وأمرهم به ، وعد ذلك السيوطي في [تاريخ الخلفاء] من أوليات عمر « رض » (م . ص)

على مقدمته فواقع المشركين ولقي ماهان صاحب الروم واقتتلوا قتالاً شديداً ولحقه ابو عبيدة والمسلمون وكانت وقعة جليلة الخطب فقتل من الروم مقتلة عظيمة وفتح الله على المسلمين ، وكان ذلك في سنة خمس عشرة ، وأوفد ابو عبيدة الى عمر وفداً فيهم حذيفة بن اليمان وقد كان عمر أرق عدة ليال واشتد تطلعه الى الخبر فلما ورد عليه الخبر خرّ ساجداً وقال الحمد لله الذي فتح على ابي عبيدة فو الله لو لم يفتح لقال قائل لو كان خالد بن الوليد ، ورجع ابو عبيدة الى حمص ووجه بخالد في آثار الروم حتى صار الى قنسرين وانتهى الى حلب فتحصن أهلها وجاء ابو عبيدة حتى نزل عليها وطلبوا الصلح والأمان فقبل ابو عبيدة ذلك منهم وكتب أماناً ووجه بمالك بن الحارث الأشتر على جمع الى الروم وقد قطعوا الدرب فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم انصرف وقد عافاه الله واصحابه ورجع ابو عبيدة نحو الأردن فحاصر أهل إيلياء — وهو بيت المقدس — فامتنعوا عليه وطاولوه ووجه ابو عبيدة عمرو بن العاص الى قنسرين فصالحهم أهل حلب وقنسرين ومنبج ووضع عليهم الخراج على نحو ما فعل ابو عبيدة بحمص وجمعت غنائم اليرموك بالجابية وكتبوا الى عمر فكتب اليهم لا تحدثوا فيها حدثاً حتى تفتحوا بيت المقدس ، وكان جبلة بن الأيهم الغساني لما انهزمت الروم من اليرموك صار الى موضعه في جماعة قومه فارسل اليه يزيد بن أبي سفيان أن اقطع على ارضك بالخراج وأداء الجزية فقال إنما يؤدي الجزية العلوج وأنا رجل من العرب .

وكان عمر قد بعث أبا عبيد بن مسعود الثقفي في جيش مع المثنى بن حارثة الشيباني الى العراق وكان كسرى قد توفي وقامت بوران ابنته بالملك وصيرت رستم والفيرزان القيمين بامر الملك وكانا ضعيفين مهينين فتقدم ابو عبيد الثقفي فلقي مسلحة من مسالح الفرس فاوقع بهم واقتتلوا قتالاً شديداً ثم أظفر الله المسلمين بهم ومنحهم اكتافهم وبعث اليهم رستم لما بلغه الخبر برجل يقال له ﴿جالينوس﴾ فالتقوا بموضع يقال له [باروسما] فانهزمت الفرس وافتتح ابو عبيد باروسما فوجه اليهم رستم بذي الحاجب وبعث معه

بالفيل فاقتتلوا قتالاً شديداً فجعلت خيل المسلمين تنفر من الفيل فشد عليه ابو عبيد الثقفي بالسيف فقطع مشفره وبرك عليه الفيل فقتله وقام بالجيش المثنى بن حارثة الشيباني فلما انتهى الخبر الى عمر اشتد غمه بذلك وقدم جرير بن عبد الله البجلي من اليمن في ركب من بجيلة رئيسهم عرفجة بن هرثمة — حليف لهم من الأزد — فامرهم عمر بالنفوذ الى العراق وأمر عليهم عرفجة فغضب جرير وقال والله ما الرجل منا فقال عرفجة صدق فوجه عمر جرير بن عبدالله فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع مرزبان بـ ﴿ المذار ﴾ فقتله وانهزم جيشه وغرق اكثرهم في دجلة ثم صار الى ﴿ النخيلة ﴾ وبها مهران في جمعه فواقعه فاقتتلوا قتالاً شديداً وشد المنذر بن حسان على مهران فطعنه فالقاه عن دابته فبادر جرير فاحتز رأسه فاختصما في سلبه فاخذ جرير السلاح والمنذر المنطقة وذلك في سنة اربع عشرة فلما رأت الفرس ماهم فيه من الضعف والمهانة وظهور المسلمين عليهم اجتمعوا على قتل رستم والفيرزان ثم قالوا ان في هذا إشتاتاً لأمرنا فطلبوا ابن كسرى حتى وجدوا ﴿ يزدجرد ﴾ وهو ابن عشرين سنة فملكوه عليهم فضبط أمورهم وحسن تدبيره واشتدت المملكة وقوي أمر الفرس وأخرجوا المسلمين عن المروج فارتد أهل السواد وخرقوا العهود التي كانت في أيديهم وصار المسلمون في الأطراف فلما بلغ ذلك عمر أراد الخروج الى العراق ثم استشار فاشير عليه بسعد بن أبي وقاص فوجه بثمانية آلاف فسار حتى نزل ﴿ القادسية ﴾ .

ووجه عتبة بن غزوان الى كور دجلة والأبلة وأبر قباذ وميسان ففتحها واختط البصرة وبنى مسجدها بالقصب ﴿ وقد قيل ﴾ ان عمر وجهه لذلك وأقام سعد بالقادسية ثم ظفر المسلمون بينت ﴿ ازاذ مرد ﴾ وهي تزف على بعض الملوك وأخذوا ما كان معها من الأموال والأثقال وفرقوها على المسلمين فطابت أنفسهم وحسنت قوتهم .

ثم وجه سعد الى كسرى بالنعمان بن مقرّن وجماعة معه يدعونه الى الاسلام فدخلوا

عليه في أحسن زي وعليهم البرود والنعل فأخبروه بما وجههم له سعد ودعوه الى الاسلام والى شهادة الحق والى أداء الجزية فأغضبه ذلك ودعا بتلبس تراب فقال احملوه على رأس سيدهم فلولا أن الرسل لا تقتل لقتلهم فقال عاصم بن عمرو التميمي أنا سيد القوم فحملوه التراب فمضى مسرعاً وقال قد ظفرنا والله بهم ووطئنا أرضهم وبلغ رستم الخبر فغلظ ذلك عليه وقال ما لابن الحجامة ولتدبير الملك ﴿ ويقال ﴾ إن أم يزدجرد كانت حجامة ثم وجه رسلا في آثارهم ففاتوا الرسل فاشتد رعب كسرى والفرس منهم وأمر رستم أن يتوجه اليهم فكره ذلك فحمل عليه بالقول حتى خرج وهو مكره فلما صار الى ﴿ النجف ﴾ وجه الى سعد أن ابعث إلي بقوم من عندكم لاناظرهم فأرسل سعد المغيرة بن شعبة وبشر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربعي بن عامر وقرفة بن زاهر ومذعور بن عدي ومضارب بن يزيد وشعبة بن مرة وكانوا من دهاة العرب فدخلوا عليه رجلاً رجلاً يقول كل واحد منهم مثل مقالة صاحبه ويدعونه الى الاسلام أو أداء الجزية فتبينوا فيه أنه يهوى الدخول في الاسلام ويخاف من اصحابه وكلما عرض على واحد منهم لم ير عنده مسارعة ثم خرج رستم في التعبية للجيش وجلس على سرير من ذهب وأقام مصافه وعدل أصحابه وأيقن بالهلكة وكان منجماً، وكتب الى أخيه ﴿ بسم الله ولي الرحمة من الاصبهبذ رستم الى أخيه أما بعد فاني رأيت المشتري في هبوط والزهرة في علو وهو آخر العهد منك والسلام عليك الدهر الدائم ﴾

وخطب سعد بن أبي وقاص المسلمين فرغبهم في الجهاد وأعلمهم ما وعد الله نبيه من النصر وإظهار الدين ورغب كل رجل من المسلمين صاحبه وأنشبت الحرب بينهم بعد صلاة الظهر واقتتلوا قتالاً شديداً وحسن بلاء المسلمين وغناؤهم ، وكان سعد يومئذ عليلا فصار الى قصر العذيب فنزله وتحصن فيه فبلغ رستم فوجه خيلا فاحدقت بالقصر فلما بلغ المسلمين ذلك صاروا الى القصر فانهزم أصحاب رستم ثم أصبحوا من غد فوافاهم ستة آلاف من جيش أبي عبيدة بن الجراح وهم الذين كانوا مع خالد بن

الوليد خمسة آلاف من مضر وربيعة والف من أفناء المسلمين عليهم المر قال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص — وكان فتح الشأم قبل القادسية بشهر — فاصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم وأخرج رستم الفيلة فلما نظرت اليها الكتائب كادت أن تفترق ثم حمل المسلمون عليها فقؤوا أعينها وقطعوا مشافرها وزحف المسلمون وأصبحوا في اليوم الرابع والمسلمين العلو وقتل رستم وقع عليه عدل كان على بغل فقتله وكان الذي طرح عليه العدل هلال بن علفة وصعد على سريره وصاح قتلت رستم ورب الكعبة إلي إلي .

﴿ وقيل ﴾ قتله زهير بن عبد شمس ابن أخي جرير بن عبد الله ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وانكشفوا مدبرين وجمعت الأموال والأسلاب وبيع سلب رستم فبلغ سهم الرجل لكل فارس اربعة عشر الفاً وسهم الراجل سبعة آلاف ومائة ورضخ لعيال الشهداء من صلب الفيء ورضخ للنساء من صلب الفيء فأما العبيد فانهم عفوا ، وأوفد سعد الى عمر وفداً فأجازهم عمر ثمانين ديناراً ثمانين ديناراً ، وكان بالقادسية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بدر سبعون رجلاً ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ، ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مائة ونفرت جميع الفرس إلى المدائن منهزمين لا يلوون على شيء ويزدجرد الملك بها فاتبعهم سعد بالمسلمين فحاصرهم شهراً وخمسة عشر يوماً ثم خرج الفرس هاربين وفتحت المدائن ﴿ وقيل ﴾ إن ذلك كان في سنة ست عشرة .

وفيها أرخ عمر الكتب وأراد أن يكتب التأريخ منذ مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال من المبعث فأشار عليه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكتبه من الهجرة فكتبه من الهجرة .

ووجه عتبة بن غزوان إلى عمر واستخلف على البصرة مجاشع بن مسعود السلمي والمغيرة بن شعبة في الجيش فلما شخص عتبة جاء من كان بميسان ومن كان بكور دجلة من الأعاجم وعليهم الفيلكان فجمع لهم المغيرة بن شعبة عدة من المسلمين فسار بهم حتى

لقي الأعاجم بـ ﴿ ميسان ﴾ فهزمهم وسبى أهلها عنوة ، وكتب المغيرة بذلك الى عمر بن الخطاب فقال عمر لعتبة استعمل أهل الوبر على أهل المدر ، وكتب الى المغيرة إنك خليفة عتبة بن غزوان حتى يقوم عتبة وخرج عتبة من عند عمر فلما كان بين المدينة والبصرة توفي عتبة فكتب عمر الى المغيرة بولايته على البصرة فلما كانت وقعة ﴿ القادسية ﴾ صار المغيرة الى سعد ثم رجع الى عمله ، وكان يختلف الى امرأة من بني هلال يقال لها ﴿ أم جميل ﴾ زوجة الحجاج بن عتيك الثقفي فاستراب به جماعة من المسلمين فرصده ابو بكرة ونافع بن الحارث وشبل بن معبد وزياد بن عبيد حتى دخل اليها فرفعت الريح الستر فاذا به عليها فوفدوا على عمر فسمع عمر صوت ابي بكرة وبينه وبينه حجاب فقال ابو بكرة قال نعم قال لقد جئت ببشر قال انما جاء به المغيرة ثم قص عليه القصة فبعث عمر ابا موسى الأشعري عاملاً مكانه وأمره أن يشخص المغيرة فلما قدم عليه جمع بينه وبين الشهود فشهد الثلاثة وأقبل زياد فلما رآه عمر قال أرى وجه رجل لا يخزي الله به رجلا من أصحاب محمد ، فلما دنا قال ما عندك يا سلح العقاب قال رأيت أمراً قبيحاً وسمعت نفساً عالياً ورأيت أرجلا مختلفة ولم أر الذي مثل الميل في المكحلة فجلد عمر أبا بكرة ونافعاً وشبل بن معبد فقام ابو بكرة وقال أشهد أن المغيرة زان فاراد عمر أن يجلده ثانية فقال له علي عليه السلام إذن توفي صاحبك حجارة ، وكان عمر إذا رأى المغيرة قال يا مغيرة ما رأيتك قط إلا خشيت أن يرجمني الله بالحجارة ، وكان بالبصرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية وستون رجلا .

﴿ رجع الحديث ﴾ إلى خبر أبي عبيدة بن الجراح وحصاره أهل بيت المقدس لأنا جعلنا كل خبر في سنته ووقته ، وكتب ابو عبيدة الى عمر يعلمه مطاولة أهل ايلياء وصبرهم ﴿ وقال بعضهم ﴾ إن أهل ايلياء سألوه أن يكون الخليفة المصالح لهم فاخذ عليهم العهود والمواثيق وكتب الى عمر فخرج الى الشام واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وقرب خالداً وأدناه وأمره فسار في الناس على مقدمته وذلك في رجب سنة

ست عشرة فنزل [الجابية] من أرض دمشق ثم صار الى بيت المقدس فافتتحها صلحاً وكتب لهم كتاباً ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً ﴾ وأشهد شهوداً وأتاه عمرو بن العاص بالطلاء فقال كيف يصنع هذا فقال يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه فقال ما أرى بذلك بأساء .

واختلف القوم في صلح بيت المقدس فقالوا صالح اليهود وقالوا النصارى والمجمع عليه النصارى وقام اليه بلال فقال يا أمير المؤمنين إن أمراء أجناد الشام ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقي وما يجد ذلك عامة الناس فاخذ عمر أمراء الشام بان ضمنوا له القوت للمسلمين في كل يوم خبزين لكل رجل وما يصلحه من الخل والزيت ، وأمر عمر أن يقسم الغنائم بين الناس بالسوية خلا لحم وجذام وقال لا أجعل من خرج من الشقة الى عدو كمن خرج من بيته ، فقام اليه رجل فقال إن كان الله جعل الهجرة الينا فخرجنا من بيوتنا الى عدونا نحرم حظنا ، ومر عمر راجعاً الى المدينة فمر على قوم قد أقيموا يعذبون في الخراج فقال عمر دعوهم لا تعذبوهم فاني سمعت رسول الله يقول إن الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله في الآخرة يوم القيامة فارسل اليهم فخلى سبيلهم فاتاه جبلة بن الأيهم فقال له تأخذ مني الصدقة كما تصنع بالعرب قال بل الجزية وإلا فالحق بمن هو على دينك فخرج في ثلاثين الفاً من قومه حتى لحق بأرض الروم وندم عمر على ما كان منه في أمره .

ووجه عمرو بن العاص فقال له يا أمير المؤمنين تأذن لي في أن أصير الى مصر فانا إن فتحناها كانت قوة للمسلمين وهي من اكثر الأرض أموالا وأعجزه عن القتال ولم يزل يعظم أمرها في نفسه ويهون عليه فتحها حتى عقد له على أربعة آلاف كلهم من عك وقال له سيأتيك كتابي سريعاً فان لحقك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخل شيئاً من أرضها فانصرف فان دخلتها ثم جاءك كتابي فامض واستعن بالله

وسار عمرو مسرعاً فلما كان بـ ﴿ رفح ﴾ وهي آخر عمل فلسطين أتاه رسول عمر ومعه كتاب فلم يفض الكتاب ونفذ حتى صار الى قرية بالقرب من الـ ﴿ عريش ﴾ وقرأ الكتاب ثم قال من أين هذه القرية قالوا من مصر قال فان أمير المؤمنين أمرني إن اتاني كتابه وقد دخلت شيئاً من أرض مصر أن امضي لوجهي وأستعين بالله حتى آتي الـ ﴿ فرماء ﴾ فقاتلوه نحواً من ثلاثة أشهر ثم فتح الله عليه ومضى حتى صار الى ﴿ أم دنين ﴾ فقاتلوه قتالا شديداً وأبطأ عنه الفتح وكتب الى عمر يستمده فوجه باربعة آلاف وكتب اليه إنه قد صير على كل الف رجل رجلا يقوم مقام الف رجل ﴿ منهم ﴾ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة ﴿ وقيل ﴾ مسلمة بن مخلد فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم قال الزبير إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله على المسلمين فوضع السلم ليلا الى جانب الحصن ثم اقتحم معه جماعة وكبر المسلمون فلما استحر القتل دعوا الى الصلح ﴿ فقال بعضهم ﴾ فصالح المقوقس عمرو بن العاص على دينارين دينارين لكل رجل ﴿ وقيل ﴾ لم يكن صلح وإنما افتتح عنوة ثم مضى حتى صار الى ﴿ الاسكندرية ﴾ وبها جموع الروم وعليها ثلاثة حصون فقاتلوه قتالا شديداً فطالت المدة بينهم ثلاثة أشهر وكان المقوقس قد سأل عمراً أن يصالحه عن الاسكندرية على أن يطلق من أراد منهم أن يمضي الى بلاد الروم ومن أقام فعليه ديناران خراج فأجابه الى ذلك فلما بلغ ﴿ هرقل ﴾ ملك الروم غضب . . . . فقال المقوقس إني قد نصحت لهم فاستغشوني فلا تجبهم الى ما أجبتني اليه .

وخرج عمر الى مكة سنة سبع عشرة فاعتمر عمرة رجب ووسع المقام وباعده من البيت ووسع الحجر وبنى المسجد الحرام ووسع فيه واشترى من قوم منازلهم وامتنع آخرون فهدم عليهم ووضع أثمان منازلهم في بيت المال وكان فيما هدم بيت العباس بن عبد المطلب فقال له نهدم داري قال لأوسع بها في المسجد الحرام فقال العباس سمعت رسول الله يقول إن الله أمر داود أن يبني له بيتاً بايلياء فبناه ببيت المقدس وكان كلما

ارتفع البناء سقط فقال داود يا رب إنك أمرتني أن أبني لك بيتاً وإني كلما بنيت سقط البناء فأوحى الله اليه اني لا أقبل إلا الطيب وإنك بنيت لي في غصب فنظر داود فاذا قطعة أرض لم يكن شراها فابتاعها من صاحبها بحكمه ثم بنى فتم البناء ﴿ قال ﴾ ومن يشهد أنه سمع هذا من رسول الله فقام قوم فشهدوا قال فتحكم الينا يا أبا الفضل وإلا أمسكنا قال فاني قد تركتها لله وانصرف عمر بعد عشرين يوماً ، وكان العباس يسايره وتحت العباس دابة مصعب فتقدمه عمر ثم وقف له حتى لحقه فقال تقدمتك وما لأحد أن يتقدمكم معشر بني هاشم قوم . . . (١) . . . فيكم ضعف قال رآنا الله نقوى على النبوة ونضعف عن الخلافة ، ثم خرج يريد الشام حتى بلغ الى ﴿ سرغ ﴾ فبلغه أن الطاعون قد كثر فرجع فلقيه أمراء الشام وكلمه ابو عبيدة بن الجراح أشد كلام وقال أفراراً من قدر الله تعالى قال عمر نعم أفر من قدر الله الى قدر الله .

وفي هذه السنة خطب عمر الى علي بن أبي طالب عليه السلام أم كلثوم بنت علي وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال علي عليه السلام إنها صغيرة فقال إني لم أرد حيث ذهبت لكني سمعت رسول الله يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار .

وفي هذه السنة نزل المسلمون الكوفة واختطوا بها الخطط وبنوا المنازل [وقيل] كان ذلك في أول سنة ثماني عشرة ونزلها من أصحاب رسول الله ثمانون رجلا .

وأصاب الناس جدب وقحط ومجاعة شديدة في عام الرمادة وهي سنة ثماني عشرة فخرج عمر يستسقي وأخرج الناس وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب فقال ﴿ اللهم إنا نتقرب اليك بعم نبيك اللهم فلا تخيب ظنهم في رسولك ﴾ فأسقوا .

وأجرى عمر الأقوات في تلك السنة على عيالات قوم من المسلمين وأمر أن تكون

(١) بياض في الأصل ، وفيه نقص ولعل العبارة (ولكنكم قوم فيكم ضعف)

نفقات أولاد اللقط ورضاعهم من بيت المال .

وفي هذه السنة سمي عمر أمير المؤمنين وكان يسمى خليفة رسول الله ، وكتب اليه أبو موسى الأشعري ﴿ لعبد الله عمر امير المؤمنين ﴾ وجرت عليه ﴿ وقيل ﴾ إن المغيرة بن شعبة دخل عليه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لتخرجن مما قلت فقال ألسنا مسلمين قال بلى قال وانت أميرنا قال اللهم نعم .

وكان ابو عبيدة بن الجراح قد وجه عياض بن غنم الفهري الى الجزيرة فلم يزل يحاصر عليهم ثم افتتح الرقة وسروج والرها ونصيبين وسائر مدن الجزيرة وكانت صلحاً كلها ووضع عليها الخراج على الأرضين ورقاب الرجال ، على كل انسان أربعة وخمسة دنانير وستة ، في سنة ثماني عشرة فانصرف الى أبي عبيدة .

وكثر الطاعون بالشام وكان طاعون عمواس فمات ابوعبيدة بن الجراح واستخلف عياض بن غنم على حمص وما والاها من قنسرين ، ومعاذ بن جبل على الأردن ولم يلبث معاذ بن جبل إلا أياماً حتى توفي ، ومات يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة فاقر عمر معاوية على عمل يزيد ، ومات في تلك السنة في طاعون عمواس خمسة وعشرون الفاً سوى من لم يحصر منهم وغلا السعر واحتكر الناس فنهى عمر عن الاحتكار

وفيها توفي الفضل بن العباس بن عبد المطلب بفلسطين وكانت فلسطين قد افتتحت خلا قيسارية ، وكان معاوية بن أبي سفيان مقيماً عليها فافتتحها سنة ثماني عشرة [وقيل] كان بها ثمانون الف مقاتل وبعث رجلين من جذام الى عمر بالبشارة ثم أردفهما برجل من خثعم يقال له زهير وقال له إن قدرت أن تسبق الجذاميين فافعل فمر بهما الخثعمي وهما نائمان فجازهما وقدم المدينة ليلاً فاتى عمر فاخبره فكبر وحمد الله ثم خرج الى المسجد وأمر بنار فاتي بها فحمد الله وأعلمهم بفتح قيسارية .

وكتب سعد بن أبي وقاص من المدائن الى عمر بعد مقامه بثلاث سنين يعلمه اجتماع الفرس بجلولاء وهي قرية من قرى السواد بالقرب من حلوان ، وكتب اليه

أن ينهض اليهم فيمن معه ووجه عبد الله بن مسعود فاقامه مقام سعد ﴿ وقيل ﴾ صير سلمان بالمدائن وكان ابن مسعود يفقههم ويعلمهم فكانت وقعة ﴿ جلولاء ﴾ سنة تسع عشرة (١) فلم يزل يقاتلهم حتى فتح الله عليه وقتل من الفرس مقتلة عظيمة وهرب [يزدجرد] فيمن بقي معه فلحق بـ [اصبهان] ثم سار الى ناحية الري وأتاه صاحب ﴿ طبرستان ﴾ فاعلمه حصانة بلاده فامتنع عليه ومضى الى [مرو] وكان معه الف أسوار من أساورته والف جبار والف صناجة ، فكاتب ﴿ نيزك طرخان ﴾ (٢) فعلاه بعمود فمضى منهزماً حتى دخل بيت طحان ولحقوه فقتلوه في بيت الطحان فصارت أساورته الى بلخ ووقعت صناجته الى هراة وجباروه الى مرو

وافترقت جموع الفرس وأذهب الله ملكهم وفرق جمعهم ، ورجع سعد الى الكوفة فاختط مسجدها وقصر إمارتها ، فاختط الأشعث جبانة كندة ، واختطت كندة حوله ، واختط يزيد بن عبد الله ناحية البرية ، واختطت بجيلة حوله ، وشاور عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سواد الكوفة فقال له بعضهم تقسمها بيننا فشاور علياً عليه السلام فقال إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ولكن تقرها في أيديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا ، فقال وفقك الله هذا الرأي .

ووجه عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان فمسحا السواد وأمرهما أن لا يحملا احداً فوق طاقته ، فاجتبى خراج السواد ثمانين الف الف درهم ، وأجرى على عثمان بن حنيف خمسة دراهم في كل يوم وجراباً من دقيق وأمره أن لا يمسح تلاً ولا أجمة ولا مستنقع ماء ولا مالا يبلغه الماء ، وأن يمسح بالذراع السوداء وهو ذراع وقبضة وأقام إبهامه فوق القبضة شيئاً يسيراً ، فمسح عثمان كل شيء دون جبل ﴿ حلوان ﴾ الى

(١) كذا في الأصل والذي ذكره المؤرخون منهم الطبري في التاريخ أن وقعة جلولاء كانت سنة ست عشرة .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل في العبارة نقصاً . (م . ص)

أرض العرب وهو أسفل الفرات فكتب الى عمر إني وجدت كل شيء بلغه الماء من عامر وغير عامر بلغه الماء عمله صاحبه او لم يبلغه « . . (١) . . » درهماً وقفيزاً وعلى الكرم عشرة دراهم ، وعلى الرطاب خمسة دراهم ، وفرض على رقابهم على الموسر ثمانية وأربعين ، وعلى من دون ذلك أربعة وعشرين ، وعلى من لا يجد اثني عشر درهماً ، وقال درهم في الشهر لا يعوز رجلاً فحمل من خراج السواد في أول سنة ثمانون الف الف درهم وحمل من قابل عشرون ومائة الف الف درهم ، واجتمع الدهاقين الى عثمان بن حنيف في الكرم فقالوا إنما في قرب من المصر يباع العنقود منه بدرهم ، فكتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن يحمل من هذا ويوضع على هذا بقدر الموضعين وكان عمر يأخذ الجزية من أهل كل صناعة من صناعتهم بقيمة ما يجب عليهم وكذلك فعل علي عليه السلام ، وكتب عمر الى أبي موسى أن يضع على أهل البصرة من الخراج مثل ما وضع عثمان بن حنيف على أرض الكوفة ، وكتب الى عثمان بن حنيف أن احمل الى أهل المدينة أعطياتهم فانهم شركاؤهم فكان يحمل ما بين العشرين الف الف الى الثلاثين الف الف ، ودوّن عمر الدواوين ، وفرض العطاء سنة عشرين فقال قد كثرت الأموال فاشير عليه أن يجعل ديواناً .

(١) بياض في الأصل ، والذي ذكره ياقوت الحموي في المعجم بمادة [السواد] عن محمد بن عبد الله الثقفي قال « وضع عمر (رض) على كل جريب من السواد عامراً كان أو غامراً يبلغه الماء درهماً وقفيزاً ، وعلى جريب الرطبة خمسة دراهم وخمسة أقفزة وعلى جريب الكرم عشرة دراهم وعشرة أقفزة ولم يذكر النخل وعلى رؤوس الرجال ٤٨ و ٢٤ و ١٢ درهماً وحمل عثمان بن حنيف على رقاب خمسمائة الف وخمسين الف عليج لأخذ الجزية ، وبلغ الخراج في ولايته مائة الف الف درهم ، ومسح حذيفة ابن اليمان سقي الفرات . . . . وكان ذراعه وذراع ابن حنيف ذراع اليد وقبضة وابهاماً ممدودة » . (م . ص)

فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف وقال اكتبوا الناس على منازلهم وابدأوا ببني عبد مناف فكتب أول الناس علي بن أبي طالب في خمسة آلاف والحسن بن علي في ثلاثة آلاف والحسين بن علي في ثلاثة آلاف ﴿ وقيل ﴾ بدأ بالعباس بن عبد المطلب في ثلاثة آلاف وكل من شهد بدراً من قريش في ثلاثة آلاف ومن شهد بدراً من الأنصار في أربعة آلاف ولأهل مكة من كبار قريش مثل أبي سفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان في خمسة آلاف ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدراً ، ولأمهات المؤمنين ستة آلاف ستة آلاف ولعائشة وأم حبيبة وحفصة في اثنى عشر الفاً ، ولصفية وجويرية في خمسة آلاف خمسة آلاف ولنفسه في أربعة آلاف ، ولابنه عبد الله بن عمر في خمسة آلاف ، وفي أهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة ، وفرض لأهل اليمن في اربعمائة ، ولمضر في ثلثمائة ولربيعة في مائتين .

وكان أول مال أعطاه مال قدم به ابو هريرة من البحرين مبلغه سبع مائة الف درهم قال اكتبوا الناس على منازلهم وكتبوا بني عبد مناف ثم اتبعوهم ابا بكر وقومه ثم اتبعوهم عمر بن الخطاب وقومه على الخلافة ، فلما نظر عمر قال وددت والله أني هكذا في القرابة برسول الله ولكن ابدأوا برسول الله ثم الأقرب فالأقرب منه حتى تضعوا عمر بحيث وضعه الله ، وفرض للنساء المهاجرات وغيرهن على قدر فضلهن ، وكانت فريضته لهن في الفين والف وخمسمائة والف ، وفرض لأسماء بنت عميس وأم كلثوم بنت عقبة ابن ابي معيط وخولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون في الفين ، وفرض لأم عبد في الف وخمسمائة ، وفرض لأشراف الأعاجم ، وفرض لفيروز بن يزدجرد دهقان نهر الملك والنخير خان ، ولخالد ولجميل ابني بصبهرى دهقان الفلوجة ، وللهرمزان ولبسطام بن نرسى دهقان بابل وجفينة العبادي في الفين الفين ﴿ وقال ﴾ قوم أشراف أحببت أن أتألف بهم غيرهم ﴿ وقال عمر ﴾ في آخر سنيه إني كنت تألفت الناس

بما صنعت في تفضيل بعض على بعض وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس فلم أفضل أحمر على أسود ولا عربياً على عجمي وصنعت كما صنع رسول الله وابو بكر .

ومصَّر الأمصار في هذه السنة ، وقال الأمصار سبعة فالمدينة مصر ، والشام مصر ، والجزيرة مصر ، والكوفة مصر ، والبصرة مصر (. . . « ١ » . . .) وجنَّد الأجناد فصيَّر فلسطين جنداً والجزيرة جنداً والموصل جنداً وقنسرين جنداً .

وفي هذه السنة فتح عمرو بن العاص الاسكندرية وسائر أعمال مصر واجتباها أربعة عشر الف الف دينار من خراج رؤوسهم لكل رأس ديناراً ، وخراج غلاتهم من كل مائة إردب (٢) إردبين ، وأخرج أصحاب هرقل ، ومات هرقل ملك الروم فزاد ذلك في وهنهم وضعفهم ، ولما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية أوفد الى عمر بن الخطاب معاوية بن خديج الكندي فقال له معاوية اكتب معي فقال وما أصنع بالكتاب معك خبره بما رأيت وأد اليه الرسالة فلما أتى عمر وخبره الخبر خرَّ ساجداً وكتب عمر الى عمرو بن العاص أن يحمل طعاماً في البحر الى المدينة يكفي عامة المسلمين حتى يصير به الى ساحل الجار فحمل طعاماً الى القلزم ثم حمله في البحر في عشرين مركباً في المركب ثلاثة آلاف إردب وأقل واكثر حتى وافى الجار وبلغ عمر قدومها فخرج ومعه جلة اصحاب رسول الله ﴿ ص ﴾ حتى قدم الجار فنظر السفن ثم وكل من قبض ذلك الطعام وبنى هنالك قصرين وجعل ذلك الطعام فيهما ثم أمر زيد بن ثابت ان يكتب الناس على منازلهم وامره ان يكتب لهم صكاكاً من قراطيس ثم يختم اسافلها فكان اول من

(١) بياض في الأصل ، ولم يذكر السادس والسابع من الأمصار وقد جعلها السيوطي في تاريخ الخلفاء مصر والموصل وعدَّ تمصير الأمصار من اوليات عمر .

(٢) الاردب ، بكسر الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة مع تشديد الباء الموحدة مكيال ضخم وهو اربعة وعشرون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو اربعة امداد ، وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت مصر إردبها .

ملك وختم أسفل الصكاك .

﴿ رجع الحديث الى سعد بن أبي وقاص ﴾ وقد رجع سعد بن أبي وقاص الى الكوفة وأقام بها واختطت الخطط وبنيت المنازل والمحال ثم إن أهل الكوفة شكوا سعداً وقالوا لا يحسن يصلي فعزله عمر عنهم فدعا عليهم سعد أن لا يرضيهم الله عز وجل عن أمير ولا يرضي اميراً عنهم ، وولى عمر مكان سعد بن ابي وقاص عمار بن ياسر . . . . . ثم قدم عليه أهل الكوفة فقال كيف خلفتم عمار بن ياسر أميركم قالوا مسلم ضعيف فعزله ووجه جبير بن مطعم فمكر به المغيرة وحمل عنه خبراً الى عمر وقال له ولني يا أمير المؤمنين قال أنت رجل فاسق قال وما عليك مني كفايتي ورجلتي لك وفسقي على نفسي فولاه الكوفة فسألهم عن المغيرة فقالوا أنت أعلم به وبفسقه فقال ما لقيت منكم يا أهل الكوفة إن وليتكم مسلماً تقياً قلتم هو ضعيف وإن وليتكم مجرماً قلتم هو فاسق ، فيقال إنه رد سعد بن أبي وقاص .

وأخرج عمر يهود خيبر من الحجاز لما قتل مظهر بن رافع الحارثي وقال سمعت رسول الله يقول لا يجتمع في جزيرة العرب دينان وقسم خيبر على ستة عشر سهماً .

ووجه ميسرة بن مسروق العبسي إلى أرض الروم فكان أول جيش دخلها جيش ميسرة في هذه السنة وهي سنة عشرين ، وأغزى حبيب بن مسلمة الفهري وقدّر له أجلاً فجاز ذلك الوقت واشتد غم عمر حتى وافى فقال له ما أخرك عن الوقت الذي وقته لك قال اعتل رجل من المسلمين فاقمنا عليه حتى قضى الله ما قضى ، ولم يغز عمر بلاد الروم بعد حبيب ، وكان عمر يقول إذا ذكر الروم والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه لما كان يكره قتالهم ، ووجه علقمة بن مجزز المدلجي في عشرين مركباً او نحوها فاصيبوا جميعاً فحلف عمر لا يحمل في البحر أحداً ابداً .

وفي هذه السنة كانت الزلازل التي لم تر مثلها ، وافتتحت نهاوند سنة إحدى

وعشرين وأمير الناس النعمان بن مقرن المزني ، وكانت الأعاجم قد اجتمعت من الري وقومس واصبهان وعدة بلدان حتى صاروا إلى نهاوند وقالوا قد غلبنا على بلدنا ونالنا الذل في دارنا فبعث عمر النعمان في جيش فصار الى نهاوند وقد ملك الأعاجم عليهم ملكا يقال له ﴿ دوبر ﴾ واقتتلوا قتالاً شديداً وقتل النعمان بن مقرن ثم هزم الله الأعاجم وفتحت نهاوند ، وفي غزاة نهاوند كان عمر بن الخطاب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فبينا هو يخطب إذ قال يا سارية الجبل الجبل وكان سارية في جيش نهاوند فقال سارية لما قدم من نهاوند أحدق بنا العدو فسمعنا صوتك يا أمير المؤمنين وأنت تقول يا سارية الجبل الجبل فانحزنا الى الجبل فسلمنا .

وفتح عمرو بن العاص برقة وصالحهم على ثلاثة عشر الف دينار على أن يبيعوا من أبنائهم من أحبوا في جزيتهم في هذه السنة ثم سار حتى أتى طرابلس افريقية فافتتحها وكتب الى عمر يستأذنه في غزو باقي افريقية فكتب اليه أنها مفرقة ولا يغزوها أحد ما بقيت ، ووجه بسر بن ابى أرطاة فصالح أهل ودان وأهل فزان ، وبعث عقبة بن نافع الفهري — وكان أخا العاص بن وائل السهمي لأمه — إلى أرض النوبة ولقي المسلمون من النوبة قتالا شديداً ، ولما انصرف المسلمون من بلاد النوبة اختطوا الجيزة وكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لا تجعل بيني وبينك ماء وانزلوا موضعاً متى أردت أن أركب راحلتي وأصير اليكم فعلت .

وافتتحت آذربايجان سنة اثنتين وعشرين وأمير الناس المغيرة بن شعبة ﴿وقيل﴾ هاشم بن عتبة بن ابي وقاص ، وافتتح أبو موسى الأشعري كور الأهواز واصطخر سنة ثلاث وعشرين وكتب اليه عمر أن ضع عليها الخراج كما وضع على سائر أرض العراق ففعل ذلك ، وافتتح عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي همدان واصبهان في هذه السنة ، وافتتح قرظة بن كعب الأنصاري الري ، وافتتح معاوية بن أبي سفيان عسقلان ، وولى عمر خالد بن الوليد الرها وحران والرقة وتل موزن وآمد فاقام بها

سنة ثم استعفى فاعفاه وقدم المدينة فاقام بها أياماً ثم توفي خالد بالمدينة ﴿ وقال الواقدي ﴾ إن خالد بن الوليد توفي بحمص فأوصى إلى عمر ولما ورد اليه خبر وفاته بكته حفصة وآل عمر وكثر بكاؤهن عليه فقال عمر حق لهن أن يبكين على أبي سليمان وأظهر عليه جزعاً ، ووجه حبيب بن مسلمة الفهري الى ارمينية ثم أردفه بسلمان بن ربيعة مدداً له فلم يصل اليه إلا بعد قتل عمر .

وأذن عمر لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحج في هذه السنة وحج معهن ﴿ قال بعضهم ﴾ فرأيت أزواج رسول الله في الهودج وعليهن الطيالسة الزرق سنة ثلاث وعشرين وكان يكون أمامهن عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وراءهن فلا يدعان أحداً يدنو منهن .

وشاطر عمر جماعة من عماله أموالهم ﴿ قيل ﴾ إن فيهم سعيد بن أبي وقاص عامله على الكوفة ، وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريرة عامله على البحرين والنعمان بن عدي بن حرثان عامله على ميسان ، ونافع بن عمرو الخزاعي عامله على مكة ويعلى بن منية عامله على اليمن ، وامتنع ابو بكرة من المشاطرة وقال والله لئن كان هذا المال لله فلا يحل لك أن تأخذ بعضاً وتترك بعضاً وإن كان لنا فما لك أخذه فقال له عمر إما أن تكون مؤمناً لا تغل أو منافقاً أفك ، فقال بل مؤمن لا أغل ، واستأذن قوم من قريش عمر في الخروج للجهاد فقال قد تقدم لكم مع رسول الله ، قال إني آخذ بحلاقيم قريش على أفواه هذه الحرة لا تخرجوا فتسللوا بالناس يميناً وشمالاً قال عبد الرحمان بن عوف فقلت نعم يا امير المؤمنين ولم تمنعنا من الجهاد فقال لأن أسكت عنك فلا أجيبك خير لك من أن أجيبك ، ثم اندفع يحدث عن أبي بكر حتى قال كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه .

﴿ وروي ﴾ عن ابن عباس قال طرقني عمر بن الخطاب بعد هدأة من الليل فقال اخرج بنا نحرس نواحي المدينة فخرج وعلى عنقه درته حافياً حتى أتى بقيع الغرقد

فاستلقى على ظهره وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوه صعداء فقلت له يا امير المؤمنين ما أخرجك الى هذا الأمر ﴿ قال ﴾ أمر الله يابن عباس [قال] قلت إن شئت أخبرتك بما في نفسك ﴿ قال ﴾ غص ياغواص إن كنت لتقول فتحسن ﴿ قال ﴾ قلت ذكرت هذا الأمر بعينه والى من تصيره ﴿ قال ﴾ صدقت ، قال فقلت له اين انت عن عبد الرحمن بن عوف ﴿ فقال ﴾ ذلك رجل ممسك وهذا الأمر لا يصلح إلا لمعط في غير سرف ومانع في غير اقتار ، قال قلت سعد بن أبي وقاص ﴿ قال ﴾ مؤمن ضعيف ، قال فقلت طلحة بن عبدالله ﴿ قال ﴾ ذاك رجل يناول للشرف والمديح يعطي ماله حتى يصل الى مال غيره وفيه بأو وكبر ، قال فقلت فالزبير بن العوام فهو فارس الاسلام ﴿ قال ﴾ ذاك يوماً انسان ويوماً شيطان وعقة لقس (١) إن كان ليكادح على المكيلة من بكرة الى الظهر حتى تفوته الصلاة ، قال فقلت عثمان بن عفان ﴿ قال ﴾ إن ولي حمل بني أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس وأعطاهم مال الله ولئن ولي ليفعلن ، والله لئن فعل لتسيرن العرب اليه حتى تقتله في بيته ثم سكت ﴿ قال ﴾ فقال امضها يابن عباس أترى صاحبكم لها موضعاً قال فقلت واين يتبعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه ﴿ قال ﴾ هو والله كما ذكرت ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق فاخذ المحجة الواضحة إلا أن فيه خصالا الدعابة في المجلس واستبداد الرأي والتبكيت للناس مع حداثة السن ﴿ قال ﴾ قلت يا امير المؤمنين هلا استحدثتم سنه يوم الخندق إذ خرج عمرو بن عبد ود وقد كعم عنه الأبطال وتأخرت عنه الأشياخ ويوم بدر إذ كان يقط الأقران قطاً وهلا سبقتموه بالاسلام (اذ كان جعلته (٢) السعب وقريش يستوفيكم) فقال اليك يابن عباس

(١) وعقة بفتح الواو وسكون العين المهملة الذي يضجر ويتبرم ، واللقس بفتح اللام وكسر القاف السيء الخلق وقيل الشحيح قاله ابن الأثير في النهاية بمادة (وعق ، ولقس) وذكر حديث عمر في الزبير (٢) كذا في الاصل وفي العبارة اضطراب فليراجع (م ص)

أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعلي بأبي بكر يوم دخلا عليه ﴿ قال ﴾ فكرهت أن أغضبه فسكت ، فقال والله يابن عباس إن عليًا ابن عمك لأحق الناس بها ولكن قريشًا لا تحتمله ولئن وليهم ليأخذهم بمر الحق لا يجدون عنده رخصة ولئن فعل لينكثن بيعته ثم ليحاربن .

وحج عمر جميع سني ولايته إلا السنة الأولى وهي سنة ثلاث عشرة فان عبد الرحمن ابن عوف حج بالناس وكان الغالب عليه عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن عبد الله بن عباس كان على شرطه وكان حاجبه ﴿ يرفأ ﴾ مولاه فطعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وكان ذلك من شهور العجم في تشرين الآخر ، وكان الذي طعنه ﴿ ابو لؤلؤة ﴾ عبد للمغيرة بن شعبة وجأه بخنجر مسموم .

وكانت سني عمر يومئذ ثلاثًا وستين سنة ﴿ وقيل ﴾ اربعًا وخمسين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثمانية أشهر ، ولما طعن عمر قال لابنه إني كنت استسلفت من بيت مال المسلمين ثمانين الفًا فليرد من مال ولدي فان لم يف ما لهم فمال آل الخطاب فان لم يف فمال بني عدي وإلا فمال قريش عامة ولا تعدهم .

ولما حضرته الوفاة اجتمع اليه الناس فقال إني قد مصرت الأمصار ودونت الدواوين وأجريت العطايا وغزوت في البر والبحر فان أهلك فالله خليفتي عليكم وسترون رأيكم إني قد تركتكم على الواضحة إنما أخاف عليكم أحد رجلين إما رجل يرى أنه أحق بالملك من صاحبه فيقاتله عليه (. . . . .) واني قد قرأت في كتاب الله [الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عليم حكيم] فلا تهلكوا عن الرجم وقد رجم رسول الله ورجمنا ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي فقد قرأتها في كتاب الله .

وصير الأمر شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقاص وقال أخرجت سعيد بن زيد لقرابته مني ، فقيل له في ابنه عبد الله بن عمر قال حسب آل الخطاب ما تحملوا منها إن عبد الله لم يحسن أن يطلق امرأته ، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس حتى يتراضوا من الستة بواحد ، واستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري وقال إن رضي أربعة وخالف اثنان فاضرب عنق الاثنين وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن وإن جازت الثلاثة الأيام ولم يتراضوا باحد فاضرب أعناقهم جميعاً ، وكانت الشورى بقية ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وصهيب يصلي بالناس وهو الذي صلى على عمر ، وكان ابو طلحة يدخل رأسه اليهم ويقول العجل العجل فقد قرب الوقت وانقضت المدة .

ودفن عمر الى جانب ابي بكر وخلف من الولد الذكور ستة عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمان وعاصماً وزيداً وابا عبيد الله ، ووثب ابنه عبيد الله فقتل [أبا لؤلؤة] وابنته وامرأته ، واغتر الهرمزان فقتله ، وكان عبيد الله يحدث أنه تبعه فلما أحس الهرمزان بالسيف قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن عمر أوصى أن يقاد عبيد الله بالهرمزان وأن عثمان أراد ذلك وقد كان قبل أن يلي الأمر أشد من خلق الله على عبيد الله حتى جر بشعره وقال يا عدو الله قتلت رجلا مسلماً وصبية طفلة وامرأة لا ذنب لها قتاني الله إن لم اقتلك ، فلما ولي رده الى عمرو ابن العاص ﴿ وروى بعضهم ﴾ عن عبد الله بن عمر أنه قال يغفر الله لحفصة فانها شجعت عبيد الله على قتلهم .

صفة عمر بن الخطاب

وكان عمر طويلاً أصلع أقبل شديد الأدمة أعسر يسر (١) يعمل بيديه جميعا

(١) أعسر وزان أفعل ويسر بفتح الياء والسين يقال [رجل أعسر يسر] اي يعمل بكلتا يديه

وبصفرلحيته ، وقيل يغيرها بالحناء والكتم .

وكان الفقهاء في أيامه الذين يؤخذ عنهم العلم علي بن أبي طالب عليه السلام وعبدالله ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وابو الدرداء وابو سعيد الخدري وعبد الله بن عباس .

وكان عمال عمر وقت وفاته سعد بن ابي وقاص على الكوفة ﴿ وقيل ﴾ المغيرة وابو موسى الأشعري على البصرة ، وعمير بن سعد الأنصاري على حمص ، ومعاوية ابن أبي سفيان على بعض الشأم ، وعمرو بن العاص على مصر ، وزياد بن لبيدالبياضي على بعض اليمن ، وأبوهريرة على عمان ، ونافع بن الحارث على مكة ، ويعلى بن منية التميمي على صنعاء ، والحارث بن أبي العاص الثقفي على البحرين ، وعبد الله بن أبي ربيعة على الجند .

أيام عثمان بن عفان

ثم استخلف عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وكان عبد الرحمن بن عوف الزهري لما توفي عمر واجتمعوا للشورى وسألهم أن يخرج نفسه منها على أن يختار منهم رجلاً ففعلوا ذلك فاقام ثلاثة أيام وخلا بعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فقال أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فخلا بعثمان فقال له لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فقال لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر ، ثم خلا بعلي عليه السلام فقال له مثل مقالته الأولى فاجابه مثل الجواب الأول ثم خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى فاجابه مثل ما كان أجابه ثم خلا بعلي عليه السلام فقال له مثل المقالة الأولى ، فقال إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما الى إجبري أحد انت مجتهد أن تزوي هذا الأمر

عني ، فخلا بعثمان فاعاد عليه القول فاجابه بذلك الجواب وصفق على يده فخرج عثمان والناس يهنونه ، وكان ذلك يوم الاثنين مستهل المحرم سنة اربع وعشرين ، ومن شهور العجم في تشرين الآخر ، وكانت الشمس يومئذٍ في العقرب ثلاث عشرة درجة وزحل في الحمل إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الجدي أربع درجات وأربعين دقيقة ، والمريخ في الميزان خمسين دقيقة ، والزهرة في العقرب احدى عشرة درجة راجعاً ، والرأس في الثور أربعاً وعشرين درجة .

فصعد عثمان المنبر في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجلس ابو بكر ولا عمر فيه ، جلس ابو بكر دونه بمرقاة ، وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة فتكلم الناس في ذلك فقال بعضهم اليوم ولد الشر ، وكان عثمان رجلا حيياً فارتج عليه فقام مليـاً لا يتكلم ، ثم قال إن ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانتم الى إمام عادل أحوج منكم الى إمام يشقق الخطب وإن تعيشوا فستأتيكم الخطبة ثم نزل ﴿ وروى بعضهم ﴾ إن عثمان خرج من الليلة التي بويع له في يومها لصلاة العشاء الآخرة وبين يديه شمعة فلقيه المقداد بن عمرو فقال ما هـذه البدعة .

ومال قوم مع علي بن أبي طالب عليه السلام وتحاملوا في القول على عثمان [فروى بعضهم] قال دخلت مسجد رسول الله فرأيت رجلا جاثياً على ركبتيه يتلهف تلهف من كأن الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول ﴿ واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر على أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين وابن عم رسول الله أعلم الناس وأفقههم في دين الله وأعظمهم عناءً في الاسلام وأبصرهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم ، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي وما أرادوا إصلاحاً للأمة ولا صواباً في المذهب ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين ﴾ فدنوت منه فقلت من أنت يرحمك الله ومن هذا الرجل فقال أنا المقداد بن عمرو وهذا الرجل علي بن

أبي طالب ، قال فقلت ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه فقال يا ابن اخي إن هذا الأمر لا يجزي فيه الرجل ولا الرجلان ، ثم خرجت فلقيت أبا ذر فذكرت له ذلك فقال صدق أخي المقداد . ثم أتيت عبد الله بن مسعود فذكرت ذلك له فقال لقد أخبرنا فلم نأل .

وأكثر الناس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيد الله بن عمر فصعد عثمان المنبر فخطب الناس ثم قال ﴿ ألا إني ولي دم الهرمزان وقد وهبته لله ولعمر وتركته لدم عمر ﴾ فقام المقداد بن عمرو فقال إن الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله قال فننظر وتنظرون ، ثم أخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة الى الكوفة وأنزله داراً فنسب الموضع اليه ﴿ كوفة ابن عمر ﴾ فقال بعضهم :

أبا عمرو عبيد الله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان

وافتتح المغيرة بن شعبة همذان وكتب الى عثمان أنه قد دخل في الري وأنزلها المسلمين ، وكانت الري قد افتتحت في أيام عمر ﴿ وقيل ﴾ لم تفتح ولكنها محاصرة وافتتحت سنة أربع وعشرين .

وكتب عثمان الى الحكم بن أبي العاص أن يقدم عليه وكان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان عثمان لما ولي ابو بكر اجتمع هو وقوم من بني أمية الى أبي بكر فسألوه في الحكم فلم يأذن له ، فلما ولي عمر فعلوا ذلك فلم يأذن له ، فانكر الناس إذنه له ﴿ وقال بعضهم ﴾ رأيت الحكم بن أبي العاص يوم قدم المدينة عليه فرو خلق وهو يسوق تيساً حتى دخل دار عثمان والناس ينظرون الى سوء حاله وحال من معه ثم خرج وعليه جبة خز وطيلسان .

وانتقضت الاسكندرية سنة خمس وعشرين وحاربهم عمرو بن العاص حتى فتحها وسبى الذراري ووجه بهم الى المدينة فردهم عثمان الى دمهم الأولى (١) وعزل عمرو

(١) كذا في الأصل ، والظاهر أنه تصحيف (دينهم الأول) أنظر تاريخ الطبري

ابن العاص وولى عبد الله بن أبي سرح فكان ذلك سبب العداوة بين عثمان وعمرو وقال عثمان لعمرو لما قدم كيف تركت عبد الله بن سعد قال كما أحببت قال وماذاك قال قوي في ذات نفسه ضعيف في ذات الله قال لقد أمرته أن يتبع أثرك قال لقد كلفته شططاً ، واجتبى عبد الله مصر اثني عشر الف الف دينار فقال عثمان لعمرو درت اللقاح قال ذاك إن يتم يضر بالفصلان .

ووسع عثمان المسجد الحرام وزاد فيه سنة ست وعشرين ، وابتاع من قوم منازلهم وأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم للحبس وقال ما جرأكم علي إلا حلمي وقد فعل هذا عمر فلم تصيحوا وجدد أنصاب الحرم .

وفي هذه السنة افتتح عثمان بن ابي العاص الثقفي سابور ، وفيها ولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة مكان سعد وصلى بالناس الغداة وهو سكران أربع ركعات ثم تهوع في المحراب والتفت الى من كان خلفه فقال أزيدكم ثم جلس في صحن المسجد وأتي بساحر يدعى بطروى من السكوفة فاجتمع الناس عليه فجعل يدخل من دبر النافة ويخرج من فيها ويعمل أعاجيب فرآه جندب بن كعب الأزدي فخرج الى بعض الصيافلة فاخذ منه سيفاً ثم أقبل في الزحام وقد ستر السيف حتى ضرب عنقه ثم قال له أحي نفسك إن كنت صادقاً فاخذه الوليد فاراد أن يضرب عنقه فقام قوم من الأزد فقالوا لا تقتل والله صاحبنا فصيره في الحبس وكان يصلي الليل كله فنظر اليه السجان وكان يكنى أبا سنان فقال ما عذري عند الله إن حبستك على الوليد يقتلك فاطلقه فصار جندب الى المدينة وأخذ الوليد أبا سنان فضربه مائتي سوط فوثب عليه جرير بن عبد الله وغدي بن حاتم وحذيفة بن اليمان والأشعث بن قيس وكتبوا الى عثمان مع رسلهم فعزله وولى سعيد بن العاص مكانه فلما قدم الوليد قال عثمان من يضربه فاحجم الناس لقرابته وكان أخا عثمان لأمه فقام علي عليه السلام فضربه ثم بعث به عثمان على صدقات كلب وبلقين .

وأغزى عثمان الناس إفريقية سنة سبع وعشرين وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فلقي جرجيس ودعاه الى الاسلام أو أداء الجزية فامتنع وكان جرجيس في جمع عظيم فنفض الله ذلك الجمع فطلب جرجيس الصلح فابى عليه وهزموه حتى صار الى مدينة سبيطلة والتحمت الحرب حتى قتل جرجيس وكثرت الغنائم وبلغت الفي الف دينار وخمسمائة الف دينار وعشرين الف دينار * وروى بعضهم * أن عثمان زوج ابنته من مروان بن الحكم وأمر له بخمس هذا المال ، ووجه عبد الله بن سعد بن ابي سرح عبد الله بن الزبير الى عثمان بالبشارة فسار عشرين ليلة حتى قدم المدينة وأخبر عثمان فصعد عثمان المنبر فخبر به الناس ، ووجه عبد الله بن سعد جيشاً الى أرض النوبة فسألوه الموادعة والصلح على أن عليهم في كل سنة ثلاثمائة رأس ويبعث اليهم مثل ذلك من الطعام والشراب فكتب الى عثمان بذلك فأجابهم الى ذلك ، وافتتح معاوية بن أبي سفيان قبرس .

وفي هذه السنة بنى عثمان داره وبنى الزوراء ، ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سنة تسع وعشرين وحملت له الحجارة من بطن نخل وجعل في عمده الرصاص وجعل طوله مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة ذراع وخمسين ذراعاً وابوابه ستة على ما كانت عليه على عهد عمر .

وعزل أبا موسى الأشعري وولى مكانه عبد الله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فلما بلغ ابا موسى ولاية عبد الله بن عامر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال قد جاءكم غلام كثير العمات والخالات والجدات في قريش يفيض عليكم المال فيضاً فلما قدم ابن عامر البصرة وجه الجنود لفتح سابور وفسا ودارابجرد واصطخر من أرض فارس ، وعلى ذلك الجند الذي فتح اصطخر عبيد الله بن معمر التميمي فقتل عبيد الله بن معمر في اصل مدينة اصطخر فقام مكانه عمر بن عبيد الله حتى فتح المدينة ، ثم سار عبد الله بن عامر بنفسه الى اصطخر ووجه عبد الرحمن بن

ممرة — وكانت له صحبة — الى سجستان فافتتح زرنج بعد نكبة شديدة ، ولما ولى عثمان عبد الله بن عامر البصرة وولى سعيد بن العاص الكوفة كتب اليهما أيكما سبق الى خراسان فهو أمير عليها فخرج عبد الله بن عامر وسعيد بن العاص فأتى دهقان من دهاقين خراسان الى عبد الله بن عامر فقال ماتجعل لي إن سبقت بك قال لك خراجك وخراج أهل بيتك الى يوم القيامة فاخذ به على طريق مختصر الى قومس وعبدالله ابن خازم السلمي على مقدمته فسار الى نيسابور وأقام على المدينة ولقيه عبد الله بن عامر فافتتح نيسابور عنوة في سنة ثلاثين وصالح أهل الطبسين على خمسة وسبعين القاً ثم سار حتى صار الى مدينة أبر شهر فحاصرهم شهوراً ثم فتحها وصالحهم وكتب الى أهل هراة فكتبوا اليه إن فتحت أبر شهر أجبناك الى ماسألت ، وبوشنج وبادغيس يومئذ الى هراة ، وكانت طوس ونيسابور الى ابر شهر ، ثم فتحها وصالحهم على الف الف درهم وبعث الأحنف بن قيس الى هراة ومرو الروذ فسار الى هراة فلقيه صاحبها بالميرة والطاعة ثم سار الى مرو الروذ ففتحها عنوة وفتح الطالقان والفارياب وطخارستان ولم يرجع الى عبد الله بن عامر حتى شرب من نهر بلخ ✱ وقال ✱ بعض أهل خراسان وجه عبد الله بن عامر حين افتتح نيسابور بالجيوش فبعث الأحنف بن قيس الى مرو الروذ ، وبعث أوس بن ثعلبة التميمي الى هراة ، وبعث حاتم بن النعمان الباهلي الى مرو ، وعبد الله بن خازم السلمي الى سرخس ففتح القوم جميعاً ما يعنوا له خلا مرو فانها صالحت حاتماً على الني الف ومائتي الف أوقية وعلى أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم .

ولما فتح عبد الله بن عامر هذه الكور انصرف الى عثمان وخالف بين الترك والديلم وكان قد صير خراسان أرباعا وولى قيس بن الهيثم السلمي على ربع ، وراشد ابن عمرو الجديدي على ربع ، وعمران بن الفصيل البرجمي على ربع ، وعمرو بن مالك الخزاعي على ربع ، فلما رده عثمان وجه أمير بن أحمر اليشكري الى خراسان

فسار الى مرو فاناخ بها ثم أدركه الشتاء وأدخله أهل مرو وبلغه أنهم يريدون الوثوب به فجرد فيهم السيف حتى أفناهم ثم قفل الى عثمان فلما رآه عثمان خوفه فانصرف عنه مغضباً وكان عثمان أنكر عليه قتل أهل مرو ، ورجع عبد الله بن عامر الى البصرة ثم صار الى كرمان فاناخ بها فنالهم مجاعة شديدة حتى كان الرغيف بدينار ، ثم أتاه الخبر بان عثمان قد حوصر فانصرف وخلف بخراسان قيس بن الهيثم بن الصلت فافتتح قيس طخارستان ، وكان عثمان قد وجه حبيب بن مسلمة الفهري الى ارمينية ثم أردفه سلمان ابن ربيعة الباهلي مدداً له فلما قدم عليه تنافرا وقتل عثمان وهم على تلك المنافرة ، وقد كان حبيب بن مسلمة فتح بعض أرمينية .

وكتب عثمان الى سلمان بامرته على ارمينية فسار حتى أتى البيلقان فخرج اليه أهلها فصالحوه ومضى حتى أتى برذعة فصالحه أهلها على شيء معلوم ﴿ وقيل ﴾ إن حبيب ابن مسلمة افتتح جرزان ثم نفذ سلمان الى شروان فصالحه ملكها ثم سار حتى أتى أرض مسقط فصالح أهلها وفعل مثل ذلك ملك اللكز وأهل الشابران وأهل فيلان ، ولقيه خاقان ملك الخزر في جيشه خلف نهر البلنجر في خلق عظيم فقتل ومن معه وهم أربعة آلاف فولى عثمان حذيفة بن اليمان العبسي ثم صرفه وولى المغيرة بن شعبة .

وزوج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد وأمر له بستمائة الف درهم وكتب الى عبد الله بن عامر أن يدفعها اليه من بيت مال البصرة ﴿ وحدث ابو اسحاق ﴾ عن عبد الرحمن بن يسار قال رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاها عثمان فقال له ادفعها الى الحكم بن أبي العاص ، وكان عثمان إذا أجاز احداً من اهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال فجعل يدافعه ويقول له يكون فنعطيك إن شاء الله فألح عليه فقال إنما أنت خازن لنا فاذا أعطيناك فخذ وإذا سكتنا عنك فاسكت فقال كذبت والله ما انا لك بخازن ولا لأهل بيتك إنما انا خازن المسلمين وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال ايها الناس زعم عثمان اني خازن له ولأهل بيته وانما كنت

خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم ورمى بها فاخذها ودفعها الى زيد بن ثابت .

وفي هذه السنة توفي ابو سفيان بن حرب وصلى عليه عثمان وهي سنة إحدى وثلاثين ، وأغزى عثمان جيشاً اميرهم معاوية على الصائفة سنة اثنتين وثلاثين فبلغوا الى مضيق القسطنطينية وفتحوا فتوحاً كثيرة ، وصير عثمان الى معاوية غزو الروم على أن يوجه من رأى على الصائفة فولى معاوية سفيان بن عوف الغامدي فلم يزل عليها أيام عثمان . . (١) . . لشيء شجر بينهما في خلافة عثمان ﴿ وروي ﴾ أن عثمان اعتل علة اشتدت به فدعا حمران بن ابان وكتب عهداً لمن بعده وترك موضع الاسم ثم كتب بيده عبد الرحمن بن عوف وربطه وبعث به الى أم حبيبة بنت ابي سفيان فقرأه حمران في الطريق فاتى عبد الرحمن فاخبره فقال عبد الرحمن — وغضب غضباً شديداً — أستعمله علانية ويستعملني سراً ونمي الخبر وانتشر بذلك في المدينة وغضب بنو أمية فدعا عثمان بحمران مولاه فضربه مائة سوط وسيره الى البصرة فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ووجه اليه عبد الرحمن بن عوف بابنه فقال له قل له والله لقد بايعتك وإن في ثلاث خصال أفضلك بهن إني حضرت بدراً ولم تحضرها ، وحضرت بيعة الرضوان ولم تحضرها ، وثبت يوم أحد وانهزمت فلما أدى ابنه الرسالة الى عثمان قال له قل له أما غيبتي عن بدر فاني أقمت على بنت رسول الله فضرب لي رسول الله سهمي وأجري ، وأما بيعة الرضوان فقد صفق لي رسول الله بيمينه على شماله فشمال رسول الله خير من ايمانكم ، وأما يوم أحد فقد كان ما ذكرت إلا أن الله قد عفا عني ولقد فعلنا أفعالا لا ندري أغفرها الله ام لا .

وكان عبد الرحمن قد طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ الكلبية لما اشتدت علته فورثها عثمان فصولحت عن ربع الثمن على مائة الف دينار وقيل ثمانين الف دينار .

وجمع عثمان القرآن والفه وصير الطوال مع الطوال والقصار مع القصار من السور

(١) بياض في الأصل ، ولعل الساقط (ثم عزله) لشيء شجر الخ . (م ص)

وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت ثم سلقها بالماء الحار والخل [وقيل] أحرقها فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود ، وكان ابن مسعود بالكوفة فامتنع أن يدفع مصحفه الى عبد الله بن عامر وكتب عليه عثمان أن أشخصه إن لم يكن هذا الدين خبالا وهذه الأمة فساداً فدخل المسجد وعثمان يخطب فقال عثمان إنه قد قدمت عليكم دابة سوء فكلم ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان فجر برجله حتى كسر له ضلعان فتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً .

وبعث بها الى الأمصار وبعث بمصحف الى الكوفة ومصحف الى البصرة ومصحف الى المدينة ومصحف الى مكة ومصحف الى مصر ومصحف الى الشام ومصحف الى البحرين ومصحف الى اليمن ومصحف الى الجزيرة .

وأمر الناس ان يقرأوا على نسخة واحدة وكان سبب ذلك أنه بلغه أن الناس يقولون قرآن آل فلان فاراد أن يكون نسخة واحدة ﴿ وقيل ﴾ إن ابن مسعود كان كتب بذلك اليه فلما بلغه أنه يحرق المصاحف قال لم أرد هذا ﴿ وقيل ﴾ كتب اليه بذلك حذيفة بن اليمان واعتل ابن مسعود فاتاه عثمان يعوده فقال له ما كلام بلغني عنك قال ذكرت الذي فعلته بي إنك أمرت بي فوطئ جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر ومنعتني عطائي قال فاني أقيدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فعل بك قال ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء قال فهذا عطاؤك فخذه ، قال منعتنيه وانا محتاج اليه وتعطينيه وانا غني عنه لا حاجة لي به فانصرف فاقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي وصلى عليه عمار بن ياسر وكان عثمان غائباً فستر أمره فلما انصرف رأى عثمان القبر فقال قبر من هذا فقيل قبر عبد الله بن مسعود قال فكيف دفن قبل أن أعلم فقالوا ولي أمره عمار بن ياسر وذكر أنه أوصى أن لا يخبر به ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات المقداد فصلى عليه عمار وكان أوصى اليه ولم يؤذن عثمان به فاشتد غضب عثمان على عمار وقال ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليما .

وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجتمع اليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه وأنه وقف بباب المسجد فقال ﴿ أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا ابو ذر الغفاري أنا جندب بن جنادة البدري | إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم | محمد الصفوة من نوح فالأول من ابراهيم والسلالة من اسماعيل والعترة الهادية من محمد إنه شرف شريفهم واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة وكالكعبة المستورة أو كالقبلة المنصوبة او كالشمس الضاحية او كالقمر الساري او كالنجوم الهادية او كالشجر الزيتونية أضاء زيتها وبورك زيدها (١) ومحمد وارث علم آدم وما فضلت به النبيون وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها أما لو قدمتم من قدم الله وأخرتم من أخر الله وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ولما عال ولي الله ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه فاما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

وبلغ عثمان أن أبا ذر يقع فيه ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنن ابي بكر وعمر فسيره الى الشأم الى معاوية ، وكان يجلس في المجلس فيقول كما كان يقول ويجتمع اليه الناس حتى كثر من يجتمع اليه ويسمع منه ، وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول جاءت القطار تحمل النار ، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له .

وكتب معاوية الى عثمان إنك قد أفسدت الشأم على نفسك بابي ذر فكتب اليه أن

---

(١) كذا في الأصل بالزاء ثم الياء المثناة التحتانية وفي كتاب سليم بن قيس الهلالي ـ المخطوط ـ (زندها) بالنون ، وهو العود الذي يقدح به النار ، ولعله الصحيح

احمله على قتب بغير وطاء فقدم به الى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه فلما دخل اليه وعنده جماعة قال بلغني أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلا اتخذوا بلاد الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً ، فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك ، فقال لهم أسمعتم رسول الله يقول ذلك فبعث الى علي بن أبي طالب عليه السلام فاتاه فقال يا أبا الحسن أسمعت رسول الله يقول ما حكاه ابو ذر وقص عليه الخبر فقال علي عليه السلام نعم قال فكيف تشهد قال لقول رسول الله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر ، فلم يقم بالمدينة إلا أياماً حتى أرسل اليه عثمان والله لتخرجن عنها ، قال أتخرجني من حرم رسول الله ﴿ ص ﴾ قال نعم وأنفك راغم ، قال فالى مكة ، قال لا قال فالى البصرة ، قال لا ، قال فالى الكوفة ، قال لا ولكن الى الربذة التي خرجت منها حتى تموت بها ، يا مروان أخرجه ولا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته فخرج علي والحسن والحسين عليهم السلام وعبدالله ابن جعفر (رض) وعمار بن ياسر (رض) ينظرون فلما رأى ابو ذر علياً قام اليه فقبل يده ثم بكى وقال إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله [ص] فلم أصبر حتى أبكي فذهب علي ﴿ ع ﴾ يكلمه فقال مروان إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال تنح نحاك الله الى النار ثم شيعه وكلمه بكلام يطول شرحه ، وتكلم كل رجل من القوم وانصرفوا وانصرف مروان الى عثمان فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً .

فلم يزل ابو ذر بالربذة حتى توفي ، ولما حضرته الوفاة قالت له ابنته إني وحدي في هذا الموضع وأخاف أن تغلبني عليك السباع قال كلا إنه سيحضرني نفر مؤمنون فانظري أترين أحداً فقالت ما أرى أحداً ، قال ما حضر الوقت ، ثم قال انظري هل ترين أحداً قالت نعم أرى ركباً مقبلين فقال الله اكبر صدق رسول الله ﴿ ص ﴾

حولي وجهي إلى القبلة فاذا حضر القوم فاقرأيهم مني السلام فاذا فرغوا من أمري فاذبحي لهم هذه الشاة وقولي لهم أقسمت عليكم إن برحتم حتى تأكلوا ، ثم قضي عليه ، فاتى القوم فقالت لهم الجارية هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﴿ ص ﴾ قد توفي فنزلوا وكانوا سبعة نفر فيهم حذيفة بن اليمان والأشتر فبكوا بكاءً شديداً وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ، ثم قالت لهم إنه يقسم عليكم أن لا تبرحوا حتى تأكلوا فذبحوا الشاة وأكلوا ثم حملوا ابنته حتى صاروا بها الى المدينة .

فلما بلغ عثمان وفاة ابي ذر قال رحم الله أبا ذر ، قال عمار نعم رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا ، فغلظ ذلك على عثمان وبلغ عثمان عن عمار كلام فاراد أن يسيره ايضاً فاجتمعت بنو مخزوم الى علي بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال علي لاندع عثمان ورأيه فجلس عمار في بيته ، وبلغ عثمان ما تكلمت بنو مخزوم فامسك عنه وسير عبد الرحمن بن حنبل صاحب رسول الله ﴿ ص ﴾ الى القموس من خيبر ، وكان سبب تسييره إياه أنه بلغه كرهه مساوي ابنه وخاله وانه هجاه .

وكان عثمان جواداً وصولاً بالأموال ، وقدم أقاربه وذوي ارحامه فسوى بين الناس في الأعطية ، وكان الغالب عليه مروان بن الحكم بن ابي العاص وابو سفيان ابن حرب ، وعلى شرطه عبد الله بن قنفذ التيمي ، وحاجبه حمران بن أبان مولاه .

ونقم الناس على عثمان بعد ولايته بست سنين وتكلم فيه من تكلم وقالوا آثر القرباء وحمى الحمى وبنى الدار واتخذ الضياع والأموال بمال الله والمسلمين ، ونفى أباذر صاحب رسول الله وعبد الرحمان بن حنبل ، وآوى الحكم بن ابي العاص وعبد الله بن سعد بن ابي سرح طريدي رسول الله ، وأهدر دم الهرمزان ، ولم يقتل عبيد الله بن عمر به ، وولى الوليد بن عقبة الكوفة فاحدث في الصلاة ما احدث فلم يمنعه ذلك من إعادته إياه ، وأجاز الرجم وذلك إنه كان رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت لستة اشهر فامر عثمان برجمها فلما أخرجت دخل اليه علي بن ابي طالب ﴿ ع ﴾

فقال إن الله عز وجل يقول ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقال في رضاعه [حولين كاملين] فارسل عثمان في أثر المرأة فوجدت قد رجمت وماتت واعترف الرجل بالولد .

وقدم عليه أهل البلدان فتكلموا وبلغ عثمان أن اهل مصر قدموا عليهم بالسلاح فوجه اليهم عمرو بن العاص وكلمهم فقال لهم إنه يرجع الى ما تحبون ثم كتب لهم بذلك وانصرفوا فقال لعمرو بن العاص أخرج فاعذرني عند الناس فخرج عمرو وصعد المنبر ونادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ثم ذكر محمداً بما هو أهله وقال ﴿ بعثه الله رأفة ورحمة فبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة أفليس ذلك كذلك ﴾ قالوا بلى فجزاه الله خير ما جزى نبياً عن أمته ، ثم قال ﴿ وولي من بعده رجل عدل في الرعية وحكم بالحق ﴾ أفليس ذلك كذلك قالوا بلى فجزاه الله خيراً ، قال ﴿ ثم ولي الأعسر الأحول ابن حنتمة فأبدت له الأرض أفلاذ كبدها وأظهرت له مكنون كنوزها فخرج من الدنيا وما أنبل عصاه أفليس ذلك كذلك ﴾ قالوا بلى فجزاه الله خيراً ، قال ﴿ ثم ولي عثمان فقلتم وقال ، تلومونه ويعذر نفسه أفليس ذلك كذلك ﴾ قالوا بلى ، قال ﴿ فاصبروا له فان الصغير يكبر والهزيل يسمن ولعل تأخير أمر خير من تقديمه ﴾ ثم نزل فدخل أهل عثمان عليه فقالوا له هل عابك أحد بمثل ما عابك به عمرو ، فلما دخل عليه عمرو قال يا ابن النابغة والله ما زدت أن حرضت الناس علي ، قال والله لقد قلت فيك أحسن ما علمت ولقد ركبت من الناس وركبوها منك فاعتزل إن لم تعتدل ، فقال يا ابن النابغة ، قد درعك مذ عزلتك عن مصر .

وسار الركب الذين قدموا من مصر فلما صاروا في بعض الطريق إذا براكب على جمل فانكروه ففتشوه فوجدوا معه صحيفة من عثمان الى خليفته عبد الله بن سعد إذا قدم عليك النفر فاقطع أيديهم وأرجلهم ، فقدموا واتفقوا على الخروج وكان من يأخذون عنه محمد بن ابي بكر ، ومحمد بن ابي حذيفة ، وكنانة بن بشر ، وابن

عديس البلوي فرجعوا الى المدينة .

وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك إنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيرها أسوة غيرها من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان عثمان يوماً ليخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله ﴿ ص ﴾ ونادت يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله ﴿ ص ﴾ لم يبل وقد أبلى عثمان سنته ، فقال عثمان ﴿ رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم ﴾ .

وحصر ابن عديس البلوي عثمان في داره فناشدهم الله ، ثم نشد مفاتيح الخزائن فاتوا بها الى طلحة بن عبيد الله وعثمان محصور في داره ، وكان اكثر من يؤلب عليه طلحة والزبير وعائشة ، فكتب الى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه فتوجه اليه في اثني عشر الف ، ثم قال كونوا بمكانكم في أوائل الشام حتى آتي امير المؤمنين لأعرف صحة أمره فاتى عثمان فسأله عن العدة فقال قد قدمت لأعرف رأيك وأعود اليهم فاجيئك بهم فقال لا والله ولكنك أردت أن أقتل فتقول انا ولي الثار إرجع فجئني بالناس فرجع فلم يعد اليه حتى قتل .

وصار مروان الى عائشة فقال يا أم المؤمنين لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس قالت قد فرغت من جهازي وأنا اريد الحج قال فيدفع اليك بكل درهم أنفقته درهمين قالت لعلك ترى أني في شك من صاحبك أما والله لوددت انه مقطع في غرارة من غرائري وأني اطيق حمله فاطرحه في البحر .

واقام عثمان محاصراً اربعين يوماً وقتل لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ﴿ وقيل ﴾ ست وثمانين سنة ، وكان الذين تولوا قتله محمد بن ابي بكر ، ومحمد بن ابي حذيفة ، وابن حزم ﴿ وقيل ﴾ كنانة بن بشر التجيبي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وعبد الرحمن بن عديس البلوي وسودان بن حمران ، واقام ثلاثاً لم يدفن ، وحضر دفنه حكيم بن حزام ، وجبير بن

مطعم ، وحويطب بن عبد العزى ، وعمرو بن عثمان ابنه ، ودفن بالمدينة ليلا في موضع يعرف بحش كوكب وصلى عليه هؤلاء الأربعة ﴿ وقيل ﴾ لم يصل عليه [وقيل] احد الأربعة فصلى عليه ، فدفن بغير صلاة وكانت أيامه اثنتي عشرة سنة .

وحج عثمان بالناس أيامه كلها إلا السنة الأولى وهي سنة أربع وعشرين فانه حج بالناس عبد الرحمن بن عوف ، والسنة التي قتل فيها فانه حج بالناس عبد الله بن عباس وهي سنة خمس وثلاثين وكان له من الولد الذكور سبعة عمرو ، وعمر ، وخالد وأبان ، والوليد ، وسعيد ، وعبد الملك .

صفة عثمان بن عفان

وكان عثمان بن عفان مربوعاً حسن الوجه رقيق البشرة كثير (١) اللحية عظيمها أسمر عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين كثير شعر الرأس أسنانه مشدودة بالذهب يصفر لحيته .

وكان عمال عثمان على اليمن يعلى بن منية التميمي ، وعلى مكة عبد الله بن عمرو الحضرمي ، وعلى همذان جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي ، وعلى الكوفة ابو موسى الأشعري ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كريز وعلى مصر عبد الله بن سعد بن ابي سرح ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ابن حرب .

وكان الفقهاء في أيامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الله ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبدالله ابن عباس ، وابو الدرداء ، وابو سعيد الخدري ، وعبد الله بن عمر ، وسلمان ابن ربيعة الباهلي .

***

(١) كذا في الأصل ، والصحيح [كبير اللحية] كما ذكره ابن الأثير وغيره .

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

واستخلف علي بن ابي طالب — بن عبد المطلب ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف — يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومن شهور العجم في حزيران ، وكانت الشمس يومئذٍ في الجوزاء ستاً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والقمر في الدلو ثماني عشرة درجة واربعين دقيقة ، وزحل في السنبلة خمساً وعشرين درجة ، والمريخ في الجدي سبع درجات « ..... »

بايعه طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار ، وكان اول من بايعه وصفق على يده طلحة بن عبيد الله ، فقال رجل من بني أسد أول يد بايعت يد شلاء او يد ناقصة (١) وقام الأشتر وقال أبايعك يا امير المؤمنين على أن علي بيعة أهل الكوفة ، ثم قام طلحة والزبير فقالا نبايعك يا أمير المؤمنين على أن علينا بيعة المهاجرين ، ثم قام ابو الهيثم بن التيهان وعقبة بن عمرو وابو ايوب فقالوا نبايعك على أن علينا بيعة الأنصار وسائر قريش وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ، وكان لسان القوم فقال يا هذا إنك قد وترتنا جميعاً أما انا فقتلت أبي صبراً يوم بدر وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر وكان أبوه من نور قريش ، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه اليه « . . . . . » على ذلك بنو عبد مناف فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا ، فغضب علي عليه السلام وقال أما ما ذكرت من وتري إياكم فالحق وتركم ، وأما وضعي عنكم عما في ايديكم فليس لي أن اضع حق الله ، واما إعفائي عما في ايديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم ، واما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً ولكن لكم ان احملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه

(١) لعل في العبارة سقطاً وتمامها ﴿ لا يتم هذا الأمر ﴾ كما في تاريخ ابن الأثير وغيره . (م . ص)

أضيق وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم ، فقال مروان بل نبايعك ونقيم معك فنرى ونرى وقام قوم من الأنصار فتكلموا وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وكان خطيب الأنصار ، فقال ﴿ والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين ، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم ، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك فيما لا يعلمون وما احتجت الى احد مع علمك ﴾ .

ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري وهو ذو الشهادتين فقال ﴿ يا أمير المؤمنين ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب إلا اليك ولئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم الناس إيمانا وأعلم الناس بالله وأولى المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك ما لهم وليس لهم مالك ﴾ .

وقام صعصعة بن صوحان فقال ﴿ والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهي اليك أحوج منك اليها ﴾ .

ثم قام مالك بن الحوث الأشتر فقال ﴿ أيها الناس هذا وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء العظيم البلاء الحسن العناء الذي شهد له كتاب الله بالايمان ورسوله بجنة الرضوان من كملت فيه الفضائل ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل ﴾

ثم قام عقبة بن عمرو فقال ﴿ من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان والامام الأهدى الذي لا يخاف جوره والعالم الذي لا يخاف جهله ﴾ .

وعزل علي عليه السلام عمال عثمان عن البلدان خلا ابي موسى الأشعري كله فيه الأشتر فاقره ، وولى قثم بن العباس مكة ، وعبيد الله بن العباس اليمن ، وقيس بن سعد بن عبادة مصر ، وعثمان بن حنيف البصرة ، وأتاه طلحة والزبير فقالا إنه قد نالنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جفوة فأشركنا في أمرك ، فقال انما شريكاي في القوة والاستقامة وعوناي على العجز والاود ﴿ وروى بعضهم ﴾ أنه ولى

طلحة اليمن والزبير اليمامة والبحرين فلما دفع اليهما عهديهما قالا له وصلتك رحم ، قال وانما وصلتكما بولاية أمور المسلمين واسترد العهد منهما فعتبا من ذلك وقالا آثرت علينا فقال لو لا ما ظهر من حرصكما فقد كان لي فيكما رأي ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن المغيرة ابن شعبة قال له يا أمير المؤمنين أنفذ طلحة الى اليمن والزبير الى البحرين واكتب بعهد معاوية على الشام فاذا استقامت الأمور فشأنك وما تريده فيهم فاجابه في ذلك بجواب فقال المغيرة والله ما نصحت له قبلها ولا أنصح له بعدها .

وكانت عائشة بمكة خرجت قبل أن يقتل عثمان فلما قضت حجها انصرفت راجعة فلما صارت في بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب فقالت له ما فعل عثمان قال قتل قالت بعداً وسحقاً ، قالت فمن بايع الناس قال طلحة ، قالت أيهما ذو الاصبع ثم لقيها آخر فقالت ما فعل الناس قال بايعوا علياً ، قالت والله ما كنت أبالي أن تقع هذه على هذه ثم رجعت الى مكة ، وأقام علي عليه السلام أياماً ثم أتاه طلحة والزبير فقالا إنا نريد العمرة فأذن لنا في الخروج .

﴿ وروى بعضهم ﴾ أن علياً [ع] قال لهما أو لبعض اصحابه ﴿ والله ما أرادا العمرة ولكنهما أرادا الغدرة ﴾ فلحقا عائشة بمكة فحرضاها على الخروج فاتت أم سلمة بنت أبي امية زوج رسول الله ﴿ ص ﴾ فقالت إن ابن عمي وزوج أختي أعلماني أن عثمان قتل مظلوماً وأن اكثر الناس لم يرض ببيعة علي وأن جماعة من البصرة خالفوا فلو خرجت بنا لعل الله أن يصلح أمر أمة محمد على ايدينا ، فقالت لها ام سلمة ﴿ إن عماد الدين لا يقام بالنساء ، حماديات (١) النساء غض الأبصار وخفض الأطراف وجر الذيول إن الله وضع عني وعنك هذا ، ما أنت قائلة لو ان رسول الله عارضك

(١) قال ابن الأثير في النهاية بمادة (حمد) في حديث ام سلمة (حماديات النساء غض الاطراف) اي غاياتهن ومنتهى ما يحمد منهن يقال حمادك ان تفعل وقصاراك ان تفعل اي جهدك وغايتك) . (م . ص)

باطراف الفلوات قد هتكت حجاباً قد ضربه عليك ﴾ فنادى مناديها ألا إن أم المؤمنين مقيمة فأقيموا وناداها طلحة والزبير وأزالاها عن رأيها وحملاها على الخروج فسارت الى البصرة مخالفة على علي ومعها طلحة والزبير في خلق عظيم وقدم يعلى بن منية بمال من مال اليمن ، قيل إن مبلغه اربعمائة الف دينار فأخذه منه طلحة والزبير فاستعانا به وسارا نحو البصرة ومرّ القوم في الليل بماء يقال له ماء ﴿ الحوأب ﴾ فنبحتهم كلابه فقالت عائشة ما هذا الماء ، قال بعضهم ماء الحوأب قالت إنا لله وإنا اليه راجعون ردوني ردوني هذا الماء الذي قال لي رسول الله لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوأب فاناخها القوم باربعين رجلاً فاقسموا بالله إنه ليس بماء الحوأب ، وقدم القوم البصرة وعامل علي عثمان بن حنيف فمنعها ومن معها من الدخول فقالا لم نأت لحرب وإنما جئنا لصلح فكتبوا بينهم وبينه كتاباً أنهم لا يحدثون حدثاً الى قدوم علي وأن كل فريق منهم آمن من صاحبه ثم افترقوا فوضع عثمان بن حنيف السلاح فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة وصاح الناس الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد فقالت عائشة يصلي محمد بن طلحة يوماً وعبد الله بن الزبير يوماً فاصطلحوا على ذلك .

فلما أتى علياً الخبر سار الى البصرة واستخلف على المدينة أبا حسن (١) بن عبد عمرو أحد بني النجار وخرج من المدينة ومعه أربعمائة راكب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما صاروا الى أرض أسد وطيء تبعه منهم ستمائة ثم صار الى ذي قار ووجه الحسن وعمار بن ياسر فاستنفرا أهل الكوفة وعامله يومئذ على الكوفة

(١) أبو حسن الأنصاري المازني مشهور بكنيته واسمه تميم بن عمرو ، وقيل ابن عبد عمرو ، وقيل ابن عبد قيس بن مخرمة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ، بدري له صحبة ، وهو جد يحيى بن عمارة بن أبي حسن . (الاصابة لابن حجر)

ابو موسى الأشعري فخذل الناس عنه فوافاه منهم ستة آلاف رجل ولقيه عثمان بن حنيف فقال يا أمير المؤمنين وجهتني ذا لحية فاتيتك أمرد وقص عليه القصة ، فلما قدم أمير المؤمنين البصرة وكانت وقعة الجمل بموضع يقال له الخريبة في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين .

وخرج طلحة والزبير فيمن معهما فوقفوا على مصافهم فارسل اليهم علي عليه السلام ما تطلبون وما تريدون قالوا نطلب بدم عثمان قال علي لعن الله قتلة عثمان ، واصطف أصحاب علي فقال لهم لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح ولا تضربوا بسيف .. (١) .. أعذروا فرمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين فاتي به اليه فقال اللهم اشهد ، ثم رمى رجل آخر فاصاب عبد الله (٢) بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله فاتى به أخوه عبد الرحمن يحمله فقال علي اللهم اشهد ، ثم كانت الحرب وأطافت بنو ضبة بالجمل وكانت تحمل الراية فقتل منهم الفان وحفت به الأزد فقتل الفان وسبعمائة وكان لا يأخذ خطام الجمل أحد إلا سالت نفسه فقتل طلحة بن عبيد الله في المعركة رماه مروان بن الحكم بسهم فصرعه وقال لا أطلب والله بعد اليوم بثأر عثمان وانا قتلته فقال طلحة لما سقط تالله ما رأيت كاليوم قط شيخاً من قريش أضيع مني إني والله ما وقفت موقفاً قط إلا عرفت موضع قدمي فيه إلا هذا الموقف .

وقال علي بن ابي طالب عليه السلام للزبير يا أبا عبد الله ادن إلي اذكرك كلاماً سمعته انا وانت من رسول الله ﴿ ص ﴾ فقال الزبير لعلي لي الأمان فقال علي عليه السلام عليك الأمان فبرز اليه فذكره الكلام فقال اللهم إني ما ذكرت هذا إلا هذه

(١) بياض في الأصل ، ولعل العبارة (وأعذروا الى القوم) فرمى (الخ)

(٢) أما عبد الله بن بديل بن ورقاء (رض) فلم يقتل يوم الجمل ولكنه استشهد في صفين على سرادق معاوية وإنما قتل أخوه (كذا في هامش الأصل) وهذا هو الذي ذكره المؤرخون منهم المسعودي في مروج الذهب في وقعة الجمل . (م . ص)

الساعة وثنى عنان فرسه لينصرف فقال له عبد الله الى أين قال ذكرني علي كلاماً قاله رسوله الله ، قال كلا ولكنك رأيت سيوف بني هاشم حداداً تحملها شداد ، قال ويلك أومثلي يعتبر بالجبن هلم إلي بالرمح وأخذ الرمح وحمل على اصحاب علي فقال افرجوا للشيخ إنه محرج فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع فقال لابنه لا ام لك ايفعل هذا جبان وانصرف فاجتاز بالأحنف بن قيس فقال ما رأيت مثل هـذا اتى بحرمة رسول الله يسوقها فهتك عنها حجاب رسول الله وستر حرمته في بيته ثم اسلمها وانصرف الا رجل يأخذ الله منه فاتبعه عمرو بن جرموز التميمي فقتله بموضع يقال له وادي السباع .

وكانت الحرب اربع ساعات من النهار ﴿ وروى بعضهم ﴾ انه قتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون الفاً ثم نادى منادي علي عليه السلام الا لا يجهز على جريح ، ولا يتبع مول ، ولا يطعن في وجه مدبر ، ومن القى السلاح فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ثم آمن الأسود والأحمر ، ووجه ابن عباس الى عائشة يأمرها بالرجوع فلما دخل عليها ابن عباس قالت اخطأت السنة يابن عباس ، مرتين دخلت بيتي بغير إذني وجلست على متاعي بغير امري ، قال نحن علمنا إياك (١) السنة إن هذا ليس ببيتك بيتك الذى خلفك رسول الله [ص] به وامرك القرآن ان تقرى فيه ، وجرى بينهما كلام موضعه في غير هذا من الكتاب ، واتاها علي عليه السلام وهي في دار عبد الله ابن خلف الخزاعي وابنه المعروف بطلحة الطلحات ، فقال إيها يا حميراء الم تنهي عن هذا المسير فقالت يا ابن ابي طالب قدرت فأسجح (٢) فقال اخرجي الى المدينة

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح (علمناك السنة) .

(٢) المثل المشهور « ملكت فأسجح » الاسجاح حسن العفو اى ملكت الأمر علي فأحسن العفو عني ، ذكره الميداني في مجمع الأمثال ورواه لعائشة انها قالته لعلي عليه السلام يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فأجابته (ملكت فاسجح) وكذا في النهاية لابن الأثير . (م . ص)

وارجعي الى بيتك الذي أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تقري فيه ، قالت أفعل ، فوجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال حتى وافوا بها المدينة وأعطى الناس بالسوية لم يفضل احداً على أحد وأعطى الموالي كما اعطى الصليبة ، وقيل له في ذلك فقال قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد اسماعيل على ولد اسحاق فضل هذا وأخذ عوداً من الأرض فوضعه بين اصبعيه .

ولما فرغ من حرب الجمل وجه جعدة بن هبيرة بن ابي وهب المخزومي الى خراسان وقدم عليه ماهويه مرزبان (١) مرو فكتب له كتاباً وأنفذ له شروطه وأمره أن يحمل من الخراج ما كان وظفه عليه فحمل اليه مالاً على الوظيفة المتقدمة .

وخرج علي عليه السلام من البصرة متوجهاً الى الكوفة وقدم الكوفة في رجب سنة ست وثلاثين وكان جرير بن عبد الله على همذان فعزله فقال لعلي وجهني الى معاوية فان جل من معه قومي فلعلي اجمعهم على طاعتك فقال له الأشتر يا امير المؤمنين لا تبعثه فان هواه هواهم فقال دعه يتوجه فان نصح كان ممن ادى امانته وإن داهن كان عليه وزر من اوتمن ولم يؤد الأمانة ووثق به فخالف الثقة ، ويا ويحهم مع من يميلون ويدعونني فو الله ما اردتهم إلا على إقامة حق ولا يريدهم غيري إلا على باطل ، فقدم جرير على معاوية وهو جالس والناس حوله فدفع اليه كتاب علي ﴿ ع ﴾ فقرأه ثم قام جرير فقال يا اهل الشام إنه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد كانت بالبصرة ملحمة لئن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للاسلام فاتقوا الله يا اهل الشأم ﴿ وروا في علي (٢) ومعاوية خيراً ﴾ فانظروا لأنفسكم ولا يكونن أنظر لها منكم ، ثم سكت وصمت

(١) المرزبان بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاء ، الرئيس عند الفرس وجمعه المرازبة .

(٢) كتب في هامش الأصل بدل العبارة المذكورة ما يلي (وروا ابن معاوية من علي وابن اهل الشأم من المهاجرين والانصار) . (م . ص)

معاوية فلم ينطق أبلغني ريقي يا جرير .

وبعث معاوية من ليلته الى عمرو بن العاص أن يأتيه وكتب اليه ﴿ أما بعد فانه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك فقد سقط الينا مروان في رافضة أهل البصرة وقدم علي جرير بن عبد الله في بيعة علي وحبست نفسي عليك حتى تأتيني فاقدم على بركة الله تعالى ﴾ فلما انتهى الكتاب اليه دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فاستشارهما فقال له عبد الله أيها الشيخ إن رسول الله قبض وهو عنك راض ومات ابو بكر وعمر وهما عنك راضيان فانك إن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية فتضجعان غداً في النار ، ثم قال لمحمد ما ترى فقال بادر هذا الأمر فكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً فانشأ يقول :

تطاول ليلي للهموم الطوارق * وخوف التي تجلو وجوه العواتق
فان ابن هند سالني أن أزوره * وتلك التي فيها بنات البوائق
أتاه جرير من علي بخطة * أمرّت عليه العيش مع كل ذائق
فان نال منه ما يؤمل رده * وإن لم ينله ذل ذل المطابق
فوالله ما أدري وإني لهكذا * أكون ومهما قادني فهو سائقي
أأخدعه فالخدع فيه دنية * أم اعطيه من نفسي نصيحة وامق
أم اجلس في بيتي وفي ذاك راحة * لشيخ يخاف الموت في كل شارق
وقد قال عبد الله قولاً تعلقت * به النفس إن لم تعتقلني عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمد * وإني لصلب العود عند الحقايق

فلما سمع عبد الله شعره قال بال الشيخ على عقبيه وباع دينه بدنياه فلما أصبح دعا وردان مولاه فقال له ارحل يا وردان ثم قال حط يا وردان فحط ورحل ثلاث مرات فقال وردان لقد خلطت أبا عبد الله فان شئت أخبرتك بما في نفسك قال هات قال اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت علي معه آخرة بلا دنيا ومعاوية معه دنيا بلا

آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، فلست تدري أيها تختار ، قال لله درك ما أخطأت مما في نفسي شيئاً فما الرأي يا وردان قال الرأي أن تقيم في منزلك فان ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغن عنك قال عمرو الآن وقد شهرتني العرب بمسيري الى معاوية ارحل يا وردان ثم أنشأ يقول :

يا قاتل الله ورداناً وفطنته * أبدى لعمرك ما في الصدر وردان

فقدم على معاوية فذا كره أمره فقال له أما علي فوالله لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء وإن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش إلا أن تظلمه ، قال صدقت ولكنا نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه قتل عثمان ، قال عمرو واسوأتاه إن أحق الناس أن لا يذكر عثمان لأنا ولأنت قال ولِمَ ويحك قال أما انت فخذلته ومعك أهل الشأم حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار اليه ، وأما أنا فتركته عياناً وهربت الى فلسطين ، فقال معاوية دعني من هذا مدَّ يدك فبايعني قال لا لعمر الله لا أعطيك ديني حتى أأخذ من دنياك ، قال له معاوية لك مصر طعمة فغضب مروان بن الحكم وقال مالي لا أستشار فقال معاوية اسكت فانما يستشار بك ، فقال له معاوية يا أبا عبد الله بت عندنا الليلة وكره أن يفسد عليه الناس فبات عمرو وهو يقول :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل * به منك دنياً فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصراً فأربح بصفقة * أخذت بها شيخاً يضر وينفع
وما الدين والدنيا سواء وإنني * لآخذ ما أعطى ورأسي مقنَّع
ولكنني أعطيك هذا وإنني * لأخدع نفسي والمخادع يخدع
أأعطيك امراً فيه للملك قوة * وأبقى له إن زلَّت النعل أصرع
وتمنعني مصراً وليست برغبة * وإن ثرى القنوع يوماً لموقع (١)

(١) كذا في الاصل وفي الشطر الاخير اضطراب ، وقد ذكر الابيات ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج ١ ص ١٣٧ وروى الشطر الاخير كما يلي (وإني بذا المنوع قد لموقع)

فكتب له بمصر شرطاً وأشهد له شهوداً وختم الشرط وبايعه عمرو وتعاهدا على الوفاء ، واحتال معاوية لقيس بن سعد بن عبادة عامل علي عليه السلام على مصر فجعل يكاتبه رجاء أن يستميله وكتب اليه قيس بن سعد ﴿ من قيس بن سعد الى معاوية ابن صخر أما بعد فانما أنت وثن من أوثان مكة دخلت فى الاسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً ﴾ وكتب معاوية الى سعد بن ابي وقاص ﴿ إن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش الذين اثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الأمر ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين ولا تكرهن ما رضوا ولاترضن ما قبلوا ﴾ فكتب اليه سعد ﴿ أما بعد فان عمر لم يدخل فى الشورى إلا من تحل له الخلافة فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه غير أن علياً قد كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيراً لهما والله يغفر لأم المؤمنين ﴾ .

وبلغ علياً عليه السلام أن معاوية قد استعد للقتال واجتمع معه اهل الشام فسار علي فى المهاجرين والأنصار حتى أتى المدائن فلقيه الدهاقين بالهدايا فردها فقالوا ولم ترد علينا يا أمير المؤمنين قال نحن أغنى منكم بحق وأحق بان نفيض عليكم ، ثم صار الى الجزيرة فلقيه بطون تغلب والنمر بن قاسط (١) فسار معه منهم خلق عظيم ، ثم سار الى الرقة وجل اهلها العثمانية الذين هربوا من الكوفة الى معاوية فغلقوا ابوابها وتحصنوا وكان اميرهم سماك بن مخرمة الأسدي فغلقوا دونه الباب فصار اليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي فقال والله لتفتحن او لاضعن فيكم السيف ففتحوا واقام بها امير المؤمنين يومه ثم عبر الى الجانب الشرقي من الفرات حتى صار الى صفين وقد سبق معاوية الى الماء ووسعه المناخ فلما وافى علي واصحابه لم يصلوا الى الماء فتوسل الناس الى معاوية وقالوا

(١) وكان عدة أصحاب علي ﴿ ع ﴾ الذين جاهد بهم معاوية سبعين الفاً ، وقيل إن عسكر معاوية مثل ذلك والله اعلم . (عن هامش الاصل)

لا تقتل الناس عطشاً فيهم العبد والأمة والأجير ، فابى معاوية وقال لا سقاني الله ولا أبا سفيان من حوض رسول الله إن شربوا منه ابداً ، فوجه علي عليه السلام الأشتر والأشعث ، الأشتر في الخيل والأشعث بن قيس في الرجالة ، وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلمي فقاتله أصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل في الفرات وغلبوا على المشرعة وكان الواقف عليها عبد الله بن الحارث أخو الأشتر فلما غلب علي عليه السلام على المشرعة قال أصحاب معاوية إنه لا قوام لنا وقد أخذ علي الماء فقال عمرو بن العاص إن علياً لا يستحل منك ومن اصحابك ما استحللت منه ومن أصحابه فاطلق علي عليه السلام الماء ، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، ثم وجه علي الى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع أن لا يفرق الأمة بسفك الدماء فابى إلا الحرب فكانت الحرب في صفين سنة سبع وثلاثين وأقامت بينهم أربعين صباحاً ، وكان مع علي يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار اربعمائة رجل ، ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد ، وصدقت نيات اصحاب علي ﴿ ع ﴾ في القتال ، وقام عمار بن ياسر فصاح في الناس فاجتمع اليه خلق عظيم فقال والله إنهم لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ، ثم قال ألا من رائح الى الجنة فتبعه خلق فضرب حول سرادق معاوية فقاتل القوم قتالاً وقتل عمار بن ياسر واشتدت الحرب فى تلك العشية ونادى الناس قتل صاحب رسول الله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقتل عماراً الفئة الباغية وزحف اصحاب علي ﴿ ع ﴾ وظهروا على اصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتى لصقوا به فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فقال له عمرو بن العاص الى اين قال قد نزل ما ترى فما عندك قال لم يبق إلا حيلة واحدة أن ترفع المصاحف فتدعوهم الى ما فيها فتستكفهم وتكسر من حدهم وتفت فى أعضادهم ، قال معاوية فشأنك فرفعوا المصاحف ودعوهم الى التحكيم بما فيها وقالوا ندعوكم الى كتاب الله فقال علي

عليه السلام إنها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن فاعترض الأشعث بن قيس الكندي وقد كان معاوية استماله وكتب اليه ودعاه الى نفسه ، فقال قد دعوا القوم الى الحق فقال علي ﴿ ع ﴾ إنهم انما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم فقال الاشعث والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك ، ومالت اليمانية مع الاشعث ، فقال الاشعث والله لتجيبنهم الى ما دعوا اليه أو لندفعنك اليهم برمتك فتنازع الأشتر والاشعث فى هذا كلاماً عظيماً حتى كاد أن يكون الحرب بينهم وحتى خاف علي ﴿ ع ﴾ أن يفترق عنه أصحابه فلما رأى ما هو فيه أجابهم الى الحكومة ، وقال علي أرى أن أوجه بعبد الله بن عباس فقال الاشعث إن معاوية يوجه بعمرو بن العاص ولا يحكم فينا مضريان ولكن توجه أبا موسى الاشعري فانه لم يدخل في شيء من الحرب ، فقال علي عليه السلام إن أبا موسى الاشعري عدو وقد خذّل الناس عني بالكوفة ونهاهم أن يخرجوا معي ، قالوا لا نرضى بغيره ، فوجه علي أبا موسى على علمه بعداوته له ومداهنته فيما بينه وبينه ، ووجه معاوية عمرو بن العاص وكتبوا كتابين بالقضية كتاباً من علي ﴿ ع ﴾ بخط كاتبه عبد الله بن أبي رافع وكتاباً من معاوية بخط كاتبه عمير بن عباد الكناني ، واختصموا فى تقديم علي ﴿ ع ﴾ او تسمية علي بامرة المؤمنين ، فقال ابو الاعور السلمي لا نقدم علياً وقال اصحاب علي لا نغير اسمه ولا نكتب إلا بامرة المؤمنين ، فتنازعوا على ذلك منازعة شديدة حتى تضاربوا بالايدي ، فقال الاشعث امحوا هذا الاسم ، فقال له الاشتر والله يا اعور لهممت ان املئ سيفي منك فلقد قتلت قوماً ما هم بأشر منك وإني اعلم انك ما تحاول إلا الفتنة وما تدور إلا على الدنيا وايثارها على الآخرة فلما اختلفوا قال علي ﴿ ع ﴾ الله اكبر قد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية لسهيل بن عمرو هذا ما صالح عليه رسول الله فقال سهيل لو علمنا انك رسول الله ما قاتلناك فمحا رسول الله اسمه بيده وامرني فكتبت من محمد بن عبد الله وقال ان اسمي واسم ابي لا يذهبان بنبوتي وكذلك كتبت الأنبياء كما كتب رسول الله الى الآباء وإن اسمي

واسم ابي لا يذهبان بامرني ، وأمرهم فكتبوا من علي بن ابي طالب وكتب كتاب القضية على الفريقين يرضون بذلك بما أوجبه كتاب الله واشترط على الحكمين في الكتابين أن يحكما بما في كتاب الله من فاتحته الى خاتمته لا يتجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه الى هوى ولا ادهان وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق فان هما جاوزا بالحكم كتاب الله من فاتحته الى خاتمته فلا حكم لهما .

ووجه علي عليه السلام بعبدالله بن عباس في أربعمائة من اصحابه ونفذ معاوية اربعمائة من أصحابه واجتمعوا ﴿ بدومة الجندل ﴾ في شهر ربيع الأول سنة ثماني وثلاثين فخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري وذكر له معاوية فقال هو ولي ثأر عثمان وله شرفة في قريش فلم يجد عنده ما يحب قال فابني عبد الله قال ليس بموضع لذلك قال فعبد الله بن عمر قال اذاً يحيي سنة عمر ، الآن جئت به فقال فاخلع علياً وأخلع انا معاوية ويختار المسلمون وقدم عمرو أبا موسى الى المنبر فلما رآه عبد الله بن عباس قام الى عبدالله ابن قيس فدنا منه فقال إن كان عمرو فارقك على شيء فقدمه قبلك فانه غدر ، فقال لا قد اتفقنا على أمر فصعد المنبر وخلع علياً ثم صعد عمرو بن العاص فقال قد ثبت معاوية كما ثبت خاتمي هذا في يدي ، فصاح به ابو موسى غدرت يا منافق انما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال عمرو انما مثلك مثل الحمار يحمل اسفاراً ، وتنادى الناس حكم والله الحكمان بغير ما في كتاب الله والشرط عليهما غير هذا ، وتضارب القوم بالسياط واخذ قوم بشعور بعض وافترق الناس ونادت الخوارج كفر الحكمان لاحكم إلا لله ﴿ وقيل ﴾ أول من نادى بذلك عروة بن أدية التميمي قبل أن يجتمع الحكمان وكانت الحكومة في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين .

﴿ قال ﴾ ابن الكلبي أخبرني عبد الرحمن بن حصين بن سويد « . . (١) . . »

---

(١) بياض في الأصل ، ولعل الساقط (أخبرني جدي سويد بن غفلة) كما في هامش الأصل . (م . ص)

قال اني لأساير أبا موسى الأشعري على شاطئ الفرات وهو إذ ذاك عامل لعمر فجعل يحدثني فقال إن بني إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضاً بعد أرض حتى حكموا خالين اضلا من اتبعهما قلت فان كنت يا أبا موسى أحد الحكمين قال فقال لي إذاً لاترك الله لي في السماء مصعداً ولا في الأرض مهرباً إن كنت انا هو ، فقال سويد لربما كان البلاء موكلا بالمنطق ولقيته بالتحكيم فقلت إن الله إذا قضى أمراً لم يغالب .

وانصرف علي عليه السلام الى الكوفة فلما قدمها قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال ﴿ أيها الناس إن أول وقوع الفتن هوى يتبع وأحكام تبتدع يعظم فيها رجال رجالاً يخالف فيها حكم الله ولو أن الحق أخلص فعمل به لم يخف على ذي حجى ولكن يؤخذ ضغث من ذا وضغث من ذا فيخلط فيعمل به فعندذلك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ .

وصارت الخوارج الى قرية يقال لها ﴿ حروراء ﴾ بينها وبين الكوفة نصف فرسخ وبها سموا ﴿ الحرورية ﴾ ورئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي وابن الكوا وشبث بن ربعي فجعلوا يقولون لاحكم إلا لله فلما بلغ علياً ذلك قال كلمة حق أريد بها باطل ، ثم خرجوا في ثمانية آلاف ﴿ وقيل ﴾ في اثني عشر الفاً فوجه اليهم علي ﴿ ع ﴾ عبد الله بن عباس فكلمهم واحتجوا عليه فخرج اليهم علي ﴿ ع ﴾ فقال أتشهدون علي بجهل قالوا لا قال فتنفذون أحكامي قالوا نعم قال ارجعوا الى كوفتكم حتى نتناظر فرجعوا من عند آخرهم ثم جعلوا يقومون فيقولون لاحكم إلا لله فيقول علي [ع] حكم الله أنتظر فيكم ، وخرجوا من الكوفة فوثبوا على عبد الله بن خباب بن الأرت فقتلوه واصحابه فخرج اليهم علي [ع] فناشدهم الله ووجه اليهم عبدالله بن عباس فقال يابن عباس قل لهؤلاء الخوارج ما نقمتم على امير المؤمنين ألم يحكم فيكم بالحق ويقيم فيكم العدل ولم يحسكم شيئاً من حقوقكم ، فناداهم عبد الله بن عباس بذلك فقالت طائفة منهم والله لانجيبه وقالت الأخرى والله لنجيبنه ثم لنخصمنه ، نعم يابن عباس نقمنا على علي

خصالاً كلها موبقة لو لم نخصمه منها إلا بخصلة خصمناه ، محا اسمه من امرة المؤمنين يوم كتب الى معاوية ، ورجعنا عنه يوم صفين فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء الى الله وحكم الحكمين ، وزعم أنه وصي فضيع الوصية وجئتنا يابن عباس في حلة حسنة جميلة تدعونا الى مثل ما يدعونا اليه ، فقال ابن عباس قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم وانت أحق بالجواب فقال حججتهم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، قل لهم السلم راضين بما في كتاب الله وبما فيه من إسوة رسول الله قالوا بلى قال فعلي بذلك أرضى ، كتب كاتب رسول الله يوم الحديبية إذ كتب الى سهيل بن عمرو وصخر بن حرب ومن قبلهما من المشركين ﴿ من محمد رسول الله ﴾ فكتبوا اليه لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك فاكتب الينا ﴿ من محمد بن عبد الله ﴾ لنجيبك فمحا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمه بيده وقال إن اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي وأمري فكتب ﴿ من محمد بن عبد الله ﴾ وكذلك كتب الأنبياء كما كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الآباء ففي رسول الله إسوة حسنة .

وأما قولكم إني لم أضربكم بسيفي يوم صفين حتى تفيئوا الى أمر الله فان الله جل وعز يقول ﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾ وكنتم عدداً جماً وانا واهل بيتي في عدة يسيرة .

وأما قولكم إني حكمت الحكمين فان الله عز وجل حكم في أرنب يباع بربع درهم فقال ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ ولو حكم الحكمان بما في كتاب الله لما وسعني الخروج من حكمهما .

وأما قولكم إني كنت وصياً فضيعت الوصية فان الله عز وجل يقول ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين ﴾ أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج اليه أحد كان البيت يكفر ، ان هذا البيت لو تركه من استطاع اليه سبيلاً كفر ، وأنتم كفرتم بتركيكم اياي لا أنا كفرت بتركي لكم ، فرجع

يومئذ من الخوارج الفان وأقام أربعة آلاف والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس ودامت مقدار ساعتين من النهار فقتلوا من عند آخرهم ، وقتل ذو الثدية ولم يفلت من القوم إلا أقل من عشرة ولم يقتل من أصحاب علي إلا اقل من عشرة ، وكانت وقعة النهروان سنة تسع وثلاثين .

ولما قدم علي عليه السلام الكوفة قام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه والتذكير لنعمه والصلاة على محمد وذكره بما فضله الله به ﴿ أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيري ولو لم اكن فيكم ما قوتل الناكثون ولا القاسطون ولا المارقون ، ثم قال سلوني قبل أن تفقدوني فاني عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها فلو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تضل مائة او تهدي مائة إلا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها الى يوم القيامة ، ان القرآن لا يعلم علمه الا من ذاق طعمه وعلم بالعلم جهله وابصر عمله واستمع صممه (١) وادرك به مأواه وحي به ان مات فادرك به الرضا من الله فاطلبوا ذلك عند اهله فانهم في بيت الحياة (٢) ومستقر القرآن ومنزل الملائكة واهل العلم الذين يخبركم عملهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم ، هم الذين لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه قد مضى فيهم من الله حكم صادق وفي ذلك ذكرى للذاكرين اما انكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفاً قاتلاً واثرة قبيحة يتخذها الظالمون عليكم سنة تفرق جموعكم وتبكي عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم ، وستذكرون ما اقول لكم عن قليل ، ولا يبعد الله الا من ظلم ﴾ .

ووجه معاوية بن ابي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له فقدمها سنة ثماني وثلاثين ومعه جيش عظيم من اهل الشام فكان على دمشق يزيد بن اسد البجلي وعلى

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح (جمله) .

(٢) كذا في الأصل ولعل الصحيح في بيت (الوحي) . [م . ص]

اهل فلسطين شمير الخثعمي ، وعلى اهل الأردن ابو الأعور السلمي ، ومعاوية بن خديج الكندي على الخارجة ، فلقيهم محمد بن ابي بكر بموضع يقال له [المسناة] فحاربهم محاربة شديدة ، وكان عمرو يقول مارأيت مثل يوم المسناة وقد كان محمد استدم الى اليمانية فمايل عمرو بن العاص اليمانية فخلفوا محمد بن ابي بكر وحده فجالد ساعة ثم مضى فدخل منزل قوم خراباً واتبعه ابن خديج الكندي فاخذه وقتله وأدخله جيفة حمار وحرقه بالنار في زقاق يعرف بـ ﴿ زقاق الحوف ﴾ .

وبلغ علياً عليه السلام ضعف محمد بن أبي بكر ومالأة اليمانية معاوية وعمرو بن العاص فقال ما أوتي محمد من حرض ، ووجه مالك بن الحارث الأشتر الى مصر قبل أن يتنهي اليه قتل محمد بن ابي بكر وكتب الى أهل مصر ﴿ إني بعثت اليكم سيفاً من سيوف الله لانابي الضربة ولا كليل الحد فان استنفركم فانفروا وإن أمركم بالمقام فاقيموا فانه لايقدم ولا يحجم إلا بأمري وقد آثرتكم به على نفسي ﴾ .

فلما بلغ معاوية بان علياً ﴿ ع ﴾ قد وجه الأشتر عظم عليه وعلم ان أهل اليمن أسرع الى الأشتر منهم الى كل أحد فدس له سماً فلما صار الى القلزم من الفسطاط على مرحلتين نزل منزل رجل من أهل المدينة يقال له « . . (١) . . » فخدمه وقام بحوائجه ثم أتاه بقعب فيه عسل قد صير فيه السم فسقاه إياه فمات الأشتر بالقلزم وبها قبره وكان قتله وقتل محمد بن ابي بكر في سنة ثمان وثلاثين .

ولما بلغ علياً ﴿ ع ﴾ قتل محمد بن ابي بكر والأشتر جزع عليهما جزعاً شديداً وتفجع وقال علي [ع] على مثلك فلتبك البواكي يا مالك وانى مثل مالك ، وذكر محمد بن ابي بكر وتفجع عليه وقال إنه كان لي ولداً ولولدي وولد أخي أخاً .

---

(١) بياض في الأصل ولم يذكر المؤرخون اسم الرجل الذي سمّ الأشتر (رض) سوى أنه كان المقدم على أهل الخراج بالقلزم فكتب اليه معاوية بانه إن قتله لم يأخذ منه خراجاً ما بقي ، أنظر تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٣٨ . (م . ص)

وخرج الخريت بن راشد الناجي فى جماعة من أصحابه فجردوا السيوف بالكوفة فقتلوا جماعة وطلبهم الناس فخرج الخريت وأصحابه من الكوفة فجعلوا لا يمرون ببلد إلا انتهبوا بيت ماله حتى صاروا الى سيف عمان وكان علي ﴿ ع ﴾ قد وجه الجلو ابن عوف الأزدي عاملاً على عمان فوثبت به بنو ناجية فقتلوه وارتدوا عن الاسلام فوجه علي ﴿ ع ﴾ معقل بن قيس الرياحي الى البلد فقتل الخريت بن راشد وأصحابه وسبى بني ناجية فاشتراهم مصقلة بن هبيرة الشيباني وأنفذ بعض الثمن ثم هرب الى معاوية

وأمر علي ﴿ ع ﴾ بهدم داره وأنفذ عتق بني ناجية وكانوا يدعون أنهم من ولد سامة بن لوي، ووجه معاوية النعمان بن بشير فأغار على مالك بن كعب الأرحبي وكان عامل علي ﴿ ع ﴾ على مسلحة عين التمر فندب علي ﴿ ع ﴾ الناس فقال ﴿ يا أهل الكوفة انتدبوا الى أخيكم مالك بن كعب فان النعمان بن بشير قد نزل به فى جمع ليس بكثير لعل الله أن يقطع من الظالمين طرفاً ﴾ فأبطأوا ولم يخرجوا فصعد علي عليه السلام المنبر فتكلم كلاماً خفياً لا يسمع فظن الناس انه يدعو الله ثم رفع صوته فقال ﴿ أما بعد يا أهل الكوفة أكلما أقبل منسر من مناسر أهل الشأم اغلق كل امرئ بابه وانجحر فى بيته انجحار الضب والضبع الذليل فى وجاره أف لكم لقد لقيت منكم يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم فلا اخوان عند النجاء ولا أحرار عند النداء ﴾ فلما دخل بيته قام عدي بن حاتم فقال هذا والله الخذلان القبيح ثم دخل اليه فقال يا أمير المؤمنين معي الف رجل من طيء لا يعصونني وإن شئت ان أسير بهم سرت ، فقال علي [ع] جزاك الله خيراً يا أبا طريف ما كنت لأعرض قبيلة واحدة لحد أهل الشأم ولكن اخرج الى النخيلة فخرج واتبعه الناس فسار عدي على شاطيء الفرات على أدنى الشأم .

وأغار الضحاك بن قيس على القطقطانة فبلغ علياً إقباله وأنه قد قتل ابن عميش فقام علي ﴿ ع ﴾ خطيباً فقال ﴿ يا أهل الكوفة اخرجوا الى جيش لكم قد أصيب منه طرف والى الرجل الصالح ابن عميش فامنعوا حريمكم وقاتلوا عدوكم ﴾ فردوا رداً

ضعيفاً ، فقال ﴿ يا أهل العراق وددت ان لي بكم بكل ثمانية منكم رجلاً من أهل الشأم وويل لهم قاتلوا مع تصبرهم على جور ويحكم اخرجوا معي ثم فروا عني إن بدا لكم فو الله اني لأرجو شهادة وأنها لتدور على رأسي مع مالي من الروح العظيم في ترك مداراتكم كما تدارى البكار الغمرة أو الثياب المتهتكة كلما حيصت من جانب تهتكت من جانب ﴾ فقام اليه حجر بن عدي الكندي فقال ﴿ يا أمير المؤمنين لا قرب الله إلى الجنة من لا يحب قربك ، عليك بعادة الله عندك فان الحق منصور والشهادة أفضل الرياحين اندب معي الناس المناصحين وكن لي فئة بكفايتك ، والله فئة الانسان وأهله إن الشيطان لا يفارق قلوب اكثر الناس حتى تفارق ارواحهم أبدانهم ﴾ فتهلل وأثنى على حجر جميلا وقال لا حرمك الله الشهادة فاني أعلم أنك من رجالها ، وجلس علي عليه السلام في المسجد فندب الناس وانتدب أربعة آلاف فسار بهم في طلب القوم وأغذ المسير حتى لقيهم بتدمر من عمل حمص فقاتلهم فهزمهم حتى انتهوا الى الضحاك وحجز بينهم الليل فادلج الضحاك على وجهه منصرفاً وشن حجر بن عدي ومن معه الغارة في تلك البلاد يومين وليلتين ثم أغار سفيان بن عوف على الأنبار فقتل أشرس بن حسان البكري فاتبعه علي عليه السلام سعيد بن قيس فلما احس به انصرف موليا وتبعه سعيد الى عانات فلم يلحقه

وبعث معاوية عبد الله بن مسعدة بن حذيفة بن بدر الفزاري في جريدة خيل وأمره أن يقصد المدينة ومكة فسار في الف وسبعمائة فلما أتى عليا الخبر وجه المسيب بن نجبة الفزاري فقال له ﴿ يا مسيب انك ممن أثق بصلاحه وبأسه ونصيحته فتوجه الى هؤلاء القوم وأثر فيهم وإن كانوا قومك ﴾ فقال له المسيب يا أمير المؤمنين إن من سعادتي أن كنت من ثقاتك ، فخرج في الفي رجل من همدان وطيء وغيرهم وأغذ المسير وقدم مقدمته فلقوا عبد الله بن مسعدة فقاتلوه فلحقهم المسيب فقاتلهم حتى امكنه أخذ ابن مسعدة فجعل يتحاماه وانهزم ابن مسعدة فتحصن بتيماء وأحاط المسيب بالحصن فحصر ابن مسعدة وأصحابه ثلاثا فناداه يا مسيب انما نحن قومك فليمسك الرجل فخلى لابن مسعدة واصحابه

الطريق ونجا من الحصن فلما جنهم الليل خرجوا من تحت ليلتهم حتى لحقوا بالشأم ، وصبح المسيب الحصن فلم يجد أحداً فقال عبد الرحمن بن شبيب داهنت والله يا مسيب فى أمرهم وغششت أمير المؤمنين وقدم على علي فقال له يا مسيب كنت من نصاحي ثم فعلت مافعلت فحبسه اياماً ثم أطلقه وولاه قبض الصدقة بالكوفة .

ووجه معاوية بسر بن ابي أرطاة وقيل ابن أرطاة العامري من بني عامر بن لوي في ثلاثة آلاف رجل فقال له سر حتى تمر بالمدينة فاطرد اهلها واخف من مررت به وانهب مال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا وأوهم اهل المدينة أنك تريد أنفسهم وأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة واجعلهم شرادات ثم امض حتى تأتي صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الأنصاري فتنحى عن المدينة ودخل بسر فصعد المنبر ثم قال ﴿ يا أهل المدينة مثل السوء لكم قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا المثل وجعلكم أهله شاهت الوجوه ﴾ ثم مازال يشتمهم حتى نزل .

قال فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري الى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني قد خشيت أن اقتل وهذه بيعة ضلال قالت اذاً فبايع فان التقية حملت اصحاب الكهف على ان كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم .

وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى اتى مكة ثم مضى حتى اتى اليمن وكان على اليمن عبيد الله بن عباس عامل علي [ع] وبلغ علياً الخبر فقام خطيباً فقال :

﴿ ايها الناس ان اول نقصكم ذهاب اولي النهى والراي منكم الذين يحدثون فيصدقون ويقولون فيفعلون واني قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً وليلاً ونهاراً

فما يزيدكم دعائي إلا فراراً ، ما تنفعكم الموعظة ولا الدعاء الى الهدى والحكمة ، أما والله إني لعالم بما يصلحكم ولكن في ذلك فسادي أمهلوني قليلاً فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعذبه الله بكم إن من ذل الاسلام وهلاك الدين أن ابن ابي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيبون وأدعوكم وانتم لا تصلحون فتراعون ، هذا بسر قد صار الى اليمن وقبلها الى مكة والمدينة ﴾ .

فقام جارية بن قدامة السعدي فقال : يا أمير المؤمنين لا عدمنا الله قربك ولا أرانا فراقك فنعم الأدب أدبك ونعم الامام والله أنت أنا لهؤلاء القوم فسر حتى اليهم قال تجهز فانك ما علمتك الرجل في الشدة والرخاء المبارك الميمون النقيبة .

ثم قام وهب بن مسعود الخثعمي فقال : أنا أنتدب يا أمير المؤمنين قال انتدب بارك الله عليك ، فخرج جارية في الفين ، ووهب بن مسعود في الفين وأمرهما علي [ع] أن يطلبا بسراً حيث كان حتى يلحقاه فاذا اجتمعا فرأس الناس جارية فخرج جارية من البصرة ووهب من الكوفة حتى التقيا بارض الحجاز ونفذ بسر من الطائف حتى قدم اليمن وقد تنحى عبيد الله بن عباس عن اليمن واستخلف بها عبدالله بن عبد المدان الحارثي فاتاه بسر فقتله وقتل ابنه مالك بن عبد الله ، وقد كان عبيد الله خلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند جويرية ابنة قارظ الكنانية وهي أمهما وخلف معها رجلا من كنانة فلما انتهى بسر اليها دعا ابني عبيد الله ليقتلهما فقام الكناني فانتضى سيفه وقال والله لأقتلن دونهما والا فأي عذر لي عند الله والناس فضارب بسيفه حتى قتل وخرجت نسوة من بني كنانة فقلن يا بسر هذه الرجال يقتلون فما بال الولدان والله ما كانت الجاهلية تقتلهم والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء ، فقال بسر والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف وقدم الطفلين فذبحهما فقالت أمهما ترثيهما :

ها من احس بنيي اللذين هما * سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف
ها من احس بنيي اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

هما من أحس بنيي اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي إبني مرهفة * مشحوذة وكذاك الأمر مقترف
من دل والهة حرّى وثاكلة * على صبيين ضلا إذ غدا السلف

ثم جمع بسر أهل نجران فقال يا إخوان النصارى أما والذي لا إله غيره لئن لمقني عنكم أمر أكرهه لأكثرن قتلاكم ثم سار نحو جيشان وهم شيعة لعلي ﴿ ع ﴾ فقاتلهم فهزمهم وقتل فيهم قتلا ذريعاً ثم رجع الى صنعاء .

وسار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى نجران وطلب بسراً فهرب منه في الارض ولم يقم له وقتل من أصحابه خلقاً وأتبعهم بقتل وأسر حتى بلغ مكة ومر بسر حتى دخل الحجاز لا يلوي على شيء فأخذ جارية بن قدامة أهل مكة بالبيعة فقالوا قد هلك علي فلمن نبايع قال لمن له بايع أصحاب علي بعده فتثاقلوا فقال والله لتبايعن ولو بأستاهكم فبايعوا ودخل المدينة وقد اصطلحوا على ابى هريرة فصلى بهم ففر منه ابو هريرة فقال جارية يا أهل المدينة بايعوا للحسن بن علي فبايعوا ثم خرج يريد الكوفة فرد أهل المدينة أبا هريرة .

﴿ قال غياث ﴾ عن فطر بن خليفة حدثني ابو خالد الوالبي قال قرأت عهد علي عليه السلام لجارية بن قدامة ﴿ أوصيك يا جارية بتقوى الله فانها جموع الخير وسر على عون الله فالق عدوك الذي وجهتك له ولا تقاتل إلا من قاتلك ولا تجهز على جريح ولا تسخرن دابة وإن مشيت ومشى اصحابك ، ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم ، ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه ، ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة ، واذكر الله ولا تفتر ليلاً ولا نهاراً ، واحملوا رجالتكم ، وتواسوا في ذات أيديكم ، واجدد السير وأجل العدو من حيث كان ، واقتله مقبلا وارده بغيظه صاغراً ، واسفك الدم

في الحق واحقنه في الحق ، ومن تاب فاقبل توبته ، وأخبارك في كل حين بكل حال والصدق الصدق فلا رأي للكذوب ﴾ .

﴿ قال ﴾ وحدث ابو الكنود إن جارية مر في طلب بسر فما كان يلتفت الى مدينة ولا يعرج على شيء حتى انتهى الى اليمن ونجران فقتل من قتل وهرب منه بسر وحرق تحريقاً فسمي محرقا .

وكتب علي عليه السلام الى عماله يستحثهم بالخروج فكتب الى الأشعث بن قيس وكان عامله بآذربيجان ﴿ أما بعد فانما غرك من نفسك وجرأك على آخرك إملاؤالله لك إذ ما زلت قديماً تأكل رزقه وتلحد في آياته وتستمتع بخلاقك وتذهب بحسناتك إلى يومك هذا فاذا أتاك رسولي بكتابي هذا فأقبل واحمل ما قبلك من مال المسلمين إن شاء الله ﴾ فلما قرأ الأشعث كتابه أقبل اليه .

وكتب الى يزيد بن قيس الأرحبي ﴿ أما بعد فانك ابطأت بحمل خراجك وما أدري ما الذي حملك على ذلك غير أني أوصيك بتقوى الله وأحذرك أن تحبط أجرك وتبطل جهادك بخيانة المسلمين ، فاتق الله ونزه نفسك عن الحرام ولا تجعل لي عليك سبيلا فلا أجد بداً من الايقاع بك ، واعزز المسلمين ولا تظلم المعاهدين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾

وكتب الى سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد وهو على المدائن ﴿ أما بعد فانك قد أديت خراجك وأطعت ربك وأرضيت إمامك فعل البر التقي النجيب فغفر الله ذنبك وتقبل سعيك وحسن مآبك ﴾ .

وكتب الى عمر بن ابي سلمة المخزومي وهو ابن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان عامله على البحرين ﴿ أما بعد فاني قد وليت النعمان بن العجلان البحرين بلا ذم لك فأقبل غير ظنين وأخرج اليه من عمل ما وليت فقد أردت الشخوص الى ظلمة

أهل الشام وبقية الأحزاب فأحببت أن تشهد معي لقاءهم فانك ممن أستظهر به على إقامة الدين ونصر الهدى جعلنا الله وإياك من الذين يعملون بالحق وبه يعدلون ﴾

فأقبل عمر فشهد معه ثم انصرف وتبع علياً عليه السلام الى الكوفة فمكث معه سنة وبعضاً أخرى فبلغه أن النعمان بن العجلان قد ذهب بمال البحرين فكتب اليه علي [ع] ﴿ أما بعد فانه من استهان بالأمانة ورغب في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه أخل بنفسه في الدنيا وما يشفي عليه بعدُ أمر وأبقى وأشقى وأطول فخف الله انك من عشيرة ذات صلاح فكن عند صالح الظن بك وراجع إن كان حقاً ما بلغني عنك ولا تقلبن رأي فيك واستنظف خراجك ثم اكتب الي ليأتيك رأيي وأمري إن شاء الله ﴾ فلما جاءه كتاب علي عليه السلام وعلم أنه قد علم حمل المال ولحق معاوية .

وكتب الى مصقلة بن هبيرة وبلغه أنه يفرق ويهب أموال أردشير خرة وكان عليها ﴿ أما بعد فقد بلغني عنك أمر اكبرت أن أصدقه إنك تقسم فيء المسلمين في قومك ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء كما تقسم الجوز فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لأفتشن عن ذلك تفتيشاً شافياً فان وجدته حقاً لتجدن بنفسك علي هواناً فلا تكونن من الخاسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾

فكتب مصقلة اليه ﴿ أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فليسأل إن كان حقاً فليعجل عزلي بعد نكالي فكل مملوك لي حر وعلي آنام ربيعة ومضر إن كنت رزأت من عملي ديناراً ولا درهماً ولا غيرهما منذ وليته إلى أن ورد علي كتاب أمير المؤمنين ، ولتعلمن أن العزل أهون علي من التهمة ﴾ فلما قرأ كتابه قال ما أظن أبا الفضل إلا صادقاً .

ووجه رجلاً من أصحابه إلى بعض عماله مستحثا فاستخف به فكتب اليه ﴿ أما بعد فانك شتمت رسولي وزجرته وبلغني أنك تبخر وتكثر من الأدهان والوان الطعام

وتتكلم على المنبر بكلام الصديقين وتفعل إذا نزلت أفعال المحلين فان يكن ذلك كذلك فنفسك ضررت وأدبي تعرضت ويحك أن تقول العظمة والكبرياء ردائي من نازعنيها سخطت عليه بل ما عليك أن تدهن رفيهاً فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وما حملك أن تشهد الناس عليك بخلاف ما تقول ثم على المنبر حيث يكثر عليك الشاهد ويعظم مقت الله لك بل كيف ترجو وأنت منهوع في النعيم جمعته من الأرملة واليتيم أن يوجب الله لك أجر الصالحين بل ما عليك ثكلتك أمك لو صمت لله أياماً وتصدقت بطائفة من طعامك فانها سيرة الأنبياء وأدب الصالحين أصلح نفسك وتب من ذنبك وأد حق الله عليك والسلام ﴾ .

وكتب الى قيس بن سعد بن عبادة وهو على آذربيجان ﴿ أما بعد فأقبل على خراجك بالحق وأحسن الى جندك بالانصاف وعلم من قبلك مما علمك الله ثم إن عبدالله ابن شبيل الأحمسي سألني الكتاب اليك فيه بوصايتك به خيراً فقد رأيته وادعاً متواضعاً فألن حجابك وافتح بابك واعمد الى الحق فان وافق الحق ما يحبو اسره ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ .

قال غياث ولما أجمع علي ﴿ ع ﴾ على القتال لمعاوية كتب ايضاً الى قيس ﴿ أما بعد فاستعمل عبدالله بن شبيل الأحمسي خليفة لك وأقبل الي فان المسلمين قد أجمع ملأهم وانقادت جماعتهم فعجل الاقبال فانا سأحضرن الى المحلين عند غرة الهلال إن شاء الله وما تأخري إلا لك قضى الله لنا ولك بالاحسان في أمرنا كله ﴾ .

وكتب الى سهل بن حنيف وهو على المدينة ﴿ أما بعد فقد بلغني أن رجالاً من أهل المدينة خرجوا الى معاوية فمن أدركته فامنعه ومن فاتك فلا تأس عليه فبعداً لهم فسوف يلقون غياً أما لو بعثرت القبور واجتمعت الخصوم لقد بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وقد جاءني رسولك يسألني الاذن فأقبل عفا الله عنا وعنك ولا تذر خللا إن شاء الله ﴾

وكتب علي [ع] الى عمر بن ابي سلمة الأرحبي ﴿ أما بعد فان دهاقين عملك شكوا غلظتك ونظرت في أمرهم فما رأيت خيراً فلتكن منزلتك بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدة في غير ظلم ولا نقص فان هم أحيونا صاغرين فخذ مالك عندهم وهم صاغرون ولا تتخذ من دون الله ولياً فقد قال الله عز وجل لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، وقال جل وعز في أهل الكتاب ، لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ، وقال تبارك وتعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم ، وقرّعهم بخراجهم وقاتل من ورائهم وإياك ودماءهم والسلام ﴾

وكتب الى قرظة بن كعب الأنصاري ﴿ أما بعد فان رجالاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادفن وفيه لهم عمارة على المسلمين فانظر انت وهم ثم اعمر وأصلح النهر فلعمري لئن يعمروا أحب الينا من أن يخرجوا وان يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام ﴾

وكتب الى المنذر بن الجارود وهو على اصطخر ﴿ أما بعد فان صلاح أبيك غرني منك فاذا أنت لا تدع انقياداً لهواك أزرى ذلك بك ، بلغني أنك تدع عملك كثيراً وتخرج لاهياً متنزهاً تطلب الصيد وتلعب بالكلاب وأقسم لئن كان حقاً لتشينك فعلك وجاهل أهلك خير منك فاقبل الي حين تنظر في كتابي والسلام ﴾

فأقبل فعزله وأغرمه ثلاثين الفاً ثم تركها لصعصعة بن صوحان بعد ان أحلفه عليها فحلف وذلك أن علياً عليه السلام دخل على صعصعة يعوده فلما رآه علي قال إنك ماعلمت حسن الموتة خفيف المؤنة فقال صعصعة وانت والله يا أمير المؤمنين عليم وإن الله في صدرك عظيم فقال له علي لا تجعلها أبهة على قومك إن عادك إمامك قال لا يا أمير المؤمنين ولكنه منّ من الله علي أن عادني أهل البيت وابن عم رسول رب العالمين

﴿ قال غياث ﴾ فقال له صعصعة يا أمير المؤمنين هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كل يوم لحبسك أخاها المنذر فأخرجه وأنا أضمن ما عليه من أعطيات ربيعة فقال له علي

ولم تضمنها وزعم لنا أنه لم يأخذها فليحلف ونخرجه ، فقال له صعصعة أراه والله سيحلف قال وأنا والله أظن ذلك ، وقال علي أما أنه نظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه (١) فليحلف بعد او ليدع فخلف فخلى سبيله .

وكتب الى زياد وكان عامله على فارس ﴿ أما بعد فان رسولي أخبرني بعجب زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه إن الاكراد هاجت بك فكسرت عليك كثيراً من الخراج وقلت له لا تعلم بذلك امير المؤمنين ، يا زياد وأقسم بالله إنك لكاذب ولئن لم تبعث بخراجك لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر إلا أن تكون لما كسرت من الخراج محتملا ﴾

وكتب الى كعب بن مالك ﴿ أما بعد فاستخلف على عملك واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بارض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب ثم ارجع الى البهقبا ذات فتول معونتها واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها واعلم أن كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزي به فاصنع خيراً صنع الله بنا وبك خيراً وأعلمني الصدق فيما صنعت والسلام ﴾

﴿ قال ﴾ وقدم على علي [ع] ابو مريم القرشي المكي وكان صديقاً له فلما رآه قال ما أقدمك يا أبا مريم قال والله ماجئت في حاجة ولكن عهدي بك قديم فاحببت ان اراك ولو اجتمع اهل الأرض عليك لأقمتهم على الطريق ، فقال يا ابا مريم والله إني لصاحبك الذي تعلم ولكن منيت بشرار خلق الله إلا من رحم الله يدعونني فآبى عليهم ثم اجيبهم فيتفرقون عني والدنيا محنة الصالحين جعلنا الله وإياك منهم ، ولولا ما سمعت من حبيبي انه يقول لضاق ذرعي غير هذا الضيق ، سمعته يقول الجهد والبلاء اسرع

(١) التفل محركاً البصاق نفسه وانما يفعله المعجب والتائه في شراكيه ليذهب عنها الغبار والوسخ يتفل فيهما ويمسحها ليعودا كالجديدين ، كذا قاله ابن ابي الحديد في شرح النهج (ج ٤ ص ٢٣٢) [م . ص]

الى من أحب الله وأحبني من السيل الى مجاريه .

وكتب ابو الأسود الدئلي - وكان خليفة عبدالله بن عباس بالبصرة - الى علي عليه السلام يعلمه ان عبد الله اخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم فكتب اليه يأمره بردها فامتنع فكتب يقسم له بالله لتردنها فلما ردها عبد الله بن عباس او رد ا كثرها كتب اليه علي عليه السلام ﴿ أما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً واجعل همك لما بعد الموت والسلام ﴾

فكان ابن عباس يقول ما اتعظت بكلام قط اتعاظي بكلام امير المؤمنين .

﴿ وقال ﴾ كميل بن زياد أخذ بيدي علي عليه السلام فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثلاثاً ثم قال ﴿ يا كميل إن القلوب أوعية فخيرها اوعاها إحفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق ﴿ يا كميل ﴾ العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثلتهم في القلوب موجودة ، ها إن هاهنا — وأشار الى صدره — لعلماً جماً لو اصبت له حملة (اللهم ألا ان اصيب لقناً غير مأمون (١) يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ، ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعمه على خلقه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في احيائه يقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ، ألا لا ذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والادخار ، ليسوا من رعاة الدين في شيء أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة ، اللهم كلا ، لا تخلو الأرض من قائم بحق اما ظاهر

(١) كذا في الاصل . ولعل الصحيح ما في نهج البلاغة (بلى أصيب لقناً غير مأمون عليه) يستعمل آلة الدين الخ . (م . ص)

مشهور وإما خائف مغمور لئلا تبطل حجج الله عز وجل وبيناته اولئك الأقلون عدداً والأعظمون خطراً هجم بهم العلم حتى حقايق الأمور (١) وباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان ارواحها معلقة بالمحل الأعلى ﴿ يا كميل ﴾ اولئك أولياء الله من خلقه والدعاة الى دينه ، بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها أمثالهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم [هاه] شوقاً الى رؤيتهم .

﴿ وقال ﴾ عليه السلام لو أن حملة العلم حملوه لحقه لأحبهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه ، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمنعهم الله وهانوا على الناس [وقال] عليه السلام قيمة كل امرئ ما يحسن ﴿ وقال ﴾ عليه السلام أيها الناس لا ترجوا إلا ربكم ، ولا تخشوا إلا ذنوبكم ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي من يعلم ان يعلم ، واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ﴿ وقال ﴾ عليه السلام من كان يريد العز بلا عشيرة ، والنسل بلا كثرة ، والغناء بلا مال فليتحول من ذل المعصية الى عز الطاعة ﴿ وقال ﴾ عليه السلام كم من مستدرج بالاحسان اليه ، وكم من مغرور بالستر عليه ، وكم من مفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى أحد بمثل الاملاء له ، ألم تسمع قول الله عز وجل [إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً] ﴿ وقال ﴾ عليه السلام من اشتاق الى الجنة تسلى عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات .

﴿ وخطب عليه السلام ﴾ فتلا قول الله عز وجل ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ ثم قال إن هذا الأمر ينزل من السماء كقطر المطر الى كل نفس ، بما كتب الله لها من نقصان في نفس او اهل او مال

(١) في نهج البلاغة (هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة) وباشروا الخ [م ص]

فمن اصابه نقص في أهله وماله ، ورأى عند اخيه عفوة ، فلا يكونن ذلك عليه فتنة ، فان المرء المسلم مالم يأت (١) دنياه يخشع لها وتذله إذا ذكرت ، وتغري به (٢) لئام الناس كالياسر (٣) الفالج الذى ينتظر اول فوزه من قداحه ، يوجب له المغنم ويدفع عنه المغرم ، كذلك المرء البري من الخيانة والكذب ، يترقب كل يوم وليلة إحدى الحسنيين ، إما داعي الله فما عند الله خير له وإما فتحاً من الله فاذا هو ذو اهل ومال ومعه حسبه ودينه ، المال والبنون حزب الدنيا ، والعمل الصالح حزب الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام .

﴿ وقال ﴾ عليه السلام من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم كان ممن حرمت غيبته وكملت مروته وظهر عدله ووجب وصله .

﴿ وخرج عليه السلام ﴾ يوماً فقال : يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات العلم بالله ، وبما يحب الله ، وبما يكره الله ، وللعامل ثلاث علامات الصلاة ، والزكاة والورع ، والمتكلف من الرجال ثلاث علامات ، ينازع من فوقه ، ويقول بما لا يعلم ويتعاطى ما لا ينال ، وللظالم ثلاث علامات ، يظلم من هو فوقه بالمعصية ، ومن هو دونه بالغلبة ، ويظاهر الظلمة والاثم ، وللمرائي ثلاث علامات . يكسل إذا كان وحده . وينشط إذا كان من يراه . ويحب ان يحمد في جميع اموره . وللحاسد ثلاث علامات . يغتاب اذا غاب . ويتقرب إذا شهد . ويشمت بالمصيبة . وللمنافق ثلاث علامات يخالف لسانه قلبه . وقوله فعله . وعلانيته سريرته . وللمسرف ثلاث علامات يأكل ما ليس له . ويشرب ما ليس له . ويلبس ما ليس له . وللكسلان من الرجال

(١) مالم يغش دناءة ، كذا ذكره الزبيدي في تاج العروس بمادة (فلج) بدلاً عن قوله (مالم يأت دنياه) ومثله ابن الأثير في النهاية .

(٢) في النهاية (وتغرى بها) .

(٣) الياسر المقامر . والفالج الفائز من السهام (تاج العروس)

ثلاث علامات ، يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يأثم ، وإنما هلك الذين قبلكم بالتكلف ، فلا يتكلف رجل منكم أن يتكلم في دين الله بما لا يعرف فان الله عز وجل يعذر على الخطأ إن أجهدت رأيك .

﴿ قال ﴾ عليه السلام لعمر بن الخطاب ثلاث إن حفظتهن وعملت بهن كفتك ما سواهن وإن تركتهن فلا ينفعك شيء سواهن . قال وما هن . فقال الحدود على القريب والبعيد . والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط . والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود . فقال له عمر أبلغت وأوجزت .

﴿ وسمع عليه السلام ﴾ رجلا يذم الدنيا [فقال] الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها . ودار غنى لمن تزود منها . مسجد أحباء الله . ومهبط وحيه ومصلى ملائكته . ومتجر اوليائه . اكتسبوا فيها الرحمة فربحوا فيها الجنة . فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها . ونادت بفراقها . ونعت نفسها وأهلها ، مثلت ببلاها البلا وشوقت بسرورها السرور ، راحت بفجيعة . وأبكرت بعافية . ترغيباً وترهيباً ، وتحذيراً وتخويفا . ذمها رجال غداة الندامة . وحمدها آخرون . ذكرتهم فذكروا . وحدثتهم فصدقوا . فيا ذام الدنيا المغتر بغرورها متى استذمت اليك . بل متى غرتك . أبمضاجع آبائك من البلا . او بمنازل أمهاتك من الثرى . كم مرضت بيديك . وعللت بكفيك من تبتغي له الشفاء . وتستوصف له الأطباء . فلم ينفعه تطبيبك . ولم يستعف له بعافيتك مثلت به الدنيا نفسك . وبمصرعه مصرعك . غداة لا يغني عنك بكاؤك . ولا ينفعك أحباؤك

﴿ وخطب عليه السلام ﴾ فقال إن من أخوف ما أخاف عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الأمل . فأما طول الأمل فينسي الآخرة . وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق . من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه . له قوت يومه . فكأنما حيزت له الدنيا . إن الله تعالى يقول وعزتي وجلالي وجمالي وبهائي وعلوي وارتفاعي في مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت همه في الآخرة . وغناه في قلبه . وضمنت

السموات والأرض رزقه ، وأتته الدنيا وهي راغمة .

﴿ وقال عليه السلام ﴾ خص بالبلاء من عرف الناس ومن جهلهم عاش معهم .

﴿ وقال عليه السلام ﴾ يأتي على الناس زمان لا يعز فيه إلا الماحل ، ولا يستظرف إلا الفاجر ، ولا يضعف إلا المنصف ، يتخذون الفيء مغنماً ، والصدقة مغرماً ، والعبادة استطالة على الناس ، وصلة الرحم منّاً ، والعلم متجراً ، فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشورة الاماء ، وإمارة الصبيان .

﴿ وقال عليه السلام ﴾ لا تصلح الناس إمارة يعمل فيها المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ فيها الكتاب الأجل .

﴿ وعزّى عليه السلام ﴾ فقال لرجل لئن جزعت إن الرحم ليستحق ذاك وإن صبرت كنت بها مأجوراً وإلا صبرت كارهاً مأزوراً (١)

﴿ وقيل لعلي عليه السلام ﴾ كم بين السماء والأرض ، قال دعوة مظلوم [وقيل] له كم مسافة الدنيا ، فقال مسير الشمس يوماً الى الليل ﴿ وقال ﴾ يوم الجمل : الموت طالب حثيث ، لا يعجزه المقيم ، ولا يفوته الهارب ، اقدموا ولا تنكلوا ، ليس عن الموت محيص ، انكم إن لم تقتلوا تموتوا ، وإن أشرف الموت القتل ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش .

﴿ وقال ﴾ له رجل أوصني فقال : أوصيك بتقوى الله ، واجتناب الغضب وترك الأماني ، وأن تحافظ على ساعتين من النهار ، من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومن العصر الى غروبها ، ولا تفرح بما علمت ، ولكن بما عملت فيها .

وأتي برجل جنى جناية فرأى ناساً يعدون خلفه فقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى إلا عند كل سوء .

---

(١) نظم بعضهم هذا المعنى فقال (إذا ما نابك الحطب * فكن بالصبر لواذا)
(وإلا فاتك الكل * فلا هذا ولا هذا) (م . ص)

﴿ وقال ﴾ له الحارث بن حوط الراني أظن طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل ، فقال : يا حارث انه ملبوس عليك ، وإن الحق والباطل لا يعرفان بالناس ولكن اعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه .

﴿ ورأى عليه السلام ﴾ رجلاً يسأله عشية عرفة ، فقال : ويحك تسأل في هذا اليوم غير الله .

﴿ وروي عنه عليه السلام ﴾ انه قال : يا معشر الفتيان حصنوا أعراضكم بالأدب ودينكم بالعلم .

﴿ وكان عليه السلام ﴾ اذا انصرف من صلاته أقبل على الناس بوجهه فقال : كونوا مصابيح الهدى ، ولا تكونوا أعلام ضلالة ، واكرهوا المزاح بما يسخط الله وليهن عليكم الذم فيما يرضي الله ، علموا الناس الخير بعبر السنتكم وكونوا دعاة لهم بفعلكم . والزموا الصدق والورع ﴿ وقال ﴾ الصمت حلم . والسكوت سلامة والكتمان سعادة .

واجتمع عنده جماعة فتذاكروا المعروف ﴿ فقال عليه السلام ﴾ المعروف كنز من أفضل الكنوز . وزرع من أزكى الزروع . فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره . وجحد من جحده . فان من يشكرك عليه ممن لم يصل اليه منه شيء . أعظم مما ناله أهل منّة . فلا تلتمس من غيرك ما أسديت الى نفسك ، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال . تصغيره وستره وتعجيله . فاذا صغرته فقد عظمته . واذا سترته فقد أتممته واذا عجلته فقد هنأته .

وقدم عليه قوم من أهل الغرب فقال : أفيكم من قد شهر نفسه حتى لا يعرف الا به فقالوا نعم قال : وفيكم قوم بين ذلك يصيبون من السيئات ويعملون الحسنات قالوا نعم قال : اولئك خير أمة محمد . اولئك الفرقة الوسطى بهم يرجع الغالي . وبهم يلحق المقصر [وروي] عنه عليه السلام أنه قال : أبهم البهائم كل شيء الا أربع خصال

إن الله عز وجل خالقها ورازقها « . . . (١) . . . » واتيان الذكر الأنثى والفرار من الموت ، وطلب الرزق .

﴿ وقال ﴾ ستة لا يسلم عليهم اليهودي ، والنصراني ، والمجوسي ، والشاعر يقذف المحصنات ، وقوم يتفكهون بسب الأمهات ، وقوم على مائدة يشرب عليها الخمر .

﴿ وقال ﴾ الأئمة من قريش خيارهم على خيارهم ، وشرارهم على شرارهم .

﴿ وقضى عليه السلام ﴾ على رجل بقضية فقال يا أمير المؤمنين قضيت علي بقضية هلك فيها مالي وضاع فيها عيالي فغضب حتى استبان الغضب في وجهه [ثم قال] يا قنبر نادِ في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ورقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ﴿ أما بعد فذمتي رهينة وانا به زعيم بجميع من صرحت له العبر أن لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل ، وأن الخير كله فيمن عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً ان لا يعرف قدره ، إن من أبغض خلق الله إلى الله العبد وكله إلى نفسه جائراً عن قصد السبيل مشغوفاً بكلام بدعة قد قمس (٢) في أشباهه من الناس عشواء ، غاراً بأغباش (٣) الفتنة ، قد لهج فيها بالصوم والصلاة فهو فتنة على من تبعه قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يَغن فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر مما قل منه ، فهو خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن ، واكثر من غير طائل ، جلس

(١) بياض في الأصل والذي ذكره الصدوق ابن بابويه في باب الأربعة من الخصال ص ١٢٥ مارواه بسنده عن علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ أنه كان يقول ما بهمت البهائم عنه ولم تبهم عن أربعة معرفتها بالرب تبارك وتعالى ومعرفتها بالموت ومعرفتها بالأنثى من الذكر ومعرفتها بالمرعى الخصب . [م ص]

(٢) قمس ، أي غاص .

(٣) الغبش محركة بقية الليل أو ظلمة آخره والجمع أغباش . (تاج العروس)

بين الناس قاضياً ضامناً بتخليص ما التبس على غيره ، إن قايس شيئاً بشيء لم يكذب نفسه ، وان التبس عليه شيء كتمه من نفسه ، لكيلا يقال لا يعلم فلا يلي والله باصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل بما قرظ به من حسن ، مفتاح عشوات ، خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعرض في العلم ببصيرة ، يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم ، تصرخ منه الدماء ، وتبكي منه المواريث ؛ ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بمرضاته الفرج الحلال ؛ فاين يتاه بكم ؛ بل اين تذهبون عن أهل بيت نبيكم أنا من سنخ أصلاب أصحاب السفينة (١) وكما نجا في هاتيك من نجا ؛ ينجو في هذه من ينجو ؛ ويل رهين لمن تخلف عنهم ، إني فيكم كالكهف لأهل الكهف ، واني فيكم باب حطة ؛ من دخل منه نجا ومن تخلف عنه هلك (٢) حجة من ذي الحجة في حجة الوداع اني قد تركت بين أظهركم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي ﴾

[وحكم] عليه السلام باحكام عجيبة حتى أنه حرق قوماً ؛ ودخن على آخرين ؛ وقطع بعض أصابع اليد في السرقة ، وهدم حائطاً على اثنين وجدهما على فسق .

﴿ وكان عليه السلام ﴾ يقول استتروا ببيوتكم والتوبة وراءكم ؛ من أبدى صفحته للحق هلك ؛ إن الله أدب هذه الأمة بالسوط والسيف وليس لأحد عند الامام هوادة

وقدم عبد الرحمان بن ملجم المرادي الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة أربعين فلما بلغ علياً قدومه قال أو قد وافى ؛ أما أنه ما بقي علي غيره ؛ هذا أوانه فنزل على الأشعث بن قيس الكندي فاقام عنده شهراً يستحد سيفه وكانوا ثلاثة نفر توجهوا فواحد

(١) أشار عليه السلام بهذه الفقرات الى الأحاديث التي وردت في حقه من النبي كحديث السفينة وحديث باب حطة وحديث الكهف وحديث الثقلين .

(٢) كذا في الأصل ؛ والظاهر أن فيه سقطاً ولعل الساقط قوله (فقد قال رسول الله « ص » في) حجة الخ ويحتمل انه أراد بـ (ذي الحجة) النبي (ص)

منهم الى معاوية بالشام وآخر الى عمرو بن العاص بمصر والآخر إلى علي عليه السلام وهو ابن ملجم ، فاما صاحب معاوية فضربه فوقعت الضربة على اليته وبادر فدخل داره وأما صاحب عمرو بن العاص فانه ضرب خارجة بن حذافة خليفة عمرو في صلاة الصبح وكان عمرو تخلف لعلة فقال الخارجي أردت عمراً وأراد الله خارجة ، وأما عبد الرحمن ابن ملجم فانه وقف له عند المسجد وخرج علي في الغلس فتبعته إوز كن في الدار فتعلقن بثوبه فقال صوائح تتبعها نوائح ، وأدخل رأسه من باب خوخة المسجد وضربه على رأسه وسقط وصاح خذوه فابتدره الناس فجعل لا يقرب منه أحد إلا نفحه بسيفه فبادر اليه قثم بن العباس فاحتمله وضرب به الأرض فصاح يا علي نح عني كلبك وأتي به الى علي فقال ابن ملجم قال نعم فقال يا حسن شأنك بخصمك فأشبع بطنه واشدد وثاقه فان مت فألحقه بي أخاصمه عند ربي وإن عشت فعفو اوقصاص ، وأقام يومين ومات ليلة الجمعة أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان سنة أربعين ، ومن شهور العجم في كانون الآخر وهو ابن ثلاث وستين سنة وغسله الحسن ابنه بيده وصلى عليه وكبر عليه سبعاً وقال أما أنها لا تكبر على أحد بعده ، ودفن بالكوفة في موضع يقال له [الغري] وكانت خلافته أربع سنين وعشرة أشهر .

وكان له من الولد الذكور (١) أربعة عشر ذكراً . الحسن . والحسين ومحسن مات صغيراً — أمهم فاطمة بنت رسول الله ﴿ ص ﴾ ومحمد الاكبر — أمه خولة بنت جعفر الحنفية . وعبيد الله . وأبو بكر — لاعقب لهما أمهما ليلى بنت مسعود الخنظلية من بني تميم . والعباس . وجعفر قتلا بالطف . وعثمان . وعبد الله أمهم أم البنين بنت حزام الكلابية . وعمر — وأمه أم حبيب بنت ربيعة البكرية

(١) والذين لهم النسل من أولاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية رضوان الله عليه وعمر الاكبر الأطرف والعباس السقاء وبقية أولاده عليه السلام لم يعقبوا ولم يكن لهم أولاد . (عن هامش الأصل)

ومحمد الأصغر — لا عقب له أمه أمامة بنت أبي العاص . وعثمان الأصغر . ويحيى وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية . وكان له من البنات ثماني عشرة ابنة منهن من فاطمة ثلاث والباقيات لعدة نسوة وأمهات أولاد شتى . وكان على شرطه معقل بن قيس الرياحي وحاجبه قنبر مولاه .

ولما مات قام الحسن عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي [ص] ثم قال ﴿ ألا إنه قد مضى في هذه الليلة رجل لم يدركه الأولون ولن يرى مثله الآخرون من كان يقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، والله لقد توفي في الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران ورفع فيها عيسى بن مريم وأنزل القرآن ألا وإنه ماخلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ﴾ فقام المقعقاع بن زرارة على قبره فقال ﴿ رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين فو الله لقد كانت حياتك مفتاح خير ولو أن الناس قبلوك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولكنهم غمطوا النعمة وآثروا الدنيا على الآخرة ﴾

وأقام الحج للناس في خلافته في سنة ست وثلاثين عبد الله بن العباس ، وفي سنة سبع وثلاثين قثم بن العباس ﴿ وقيل ﴾ عبد الله بن العباس ، وفي سنة ثمان وثلاثين عبد الله بن العباس . وفي سنة تسع وثلاثين شيبة بن عثمان . وكان أصحاب علي عليه السلام الذين يحملون عنه العلم الحارث الأعور . وأبو الطفيل عامر بن واثلة وحبة العرني . ورشيد الهجري . وجويرية بن مسهر . والأصبغ بن نباتة . وميثم التمار والحسن بن علي عليه السلام .

خلافة الحسن بن علي عليه السلام

واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي عليه السلام وخرج الحسن بن علي الى المسجد الجامع فخطب خطبة له طويلة ودعا بعبد الرحمان بن ملجم فقال عبد الرحمان ما الذي أمرك به أبوك قال أمرني أن لا أقتل غير قاتله وأن اشبع بطنك وأنعم وطاءك فان عاش اقتص أو عفا وإن مات الحقتك به فقال ابن ملجم إن كان أبوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضا فضربه الحسن عليه السلام بالسيف فالتقاه بيده فندرت وقتله وأقام الحسن بن علي بعد أبيه شهرين ﴿ وقيل ﴾ أربعة أشهر ، ووجه بعبيد الله بن العباس في اثني عشر الفاً لقتال معاوية ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، وأمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس بن سعد ورأيه فسار الى ناحية الجزيرة وأقبل معاوية لما انتهى اليه الخبر بقتل علي فسار الى الموصل بعد قتل علي بثمانية عشر يوماً والتقى العسكران فوجه معاوية الى قيس بن سعد يبذل له الف الف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه فارسل اليه بالمال وقال تخدعني عن ديني ﴿ فيقال ﴾ إنه أرسل الى عبيد الله بن عباس وجعل له الف الف درهم فصار اليه في ثمانية آلاف من أصحابه وأقام قيس على محاربته وكان معاوية يدس الى عسكر الحسن من يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه ، ووجه الى عسكر قيس من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه ، ووجه معاوية الى الحسن المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمان بن أم الحكم وأتوه وهو بالمدائن نازل في مضاربه ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ويسمعون الناس ان الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكن به الفتنة وأجاب الى الصلح فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها فوكب الحسن عليه السلام فرساً له ومضى في مظلم ساباط وقد كمن الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمغول في فخذه وقبض على لحية الجراح ثم لواها فدق عنقه ، وحمل الحسن ﴿ ع ﴾ الى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً واشتدت به العلة فافترق عنه الناس .

وقدم معاوية العراق فغلب على الأمر والحسن عليل شديد العلة فلما رأى الحسن أن لا قوة به وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له ، صالح معاوية وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ﴿ أيها الناس إن الله هداكم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وقد سالمت معاوية وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ﴾

أيام معاوية بن أبي سفيان

وملك معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأمه هند بنت عتبة ابن ربيعة ابن عبد شمس ، وبويع بالكوفة في ذي القعدة سنة أربعين ، وكانت الشمس في الحمل درجتين ، والقمر في الثور خمس عشرة درجة ، وزحل في العقرب تسعاً وعشرين درجة والمشتري في الثور تسعاً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والمريخ في الثور ست عشرة درجة والزهرة في الثور أربع درجات ، وعطارد في الحوت ست عشرة درجة ، وقدم الكوفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ﴿ اما بعد ذلكم فانه لم تختلف امة بعد نبيها إلا غلب باطلها حقها إلا ما كان من هذه الأمة فان حقها غلب باطلها ﴾ ثم نزل واحضر الناس لبيعته وكان الرجل يحضر فيقول والله يا معاوية إني لأبايعك وإني لكاره لك فيقول بايع فان الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً ، ويأتي الآخر فيقول اعوذ بالله من نفسك ، واتاه قيس بن سعد بن عبادة فقال بايع قيس قال إن كنت لا كره مثل هذا اليوم يا معاوية فقال له مه رحمك الله فقال لقد حرصت ان افرق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا ابن ابي سفيان إلا ما احب ، قال فلا يرد امر الله ، قال فأقبل قيس على الناس بوجهه فقال ﴿ يا معشر الناس لقد اعتضتم الشر من الخير ، واستبدلتم الذل من العز ، والكفر من الايمان ، فأصبحتم بعد ولاية امير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول رب العالمين ، وقد وليكم الطليق ابن الطليق ، يسومكم الخسف . ويسير فيكم بالعسف . فكيف تجهل ذلك انفسكم . ام طبع الله على قلوبكم وانتم لا تعقلون ﴾ فجثا معاوية على ركبتيه ثم اخذ بيده وقال اقسمت عليك ثم صفق على كفه ونادى

الناس بايع قيس فقال كذبتم والله ما بايعت . ولم يبايع لمعاوية احد إلا اخذ عليه الأيمان . فكان أول من استحلف على بيعته ودخل اليه سعد بن مالك فقال السلام عليك ايها الملك . فغضب معاوية فقال ألا قلت السلام عليك يا امير المؤمنين قال ذاك إن كنا أمرناك . إنما انت منتز .

وخرج فروة بن نوفل الأشجعي سنة أربعين وكان معتزلاً بشهر زور في جماعة من الخوارج فلما بلغه قتل علي عليه السلام وغلبة معاوية أقبل في الف وخمسمائة حتى صار بالنخيلة فوجه اليه معاوية خيلاً فكشفهم فأخذ معاوية أهل الكوفة بالخروج اليهم فخرجوا خوفاً منه فلما لقوهم قال لهم فروة بن نوفل دعونا فان معاوية عدونا وعدوكم فقاتلهم أهل الكوفة أشد قتال حتى قتل فروة وأفرج روع معاوية ، ورجع معاوية الى الشأم سنة إحدى وأربعين وبلغه أن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم فخاف أن يشغله عما يحتاج الى تدبيره وإحكامه فوجه اليه فصالحه على مائة الف دينار ، وكان معاوية أول من صالح الروم ، وكان صلحه إياهم في أول سنة اثنتين وأربعين ، فلما استقام الأمر لمعاوية أغزى أمراء الشأم على الصوائف فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة ، وقد ذكرنا أسماءهم في موضع الصوائف ، وطلب صاحب الروم الصلح على أن يضعف المال فلم يجبه .

وولي عبد الله بن عامر بن كريز البصرة فلما قدمها وجه عبد الرحمان بن سمرة الى خراسان فغزا بلخ وكابل ومعه عبد الله بن خازم السلمي فافتتح بلخ بعد حرب شديدة وصار الى كابل فاقام عليها ليالي ثم أتاه بواب باب المدينة فجعل له شيئاً حتى فتح الباب وكانت الحرب في المدينة ثم طلبوا الصلح فصالحهم ابن سمرة وانصرف وخلف ابن خازم بخراسان .

وولى معاوية عبد الله بن دراج مولاه خراج العراق وكتب اليه احمل الي من مالها ما أستعين به فكتب اليه ابن دراج يعلمه أن الدهاقين اعلموه أنه كان لكسرى

وآل كسرى صوافي يجتبون مالها لأنفسهم ولا تجري مجرى الخراج فكتب اليه ان أحص تلك الصوافي واستصفها واضرب عليها المسنيات فجمع الدهاقين فسألهم فقالوا الديوان بحلوان فبعث فأتي به فاستخرج منه كل ما كان لكسرى وآل كسرى وضرب عليه المسنيات واستصفاه لمعاوية فبلغت جبايته خمسين الف الف درهم من أرض الكوفة وسوادها ، وكتب الى عبد الرحمان بن ابي بكرة بمثل ذلك في أرض البصرة وأمرهم أن يحملوا اليه هدايا النيروز والمهرجان فكان يحمل اليه في النيروز وغيره وفي المهرجان عشرة آلاف الف .

وكان زياد بن عبيد عامل علي بن أبي طالب عليه السلام على فارس فلما صار الأمر الى معاوية كتب اليه يتوعده ويهدده فقام زياد خطيباً فقال ﴿ إن ابن آكلة الاكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب كتب يتوعدني ويتهددني وبيني وبينه ابنا بنت رسول الله في تسعين الفاً واضعي قبائع سيوفهم تحت أذقانهم لا يلتفت أحدهم حتى يموت أما والله لئن وصل الي ليجدني أحمز (١) ضراباً بالسيف ﴾ فوجه معاوية اليه المغيرة ابن شعبة فأقدمه ثم ادعاه وألحقه بابي سفيان وولاه البصرة ، وأحضر زياد شهوداً أربعة فشهد أحدهم أن علي بن أبي طالب أعلمه أنهم كانوا جلوساً عند عمر بن الخطاب حين أتاه زياد برسالة أبي موسى الأشعري فتكلم زياد بكلام اعجبه فقال أكنت قائلاً للناس هذا على المنبر قال هم اهون علي منك يا امير المؤمنين فقال ابو سفيان والله لهو ابني ولأنا وضعته في رحم أمه قلت فما يمنعك من ادعائه قال مخافة هذا العير الناهق وتقدم آخر فشهد على هذه الشاهدة ﴿ قال زياد الهمداني ﴾ لما سأله زياد كيف قولك في علي قال مثل قولك حين ولاك فارس وشهد لك انك ابن ابي سفيان ، وتقدم ابو مريم السلولي فقال ما ادري ما شهادة علي ولكني كنت خماراً بالطائف فمر بي ابو سفيان منصرفاً من سفر له فطعم وشرب ثم قال يا ابا مريم طالت الغربة فهل

(١) الأحمز بالحاء ثم الميم والزاء المعجمة ، الشديد .

من بني فقلت ما أجد لك إلا أمة بني عجلان قال فأتني بها على ما كان من طول ثديها وبتن رفغها (١) فاتيته بها فوقع عليها ثم رجع الي فقال لي يا أبا مريم لا ستلت ماء ظهري استلال ثئيب (٢) ابن الحبل في عينها ، فقال زياد إنما أتينا بك شاهداً ولم نأت بك شاتماً ، قال أقول الحق على ما كان فانفذ معاوية « .. (٣) .. » قالوا ما قد بلغكم وشهدوا بما سمعتم فان كان ما قالوا حقاً فالحمد لله الذي حفظ مني ما ضيع الناس ورفع مني ما وضعوا وإن كان باطلاً فمعاوية والشهود أعلم وما كان عبيد (٤) إلا والداً مبروراً مشكوراً ونزل .

وولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى « ..... » سنة اثنتين وأربعين فأقام عليها حيناً ثم بدا له ، وولى عبدالله بن عامر بن كريز الكوفة فلما بلغ أهل الكوفة الخبر خرج كثير من الناس الى عبد الله بن عامر فجعل المغيرة لا يسأل عن أحد إلا قيل له قد خرج الى عبد الله بن عامر حتى سأل عن كاتبه فقيل له قد لحق بعبد الله ، فقال يا غلام شد رحلي وقدم بغلي فخرج حتى أتى دمشق فدخل على معاوية فلما رآه قال ما

(١) الرفغ بضم الراء المهملة الأبط .

(٢) كذا في الأصل ، وفي الهامش (شب) بدل [ثئيب] .

(٣) بياض في الأصل وفيه سقط ولعله ، فانفذ معاوية « شهادة الشهود ثم قام زياد وأنصت الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس إن معاوية والشهود قد » قالوا ما قد بلغكم الخ . أنظر شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي (ج ٤ ص ٧٠) من طبع مصر .

(٤) عبيد هذا كان عبداً رومياً للحرث بن كلدة الطبيب الثقفي وكانت سمية ايضاً أمة للحرث ولدت عنده أبا بكرة ثم نافعاً ثم إن الحرث زوج سمية من غلامه عبيد فولدت له زياداً ، أنظر تأريخ ابن الأثير (ج ٣ ص ١٧٦) من طبع مصر بحاشيته مروج الذهب .

(م . ص)

أقدمك يا مغيرة تركت العمل وأخلدت بالمصر وأهل العراق وهم أسرع شيء الى الفتن قال يا أمير المؤمنين كبرت سني وضعفت قوتي وعجزت عن العمل وقد بلغت من الدنيا حاجتي والله ما آسى على شيء منها إلا على شيء واحد قدرت به قضاء حقك وودت أنه لا يفوتني أجلي وإن الله أحسن علي معونتي ، قال وما هو قال كنت دعوت أشراف الكوفة إلى البيعة ليزيد ابن امير المؤمنين بولاية العهد بعد امير المؤمنين فاجابوا الى ذلك ووجدتهم سراعاً نحوه فكرهت ان أحدث امراً دون رأي امير المؤمنين فقدمت لأشافهه بذلك واستعفيه من العمل ، فقال سبحان الله يا ابا عبد الرحمان إنما يزيد ابن اخيك ومثلك إذا شرع في امر لم يدعه حتى يحكمه فنشدتك الله إلا رجعت فتممت هذا فخرج من عنده فلقي كاتبه فقال ارجع بنا الى الكوفة فو الله وضعت رجل معاوية في غرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء وانصرف الى الكوفة .

وكتب معاوية الى زياد وهو بالبصرة إن المغيرة قد دعا اهل الكوفة الى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي وليس المغيرة بأحق بابن اخيك منك فاذا وصل اليك كتابي فادع الناس قبلك الى مثل ما دعاهم اليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد فلما بلغ زياداً وقرأ الكتاب دعا برجل من اصحابه يثق بفضله وفهمه فقال اني اريد ان أئتمنك على مالم أئتمن عليه بطون الصحائف إيت معاوية وقل له يا امير المؤمنين إن كتابك ورد علي بكذا فما يقول الناس إذا دعوناهم الى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود ويلبس المصبغ ويدمن الشراب ويمسي على الدفوف وبحضرتهم الحسين بن علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، ولكن تأمره يتخلق بأخلاق هؤلاء حولا او جولين فعسانا ان نموه على الناس ، فلما صار الرسول الى معاوية وادى اليه الرسالة قال ويلي على ابن عبيد لقد بلغني ان الحادي حدا له ان الامير بعدي زياد ، والله لأردنه الى امه سمية والى ابيه عبيد .

وقدم المغيرة الكوفة منصرفاً من عند معاوية وقد خرج شبيب ابن بجرة الاشجعي

الخارجي فلما علم أن المغيرة هرب الى معاوية فقال انا قاتل علي بن أبي طالب ، وكان شبيب بن بجرة مع ابن ملجم في الليلة التي ضرب فيها علياً ، فقال له معاوية لا أراك ولا تراني فرجع الى الكوفة فقاتل المغيرة فوجه اليه جيشاً فقتله ، وخرج المستورد بن علفة التيمي من تيم الرباب سنة ٤٣ فوجه اليه المغيرة خيلاً فقتل بأسفل ساباط وقتل أصحابه جميعاً ، وخرج بعده معاذ بن جوين الطائي ابو المستورد فوجه اليه المغيرة خيلا عليها رجل من همدان فقتلوه ، وخرجت عصابة من الموالي أميرهم ابو علي من اهل الكوفة وهو مولى لبني الحارث بن كعب وكانت أول خارجة خرجت فيها الموالي فبعث المغيرة اليهم رجلاً من بجيلة فالتقوا ببادوريا فنادام البجلي يا معشر الأعاجم هذه العرب تقاتلنا على الدين فما بالكم فنادوه يا جابر ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ وإن الله بعث نبينا للناس كافة ولم يزوه عن أحد فقاتلهم حتى قتلهم .

وكانت مصر والمغرب لعمرو بن العاص طعمة شرطها له يوم بايع ، ونسخة الشرط ﴿ هذا ما أعطى معاويه بن أبي سفيان عمرو بن العاص مصر أعطاه أهلها فهم له حياته ولا تنقص طاعته شرطاً ﴾ فقال له وردان مولاه فيه الشعر من بدنك فجعل عمرو يقرأ الشرط ولا يقف على ما وقف عليه وردان ، فلما ختم الكتاب وشهد الشهود قال له وردان وما عمرك أيها الشيخ إلا كظمء حمار هلا شرطت لعقبك من بعدك ، فاستقال معاوية فلم يقله ، فكان عمرو لا يحمل اليه من مالها شيئاً يفرق الأعطية في الناس فما فضل من شيء اخذه لنفسه ، وولي عمرو بن العاص مصر عشر سنين منها لعمر بن الخطاب أربع سنين ولعثمان بن عفان أربع سنين إلا شهرين ولمعاوية سنتين وثلاثة أشهر وتوفي وله ثمان وتسعون سنة .

وكان داهية العرب رأياً وحزماً وعقلاً ولساناً ، وكان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلاً يتكلم فلا يقيم كلامه يقول سبحان من خلقك وخلق عمرو بن العاص

﴿ وقال بعضهم ﴾ سمعت عمراً يقول سلطان عادل خير من سلطان ظلوم . وسلطان ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم . وزلة الرجل عظم يجبر . وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر . واستراح من لا عقل له .

ولما حضرت عمراً الوفاة قال لابنه لوَدّ أبوك أنه كان مات في غزاة ذات السلاسل إني قد دخلت فى أمور لا أدري ما حجتي عند الله فيها . ثم نظر الى ماله فرأى كثرته فقال يا ليته كان بعراً يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني آثرت دنياي وتركت آخرتي . عمي علي رشدي حتى حضرني أجلي . كأني بمعاوية قد حوى مالي واساء فيكم خلافتي . وتوفي عمرو ليلة الفطر سنة ٤٣ فاقر معاوية ابنه عبد الله بن عمرو ثم استصفى مال عمرو فكان أول من استصفى مال عامل ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلا شاطر ورثته ماله فكان يكلم في ذلك فيقول هذه سنة سنها عمر ابن الخطاب . ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو وولى أخاه عتبة بن ابى سفيان مصر .

وكتب معاوية الى زياد بن ابي سفيان إن قبلك رجلاً من أصحاب رسول الله فوّله خراسان وهو الحكم بن عمرو الغفاري فولاه زياد خراسان فقدمها سنة ٤٤ فصار الى هراة ثم مضى منها الى الجوزجان فافتتحها ونالتهم شدة حتى أكلوا دوابهم . وكان المهلب مع الحكم بن عمرو فى ذلك الوقت وقد عرف بلاء المهلب وبأسه . وتوفي الحكم ابن عمرو فولى زياد مكانه الربيع بن زياد الحارثي . وفتحت خوارزم فى ذلك الوقت وكان الذي فتحها عبد الله بن عقيل الثقفي .

وحج معاوية سنة ٤٤ وقدم معه من الشأم بمنبر فوضعه عند البيت الحرام فكان أول من وضع المنبر فى المسجد الحرام . ولما صار الى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم وكلموه فى أمورهم فقال : أما ترضون يا بني هاشم أن نقرّ عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون فو الله لأنتم أحل دماً من كذا وكذا وأعظم فى القول . فقال له ابن عباس كلما قلت لنا يا معاوية من شر بين دفتيك وانت والله أولى بذلك منا . أنت

فقالت عثمان ثم قمت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه ، فانكسر معاوية ، فقال ابن عباس والله ما رأيتك صدقت إلا فزعت وانكسرت ، قال فضحك معاوية وقال والله ما أحب انكم لم تكونوا كلمتموني ثم كلمه الأنصار فأغلظ لهم في القول وقال لهم ما فعلت نواضحكم قالوا أفنيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدك وخالك ولكنا نفعل ما أوصانا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أوصاكم به قالوا اوصانا بالصبر قال فاصبروا ، ثم أدلج معاوية الى الشأم ولم يقض لهم حاجة ، وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد ﴿ الحرام ﴾ وأخرج المنابر الى المصلى في العيدين ، وخطب الخطبة قبل الصلاة ، وذلك إن الناس كانوا إذا صلوا انصرفوا لئلا يسمعوا لعن علي (ع) فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة ، ووهب فدك لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

واستعمل معاوية ابن أثال النصراني على خراج حمص ولم يستعمل النصارى أحد من الخلفاء قبله فاعترضه خالد بن عبد الرحمان بن خالد بن الوليد بالسيف فقتله فحبسه معاوية أياماً ثم أغرمه ديته ولم يقده منه ، وكان ابن أثال قتل عبد الرحمان بن خالد بن الوليد ، دسّ اليه شربة سم فعيّره به المنذر بن الزبير بن العوام وقال تتكلم وابن أثال بحمص يأمر وينهى ، فلما قتله قال خالد بن عبد الرحمان أما أنا فقد قتلت ابن أثال وهذا عمرو بن جرموز التميمي قاتل الزبير آمن السرب .

وكان عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب قد قدم على معاوية الى الشأم فجفاه معاوية ولم يقض له حاجة ودخل اليه يوماً فقال له يا ابن عباس كيف رأيت الله فعل بنا وبابي الحسن فقال فعلاً والله غير مختل عجله الى جنة لن تنالها وأخرك الى دنيا قد كان أمير المؤمنين عليه السلام نالها ، قال وانك لتحكم على الله ، قال بما حكم الله به على نفسه ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ﴾ قال معاوية والله لو عاش ابو عمرو حتى يراني لرأى نعم ابن العم فقال ابن عباس أما والله لو رآك أيقن أنك خذلته

حين كانت النصرة له ونصرته حين كانت النصرة لك ، قال وما دخولك بين العصا ولحائها ، قال ما دخلت إلا عليهما لا لهما فدعني مما اكره أدعك من مثله فلئن تحسن فاجازي أحب الي من أن تسيء فاكافي ثم نهض .

وفاة الحسن بن علي عليه السلام

وتوفي الحسن بن علي عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ٤٩ ، ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين ﴿ ع ﴾ يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السم ولم أسقه مثل مرتي هذه وأنا ميت من يومي فاذا أنا مت فادفني مع رسول الله ﴿ ص ﴾ فما أحد أولى بقربه مني إلا أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم ، ولما لف في اكفانه قال محمد ابن الحنفية ﴿ رحمك الله أبا محمد فو الله لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ونعم الروح روح عمر به بدنك ونعم البدن بدن ضمه كفنك ولم لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى وحليف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك كف الحق وربيت في حجر الاسلام وأرضعتك ثديا الايمان فطب حياً وميتاً فعليك السلام ورحمة الله وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك ولا شاكة في الخيار لك ﴾ ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله ﴿ ص ﴾ فركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فمنعا من ذلك حتى كادت تقع فتنة ﴿ وقيل ﴾ إن عائشة ركبت بغلة شهباء وقالت ببتي لا آذن فيه لأحد فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر فقال لها يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء فرجعت واجتمع مع الحسين ابن علي ﴿ ع ﴾ جماعة وخلق من الناس فقالوا له دعنا وآل مروان فو الله ما هم عندنا إلا كأكلة رأس ، فقال إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم ، فدفن الحسن عليه السلام في البقيع ، وكان سنه سبعاً وأربعين سنة ، وتوفي الحسن بن علي وابن عباس عند معاوية فدخل عليه لما أتاه نعي الحسن فقال له يا بن عباس إن حسناً مات قال إنا لله وإنا اليه راجعون على عظم الخطب وجليل المصاب أما والله يا معاوية لئن كان

الحسن مات فما ينسى موته في أجلك ولا يسد جسمه حفرتك ولقد مضى الى خير وبقيت على شر ، قال لا أحسبه قد خلف إلا صبية صغاراً ، قال كلنا كان صغيراً فكبر قال يخ يخ يا ابن عباس أصبحت سيد قومك ، قال أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا .

وكان الحسن بن علي عليه السلام جواداً كريماً وأشبه برسول الله ﴿ص﴾ خلقاً وخُلقاً ، وسئل الحسن عليه السلام ما ذا سمعت من رسول الله فقال سمعته يقول لرجل ﴿ دع ما يريبك فان الشر ريبة والخير طمأنينة ﴾ وعقلت عنه أني بينا أنا أمشي معه إلى جنب جرن الضيقة (١) تناولت تمرة فادخلتها في فمي قال فأدخل رسول الله [ص] إصبعه في فمي فاستخرجها فالقاها وقال إن محمداً وآل محمد لا تحل لهم الصدقة ، وعقلت عنه الصلوات الخمس . وحج الحسن عليه السلام خمس عشرة حجة ماشياً ، وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات حتى كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً ويمسك أخرى .

وقال معاوية للحسن يا أبا محمد ثلاث خلال ما وجدت من يخبرني عنهن ، قال وما هن قال المروة والكرم والنجدة ، قال أما المروة فاصلاح الرجل أمر دينه وحسن قيامه على ماله ولين الكنف وإفشاء السلام والتحبب الى الناس ، والكرم العطية قبل السؤال والتبرع بالمعروف والاطعام في المحل ، ثم النجدة الذب عن الجار والمحاماة في الكريهة والصبر عند الشدائد .

وقال جابر سمعت الحسن عليه السلام يقول مكارم الأخلاق عشر صدق اللسان وصدق البأس وإعطاء السائل وحسن الخلق والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم والتذمم على

(١) الجرن : بضم الجيم الموضع الذي يجمع فيه التمر إذا صرم ، والضيقة بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء التحتانية — طريق بين الطائف وحنين ، (وقيل) بين مكة والطائف ، ولعل الصحيح (الصدقة) بدل (الضيقة) [م . ص]

الجار ومعرفة الحق للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء ﴿ وقيل ﴾ للحسن من أحسن الناس عيشاً ، قال من أشرك الناس فى عيشه ﴿ وقيل ﴾ من أشر الناس عيشاً قال من لا يعيش فى عيشه أحد ﴿ وقال الحسن عليه السلام ﴾ فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها ، وأشد من المصيبة سوء الخلق ، والعبادة انتظار الفرج ﴿ ودعا الحسن ابن علي عليه السلام ﴾ بنيه وبني أخيه فقال يا بني ويا بني أخي إنكم صغار قوم وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم يرويه أو يحفظه فليكتبه وليجعله فى بيته ﴿ وقال رجل للحسن ﴾ اني أخاف الموت قال ذاك أنك أخرت مالك ولو قدمته لسرك أن تلحق به .

وقال معاوية ما تكلم عندي احد أحب الي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة فانه كان بين الحسن بن علي وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة فى أرض فعرض الحسن بن علي امراً لم يرضه عمرو فقال الحسن ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه فقط ﴿ وقال له ﴾ معاوية يوماً ما يجب لنا فى سلطاننا ، قال ما قال سليمان بن داود ، قال معاوية وما قال سليمان ابن داود ، قال قال لبعض أصحابه أتدري ما يجب على الملك فى ملكه ومالا يضره إذا أدى الذي عليه منه وإذا خاف الله فى السر والعلانية وعدل فى الغضب والرضا وقصد فى الفقر والغنى ولم يأخذ الأموال غصباً ولم يأكلها اسرافاً وبذاراً لم يضره ما تمتع به من دنياه إذا كان ذلك من خلته ﴿ وقال الحسن عليه السلام ﴾ كان رسول الله [ص] إذا سأله أحد حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ﴿ ومر الحسن ﴾ يوماً وقاص يقص على باب مسجد رسول الله ﴿ ص ﴾ فقال الحسن ما أنت فقال أنا قاص يابن رسول الله قال كذبت محمد القاص ، قال الله عز وجل (فاقصص القصص) قال فأنا مذكر ، قال كذبت محمد المذكر قال له عز وجل ﴿ فذكر إنما انت مذكر ﴾ قال فما انا قال المتكلف من الرجال .

وكان للحسن عليه السلام من الولد ثمانية ذكور ، وهم : الحسن بن الحسن وأمه خولة بنت منظور الفزارية ، وزيد بن الحسن وأمه أم بشير بنت أبي مسعود الأنصارى الخزرجي ، وعمر ، والقاسم ، وابو بكر ، وعبد الرحمن ، لأمهات أولاد شتى ، وطلحة وعبيد الله .

ولما توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن صرد وفيهم بنو جعدة بن هبيرة فكتبوا الى الحسين بن علي عليه السلام يعزونه على مصابه بالحسن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا غفر الله ذنبه وتقبل حسناته وألحقه بنبيه وضاعف لك الأجر في المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده فعندالله تحتسبه وإنا لله وإنا اليه راجعون ما أعظم ما أصيب به هذه الأمة عامة وأنت وهذه الشيعة خاصة بهلاك ابن الوصي وابن بنت النبي علم الهدى ونور البلاد المرجو لاقامة الدين وإعادة سير الصالحين فاصبر رحمك الله على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور فان فيك خلفاً ممن كان قبلك وإن الله يؤتي رشده من يهدى بهديك ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك السائرة بسيرتك المنتظرة لأمرك شرح الله صدرك ورفع ذكرك وأعظم أجرك وغفر ذنبك ورد عليك حقك ﴾

وبايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد بعد وفاة الحسن بن علي عليه السلام ولم يتخلف عن البيعة إلا أربعة نفر الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمان بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير ، وقال عبد الله بن عمر نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ما حجتنا عند الله ، وقال عبد الله بن الزبير لا طاعة لمخلوق في معصية خالق وقدأفسد علينا ديننا ، وحج معاوية تلك السنة فتألف القوم ولم يكرههم على البيعة ، وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة ومعه سفيان بن عوف الغامدي فسبقه

سفيان بالدخول إلى بلاد الروم فنال المسلمين فى بلاد الروم حمى وجدري ، وكانت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت يزيد بن معاوية وكان لها محباً فلما بلغه ما نال الناس من الحمى والجدري قال :

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم * بالغذ قنونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الأنماط فى غرف * بدير مرّان عندي أم كلثوم

فبلغ ذلك معاوية فقال أقسم بالله لتدخلن أرض الروم فليصيبنك ما أصابهم فاردف به ذلك الجيش فغزا حتى بلغ القسطنطينية .

ووجه معاوية عقبة بن نافع الفهري الى افريقية فافتتحها واختط قيروانها وبناه وكان موضع دغل وحلفاء تنزله الأسد ، وكان ذلك سنة ٥٠ ، ثم ولى معاوية ديناراً أبا المهاجر مولى الأنصار مكان عقبة بن نافع الفهري فاخذ عقبة بن نافع فحبسه وقيده فاقام فى الحبس شهوراً ثم أطلقه فلما صار الى مصر رده عمرو بن العاص الى المغرب ﴿ وقيل ﴾ ورد كتاب من معاوية على عمرو يأمره بذلك فلما قدم عقبة افريقية اخذ ديناراً فحبسه وخرج على عقبة رجل من البربر يقال له ﴿ ابن الكاهنة ﴾ ولم يزل عقبة على البلد أيام معاوية ويزيد بن معاوية .

وتوفي المغيرة بن شعبة سنة ٥١ فولى معاوية الكوفة زياداً وضمها اليه مع البصرة فكان أول من جمع له المصران وكتب زياد الى معاوية إني قد شغلت شمالي بالعراق ويميني فارغة فان رأى أمير المؤمنين أن يولني الموسم فكتب اليه بولاية الحجاز [وقيل] بولاية الموسم ، وكان عبد الله بن عمر يدخل فيقول أيديكم فادعو الله أن يكفيكم يمين زياد ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن ابا بكرة أخاه أتاه فخاطب صبياً له وقد كان قد حلف أن لا يكلمه مذ كاع عن الشهادة على المغيرة ، فقال يا بني أبوك ركب فى الاسلام عظيما شتم أمه ، وانتفى من أبيه ، ثم هو الآن يريد أن يفعل ما هو اكبر من هذا ، يمر بالمدينة فيستأذن على أم حبيبة بنت ابي سفيان فان اذنت فأعظم بها مصيبة على رسول الله [ص]

وعلى المسلمين وان لم تأذن له فأعظم بها فضيحة على أبيك ، فتأخر عن الخروج ، وكان حجر بن عدي الكندي و عمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن ابي طالب عليه السلام إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية وهم يلعنون عليا على المنبر يقومون فيردون اللعن عليهم ويتكلمون في ذلك .

فلما قدم زياد الكوفة خطب خطبة له مشهورة لم يحمد الله فيها ولم يصل على محمد [ص] وأرعد فيها وأبرق وتوعد وتهدد ، وأنكر كلام من تكلم ، وحذرهم ورهبهم ، وقال ﴿ قد سميت الكلبة (١) على المنبر الصلعاء ﴾ فاذا واعدتكم فلم أف لكم بوعدي ووعيدي فلا طاعة لي عليكم ، وكانت بينه وبين حجر بن عدي مودة فوجه اليه فأحضره ثم قال له يا حجر أرأيت ما كنت عليه من المحبة والموالاة لعلي قال نعم قال فان الله قد حول ذلك بغضة وعداوة ، أو رأيت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية قال نعم ، قال فان الله قد حول ذلك محبة وموالاة فلا أعلمنك ما ذكرت عليا بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر ، ثم بلغه أنهم يجتمعون فيتكلمون ويدبرون عليه وعلى معاوية ويذكرون مساويهما ويحرضون الناس فوجه صاحب شرطه اليهم فأخذ جماعة منهم فقتلوا وهرب عمرو بن الحمق الخزاعي الى الموصل وعدة معه وأخذ زياد حجر بن عدي الكندي وثلاثة عشر رجلا من أصحابه فأشخصهم الى معاوية فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب وزروا على الولاة فخرجوا بذلك من الطاعة وأنفذ شهادات قوم أولهم بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال أمر معاوية بايقافهم هناك ثم وجه اليهم من يضرب أعناقهم فكلمه قوم في ستة منهم فوقف عنهم فقتل سبعة حجر بن عدي الكندي ، وشريك ابن شداد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، ومحرز

(١) كذا في الأصل ، والصواب (قد سميت الكذبة) كما في عيون الأخبار لابن قتيبة والعقد الفريد وغيرهما . (م . ص)

ابن شهاب التميمي ، وكدام بن حيان العنزي .

ولما أراد قتلهم قال حجر بن عدي دعوني حتى أصلي فصلى ركعتين خفيفتين ثم أقبل عليهم فقال لولا أن تظنوا بي خلاف ما بي لأحببت ان تكونا أطول مما هما واني لأول من رمى بسهم في هذا الموضوع وأول من هلك ﴿ فقيل له ﴾ أجزعت فقال ولم لا أجزع وأنا ارى سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً ثم ضربت عنقه وأعناق القوم وكفنوا ودفنوا ، وكان ذلك في سنة ٥٢

وقال معاوية للحسين بن علي عليه السلام يا با عبد الله علمت أنا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم ، فقال الحسين حججتك ورب الكعبة لكنا والله إن قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا حنطناهم ولا صلينا عليهم ولا دفناهم .

وقالت عائشة لمعاوية حيث حج ودخل اليها يا معاوية أقتلت حجراً واصحابه فابن عزب حلمك عنهم اما إني سمعت رسول الله ﴿ ص ﴾ يقول يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم اهل السماوات ، قال لم يحضرني رجل رشيد يا ام المؤمنين ﴿ وروي ﴾ أن معاوية كان يقول ما اعد نفسي حليماً بعد قتلي حجراً واصحاب حجر . وبلغ عبد الرحمان بن ام الحكم — وكان عامل معاوية على الموصل — مكان عمرو بن الحمق الخزاعي ورفاعة بن شداد فوجه في طلبهما فخرجا هاربين وعمرو بن الحمق شديد العلة فلما كان في بعض الطريق لدغت عمراً حية فقال الله اكبر قال لي رسول الله [ص] يا عمرو ليشتركن في قتلك الجن والانس ، ثم قال لرفاعة امض لشأنك فاني مأخوذ ومقتول ، ولحقته رسل عبد الرحمان ابن ام الحكم فأخذوه فضربت عنقه ونصب راسه على رمح وطيف به ﴿ فكان اول راس طيف به في الاسلام ، وقد كان معاوية حبس امرأته بدمشق فلما اتى براسه بعث به فوضع في حجرها فقالت للرسول ابلغ معاوية ما اقول [طالبه الله بدمه وعجل له الويل من نقمه فلقد اتى امراً فرياً وقتل براً تقياً] وكان اول من حبس النساء بجرائر الرجال

وخرج قريب وزحاف الخارجيان بالبصرة في جماعة من الخوارج فاستعرضا الشرط فقتلا منهم خلقاً عظيماً وصارا الى المسجد الجامع فقتلا خلقاً من الناس ومالوا الى القبائل ففعلوا مثل ذلك ، وكان زياد بالكوفة وعامله بالبصرة عبيد الله بن ابي بكرة فحاربهم فلما لم يكن له بهم طاقة كتب الى زياد فأقبل زياد حتى صار الى البصرة فصار الى دار الامارة ثم قال : يا أهل البصرة ما هذا الذي قد اشتملتم عليه إني أعطي الله عهداً لايخرج علي خارجي بعدها فأدع من حيه وقبيلته أحداً فاكفوني بوائقكم ، فقام خطباء البصرة فتكلموا واعتذروا .

وكان معاوية أول من أقام الحرس والشرط والبوابين في الاسلام ، وأرخى الستور ، واستكتب النصارى ، ومشي بين يديه بالحراب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ، وجعل ديوان الخاتم ، وبنى وشيد البناء وسخر الناس في بنائه ولم يسخر أحد قبله ، واستصفى أموال الناس فأخذها لنفسه وكان سعيد بن المسيب يقول فعل الله بمعاوية وفعل فانه أول من أعاد هذا الأمر ملكاً وكان معاوية يقول أنا أول الملوك ، ورحل اليه عبدالله بن عمر يوماً فقال يا باعبد الله كيف ترى بنياننا ؟ قال إن كان من مال الله فانت من الخائنين ، وإن كان من مالك فانت من المسرفين ، ودخل اليه عدي بن حاتم فقال له كيف زماننا هذا يا طريف ، فقال إن صدقناكم خفنا كم وإن كذبناكم خفنا الله ، قال أقسمت عليك قال عدل زمانكم هذا جور زمان قد مضى ، وجور زمانكم هذا عدل زمان ما يأتي .

واستقر خراج العراق وما يضاف اليه مما كان في مملكة الفرس في أيام معاوية على ستمائة الف الف وخمسة وخمسين الف الف درهم ، وكان خراج السواد مائة الف الف وعشرين الف الف درهم ، وخراج فارس سبعين الف الف ، وخراج الأهواز وما يضاف اليها أربعين الف الف ، وخراج اليمامة والبحرين خمسة عشر الف الف درهم ، وخراج كور دجلة عشرة آلاف الف درهم ، وخراج نهاوند وماه الكوفة

وهو الدينور وماه البصرة وهو همذان وما يضاف الى ذلك من أرض الجبل أربعين الف الف درهم ، وخراج الري وما يضاف اليها ثلاثين الف الف درهم ، وخراج حلوان عشرين الف الف درهم ؛ وخراج الموصل وما يضاف اليها ويتصل بها خمسة وأربعين الف الف درهم ؛ وخراج آذربيجان ثلاثين الف الف درهم ؛ بعد أن أخرج معاوية من كل بلد ما كانت ملوك فارس تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة وجعله صافية لنفسه فاقطعه جماعة من أهل بيته .

وكان صاحب العراق يحمل اليه من مال صوافيه في هذه النواحي مائة الف الف درهم فمنها كانت صلاته وجوائزه ؛ واستقر خراج مصر في أيام معاوية على ثلاثة آلاف الف دينار ؛ وكان عمرو بن العاص يحمل منها اليه الشيء اليسير فلما مات عمرو حمل المال الى معاوية فكان يفرق في الناس أعطياتهم ويحمل اليه الف الف دينار واستقر خراج فلسطين على أربعمائة وخمسين الف دينار ؛ واستقر خراج الأردن على مائة وثمانين الف دينار ؛ وخراج دمشق على أربعمائة الف وخمسين الف دينار وخراج جند مصر على ثلاثمائة وخمسين الف دينار ؛ وخراج قنسرين والعواصم على أربعمائة الف وخمسين الف دينار ، وخراج الجزيرة وهي ديار مضر وديار ربيعة على خمسة وخمسين الف الف درهم ؛ وخراج اليمن على الف الف ومائتي الف دينار [وقيل] تسعمائة الف دينار ؛ وكان معاوية قد ولى اليمن لما استقامت له الأمور ؛ فيروز الديلمي ، ثم استعمل مكانه عثمان بن عفان الثقفي ؛ ثم استعمل ابن بشير الأنصاري ؛ وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة وأقطعها أهل بيته وخاصته ؛ وكان أول من كانت له الصوافي في جميع الدنيا حتى بمكة والمدينة فانه كان فيهما شيء يحمل في كل سنة من اوساق التمر والحنطة .

وكان معاوية وجه الى ثغر الهند ابن سوار بن همام فشخص في اربعة آلاف حتى

أتى مكران فاقام بها شهوراً ثم غزا القيقان فقاتلهم وصبر على قتالهم فقتل ابن سوار وعامة ذلك الجيش ورجع من بقي معه الى مكران فكتب معاوية الى زياد أن يوجه رجلا له حزم وجزالة ، فوجه سنان بن سلمة الهذلي فاتى مكران فلم يزل بها مقيما ثم صرفه زياد وولى راشد بن عمرو الجديدي الأزدي فغزا القيقان فظفر وغنم وغزا بعض بلاد السند وفتح بلاد الهند وكانت الهند يومئذ أهون شوكة من السند فقتل راشد ببلاد السند .

وأقام زياد على ولاية العراق اثنتي عشرة سنة ، وكان لزياد دهاء ورجلة وصولة وكان أول من دوّن الدواوين ، ووضع النسخ للكتب ، وأفرد كتاب الرسائل من العرب والموالي المتفصحين ﴿ وكان زياد ﴾ يقول ينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤساء الاعاجم العالمين بأمور الخراج ﴿ وكان زياد ﴾ يقول ملاك السلطان أربع خلال ، العفاف عن المال ، والقرب من المحسن ، والشدة على المسيء ، وصدق اللسان [وكان زياد] أول من بسط الارزاق على عماله الف درهم الف درهم ولنفسه خمسة وعشرين الف درهم ﴿ وكان زياد ﴾ يقول ينبغي للوالي أن يكون أعلم باهل عمله منهم بأنفسهم ، وقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير تعرفني فقال نعم المعرفة الجامعة أعرفك باسمك واسم أبيك وكنيتك وعريفك وعشيرتك وفصيلتك ولقد بلغ من معرفتي بكم أني أرى البرد على أحدكم ثم على آخر عارية فأعرفه .

واختصم الى زياد رجلان فقال أحدهما أصلح الله الامير إنه يدل بناحية ذكر أنها له من الامير قال صدق سأخبرك بما ينفعه من ذلك ويضرك ، إن وجب له الحق عليك أخذتك له أخذاً عنيفاً ، وإن وجب عليه حكمت عليه وأديت عنه ﴿ وقال زياد ﴾ وهو على المنبر : إن أعظم الناس كذباً أمير يقف على المنبر وتحته مائة الف من الناس فيكذبهم وإني والله لا أعدكم أجراً إلا أنجزته ولا أعاقبكم حتى أتقدم عليكم ﴿ وكان زياد ﴾ يقول لاصحابه ليس كل يصل إلي ولا كل من وصل إلي أمكنه الكلام فاستشفعوا لمن وراءكم فاني من ورائكم أمنع إن أردت أن أمنع ﴿ وكان زياد ﴾ يقول

أربعة أعمال لا يليها إلا المسن الذي قد عض على ناجذه ، الثغر ، والصائفة ، والشرط والقضاء ، وينبغي أن يكون صاحب الشرط شديد الصولة قليل الغفلة ، وينبغي أن يكون صاحب الحرس مسناً عفيفاً مأموناً لا يطمن عليه ، وينبغي أن يكون في الكاتب خمس خلال ، بعد غور ، وحسن مداراة ، وإحكام للعمل ، وأن لا يؤخر عمل اليوم لغد والنصيحة لصاحبه ، وينبغي للحاجب أن يكون عاقلاً فطناً قد خدم الملوك قبل أن يتولى حجابتهم ، وتوفي زياد بالكوفة سنة ٥٤

﴿ وروي ﴾ أنه كان أحضر قوماً بلغه أنهم شيعة لعلي عليه السلام ليدعوهم إلى لعن علي والبراءة منه أو يضرب أعناقهم وكانوا سبعين رجلا ، فصعد المنبر وجعل يتكلم بالوعيد والتهديد ، فنام بعض القوم وهو جالس فقال له بعض أصحابه تنام وقد أحضرت لتقتل فقال من عمود الى عمود فرقان . لقد رأيت في نومتي هذه عجباً قالوا وما رأيت قال رأيت رجلاً أسود دخل المسجد فضرب رأسه السقف فقلت من أنت يا هذا فقال النقاد ذو الرقبة (١) قلت وأين تريد قال أدق عنق هذا الجبار الذي يتكلم على هذه الاعواد فبينا زياد يتكلم على المنبر إذ قبض على إصبعه ثم صاح يدي وسقط عن المنبر مغشياً عليه فأدخل القصر وقد طعن في خنصره اليمنى فجعل لا يتعاذ فأحضر الطبيب فقال له اقطع يدي قال أيها الأمير أخبرني عن الوجع الذي تجده في يدك أو في قلبك فقال والله إنه في قلبي ، قال فعش سويا فلما نزل به الموت كتب إلى معاوية أني كتبت الى امير المؤمنين وأنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة

(١) نظم ذلك من رأى الرؤيا المذكورة — وهو عبد الرحمان بن السائب على رواية الشيخ المفيد في المجالس وابن عساكر في التاريخ (ج ٥ ص ٤٢١) أو كثير بن الصلت على رواية الكراجكي في الكنز — بقوله :

ما كان منتهياً عما أراد بنا * حتى تناوله النقاد ذو الرقبة
فاثبت الشق منه ضربة ثبتت * كما تناول ظلماً صاحب الرحبة

وقد استخلفت على عملي خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فلما توفي زياد ووضع نعشه ليصلى عليه تقدم عبيد الله ابنه فنحاه وتقدم خالد بن عبد الله فصلى عليه فلما فرغ من دفنه خرج عبيد الله من ساعته الى معاوية فلما قيل لمعاوية هذا عبيد الله فقال يا بني ما منع أباك أن يستخلفك أما لو فعل لفعلت ، فقال نشدتك الله يا امير المؤمنين أن تقولها لي أحد بعدك ما منع أباه وعمه أن يستعملاه ، فولاه خراسان وصير اليه ثغري الهند ، وتوفي المنذر فولى مكانه سنان بن سلمة فقاتل القيقان والبوقان وظفر ورزقه الله النصر عليهم ، وصار عبيد الله بن زياد الى خراسان فبدأ ببخارا وعليها ملكة يقال لها ﴿ خاتون ﴾ فقاتلهم حتى فتحها ثم قطع نهر بلخ ، وكان أول عربي قطع نهر بلخ وحاربه القوم محاربة شديدة وكان الظفر له ، ثم انصرف من خراسان الى معاوية فولاه البصرة سنة ٦٥ ﴿ وقيل ﴾ أول سنة ٥٧ ، وولى معاوية عبيدالله بن زياد خراسان فاستضعفه فعزله وولى عبد الرحمان بن زياد فلم يحمده فعزله فقدم عبد الرحمان بمال عظيم ﴿ فقيل ﴾ إنه قال قدمت معي بمال يكفيني مائة سنة لكل يوم الف درهم فذهب ذلك المال حتى نظر اليه في أيام الحجاج على حمار فقيل له أين المال فقال لا يكفي إلا وجه الله ، والحمار أيضاً ليس لي إنما هو عارية .

وولى معاوية خراسان بعد عبد الرحمان بن زياد سعيداً بن عثمان بن عفان فقطع النهر وصار الى بخارا فطلبت خاتون ملكة بخارا الصلح فأجابها الى ذلك ، ثم رجعت عن الصلح وطمعت في سعيد فحاربهم سعيد فظفر وقتل مقتلة عظيمة وسار الى سمرقند فحاصرها فلم يكن له طاقة بها فظفر بحصن فيه أبناء الملوك فلما صاروا في يده طلب القوم الصلح فخاف أن لا يبرح حتى يدخل المدينة ففتح له باب المدينة فدخلها ورمى القهندز بحجر وكان معه قثم بن العباس بن عبد المطلب فتوفي بسمرقند فلما بلغ عبد الله بن عباس موته قال ما أبعد ما بين مولده ومقبره ، مولده بمكة وقبره بسمرقند ، فانصرف سعيد بن عثمان الى معاوية فولى معاوية مكانه أسلم بن زرعة وصار سعيد الى المدينة ومعه

أسراء من أولاد ملوك السغد فوثبوا عليه وقتلوه وقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم أحد ، وأقام أسلم بن زرعة شهوراً ، وكان عمال خراسان ينزلون هراة ثم ولى معاوية خليد بن عبد الله الحنفي فكان آخر ولاته على خراسان .

وأراد سعد بن ابي وقاص أن يعمل له فامتنع عليه ولزم منزله وكان يسكن قصراً له خارج المدينة على عشرة أميال فلم يزل نازلاً به حتى توفي ، وكانت وفاته سنة ٥٥ وحمل على أيدي الرجال من قصره الى المدينة حتى دفن بالبقيع ، وتوفي أيام معاوية أربع من أزواج رسول الله ﴿ ص ﴾ حفصة بنت عمر توفيت سنة ٤٥ وصلى عليها مروان بن الحكم وهو عامل المدينة ، وصفية بنت حيي بن أخطب توفيت سنة ٥٠ وخولة بنت الحارث توفيت سنة ٥٦ ، وعائشة بنت أبي بكر توفيت سنة ٥٨ ، وصلى عليها أبو هريرة ، وكان خليفة لمروان على المدينة ، فقال بعض من حضر صلى عليها أعدى الناس لها ، وتوفي أبو هريرة سنة ٥٩

وكان لمعاوية حلم ودهاء وجود بالمال على المداراة من رجل يبخل على طعامه ، وقال سعيد بن العاص سمعت معاوية يوماً يقول لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ﴿ قيل ﴾ وكيف يا أمير المؤمنين قال كانوا إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها ، وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالاعطاء وربما احتال عليه فبعث به في الحروب وقدمه ، وكان اكثر فعله المكر والحيلة ، وحج بالناس في جميع سني ولايته حجتين سنة ٤٤ وسنة ٥٠ وأراد أن يحمل منبر رسول الله [ص] فنال المنبر زلزلة حتى ظن أنه آخر الدنيا فتركه ثم زاد فيه خمس مراقي من أسفله ، واعتمر عمرة رجب في سنة ٥٦ وكان أول من كسا الكعبة الديباج واشترى لها العبيد ، وكان يغلب عليه عمرو بن العاص ويزيد بن الحر العبسي والضحاك بن قيس الفهري ، وكان الضحاك على شرطته ، وعلى حرسه ابو مخارق مولى حمير ، وحاجبه رباح مولاه ، وكان معاوية

جهم الوجه جاحظ العين وافر اللحية عريض الصدر عظيم الاليتين قصير الساقين والفخذين ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وتوفي مستهل رجب ﴿ ويقال ﴾ للنصف من رجب سنة ٦٠ وهو ابن سبع وسبعين سنة ﴿ ويقال ﴾ ثمانين سنة ، وقد كان ضعف ونحل وسقطت ثنياه ، قال صالح بن عمرو رأيت معاوية على المنبر معتماً بعمامة سوداء قد سدلها على فيه وهو يقول معشر الناس كبرت سني وضعفت قوتي وأصبت في أحسني فرحم الله من دعالي ثم بكى فبكى معه الناس ، وخرج الضحاك ابن قيس لما مات معاوية فوضع أكفانه على المنبر ثم قال إن معاوية كان ناب العرب وحبلها وقد مات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها وموردوه قبره ثم هو آخر اللقاء وصلى عليه الضحاك بن قيس الفهري لغيبة يزيد في ذلك الوقت ، ودفن بدمشق وخلف من الذكور أربعة يزيد وعبد الله ومحمداً وعبد الرحمان .

وأقام الحج في أيامه سنة ٤١ ، وسنة ٤٢ عتبة بن أبي سفيان ، وفي سنة ٤٣ مروان ابن الحكم ، وفي سنة ٤٦ عتبة بن أبي سفيان ، وفي سنة ٤٧ عتبة بن ابي سفيان وفي سنة ٤٨ مروان بن الحكم وفي سنة ٤٩ سعيد بن العاص ، وفي سنة ٥٠ معاوية بن أبي سفيان ، وفي سنة ٥١ يزيد بن معاوية ، وفي سنة ٥٢ سعيد بن العاص ، وفي سنة ٥٣ سعيد بن العاص ايضاً ؛ وفي سنة ٥٤ مروان بن الحكم وفي سنة ٥٥ مروان بن الحكم . وفي سنة ٥٦ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وفي سنة ٥٧ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ايضاً ، وفي سنة ٥٨ الوليد بن عتبة ايضاً وفي سنة ٥٩ عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

وغزا بالناس في ولايته سنة ٤١ وجه حبيب بن مسلمة فصالح صاحب الروم وكره أن يشغله ، و سنة ٤٣ غزا بسر بن ابي أرطاة أرض الروم ومشتاه بها . سنة ٤٤ غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى بلغ قلونية ، سنة ٤٥ عبد الرحمان بن خالد بن الوليد وشتى بأرض الروم وبلغ انطاكية ، سنة ٤٦ مالك بن عبدالله الخثعمي

﴿ وقيل ﴾ مالك بن هبيرة السكوني وشتى بأرض الروم ، سنة ٤٧ مالك بن هبيرة السكوني وشتى بأرض الروم ، سنة ٤٨ عبد الرحمان العتبي وبلغ انطاكية السوداء سنة ٤٩ فضالة بن عبيد ففتح الله على يده وسبى سبيا كثيراً ، سنة ٥٠ غزا بسر بن ابي أرطاة وشتى سفيان بن عوف ، سنه ٥١ غزا محمد بن عبد الرحمان وشتى فضالة بن عبيد الأنصاري ، سنة ٥٢ سفيان بن عوف فتوفي فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاري ، سنة ٥٣ محمد بن مالك ﴿ وقيل ﴾ فتحت طرسوس في هذه السنة فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي ، سنة ٥٥ مالك بن عبد الله الخثعمي وشتى بأرض الروم سنة ٥٦ يزيد بن معاوية فبلغ القسطنطنية وشتى مسعود بن أبي مسعود ، وكان على البر يزيد بن شجرة ، وعلى البحر عياض بن الحارث ، كل هذا يقال ، سنة ٥٧ عبدالله ابن قيس ؛ سنة ٥٨ مالك بن عبد الله الخثعمي ﴿ ويقال ﴾ عمرو بن يزيد الجهني ﴿ وقيل ﴾ يزيد بن شجرة في البحر ، سنة ٥٩ عمرو بن مرة الجهني في البر لم يكن عامئذ غزوة في البحر .

وكان الفقهاء في أيام معاوية عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عمر بن الخطاب المسور بن مخرمة الزهري ، السائب بن يزيد ؛ عبد الرحمان بن حاطب ؛ ابو بكر ابن عبد الرحمان بن الحارث ، سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، عطاء بن يسار ؛ القاسم بن محمد بن أبي بكر ؛ عبيدة بن قيس السلماني ؛ الربيع بن خيثم الثوري ؛ زر بن حبيش . الحارث بن قيس الجعفي ؛ عمرو بن عتبة بن فرقد ، الأحنف بن قيس ؛ الحارث ابن عمير الزبيدي ، سويد بن غفلة الجعفي ، عمرو بن ميمون الأودي ، مطرف بن عبدالله ابن الشخير ، شقيق بن سلمة ، عمرو بن شرحبيل ؛ عبيد الله بن زيد الخطمي ؛ الحارث الأعور الهمداني ، مسروق بن الأجدع ، علقمة بن قيس الخثعمي ؛ شريح بن الحارث الكندي ، زيد بن وهب الهمداني .

أيام يزيد بن معاوية

وملك يزيد بن معاوية ، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبي في مستهل رجب سنة ستين وكانت الشمس يومئذ في الثور درجة وعشرين دقيقة ، والقمر في العقرب .. (١) .. درجات وثلاثين دقيقة ، وزحل في السرطان إحدى عشرة درجة والمشتري في الجدي تسع عشرة درجة ، والمريخ في الجوزاء اثنتين وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة في الجوزاء ثماني درجات وخمسين دقيقة ، وعطارد في الثور عشرين درجة وثلاثين دقيقة .

وكان غائبا فلما قدم دمشق كتب الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو عامل المدينة ﴿ إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فخذهما بالبيعة فان امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث إلي برؤوسهما ، وخذ الناس بالبيعة فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم وفي الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير والسلام ﴾

فورد الكتاب على الوليد ليلاً فوجه الى الحسين عليه السلام والى عبد الله بن الزبير فأخبرهما الخبر فقالا نصبح ونأتيك مع الناس ؛ فقال له مروان إنهما والله إن خرجا لم ترهما فخذهما بأن يبايعا وإلا فاضرب أعناقهما ؛ فقال والله ما كنت لأقطع أرحامهما فخرجا من عنده وتنحيا من تحت ليلتهما فخرج الحسين عليه السلام الى مكة فاقام بها أياماً وكتب أهل العراق اليه ووجهوا بالرسل على إثر الرسل فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله الحنفي ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين أما بعد فحي هلا فان الناس ينتظرونك لا إمام لهم غيرك فالعجل ثم العجل والسلام ﴾ فوجه اليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب [رض] وكتب اليهم وأعلمهم أنه إثر كتابه فلما قدم مسلم الكوفة اجتمعوا اليه فبايعوه

(١) لا يكون القمر في العقرب والشمس في الثور إلا إن كان نصف الشهر وأما في مستهل الشهر فهي مع الشمس في الثور فلينظر . [عن هامش الأصل]

وعاهدوه وعاقدوه وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء ، وأقبل الحسين عليه السلام من مكة يريد العراق ، وكان يزيد قد ولى عبيد الله بن زياد العراق وكتب اليه ﴿ قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا الى الحسين في القدوم عليهم وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم وقد بلي بلدك من بين البلدان وأيامك من بين الأيام فان قتلته وإلا رجعت الى نسبك والى أبيك عبيد فاحذر أن يفوتك ﴾

مقتل الحسين بن على عليه السلام

وقدم عبيد الله بن زياد الكوفة وبها مسلم بن عقيل قد نزل على هاني بن عروة ، وهاني شديد العلة وكان صديقاً لابن زياد فلما قدم ابن زياد الكوفة أخبر بعلة هاني فاتاه ليعوده فقال هاني لمسلم بن عقيل وأصحابه وهم جماعة إذا جلس ابن زياد عندى وتمكن فاني سأقول اسقوني فاخرجوا فاقتلوه فأدخلهم البيت وجلس في الرواق وأتاه عبيد الله ابن زياد يعوده فلما تمكن قال هانيء بن عروة اسقوني فلم يخرجوا فقال اسقوني مايؤخركم ثم قال اسقوني ولو كانت فيه نفسي ، ففهم ابن زياد فقام فخرج من عنده ووجه بالشرط يطلبون مسلما وخرج وأصحابه وهو لا يشك في وفاء القوم وصحة نياتهم فقاتل عبيد الله فأخذوه فقتله عبيد الله وجرّ برجله في السوق وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إياه ، وسار الحسين ﴿ ع ﴾ يريد العراق فلما بلغ القطقطانة أتاه الخبر بقتل مسلم بن عقيل . ووجه عبيد الله بن زياد لما بلغه قربه من الكوفة بالحر ابن يزيد فمنعه من أن يعدل ، ثم بعث اليه بعمر بن سعد بن أبي وقاص في جيش فلقي الحسين ﴿ ع ﴾ بموضع على الفرات يقال له ﴿ كربلاء ﴾ وكان الحسين عليه السلام فى اثنين وستين أو اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته وأصحابه ، وعمر بن سعد فى أربعة آلاف فمنعوه الماء وحالوا بينه وبين الفرات فناشدهم الله عز وجل فأبوا إلا قتاله أو يستسلم فيمضوا به الى عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيه وينفذ فيه حكم يزيد .

﴿ فروي ﴾ عن علي بن الحسين [ع] أنه قال إني لجالس في العشية التي قتل أبي

الحسين بن علي فى صبيحتها وعمتي زينب تمرضني إذ دخل أبي وهو يقول :

يا دهر أف لك من خليل * كم لك فى الاشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل * وكل حي سالك سبيلي

ففهمت ما قال وعرفت ما أراد وخنقتني عبرتي ورددت دمعي وعرفت أن البلاء قد نزل بنا ، فأما عمتي زينب فانها لما سمعت ما سمعت — والنساء من شأنهن الرقة والجزع فلم تملك أن وثبت تجر ثوبها حاسرة وهي تقول وا ثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة وعلي والحسن بن علي أخي ، فنظر اليها فرد غصته ثم قال يا أختي اتقي الله فان الموت نازل لا محالة فلطمت وجهها وخرت مغشياً عليها وصاحت واويلاه وا ثكلاه ، فتقدم اليها فصب على وجهها الماء وقال لها يا أختاه تعزي بعزاء الله فان لي ولكل مسلم أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال إني أقسم عليك فأبري قسمي لا تشقي علي جيباً ولا تخمشي علي وجهاً ولا تدعي علي بالويل والثبور ، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وإني لمريض مدنف ، وخرج الى أصحابه فلما كان من الغد خرج فكلم القوم وعظم عليهم حقه وذكرهم الله عز وجل ورسوله وسألهم أن يخلوا بينه وبين الرجوع فأبوا إلا قتاله أو أخذه حتى يأتوا به عبيد الله بن زياد فجعل يكلم القوم بعد القوم والرجل بعد الرجل فيقولون ما ندري ما تقول ، فأقبل على أصحابه فقال إن القوم ليسوا يقصدون غيري وقد قضيتم ما عليكم فانصرفوا فانتم في حل . فقالوا لا والله يا ابن رسول الله حتى تكون انفسنا قبل نفسك فجزاهم الخير . وخرج زهير بن القين على فرس له فنادى « يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار . عباد الله ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ولد سمية فان لم تنصروهم فلا تقاتلوهم . أيها الناس إنه ما أصبح على ظهر الأرض ابن بنت نبي إلا الحسين فلا يعين أحد على قتله ولو بكلمة إلا نغصه الله الدنيا وعذبه أشد عذاب الآخرة » ثم تقدموا رجلا رجلا حتى بقي وحده ما معه أحد

من أهله ولا ولده ولا أقاربه فانه لواقف على فرسه إذ أتى بمولود قد ولد له في تلك الساعة فاذن فى أذنه وجعل يحنكه إذ أتاه سهم فوقع فى حلق الصبي فذبحه فنزع الحسين ﴿ ع ﴾ السهم من حلقه وجعل يلطخه بدمه ويقول والله لأنت اكرم على الله من الناقة ولمحمد أكرم على الله من صالح ، ثم أتى فوضعه مع ولده وبني أخيه ثم حمل عليهم فقتل منهم خلقاً عظيماً وأتاه سهم فوقع فى لبته فخرج من قفاه فسقط وبادر القوم فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى عبيد الله بن زياد ، وانتهبوا مضاربه ، وابتزوا حرمه وحملوهن الى الكوفة فلما دخلن اليها خرجن نساء الكوفة يصرخن ويبكين فقال علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا ، وأخرج عيال الحسين وولده الى الشام ونصب رأسه على رمح ، وكان مقتله لعشر ليال خلون من المحرم سنة ٦١ واختلفوا فى اليوم . فقالوا يوم السبت . وقالوا يوم الاثنين . وقالوا يوم الجمعة . وكان من شهور العجم فى تشرين الأول ﴿ قال الخوارزمي ﴾ وكانت الشمس يومئذ فى الميزان سبع عشرة درجة وعشرين دقيقة . والقمر فى الدلو عشرين درجة وعشرين دقيقة وزحل فى السرطان تسعاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة . والمشتري فى الجدي اثنتي عشرة درجة وأربعين دقيقة . والزهرة فى السنبلة خمس درجات وخمسين دقيقة وعطارد فى الميزان خمس درج وأربعين دقيقة . والرأس فى الجوزاء درجة وخمساً وأربعين دقيقة . ووضع الرأس بين يدي يزيد فجعل يزيد (١) يقرع ثناياه بالقضيب وكان أول صارخة صرخت فى المدينة أم سلمة زوج رسول الله ﴿ ص ﴾ كان دفع اليها قارورة فيها تربة وقال لها إن جبرئيل أعلمني أن امتي تقتل الحسين قالت وأعطاني هذه التربة وقال لي إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أن الحسين قد قتل . وكانت عندها

(١) يروى عن رسول الله [ص] أنه رأى أبا سفيان راكباً على جمل ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه فقال صلى الله عليه وآله وسلم « لعن الله الراكب والقائد والسائق » حديث مشهور .

(عن هامش الأصل)

فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر الى القارورة في كل ساعة فلما رأتها قد صارت دماً صاحت وا حسيناه وا ابن رسول الله فتصارخن النساء من كل ناحية حتى ارتفعت المدينة بالضجة التي ما سمع بمثلها قط . وكانت سني الحسين عليه السلام يوم قتل ستاً وخمسين سنة ، وذلك أنه ولد في سنة ٤ من الهجرة ﴿ وقيل ﴾ للحسين ماسمعت من رسول الله قال سمعته يقول : إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ، وعقلت عنه أنه يكبر فكبر خلفه فاذا سمع تكبيري أعاد التكبير حتى يكبر سبعاً ، وعلمني قل هو الله احد ، وعلمني الصلوات الخمس ، وسمعته يقول من يطع الله يرفعه ، ومن يعص الله يضعه ، ومن يخلص نيته لله يزينه ، ومن يثق بما عند الله يغنيه ؛ ومن يتعزز على الله يذله ﴿ وقال بعضهم ﴾ سمعت الحسين يقول الصدق عز والكذب عجز ، والسر أمانة ، والجوار قرابة ، والمعونة صداقة ، والعمل تجربة ، والخلق الحسن عبادة ، والصمت زين ، والشح فقر ، والسخاء غنى ، والرفق لب ﴿ ووقف ﴾ الحسين بن علي بالحسن البصري والحسن لا يعرفه فقال له الحسين ياشيخ هل ترضى لنفسك يوم بعثك قال لا . قال فتحدث نفسك بترك ما لا ترضاه لنفسك من نفسك يوم بعثك . قال نعم بلا حقيقة . قال فمن أغش لنفسه منك لنفسه يوم بعثك وأنت لا تحدث نفسك بترك ما لا ترضاه لنفسك بحقيقة . ثم مضى الحسين عليه السلام فقال الحسن البصري من هذا فقيل له الحسين بن علي فقال سهلتم علي .

وكان للحسين عليه السلام من الولد . علي الاكبر لا بقية له قتل بالطف . وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي . وعلي الأصغر وأمه حرار (١) بنت يزدجرد . وكان الحسين سماها غزالة ﴿ وقيل ﴾ لعلي بن الحسين ما أقل ولد أبيك قال العجب كيف ولدت له . إنه كان يصلي فى اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان

(١) كذا فى الأصل . والمشهور أن اسم أمه شاه زنان . وقيل شهربانويه . وقيل السلافة . وقيل أم سلمة . (م . ص)

يفرغ للنساء (١)

وأقام عبد الله بن الزبير بمكة خالعاً يزيد ودعا الى نفسه وأخرج عامل يزيد ووجه اليه يزيد ابن عضاه الأشعري وكتب اليه يعطيه الأمان ويعلمه أنه كان حلف أن لا يقبل بيعته إلا وهو في جامعة حديد حتى يبايع ثم يطلقه . وكان مروان بن الحكم عامل المدينة فكره ابن الزبير أن يجيب الى ذلك وداخله الهلع عند ما بلغه من قتل الحسين فوجه اليه مع بعض ثقاته بشعر يقول فيه :

فخذها فليست للعزيز بخطة * وفيها مقال لا مرىء متذلل

وكان ابن الزبير شديد العزة فلم يفعل وأجاب ابن عضاه بجواب غليظ فقال ابن عضاه إن الحسين بن علي كان أجل قدراً في الاسلام وأهله من قبل وقد رأيت حاله . فقال له ابن الزبير إن الحسين بن علي خرج الى من لا يعرف حقه وإن المسلمين قد اجتمعوا علي . فقال له فهذا ابن عباس وابن عمر لم يبايعك . وانصرف وأخذ ابن الزبير عبد الله بن عباس بالبيعة له فامتنع عليه . فبلغ يزيد بن معاوية أن عبد الله ابن عباس قد امتنع على ابن الزبير فسره ذلك وكتب الى ابن عباس ﴿ أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً وأنك امتنعت عليه واعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا وطاعة لله فما عرفك من حقنا فجزاك الله من ذي رحم بأحسن ما يجزي به الواصلين لأرحامهم فاني ما أنس من الأشياء فلست بناس برك وحسن جزائك وتعجيل صلتك بالذي أنت مني أهله في الشرف والطاعة والقرابة برسول الله . فانظر رحمك الله فيمن قبلك من قومك ومن يطرأ عليك من الآفاق ممن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي والتمسك ببيعتي فانهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمحل الملحد والسلام ﴾

(١) المشهور أن ذلك قيل للامام الباقر في شأن أبيه علي بن الحسين (ع) [م ص]

فكتب اليه عبد الله بن عباس ﴿ من عبد الله بن عباس الى يزيد بن معاوية أما بعد فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إياي الى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني اليه من بيعته فان يك ذلك كما بلغك فلست حمدك أردت ولا ودك ، ولكن الله بالذي أتوي عليم ، وزعمت أنك لست بناس ودي فلعمري ما تؤتينا مما في يديك من حقنا إلا القليل ، وإنك لتحبس عنا منه العريض الطويل ، وسألتني أن أحث الناس عليك وأخذلهم عن ابن الزبير ، فلا ولا سروراً ولا حبوراً وأنت قتلت الحسين بن علي ، بفيك الكثكث ، ولك الاثلب إنك إن تمنيك نفسك ذلك لعازب الرأي وإنك لأنت المفند المهور ؛ لاتحسبني ـ لا أبالك ـ نسيت قتلك حسينا وفتيان بني عبد المطلب مصابيح الدجا ونجوم الأعلام ، غادرهم جنودك مصرعين في الصعيد مرملين بالتراب مسلوبين بالعراء ، لامكفنين ، تسفي عليهم الرياح وتعاورهم الذئاب ، وتنتابهم عرج الضباع حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم فأجنوهم في اكفانهم ، وبي والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست يايزيد ، وما أنس من الأشياء فلست بناس تسليطك عليهم الدعي العاهر ابن العاهر البعيد رحماً اللئيم أباً وأماً الذي في ادعاء أبيك إياه ما اكتسب أبوك به إلا العار والخزي والمذلة في الآخرة والأولى وفي الممات والمحيا ، إن نبي الله [ص] قال ﴿ الولد للفراش وللعاهر الحجر ﴾ فالحقه بابيه كما يلحق بالعفيف النقي ولده الرشيد ، وقد أمات أبوك السنة جهلاً وأحيى البدع والأحداث المضلة عمداً ، وما أنس من الأشياء فلست بناس إطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله ﴿ص﴾ إلى حرم الله ودسك اليه الرجال تغتاله فاشخصته من حرم الله الى الكوفة فخرج منها خائفاً يترقب ، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً ، وأعز أهلها بها حديثاً ، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحل بها قتالاً ، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكبر من ذلك ما لم تكبر ، حيث دسست اليه

الرجال فيها ليقاتل في الحرم ، ومالم يكبر ابن الزبير حيث ألحد بالبيت الحرام ﴿ وعرضه للعائر (١) وافل ار العالم ﴾ وأنت لأنت المستحل فيما أظن بل لا أشك فيه أنك للمحرق العريف ، فانك حلف نسوة صاحب ملاعي فلما رأى سوء رأيك شخص الى العراق ولم يبتغك ضراباً وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، ثم إنك الكاتب الى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته والالحاح عليه حتى يقتله ومن معه من بني عبد المطلب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فنحن اولئك لسنا كآبائك الأجلاف الجفاة الاكباد الحمير ، ثم طلب الحسين بن علي اليه الموادعة وسألهم الرجعة فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيته فعدوتم عليهم فقتلتموهم كما قتلتم أهل بيت من الترك والكفر ، فلا شيء عندي أعجب من طلبك ودي ونصري وقد قتلت بني أبي وسيفك يقطر من دمي وأنت أحد ثاري فان يشأ الله لا يطل لديك دمي ولا تسبقني بثاري وإن سبقتني به في الدنيا فقبلنا ما قتل النبيون وآل النبيين وكان الله الموعد وكفى به للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً ، فلا يعجبنك إن ظفرت بنا اليوم فو الله لنظفرن بك يوماً ، فاما ماذكرت من وفائي وما زعمت من حقي فان يك ذلك كذلك فقد والله بايعت أباك وإني لأعلم أن بني عمي وجميع بني أبي أحق بهذا الأمر من أبيك ولكنكم معاشر قريش كاثرتمونا فاستأثرتم علينا سلطاننا ، ودفعتمونا عن حقنا فبعداً على من اجترأ على ظلمنا واستغوى السفهاء علينا وتولى الأمر دوننا ، فبعداً لهم كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ومكذبو المرسلين ، ألا ومن أعجب الأعاجيب — وماعشت أراك الدهر العجيب — حملك بنات عبد المطلب وغلمة صغاراً من ولده اليك بالشأم كالسبي المجلوب ترى الناس أنك قهرتنا وأنك تأمرت علينا ، ولعمري لئن كنت تصيح وتمسي آمناً لجرح يدي ، إني لأرجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي فلا يستغربك

(١) كذا في الأصل ، ولعله (وعرضه للغائر ، وقتل به البادي والعاكف)

الجدل ولا يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله ﴿ ص ﴾ إلا قليلا حتى يأخذك أخذاً أليماً فيخرجك الله من الدنيا ذميما أثيما ، فعش لا أبا لك فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت والسلام على من أطاع الله ﴾

وولى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة فاتاه ابن مينا عامل صوافي معاوية فاعلمه أنه أراد حمل ما كان يحمله في كل سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر وأن أهل المدينة منعوه من ذلك فارسل عثمان الى جماعة منهم فكلمهم بكلام غليظ فوثبوا به ومن كان معه بالمدينة من بني أمية فاخرجوهم من المدينة واتبعوهم يرجمونهم بالحجارة فلما انتهى الخبر الى يزيد بن معاوية وجه الى مسلم بن عقبة فاقدمه من فلسطين وهو مريض فادخله منزله ثم قص عليه القصة فقال يا أمير المؤمنين وجهني اليهم فو الله لأدعن أسفلها أعلاها يعني مدينة الرسول ﴿ ص ﴾ فوجهه في خمسة آلاف الى المدينة فاوقع بأهلها ﴿ وقعة الحرة ﴾ فقاتله أهل المدينة قتالاً شديداً وخندقوا على المدينة فرام ناحية من نواحي الخندق فتعذر ذلك عليه فخدع مروان بعضهم فدخل ومعه مائة فارس فاتبعه الخيل حتى دخلت المدينة فلم يبق بها كثير احد إلا قتل وأباح حرم رسول الله [ص] حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهن (١)

ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال بايع آية أنك عبد قن ليزيد ، فيقول لا فيضرب عنقه فاتاه علي ابن الحسين ﴿ ع ﴾ فقال علام يريد يزيد أن أبايعك قال على أنك أخ وابن عم فقال وإن أردت أن أبايعك على أني عبد قن فعلت ، فقال ما اجشمك هذا ، فلما أن رأى الناس إجابة علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ قالوا هذا ابن رسول الله ﴿ ص ﴾ بايعه

(١) ولدت الف امرأة من [وقعة الحرة] من غير أزواج فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحل ذلك في حرم رسول الله ﴿ ص ﴾ اللهم العن المشير بهذه القتلة لعناً وبيلاً وأصله بفعله جهنم وساءت مصيراً . (عن هامش الأصل)

على ما يريد فبايعوه على ما أراد ، وكان ذلك سنة ٦٢ ، وكان جيش مسلم خمسة آلاف رجل ؛ من فلسطين الف رجل عليهم روح بن زنباع الجذامي ، ومن الأردن الف رجل عليهم حبيش بن دلجة القيني ، ومن دمشق الف رجل عليهم عبد الله بن مسعدة الفزاري ، ومن أهل حمص الف رجل عليهم الحصين بن نمير السكوني ، ومن قنسرين الف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابي ، وكان المدبر لأمر أهل المدينة والرئيس فى محاربة أهل الشام عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر الأنصاري .

وخرج مسلم بن عقبة من المدينة يريد مكة لمحاربة ابن الزبير فلما صار بثنية المشلل احتضر واستخلف الحصين بن نمير وقال له يا برذعة الحمار لو لا حبيش بن دلجة القيني لما وليتك فاذا قدمت مكة فلا يكون عملك إلا الوقاف ثم الثقاف (١) ثم الانصراف ثم قال ﴿ اللهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرة فاني إذاً لشقي ﴾ ثم خرجت نفسه فدفن بثنية المشلل ، وجاءت أم ولد يزيد بن عبد الله ابن زمعة فنبشته وصلبته على المشلل وجاء الناس فرجموه وبلغ الحصين بن نمير فرجع فدفنه وقتل جماعة من أهل ذلك الموضع ﴿ وقيل ﴾ لم يدع منهم أحداً ، وقدم الحصين بن نمير مكة فناوش ابن الزبير الحرب في الحرم ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة وكان عبد الله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة فنادى بأعلى صوته يا أهل الشام هذا حرم الله الذي كان مأمناً فى الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد فاتقوا الله يا أهل الشام ، فيصيح الشاميون الطاعة الطاعة ، الكرة الكرة الرواح قبل المساء ، فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة ، فقال أصحاب ابن الزبير نطفئ النار فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة ، فقال بعض أهل الشام إن الحرمة والطاعة اجتمعا فغلبت الطاعة الحرمة ، وكان حريق الكعبة سنة ٦٣ .

---

(١) الوقاف بالكسر هو أن تقف معه ويقف معك فى حرب أو خصومة و (الثقاف) بالكسر ايضاً الخصام والجلاد . (تاج العروس)

وولى يزيد سلم بن زياد خراسان وبعث معه بعدة من الأشراف أحدهم طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، والمهلب بن أبي صفرة ، وعمر ابن عبيد الله بن معمر التيمي ، وعبد الله بن خازم السلمي ، فصار الى خراسان فاقام بنيسابور ثم صار الى خوارزم ففتحها ثم صار الى بخارا وملكتها ﴿ خاتون ﴾ فلما رأت كثرة جمعه هالها ذلك وكتبت الى ﴿ طرخون ﴾ ملك السغد إني متزوجتك فاقبل الي لتملك بخارا فاقبل اليها في مائة الف وعشرين الف فوجه سلم المهلب بن ابي صفرة طليعة له لما بلغه إقبال طرخون فخرج وتبعه الناس فلما أشرفوا على عسكر طرخون زحف أصحاب طرخون اليهم والتحم القتال ورشقهم المسلمون بالنبل فقتل طرخون وانهزم أصحابه فقتل منهم بشر كثير فبلغت سهام المسلمين يومئذ للفارس الفين وأربعمائة وللراجل الفاً ومائتين ، ولم يزل ابن زياد بخراسان حتى توفي يزيد وكان يكتم موته حتى ذاع في الناس فانصرف سلم من خراسان فاستخلف ابن خازم السلمي وذلك أنه خاف أن يثب به فداراه وبلغه اختلاط الناس فأعطاه عهده ومضى وأقام ابن خازم بخراسان فعمل العجائب ولم يكن يرد عليه وسار سليمان الى هراة ووثب أوس بن ثعلبة بالطالقان فلم يزل يحاربها ويحارب الترك وهو في كل ذلك منصور عليهم .

وتوفي يزيد بن معاوية في صفر سنة ٦٤ بموضع يقال له ﴿ حوارين ﴾ وحمل الى دمشق فدفن بها وصلى عليه معاوية بن يزيد ، وكان له من الولد الذكور أربعة معاوية وخالد وابو سفيان وعبد الله ، وكان الغالب عليه حسان بن بحدل الكلبي ، وروح ابن زنباع الجذامي ، والنعمان بن بشير وعبد الله بن رياح ، وكان على شرطه عبد الله ابن عامر الهمداني ، وعلى حرسه سعيد مولى كلب ، وحاجبه صفوان مولاه .

وكتب مروان بن الحكم الى الحصين بن نمير وهو في محاربة ابن الزبير لا يهولنك ماحدث وامض لشأنك ، وبلغ الخبر ابن الزبير وذاع في العسكر فانكسرت شوكة القوم وأرسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير نلتقي الليلة على الأمان فالتقيا فقال له

الحصين بن نمير إن يزيد قد مات وابنه صبي فهل لك أن أحملك الى الشام فليس بالشام أحد فأبايع لك فليس يختلف عليك اثنان ، فقال ابن الزبير رافعاً صوته لا والله الذي لا إله إلا هو أو تقتل بأهل الحرة امثالهم من أهل الشام ، فقال له الحصين من زعم أنك داهية فهو أحمق ، أقول لك مالك سراً وتقول لي ماعليك علانية ، ثم انصرف وكان سعيد بن المسيب يسمي سني يزيد بن معاوية بالشؤم ، في السنة الأولى قتل الحسين ابن علي عليه السلام وأهل بيت رسول الله ﴿ ص ﴾ والثانية استبيح حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهكت حرمة المدينة ، والثالثة سفك الدماء في حرم الله وحرقوا الكعبة .

وأقام الحج في ولاية يزيد بن معاوية سنة ٦٠ عمرو بن سعيد بن العاص ، وفي سنة ٦١ الوليد بن عتبة وفي سنة ٦٢ الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ، وغزا بالناس في ولايته ، سنة ٦١ غزا مالك بن عبد الله الخثعمي الصائفة (١) وهي غزاة سورية .

أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية — وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة — أربعين يوماً ﴿ وقيل ﴾ بل أربعة أشهر ، وكان له مذهب جميل فخطب الناس فقال ﴿ أما بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس إنا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا ألا وإن جدي معاوية بن ابي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله ﴿ ص ﴾ وأحق في الاسلام سابق المسلمين واول المؤمنين وابن عم رسول رب العالمين وأبا بقية خاتم المرسلين فركب منكم ما تعلمون وركبتم منه مالا تنكرون حتى اتته منيته وصار رهناً بعمله ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير فركب هواه واستحسن خطأه وعظم رجاؤه فاخلفه الأمل وقصر عنه الأجل فقلت منعته وانقطعت مدته وصار في حفرته رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه ﴾ ثم بكى وقال

(١) الصائفة غزوة الروم لأنهم كانوا يغزون صيفاً لمكان البرد والثلج [القاموس]

﴿ إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه وقد قتل عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأباح الحرمة وحرّق الكعبة وما أنا المتقلد أموركم ولا المتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم فو الله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً وإن تكن شراً فحسب آل سفيان ما أصابوا منها ﴾ فقال له مروان بن الحكم سنها فينا عُمريّة قال ﴿ ما كنت أتقلدكم حياً وميتاً ، ومتى صار ابن يزيد مثل عمر ، ومن لي برجل مثل رجال عمر ﴾ وتوفي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وصلى عليه خالد بن يزيد بن معاوية ﴿ وقيل ﴾ بل عثمان بن محمد بن ابي سفيان ودفن بدمشق وكان بها ينزل .

﴿ تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث ، أوله أيام مروان بن الحكم ﴾
﴿ وعبدالله بن الزبير وعبدالملك بن مروان ﴾

فهرس مواضيع الجزء الثاني

ص	
٠٤	﴿ مولد رسول الله [ص] ﴾
١١	حرب الفجار
١٢	حلف الفضول
١٣	بنيان الكعبة
١٤	تزويج النبي [ص] خديجة بنت خويلد [رض]
١٥	المبعث
١٩	الاسراء
١٩	النذارة
٢١	المهاجرة الى الحبشة
٢٢	حصار قريش لرسول الله [ص] وخبر الصحيفة
٢٣	وفاة القاسم ابن رسول الله [ص]
٢٤	ما نزل من القرآن بمكة
٢٥	وفاة خديجة وابي طالب [رض]
٢٦	عرض رسول الله [ص] نفسه على القبائل وخروجه الى الطائف
٢٧	قدوم الأنصار مكة
٢٩	خروج رسول الله [ص] من مكة
٣٠	قدوم رسول الله [ص] المدينة

ص	
٣١	إفتراض الصوم والصلاة
٣٢	ما نزل من القرآن بالمدينة
٣٣	وقعة بدر العظمى
٣٥	وقعة أحد
٣٦	وقعة بني النضير
٣٧	وقعة الخندق
٣٩	وقعة بني قريظة
٤٠	وقعة بني المصطلق
٤٠	غزاة الحديبية
٤٢	وقعة خيبر
٤٣	فتح مكة
٤٧	وقعة حنين
٤٩	غزاة مؤتة
٥٠	الغزوات التي لم يكن فيها قتال
٥٢	الأمراء على السرايا والجيوش
٦٣	وفود العرب الذين قدموا على رسول الله ﴿ ص ﴾
٦٤	كتاب النبي [ص]
٦٧	أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم
٧٠	مولد ابراهيم ابن رسول الله [ص]

ص	
٧٢	خطب رسول الله [ص] ومواعظه وتأديبه بالأخلاق الشريفة
٩٠	حجة الوداع
٩٣	وفاته صلى الله عليه وآله وسلم
٩٦	صفة رسول الله [ص]
٩٧	المشبهون برسول الله [ص]
٩٧	نسبة رسول الله [ص] وأمهاته الى ابراهيم والعواتك والفواطم اللاتي ولدنه
١٠١	تسمية من ولدنه من الفواطم
١٠٢	خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة ابي بكر
١٠٦	﴿ أيام أبي بكر ﴾
١٠٦	خطبة ابي بكر
١٠٧	المدعون للنبوة في عهد ابي بكر
١٠٩	قضية مسيلمة الكذاب
١١٠	قضية مالك بن نويرة
١١١	غزو الروم
١١٣	جمع علي عليه السلام القرآن وتجزئته سبعة أجزاء
١١٥	عهد ابي بكر لعمر عند وفاته
١١٦	صفة ابي بكر

ص	
١١٧	﴿ أيام عمر بن الخطاب ﴾
١١٧	خطبته
١١٧	رده سبايا أهل الردة
١١٨	سنه صلاة التراويح
١١٩	الفتوحات في عهده
١٢٣	تأريخه للكتب
١٢٤	حصار أهل بيت المقدس
١٢٥	فتح مصر
١٢٧	تخطيط الكوفة
١٢٩	أمر عمر بمسح سواد العراق
١٣٠	تدوينه للدواوين
١٣٢	تمصيره الأمصار
١٣٥	مشاطرته جماعة من عماله أموالهم
١٣٥	مكالمته مع ابن عباس في شأن الخلافة
١٣٧	خبر وفاته
١٣٧	تصييره الأمر شورى بين ستة نفر
١٣٨	صفة عمر
١٣٩	عماله وقت وفاته
١٣٩	﴿ أيام عثمان بن عفان ﴾
١٤٠	خطبة المقداد بن عمر في المسجد
١٤١	فتح الاسكندرية

ص	
١٤٢	توسيعه المسجد الحرام
١٤٤	بعض الفتوحات في عهده
١٤٦	جمعه للقرآن
١٤٨	نفيه لأبي ذر الغفاري الى الربذة
١٥٠	ما نقم الناس عليه
١٥٢	حصره فى داره
١٥٣	صفتـــه
١٥٣	العمال فى أيامه
١٥٣	الفقهاء فى أيامه
١٥٤	﴿خلافة أمير المؤمنين عليه السلام﴾
١٥٥	عزله عمال عثمان وتعيينه الولاة
١٥٦	بدء حرب الجمل فى البصرة
١٦٣	بدء حرب صفين
١٦٤	نصب المصاحف على رؤوس الرماح
١٦٥	اختلاف أصحابه عليه بعد رفع المصاحف
١٦٥	تحكيم الحكمين
١٦٦	خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري
١٦٦	ظهور أمر الخوارج
١٦٧	نصيحة عبد الله بن عباس الخوارج

ص	
١٦٧	قيام الخوارج ووقعة النهروان
١٧٠	قتل محمد بن ابي بكر ومالك الأشتر
١٧١	خروج الخريت بن راشد الناجي
١٧٣	واقعة بسر بن ابي أرطاة بمكة والمدينة
١٧٤	قتل بسر الصبيين ابني عبيد الله ابن عباس
١٧٦	كتابة علي عليه السلام لعماله يستحثهم على الخراج
١٨١	موعظته لكميل بن زياد
١٨٢	بعض خطبه وكلماته الخالدة
١٨٩	قتله عليه السلام
١٨٩	عدد أولاده عليه السلام
١٩٠	خطبة ابنه الحسن عليه السلام بعد وفاة أبيه
١٩٠	من أقام الحج فى خلافته
١٩٠	أصحابه الذين يحملون عنه العلم
١٩١	﴿خلافة الحسن بن علي عليه السلام﴾
١٩١	غدر أصحابه ونهب مضاربه وجرحه بمغول فى فخذه
١٩٢	صلحه عليه السلام لمعاوية
١٩٢	(أيام معاوية بن ابي سفيان)

ص	
١٩٢	خطبة قيس بن سعد بن عبادة
١٩٣	خروج فروة بن نوفل الأشجعي الخارجي
١٩٤	الحاق معاوية زياداً بابي سفيان
١٩٦	سعي معاوية في جعل ولاية العهد ليزيد
١٩٧	خروج شبيب بن بجرة الأشجعي الخارجي في الكوفة
١٩٧	خروج المستورد بن علفة التيمي على المغيرة
١٩٧	خروج معاذ بن جوين الطائي ابي المستورد على المغيرة
١٩٧	خروج عصابة من الموالي على المغيرة
١٩٧	عمرو بن العاص وأيام ولايته مصر ونسخة الشرط
١٩٨	وفاة عمرو بن العاص وأسفه عند وفاته
١٩٨	حج معاوية ووضعه المنبر عند البيت الحرام
١٩٩	عمله المقصورة في المسجد الحرام وتقديمه الخطبة قبل الصلاة
١٩٩	استعماله ابن اثال النصراني على حمص

ص	
١٩٩	إلحام عبد الرحمان بن العباس بن عبد المطلب لمعاوية
٢٠٠	وفاة الحسن بن علي عليه السلام
٢٠٠	تأبين محمد ابن الحنفية لأخيه الحسن عليه السلام
٢٠٠	المنع من دفن الحسن عليه السلام عند جده النبي [ص]
٢٠١	بعض كلماته الحكمية الخالدة
٢٠٣	تعداد أولاده ﴿ ع ﴾
٢٠٣	ما كتبوه شيعة الكوفة للحسين عليه السلام بعد موت أخيه الحسن
٢٠٣	أخذ معاوية البيعة بولاية العهد لابنه يزيد
٢٠٤	تولية معاوية زياداً الكوفة وضمها اليه مع البصرة
٢٠٥	خطبة زياد البتراء لما قدم الكوفة
٢٠٥	قتل زياد حجر بن عدي الكندي وأصحابه
٢٠٦	قتل عمرو بن الحمق الخزاعي
٢٠٧	خروج قريب وزحاف الخارجيين بالبصرة

ص

٢٠٧ أوليات معاوية بن ابي سفيان في الاسلام
٢٠٧ مقدار الخراج في أيام معاوية
٢٠٨ ما يستصفيه معاوية من الأموال
٢٠٩ أوليات زياد بن ابي سفيان
٢٠٩ ما يؤثر عنه من الكلمات
٢١٠ وفاته بالكوفة
٢١٠ سبب وفاته
٢١١ تولية معاوية عبيد الله بن زياد خراسان
٢١١ توليته اياه البصرة
٢١١ توليته سعيد بن عثمان خراسان
٢١٢ وفاة أربع من أزواج النبي [ص]
٢١٢ سياسة معاوية ودهائه
٢١٢ حجه بالناس وكسوته الكعبة
٢١٣ وفاته ومن صلى عليه
٢١٣ من أقام الحج في أيامه
٢١٣ من غزا بالناس في ولايته
٢١٤ الفقهاء في أيامه
٢١٥ ﴿ أيام يزيد بن معاوية ﴾
٢١٥ أمره الوليد عامله على المدينة باخذ البيعة من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير
٢١٥ كتابة أهل العراق للحسين بن علي عليه السلام
٢١٦ ﴿ مقتل الحسين بن علي (ع) ﴾
٢١٦ قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة
٢١٧ خطبة زهير بن القين في أهل الكوفة
٢١٨ قتل رضيع الحسين عليه السلام
٢١٨ حمل نسائه الى الكوفة
٢١٨ خروج عياله الى الشام
٢١٨ قرع يزيد ثناياه بالقضيب
٢١٨ قضية القارورة وأم سلمة
٢١٩ ما يؤثر عن الحسين من الكلمات
٢١٩ ما كان له من الولد
٢٢٠ دعوة عبدالله بن زبير بمكة لنفسه
٢٢٠ كتاب يزيد الى عبدالله بن عباس
٢٢١ كتاب ابن عباس ليزيد
٢٢٣ تولية يزيد عثمان بن محمد بن ابي سفيان المدينة
٢٢٣ وقعة الحرة
٢٢٣ أخذ مسلم بن عقبة البيعة ليزيد

ص	
٢٢٤	حرق الحصين بن نمير الكعبة
٢٢٥	تولية يزيد سلم بن زياد خراسان
٢٢٥	وفاة يزيد بن معاوية
٢٢٥	ما كتبه مروان بن الحكم الى الحصين ابن نمير وهو في محاربة ابن الزبير
٢٢٦	من أقام الحج في ولاية يزيد

ص	
٢٢٦	من غزا بالناس في ولاية يزيد
٢٢٦	(أيام معاوية بن يزيد بن معاوية)
٢٢٦	خطبته بعد خلافته
٢٢٧	تنازله عن الملك
٢٢٧	وفاته ومن صلى عليه

جدول الخطأ والصواب للجزء الثـــانى

بالرغم من الدقة في التصحيح وبذل غاية الجهد فيه فقد وقعت الأغلاط الآتية وإنما العصمة لله

ص	س	الخطأ	الصواب
٠٢	٠١	رب	لله رب
٠٨	٠٧	زباب	رئاب (ظ)
٠٨	١٠	جناب	خبّاب (ظ)
٠٩	٠٥	العر	العز
٠٩	٢٠	يا آمرة قال نصرفت :	يا آل مرة فانصرفت
٣٩	١٥	له	له قل
٣٩	١٧	مقاتهم	مقاتلهم
٥١	٠٣	ينتظرون (	ينتظر
٥٤	٠٧	استأسروا	استأسروا
٥٥	٢٠	تعلبة	ثعلبة
٥٧	٠٧	يارسوالله	يارسول الله
٦٢	٠٧	الأريسين	(الأريسيين
٦٣	٢٢	وبنو	وبنو تميم
٦٥	٠٣	نصرانتيه	نصرانيته
٧١	٠٨	المتصله	المتصلة
٧٤	١٢	لاينصر	ينصر
٧٤	١٢	غى	بغي
٧٦	٠٤	فاستغر	فاستغفر
٧٧	١٣	سنط	سلط
٨٠	١٦	دبنه	دينه
٩٢	٠٦	فكالوا	فكالوا
٩٦	١٥	حل	جل
١٠٧	٢١	والظعن	والطعن
١١٢	١٦	والمفارة	والمفازة
١٢٠	١٠	بت	بيت
١٢٠	١١	فصالحيهم	فصالحهم
١٢٨	٠١	القط	اللقط
١٣٦	٠٧	عبد الله	عبيد الله
١٣٨	٠٢	عبد الله	عبيد الله
١٤٥	٠٩	فخرج	فخرج
١٥٩	٠٢	رسوله	رسول
١٦١	٠١	أبلغني	فقال أبلغني
١٦٩	٠٩	فلو	فو
١٧٦	٠٦	بالخروج	على الخراج (ظ)
١٩٦	٠٣	وودت	ووددت
١٩٧	٠١	أن	أن قدم
٢٠٣	٠٨	يوم ولدت	(الظاهر أن

ص	س	الخطأ	الصواب
		في العبارة سقطاً فراجع	
٢٠٦	٠٤	الموضوع	الموضع
٢٠٦	٠٤	هلك	هلك فيه
٢١١	١٠	٦٥	٥٦
٢٢٠	١١	لم يبايعك	لم يبايعاك
٢٢٦	١١	الخنعي	الختعمي

لفت نظر

ورد في صفحة ٩٧ سطر ١١ من المشبهين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ أسهد بن العمرة وهاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ﴾ وهكذا كان في نسخة الأصل ، ولكن الصحيح ﴿ السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ﴾ وقد ذكر السائب هذا ابن حجر العسقلاني في الاصابة (ج ٢ ص ١١) وعده من المشبهين برسول الله (ص) أما أسهد بن العمرة فهو من المهملين فى المعاجم ولا وجود له أصلاً والراجح أنه تصحيف (السائب بن عبيد) كما أن هاشم بن عبد المطلب لا وجود له فى المعاجم والصحيح هاشم بن المطلب ، ففي العبارة تصحيف وزيادة وسقط ، فلاحظ ، وقد عد ابن رستة فى الأعلاق النفيسة (صفحة ٢٠١ من طبع ليدن سنة ١٨٩١ (م) جماعة من المشبهين برسول الله (ص) وعد منهم من ذكروا فى كتابنا هذا وغيرهم فليراجع .

(م . ص)

تاريخ اليعقوبي

أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ومنه الى زمن
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب

المعروف بابن واضح الاخباري

المتوفى بعد سنة ٢٩٢

الجزء الثالث

من نشريات المكتبة المرتضوية في النجف

كل نسخة غير موقعة بتوقيع صاحب المكتبة تعد مسروقة

١٣٥٨

مطبعة الغري

النجف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير

وأيام من أيام عبد الملك

كان عبد الله بن الزبير بن العوام — وأمه أسماء بنت أبي بكر — قد تغلب على مكة ، وتسمى بأمير المؤمنين . ومال اليه اكثر النواحي . وكان ابتداء أمره في أيام يزيد بن معاوية على ما اقتصصنا من خبره ومحاربته للحصين بن نمير . فلما توفي يزيد بن معاوية مال الناس من البلدان جميعاً الى ابن الزبير . وكان بمصر عبد الرحمن ابن جحدم الفهري عاملاً لابن الزبير وأهل مصر في طاعته . وبفلسطين ناتل بن قيس الجذامي . وبدمشق الضحاك بن قيس الفهري . وبحمص النعمان بن بشير الأنصاري وبقنسرين والعواصم زفر بن الحارث الكلابي . وبالكوفة عبد الله بن مطيع . وبالبصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وبخراسان عبد الله بن خازم السلمي . ولم تبق ناحية إلا مالت الى ابن الزبير خلا الأردن ورئيسها يومئذ حسان بن بحدل الكلبي وأخرج ابن الزبير بني أمية من المدينة وأخذ مروان بالخروج فاتى عبد الملك ابنه وهو عليل مجدر فقال له يا بني إن ابن الزبير قد أخرجني قال فما يمنعك أن تخرجني معك قال كيف أخرجك وأنت على هذا الحال قال لفني في القطن فان هذا رأي لم يتعقبه

ابن الزبير . فخرج وأخرج عبد الملك وتعقب ابن الزبير الرأي فعلم أنه قد اخطأ فوجه يردهم ففاتوه .

وقدم مروان وقد مات معاوية بن يزيد وأمر الشام مضطرب فدعا الى نفسه واجتمع الناس بالجابية من أرض دمشق فناظروا في ابن الزبير وفيما تقدم لبني أمية عندهم وتناظروا في خالد بن يزيد بن معاوية وفي عمرو بن سعيد بن العاص بعده فكان روح بن زنباع الجذامي يميل مع مروان فقام خطيباً فقال ﴿ يا أهل الشام هذا مروان بن الحكم شيخ قريش والطالب بدم عثمان والمقاتل لعلي بن ابي طالب يوم الجمل ويوم صفين فبايعوا الكبير واستنيبوا للصغير ثم لعمرو بن سعيد ﴾ فبايعوا لمروان ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد . فلما عقدوا البيعة جمعوا من كان في ناحيتهم ثم تناظروا في أي بلد يقصدون فقالوا نقصد دمشق فانها دار الملك ومنزل الخلفاء وقد تغلب بها الضحاك بن قيس فقصدوا دمشق فلقوا الضحاك بمرج راهط وكان مع الضحاك من أهل دمشق وفتيتهم جماعة وقد أمدّه النعمان بن بشير عامل حمص بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص وأمدّه زفر بن الحارث الكلابي بقيس بن طريف بن حسان الهلالي والتقوا بمرج راهط فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الضحاك بن قيس وخلق من أصحابه وهرب من بقي من جيشه وبلغ الخبر النعمان بن بشير وهو بحمص فخرج هارباً ومعه امرأته الكنانية وثقله وولده فتبعه قوم من حمير وباهلة فقتلوه في البرية واحتزوا رأسه ووجهوا به الى مروان بن الحكم وهرب زفر بن الحارث الكلابي والخيل تتبعه حتى أتى قرقيسيا وبها عياض الحرشي من مذحج فأغلق أبوابها دونه فلم يزل يخدعه حتى دخلها .

ووجه مروان حبيش بن دلجة القيني الى الحجاز لمحاربة ابن الزبير فسار حتى أتى المدينة . وعليها جابر بن الأسود بن عوف الزهري عامل ابن الزبير . وكتب ابن الزبير الى الحارث بن عبد الله عامله على البصرة أن يوجه اليهم بجيش فلقوا حبيشاً فقتلوه وقتلوا عامة أصحابه فلم يفلت منهم إلا الشريد فكان فيمن أفلت منهم يوسف بن الحكم

الثقفي وابنه الحجاج بن يوسف . ثم خرج مروان يريد مصر فلما سار الى فلسطين وجد ناتل بن قيس الجذامي متغلباً على البلد وأخرج روح بن زنباع فحاربه فلما لم يكن لناتل قوة على محاربة مروان هرب فلحق بابن الزبير وسار مروان يريد مصر حتى دخلها فصالحه أهلها وأعطوه الطاعة وأخرج ابن جحدم الفهري عامل ابن الزبير ﴿ وقيل ﴾ اغتاله فقتله وقتل اكيدر بن حمام اللخمي واستعمل عليها ابنه عبد العزيز بن مروان وانصرف .

وقام سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري وخرجا في جماعة معهما من الشيعة بالعراق بموضع يقال له ﴿ عين الوردة ﴾ يطلبون بدم الحسين بن علي عليه السلام ويعملون بما أمر الله به بني إسرائيل إذ قال ﴿ فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ واتبعهم خلق من الناس . فوجه اليهم مروان عبيد الله بن زياد وقال إن غلبت على العراق فانت أميرها فلقي سليمان بن صرد فلم يزل يحاربه حتى قتله ﴿ وقيل ﴾ لم يقتل سليمان في أيام مروان ولكنه قتل في أيام عبد الملك .

ولما صار مروان الى الصنبرة من أرض الأردن منصرفاً من مصر بلغه أن حسان بن بحدل قد بايع عمرو بن سعيد فاحضره فقال له قد بلغني انك بايعت عمرو بن سعيد فانكر ذلك فقال له بايع لعبد الملك فبايع لعبد الملك ثم بعده لعبد العزيز بن مروان . ولم يبرح مروان من الصنبرة حتى توفي . وكان سبب وفاته أنه تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية فدخل اليه يوماً فافحش له في القول ثم أعاد عليه في يوم آخر مثل ذلك فدخل خالد الى أمه مغضباً فخبرها فقالت والله لا يشرب البارد بعدها فصيرت له سماً في لبن فلما دخل سقته إياه ﴿ وقال بعضهم ﴾ بل وضعت على وجهه وسادة حتى قتلته ﴿ وقال قوم ﴾ إنه توفي بدمشق ودفن بها . وكانت ولاية مروان تسعة أشهر فتوفي في شهر رمضان سنة ٦٥ وهو ابن احدى وستين سنة . وكان صاحب شرطته يحيى بن قيس الغساني

وحاجبه ابو سهل الأسود وصلى عليه عبد الملك ابنه . وخلف من الولد اثني عشر ذكراً وهم : عبد الملك . وعبد العزيز . ومعاوية . وبشر . وعمر . وأبان وعبد الله . وعبيد الله . وأيوب . وداود . وعثمان . ومحمد .

وخلف أهل الشام بعبد الملك فأقبل مسرعاً الى دمشق خوفاً من وثوب عمرو بن سعيد . واجتمع الناس عليه فقال لهم إني أخاف ان يكون في أنفسكم مني شيء فقام جماعة من شيعة مروان فقالوا والله لتقومن الى المنبر أو لنضربن عنقك فصعد المنبر وبايعوه .

وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي أقبل في جماعة عليهم السلاح يريدون نصر الحسين ابن علي عليه السلام فأخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وضربه بالقضيب حتى شتر عينه فكتب فيه عبد الله بن عمر الى يزيد بن معاوية وكتب يزيد الى عبيد الله ان خل سبيله فخلى سبيله ونفاه . فخرج المختار الى الحجاز فكان مع ابن الزبير فلما لم ير ابن الزبير يستعمله شخص الى العراق فوافى وقد خرج سليمان بن صرد الخزاعي يطلب بدم الحسين عليه السلام فلما صار الى الكوفة اجتمعت اليه الشيعة فقال لهم إن محمد بن علي بن ابي طالب بعثني اليكم اميراً وأمرني بقتال المحلين والطلب بدماء اهل بيته المظلومين وإني والله قاتل ابن مرجانة والمنتقم لآل رسول الله ﴿ ص ﴾ ممن ظلمهم . فصدقه طائفة من الشيعة . وقالت طائفة نخرج الى محمد بن علي فنسأله فخرجوا اليه فسألوه فقال ﴿ ما احب الينا من طلب بثأرنا واخذ لنا بحقنا وقتل عدونا ﴾ فانصرفوا الى المختار فبايعوه وعاقدوه . واجتمعت طائفة وكان ابن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم فواعد المختار اصحابه ثم خرجوا بعد المغرب وصاحب الجيش ابراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر ونادى يا لثارات الحسين بن علي وكان ذلك سنة ٦٦ . والتحم القتال بينهم وبين عبد الله بن مطيع وكانت اشد حرب واصعبها . ثم صار ابن مطيع الى القصر ودعا الناس الى البيعة فبايعوا لآل رسول الله . ودفع المختار الى ابن مطيع مائة الف وقال له تحمل بها وانفذ لوجهك . وسرح المختار عماله الى النواحي

فأخرجوا من كان فيها وأقاموا بها ؛ وكان عامل المختار على الموصل عبد الرحمان بن سعيد بن قيس الهمداني فزحف اليه عبيد الله بن زياد بعد قتله سليمان بن صرد فحاربه عبد الرحمان وكتب الى المختار يخبره فوجه اليه يزيد بن أنس ثم وجه ابراهيم بن مالك ابن الحارث الأشتر فلقي عبيد الله بن زياد فقتله ، وقتل الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري وحرّق أبدانهما بالنار ، وأقام والياً على الموصل وأرمينية وآذربيجان من قبل المختار وهو على العراق والياً ، ووجه برأس عبيد الله بن زياد الى علي بن الحسين عليه السلام الى المدينة مع رجل من قومه وقال له قف بباب علي بن الحسين فاذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس فاذ ذاك الوقت الذي يوضع فيه طعامه فادخل اليه ، فجاء الرسول الى باب علي بن الحسين عليه السلام فلما فتحت أبوابه ودخل الناس للطعام نادى بأعلى صوته يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الملائكة ومنزل الوحي أنا رسول المختار ابن أبي عبيد معي رأس عبيد الله بن زياد فلم تبق في شيء من دور بني هاشم امرأة إلا صرخت ودخل الرسول فأخرج الرأس فلما رآه علي بن الحسين عليه السلام قال أبعده الله إلى النار ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ لم ير ضاحكاً يوماً قط منذ قتل أبوه إلا في ذلك اليوم وأنه كان له إبل تحمل الفاكهة من الشام فلما أتي برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة ففرقت في أهل المدينة وامتشطن نساء آل الرسول ﴿ ص ﴾ واختضبن ، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن علي ﴿ ع ﴾ وتتبع المختار قتلة الحسين فقتل منهم خلقاً عظيماً حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وقتل عمر بن سعد وغيره وحرّق بالنار وعذب باصناف العذاب .

وهدم ابن الزبير الكعبة في جمادى الآخرة سنة ٦٤ حتى ألصقها بالأرض وذلك ان الحصين بن (نمير لما أراد ابن الزبير هدمها) امتنع وامتنع الناس من الهدم فعلا عبد الله بن الزبير على البيت فهدم فلما رآه الناس يهدم هدموا فلما ألصقها بالأرض خرج

ابن عباس من مكة إعظاماً للمقام بها وقد هدمت الكعبة وقال له اضرب حوالي الكعبة الخشب لا تبق الناس بغير قبلة ﴿ وروى ﴾ ابن الزبير عن خالته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت قال لي رسول الله يا عائشة إن بدا لقومك أن يهدموا الكعبة ثم يبنوها فلا يرفعوها عن الأرض وليصيروا لها بابين ، فلما بلغ ابن الزبير بالهدم الى القواعد أدخل الحجر في البناء حتى رفعها وجعل لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً وصير على كل باب مصراعين وكان على بابها الأول مصراع واحد وجعل طول البابين إحدى عشرة ذراعاً وكان ارتفاعها في السماء ثماني عشرة ذراعاً فجعلها ابن الزبير تسعاً وعشرين ذراعاً ولم يرفعها عن الأرض بل جعلها مستوية مع وجه الأرض وكان قد أخذ الحجر الأسود فجعله عنده في بيته فلما بلغ البناء الى موضع الحجر أمر فحفر له في الحجار على قدره ثم أمر ابنه عباداً أن يأتي وهو في صلاة الظهر فيضعه في موضعه والناس في الصلاة لا يعلمون فاذا فرغ من وضعه كبر فجاء عباد بن عبد الله ابن الزبير بالحجر وأبوه يصلي بالناس الظهر في يوم شديد الحر فشق الصفوف حتى صار الى الموضع ثم وضعه وطول ابن الزبير الصلاة حتى وقف عليه فلما رأت قريش ذلك غضبت وقالت والله ما هكذا فعل رسول الله ولقد حكمته قريش فجعل لكل قبيلة نصيباً ، وكان لما أصابه الحريق تصدع بثلاث قطع فشده ابن الزبير بالفضة ، ولما فرغ من البناء خلّق (١) داخل الكعبة وخارجها فكان أول من خلقها وكساها القباطي ، واعتمر من التنعيم ومشى .

ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج وذلك إن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج الى مكة فضج الناس وقالوا تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا فقال لهم هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي

(١) خلق : بتشديد اللام طيب بالخلوق .

ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد الى السماء تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة وأقام بذلك أيام بني أمية .

وتحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً وأظهر لهم العداوة والبغضاء حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد ﴿ ص ﴾ في خطبته ، فقيل له لم تركت الصلاة على النبي فقال إن له أهل سوء يشرأبون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به ؛ وأخذ ابن الزبير محمد ابن الحنفية وعبد الله بن عباس وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبايعوا له فامتنعوا فحبسهم في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليبايعن أو ليحرقنهم بالنار ، فكتب محمد ابن الحنفية الى المختار بن أبي عبيد ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله الى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين أما بعد فان ابن الزبير أخذنا فحبسنا في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبايعنه أو ليضرمنها علينا بالنار فيا غوثاه ﴾ فوجه اليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبد الله الجدلي في أربعة آلاف راكب فقدم مكة فكسر الحجرة وقال لمحمد بن علي دعني وابن الزبير قال لا أستحل من قطع رحمه ما استحل مني ، وبلغ محمد ابن علي بن أبي طالب أن ابن الزبير قام خطيباً فنال من علي بن أبي طالب [ع] فدخل المسجد الحرام فوضع رحلاً ثم قام عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال : ﴿ شاهت الوجوه يا معشر قريش أيقال بين أظهركم وأنتم تسمعون ويذكر علي فلا تغضبون ، ألا إن علياً كان سهماً صائباً من مرامي الله أعدائه يضرب وجوههم ويهوعهم مآكلهم ويأخذ بحناجرهم ؛ ألا وإنا على سنن ونهج من حاله وليس علينا في مقادير الأمور حيلة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ فبلغ قوله عبدالله بن الزبير فقال عذرت بني الفواطم فما بال ابن أمة بني حنيفة ، وبلغ محمداً قوله فقال : ﴿ يا معاشر قريش

وما ميزني من بني الفواطم أليست فاطمة ابنة رسول الله حليلة أبي وأم اخوتي ، أوليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتي وأم أبي ، اليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم جدة أبي وأم جدتي ، أما والله لولا خديجة بنت خويلد لما تركت في اسد عظماً إلا هشمته فاني بتلك التي فيها المعاب خبير ﴾ ولما لم يكن بابن الزبير قوة على بني هاشم وعجز عما دبّره فيهم اخرجهم عن مكة واخرج محمد ابن الحنفية الى ناحية رضوى ، واخرج عبد الله بن عباس الى الطائف إخراجاً قبيحاً ، وكتب محمد ابن الحنفية الى عبد الله بن عباس ﴿ اما بعد فقد بلغني ان عبد الله الزبير سيرك الى الطائف فرفع الله بك اجراً واحط عنك وزراً يابن عم انما يبتلي الصالحون وتعد الكرامة للأخيار ولو لم تؤجر إلا فيما تحب وتحب قل الأجر فاصبر فان الله قد وعد الصابرين خيراً والسلام ﴾

﴿ وروى بعضهم ﴾ ان محمد ابن الحنفية صار ايضاً الى الطائف فلم يزل بها وتوفي ابن عباس بها في سنة ٦٨ وهو ابن احدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد ابن الحنفية ودفن عبد الله بن عباس بالطائف في مسجد جامعها وضرب عليه فسطاط ، ولما دفن أتى طائر ابيض فدخل معه في قبره ﴿ فقال ﴾ بعض الناس علمه ﴿ وقال ﴾ آخرون عمله الصالح ﴿ قال ﴾ عبد الله بن عباس اردفني رسول الله ﴿ ص ﴾ ثم قال لي يا غلام الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلى يا رسول الله قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده امامك ، اذكر الله في الرخاء يذكرك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ولو جهد الخلق على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه ، ولو جهدوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، فعليك بالصدق في اليقين إن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسراً .

وكان لعبد الله بن العباس من الولد خمسة ذكور ، علي بن عبد الله

وهو أصغرهم سناً (١) إلا أنه تقدم لشرفه ونبله ، والعباس كان اكبر ولده وكان يلقب ﴿ الأعنق ﴾ ومحمد ، والفضل ، وعبد الرحمان .

وفي هذه السنة وقفت أربعة الوية بعرفات ، محمد ابن الحنفية في أصحابه ، وابن الزبير في أصحابه ، ونجدة بن عامر الحروري ، ولواء بني أمية ﴿ وقال ﴾ المسور ابن هند بن قيس ﴿ وتشعبوا شعباً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ﴾ (٢)

ووجه عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير الى العراق فقدمها سنة ٦٨ فقاتله المختار وكانت بينهم وقعات مذكورة ؛ وكان المختار شديد العلة من بطن به فأقام يحارب مصعباً أربعة أشهر ثم جعل أصحابه يتسللون منه حتى بقي في نفر يسير فصار الى الكوفة فنزل القصر ؛ وكان يخرج في كل يوم فيحاربهم في سوق الكوفة أشد محاربة ثم يرجع الى القصر ، وكان عبيد الله بن علي بن أبي طالب مع مصعب بن الزبير فجعل مصعب يقول يا أيها الناس المختار كذاب وإنما يغركم بانه يطالب بدم آل محمد وهذا ولي الثأر — يعني عبيد الله بن علي — يزعم أنه مبطل فيما يقول ، ثم خرج المختار يوماً فلم يزل يقاتلهم أشد قتال يكون حتى قتل ودخل أصحابه الى القصر فتحصنوا وهم سبعة آلاف رجل فأعطاهم مصعب الأمان وكتب لهم كتاباً باغلظ العهود وأشد المواثيق فخرجوا على ذلك فقدمهم رجلاً رجلاً فضرب أعناقهم ؛ فكانت أحد الغدرات المذكورة المشهورة في الاسلام وأخذ أسماء بنت النعمان بن بشير امرأة المختار بن أبي عبيد فقال لها ما تقولين في المختار بن ابي عبيد قالت أقول إنه كان تقياً نقياً صواماً قال يا عدوة الله أنت ممن يزكيه فأمر بها فضربت عنقها ، وكانت اول امرأة ضربت عنقها صبراً ، فقال عمرو بن ابي ربيعة المخزومي :

---

(١) وهو الذي قال فيه علي أمير المؤمنين عليه السلام لأبيه عبد الله لما حنكه « خذ اليك أبا الأملاك » (عن هامش الأصل)

(٢) كذا في الأصل ، والظاهر أنه بيت شعر بزيادة (خطيب) فيقرأ :

وتشعبوا شعباً فكل قبيلة * فيها أمير المؤمنين خطيب [م ص]

إن من أعجب العجائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها بغير جرم اتته * إن لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

فلما قتل مصعب بن الزبير المختار واستقامت له امور العراق حسده عبد الله بن الزبير على ذلك فوجه حمزة ابنه الى البصرة وكتب الى مصعب ان يصرف امر البصرة الى حمزة ففعل ذلك فكان حمزة من اضعف الناس واقلهم علماً بالأمر ثم اجتبى خراج البصرة ونفذه الى ابيه الى مكة ، ووفد مصعب على اخيه عبد الله فجفاه حتى كان ليدخل فيسلم فلا يرفعه ، فلما قدم على عبدالله ابنه حمزة رد مصعب الى العراق ؛ وقتل عبد الله بن الزبير اخاه عمرو بن الزبير لعداوة كانت بينه وبينه ولمبايعته لمروان بن الحكم ﴿ وقيل ﴾ إنه كان على شرطة عمرو بن سعيد فوجه به عمرو لمحاربة اخيه فقتله .

وولى ابن الزبير المهلب بن ابي صفرة خراسان وكان مع مصعب فتقدم البصرة وقد حصرت الخوارج اهلها وغلبت على جميع سوادها وكورها فلم يبق في ايدي اهلها إلا المدينة ، فلما قدم عليهم المهلب فزع اليه اشراف الناس ووجوههم واتاه الأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومالك بن مسمع فيمن معهم من العشائر فقالوا ﴿ يا ابا سعيد انت شيخ الناس وسيف العراق وقد ترى ما فيه اهل مصرك من الخوارج المارقة والاقامة على منع اهل بلدك والذب عن حريمك اولى لك من خراسان ﴾ فقال نعم اقيم على محاربة هؤلاء على ان لي جميع ما اغلبهم عليه وانتزعه من ايديهم من خراج وغيره فاجابته العشائر الى ذلك خلا مالك بن مسمع فانه امتنع عليه ، وكانت في مالك ابهة شديدة وكبر معروف فوثب الأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود على مالك بن مسمع فقالا له ارايت الذي تمنعه ابا سعيد ادوشيء في يدك او في يد عدوك قال في يد عدوي قالا فوالله ما انصفته ان تسأله ان يحمي دمك وحرمتك ثم تمنعه ما انت مغلوب عليه

فهو يجعل لك ما سألت وقم بمحاربة القوم قال لا أقوى على ذلك فقالا فهذا الظلم والعجز ثم جعلوا جميعاً للمهلب ماسأل فأقام على محاربة الخوارج (ورئيسهم يومئذ نافع بن الأزرق وبه سموا الأزارقة) حتى أجلاهم عن البصرة .

وسار عبد الملك الى مصعب بن الزبير في سنة ٧١ فلقيه بموضع يقال له ﴿ دير الجاثليق ﴾ على فرسخين من الأنبار فكانت بينهم وقعات وحروب وجاده عبد الملك القتال وخذل مصعباً اكثر أصحابه وكان اكثر من خذله منهم ربيعة ثم حملوا عليه وهو جالس على سريره فقتلوه وحزّ رأسه عبيد الله بن زياد بن ظبيان وأتى به عبد الملك فلما وضعه بين يديه خر ساجداً فقال عبيد الله فهممت أن أضرب عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد ﴿ وقال بعضهم ﴾ (١) دخلت على عبد الملك بن مروان وبين يديه رأس مصعب بن الزبير فقلت يا أمير المؤمنين لقد رأيت في هذا الموضع عجباً قال وما رأيت قال رأيت رأس الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زياد ورأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد ورأيت رأس المختار بن أبي عبيد بين يدي مصعب بن الزبير ورأيت رأس مصعب بن الزبير بين يديك قال فخرج من ذلك البيت وأمر بهدمه ، وكان قتل مصعب بن الزبير في ذي القعدة سنة ٧٢ .

﴿ وقال ﴾ المضاء بن علوان كاتب مصعب بن الزبير دعاني عبد الملك بعد ما قتل مصعباً فقال لي علمت أنه لم يبق من أصحاب مصعب وخاصته أحد إلا كتب إلي يطلب الأمان والجوائز والصلات والاقطاعات ، قلت قد علمت يا أمير المؤمنين أنه لم يبق من أصحابك أحد إلا وقد كتب إلى مصعب بمثل ذلك وهذه كتبهم عندي قال فجئني بها فجئته باضبارة عظيمة فلما رآها قال ما حاجتي أن أنظر فيها فافسد صنائعي وافسد قلوبهم علي يا غلام أحرقها بالنار فأحرقت .

(١) القائل هو عبد الملك بن عمير اللخمي . (م . ص)

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير ندب الناس للخروج الى عبد الله بن الزبير فقام اليه الحجاج بن يوسف الثقفي فقال ابعثني اليه يا أمير المؤمنين فاني رأيت في المنام كأني ذبحته وجلست على صدره وسلخته فقال أنت له فوجهه في عشرين الفاً من أهل الشأم وغيرهم ؛ وقدم الحجاج بن يوسف فقاتلهم قتالاً شديداً وتحصن بالبيت فوضع عليه المجانيق فجعلت الصواعق تأخذهم ويقول يا أهل الشأم لا تهولنكم هذه فانما هي صواعق تهامة فلم يزل يرميه بالمنجنيق حتى هدم البيت فكتب اليه عبد الملك بن مروان وهو في محاربته ﴿ أوصيك يا حجاج بما أوصى به البكري زيداً والسلام ﴾ فقام الحجاج خطيباً فقال أيكم يدري ما أوصى به البكري زيداً وله عشرة آلاف درهم فقام رجل من القوم فقال أنا أدري ما أوصى به البكري فدعا ببدرة فدفعت اليه فقال .

أقول لزيد لا تُترتر فانهم * يرون المنايا دون قتلك أو قتلي
فان وضعوا حرباً فضعها وإن أبوا * فشب وقود النار بالحطب الجزل
فان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حد السيف مثلك أو مثلي

ورأى ابن الزبير من أصحابه تثاقلاً عنه وكان يجري لهم نصف صاع من تمر فقال ﴿ أكلتم تمري وعصيتم أمري ﴾ وكان شديد البخل ، ولما علم ابن الزبير أنه لا طاقة له بالحرب دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر فقال كيف أصبحت يا أمه قالت : إن في الموت لراحة وما أحب أن أموت إلا بعد خلتين إما أن قتلت فاحتسبك أوظفرت فقرت عيني ، قال يا أمه إن هؤلاء قد أعطوني الأمان فماذا تقولين قالت يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت على حق واليه تدعو فلا تمكن عبيد بني أمية منك يتلاعبون بك وان كنت على غير الحق فشأنك وما تريد ، قال يا أمه إن الله ليعلم اني ما أردت إلا الحق ولا طلبت غيره ولا سعيت في ريبة قط ، اللهم إني لا أقول ذلك تزكية لنفسي ولكن لأطيب نفس أمي ، ثم قال يا أمه إني اخاف إن قتلني هؤلاء القوم ان يمثلوا بي

قالت يا بني إن الشاة لا تألم للسلخ إذا ذبحت قال الحمد لله الذي وفقك وربط على قلبك وخرج فخطب الناس فقال ﴿ أيها الناس إن الموت قد أظلكم سحابه وأحدق بكم ربابه فغضوا ابصاركم عن الأبارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا يلهينكم التساؤل ولا يقولن قائل أين امير المؤمنين ألا من سأل عني فاني في الرعيل الأول ﴾ ثم نزل فقاتل حتى قتل ، وكان قتله سنة ٧٣ وله إحدى وسبعون سنة ، وصلب بالتنعيم فاقام ثلاثة وقيل سبعة أيام ، ثم جاءت أمه اسماء بنت ابي بكر وهي عجوز عمياء حتى وقفت على الحجاج فقالت أما آن لهذا الراكب أن ينزل بعد ، أما اني سمعت رسول الله [ص] يقول إن في بني ثقيف مبيراً وكذاباً فاما المبير فانت وأما الكذاب فالمختار بن ابي عبيد فقال من هذه فقيل ام ابن الزبير فأمر به فانزل ﴿ وروى بعضهم ﴾ ان الحجاج خطبها فقالت وهو يخطب (عمياء بنت المائة) فقال ما اردت إلا مسالقة رسول الله ومر عبد الله بن عمر على عبد الله بن الزبير وهو مصلوب فقال يرحمك الله أبا خبيب لولا ثلاث كن فيك لقلت أنت انت ، إلحادك في الحرم ، ومسارعتك إلى الفتنة ، وبخل بكفك ، ومازلت اتخوف عليك هذا المركب وما صرت اليه مذ كنت اراك ترمق بغلات شهباً كن لابن حرب فيعجبنك إلا انه كان أسوس لدنياه منك .

واقام الحج للناس في هذه السنين في سنة ٦٣ عبد الله بن الزبير ، وفي سنة ٦٤ ابن الزبير ﴿ وقيل ﴾ يحيى بن صفوان الجمحي ، وفي سنة ٦٥ وسنة ٦٦ وسنة ٦٧ ابن الزبير ، وفي سنة ٦٨ وقفت اربعة الوية بعرفات لواء مع محمد ابن الحنفية واصحابه ، ولواء مع ابن الزبير ، ولواء مع نجدة بن عامر الحروري ، ولواء مع بني امية ، وفي سنة ٦٩ وسنة ٧٠ وسنة ٧١ ابن الزبير .

أيام عبد الملك بن مروان

وملك عبد الملك بن مروان بن الحكم — وامه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن ابي العاص بن امية ، جداه جميعاً طريدا رسول الله ﴿ ص ﴾ — وكانت البيعة له

بالشام فى اليوم الذي توفي فيه مروان ، وذلك فى شهر رمضان سنة ٦٥ ، و كانت الشمس يومئذ في الثور سبع عشرة درجة وعشرين دقيقة ، والقمر فى الحمل خمساً وعشرين دقيقة ، وزحل فى السنبلة ثماني عشرة درجة وخمسين دقيقة راجعاً ، والمشتري فى الجوزاء اثنتين وعشرين درجة وعشر دقائق ، والمريخ فى الحمل تسع عشرة درجة وعشر دقائق ، والزهرة فى السرطان درجتين وعشرين دقيقة ؛ وعطارد فى الجوزاء ثلاث درجات ، والرأس فى الحوت عشرين درجة وعشرة دقائق .

وقد ذكرنا خبر بيعته فى ايام ابن الزبير وما كانت عليه البلدان من الاضطراب وتغلب من تغلب على كل بلد . وخبر سليمان بن صرد الخزاعي وابراهيم بن مالك ابن الحارث الأشتر وقتله عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وغير ذلك مما دخل فى نسق ايام ابن الزبير . وكان قوم قد قالوا إنما تحق الخلافة لمن كان الحرمان فى يده ولمن أقام الحج للناس فلذلك ادخلنا خبر مروان وايامًا من ايام عبد الملك فى خبر ابن الزبير .

واستقامت الشام لعبد الملك بن مروان خلا فلسطين فان نائل بن قيس كان بها فلما اراد عبد الملك النهوض اتاه الخبر بان طاغية الروم قد اناخ على المصيصة فكره ان يتشاغل بمحاربته مع اضطراب البلدان فوجه اليه فصالحه وحمل اموالاً كثيرة اليه حتى انصرف وكان عبد الملك لما احكم امر الشام ووجه روح بن زنباع الجذامي الى فلسطين شخص عن دمشق حتى صار الى بطنان يريد قرقيسيا لمحاربة زفر بن الحارث . وامر ابن الزبير على حاله فلما صار الى بطنان من ارض قنسرين اتاه الخبر بأن عمرو بن سعيد بن العاص قد وثب بدمشق ودعا الى نفسه وتسمى بالخلافة واخرج عبد الرحمان بن عثمان الثقفي خليفة عبد الملك بدمشق . وكانت ام عبد الرحمان ام الحكم بنت ابي سفيان بن حرب وحوى الخزائن وبيوت الأموال فعلم عبد الملك انه قد اخطأ فى خروجه عن دمشق فانكفأ راجعاً الى دمشق فتحصن عمرو بن سعيد ونصب له الحرب وجرت بينهم السفراء

حتى اصطلحا وتعاقدا وكتبا بينهما كتاباً بالعهود والمواثيق والأيمان على أن لعمرو بن سعيد الخلافة بعد عبد الملك ودخل وانحاز مع عمرو بن سعيد اصحابه فكانوا يركبون معه إذا ركب الى عبد الملك ثم دبّر عبد الملك على قتل عمرو ورأى أن الملك لا يصلح له إلا بذلك فدخل عليه عمرو عشيةً وقد أعد له جماعة من أهله ومواليه ومن كان عنده ممن سواهم فلما استوى لعمرو مجلسه قال له يا أبا أمية إني كنت حلفت في الوقت الذي كان فيه من أمرك ما كان إني متى ظفرت بك وضعت في عنقك جامعة وجمعت يديك اليها . فقال يا أمير المؤمنين نشدتك بالله أن تذكر شيئاً قد مضى فتكلم من بحضرته فقالوا وما عليك أن تبرّ قسم أمير المؤمنين فأخرج عبد الملك جامعة من فضة فوضعها في عنقه وجعل يقول :

أدنيته مني ليسكن روعه * فأصول صولة حازم متمكن

وجمع يديه الى عنقه فلما شد المسمار جذبه اليه فسقط لوجهه فانكسرت ثنيتاه . فقال نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك عظم مني كسرته إلى ان تركب مني اكثر من ذلك أو تخرجني الى الناس فيروني على هذه الصورة . وإنما أراد ان يستفزه فيخرجه وكان على الباب من شيعة عمرو بن سعيد نيف وثلاثون الفاً منهم عنبسة بن سعيد فقال له أمكراً يا با أمية وانت في الأنشوطة وليس باول مكر . إني والله لو علمت أن الأمر يستقيم ونحن جميعاً باقيان لافتديتك بدم النواظر ولكني اعلم أنه ما اجتمع فحلان في إبل إلا غلب احدهما، وقتله وفرق جمعه . وطرح رأسه الى اصحابه . ونفى اخاه عنبسة الى العراق وكان ذلك سنة ٧٠ .

وكان عبد الله بن خازم السلمي متغلباً على خراسان منذ استخلفه سلم بن زياد في ايام يزيد بن معاوية ثم صار في طاعة ابن الزبير على ما بيناه من خبره . فلما استقامت امور عبدالملك كتب اليه ﴿ أما بعد فأهد لنا طاعتك نضعك موضعك ونقرك على عملك وعقبك ما اغنوا عنا وعن المسلمين ﴾ وبعث بالكتاب مع عتبة النميري وبعث معه

برأس مصعب بن الزبير وأعدّ عبدالله الرأس ولفه في ثوبين وطرح عليه مسكا كثيراً ودفنه وقال لعتبة النميري كل الكتاب فقال اكلاً جميلاً فاحرقه بالنار ثم اسقاه إياه وكتب الى عبد الملك ﴿ أما بعد فاني لم اكن لألقى الله ببيعتين بيعة رضوان مع ابن حواري رسول الله انتزعها وبيعة نكث مع ابن طريد رسول الله البسها . وكان اهل خراسان مبغضي عبد الله بن خازم لسوء سيرته فيهم . فوثب به جماعة منهم بكير بن وساج ووكيع بن عمير فقتلوه وبعثوا براسه الى عبد الملك بن مروان فلما ورد عليه الخبر واتاه الراس بعث امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية على خراسان فقدم خراسان وقد وثب موسى بن عبد الله بن خازم السلمي وراسل طرخون ملك السغد فاجابه الى ان يمده . ووثب بكير بن وساج الثقفي بمرو في جماعة وغلب على مرو فحاربهما امية وبدأ بمرو فحارب بكير بن وساج فتحصن منه ثم اعطاه الأمان فخرج اليه . ثم بلغ امية ان بكيراً يدبر على ان يثب به فقدمه وضرب عنقه ووجه امية بابنه عبد الله على هراة وسجستان فلقي رتبيل بن امية فقتله .

واقر عبد الملك المهلب بن ابي صفرة على قتال الخوارج الذين بكرمان فجادّهم المهلب القتال حتى قتل رئيسهم نافع الأزرق الذي يسمون به الأزارقة . واقام بكرمان ثم ولاه عبدالملك خراسان مكان امية ورد عبدالملك اخاه عبدالعزيز الى مصر والمغرب وولى أخاه بشراً العراق وولى اخاه محمداً الموصل . ونقل اليها الأزد وربيعة من البصرة . وغزا ارمينية وقد خالف اهل البلد فقتل وسبى ثم كاتب الأشراف من اهل البلد والذين يقال لهم الأحرار واعطاهم الأمان ووعدهم ان يفرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في الكنائس في عمل خلاط . وامر بجمع الحطب حول الكنائس واغلق ابوابها عليهم ثم ضرب تلك الكنائس بالنار فحرقهم جميعاً . واقام محمد بن مروان بارمينية حتى مات .

واعاد الحجاج بنيان الكعبة وجعل لها باباً واحداً على ما كانت عليه قبل ان يبنيها ابن الزبير ونقض منها ما كان ابن الزبير زاده مما يلي الحجر وهو ستة اذرع وكبسها

بالردم الذي خرج منها ورفع بابها على ما كان عليه ونقص من طوله حتى صيره على ما هو عليه اليوم وفرغ من بنائها في سنة ٧٤ ، وختم أعناق قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليذلهم بذلك ؛ منهم جابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك وسهل بن سعد الساعدي وجماعة معهم ، وكانت الخواتيم رصاصاً .

وكان نجدة بن عامر الحنفي الحروري قد خرج في أيام ابن الزبير بناحية اليمامة ثم صار الى الطائف فوجد ابنة لعمرو بن عثمان بن عفان قد وقعت في السبي فاشتراها من ماله بمائة الف درهم وبعث بها الى عبد الملك ، ثم سار الى البحرين ووجه مصعب ابن الزبير بخيل بعد خيل وجيش بعد جيش فهزمهم وظهرت من نجدة أمور أنكرتها الخوارج ، وكان قد أقام خمس سنين وعماله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر وطوائف من أرض العرض فلما تقمت الخوارج ما تقمت من دفع عشرة آلاف الى مالك بن مسمع وبعثه بابنة عمرو بن عثمان الى عبد الملك خلعوه وأقاموا أبا فديك ، فوجه اليه عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فهزمه ابو فديك وفضحه وأخذ اثقاله وحرمه ثم وجه اليه عمر بن عبيد الله بن معمر فلقي أبا فديك بالبحرين ومع عمر أهل الكوفة فقتل أبا فديك واستنقذ منه حرم أمية بن عبد الله .

وولى عبد الملك الحجاج في هذه السنة العراق وكتب اليه كتاباً بخطه ﴿ أما بعد يا حجاج فقد وليتك العراقين صدقة فاذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة ، وإياك وهوينا الحجاز فان القائل هناك يقول الفاً ولا يقطع بهن حرفاً ، وقد رميت العرض الأقصى فارمه بنفسك وأرد ما أردته بك والسلام ﴾

فلما قدم الكوفة صعد المنبر متلثماً بعمامته متنكباً قوسه وكنانته فجلس على المنبر مليا لا يتكلم حتى هموا أن يحصبوه ثم قال ﴿ يا أهل العراق ويا أهل الشقاق والنفاق والمراق ومساوي الأخلاق إن امير المؤمنين نثل كنانته فعجمها عوداً عوداً فوجدني من أمرّها عوداً وأصعبها كسراً فرماكم بي وإنه قلدني عليكم سوطاً وسيفاً فسقط السوط وبقي السيف ﴾

وتكلم بكلام كثير فيه توعد وتهدد ثم نزل وهو يقول :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

ولما استقامت الأمور لعبد الملك وصلحت البلدان ولم تبق ناحية تحتاج الى صلاحها والاهتمام بها خرج حاجاً سنة ٧٥ فبدأ بالمدينة وأحرم من ذي الحليفة ودخل وهو يلبي ودخل المسجد وهو يلبي ، وخطب في أربعة أيام في كل يوم خطبة وصلى المغرب عشية عرفة قبل أن يصير الى جمع ، وكان فيما خطب به في بعض أيامه أن قال ﴿ لقد قمت في هذا الأمر وما أدري احداً أقوى عليه مني ولا أولى به ولو وجدت ذلك لوليته ، إن ابن الزبير لم يصلح أن يكون سائساً وكان يعطي مال الله كأنه يعطي ميراث أبيه ، وإن عمرو بن سعيد أراد الفتنة وأن يستحل الحرمة ويذهب الدين وما أراد صلاحاً للمسلمين فصرعه الله مصرعه ؛ وإني محتمل لكم كل أمر إلا نصب راية ، وإن الجامعة التي وضعتها في عنق عمرو عندي واني اقسم بالله لا أضعها في عنق أحد فانزعها منه إلا صعداً ﴾ وأتاه علي بن عبد الله بن عباس فذم اليه ابن الزبير وأعلمه ما كان أبوه وأهل بيته لقوا منه لامتناعهم من بيعته وأن أباه أوصاه ليلحق به ؛ فأحسن عبد الملك إجابته وحمله وحمل عياله الى الشام وانزله داراً بدمشق ولم يزل يجري عليه أيامه كلها ، ولما أراد عبد الملك الانصراف وقف على الكعبة فقال ﴿ والله إني وددت أني لم اكن أحدثت فيها شيئاً وتركت ابن الزبير وما تقلد ﴾

وقدم عبد الملك راجعاً الى المدينة فوافاها في أول سنة ٧٦ فاغلظ لأهلها في القول وقام خطباؤه ونالوا من أهل المدينة ، وقام محمد بن عبد الله القاري فقال لبعض الخطباء وهو يتكلم كذبت لسنا كذلك فأخذه الحرس فجروه حتى ظن الناس أنهم قاتلوه فأرسل اليهم أن كفوا عنه وخلوا سبيله . فاقام بالمدينة ثلاثاً ثم انصرف الى الشام .

وفي هذه السنة خرج شبيب بن يزيد الشيباني الحروري بالعراق وهي سنة ٧٦ فوجه اليه الحجاج الجيش بعد الجيش فهزمهم شبيب . وكان شبيب يتنقل فيما بين

السواد والجبل . ثم دخل الكوفة ليلاً حتى وقف على باب الحجاج في القصر فضرب بابه بالعمود وقال اخرج الينا يا بن ابي رغال . وكان شبيب في نفر يسير وكانت معه امرأته غزالة وأمه جهيزة . ثم صار الى المسجد الجامع فقتل من به من الحرس وقتل ميموناً مولى حوشب بن يزيد صاحب شرط الحجاج . وكان ميمون هذا يسمى العذاب . وصلى بالناس بالمسجد الجامع فقرأ بهم البقرة وآل عمران . ثم خرج الحجاج في طلبه يقاتله في سوق الكوفة أشد قتال واتبعه . وكان لحق شبيباً من اصحابه نحو مائة رجل ثم حمي الناس فجعلوا يتنادون حتى انهزم . فوجه الحجاج في أثره علقمة بن عبد الرحمان الحكمي فلم يزل ينتقل من موضع الى موضع حتى صار الى الأهواز . ثم وجه الحجاج في طلبه سفيان بن الأبرد الكلبي فطلبه حتى انتهى الى دجيل فاقبل شبيب نحوه وسار على الجسر فلما توسطه قطع سفيان جسر دجيل فدارت السفن فغرق شبيب ثم استخرجه بالشباك فاحتز رأسه ووجه به الى الحجاج وقتل امرأته وأمه وكان غرقه سنة ٧٨ .

وخرج بعد قتل شبيب أبو زياد المرادي بجوخى فوجه اليه الحجاج الجراح بن عبد الله الحكمي فلقيه بالفلوجة فقتله . ثم خرج بعد قتل أبي زياد أبو معبد رجل من عبد القيس بناحية البحرين فبعث اليه الحجاج الحكم بن ايوب بن الحكم الثقفي — وكان يومئذ عاملاً على البصرة — فقتله . وألح الحجاج في قتال الأزارقة واشتد استبطاؤه لجادهم المهلب فما زال يهزمهم من منزل الى منزل حتى انتهى بهم الى سجستان فقتل عطية بن الأسود الحنفي وكان من رؤساء الخوارج . ثم جدّ بهم الأمر حتى صاروا الى كرمان . ثم وقع بأسهم بينهم بكرمان في كذبة وقعوا عليها من قطري فقالوا له تب فكره أن يوجب على نفسه التوبة فخلعوه وكان في عسكره رجلان عبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير . فلما امتنع أن يجيبهم الى التوبة فيوجدهم السبيل الى خلعه . انحاز كل واحد منهما في جيش مخالفاً على قطري . فقصد المهلب قصد عبد ربه

الصغير حتى قتله . وخرج قطري في اثنين وعشرين الفاً من اصحابه حتى صاروا الى طبرستان . وقصد المهلب عبد ربه الكبير وفرق جمعه . ولما صار قطري الى طبرستان أرسل الى اصبهبذ يسأله أن يدخله بلاده فسمح له وفعل . فلما برأت جراحهم وسمنت دوابهم أرسل اليه قطري فعرض عليه الاسلام أو يؤدي الجزية صاغراً . ووجه اليه ابا نعامة في الأزارقة فقال الاصبهبذ جئتني طريداً شريداً فآويتك ثم ترسل إلي بهذا أنت ألأم من في الأرض . فقال إنه لا يجوز في الدين غير هذا . فخرج الاصبهبذ فقتل ابنه واخوه وعمه فانهزم الاصبهبذ حتى صار الى الري فاستولى قطري على طبرستان وصار الاصبهبذ الى سفيان بن الأبرد الكلبي وهو يومئذ عامل الري وقد تهيأ لقتال الأزارقة فأدخله طبرستان من طريق مختصرة فقتل قطرياً وبعث برأسه الى الحجاج سنة ٧٩ .

وولي المهلب بن ابي صفرة خراسان سنة ٧٨ من قبل الحجاج وولى ابنه المغيرة مرو ومات بها فرثاه زياد بقصيدة يقول فيها :

إن السماحة والشجاعة ضمنا * قبراً بمرو على الطريق الواضح

وسار المهلب حتى صار الى بلاد الصغد ونزل كش فصالحه ملك الصغد وأخذ المهلب منه الرهائن ودفعها الى حريث بن قطبة وانصرف الى بلخ فاخذ حريث بلاد (.....) فحاربه واعتل المهلب فاشتدت علته من أكلة كانت في رجله . ولما حضرته الوفاة استخلف ابنه يزيد على كره منه له لصلفه وتيهه إلا أن الحجاج كتب اليه بذلك . ثم انكر الحجاج على يزيد أشياء بلغته عنه فاراد صرفه فخاف أن يمتنع عليه فتزوج هنداً أخته وكتب أن يقدم عليه ويستخلف المفضل بن المهلب فقدم وكتب الحجاج الى المفضل بولايته خراسان مكان يزيد أخيه . ثم ولى قتيبة بن مسلم مكانه وقتيبة على الري وقد شرحنا ذلك في غير هذا الموضع من الكتاب .

وولى الحجاج ثغري السند والهند سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فأقام بمكران

وغزا ناحية من الهند وكان رجلاً محدوداً فقتل فوجه الحجاج موضعه محمد بن هارون ابن ذراع النمري فصار الى مكران وحسن أثره في غزو العدو وظفر مرة بعد أخرى فخرج يريد الديبل في عدة سفن و « . . (١) . . » ملك الديبل فعارضه في خلق عظيم فقتل محمد بن هارون وخلق عظيم ممن كان معه ، وولى عبد الملك حسان بن النعمان الغساني افريقية والمغرب فلم يزل مقيماً بها حتى توفي ؛ واستخلف رجلاً على البلد فولى عبد الملك افريقية موسى بن نصير اللخمي سنة ٧٧ ﴿ وقيل ﴾ ولاه عبدالعزيز ابن مروان وهو يومئذ عامل مصر فافتتح موسى بن نصير عامة المغرب ولم يزل مقيماً عليها مدة أيام ولاية عبد الملك .

وتوفي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالمدينة سنة ٨٠ ، وكان جواداً سخياً يقال إنه أتاه إنسان في أمر يسأله معونته عليه فلم يحضره ما يعطيه فنزع ثيابه التي كانت عليه وقال (أللهم إن نزل بي من بعد اليوم حق لا أقدر على قضائه فامتني قبله) فمات في ذلك اليوم .

وفي هذه السنة كان السيل الجحاف الذي ذهب بمتاع الحاج ، وكان عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث بن قيس عامل الحجاج على سجستان ووجه معه بعشرة آلاف منتخب فلما صار الى سجستان أقام ببست ثم سار يريد رتبيل ملك البلد وكان قد ضبط أطرافه فلما أوغل في بلاد رتبيل خاف غدره فرجع الى بست وكتب الى الحجاج يعلمه برجوعه وأنه أخر غزو رتبيل الى العام المقبل ، وكتب اليه كتاباً يتوعده فيه فجمع أطرافه اليه وحرض الناس على الحجاج ودعاهم الى خلعه فخلعوه وبايعوا له ؛ فلما اجتمعت الكلمة قال لهم نسير الى العراق ونكتب بيننا وبين رتبيل كتاب صلح فان تم أمرنا وقفنا عنه ورقبنا له وإن كانت الأخرى اتخذناه ملجأ فتم رأي القوم على ذلك وكتب بينه وبين رتبيل كتاباً بهذا الشرط وسار الى العراق واستخلف على سجستان رجلا

(١) بياض في الأصل ، وفيه سقط ولعله . و (قدعلم بقدومه) ملك الديبل الخ

من قبله وأقبل حتى صار الى قرب الأهواز فلما بلغ الحجاج أمره وجه اليه عبد الله بن عامر بن صعصعة ثم خرج الحجاج في جيش حتى صار الى الأهواز ولقيه عبد الرحمان فقاتله قتالاً شديداً فهزمه حتى رجع الحجاج الى البصرة ولحقه ابن الأشعث فقاتله بالبصرة فانهزم ابن الأشعث فلما رأوا انهزامه الى الكوفة أتوا عبد الرحمان بن العباس ابن ربيعة الهاشمي فقالوا تركنا ولحق بالكوفة وهذا الفاسق منيخ علينا فبايعهم وسار الى الحجاج فقاتله بالزاوية فهزمه الحجاج فلحق ابن الأشعث بالكوفة وأقبل الحجاج من البصرة الى ابن الأشعث فسلك في البرية حتى نزل قريباً منه وخرج ابن الأشعث فنزل ﴿ دير الجماجم ﴾ وجعلت خيلهما تروح وتغدو للقتال وأهل الكوفة يستعلون على خيل الحجاج ويهزمونهم في كل يوم . فاشتد على الحجاج ما رأى من ذلك وكتب الى عبد الملك كتاباً بعث به بأحث سير ﴿ أما بعد فيا غوثاه ثم يا غوثاه ﴾ فلما قرأ عبد الملك الكتاب كتب اليه ﴿ أما بعد فيا لبيك ثم يا لبيك ثم يا لبيك ﴾ ثم وجه بجيش بعد جيش وكانت وقائعهم كثيرة شديدة آخرهن ﴿ وقعة مسكن ﴾ هزمه فيها الحجاج فمضى منهزماً لا يلوي على شيء حتى صار الى سجستان فاتى مدينة زرنج فمنعه عبد الله بن عامر عامله من دخولها فمضى الى بُست وعليها عياض بن عمرو فأدخله المدينة ودبّر أن يغدر به ويتقرب به الى الحجاج ، وكان مع عبد الرحمان جماعة من فراء العراق ، منهم الحسن البصري ؛ وعامر بن شراحيل الشعبي . وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي ، وجماعة من هذه الطبقة فسار الى رتبيل صاحب سجستان فكانت هزيمته سنة ٨٣ ، وجعل الحجاج يتلقط أصحابه ويضرب أعناقهم حتى قتل خلقاً كثيراً وعفا عن جماعة منهم الشعبي وابراهيم .

وبنى الحجاج مدينة واسط في السنة التي هرب فيها ابن الأشعث ونزلها وقال ﴿ أنزل بين الكوفة والبصرة ﴾ ولما بلغ أصحاب ابن الاشعث انه قد صار الى رتبيل صاحب البلد وأنه قد أقام عنده في أمن وسلامة ووفى له رتبيل بما كان بينه وبينه

فاجتمعوا من كل أوب بناحية زرنج وأمروا عليهم عبد الرحمان بن العباس الهاشمي « .. (١) .. » فلقيهم بهراة فقاتلهم فهزمهم وبلغ الحجاج مكان ابن الأشعث في أربعة آلاف من أصحابه عند رتبيل فوجه عمارة بن تميم اللخمي الى رتبيل وكتب معه اليه يأمره أن يوجهه اليه وإلا وجه اليه بمائة الف مقاتل فلم يفعل ، وكان عبيد بن ابي سبيع غالباً على رتبيل فنفسه على ذلك ابن الأشعث وأراد ان يمكر به ووجه اليه ليقتله فهرب عبيد بن أبي سبيع فصار الى عمارة بن تميم وهو مقيم بمدينة بست وقال تجعلون لي شيئاً وتصالحون رتبيل وتكفون عنه ويسلم اليكم ابن الأشعث ؛ وكتب عمارة الى الحجاج بذلك وكتب اليه الحجاج يقول له أجبه الى كل ما سألك فكتب له عهوداً ختمها بخاتمه فأخذها عمارة وقدم بها على رتبيل فلم يزل يرهبه مرة ويرغبه أخرى حتى أجابه الى أخذ ابن الأشعث فاخذه وقيده وجماعة معه وأخاه وحملهم معه الى الحجاج في الحديد فلما صاروا بالرخج رمى ابن الأشعث بنفسه من فوق سطح وكان معه في السلسلة رجل يقال له ابو العمر فماتا جميعاً ، وكان ذلك في سنة ٨٤ واحتز رأسه فحمل الى الحجاج وحمله الحجاج الى عبد الملك .

وعزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز والبيعة لابنه الوليد بولاية العهد من بعده ، وكان عبد العزيز بمصر وكتب الى الحجاج يشخص اليه الشعبي فاشخصه اليه فوانسه وبرّه وأقام عنده أياماً ثم قال إني آتمنك على شيء لم آتمن عليه احداً إنه قد بدالي أن أبايع للوليد بولاية العهد بعدي فاذا أتيت عبد العزيز فزين له أن يخلع نفسه من ولاية العهد ومصر له طعمة ﴿ قال الشعبي ﴾ فأتيت عبد العزيز فما رأيت ملكاً كان أسمح أخلاقاً منه فاني يوماً خال به أحدثه إذ قلت له والله — أصلح الله الامير إن رأيت ملكاً أكمل ولا نعمة أنضر ولا عزاً أتم مما أنت فيه ، ولقد رأيت

(١) بياض في الأصل ، ولعل الساقط (فخرج اليهم ابن الأشعث في اصحابه فلقيهم (الخ) . (م . ص)

عبد الملك طويل النصب ، كثير التعب ، قليل الراحة ، دائم الروعة ، الى ما يتحمل من أمر الأمة ، ولوددت والله أنهم أجابوك الى أن يصيروا مصر لك طعمة ويصيروا بهدهم الى من أحبوا ، فقال ومن لي بذلك ، فلما عرفت ما عنده انصرفت الى عبد الملك فأخبرته الخبر فخلع عبد الملك أخاه من ولاية العهد وولى ابنه الوليد ثم ابنه سليمان من بعد الوليد ﴿ وقيل ﴾ إن عبد الملك لم يخلعه ولكنه توفي في تلك المدة التي لم يخلعه فيها ﴿ وقيل ﴾ إن عبد العزيز سقي سماً وكان ذلك في سنة ٨٥ ، وولى هشام بن اسماعيل المخزومي المدينة فضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً ظلماً وعدواناً وطاف به فكتب اليه عبد الملك يلومه ، وساءت سيرة هشام بن اسماعيل وأظهر العداوة لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان الغالب على عبد الملك روح بن زنباع الجذامي ، وعلى شرطته يزيد بن ابي كبشة السكسكي ثم عزله واستعمل عبد الله بن يزيد الحكمي ؛ وكان على حرسه ابو عياش الكناني وبعده ابو الزعيزعة مولاه ، وجمع العراقين للحجاج ، ومصر والمغرب لعبد العزيز بن مروان ثم لابنه عبد الله بن عبد الملك ، وكانت لعبد الملك رجلة ودهاء وعلم إلا أنه كان مبخلاً ، فلما حضرته الوفاة جمع ولده فأوصاهم بالاجماع والالفة وترك التباغي ، ثم قال يا وليد إذا أنا مت فشمر وأتزر والبس جلد النمر ثم ادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا ، وتوفي للنصف من شوال سنة ٨٦ ، وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة التي بويع فيها بالشام ، وبعد قتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة ، وكانت سنه ستين سنة أو نيفاً وستين سنة ، وصلى عليه ابنه الوليد ، ودفن بدمشق .

وخلف من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، ومروان وهشام ، وبكار ، وعبد الله ، ومسلمة ، ومعاوية ، ومحمد ، والحجاج ، وسعيد والمنذر ، وعنبسة .

وفي أيام عبد الملك نقشت الدراهم والدنانير بالعربية (١) وكان الذي فعل ذلك الحجاج بن يوسف ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن رجلاً أتى سعيد بن المسيب فقال رأيت كأن النبي موسى واقف على ساحل البحر آخذ برجل رجل يدوره كما يدور الغسال الثوب فدوره ثلاثاً ثم دحا به الى البحر ، فقال سعيد إن صدقت رؤياك مات عبد الملك الى ثلاثة ايام ، فلم يمض ثالثها حتى جاء نعيه فقال لسعيد من أين قلت هذا قال لأن موسى غرّق فرعون ولا أعلم فرعون هذا الوقت إلا عبد الملك .

وأقام الحج للناس في ولايته سنة ٧٢ ، الحجاج بن يوسف سنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضاً سنة ٧٥ ، عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ ، أبان بن عثمان بن عفان سنة ٧٧ ، أبان ايضاً سنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ ، أبان ايضاً سنة ٨١ سليمان بن عبد الملك سنة ٨٢ ، أبان بن عثمان سنة ٨٣ ؛ هشام بن اسماعيل المخزومي سنة ٨٤ ، وسنة ٨٥ هشام بن اسماعيل المخزومي ايضاً .

وغزا بالناس في ولايته ؛ سنة ٧٥ غزا محمد بن مروان الصائفة وخرجت الروم على الأعماق فقتلهم ابان بن الوليد بن عقبة بن معيط . ودينار بن دينار ؛ سنة ٧٦ غزا يحيى بن الحكم الصائفة بمرج الشحم بين ملطية والمصيصة ، سنه ٧٧ غزا الوليد بن عبد الملك اطمار وكانت غزاته من ناحية ملطية ، وغزا في البحر حسان بن النعمان

(١) نقل بعض الخبراء أن في المجلد السابع عشر من دائر المعارف البريطانية ص ٩٠٤ من الطبعة الثالثة عشرة عند الكلام على المسكوكات القديمة . ما تعريبه ملخصاً « إن أول من أمر بضرب السكة الاسلامية على الفضة هو الخليفة علي عليه السلام بالبصرة سنة أربعين من الهجرة » وفي الجزء الأول من المجلد ٤٩ ص ٥٨ من مجلة المقتطف المصرية : ما نصه « وفي خلافة حضرة علي كرّم الله وجهه كان مكتوباً على دائرة السكة التي ضربت في سنة ٣٧ بالخط الكوفي « ولي الله » . [م . ص]

« . . (١) . . » سنة ٨٣ عبد الله ايضاً ؛ وفتح المصيصة وبنى فيها حصناً صغيراً

وكان الفقهاء في أيامه عبد الله بن عباس ، عبدالله بن عمر ، المسور بن مخرمة الزهري السائب بن يزيد ؛ ابو بكر بن عبد الرحمان ، الحارث بن هشام ، خارجة بن زيد ابن ثابت ، سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، عطاء بن يسار . القاسم بن محمد ابو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف . سالم بن عبد الله . قبيصة بن جابر . عبيدة بن قيس السلماني . شريح بن الحارث الكندي . عبد الرحمان بن ابي ليلى . عبد الله بن يزيد الخطمي . زيد بن وهب الهمداني . الحارث بن سويد التيمي . مرة بن شراحيل الهمداني . ابوجحيفة وهب بن عبد الله العامري الأسدي . يسير بن عمرو السلولي . ابو الشعثاء سليمان بن الأسود . الأسود بن مالك الحارثي . ابن حراش العبسي . عمرو بن ميمون الأودي . عامر بن شراحيل الشعبي . عبد الرحمان بن يزيد النخعي . سالم بن ابي الجعد . عمار بن عمير الليثي . ابراهيم بن يزيد التيمي . ابو ظبيان الحصين بن جندب سليمان بن يسار . ابو المليح بن أسامة .

أيام الوليد بن عبد الملك

ثم ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان — وأمه ولادة بنت العباس بن جزء العبسية — للنصف من شوال سنة ٨٦ في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك . وكانت الشمس يومئذ في الميزان خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة . والقمر في الحمل ثماني وعشرين درجة وخمسين دقيقة . وزحل في الثور اربعاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً والمشتري في الدلو ستاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً . والمريخ في القوس احدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة . والزهرة في العقرب خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة

(١) بياض في الأصل . وقد ذكر ابن الأثير وغيره أن حسان بن النعمان هذا غزا البحر سنة ٧٤ كما ذكر هو وغيره أن عبد الله بن عبد الملك غزا الروم وفتح المصيصة وبنى فيها حصناً سنة ٨٤ [م . ص]

وعطارد في الميزان عشر درجات وأربعين دقيقة ، فصعد المنبر فنعى أباه وقال : ﴿ أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فانه من أبدى ذات نفسه ضربت الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه ﴾ ثم نزل فعقد لمسلمة أخيه على غزاة الروم فنفذ في عدد كثير فوجد جراجمة انطاكية قد خالفوا فقتل منهم مقتلة عظيمة ؛ وكتب الوليد الى الحجاج فنعى اليه أباه عبد الملك فنادى الحجاج بالصلاة جامعة ثم صعد المنبر فذكر عبد الملك وقرظه ووصف فعله وقال ﴿ كان والله البازل الذكر رابعاً ، من الولاة الراشدين المهديين وقد اختار له الله ما عنده وعهد الى نظيره في الفضل وشبيهه في الحزم والجلد والقيام بامر الله فاسمعوا واطيعوا ﴾ وولى الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة وأمر أن يقف هشام بن اسماعيل للناس وكان هشام بن اسماعيل المخزومي قد أساء السيرة وجار في الأحكام وتحامل على آل رسول الله ﴿ ص ﴾ فلما قدم عمر قال هشام ما أخاف إلا علي بن الحسين فمر به وهو موقوف فسلم عليه فناداه هشام الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولم يعرض له سعيد بن المسيب ولا لأحد من أصحابه وحاميته وكان قدوم عمر بن عبد العزيز المدينة سنة ٨٧ وثقله على ثلاثين بعيراً ، وضرب الوليد البعث على أهل المدينة وكتب عمر فاخرج منهم الفي رجل .

وبنى الوليد المسجد بدمشق فانفق عليه أموالا عظاماً ، وابتدأ بناءه في سنة ٨٨ وكتب الى عمر بن عبد العزيز أن يهدم مسجد رسول الله ﴿ ص ﴾ ويدخل فيه المنازل التي حوله ويدخل فيه حجرات أزواج النبي ﴿ ص ﴾ وهدم الحجرات ، وأدخل ذلك في المسجد ، ولما بدأ بهدم الحجرات قام خبيب بن عبد الله بن الزبير الى عمر والحجرات تهدم فقال ﴿ نشدتك الله يا عمر أن تذهب بآية من كتاب الله يقول ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ فأمر به فضرب مائة سوط ونضح بالماء البارد فمات وكان يوماً بارداً ؛ فكان عمر لما ولي الخلافة وصار الى ما صار اليه من الزهد يقول من لي بخبيب ﴿ وروى الواقدي ﴾ إن الوليد بعث الى ملك الروم

بعلمه أنه قد هدم مسجد رسول الله ﴿ ص ﴾ فليعنه فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهب ومائة فاعل وأربعين حملاً فسيفساء ، فبعث الوليد بذلك كله الى عمر فأصلح به المسجد ، وفرغ من بنائه في سنة ٩٠ ، وبعث الوليد الى خالد بن عبد الله القسري وهو على مكة بثلاثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة وعلى الأساطين التي داخلها وعلى الأركان والميزاب ، فكان أول من ذهب البيت في الاسلام

وحج الوليد سنة ٩١ لينظر الى البيت والى المسجد وما أصلح منه والى البيت وتذهيبه فلما قرب من المدينة خرج عمر فتلقاه باشراف المدينة فدخل المسجد وجعل ينظر اليه وأخرج الحرس كل من كان فيه خلا سعيد بن المسيب فانه لم يخرج ولم يتزحزح فدخل الوليد فجعل يطوف وسعيد بن المسيب جالس . ثم قال الوليد أحسب هذا سعيد ابن المسيب فقال له عمر نعم ومن حاله وحاله إلا أنه ضعيف البصر . فجاء الوليد حتى وقف عليه فقال كيف أنت أيها الشيخ فما تحرك وقال نحن بخير يا أمير المؤمنين و كيف انت . وانصرف الوليد وهو يقول لعمر هذا بقية الناس .

وقسم الوليد بين أهل المدينة قسماً كثيرة . وصلى بها الجمعة . وصف بها الجند صفين . وصلى في دراعة وقلنسوة في غير رداء . وخطب قاعداً . وتوعد أهل المدينة فقال : انكم أهل الخلاف والمعصية . فقام اليه قوم فكلموه وكلمه ابو بكر بن عبد الرحمان فقال ما نجهل ما تقولون ولكن في النفوس ما فيها . وصار الى مكة فخطب بها خطبة بتراء ذكر فيها الوعيد والتهديد . ولما صار بعرفة أطعم الناس ونصب الموائد ولم يأكل . وكان خالد الذي يقوم على الموائد . ثم نصب مائدة فقيل هذه لأمير المؤمنين فقام فأرسل اليه الوليد يأمره بالجلوس فجلس .

وولى الوليد موسى بن نصير الأندلسي في هذه السنة وهي سنة ٩١ فوجه معه بطارق مولاه فلقي ملك الأندلس و كان يقال له الأدريق وكان رجلاً من أهل اصبهان وهم القوطيون ملوك الأندلس فزحف طارق اليه فاقتتلوا قتالا شديداً وفتح الأندلس

ثم خرج موسى بن نصير الى البلد وكان قد غضب على طارق مولاه في أمور بلغته عنه فلقيه طارق فترضاه فرضي عنه ووجه الى مدينة طليطلة وهي من عظام مدائن الأندلس على مسيرة عشرين يوماً فاصاب فيها مائدة ذهب مفصصة بالجوهر ﴿ قيل ﴾ إنها مائدة سليمان بن داود فكسر رجلها فاخذها وبعث بها الى موسى بن نصير .

وكان الحجاج قد عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولى المفضل فاقر المفضل ثم عزله وولى قتيبة بن مسلم الباهلي ، وكان قتيبة عامله على الري وكتب اليه أن يستوثق من المفضل وبني أبيه ويشخصهم اليه فسار قتيبة من الري حتى قدم مرو فأخذ المفضل بن المهلب وسائر ولد المهلب فاشخصهم الى الحجاج فحبسهم وطالبهم بستة آلاف الف وصار قتيبة الى بخارا فافتتحها وافتتح عدة مدن منها ثم انصرف وخلف فيها ورقاء بن نصر الباهلي وأمره بقبض الصلح ، وكان نيزك صاحب الترك قد صار الى قتيبة فلم يزل معه يحضر حروبه ، فلما انصرف قتيبة تحرك طرخون صاحب السغد وجيبل ابو شوكر بخارا خذاه ؛ و ﴿ كرمعانون الموقسي ﴾ (١) في الترك فكره قتيبة قتالهم فوجه حيان النبطي فصالحهم ثم صار الى الطالقان وبها باذام قد عصى وتغلب على البلد وكان ابن باذام مع قتيبة ، فلما بلغه أن باذام قد تحصن وعصى وارتد أخذ ابنه فقتله وصلبه وجماعة معه ثم لقي باذام فقاتله أياماً ثم ظفر به فقتله وقتل ولده وامرأته واستعمل على البلد أخاه عمرو بن مسلم ، ولما فتح قتيبة بخارا والطالقان استأذنه نيزك طرخان في الرجوع الى بلاده ؛ وكان نيزك قد أسلم وسمي بعبد الله فاذن له فرجع الى طخارستان فعصى وكاتب الأعاجم وجمع الجموع فزحف اليه قتيبة ووجه اليه سليماً الناصح — وكان صديقاً له — فلم يزل يخدعه ويعطيه عن قتيبة ما يسأل حتى خرج الى قتيبة على الأمان فاقام عنده أياماً ثم ضرب عنقه وعنق ابن اخت له وبعث برؤوسهما الى الحجاج وأخذ امرأة نيزك فلما خلا بها قالت ما أجهلك أظننت أن نفسي تطيب لك وقد قتلت زوجي

(١) كذا في الأصل ولم نجد له ذكراً في المعاجم . [م . ص]

وسلبتني ملكي فخلاها وقال اذهبي حيث شئت ، ثم سار قتيبة الى السغد فلقيه صاحب السغد فصافه أياماً ثم هرب منه ، ولحق قتيبة الشتاء فانصرف . وكتب اليه الحجاج يأمره بالمصير الى سجستان ومحاربة رتبيل فسار سنة ٩٢ حتى صار الى زالق من أرض سجستان ثم زحف الى رتبيل فوجه اليه رتبيل ﴿ إنا كنا قد صالحنا كم وقبلنا الصلح فما ذا دعا كم الى نقضه ﴾ فأرسل اليه ابن الحجاج ابى ذلك فرد عليه رتبيل إن قبلتم الصلح كان أصلح لكم وإلا رجونا النصر عليكم . فقال قتيبة لأصحابه إن هذا وجه مشئوم وقد هلك فيه عبد الله بن أمية وابن أبي بكرة وغير واحد ولا نأمن الحيل التي كان رتبيل يحتالها من تحريق الطعام والعلوفات وأخذ الحصون في السهل وحمل ما « ..... »

. . . . . فولى قتيبة عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي وسار قتيبة الى خوارزم وبها سعيد بن ونوفار وكانوا قتلوا عامل قتيبة فقدمها فسبى مائة الف وحاصر سعيد بن ونوفار حتى قتله فلما أصلح البلاد وانصرف بالغنائم التي لم يسمع بمثلها وأراد جنده الرجوع الى أوطانهم بما في ايديهم قام قتيبة خطيباً فذكرهم ما كانوا فيه وأعلمهم أنه لابراح لهم واستخلف على خوارزم عبد الله بن ابي عبد الله الكرماني . ثم سار قتيبة الى سمرقند وكان غوزك قد قتل طرخون ملك السغد وتملك على البلد فلما وافى قتيبة حاربه فكانت بينهم حروب شديدة وأحب قتيبة الصلح فراسل غوزك يدعوه الى ذلك فقال لأهل سمرقند علام نصالحهم وبلدنا لا يدخله إلا رجلان أما أحدهما فقيل وأما الآخر فاسمه أكاف . فكبر قتيبة وكبر المسلمون وقالوا أميرنا اسمه قتب البعير فاذعنوا بالصلح على أن يدخل فيصلي ركعتين فدخل من باب كش وخرج من باب الصين واتخذ لهم غوزك ملك سمرقند الطعام فاكل قتيبة واصحابه فكتب له كتاب الصلح ﴿ هذا ما صالح عليه قتيبة بن مسلم غوزك اخشيذ السغد افشين سمرقند على السغد وسمرقند وكش وكسف صالحه على ثلاثة آلاف درهم يؤديها غوزك الى رأس كل سنة وجعل له

عهد الله وذمته وذمة الأمير الحجاج بن يوسف ﴾ وأشهد له شهوداً . وكان ذلك سنة ٩٤ وولى قتيبة سمرقند عبد الرحمان بن مسلم أخاه فغدر به أهل سمرقند وأتاه خاقان ملك الترك وكتب الى قتيبة فتوقف قتيبة حتى انحسر الشتاء ثم سار اليه فهزم عسكر الترك واستقامت له خراسان .

وكان الحجاج لما اشخص اليه قتيبة ولد المهلب حبسهم جميعاً ومعهم يزيد بن المهلب بستة آلاف الف درهم وعذبهم في ذلك أشد العذاب فلما رأوا ما هم فيه من العذاب سألوه أن يدخل اليهم التجار حتى يبيعوا أموالهم وضياعهم وصنعوا طعاماً كثيراً ودخل اليهم الناس وخلق من التجار فاكلوا عندهم في الحبس ثم اختلطوا بغمار الناس وخرجوا معهم وقد لبس يزيد لحية كبيرة طويلة صفراء وكان شاباً . ثم ركب واخوته نجائب قد كان تقدم في إعدادها ولحق بالشأم فصار الى سليمان بن عبد الملك فكلموه وصار الى عبد العزيز بن الوليد فشفع فيهم عند الوليد حتى آمنهم وأحضرهم فصالحهم على نصف المال وهو ثلاثة آلاف درهم فقالوا على أن نستعين قومنا من أهل الشأم فقال ذلك اليكم فتحمل عندهم اليمانية من أهل دمشق من أعطيهم نجماً وتحمل عنهم سائر اهل الشأم نجماً وأقاموا بباب الوليد وكتب الوليد الى الحجاج في تخليته من كان في محبسه من أسبابهم فخلاهم جميعاً .

ووجه الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي الى السند سنة ٩٢ وأمره أن يقيم بشيراز من أرض فارس حتى يمكن الزمان فقدم محمد شيراز فاقام بها ستة أشهر ثم سار في ستة آلاف فارس حتى أتى مكران فاقام بها شهراً ونحوه ثم زحف الى فنزبور وقد جمع أهل فنزبور فحاربهم شهوراً ثم فتحها فسبى وغنم . ثم زحف الى ارمائيل فحاربهم أياماً ثم فتحها فاقام بها شهوراً . ثم زحف الى الديبل في خلق عظيم حتى أتى المدينة وعبأ الجيوش وأخذ بأكظام القوم وأقام يحاربهم عدة شهور وكان لهم (بدّ) يعبدونه . طوله في السماء أربعون ذراعاً فرماه بالمنجنيق

فكثره ثم وضع السلاليم على السور وأصعد الرجال فافتتحها عنوة فقتل المقاتلة ووجد للبد الذي كانوا يعبدونه سبع مائة راتبة وأخذ منها أموالاً عظاماً ، ولما فتح الديبل وكانت أعظم مدائنهم خضع له أهل البلدان فسار من الديبل الى النيرون فصالحهم وكتب الى الحجاج يستأذنه في التقدم فكتب اليه أن سر فانت أمير على ما فتحته وكتب الى قتيبة بن مسلم عامل خراسان أيكما سبق الى الصين فهو عامل عليها وعلى صاحبها ؛ فمضى محمد بن القاسم وجعل لا يمر ببلد إلا غلب عليه ولا مدينة إلا فتحها صلحاً أو عنوة فعبر نهر السند وهو دون مهران وسار الى سهبان ففتحها ثم سار نحو شط مهران فلما بلغ داهر ملك السند مكانه وجه اليه جيشاً عظيماً فلقي محمد بن القاسم ذلك الجيش فهزمهم وزحف اليه داهر فأقام مواقفاً له عدة شهور وبيناهم في تلك المواقفة زاحفه داهر وهو على الفيل فاشتد بينهما الحرب وأخذت من الفريقين وعطش الفيل الذي كان داهر عليه فغلب فياله فترجل فنزل داهر فقاتل في الأرض حتى قتل وانهزم جيشه وفتح المسلمون وكتب محمد الى الحجاج بالفتح وبعث برأس داهر اليه ، ومضى في بلاد السند ففتح بلداً بلداً ومدينة مدينة حتى أتى الرور وهي من أعظم مدائن السند فحاصرهم حصاراً شديداً وهم لا يعلمون أن داهر قد قتل فلما أملهم بعث اليهم محمد ابن القاسم بامرأة داهر فقالت لهم إن الملك قد قتل فاطلبوا الأمان فطلبوه ونزلوا على حكم محمد وفتحوا له باب المدينة فدخلها ثم استخلف فيها ومضى يقطع البلاد ويفتح مدينة مدينة ، ثم كتب الى الحجاج إني قد كتبت الى امير المؤمنين الوليد أضمن له أن أرد الى بيت المال نظير ما أنفقت فأخرجني من ضماني فحمل اليه اكثر مما أنفق .

وأقام محمد بن القاسم في بلاد السند حتى توفي الوليد ، وولي سليمان بن عبد الملك وكان لمحمد بن القاسم في الوقت الذي غزا فيه بلاد السند والهند وقاد الجيوش وفتح الفتوح خمس عشرة سنة فقال زياد الأعجم :

إن الشجاعة والسماحة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة * يا قرب ذلك سوداً من مولد

وكتب الوليد الى خالد بن عبد الله القسري عامله على الحجاز يأمره باخراج من بالحجاز من أهل العراقين وحملهم الى الحجاج بن يوسف ، فبعث خالد الى المدينة عثمان بن حيان المري لاخراج من بها من أهل العراقين فاخرجهم جميعاً وجماعتهم في الجوامع الى الحجاج ، ولم يترك تاجراً ولا غير تاجر ، ونادى ألا برئت الذمة ممن آوى عراقياً ؛ وكان لا يبلغه أن أحداً من أهل العراق في دار أحد من أهل المدينة إلا أخرجه .

فخرج الوليد الى الحميمة من أرض الشراة من عمل جند دمشق سنة ٩٥ ، وكان سبب ذلك أن أم سليط بن عبد الله بن عباس رفعت الى الوليد أن علي بن عبد الله قتل ابنها ودفنه في البستان الذى ينزله وبنى عليه دكاناً ، فاخذه الوليد بذلك وقال له أقتلت أخاك قال ليس باخي ولكنه عبدي قتلته ، وكان عبد الله بن عباس أوصى الى ابنه علي أن يورث سليطاً ولا يزوجه وقال أنا أعلم أنه ليس مني ولكني لا أدفعه عن الميراث ؛ فنزل علي بن عبد الله الحميمة فلم يزل بها حتى ولد أولاداً وصار له الأهل والعيال وولد له نيف وعشرون ذكراً مات عامتهم في حياته ولم يزل ولده بالحميمة حتى أذهب الله سلطان بني أمية .

وتوفي الحجاج بن يوسف في هذه السنة وهي سنة ٩٥ وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وكانت إمرته على العراق عشرين سنة ، فاقر الوليد على عمله يزيد بن ابي مسلم خليفته ثم استعمل مكانه يزيد بن ابي كبشة السكسكي ، وكان الوليد لحاناً فيه هوج وحيرة ؛ وكان يقول لا ينبغي لخليفة أن يناشد ولا يكذب ولا يسميه أحد باسمه وعاقب على ذلك .

وكان أول من عمل البيمارستان للمرضى ودار الضيافة ، وأول من أجرى على العميان والمساكين والمجذمين الأرزاق ، وكان ممن أحدث قتل العصاة ، وأحصى

أهل الديوان والقى منهم بشراً كثيراً بلغت عدتهم عشرين الفاً ، وأول من أجرى طعام شهر رمضان في المساجد ، وصام الاثنين والخميس فادمنه ؛ واول من أخذ بالقذف والظنة وقتل بهما الرجال ، وانكسر الخراج في أيامه فلم يحمل كثير شيء ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين الف الف درهم ؛ وكانت في ولايته الزلازل التي هدمت كل شيء وأقامت أربعين صباحاً في سنة ٩٤ ، وكان الغالب عليه الفازي بن ربيعة الحرشي ، وكان قاضيه بالكوفة الشعبي ، وكان على شرطه ابو ناتل رباح بن عبدالغساني ثم عزله واستعمل كعب بن حامد العبسي ، وعلى حرسه خالد بن الدَّيان مولى محارب ، وحاجبه سعيد مولاه ، وتوفي الوليد لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ٩٦ ﴿ وقيل ﴾ انسلاخ جمادى الآخرة وهو ابن ثلاث واربعين سنة ﴿ وقيل ﴾ تسع واربعين سنه . وكانت أيامه تسع سنين وثمانية أشهر ونصفاً . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت وفاته بدير مران ودفن بدمشق . وخلف من الولد ستة عشر ذكراً ، محمد . والعباس . وعمر . وبشر وروح . وخالد . وتمام . ومبشر . وجرى . ويزيد . وعبدالرحمان . وابراهيم ويحيى . وابو عبيدة . ومسرور . وصدقة .

وأقام الحج للناس في أيامه سنة ٨٦ هشام بن اسماعيل ، سنة ٨٧ عمر بن عبد العزيز ، سنة ٨٨ حج هو ، سنة ٨٩ وسنة ٩٠ عمر بن عبد العزيز ، سنة ٩١ حج هو ؛ سنة ٩٢ وسنة ٩٣ عمر بن عبد العزيز ، سنه ٩٤ مسلمة بن عبد الملك سنة ٩٥ ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

وغزا الصوائف في أيامه سنه ٨٦ مسلمة ففتح حصنين ، سنه ٨٨ (.«١»).

[١] بياض في الأصل ، وذكر ابن الأثير أن مسلمة بن عبد الملك بن مروان هذا غزا الروم — وهم الصوائف — سنه ٨٦ وسنه ٨٧ وحده ؛ وفي سنه ٨٨ غزاهم مرة وحده ففتح ثلاثة حصون وأخرى مع العباس بن الوليد بن عبد الملك —

مسلمة والعباس بن الوليد فافتحا سورية ، وافتتح العباس أدرولية ، سنة ٩٠ عبد العزيز بن الوليد فافتتح حصناً ، سنة ٩١ عبد العزيز بن الوليد . . (١) . . محمد ابن مروان ، وغزا موسى بن نصير الأندلس ، سنة ٩٣ العباس بن الوليد ومروان ابن الوليد ومسلمة ففتحوا أماسية وحصن الحديد ، سنة ٩٤ العباس وعمر ابنا الوليد سنة ٩٥ العباس فتح قبرس ، سنة ٩٦ بشر بن الوليد .

وكان الفقهاء في أيامه عبد الرحمان بن حاطب ؛ سعيد بن المسيب ؛ عروة بن الزبير ؛ عطاء بن يسار ، ابو سلمة بن عبد الرحمان ، القاسم بن محمد ؛ سعيد بن جبير مجاهد بن جبير مولى بني مخزوم ، عكرمة مولى ابن عباس ، حكيم بن ابي حازم شقيق ابن سلمة ، ابراهيم بن يزيد النخعي ، عامر الشعبي ، سالم بن ابي الجعد ؛ ابو اسحاق السبيعي ، ابو أيوب الأزدي ، أبو تميم الجهني ، الحسن بن ابي الحسن ، محمد بن سيرين ، ابو قلابة عبد الله بن زيد ، سليمان بن يسار ، مورّق العجلي ؛ سنان بن سلمة ، ابو المليح بن أسامة الهذلي ، العلاء بن زياد ، ابو إدريس ؛ رجاء بن حيوة

وكان الوليد طوالاً أسمر ؛ به أثر جدري خفي بمقدم لحيته ، شمط ليس في رأسه ولا لحيته غيره ، أفطس .

أيام سليمان بن عبد الملك

وملك سليمان بن عبد الملك بن مروان — وأمه ولادة بنت العباس بن جزء العبسية — للنصف من جمادى الأولى سنة ٩٦ ؛ وكانت الشمس يومئذ في الحوت ست درجات وأربعين دقيقة ؛ والقمر في السنبلة ست عشرة درجة وعشرين راجعاً

— وفي سنة ٨٩ غزاهم ايضاً مع العباس فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس أدرولية .

(١) بياض في الأصل ، وذكر ابن الأثير أن في سنة ٩٢ غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة ولم يذكر غزوة محمد بن مروان في هذه السنة . [م . ص]

والمشتري في القوس خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والمريخ في الدلو احدى عشرة درجة وثلاث دقائق ، والزهرة في الحوت خمس عشرة درجة وتسع عشرة دقيقة وعطارد في الحوت خمس درجات وخمسين دقيقه ، والرأس في الأسد ثلاث عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة ؛ وأتته الخلافة بالرملة وكان بها منزله وهو أنشأ مسجد جامعها وقصر إمارتها ونقل الناس اليها من لُد ؛ وكانت المدينة التي ينزلها الناس فأخذ بهدم منازلهم بلد والبنيان بالرملة وعاقب من امتنع من ذلك وهدم منازلهم وقطع المسيرة عنهم حتى انتقلوا ، وخرب لد ، وأخذ له عمر بن عبد العزيز البيعة بدمشق يوم مات الوليد فصار الى دمشق فاقام بها يسيراً ، وأراد سليمان الحج فكتب الى خالد بن عبد الله وهو عامل مكة يأمره أن يجري له عيناً تخرج من الثقبة من الماء العذب حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود يباهى بها زمزم ؛ فعمل خالد البركة التي بفم الثقبة يقال لها ﴿ بركة القسري ﴾ وهي قائمة الى اليوم في أصل ثبير عملها بحجارة منقوشة واستنبط ماءها من ذلك الموضع ؛ ثم شق من هذه البركة عيناً تجري الى المسجد الحرام في قصب من رصاص حتى أظهرها في فوارة تسكب في فسقية (١) رخام بين الركن وزمزم فلما أن جرت وظهر ماؤها أمر خالد بجزر فنحرت بمكة وقسمت بين الناس وعمل طعاماً فدعا عليه الناس ؛ ثم أمر صائحاً فصاح الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر فقال ﴿ أيها الناس احمدوا الله وادعوا لأمير المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب بعد الماء الأجاج الذي لا يطاق شربه ﴾ يعني زمزم ؛ فكان لا يجتمع على ذلك الماء اثنان وكانوا على شرب زمزم اكثر ما كانوا ، فلما رأى خالد ذلك قام خطيباً فنال من أهل مكة وكلمهم بكلام قبيح يعنفهم فيه على تركهم شرب ذلك الماء واقبالهم على زمزم ولم تزل تلك الفسقية على حالها أيام بني أمية فلما صار الأمر الى بني هاشم هدمها داود

(١) الفسقية بكسر الفاء أو فتحها وسكون السين المهملة ثم القاف المكسورة بعدها الياء التحتانية المشددة الحوض او المتوضأ ، الجمع فساقي والكلمة من الدخيل .

ابن علي أول ما قدم مكة ، ولم يقم خالد بمكة إلا قليلا حتى سخط عليه سليمان فصرفه وولى طلحة بن داود الحضرمي وأمره أن يضرب خالداً بالسياط بسبب امرأة من قريش كان قذفها فاقبح ، وأن يطالبه ويحمله فى الحديد ؛ وعزل عثمان بن حيان المري عامل المدينة وقلد أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . فضرب عثمان بن حيان حدين أحدهما فى شرب الخمر والآخر فى قرفه (١) على عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وسخط سليمان على موسى بن نصير اللخمي العامل على افريقية والذي افتتح الاندلس وما والاها . وكان موسى قدم على الوليد فوجده شديد العلة فلم يقم إلا اياماً حتى مات . وسعى طارق مولى موسى بمولاه الى سليمان فاستصفى سليمان ماله وأخذه بمائة الف دينار فقال موسى صحبتكم ولي فرس وفرو وسيف فاعطوني هذا وشأنكم بما بقي وولى سليمان المغرب محمد بن يزيد مولى قريش وأمره بتتبع موسى وولده واصحابه .

وكان سليمان قدّم يزيد بن المهلب وخصه وأبره ودفع اليه أصحاب الحجاج بن يوسف وموسى بن نصير وخالد بن عبد الله القسري ويوسف بن عمر الثقفي والحكم بن أيوب وعبد الرحمان بن حيان المري . وأمره أن يعذبهم حتى يستخرج منهم الاموال وتتبع سليمان أصحاب الحجاج يسومهم سوء العذاب . واشخص اليه يزيد بن ابي مسلم خليفة الحجاج وكان قصيراً خفيف البدن فلما رآه قال له أنت يزيد . قال نعم . قال صاحب الحجاج والأفعال التي بلغتني مع ما أرى من دمامة خلقتك . قال ذلك والله أنك رأيتني والدنيا عليك مقبلة وهي عني مدبرة ولو رأيتها وهي إلي مقبلة وعنك مدبرة لاستعظمت ما استصغرت واستجللت ما استحقرت . قال اين ترى الحجاج يهوي فى النار . قال لا تقل هذا يا أمير المؤمنين لرجل يحشر عن يمين أبيك وشمال اخيك وانزله حيث شئت تنزلها معه . فقال ليزيد بن المهلب خذه اليك فعذبه بالوان العذاب حتى تستخرج منه الأموال . فقال يا امير المؤمنين انا اعلم به لا والله إنه ما عنده مال ولا

(١) القرف : التهمة .

[م . ص]

كان ممن يحوي المال . وكان يزيد بن المهلب يعرف له جميل فعله به . فولاه سليمان الصائفة .

وكان قتيبة بن مسلم عامل الحجاج على خراسان فلما بلغه فعل سليمان بنظرائه وقصده عمال الوليد وعمال الحجاج جمع اليه اخوانه وأهل بيته وأوغل فى أرض العجم حتى بلغ بلد فرغانة القصوى وكان عبدالله بن الأهتم التميمي معه فهرب منه الى سليمان فرفع اليه فاخذ قتيبة قوماً من أهل بيته فقتلهم وقطع ايدي آخرين وأرجلهم . وكان يزيد ابن المهلب عدوه لما فعل به وبأهل بيته لما ولي عليه . فعلم أنه لا يصلح له حب سليمان وكتب اليه كتاباً فاجابه سليمان يغلظ له فاراد الخلع وهو لا يشك أن موضعه من النزارية « .. (١) .. » واليمانية لا يخالفونه . فلما علم القوم مذهبه تبعدوا عنه فخطبهم خطبة مشهورة نال فيها وقال ﴿ يا معشر تميم ويا أهل الذلة والقلة ويا معشر الأزد أخليتم السفن وركبتم الخيل وقذفتم المرادي واخذتم الرماح والله لأنا بمن معي من العجم أعز منكم ﴾ فصافوا القوم عنه وصارت كلمتهم واحدة فى الوثوب عليه واجتمعوا الى الحضين بن المنذر فدعوه الى القيام بجماعتهم فقال عليكم بوكيع بن ابي سود التميمي فاتوا وكيعاً فاتفقت كلمتهم عليه ومع القوم يومئذ حيان النبطي فوثبوا بقتيبة فقتلوه . وقام وكيع بخراسان وولى عماله وكتب الى سليمان يعلمه ما كان منه . وبعث برأس قتيبة ورؤوس أهل بيته اليه . وذلك فى سنة ٩٦ فلما أتى سليمان كتاب وكيع أراد أن يكتب اليه بالعهد على خراسان فقيل له إنه رجل ترفعه الفتنة وتضعه السنة وليس لها بموضع فولى سليمان يزيد بن المهلب العراق وخراسان فكان يزيد بن المهلب فى العراق فعذب عمال الحجاج ثم استخلف على العراق ونفذ الى خراسان فتتبع اصحاب قتيبة وقراباته فسامهم سوء العذاب . وحبس وكيع ابن ابي سود وقيده وأخذ عماله الذين كان ولاهم البلدان بعد قتل قتيبة فطالبهم بالأموال التي صارت اليهم . وخالف اكثر أهل خراسان

(١) سقط شيء في موضع البياض ولعله (الموضع الكريم) [م . ص]

فقصد جرجان فحاصرها حتى نزلوا على حكمه فقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحها ، وحارب اصبهبذ طبرستان ، وملك الترك ، وملك الديلم فاقام في محاربة صاحب طبرستان زماناً ثم عرض وضجر ثم طلب أن يصالحه فلم يفعل فرجع الى جرجان فاقام بها ثم خرج منها الى نيسابور ، وولى يزيد إخوته وولده البلدان فولى مخلداً سمرقند ، ومدرك بن المهلب بلخ ، ومحمد بن المهلب مرو ، وعظم أمر يزيد بحران .

واضطرب السند وأخل الجند الذين كانوا مع محمد بن القاسم الثقفي بمراكزهم فرجع أهل كل بلد إلى بلدهم ، فوجه سليمان حبيب بن المهلب اليها فدخل البلاد وقاتل قوماً كانوا ناحية مهران ، وأخذ محمد بن القاسم فالبسه المسوح وقيده وحبسه .

وقدم ابو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام على سليمان فقال سليمان ما كلمت قريشياً قط يشبه هذا وما أظنه إلا الذي كنا نحدث عنه وأجازه وقضى حوائجه وحوائج من معه ، ثم شخص عبد الله بن محمد وهو يريد فلسطين فبعث سليمان قوماً الى بلاد لخم وجذام ومعهم اللبن المسموم فضربوا أخبية نزلوا فيها فمر بهم فقالوا يا عبد الله هل لك في الشراب فقال جزيتم خيراً ثم مر بآخرين فقالوا مثل ذلك فجزاهم خيراً ثم مر بآخرين فاستسقى فسقوه فلما استقر اللبن في جوفه قال لمن معه أنا والله ميت فانظروا من هؤلاء فنظروا فاذا القوم قد قوضوا فقال ميلوا بي الى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فانه بارض الشراة فاسرعوا السير حتى اتوا محمد بن علي بالحميمة من أرض الشراة فلما قدم عليه قال له يابن عم انا ميت وقد صرت اليك وهذه وصية أبي إلي وفيها ان الأمر صائر اليك والى ولدك والوقت الذي يكون ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به على ما سمع وروى عن ابيه علي بن ابي طالب عليه السلام فاقبضها اليك ، وهؤلاء الشيعة استوص بهم خيراً وهاؤلاء دعاتك وأنصارك فاستبطنهم فاني قد بلوتهم بمحبة ومودة لأهل بيتك ، ثم هذا الرجل ميسرة فاجعله صاحبك بالعراق فاما الشام فليست لكم ببلاد وهؤلاء رسله الى خراسان واليك ، ولتكن دعوتكم

بخراسان ولا تعد هذه الكور مرو ، ومرو الزوذ ، وبيرود ، ونسا ، وإياك ونيسابور وكورها ، وابرشهر ، وطوس فاني أرجو أن تتم دعوتكم ويظهر الله امركم ، واعلم ان صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله ابن الحارثية ثم عبد الله أخوه الذي اكبر منه ، فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك بكتبك ووطد الأمر قبل ذلك بلا رسول ولا حجة فأما أهل العراق فهم شيعتك ومحبوك وهم أهل اختلاف فلا يكون رسولك إلا منهم ، وانظر اهل الحي من ربيعة فالحقهم بهم فانهم معهم في كل أمر ، وانظر هذا الحي من تميم وقيس فأقصهم ثم أبدهم إلا من عصم الله منهم وهم اقل من القليل ، ثم اختر دعاتك فليكونوا اثني عشر نقيباً فان الله عز وجل لم يصلح أمر بني اسرائيل إلا بهم وسبعين نفساً بعدهم يتلونهم فان النبي ﴿ ص ﴾ إنما اتخذ اثني عشر نقيباً من الأنصار اتباعاً لذلك .

فقال محمد يا أبا هاشم وما سنة الحمار ؟ قال لم يمض مائة من نبوة قط إلا انقضت أمورها لقول الله عز وجل ﴿ أو كالذي مر على قرية ﴾ الآية ، فاذا دخلت مائة سنة فابعث رسلك ودعاتك فان الله متمم أمرك .

ومات ابو هاشم بعد أن دفع الكتاب الى محمد بن علي ، وذلك سنة ٩٧ ؛ وفيها وجه محمد بن علي أبارباح ميسرة النبال مولى الأزد الى الكوفة .

وحج سليمان سنة ٩٧ وعزم على أن يبايع لابنه ايوب بولاية العهد من بعده ، وكان قد كتب الى ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن يبني له قصراً بالجرف ينزله فلما قدم لم يرض بناء القصر فنزله وقسم بين أهل المدينة قسماً وفرض لقريش خاصة أربعة آلاف فريضة لم يدخل فيها حليفاً ولا مولى فأجمع رأي مشيخة قريش أن جعلوها لحلفائها ومواليهم ثم دخلوا عليه فقالوا إنك قد فرضت لنا أربعة آلاف فريضة لا تدخل علينا فيها حليفاً ولا مولى فرأينا أن نكافئك ونجعلها في حلفائنا ومواليا فنحن أخف عليك مؤونة منهم ، ففرض لهم أربعة آلاف فريضة أخرى فصار الى مكة فلما نزل

بطن رابغ أخذتهم السماء وجاءت صواعق لم تر مثلها ففزع سليمان فقال له عمر بن عبد العزيز هذه الرحمة فكيف العذاب ، واحضر جماعة من الفقهاء فيهم القاسم بن محمد بن ابي بكر ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وخارجة بن زيد وابو بكر بن حزم ، فسألهم عن أمر الحج فاختلفوا عليه فقال كل واحد منهم قولاً لم يوافق الآخر . فقال كيف صنع امير المؤمنين عبد الملك فقيل له كذا فقال أصنع كما صنع واترك اختلافكم . وانصرف من مكة الى بيت المقدس فاطاف المجذمون بمنزله فضربوا باجراسهم حتى منعوه النوم فسأل عنهم فأخبر بما يلقاه الناس منهم فأمر باحراقهم وقال لو كان في هؤلاء خير ما ابتلاهم الله بهذا البلاء فكلمه عمر في ذلك فامسك عنهم وأمر أن ينفوا الى قرية معتزلة لا يخالطوا الناس .

وخرج سليمان الى ناحية الجزيرة فنزل بموضع يقال له ﴿ دابق ﴾ من جند قنسرين وأغزى مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم وامره ان يقصد القسطنطينية فيقيم عليها حتى يفتحها فسار مسلمة حتى بلغ القسطنطينية وأقام عليها حتى زرع واكل مما زرع ، ودخل وفتح مدينة الصقالبة واصاب المسلمين ضر وجوع وبرد ، وبلغ سليمان ما فيه مسلمة ومن معه فامدهم بعمرو بن قيس في البر . وأغزى عمر بن هبيرة الفزاري في البحر وذلك إن الروم أغاروا على مدينة اللاذقية من جند حمص فأحرقوها وذهبوا بما فيها فبلغ عمر بن هبيرة خليج القسطنطينية .

وكان الغالب على سليمان ﴿ النصر ابن برم ﴾ (١) الحميري . ورجاء بن حيوة الكندي . وعلى شرطه كعب بن حامد العبسي . وعلى حرسه خالد بن الديان مولى محارب . وحاجبه مولاه ابو عبيدة وكان اكولاً لا يكاد يشبع وكان له جمال وفصاحة « . (٢) . » رجل طويل أبيض قصيف البدن لم يشب وهو الذي يقول

(١) كذا في الأصل . ولم نجد له ذكراً في المعاجم .

(٢) بياض في الأصل . وفيه سقط ولعله (وكان) رجلاً طويلاً (الخ) .

ونظر الى نفسه في المرآة ـ أنا الملك الشاب فما دارت عليه الجمعة حتى مات . وكانت وفاته في صفر سنة ٩٩ ، وعهد الى عمر بن عبد العزيز وكتب كتابا وأحضر أهل بيته وقال بايعوا لمن في هذا الكتاب فبايعوا ؛ ودفع الكتاب الى رجاء بن حيوة فجمعهم في مسجد دابق فدعا من به من أهل بيت سليمان فقال بايعوا فقالوا إنا بايعنا مرة فقال بايعوا الذي في هـذا الكتاب فبايعوا فلما فرغ قال قوموا الى صاحبكم فقد مات ، وقرأه فلما بلغ الى اسم عمر بن عبد العزيز قال هشام لا والله لا أبايع فقال رجاء ابن حيوة إذاً اضرب عنقك واخذ بضبع عمر فأجلسه على المنبر فلما فرغوا من البيعة دفنوا سليمان ونزل عمر بن عبد العزيز قبره وثلاثة من ولده فلما تناولوه تحرك على ايديهم فقال ولد سليمان ﴿ عاش ابونا ورب الكعبة ﴾ فقال عمر بل خوجل ابوكم ورب الكعبة وكان بعض من يطعن على عمر يقول له دفن سليمان حياً .

وكانت ولاية سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية اشهر وخلف من الولد الذكور عشرة ، يزيد . والقاسم . وسعيد . وعثمان . وعبد الله . وعبد الواحد . والحارث وعمرو . وعمر . وعبد الرحمان .

وأقام الحج للناس في ولايته في سنة ٩٦ ابو بكر بن عمرو بن حزم . وفى سنة ٩٧ سليمان . وفى سنة ٩٨ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد .

وغزا في أيامه سنة ٩٦ مسلمة ففتح حصن الحديد وشتى بنواحي الروم وعمرو ابن هبيرة فى البحر فمخروا ما بين الخليج والقسطنطينية وفتحوا مدينة الصقالبة ، وامد سليمان بعمرو بن قيس الكندي وعبد الله بن عمر بن الوليد بن عقبة سنة ٩٩ ؛ وجه سليمان بن عبد الملك بابنه داود الى ارض الروم ومسلمة منيخ على القسطنطينية ففتح داود حصن المرأة من ناحية ملطية . وكان الفقهاء في ايامه مثل من كان في ايام الوليد .

أيام عمر بن عبد العزيز

ثم ولي عمر بن عبد العزيز بن مروان — وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب — لعشر خلون من صفر سنة ٩٩. وكانت الشمس يومئذ في السنبلة ثماني وعشرين درجة . وزحل في الميزان خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة . والمشتري في الحوت درجتين راجعاً . والمريخ في السرطان ثلاثاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة وعطارد في الميزان اثنتين وعشرين درجة . والرأس في الجوزاء ثلاثاً وعشرين درجة وستاً وعشرين دقيقة .

وبويع بدابق وكان الكتاب الذي كتبه سليمان ﴿ هذا كتاب من عبد الله سليمان امير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني وليتك الخلافة بعدي فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا ﴾ فلما قرئ الكتاب بايع جميع من حضر من بني أمية خلا عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فانه كان غائباً فدعا إلى نفسه فبايعه قوم فلما بلغه ولاية عمر قدم فقال له عمر بلغني أنك كنت دعوت الى نفسك وأردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك لاني خفت الفتنة وبلغني أن الخليفة لم يعهد الى أحد فقال عمر لو قمت بالأمر ما نازعتك ذلك ، فقال عبد العزيز ما كنت أحب أن يكون ولي هذا الأمر غيرك .

ولما بلغ يزيد بن المهلب ولاية عمر وورد عليه كتابه شخص من خراسان واستخلف بها مخلداً ابنه وحمل كل ما كان له مخافة من أهل خراسان معه ، فاشار عليه قوم أن لا يبرح فلم يفعل وصار الى البصرة فلقيه بها عدي بن أرطاة عامل عمر فأوصل اليه كتاب عمر فقال سمعاً وطاعة ثم حمله اليه مستوثقاً منه ، فقال له عمر إني وجدت لك كتاباً الى سليمان تذكر فيه أنك اجتمع قبالك عشرون الف الف فاين هي فانكرها ثم قال دعني أجمعها . قال اين . قال اسعى إلى الناس قال تأخذها منهم مرة أخرى لا ولا نعمى عين ؛ ثم ولى الجراح بن عبد الله الحكمي خراسان وأمره ان يأخذ مخلد بن يزيد فيستوثق منه استيثاقا لا يمنعه من الصلاة فحبسه الجراح مكرماً ثم حمله الى عمر فدخل في

ثياب مشمرة وقلنسوة بيضاء فقال له عمر هذا خلاف ما بلغني عنك فقال أنتم الأئمة إذا أسبلتم أسبلنا وإذا شمرتم شمرنا ، وحسنت سيرة الجراح وقدمت عليه وفود التبت يسألونه أن يبعث اليهم من يعرض عليهم الاسلام ، فوجه اليهم السليط بن عبد الله الحنفي ، ووجه عبد الله بن معمر اليشكري الى ما وراء النهر فلقي جمعاً للترك فهزم وانصرف ابن معمر وبلغ عمر عن الجراح أمور يكرهها من أنه يأخذ الجزية من قوم قد أسلموا ، وأنه يغزي موالي بلاعطاء ، وأنه يظهر العصبية ، فكتب اليه أن اقدم واستخلف عبد الرحمان بن نعيم الغامدي ففعل ذلك ؛ ثم كتب عمر الى عبد الرحمان بعهده على خراسان ويأمره باقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم الى مرو فعرض ذلك عليهم فأبوا عليه فكتب الى عمر انهم قد رضوا بالمقام فحمد عمر رأيه على ذلك

وبلغ عمر ما فيه من بلاد الروم مع مسلمة من الضرر والفاقة فوجه عمرو بن قيس على الصائفة ووجه معه الكساء والطعام والأعطية لمن كان مع مسلمة من المسلمين فوجه عمر ؛ عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي فاوقع بالترك فلم يفلت منهم إلا الشريد وقدم على عمر منهم بخمسين أسيراً فقال رجل من المسلمين لعمر فى أسير منهم لو رأيت هذا يا امير المؤمنين يقتل المسلمين لرأيت قتالاً ذريعاً فقال قم فاضرب عنقه .

وفاة علي بن الحسين عليه السلام

وتوفي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في سنة ٩٩ ، وقال قوم سنة ١٠٠ وله ثمان وخمسون سنة ، وكان أفضل الناس وأشدهم عبادة . وكان يسمى ﴿ زين العابدين ﴾ وكان يسمى أيضاً ﴿ ذو الثفنات ﴾ لما كان في وجهه من أثر السجود . وكان يصلي فى اليوم والليلة الف ركعة . ولما غسل وجد على كتفيه جلب (١) كجلب البعير فقيل لأهله ما هذه الآثار قالوا من حمله الطعام في الليل

(١) الجلب . جمع جُلبة بضم الجيم وسكون اللام وهي القشرة التي تعلو الجرح عند البرء . ومنه قولهم (طارت جلبة الجرح) (تاج العروس)

يدور به على منازل الفقراء ﴿ قال سعيد بن المسيب ﴾ ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين عليه السلام وما رأيته قط إلا مقت نفسي ، ما رأيته ضاحكاً يوماً قط ؛ فكانت أمه حرار (١) بنت يزدجرد كسرى ، وذلك أن عمر بن الخطاب لما أتى بابنتي يزدجرد وهب احداهما (٢) للحسين بن علي عليه السلام فسماها ﴿ غزالة ﴾ وكان يقول بعض الأشراف إذا ذكر علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ يود الناس كلهم أن أمهاتهم إماء ﴿ وقيل ﴾ إن أمه كانت من سبي كابل ﴿ قال ابو خالد الكابلي ﴾ سمعت علي بن الحسين يقول : من عف عن محارم الله كان عابداً ؛ ومن رضي بقسم الله كان غنياً ، ومن أحسن مجاورة من جاوره كان مسلماً ، ومن صاحب الناس بما يحب أن يصاحبوه به كان عدلاً ﴿ وقال ﴾ علي بن الحسين عليه السلام إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة بغير حساب فتتلقاهم الملائكة فيقولون ما فضلكم فيقولون كنا إذا جهل علينا حلمنا ؛ وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسيء علينا عفونا ، فيقولون ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ؛ ثم ينادي مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة بغير حساب فتتلقاهم الملائكة فيقولون ما كان صبركم فيقولون صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرنا عن معاصي الله ، فيقولون لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ؛ ثم ينادي مناد ليقم جيران الله فيقوم ناس من الناس وهم الأقل ، فيقال لهم بماذا جاورتم الله في داره فيقولون كنا نتجالس في الله ، ونتذاكر في الله ؛ ونتزاور في الله ، فيقولون

(١) المشهور ان اسم أمه — عليه السلام — شاه زنان ، ويقال شهر بانويه ويقال السلافة ، ويقال أم سلمة ، ولم يذكر أحد أن اسمها (حرار)

(٢) ووهب الثانية محمد بن أبي بكر (رض) فأولدها القاسم فهما ابنا خالة وكان القاسم جد الامام الصادق عليه السلام لأمه ، وكان من سادات التابعين وفقهاء الشيعة بالمدينة مات سنة ١٠١ وله اثنتان وسبعون سنة . [م . ص]

ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ﴿ وقال ﴾ بئس القوم قوم ختلوا الدنيا بالدين وبئس القوم قوم عملوا باعمال يطلبون بها الدنيا ﴿ وقال ﴾ إن المعرفة بكمال المرء تركه الكلام فيما لا يعنيه وقلة مرائه ، وصبره ، وحسن خلقه .

وكتب ملك الروم الى عبد الملك يتوعده فضاق عليه الجواب وكتب الى الحجاج وهو إذ ذاك على الحجاز أن ابعث الى علي بن الحسين فتوعده وتهدده واغلظ له ثم انظر ماذا يجيبك فاكتب به إلي ، ففعل الحجاج ذلك فقال له علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ إن لله فى كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة وأرجو أن يكفينيك فى اول لحظة من لحظاته وكتب بذلك الى عبد الملك فكتب به الى صاحب الروم كتاباً فلما قرأه قال ليس هذا من كلامه هذا من كلام عترة نبي . ومرض ثلاث مرضات فى كل ذلك يوصي بوصية فاذا برىء وأفاق أنفذها ﴿ وقال ﴾ كلكم سيصير حديثاً فمن استطاع أن يكون حديثاً حسناً فليفعل (١) ﴿ وكان يقول ﴾ ابن آدم لن تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك . وما كانت المحاسبة من همتك . وما كان لك الخوف شعاراً والحزن دثاراً .

وكان عبدالملك قد كتب الى الحجاج وهو على الحجاز جنبني دماء آل ابي طالب فاني رأيت آل حرب لما تهجموا بها لم ينصروا . فكتب اليه علي بن الحسين عليه السلام إني رأيت رسول الله ﴿ ص ﴾ ليلة كذا في شهر كذا يقول لي إن عبدالملك قد كتب الى الحجاج فى هذه الليلة بكذا وكذا وأعلمه بان الله قد شكر له ذلك وزاده برهة فى ملكه .

وكان له من الولد ابو جعفر محمد . والحسين . وعبد الله . وأمهم أم عبد الله بنت الحسن بن علي (ع) وعلي . والحسن . والحسين الأصغر . وسليمان

(١) نظمه ابن دريد فقال فى مقصورته : —

(وإنما المرء حديث بعده * فكن حديثاً حسناً لمن وعى) [م . ص]

— توفي صغيراً — وزيد — .

وذكر يوماً عمر بن عبد العزيز فقال : ذهب سراج الدنيا ، وجمال الاسلام وزين العابدين ، فقيل له إن ابنه أبا جعفر محمد بن علي فيه بقية ، وكتب عمر يختبره فكتب اليه محمد كتاباً يعظه ويخوفه فقال عمر أخرجوا كتابه الى سليمان فأخرج كتابه فوجده يقرظه ويمدحه فانفذ الى عامل المدينة وقال له أحضر محمداً وقل له هذا كتابك الى سليمان وتقرظه وهذا كتابك الي مع ما أظهرت من العدل والاحسان ، فأحضره عامل المدينة وعرفه ما كتب به عمر ؛ فقال إن سليمان كان جباراً كتبت اليه بما يكتب الى الجبارين وإن صاحبك اظهر امراً وكتبت اليه بما شاكله ، وكتب عامل عمر اليه بذلك ، فقال عمر إن أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل .

وانكر عمر أعمال أهل بيته وسماها مظالم ، وكتب الى عماله جميعاً ✻ أما بعد فان الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله ، وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء فلما قصدوا قصد الحق والرفق والاحسان ، ومن أراد الحج فعجلوا عليه عطاءه حتى يتجهز منه ، ولا تحدثوا حدثاً في قطع وصلب حتى تؤامروني ، وترك لعن علي بن ابي طالب عليه السلام على المنبر وكتب بذلك الى الآفاق فقال كثير :

ولِيت فلم تشتم علياً ولم تخف ✻ بريّاً ولم تتبع مقالة مجرم

وأعطى بني هاشم الخمس ورد فدكاً ، وكان معاوية أقطها مروان فوهبها لابنه عبد العزيز فورثها عمر فردها على ولد فاطمة (ع) فلم تزل في أيديهم حتى ولي يزيد بن عبد الملك فقبضها ، وردّ عمر هدايا النيروز والمهرجان ، ورد السخر . ورد العطاء على قدر ما استحق الرجل من السنة . وورث العيالات على ما جرت به السنة غير أنه أقر القطايع التي أقطعها أهل بيته . والعطاء في الشرف لم ينقصه ولم يزد فيه . وزاد أهل الشام في أعطياتهم عشرة دنانير ولم يفعل ذلك في اهل العراق ✻ وكان ✻ يقول ما بقي المسلم على جفوة السلطان ونزغة الشيطان لم أر شيئاً أعون له على دينه من

إعطائه حقه ، فكان يجلس للنظر في أمور المسلمين نهاره كله فقال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين نهارك كله مشغول ، ذلك جزء من الليل وأنت تسمر معنا فقال يارجاء إن ملاقاة الرجال تلقح لأوليائها وإن المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة لايضل معها رأي ولا يقعد معها حزم ﴿ وكان ﴾ يقول لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العاقلين لأنهم عقلوا عن الله فاتقوه في أمره ونهيه .

وكتب الى عامله باليمن ﴿ أما بعد فدع ما أنكرت من الباطل ، وخذ ما عرفت من الحق بالغاً بك ما بلغ فان بلغ مهيج انفسنا فان الله يعلم أنك إن لم تحمل الي إلا حفنة من كتم فاني بذلك مسرور إذا كان موافقاً .

﴿ قال الزهري ﴾ دخلت الى عمر يوماً فبينا أنا عنده إذ أتاه كتاب من عامل له يخبره أن مدينته قد احتاجت الى مرمة فقلت له إن بعض عمال علي بن ابي طالب كتب بمثل هذا وكتب اليه أما بعد فحصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ، فكتب بذلك عمر الى عامله ؛ ووجه عمر الى مسجد دمشق من ينزع ما فيه من الرخام والفسيفساء والذهب وقال إن الناس يشتغلون بالنظر اليه عن صلاتهم ، فقيل له إن فيه مكايدة للعدو فتركه ؛ وارتحل الى ﴿ خناصرة ﴾ فنزلها وهي برية من أطراف جند قنسرين وكره أن ينزل في منازل أهل بيته التي بنوها بمال الله وفيء المسلمين ، ثم كلم في ذلك وقيل له إن في نزولك البرية إضراراً بالمسلمين فخرج الى دمشق فنزل دار أبيه التي كانت الى جانب المسجد وأقام عشرين يوماً وكثر عليه الناس فارتحل حتى صار الى مدينة حلب وكثر عليه الناس فارتحل الى مدينة حمص راجعاً يريد أن ينزلها فلما صار الى أوائل حمص اعتل فمال الى موضع يعرف بـ (دير سمعان) فنزله ﴿ ويقال ﴾ بل ارتحل اليه قاصداً يريد نزوله بسبب قطعة أرض كان ورثها عن أمه فيه فلما صار الى (دير سمعان) أتاه الخبر بخروج شوذب الحروري فأمر بتوجيه جيش اليه ووجه اليه شوذب برجلين من قبله يناظرانه فقالا له ﴿ إنك أظهرت أفعالاً حسنة وأعمالاً جميلة

ومما ننكر عليك تركك لعن أهل بيتك والبراءة منهم ﴿ فقال وكيف يلزمني لعنهم قالا لأنهم من أهل المعاصي والذنوب ولا يسعك غير ذلك ، قال متى عهدكم بلعن فرعون ؛ قالوا ما نذكر متى لعناه ، قال فكيف يسعكم تركك لعنه وهو من اهل الذنوب والمعاصي ، انتم قوم أردتم شيئاً فاخطأتموه ولقد اصبحتم بنعمة وعدوكم كثير وشوكتكم ضعيفة ، فاقام أحدهما عنده وانصرف الآخر ؛ وأتاه ابو الطفيل عامر بن واثلة وكان من أصحاب علي عليه السلام فقال له يا امير المؤمنين لِمَ منعتني عطائي ، فقال له بلغني أنك صقلت سيفك ؛ وشحذت سنانك ؛ ونصلت سهمك ، وعلفت فرسك تنتظر الامام القائم حتى يخرج فاذا خرج وفّاك عطاءك ؛ فقال إن الله سائلك عن هذا فاستحيى عمر من هذا واعطاه .

وكانت ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثي عند عبد الله بن عبد الملك ابن مروان فهلك عنها فخلف عليها الحجاج بن عبد الملك فطلقها قبل أن يدخل عليها فقدم محمد بن علي وهو يريد الصائفة فكلم عمر فيها وقال ابنة خالي كانت متزوجة فيكم فان تأذن أتزوجها ؛ قال عمر ومن يحول بينك وبينها وهي أملك بنفسها فتزوجها وبنى بها بحاضر قنسرين في دار طلحة بن مالك الطائي ، واشتملت هناك على ابي العباس ، ولما دخلت سنة ١٠٠ بعث محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ميسرة ابا رباح الى العراق ومحمد بن خنيس وابا عكرمة السراج وحيان العطار الى خراسان وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي عامل عمر بن عبد العزيز فلقوا من لقوا بها وانصرفوا وقد غرسوا غرساً .

وكانت ولاية عمر ثلاثين شهراً ؛ وكان الغالب عليه رجاء بن حيوة الكندي وصاحب شرطته روح بن يزيد السكسكي مولاه ، وتوفي لست بقين من رجب سنة ١٠١ وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وكان اسمر رقيق الوجه حسن اللحية غائر العينين بجبهته أثر ، وعهد الى يزيد بن عبد الملك ﴿ وقيل ﴾ إن سليمان كان جعل له العهد من

بعده ، وإن عمر قال عند وفاته لو كان الأمر الي لوليت ميمون بن مهران والقاسم ابن محمد ؛ وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك ، ودفن بدير سمعان ﴿ وقيل ﴾ إن أهل بيته سموه خوفاً من أن يخرج الأمر منهم .

وهرب يزيد بن المهلب قبل وفاة عمر بليلتين ولحق بالبصرة وعليها عدي بن أرطاة الفزاري وقد قبض على أهل بيته فحبسهم فوجه عمر في أثر يزيد رسلاً فقاتلهم .

وخلف عمر من الولد تسعة ذكور ؛ عبد العزيز ، وعبد الله ، وعبيد الله ؛ وزيد ومسلمة ، وعثمان ، وسليمان ، وعاصم ، وعبد الرحمان .

وأقام الحج للناس في ولايته سنة ٩٩ ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، سنة ١٠٠ ابو بكر ايضاً ، وغزا الصوائف في ولايته سنة ٩٩ عمرو بن قيس الكندي .

وكان الفقهاء في أيامه خارجة بن زيد بن ثابت ، يحيى بن عبد الرحمان بن حاطب ، ابو سلمة بن عبد الرحمان ، سالم بن عبد الله بن عمر ؛ القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ؛ محمد بن كعب القرظي ؛ عاصم ابن عمر بن قتادة ؛ نافع مولى عبد الله بن عمر ؛ سعيد بن يسار ، محمد بن ابراهيم ابن الحارث التيمي ، عبد الله بن دينار ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو ، عطاء بن ابي رباح ، مجاهد بن جبير ، عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، عامر بن شراحيل الشعبي ، سالم بن ابي الجعد . حبيب بن ابي ثابت . عبد الملك بن ميسرة الهلالي . ابو اسحاق السبيعي . الحسن بن ابي الحسن البصري . محمد بن سيرين . ابو قلابة عبد الله بن زيد . مورق العجلي . عبد الملك بن يعلى الليثي . زيد بن نوفل . علقمة بن عبد الله المزني . ابو حازم . رجاء ابن حيوة . مكحول الدمشقي . راشد بن سعد المقرئ . سليمان بن حبيب المحاربي ميمون بن مهران . يزيد بن الأصم . ابو قبيل المعافري . طاوس اليماني .

* *
*

أيام يزيد بن عبد الملك

وملك يزيد بن عبد الملك بن مروان . وأمه — عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان — وهي التي حرمت على عشرة من خلفاء بني أمية ، معاوية جدها ، ويزيد ابوها ، ومروان بن الحكم زوجها ، والوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، بنو عبد الملك أولاد زوجها ، ويزيد ابنها ، والوليد بن يزيد ابن ابنها . ويزيد بن الوليد ابن ابن زوجها . وكانت ولايته في رجب سنة ١٠١ والشمس يومئذ في الدلو إحدى وعشرين درجة وعشرين دقيقة . والقمر في الجدي أربع درجات وثلاثين دقيقة وزحل في العقرب تسعاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة . والمشتري فى الثور اربع عشرة درجة وعشرين دقيقة . والمريخ في الميزان ثلاث درجات وأربعين دقيقة والزهرة فى الحوت خمس عشرة درجة وعشر دقائق . وعطارد فى الجدي خمس عشرة درجة وأربعين دقيقة . والرأس فى الثور سبع درجات وعشرين دقيقة .

وعزل يزيد عمال عمر بن عبد العزيز جميعاً . وكتب الى عدي بن أرطاة يأمره بأخذ يزيد بن المهلب فحاربه فى داخل البصرة فى شهر رمضان فظفر به يزيد فأخذه أسيراً وحمله معه فى الحديد الى واسط فحبسه بها وجماعة معه . وغلب يزيد بن المهلب على البصرة وما والاها ثم خرج يريد الكوفة واستخلف على البصرة مروان بن المهلب فوجه اليه يزيد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فسار مسلمة بن عبد الملك حتى أتى العراق وجعل يقول إني أخشى أن يتعيأ ابن المهلب ويهرب فنطلبه . فقال له حسان النبطي — وكان معه — لا يحسن ذلك أيها الأمير . قال ولم قال سمعته يقول ويح عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث هبه غلب على البصرة أغلب على الصبر . ما ضره لو القى طرف ثوبه على وجهه ثم تقدم حتى قتل فقال مسلمة ما أجرأه أن لا يبرح فالتقيا بمسكن فحاربه محاربة شديدة ويزيد مبطون شديد العلة . وكان مسلمة يسميه ﴿ الجرادة الصفراء ﴾ فلم يبرح حتى قتل . وكان ذلك فى سنة ١٠٢ وكان معاوية

ابن يزيد بن المهلب بواسط فلما انتهى اليه خبر أبيه أخرج عدي بن أرطاة ومن كان معه فضرب أعناقهم وركب البحر حتى صار بمن كان من أهل بيته وأنصاره الى ﴿ قنداييل ﴾ من أرض السند الى أن وافاهم هلال بن احوز المازني بعث به مسلمة بن عبد الملك فقتل معاوية وجميع من كان معه سوى نفر يسير أخذهم أسرى فحملهم الى يزيد بن عبد الملك فقتلهم بدمشق . منهم عثمان بن المفضل بن المهلب وحمل اليه من نساء المهلب خمسين امرأة فحبسهن بدمشق .

وبعث مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز فقصد السغد فحاربهم محاربة شديدة وأقام بسمرقند فجاءته ملكة ﴿ فرغانة ﴾ فقالت إني أدلك على شيء فيه الظفر على أن تجعل لي أن لا تغزي إلي جيشاً . فأعطاها ما سألت . فقالت إن السغد قد خلوا عن أرضهم ونزلوا ﴿ خجندة ﴾ وطلبوا الينا أن ندخلهم بلادنا حتى يصالحوا العرب او يكون غير ذلك وليس لهم فى خجندة طعام ولا شراب ولا عدة لحصار . فان أردتهم فالساعة فبعث سعيد بن عبد العزيز سورة بن الحر الدارمي فى الخيل ولحقهم بنفسه فحصرهم في المدينة فلما تخوفوا الهلاك دعوا الى الصلح على ان يرجعوا الى بلادهم فقال على أن تخرجوا عن آخركم فحفر لهم خندقاً فقال اخرجوا فخرجوا جميعاً إلا رجل منهم يقال له ﴿ جليح ﴾ ثم خرج بالسلاح وحارب المسلمين وحارب معه قوم فوثب عليهم سعيد والمسلمون فقتلوهم قتلاً ذريعاً وكبس بهم الخندق وسبى الذرية وغنم ما لم يغنم مثله .

وولى يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة العراق مكان مسلمة في هذه السنة بعد انقضاء حرب ابن المهلب وقتلهم فلقي جماعة من آل المهلب في الحديد قد وجه بهم مسلمة فقال للرسل ردوهم فقالوا لا نفعل . قال إن مسلمة يوم وجه بكم أميركم . (١) . فردوهم معه . وكتب الى يزيد كتاباً حسناً في امرهم وأن الصنيعة فيهم عامة لقومهم

(١) بياض في الأصل . وفيه سقط لعله (وانا اليوم اميركم) [م . ص]

فكتب اليه يزيد وما أنت وذاك لا أم لك ، فعاوده وكتب اليه ما هم لي بعشيرة وما أردت إلا النظر لأمير المؤمنين في تألف عشائرهم لئلا تفسد قلوبهم وطاعتهم ، فكتب اليه بارك الله لك فى ردهم إن كنت أردت ذاك ؛ وأقر عمر بن هبيرة سعيد بن عبد العزيز على خراسان فوجه رسلاً لابي رباح ميسرة داعية بني هاشم فى زي التجار فقيل إنه دعاهم فسألهم عن حالهم فقالوا نحن تجار فخلى سبيلهم فخرجوا من خراسان وظهر يزيد بن جرهم الداعية وبلغ عمر بن هبيرة الخبر فعزله وولى خراسان مسلم بن سعيد الكلابى فقدم خراسان فغزا بالناس فلم يصنع شيئاً ، فلما انصرف راجعاً من فرغانة تبعه الترك وأهل فرغانة فقاتلوه قتالاً شديداً ، وكان قد استعمل نصر بن سيار على بلخ فكتب اليه أن يمده بالرجال وأن يحشر الناس اليه ، فدعاهم نصر بن سيار الى ذلك فأبوا عليه وقاتلوه وكانت بينهم وبين نصر وقعة تسمى ﴿ وقعة البروقان ﴾ واستعمل يزيد على المدينة عبد الرحمان بن الضحاك بن قيس الفهري وكتب اليه يأمره ان يجمع بين عثمان بن حيان المري وبين ابى بكر بن عمرو بن حزم في الحدين اللذين جلدهما ابو بكر عثمان بن حيان فان وجد أن ابا بكر ظلمه أقاده منه ففعل وتحامل على ابى بكر فجلده حدين قوداً بعثمان بن حيان ، وخطب عبد الرحمان فاطمة بنت الحسين بن علي ﴿ ع ﴾ فارسل اليها رجالاً يحلف بالله لئن لم تفعل ليضربن اكبر ولدها بالسياط ، فكتبت الى يزيد كتاباً فلما قرأ كتابها سقط عن فراشه وقال لقد ارتقى ابن الحجام مرتقى صعباً من رجل يُسمعني ضربه وأنا على فراشي هذا فكتب الى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري — وكان بالطائف — أن يتولى المدينة ويأخذ عبد الرحمان بن الضحاك باربعين الف دينار ويعذبه حتى يسمعه ضربه ففعل ذلك ، فرئي عبد الرحمان وفى عنقه خرقة صوف يسأل الناس .

ووجه يزيد الجراح بن عبد الله الحكمي فغزا الترك وفتح بلنجر وسبى خلقاً عظيماً في سنة ١٠٤ ، وانتهى الى نهر الروباس ثم سار حتى انتهى الى نهر الران ولقي ابن

خاقان صاحب الخزر فقاتله فهزمه وقتل مقاتلته ، وسبى سبياً كثيراً ، ولما فتح بلنجر سار فجعل ينزل بلداً بلداً يتبع خاقان ملك الخزر حتى صار الى نهر دبيل من عمل آذربيجان فاقتتلوا هناك وقتل الجراح واصحابه .

وولى يزيد بن ابى مسلم افريقية فقدمها وعبد الله بن موسى اللخمي محبس بها فقال له أعط الجند من مالك أرزاقهم لخمس سنين فقال لا أقدر على ذلك فحبسه ، وأخذ موالي موسى بن نصير فوسم أيديهم وردهم الى الرق واستخدم عامتهم في حرسه فوثب عليه غلام منهم يقال له جرير دخل عليه وهو يأكل عنباً فقتله فلما بلغ يزيد بن عبد الملك الخبر ولى بشر بن صفوان الكلبي فلم يزل مقيماً بها ولاية يزيد .

وكتب يزيد الى عمر بن هبيرة — وهو عامل على العراق — يأمره أن يمسح السواد فمسحه سنة ١٠٥ ولم يمسح السواد منذ مسحه عثمان بن حنيف في زمن عمر بن الخطاب حتى مسحه عمر بن هبيرة فوضع على النخل والشجر وأضر بأهل الخراج ووضع على التائنة (١) وأعاد السخر والهدايا وما كان يؤخذ في النيروز والمهرجان والمساحة التي يؤخذ بها مساحة ابن هبيرة .

وكان يزيد قد جعل ولاية العهد من بعده لهشام ثم بدا له أن يبايع بولاية العهد لابنه الوليد ؛ وكان هشام بالجزيرة فوجه اليه خالد بن عبد الله القسري يحسن له خلع نفسه من ولاية العهد على أن الجزيرة له طعمة ﴿ قال خالد بن عبد الله ﴾ فأتيته فذكرت له ذلك فأسرع الاجابة ؛ فقلت له أيها الانسان إن استشرتني وعاهدتني على أن تكتم علي أشرت عليك فقال قد استشرتك ولك عهد الله أن اكتم عليك فقلت إنما هي أيام قلائل حتى تصير الجزيرة أحد أعمالك ؛ قال فكيف بالسلامة من يزيد قلت علي قال افعل ما بدا لك فانها يد مشكورة لك ؛ فانصرفت الى يزيد فقلت يا أمير المؤمنين إني أتيت رجلا صعباً فأنشدك الله ان توقع العداوة والشر بينكم وتوجدوا

(١) التائنة والتناء الدهاقون .

للناس السبيل الى الطعن فيكم والاختلاف عليكم ولكن تصير الوليد ولي العهد بعد أخيك فركن الى ذلك وفعله ، فما زال هشام يشكر ذلك لخالد حتى ولي الخلافة فولاه العراق .

وكان الغالب على يزيد ، سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وصاحب شرطه كعب بن حامد العبسي ، وعلى حرسه يزيد بن ابي كبشة السكسكي ، وحاجبه خالد مولاه ، وكانت ولايته أربع سنين ، وتوفي لأربع بقين من شعبان سنة ١٠٥ وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وصلى عليه الوليد بن يزيد ، ودفن بالبلقاء من أرض دمشق ، وخلف من الولد عشرة ذكور وهم : الوليد ، ويحيى ، ومحمد ، والعمر وسليمان ، وعبد الجبار ، وداود ، وابو سليمان ، والعوام ، وهاشم .

وأقام الحج للناس في ولايته سنة ١٠١ عبد الرحمان بن الضحاك بن قيس ، سنة ١٠٢ عبد الرحمان ايضاً ، سنة ١٠٣ عبد الرحمان ايضاً ، سنة ١٠٤ عبدالواحد ابن عبد الله بن بشر النضري . وغزا بالناس في ولايته سنة ١٠٢ الوليد بن هشام أرض الروم فنزل على المخاضة عند انطاكية ؛ ولقي عمر بن هبيرة الروم بارمينية الرابعة فهزمهم وأسر منهم سبعمائة ؛ سنة ١٠٣ غزا العباس بن الوليد فاصيب الناس فى السرايا وأغارت الترك على أرض اللان ، وغزا عبد الرحمان بن سليمان الكلبي وعثمان بن حيان المري فنزلا على حصن ففتحاه . سنة ١٠٤ عبدالرحمان بن سليمان الكلبي على الصائفة اليمني . وعثمان بن حيان المري على الصائفة اليسرى . سنة ١٠٥ سعيد بن عبد الملك بن مروان ثم رجع فغزا ناحية الترك فبلغ قصر قطن . وغزا الجراح بن عبدالله الحكمي باب اللان حتى خرج من الباب .

وكان الفقهاء في ولايته . يحيى بن عبد الرحمان بن حاطب . سالم بن عبد الله ابن عمر . القاسم بن محمد بن ابي بكر . محمد بن مسلم بن شهاب الزهري . محمد بن كعب القرظي . عاصم بن عمر بن قتادة . نافع مولى عبد الله بن عمر . سعيد بن يسار

محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي ، عبد الله بن دينار ، عبد الله بن ابي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، طاوس اليماني ، عطاء بن ابي رباح ، حبيب بن ابي ثابت ، عبد الملك بن ميسرة ، ابو اسحاق السبيعي .

أيام هشام بن عبد الملك بن مروان

ثم ملك هشام بن عبدالملك بن مروان — وأمه أم هشام بنت هشام بن اسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي — وأتته الخلافة وهو بقرية يقال لها ﴿ الزيتونة ﴾ من الجزيرة ، فجاء البريد فسلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٠٥ ، ومن شهور العجم في كانون وكانت الشمس يومئذ في الدلو ست درجات وثماني وخمسين دقيقة ؛ والقمر في القوس سبع درجات وتسع دقائق ، والمشتري في الميزان ست درجات وخمسين دقيقة راجعاً ، والمريخ في العقرب إحدي وعشرين درجة وتسعاً وثلاثين دقيقة ، والزهرة في القوس عشرين درجة وثلاث دقائق ، وعطارد في الدلو احدى وعشرين دقيقة .

وولى خالد بن عبد الله القسري العراق باليد التي كانت له عنده . وكان قد كتب الى الجنيد بن عبد الرحمان يأمره أن يكاتب خالداً ففعل . وعظم أمر الجنيد ببلاد السند ودوخها حتى صار الى أرض الجرز ثم الى ارض الصين ودعا ملكها الى الاسلام فقاتله فثبت له الجنيد فأقام يقاتله ورمى حصنه بالنفط والنار فطفأها فقال الجنيد في الحصن قوم من العرب هم اطفأوا النار . ولم يزل يقاتله حتى طلب الصلح وصالحه وفتح المدينة فوجد فيها رجلين من العرب فقتلهما . وأقام الجنيد اياماً ثم غزا الكيرج ومعه ﴿ اشندرابيد ﴾ الملك في مقاتلته فهرب ﴿ الراه ﴾ ملك الكيرج فافتتحها الجنيد فسبى وغنم . واستقامت أموره فوجه بعماله الى المرمذ . والمندل . ودهنج . والبروص وسرست . والبيلمان . والمالبة وغيرها من البلاد . وكتب اليه هشام بفتح أتاه من الروم يخبره أن المسلمين أسروا عدة وغنموا حمراً وبقراً . فكتب اليه الجنيد إني

نظرت في ديواني فوجدت ما أفاء الله علي مذ فارقت بلاد السند ستمائة الف وخمسين الف رأس من السبي ، وحملت ثمانين الف الف درهم ، وفرقت فى الجند أمثالها مراراً وأقام الجنيد عدة سنين ، ثم استعمل خالد مكانه تميم بن زيد العتبي فوجه ثمانية عشر الف الف طاطري خلفها الجنيد فى بيت المال ، ولم يستقم لتميم أمر ، وكثر خلاف أهل البلاد عليه ، وكثرت حروبه ، وفشا القتل فى أصحابه ؛ وخرج من البلد يريد العراق ، فكتب خالد الى هشام ان يولي الحكم بن عوانة الكلبي فقدم الحكم وبلاد الهند كلها قد غلب عليها إلا أهل ﴿ قصة ﴾ فقالوا ابن لنا حصناً يكون للمسلمين يلجأون اليه فبنى مدينة سماها ﴿ المحفوظة ﴾ وأجلى القوم المتغلبين بعد حرب شديدة ؛ وهدأت البلاد وسكنت ، وكان مع الحكم عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي وجماعة من وجوه الناس فلم يزل مقيماً فى البلد حتى عزل خالد وولى يوسف بن عمر الثقفي .

وولى هشام مسلمة بن عبد الملك ارمينية وآذربيجان سنة ١٠٧ فوجه سعيد بن عمرو الحرشي على مقدمته فلقي عسكراً للخزر ومعهم عشرة آلاف من أسارى المسلمين فحاربهم فهزمهم وقتل عامتهم واستنقذ الأسارى منهم وفعل ذلك مرة بعد مرة أخرى وقتل ابن خاقان وفتح عدة مدائن ، ووجه برأس ابن خاقان الى هشام من غير أن يوافق مسلمة فاغضبه ذلك وكتب اليه يلومه ؛ وعزله وصير مكانه عبد الملك بن مسلم العقيلي وأمره ان يقيد سعيد بن عمرو الحرشي ويحبسه بمدينة يقال لها ﴿ قبلة ﴾ وقدم مسلمة البلد وأحضر الحرشي فاغاظ له ودق لواءه وبعث به الى سجن برذعة فكتب اليه هشام يلومه على ذلك ، ووجه برسل من قبله حتى أخرجوا سعيد بن عمرو الحرشي من السجن وحملوه اليه . وسار مسلمة فى البلاد التي للخزر حتى صار الى جرزان فافتتحها وقتل أهلها . ثم صار الى شروان فسالمه أهلها . ثم أتى مسقط فصالحه أهلها . ووجه خيله الى أرض اللكز فصالحه أهلها . وبعث الى طبرستران فصالحه

أهلها . فسار فى البلاد لا يلقاه أحد حتى بلغ أرض ورثان فلقيه خاقان ملك الخزر وكان مع مسلمة جماعة من ملوك البلدان التي فتحها فجعل مروان بن محمد على مقدمته فلقي القوم فاقام يقاتلهم أياماً وربما فُقد فيقال لمسلمة قتل مروان فيقول أما والله دون أن يسلَّم عليه بالخلافة فلا . ففتح عامة البلدان . وعزل هشام مسلمة وولى مروان ابن محمد فصار الى الحصن الذي فيه ملك السرير وهو سرير من ذهب كان بعث به بعض ملوك الفرس ﴿ ويقال ﴾ إن انو شروان بعث به اليه فسمي بذلك السرير فصالحه على الف وخمسمائة غلام سود الشعور . ثم صار الى تومان شاه فصالحه ملكها ثم دخل الى أرض زريكران فصالحه ملكها . ثم صار الى حمزين فحاربهم فقتل منهم خلقاً عظيماً وفتح اكثر البلد وجمع الطعام الى مدينة الباب ولم يزل هناك .

وكان بشر بن صفوان الكلبي عامل المغرب فلما ولي هشام بعث اليه باموال عظام وهدايا فأقره هشام على افريقية فلم يزل بها حتى مات . فلما مات بشر بن صفوان ولى هشام افريقية عبيدة بن عبد الرحمان القيسي ولم يزل بها . فأغزى الناس في البحر ففنم غنائم كثيرة فخرج الى هشام باموال جليلة وعشرين الف عبد فاستعفاه فاعفاه وولى مكانه عقبة بن قدامة التجيبي فلم يقم إلا يسيراً حتى عزل . وولى عبيد الله بن الحبحاب فغزا غزوات كثيرة « .. (١) .. » وقتل كلثوم بن عياض . ثم ولى حنظلة بن صفوان الكلبي فقدم افريقية وقد تغلب على بعض النواحي عكاشة بن ايوب الفزاري فظفر به حنظلة ولم يزل مقيماً الى أيام مروان بن محمد .

وظهر سليمان بن كثير الخزاعي وأصحابه بخراسان يدعون الى بني هاشم سنة ١١١

(١) بياض في الأصل . وكتب في الهامش على موضع البياض (وقد ثارت البربر فلما ضعف أمره وجه هشام كلثوم بن عياض بجيش عظيم فلقيته البربر) وقد ذكر ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ١١٧ واقعة البربر مع كلثوم بن عياض القشيري وقتله في تلك الواقعة فانراجع . (م . ص)

وظهرت دعوتهم وكثر من يجيبهم ، وقدم بكير بن ماهان فأجابه خلق كثير الى خلع بني أمية وبيعة بني هاشم وكثر أشياعهم وأصحابه ؛ ثم حضرت ابن ماهان الوفاة فاستخلف أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال وكتب بذلك الى محمد بن علي بن عبد الله وأعلمه أنه يرضاه فاقره ؛ وكتب الى أصحابه يأمرهم بالسمع والطاعة فاستقاموا جميعا عليه ؛ وولى خالد بن عبد الله أخاه أسد بن عبد الله خراسان فبلغه خبرهم فأخذ جماعة منهم فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم فما زالوا في خوف حتى مات اسد وولى خراسان جعفر بن حنظلة البهراني .

وولى سجستان يزيد بن العزيف الهمداني فلما قدم سجستان ساءت سيرته وأظهر الفسق فقتلته قوم من الخوارج وثبوا عليه وهو جالس في مجلسه وعلى رأسه الف وخمسمائة مدجج ، وكان الخوارج خمسة نفر فقدم اليه بعضهم فضربه بالسيف فقتله ووثب الجند عليهم فقتلوهم بعد أن قتلوا جماعة منهم ؛ فلما بلغ خالد بن عبد الله الخبر ولى الأصفح بن عبد الله الكلبي فصار الى اليه في الشتاء فندب الناس الى الغزو فاتاه شيخ من أهل البلد يقال له ﴿ عبد الله بن عامر ﴾ فقال أيها الأمير ليس هذا وقت غزو ، فقال أنا اعلم بوقت الغزو منك ، ونفذ فلما صار على رأس شعب من الشعاب أتاه عمرو بن بجير فقال أصلح الله الأمير ليس هذا وقت دخول هذا الشعب ؛ فقال لو كنت عاقبت المتكلم بالأمس لما سمعت هذا اليوم ، واقتحم الشعب حتى إذا أمعن فيه أخذ العدو عليه مضايقه واجتمع فقتل الجيش بأسره فلم ينج منه أحد فلما أتى خالداً الخبر بقتل الأصفح ومن معه من المسلمين ولى عبد الله بن ابى بردة بن ابي موسى فلم يزل مقيماً بها ولاية خالد .

وفاة أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام

وتوفي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام — وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام — سنة ١١٧ ؛ وسنه

ثمان وخمسون سنة ﴿ قال ابو جعفر عليه السلام ﴾ قتل جدي الحسين ولي أربع سنين وإني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت ؛ وكان يسمى ابو جعفر الباقر لأنه بقر العلم ﴿ قال جابر بن عبد الله الأنصاري ﴾ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إنك ستبقى حتى ترى رجلاً من ولدي أشبه الناس بي اسمه على اسمي إذا رأيته لم يُخل عليك فاقرأه مني السلام ﴾ فلما كبرت سن جابر وخاف الموت جعل يقول : يا باقر يا باقر ابن أنت حتى رآه فوقع عليه يقبل يديه ورجليه ويقول بأبي وأمي شبيه أبيه رسول الله إن أباك يقرئك السلام ﴿ قال ابو حمزة الثمالي ﴾ سمعت محمد بن علي عليه السلام يقول : يقول الله عز وجل إذا جعل عبدي همه في هماً واحداً جعلت غناه في نفسه ونزعت الفقر من بين عينيه ، وجمعت له شمله ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر ، وإذا جعل همه في متفرقاً جعلت شغله في قلبه ؛ وفقره بين عينيه ، وشتت عليه أمره ؛ ورميت بحبله على غاربه ، ولم أبال في أي واد من أودية الدنيا هلك ﴿ وقيل لمحمد ﴾ أتعرف شيئاً خيراً من الذهب ؛ قال نعم معطيه ﴿ وقال « ع » ﴾ إصبر للنوائب ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تعط أحداً من نفسك ما ضره عليك اكثر من نفعه ﴿ وقال ﴾ كفى العبد من الله ناصراً أن يرى عدوه يعصي الله ﴿ وقال ﴾ شر الآباء من دعاه البر الى الافراط ؛ وشر الأبناء من دعاه التقصير الى العقوق ﴿ وسئل ابو جعفر « ع » ﴾ عن قول الله عز وجل ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ قال قولوا لهم أحسن ما تحبون أن يقال لكم [ثم قال] إن الله عز وجل يبغض اللعان السباب الطعان الفحاش المتفحش السائل الملحف ، ويحب الحيي الحليم العفيف المتعفف ﴿ وقال ﴾ لو صمت النهار لا أفطر . وصليت الليل لا أفتر وأنفقت مالي في سبيل الله علقاً علقاً ثم لم تكن في قلبي محبة لأوليائه ولا بغضة لأعدائه ما نفعني ذلك شيئاً .

وكان له من الولد خمسة ذكور : ابو عبد الله جعفر . وعبد الله . وابراهيم

وعبيد الله درج صغيراً ، وعلي درج صغيراً .

وتوفي علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب سنة ١١٨ ؛ وكان مولده في الليلة التي قتل فى صبيحتها علي بن ابي طالب عليه السلام وتوفي بالأحمير بين الحميمة وأذرح من عمل دمشق وسنه ثمان وسبعون سنة ، وأمه زرعة بنت مشرح بن معدي كرب أحد ملوك كندة الأربعة ، وكان ذا غناء وفضل وشرف ورواية عن أبيه ﴿ قال ﴾ سمعت ابي يقول إن من غصبته نفسه فيما تحب لم يطمعها فيما يحب ﴿وقال﴾ سمعت أبي يقول تعاشر الناس حيناً بالتقوى ، ثم رفع ذلك فتعاشروا بالمروة ، ثم رفع ذلك فتعاشروا بالحياء ، ثم رفع ذلك فانهتك الغطاء ﴿ وكان ﴾ يقول الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا لوطف ﴿ وقال ﴾ سخاء الناس عما في ايدي الناس أفضل من سخائها بالبذل ، والقناعة لذة العيش ، والرضا بالقسم اكثر من مروة الاعطاء ، ومن حفظ من نفسه أربعاً فهو خليق ان لا ينزل به ما نزل بغيره ، العجلة واللجاج ، والعجب ، والتواني ﴿ وكان ﴾ لعلي بن عبد الله بن عباس من الولد اثنان وعشرون ولداً : محمد بن علي وأمه العالية بنت عبيد الله بن العباس ، وداود وعيسى لأم ولد ، وسليمان ، وصالح لأم ولد ، وأحمد ، وبشر ، ومبشر ، واسماعيل وعبد الصمد ، لأمهات اولاد ، وعبد الله الاكبر أمه أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب لا عقب له ، وعبيد الله وأمه فلانة بنت الحريش ، وعبد الملك ، وعثمان وعبد الرحمان ، وعبد الله الأصغر — وهو السفاح — ويحيى ، واسحاق ، ويعقوب وعبد العزيز ، واسماعيل الأصغر ، وعبد الله الأوسط — وهو الأحنف — لأمهات أولاد شتى .

وقدم محمد بن علي بن عبد الله على هشام ومعه ابنه ابو العباس غلام فلما خرج من عنده قال لبعض أصحابه شكوت الى أمير المؤمنين ثقل الدين وكثرة العيال فاستهزأ بي وقال انتظر ابن الحارثة — يعني هذا الغلام — .

وألح هشام في طلب الخوارج . . . . . فجلس يوماً وجمع اليه الخوارج فقال يا قوم خافوا الله ولا تدعوا الجهاد فبايعوه ، وأقام أياماً وحضرته الوفاة فقال لهم إني لست باحيد أوثق مني بالبهلول بن عمير الشيباني ، فلما مات خرج البهلول فصار الى قرب الكوفة فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فوجه اليه بخيل فاتبعته من (عين التمر) الى الموصل فقتل بالموصل فانكر هشام على خالد بن عبد الله اموراً بلغته ﴿ منها ﴾ أنه فرق أموالاً عظاماً مبلغها ستة وثلاثون الف الف درهم فاستعظمها ، وأنه قال ما زادت أمية في شرف قسر هكذا وجمع بين إصبعيه فكتب اليه ﴿ أما بعد فقد بلغني مقالتك وإنما أنت من بجيلة الذليلة الحقيرة وستعلم يا ابن النصرانية أن الذي رفعك سيضعك ﴾ وأقام خالد على العراق أربع عشرة سنة أو خمس عشرة ، فلما عزم هشام على صرفه أحضر حسان النبطي وكان ينظر في أمر خالد بن عبد الله كله فأشرف عليه بالقتل وحلف له بالله الذي لا إله إلا هو ليصدقنه او ليقتلنه ، فاتاه حسان بصناديق وقائع على خالد ، وكان اول كاتب رفع على عامل بلده ، ولما وقف هشام من أمر خالد على ما أراد كتب الى يوسف بن عمر الثقفي (وكان عامله باليمن) كتاباً بخطه لم يطلع عليه احداً يأمره بالنفوذ الى العراق وأن يستر خبره فيقبض على خالد واصحابه فيأخذه بستة وثلاثين الف الف درهم ، فخرج يوسف من اليمن وقد اسرّ امره وكان في سبعة نفر حتى قدم العراق ، وكان مقدمه العراق سنة ١٢٠

ووافى يوسف بن عمر في الليل في خمسة نفر حتى صار الى المسجد الجامع فلما اقيمت الصلاة تقدم خالد ليصلي فجذبه يوسف واخرجه ، ثم تقدم وقرأ [إذا وقعت الواقعة] في اول ركعة ثم قرأ في الثانية [سأل سائل بعذاب واقع] ثم أقبل على الناس بوجهه فعرفهم نفسه وأخذ خالداً واصحابه فعذبهم أنواع العذاب وطالبهم بالمال فاجتمع جماعة دهاقين العراق ومياسير الناس فقالوا نحن نتحمل هذا المال عنه ونؤديه ﴿ فيقال ﴾ إن يوسف قبل ذلك منهم فلما حملوا اليه المال طالب خالداً وأخذ خالداً فالبسه جبة

صوف وجمع يده الى عنقه ثم أتى به اليه وهو جالس على دكان فجذبه حتى سقط لوجهه فقال بعض من حضر ﴿ رأيت خالداً وقد فعل مثل هذا بعمر بن هبيرة الفزاري لما عزله عن العراق فمن ولي شيئاً فليحسن ﴾

وخوّف يوسف خالداً وعماله ووظف عليهم الأموال وعذبهم حتى مات اكثرهم في يده ، فوظف على أبان بن الوليد البجلي عشرة آلاف الف ، ووظف على طارق ابن ابي زياد عامل فارس عشرين الف الف ، ووظف على الزبير عامل اصبهان والري وقومس عشرين الف الف درهم ، وعلى غيرهم ما دون ذلك فاستخرج اكثر المال ، وكان بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الأشعري عامل خالد على البصرة فهرب من سجن يوسف ولحق بهشام ، فكتب فيه يوسف الى هشام فأشخصه اليه فعذبه حتى قتله وجعل داره بالكوفة سجناً واستصفى داره بالبصرة .

ولما بلغ الحكم بن عوانة عامل السند ما فعل يوسف بعمال خالد أوغل في بلاد العدو وقال إما فتح يرضى به يوسف وإما شهادة أستريح بها منه ، فلقي العدو فلم يزل يقاتل حتى قتل .

وقد كان استخلف على الخيل عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي ، ولما قتل الحكم ابن عوانة بارض السند تنازع خلافته عمرو بن محمد الثقفي وابن عرار ، فكتب الى يوسف بن عمر فكتب بذلك الى هشام فكتب اليه هشام ﴿ إن كان عمرو بن محمد قد اكتهل فوله ﴾ فمال يوسف بالثقفية الى عمرو فولاه وارسل بعهده اليه فاخذ ابن عرار فحبسه وقيده ، وبنى عمرو بن محمد بن القاسم مدينة دون البحيرة سماها (المنصورة) ونزلها في منزل الولاة ، وكاب العدو وملكوا ملكاً ثم زحفوا الى المنصورة فحصروها فكتب عمرو الى يوسف فوجه اليه باربعة آلاف فانصرف عنه الملك وفوض أمره فتجهز للعدو وجعل على مقدمته معن بن زائدة الشيباني ، وكبس عسكر ذلك الملك ليلاً ، وصبر أصحابه فقتل من العدو خلقاً عظيماً ، وأشرف ذلك الملك فمرّ به قوم

من أصحابه ولم يعرفه المسلمون فلما رأوه قالوا ﴿ الراه الراه ﴾ أي الملك — فاستفدوه ومرَّ هارباً هو واصحابه لا يلوي على شيء ، واستقامت البلاد لعمرو ، وكان معه في عسكره مروان بن يزيد بن المهلب فوثب في جماعة من القواد ما يلوه على ذلك حتى انتهب متاعه وأخذ دوابه ، فخرج اليه عمرو ومعه معن بن زائدة وعطية بن عبد الرحمان فهزمه وفرق أصحابه ، وهرب مروان فنادى عمرو : الناس كلهم آمنون إلا ابن المهلب فدل عليه فقتله .

فاقدم هشام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فقال ابن يوسف بن عمر الثقفي كتب يذكر أن خالد بن عبد الله القسري ذكر له أن عندك ستمائة الف درهم وديعة فقال ما لخالد عندي شيء ﴿ قال ﴾ فلابد من أن تشخص الى يوسف بن عمر حتى يجمع بينك وبين خالد ﴿ قال ﴾ لا توجه بي الى عبد ثقيف يتلاعب بي ﴿ قال ﴾ لا بد من إنخاصك اليه فكلمه زيد بكلام كثير ﴿ فقال له ﴾ هشام لقد بلغني أنك تؤهل نفسك للخلافة وانت ابن امة ﴿ قال ﴾ ويلك مكان أمي يضعني ؟ والله لقد كان اسحاق ابن حرة واسماعيل ابن امة فاختص الله عز وجل ولد اسماعيل فجعل منهم العرب فما زال ذلك ينمى حتى كان منهم رسول الله ﴿ ص ﴾ ﴿ ثم قال ﴾ اتق الله يا هشام ﴿ فقال ﴾ أو مثلك يأمرني بتقوى الله ﴿ فقال ﴾ نعم إنه ليس أحد دون أن يأمر بها ولا أحد فوق أن يسمعها ، فأخرجه مع رسل من قبله فلما خرج قال والله إني لأعلم أنه ما أحب الحياة قط أحد إلا ذل .

وكتب هشام الى يوسف بن عمر ﴿ إذا قدم عليك زيد بن علي فاجمع بينه وبين خالد ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة فاني رأيته رجلاً حلو اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام وأهل العراق أسرع شيء الى مثله ﴾ فلما قدم زيد الكوفة دخل الى يوسف ﴿ فقال ﴾ لم أشخصتني من عند امير المؤمنين [قال] ذكر خالد بن عبدالله أن له عندك ستمائة الف درهم (قال) فاحضر خالداً فأحضره وعليه حديد ثقيل

﴿ فقال له يوسف ﴾ هذا زيد بن علي فاذكر مالك عنده [فقال] والله الذي لا إله إلا هو مالي عنده قليل ولا كثير ولا أردتم باحضاره إلا ظلمه ، فأقبل يوسف على زيد وقال له إن أمير المؤمنين أمرني أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك ، قال فاستريح ثلاثاً ثم أخرج ؛ قال ما الى ذلك سبيل ؛ قال فيومي هذا ، قال ولا ساعة واحدة فأخرجه مع رسل من قبله فتمثل عند خروجه بهذه الأبيات :

منخرق الخفين يشكو الوجى * تنكبه أطراف مَرو حداد (١)
شرّده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حرّ الجلاد
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

فلما صار رسل يوسف بالعذيب انصرفوا وانكفأ زيد راجعاً الى الكوفة فاجتمع اليه من بها من الشيعة وبلغ يوسف بن عمر فوثب بينهم وكانت بينهم ملحمة ، ثم قتل زيد بن علي وحمل على حمار فأدخل الكوفة ونصب رأسه على قصبة ثم جمع فأحرق وذري نصفه في الفرات ونصفه في الزرع ، وقال والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم ، وكان مقتل زيد سنة ١٢١ .

ولما قتل زيد وكان من أمره ما كان تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ويميل معهم وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية وما نالوا من آل رسول الله

(١) هي من أبيات سبعة أوردها ابو الفرج الاصبهاني في (مقاتل الطالبيين) ﴿ ويروى ﴾ عجز البيت الأول (تنكبه أطراف القنا والحداد) والمعروف أن عيسى ابن زيد تمثل بها لا زيد فان الذي يذكره المؤرخون أن محمد المهدي العباسي دخل بعض المواضع بحلوان فوجد مكتوباً على الحائط هذه الأبيات فبكى بكاءً شديداً ووقع تحت كل بيت (انت آمن) فقيل له أتعرف من كتب هذه الأبيات يا أمير المؤمنين قال نعم ومن يكتبها غير عيسى بن زيد ، ووددت أنه ظهر لي فاعطيه جميع ما يروم ، أنظر مقاتل الطالبيين بترجمة عيسى بن زيد بن علي عليه السلام . (م . ص)

صلى الله عليه وآله وسلم حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر وظهرت الدعاة ورئيت الشامات وتدورست كتب الملاحم .

وهرب يحيي بن زيد إلى خراسان فصار إلى بلخ فأقام بها متواريا و كتب يوسف الى هشام بحاله فكتب الى نصر بن سيار بسببه ، فوجه نصر جيشا الى بلخ عليهم هدبة ابن عامر السعدي فطالبوا يحيى حتى ظفروا به فاتوا به نصراً فحبسه في [قهند زمرو] وبلغ هشاماً اضطراب خراسان و كثرة من بهـا فكتب الى يوسف بن عمر ابعث إلي برجل له علم بخراسان ، فبعث اليه بعبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي فسأله عن أمر خراسان وأهلها ومن بها ممن يصلح أن يولاها فسمى له جماعة من قيس وربيعة ، فكان إذا سمى رجلاً من ربيعة قال إن ربيعة لا يسد بها الثغور فسمى نصر بن سيار الليثي فقال كأنه نصر وسيار ، فقال يا غلام اكتب عهده فكتب العهد وأمره أن يعاجل يوسف بن عمر ، وكان نصر بن سيار قبل ذلك تولى كورة من كور خراسان فعزل جعفر بن حنظلة وولي البلد .

وكان يوسف أخذ عمال خالد فحبسهم ، وكان ممن أخذ عيسى بن معقل العجلي وعاصم بن يونس العجلي ، وكان ابو مسلم — واسمه ابراهيم بن عثمان قبل أن يسميه محمد بن علي عبد الرحمان — يخدم عيسى بن معقل وقد سمعهم يتكلمون في دعوة بني هاشم حتى فهم الأمر ، وقد ارتحل سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب يريدون مكة فدخل السجن الى عيسى بن معقل وعاصم بن يونس فرأوا أبا مسلم يختلف اليهم ويذاكرهم هذا الأمر فأخرجوه معهم وأدخلوه الى محمد بن علي فكلمه وقال إني لأحسب هذا الغلام صاحبنا بل هو هو فاقبلوا قوله وانتهوا الى أمره واستوصوا به فانه صاحب الأمر لا شك فيه .

وبعض أهل العلم بالدولة يقول إن أبا مسلم لم يلحق محمد بن علي إنما لقي ابنه ابراهيم بن محمد بن علي .

وكان يزيد بن عبد الملك جعل ولاية العهد لابنه الوليد بن يزيد فكانت الملاحاة لا تزال تجري بينه وبين هشام فلم يجده في مجلسه ووجد فيه خاله ابراهيم بن هشام ابن اسماعيل المخزومي ، فقال له الوليد من الرجل متجاهلاً به ؛ فغضب ابن هشام فقال من لم يتم لجدك شرف إلا بمصاهرته ، قال وإنك لتقول هذا يابن اللخناء ؛ وتنازعا كلاماً قبيحاً وخرج هشام وقد سمع الكلام فامسكا ولم يقم اليه الوليد ، فقال له هشام كيف أنت يا وليد ؛ قال صالح ، قال ما فعلت طنابيرك ؛ قال مُعلقة ، قال ما فعل جلساؤك جلساء السوء ؛ قال عليهم لعنة الله إن كانوا شراً من جلسائك ؛ قال أقيموه فاخذ بيده وأقيم من مجلسه .

وكان هشام من أحزم بني أمية وأرجلهم ؛ وكان بخيلاً حسوداً فظاً غليظاً ظلوماً شديد القسوة بعيد الرحمة طويل اللسان ، وفشا الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب والبقر ، وكان الغالب عليه الأبرش بن الوليد الكلبي ، وصاحب شرطه كعب بن حامد العبسي ، وعلى حرسه الربيع بن زياد بن سابور ؛ وحاجبه الحريش مولاه ، وعمل الخز الرقم وغيره والوشي والأرمني وأصناف الثياب ، وكانت ولايته عشرين سنة إلا خمسة أشهر ، وتوفي يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . ومنع وكلاء الوليد بن يزيد من الخزائن فلم يوجد له كفن حتى كفنه خادم له ﴿ وقيل ﴾ بل كفنه الأبرش الكلبي فصلى عليه العباس بن الوليد ﴿ وقيل ﴾ بل الأبرش الكلبي . ودفن بالرصافة . وخلف من الولد عشرة : مسلمة . ويزيد . ومحمد . وعبدالله . وسليمان . ومروان . ومعاوية وسعيد . وعبد الرحمان . وقريش .

وأقام الحج للناس في ولايته سنة ١٠٥ ابراهيم بن هشام . سنة ١٠٦ هشام بن عبد الملك . سنة ١٠٧ ابراهيم بن هشام . وفي سني ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ ابراهيم ايضاً . سنة ١١٣ سليمان ابنه . ١١٤ خالد بن عبد الملك

ابن الحارث بن الحكم ، سنة ١١٥ محمد بن هشام بن اسماعيل ، ١١٦ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، سنة ١١٧ خالد بن عبد الملك بن الحارث « .. (١) .. » سنة ١١٩ ابو شاكر مسلمة بن هشام ، سنة ١٢٠ ، وسنة ١٢١ ، وسنة ١٢٢ محمد ابن هشام بن اسماعيل ، سنة ١٢٣ يزيد بن هشام ، سنة ١٢٤ محمد بن هشام ابن اسماعيل .

وغزا بالناس في ولايته ، سنة ١٠٦ غزا معاوية بن هشام ، وبعث بالوضاح صاحب الوضاحية فأحرق الزرع والقرى لأن الروم حرقوا المرعى ، وغزا الصائفة اليسرى سعيد بن عبد الملك ، وغزا الجراح بن عبد الله الحكمي اللان ، سنة ١٠٧ معاوية ايضاً ، سنة ١٠٨ مسلمة بن عبد الملك على الصائفة اليمنى ، وعاصم بن يزيد الهلالي على الصائفة اليسرى ، سنة ١٠٩ معاوية بن هشام ومعه البطال على مقدمته ففتح خنجرة ، وغزا مسلمة الترك فاخذ عليهم باب اللان ولقي خاقان ، سنة ١١١ معاوية بن هشام على الصائفة اليسرى ، وسعيد بن هشام على الصائفة اليمنى ، وسارت الترك الى آذربيجان فلقيهم الحارث بن عمرو الطائي فهزمهم ، سنة ١١٢ صار الترك الى أرض أردبيل فغزاهم الجراح بن عبد الله الحكمي فلقي ملك الترك فقتله ، وغزا معاوية بن هشام الروم فلم يمكنه دخول بلادهم فرابط بالعمق من ناحية مرعش ، سنة ١١٤ معاوية بن هشام ومسلمة بن عبد الملك ، سنة ١١٥ معاوية وسليمان ابنا هشام وعلى المقدمة عبد الله البطال فلقي قسطنطين فأسره وهزم الروم ، سنة ١١٦ معاوية ابن هشام ، سنة ١١٧ معاوية وسليمان ابنا هشام ، وغزا مروان بن محمد بلاد الترك « .. (٢) .. » مروان بن محمد ، ١٢١ مسلمة بن هشام بلغ ملطية . سنة ١٢٢

(١) بياض فى الأصل ، وقد سقط منه ذكر الذي حج بالناس سنة ١١٨ وذكر ابن الأثير في الكامل أن الذي حج بالناس فيها محمد بن هشام بن اسماعيل وكان أمير المدينة .

(٢) بياض في الأصل . وقد سقط منه ذكر من —

مروان بن محمد ناحية أرمينية . وسليمان بن هشام ناحية ملطية ، سنة ١٢٣ سليمان بن هشام الصائفة . ومروان بن محمد جيلان وموقان من أرض ارمينية . سنة ١٢٤ سليمان ابن هشام فلقي اليون طاغية الروم وارطياس . فانصرف ولم يكن بينهم حرب سنة ١٢٥ العمر بن يزيد بن عبد الملك .

وكان الفقهاء في أيامه : سالم بن عبد الله بن عمر . الهيثم بن محمد بن ابي بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري . محمد بن كعب القرظي . نافع مولى عبد الله بن عمر عاصم بن عمر بن قتادة . محمد بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . طاوس اليماني ربيعة بن ابي عبد الرحمان . عطاء بن ابي رباح . عمر بن دينار . عبد الله بن ابي نجيح حبيب بن ابي ثابت . عبد الملك بن ميسرة . ابو اسحاق السبيعي . القاسم بن عبد الرحمان . عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . سماك بن حرب الذهلي . الحكم ابن عينية الكندي . حماد بن ابي سليمان . ابو معشر زياد بن كليب . طلحة بن مصرف الهمداني . نعيم بن ابي هند الأشجعي . أشعث بن ابي الشعثاء . سعيد بن أسبوع . ابو حازم الأعرج . قتادة بن دعامة السدوسي . بكر بن عبد الله المزني أيوب السختياني . يزيد بن عبد الله الشخير . عبد الرحمان بن جبير . مكحول الدمشقي راشد بن سعد المقرئ . ميمون بن مهران . ابو قبيل المعافري . يزيد بن الأصم .

* *
*

— غزا بين سنة ١١٧ وسنة ١٢١ . وذكر ابن الأثير في الكامل أن الذي غزا أرض الروم سنة ١١٨ معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك . وفي سنة ١١٩ غزا الوليد بن القعقاع أرض الروم . ومروان بن محمد أرمينية فدخل بلاد اللان . وفي سنة ١٢٠ غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتح سندرة . وغزا اسحاق بن سلم العقيلي تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب أرضها . (م . ص)

أيام الوليد بن يزيد

وملك الوليد بن يزيد بن عبدالملك — وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي — وأتته الخلافة وهو بدمشق بعد وفاة هشام بعشرة أيام ، وكان ذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥ ، وكانت الشمس يومئذ في الدلو ستاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة ؛ والقمر في السنبلة خمس درجات وعشرين دقيقة ، والمريخ فى الجدي أربع درجات ، والزهرة فى الجدي ست عشرة درجة وخمساً وأربعين دقيقة وعطارد فى الحوت اثنتي عشرة درجة وعشر دقايق ؛ والرأس فى الدلو إحدى عشرة درجة وخمساً واربعين دقيقة ، وعزل الوليد عمال هشام وعذبهم انواع العذاب خلا يوسف بن عمر الثقفي عامل العراق ؛ وذلك أنه وجد فى ديوان هشام كتباً من العمال يقومون عزمه فى خلع الوليد إلا يوسف فانه أشار عليه أن لا يفعل فأقره على عمله وكتب اليه فى خالد بن عبد الله القسري فلم يزل يوسف يعذبه « .. (١) .. »

وعقد لابنه الحكم بولاية العهد بعده ، وولاه دمشق ، وعقد من بعده لعثمان ابنه ، وولاه حمص ، وضم اليه ربيعة بن عبد الرحمان الفقيه وجعله قائماً بامره .

وعزل ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي — خال هشام — عن المدينة ومكة والطائف ، وولى خاله يوسف بن محمد الثقفي المدينة ومكة ، وكان نصر بن سيار لما أخذ يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فى أيام هشام صار به الى مرو فحبسه فى ﴿ قهندز مرو ﴾ وكتب الى هشام يخبره فوافق ورود كتابه موت هشام فكتب اليه الوليد أن خل سبيله ﴿ وقيل ﴾ بل احتال يحيى بن زيد حتى هرب من الحبس

(١) بياض فى الأصل ؛ وقد ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ١٢٦ وهي سنة قتل خالد — أنه لم يزل يوسف بن عمر يعذب خالداً عذاباً كثيراً وكتب هشام الى يوسف يأمره باطلاقه فى شوال سنة إحدى وعشرين فاطلقه (الخ) حتى قتله فى المحرم سنة ١٢٦ .

(م ٠ ص)

وصار الى بيهق من أرض أبر شهر فاجتمع اليه قوم من الشيعة فقالوا حتى متى نرضون بالذلة ، واجتمع معه نحو مائة وعشرين رجلاً فرجع حتى صار الى نيسابور فخرج اليه عمرو بن زرارة القسري وهو عامل نيسابور فقاتل يحيى فظهر يحيى عليه فهزمه وأصحابه وأخذوا أسلحتهم ثم اتبعوهم حتى لحقوا عمرو بن زرارة فقتلوه ، وسار يحيى يريد بلخ فوجه اليه نصر بن سيار سلم بن أحوز الهلالي فسار سلم حتى صار الى سرخس وسار يحيى حتى صار الى باذغيس وسبق الى مرو الروذ فلما بلغ نصراً ذلك سار اليه في جموعه فلقيه بالجوزجان فحاربه محاربة شديدة فأتت نشابة فوقعت فى يحيى وبادر القوم فاحتزوا رأسه وقاتل أصحابه بعده حتى قتلوا عن آخرهم .

وقدم فى هذه السنة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب — وهم رؤساء دعاة بني هاشم — على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس باموال وهدايا ومعهم أبو مسلم فقال لهم محمد لن تلقوني بعد وقتي هذا وأنا ميت فى سنتي هذه ؛ وكان ذلك فى أول سنة ١٢٥ وصاحبكم ابني ابراهيم مقتول فاذا قضى الله فيه قضاءه فصاحبكم عبد الله ابن الحارثية فانه القائم بهذا الأمر وصاحب هذه الدعوة الذي يؤتيه الله الملك ؛ ويكون على يده هلاك بني أمية وأخرجه اليهم حتى رأوه وقبلوا يديه ورجليه وقال لهم إن عبد الرحمان صاحبكم — يعني أبا مسلم — فاسمعوا له وأطيعوا فانه القائم بهذه الدولة ، وتوفي محمد بن علي فى آخر سنة ١٢٥ وهو ابن سبع وستين سنة فلما بلغ القوم وفاة محمد بن علي قدموا على ابراهيم بابي مسلم وأعلمه أنه صاحب أمرهم وأمره عليهم ؛ ثم قال لقحطبة بن شبيب وانت والله الذي تلقى نباتة بن حنظلة وعامر بن ضبارة فتهزمهما وتقاتل عساكرهما ويفتح الله لك حتى تصير الى الفرات لا ترد لك راية فخرجوا الى خراسان وقد وقعت العصبية بين مضر واليمن وذلك إن نصر بن سيار تحامل على اليمن وربيعة وقدم المضرية فوثب به جُديع بن علي الكرماني الأزدي — وكان رئيس الأزد يومئذ ورجاهم — وقال له لا ندعك وفعلك ومالت معه اليمانية

وربيعة فأخذه نصر فحبسه فأتت اليمن وربيعة حتى أخرجوه من محبسه كنيف ثم اجتمعوا عليه ورام نصر أن يخدعه فيصير اليه فلم يفعل شيئاً ، وكان في نصر بعض الخرق فلما علم أن اليمن وربيعة قد اجتمع رأيها معه على نصر بن سيار وثب به فحاربه وكان له العلو على نصر ؛ فمال ابو مسلم الى الكرماني فقال له ادع الى آل محمد وجعل يمايل أصحابه ويدعوهم الى ذلك حتى أظهروا دعوة بني هاشم بخراسان .

وكان عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي ويزيد بن عرار — لما قتل الحكم بن عوانة عامل السند — تنازعا خلافته فكتب هشام الى يوسف بن عمر في ذلك فمال يوسف بالثقفية الى عمرو بن محمد بن القاسم فولاه فلما ولي الوليد عزل عمرو بن محمد بن القاسم عن السند وولى يزيد بن عرار فغزا ثماني عشرة غزاة وكان ميمون النقيبة .

واضطربت البلدان كلها ، وكان الوليد مهملاً لأمره قليل العناية باطرافه ، وكان صاحب ملاهي وقيان وإظهار للقتل والجور ، وتشاغل عن أمور الناس بشرب ومجون فبلغ من مجونه انه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو ووجه مهندساً لذلك فلما ظهر هذا منه — مع قتله خالد بن عبد الله القسري ، وتعذيبه ابراهيم ومحمد ابني هشام حتى ماتا ، واستذمامه الى الناس والى أهل بيته ومن كان في ناحيتهم من العرب — استمال يزيد بن الوليد بن عبد الملك جماعة من أهل بيته فمايلوه على خلع الوليد وشايعه على ذلك بنو خالد بن عبد الله القسري وجماعة من اليمانية الى البيعة ليزيد ابن الوليد بن عبد الملك ، واجتمع اليه جماعة ، وخرج مولى للوليد فعرفه الخبر فضربه مائة سوط وزحف اليه يزيد بن الوليد رويداً رويداً الى قرية تعرف بالبخراء فنزل قصراً بها بعساكره يتلو بعضها بعضاً فقاتلوه فقاتلهم حتى قتل فابتدره الناس بأسيافهم فاحتزوا رأسه وقطعوا يده فنصب رأسه بدمشق ، وكان قتله لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ، وكان على شرطه عبد الرحمن بن حميد الكلبي ؛ وعلى حرسه قطري مولاه ، وحاجبه قطن مولاه

وخلف من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً : عثمان ، ويزيد ، والحكم ، والعباس وفهر ، ولؤي ، والعـاص ، وموسى ، وقصي ، وواصل ، وذؤابة ، وفتح والوليد ؛ وسعيد .

أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك

وملك يزيد بن الوليد بن عبدالملك — وأمه شاه فرند بنت فيروز بن كسرى — مستهل رجب سنة ١٢٦ بعد قتل الوليد بخمس ؛ وكانت الشمس يومئذ في الحمل إحدى عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والقمر في الحوت عشرين درجة ، وزحل في السنبلة عشرين درجة ، والمشتري في الجوزاء ثلاث درج وخمسين دقيقة ؛ والمريخ في الجوزاء خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والزهرة في الجدي عشر درجات وعطارد في الحمل احدى وعشرين درجه وثلاثين دقيقة .

ونقص الناس من عطائهم فسمي يزيد الناقص ، واضطربت البلدان فكان ممن خرج عليه العباس بن الوليد بحمص وشايعه أهل حمص ، وبشر بن الوليد بقنسرين وعمر بن الوليد بالأردن ، ويزيد بن سليمان بفلسطين ، وساعد العباس ابو محمد بن عبدالله ابن يزيد بن معاوية ؛ وسليمان بن هشام .

وبايع لأخيه ابراهيم بن الوليد بولاية العهد من بعد ثلاثة أيام من ولايته ووجهه الى الأردن وقد امروا عليهم محمد بن عبد الملك فوافقوه فارسل اليهم عبد الرحمان بن مصاد يقول لهم علامَ تقتلون أنفسكم اقبلوا الينا نجمع لكم الدنيا والآخرة وأنا اضمن لكل رجل منكم الف دينار ، فافترقوا ، وكانت ولايته خمسة أشهر والفتنة في جميع الدنيا عامة حتى قتل أهل مصر أميرهم حفص بن الوليد الحضرمي ؛ وقتل أهل حمص عاملهم عبد الله بن شجرة الكندي ؛ وأخرج أهل المدينة عاملهم عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وغلب على أمره يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، وكان على شرطه يزيد ابن الشماخ اللخمي ، وعلى حرسه غلام مولاه ؛ وحاجبه جبير مولاه ؛ وكان في

بيت مال الوليد يوم قتل سبعة وأربعون الف الف دينار ففرقها يزيد عن آخرها ؛ وكان قدرياً ، وتوفي لانسلاخ ذي القعدة ، وصلى عليه ابراهيم بن الوليد ، ودفن بدمشق ﴿ وقيل ﴾ إن أخاه ابراهيم سقاه السم .

وأقام الحج في تلك السنة وهي سنة ١٢٦ عمر بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ﴿ وقيل ﴾ « ... (١) ... » بن الحجاج بن عبد الملك « ... (١) ... » ووثب ثابت بن نُعيم الجذامي على مروان وهو بارمينية فظفر به مروان فمنّ عليه وانصرف مروان من ارمينية واستخلف عليها عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي واستخلف على ﴿ الباب والأبواب ﴾ اسحاق بن مسلم العقيلي ثم جمع أرمينية لاسحاق ابن مسلم العقيلي .

أيام ابراهيم بن الوليد

ثم ملك إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان — وأمه أم ولد يقال لها سعاد — في اليوم الذي توفي فيه يزيد بن الوليد ، فأقام أربعة أشهر ، وقدم مروان ابن محمد بن مروان من أرمينية خالعاً له فلما صار بحران دعا إلى نفسه فبايع أهل الجزيرة سراً ؛ وأقبل في جموع من أهل الجزيرة فلقي بشراً ومسروراً ابني الوليد بن عبد الملك معسكرين بحلب فهزم عسكريهما وأسرهما ، ثم مضى حتى أتى حمص وعليها عبد العزيز وبلغ ابراهيم الخبر فوجه اليه سليمان بن هشام بن عبد الملك فلقي مروان ومن معه من أهل الجزيرة وقنسرين وحمص فالتقوا بعين الجرّ من عمل دمشق فتناوشوا القتال يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر سنة ١٢٧ وانصرف بعضهم عن بعض فلما كان من الغد انهزم

(١) بياض في الأصل وفيه سقط ولعله ، وقيل ﴿ عبد العزيز وأمر يزيد بالبيعة لعبد العزيز (بن الحجاج بن عبد الملك) بعد ابراهيم بن الوليد لأن يزيد لما مرض قيل له ليبايع لهما ولم تزل القدرية بيزيد حتى أمر بالبيعة لهما ﴾ أنظر تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ١٢٦ . (م . ص)

سليمان بن هشام وأصحابه فلحقوا بابراهيم ، وأقبل مروان حتى نزل دير العالية فبايع له أهل دمشق ودخلها فخلع ابراهيم نفسه وبايع لمروان يوم الاثنين للنصف من صفر سنة ١٢٧ . ولم يزل مع مروان حتى غرق بالزاب في وقعة عبد الله بن علي .

أيام مروان بن محمد بن مروان

ودعوة بني العباس

وملك مروان بن محمد بن مروان — وأمه أم ولد يقال ريا — في صفر سنة ١٢٧ وبايع له من بدمشق من بني أمية وغيرهم . وكتب الى عمال البلدان فاتته كتبهم بالسمع والطاعة والانقياد . وأتاه الخبر أن أهل حمص مقيمون على المعصية فسار اليهم واستخلف بدمشق عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فحاصرهم حتى فتح المدينة وهرب منه السمط ابن ثابت بن الأصبغ بن ذوالة وأسر معاوية بن عبد الله السكسكي . وأتاه الخبر أن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري قتل يوسف بن عمر الثقفي وكان يوسف محبوساً فلما رأى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك اضطراب أمر مروان بن محمد أمر يزيد بن خالد ابن عبد الله القسري بالمضي الى السجن وأمره أن يقتل يوسف بن عمر ويقتل عثمان والحكم ابني الوليد بن يزيد ففعل ذلك . وأراد مروان أن يرجع فاتاه الخبر أن الضحاك بن قيس الحروري قد غلب على ناحية العراق وحارب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وأنه قد صار الى الجزيرة وجاز الموصل فصار الى نصيبين وبها عبد الله بن مروان فحاصره وكان عامل اسحاق بن مسلم بالباب والأبواب (١) رجلاً يقال له « مسافر » وكان يرى رأي الخوارج . فكتب اليه الضحاك بعهده على ارمينية وكان أهلها قتلوا عاصم ابن عبد الله بن يزيد الهلالي عامل ارمينية فتوجه اليها وصار مروان الى حران فابتنى بها

(١) الباب والأبواب . ويقال له باب الأبواب . والباب غير مضاف هو الدربند ، دربند شروان . (معجم البلدان)

منزله في موضع يقال له ﴿ دباب البين ﴾ وبلغ الضحاك خبره فأقبل نحوه فمر بالموصل فحصرها ثم كره أن يطول الأمر به فنفذ الى نصيبين فحصرها ثم نفذ الى حران حتى واقف مروان فحاربه محاربة شديدة وظفر الضحاك به مراراً حتى عزله عن سريره وجلس عليه ، ثم قتل الضحاك سنة ١٢٧ وافترق الخوارج فرقاً .

وصار سليمان بن هشام بن عبد الملك ومن هرب من اليمانية من اصحاب يزيد بن خالد ابن عبد الله معهم وسار سليمان بن هشام بن عبد الملك يريد الشأم فلقيه مروان بخساف فهزمه ومضى سليمان وأصحاب الضحاك عليهم الخيبري فسار في عسكر عظيم فلقي مروان فقتله مروان فولت الخوارج أمرها أبالدلفاء الشيباني فرجع باصحابه الى الموصل واتبعه مروان فقاتله شهراً ثم انهزم ابو الدلفاء فوجه مروان خلفه عامر بن ضبارة المري فصار ابو الدلفاء الى عمان فقتل ، قتله الجلندي بن مسعود الأزدي فخرج ابو عبيدة خليفة الضحاك الى الكوفة فولى مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري العراق فقدمها سنة ١٢٨ فقتل خليفة الضحاك وخرج ثابت بن نعيم الجذامي بناحية الأردن فوجه اليه مروان بالدماجن بن عبد العزيز ، وولى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك المدينة ومكة وقدم مكة ليقيم الحج ووافت الحرورية ومعهم ابو حمزة المختار بن عوف الحروري الأزدي حتى وقفوا على جبال عرفات وكان ابو حمزة من قبل عبد الله بن يحيى الكندى الذى يسمى ﴿ طالب الحق ﴾ فلما وقفوا بعرفات أرعبو الناس وأخافوهم فأرسل اليهم عبد الواحد يعظم عليهم البلد الحرام والأيام العظام ويوم الحج الأكبر فوادعوهم يوم عرفة واربعة أيام وصاروا الى منى فعسكروا ناحية منها فلما انصرفوا لحق عبد الواحد المدينة فدعا الناس الى الديوان ووجه بالجيش وعليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان بقديد في صفر سنة ١٣٠ فقتل عبد العزيز ومن معه من أهل المدينة ، واتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا عليهم الحرورية ، وقدمت الحرورية المدينة لعشر بقين من صفر ؛ وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وغلب ابو حمزة على المدينة

وخطبهم خطبة مشهورة ، وكان أهل المدينة يصلون خلفه ويعيدون الصلاة ثم ساروا يريدون الشام ولقيهم خيل لمروان عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فاوقعوا بهم بوادى القرى فزحف الحرورية منهزمين الى المدينة فخرج اليهم أهل المدينة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ووافاهم ابن عطية فانهزموا فاتبعهم الى مكة ثم اتبعهم الى اليمن حتى قتل عبد الله بن يحيى ودنوا من صعدة فقتل فيهم حتى وطئ الناس عليهم ثم دخلوا صنعاء فاتاه كتاب مروان بتولية الموسم فخرج فلما صار في بعض الطريق توفي في عسكره وأراد مروان أن ينفذ الى العراق فأتاه خبر أهل حمص أنهم عصوا فصار اليهم فوضع عليها المنجنيق حتى هدم سورها فطلبوا الأمان فآمنهم إلا ثلاثة نفر لم يؤمنهم وقتلهم .

وكان منصور بن جمهور — لما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة العراق — هرب حتى أتى السند وكان ابن عرار عامل السند قرابة له فصار خلف النهر وأرسل اليه ابن عرار أن لا تبرح مكانك فرد عليه إنما أردت المقام قبلك فلا وصل الله رحمك ولا قرب قربك وستعلم بعد ، ثم عمل المراكب بسدوسان وحملها على الابل حتى ألقاها في مهران ثم لقي ابن عرار فحاربه حتى هزمه الى المنصورة ، وحصره منصور بن جمهور فطلب ابن عرار الأمان فقال لا أعطيك الأمان إلا حكمي فنزل على حكمه فأمر فبنيت عليه أسطوانة وهو حي ، وأقام منصور بالمنصورة وبعث أخاه منظوراً الى قندابيل والديبل ولم يزل منصور مقيماً بالسند حتى ظهر أبو مسلم بخراسان ووجه ابو مسلم برجل يقال له ﴿ المغلس ﴾ من أهل سجستان الى السند فلما اظلهم وثب أصحاب منظور اخي منصور ابن جمهور فقتلوه وكتبوا الى مغلس فأتاهم فلقيه منصور بن جمهور فقاتله فهزمه وأسر مغلس فاتى به منصوراً فقتله وقتل اكثر قتلة أخيه .

واشتدت شوكة الكرماني بخراسان ودامت الحرب بينه وبين نصر بن سيار وظهر الكرماني على نصر بن سيار ، وكان ابو مسلم الخراساني الغالب على أمر الكرماني ﴿ فحدثني ﴾ جماعة من أشياخنا أن أبا مسلم كان يقول إذا التقى الكرماني ونصر بن

سيار للقتال ﴿ اللهم أفرغ عليهما الصبر وأنزع عنهما النصر ﴾ وطعن الكرماني فقتل وصلبه نصر ، وغلب ابو مسلم على عسكره وظهر أمره واستكثف جمعه وجاد نصر بن سيار القتال حتى فله مراراً وأظهر دعوة بني هاشم ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٢٩ ووثب سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز فوجه اليه يزيد بن عمر بن هبيرة نباتة ابن حنظلة الكلابي فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم سليمان فلحق بفارس فوجه يزيد بن عمر عامر بن ضبارة المري الى فارس ، وضعف أمر نصر بن سيار بخراسان ، وقوي أمر ابي مسلم فكتب نصر الى مروان يصف له حاله وضعف من معه وقوة ابي مسلم وظهوره وكتب في آخر كتابه .

أرى بين الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تورى * وإن الفعل يقدمه الكلام
أقول من التعجب ليت شعري * أ أيقاظ أمية أم نيام

فكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة عامله على العراق أن يمد نصر بن سيار بالرجال فتقاعد يزيد ، ثم تابع مروان الكتب اليه بالوعيد فوجه بابنه داود بن يزيد في جيش عظيم فيه عامر بن ضبارة المري والجويرية بن اسماعيل ونباتة بن حنظلة الكلابي وكان داود بن يزيد بن عمر حدث السن فكتب مروان الى ابن هبيرة ينكر عقده لابنه داود لحداثة سنه ويأمره أن ينفذ اليه من يحل لواءه ويعقد لعامر بن ضبارة المري على الجيش ففعل ابن هبيرة ذلك ونفذ الجيش وعلى المقدمة نباتة بن حنظلة الكلابي .

وطلب مروان ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس لما بلغه أن دعوة ابي مسلم له وأنه الذي يؤهل لهذا الأمر ﴿ فحدث ﴾ عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال كنت مع ابي جعفر عبدالله بن محمد بالحميمة ومعه ابناه جعفر ومحمد وهما صبيان فانا أداعبهما وألاعبهما ، فقال لي أي شيء نصنع بهذين الصبيين أما ترى مانحن فيه فنظرت فاذا رسل مروان تطلب ابراهيم بن محمد فقلت دعني أخرج فقال تخرج من بيتي وانت ابن عمار

ابن ياسر ، قال فأخذوا بأبواب المسجد وأشير لهم الى ابراهيم ليأخذوه وقد كان وُصف لهم بصفة ابي العباس ، وابو العباس الموصوف بقتلهم ، فلما أتي به إلى مروان قال ليس هذه الصفة ، فقال الرسول قد والله رأيت الصفة ولكن قلت ابراهيم بن محمد وهذا ابراهيم بن محمد فردهم فى طلب ابي العباس فوجدوه قد تغيب فأمر مروان بابراهيم فغطي وجهه بقطيفة حتى مات ﴿ وقيل ﴾ بل أدخل رأسه فى جراب نورة حتى مات وفيه يقول ابن هرمة :

وكنت أحسبني جَلداً فضعفني * قبر بحرّان فيه عصمة الدين
فيه الإمام الذي عمت مصيبته * وعيَّلت كل ذي مال ومسكين

وأظهر ابو مسلم الدعوة لبني هاشم وطلب نصر بن سيار منه المتاركة وسأله الموادعة فوجه اليه لاهز بن قريظ فى جماعة من أصحابه — وكان لاهز بن قريظ أحد النقباء — فأمره أن يحضر ليبايع فدخل لاهز عليه فقال أجب الأمير ثم تلا ﴿ إن الملاء يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾ فقال نصر أدخل الى بستاني واخرج إليكم فدخل الى بستان له فركب دوابه ومضى هارباً فمات بقرية يقال لها (ساوة) وأخذ ابو مسلم لاهز بن قريظ فضرب عنقه ؛ وقدم الى نيسابور فى شهر رمضان اوشوال ووجه عماله .

فاستعمل سباع بن معمر الأزدى على سمرقند ، واستعمل أبا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان ، وجعل أبا نصر مالك بن الهيثم الخزاعي على شرطه ، ووجه محمد بن الأشعث الخزاعي الطبسين وفارس ؛ ووجه الحسن بن قحطبة على مقدمته ؛ ثم قدم قحطبة بن شبيب ومعه عهد ابراهيم بن محمد بن علي وسيرة يعمل عليها فأمضى ابو مسلم له ذلك ووجهه لقتال جند بني أمية ، فسار قحطبة حتى أتى جرجان فلقي نباتة بن حنظلة فنشبت الحرب فقتل نباتة وهزم جنده واحتوى على ما في عسكره وصير الغنائم الى خالد ابن برمك فقسمها بين أصحابه ، وأقام قحطبة الى غرة المحرم سنة ١٣١ ، ثم وجه بابنه

الحسن بن قحطبة الى قومس على مقدمته ولحقه فتوجه من الري الى همذان ، ووجه العكي الى قم واصفهان ، وسار قحطبة حتى صار اليها وفيها عامر بن ضبارة المري فارسل اليه يدعوه الى بيعة آل محمد فأرسل اليه ابن ضبارة يا علوج أما والله إني لأرجو أن أقرنكم في الحبال ، وكان في أربعين الفاً من أهل الشام ، فواقعه قحطبة فقتله وقتل من كان معه من أصحابه فلم ينج منهم إلا القليل فهربوا الى ابن هبيرة وهو إذ ذاك بجلولاء ، وصار قحطبة الى نهاوند وبها أدهم بن محرز الباهلي في جماعة ممن ضوى اليه فحصرها قحطبة ثلاثة أشهر حتى أفنى اكثرهم ثم فتحها ، وسار الى حلوان وكان قحطبة يقول ﴿ ما من شيء فعلته إلا وقد خبرني به الامام إلا أنه أعلمني أن لا أعبر الفرات ﴾ ووجه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الى شهر زور فلقي عثمان بن زياد فهزمه واستباح عسكره ﴿ قال حميد بن قحطبة ﴾ حدثني ابي قال دخلت مسجد الكوفة أيام بني أمية وعلي فرو غليظ فجلست الى حلقة وشيخ في صدر القوم يحدثهم فذكر أيام بني أمية وذكر السواد ومن يلبسه فقال يكون ويكون ويخرج رجل يقال له قحطبة كأنه هذا الأعرابي — وأشار إلي — ولو أشاء أن أقول هو هو لقلت ﴿ قال قحطبة ﴾ فخفت على نفسي فتنحيت ناحية فلما انصرف كلمته فقال لو شئت أن أقول أنك أنت هو لقلت ، فسألت عنه فقيل لي هو جابر بن يزيد الجعفي .

وكان ابن هبيرة بواسط العراق فتحصن بها وأدخل الطعام والأنزال وانصرف اليها فلال العساكر ، وقدم قحطبة العراق فوافى به عسكراً ليزيد بن هبيرة فاستباحه وصار الى الزاب — وهو من الفلوجة العليا على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة فلقي يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الخميس لسبع خلون من المحرم سنة ١٣٢ فاقتتلوا ساعة من الليل ثم انهزم ابن هبيرة حتى رجع الى واسط فتحصن بها فلما فرغ قحطبة من قتاله قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي [ص] ثم قال ﴿ أيها الناس إنا والله ما خرجنا إلا لاقامة الحق وإزالة دولة الباطل وقد أعلمتكم أن الامام محمد بن علي

ابن عبد الله بن عباس أعلمني أن التقى نباتة بن حنظلة الكلابي وعامر بن ضبارة المري فأهزمهما واستبيح عسكرهما وأقتل مقاتلتهما وانبأتكم بذلك قبل كونه وقد رأيتم صدق ما خبرتكم وأن الامام أعلمني أن لا أعبر الفرات وأنكم تعبرونه فلا يفقد من الجيش احد غيري وإنه والله لا كذب فيما قال فاذا فقدتموني فأمير الناس حميد بن قحطبة والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ﴾

فلما كان السحر عبروا الفرات وكان في أيام المد وكثرة الماء فلما أصبحوا فقدوا قحطبة فلم يعرفوا له خبراً فقالوا غرق وقالوا سقط عليه جرف وقالوا غار به فرسه .

وكان ابو مسلم قد كتب اليه (. . . .) من الكوفة اني قد أعددت لك من المنازل ، فكتب اليه قحطبة ايها الوزير لئن لقيتك إذاً لبني أمية بعد لبقاء ، وانهزم ابن هبيرة بعد أن غرق قحطبة ، فلما بلغ مروان الخبر قال هذا والله الادبار وإلا فمن سمع بميت يهزم حياً ، وسار حميد بن قحطبة حتى دخل الكوفة بعد ما فقد قحطبة باربع ليال ، وقد أخذ محمد بن عبد الله القسري الكوفة لبني هاشم وأظهر دعوتهم وشرد من كان بها من بني أمية وأصحابهم ؛ وأظهر السواد ؛ وغلب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب على البصرة وسود ، ودعا الى بني هاشم ابوسلمة حفص بن سليمان الخلال واستعمل العمال ، ووجه الحسن بن قحطبة الى ابن هبيرة وأتبعه بمالك بن الهيثم وأمرهما أن يحاصرا ، وأناخ الحسن على المدينة الغربية ومالك على الشرقية ، ووجه هشام بن ابراهيم مولى بني ليث الى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وكان عامل أخيه على الأهواز فقاتله حتى فض جمعه ثم انهزم عبد الواحد بن عمر بن هبيرة فلحق بمسلم بن قتيبة الباهلي وهو عامل يزيد بن عمر على البصرة .

وقدم ابو العباس وإخوته وأهل بيته الكوفة في المحرم سنة ١٣٢ فصيرهم أبوسلمة في دار الوليد بن سعد في بني أود وكتم أمرهم فلم يطلع على خبرهم أحد فاقاموا في تلك

الدار شهرين حتى لقي ابو حميد غلاماً لهم فسأله عنهم فأخبره بسوء ضعفهم فصار اليهم وهم في سرداب فقال أيكم عبدالله بن محمد ابن الحارثية فاشير له الى ابي العباس فسلم عليه بالخلافة فمضى فاحضر اصحابه وأخرج أبا العباس وبايع الناس له فلما بلغ أبا سلمة الخبر جاءهم ركضاً حتى لحقهم فقال له عجلتم وأرجو أن يكون خيراً ، وصار ابو العباس الى المسجد فخطب وصلى ، ووجه ابو العباس عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس لقتال مروان فلقيه بالزاب بالقرب من الموصل وإنما كان قصد مروان الى الزاب لأن بني أمية كانت تروي في ملاحمها أن المسوّدة لا يجوز سلطانهم الزاب فكانوا يتوهمون أنه زاب الموصل فقصده مروان وهو يرى أنه لا يجوزه وإنما ذلك زاب باقاصي المغرب فحاربه عبد الله بن علي فهزمه ثم لم يزل في أثره وهو منهزم لا يلوي على شيء حتى أخرجه الى الجزيرة ثم أخرجه من الجزيرة الى الشام فجعل لا يمر بجند من أجناد الشام إلا انتهبوه حتى صار الى دمشق وهو مضمر أن يتحصن بها فانتهبه أهل دمشق ووثب عليه من بها من قيس ، فدخلها عبد الله بن علي عنوة وقتل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك خليفة مروان بها ومضى مروان الى فلسطين هارباً فلحقه عبد الله بن عبد الملك فأسره عبد الله بن علي وأسر معه عبد الله بن يزيد بن عبد الملك فوجه بهما الى أبي العباس فصلبهما بالحيرة ، وقدم صالح بن علي عاملاً على مصر وقد هرب مروان اليها فاتبعه فالجأه الى قرية بوصير من كورة أشمون من الصعيد فلم يزل موافقاً له والحرب بينهما ، ثم أرسل اليه مروان متى ظفرت بهذا الأمر فأوصيك بالحرم خيراً ، فأرسل اليه صالح يا جاهل إن الحق لنا عليك في نفسك ولك علينا في حرمك ، وانصرف عبد الله بن علي راجعاً الى دمشق وصالح في قتال مروان ثم قتل مروان في المعركة وصاحب الجيش عمر بن اسماعيل الحارثي ؛ وكانت مدة مروان في ولايته الى أن قتل خمس سنين ، وقتل في ذي الحجة سنة ١٣٢ وهو ابن اربع وستين سنه ﴿ وقيل ﴾ ثمان وستين سنة ؛ وحز رأسه فلما قور جاءه هر فأخذ لسانه وحمل الرأس الى

أبي العباس فلما وضع بين يديه قال أيكم يعرف هذا فقال سعيد بن عمرو بن جعدة هذا رأس مروان بن محمد بن مروان بن الحكم خليفتنا بالأمس ، فأنكر الناس ذلك عليه ، فقال ابو العباس ما أراد الشيخ بهذا القول إلا الوفاء .

وكان الغالب على مروان ابو حديدة السلمي ؛ واسماعيل بن عبد الله القسري وإسحاق بن مسلم العقيلي ؛ وعلى شرطه السكون بن الأسود الغنوي وهو الذي قال له يوماً في قتاله انزل ويلك فقاتل فأبى أن يفعل فقال مروان والله لأسوأنك فقال وددت والله أنك تقدر على ذلك ؛ وكان على حرسه سقلاب مولاه ، وحاجبه سليم مولاه .

وكان له من الولد الذكور اربعة : عبد الملك ، وعبد الله ، و عبيد الله ومحمد ، وكان عبد الله وعبيد الله ابنا مروان — ليلة قتل مروان — توجها نحو الصعيد ثم صارا الى بلاد النوبة وتلاحق بهما جماعة من أصحاب مروان فصاروا زهاء أربعة آلاف ، وتخلف عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بمصر واستتر حتى دل عليه صالح ابن علي ؛ وخرج مع عبد الله وعبيد الله جماعة من نسائهم من البنات والأخوات وبنات العم ماشيات هائمات على وجوههن حتى مر رجل من أهل الشأم بصبية ملقاة تنكر وإذا هي بنت لمروان بنت ست سنين فحملها معه حتى دفعها الى عبد الله بن مروان ووافى القوم بلاد النوبة فأكرمهم عظيم النوبة ثم قالوا نقر في بعض هذه الحصون التي في بلاد النوبة فلعلنا نتخذ منها معقلاً ونقاتل من يلينا من العدو وندعو الى طاعتنا لعل الله أن يرد علينا بعض ما أخذ منا .

فقال لهم عظيم النوبة ﴿ إن هذه الأغربة — يريد السودان — كثير عددها قليل سلبها وإني لا آمن عليكم أن تصابوا فيقال أنت قتلتهم ﴾ فقالوا نحن نكتب لك كتاباً ﴿ إنا وردنا بلادك فأكرمت مثوانا وأحسنت جوارنا وجهدت أن لا نبرح من عندك فأبينا حتى خرجنا ونحن لك شاكرون ﴾ ثم خرجوا فأخذوا في بلاد العدو فكانوا ربما لقوا الجيش من الحبشة فقاتلوهم حتى صاروا الى بجاوة فلقيهم عظيم البجة

فقاتلهم وانصرفوا يريدون اليمن فمروا في البلاد ، وعرض لعبد الله وعبيد الله طريقان بينهما جبل فأخذ كل واحد منهما في طريق وهما يريان أنهما يلتقيان بعد ساعة فسارا يومهما ذلك ثم راما الرجوع فلم يقدرا ، وسارا أياماً ثم لقي عبيد الله نفراً من مناسر الحبشة فقاتلهم وزرقه رجل منهم بمزراق فقتل عبيدالله واستأسر أصحابه فاخذت الحبشة كل ما معهم وتركوهم فمروا في البراري على وجوههم عُراة حُفاة حتى أهلكهم العطش فكان الرجل يبول في يده ويشربه ، ويبول ويعجن به الرمل ويأكله حتى لحقوا عبد الله بن مروان وقد ناله من العرا والشدة اكثر مما نالهم ومعه عدة من حرمه عراة حفاة ما يواريهم شيء حتى تقطعت أقدامهن من المشي وشربوا البول حتى تقطعت شفاههن حتى وافوا المندب فاقاموا بها شهراً وجمع الناس لهم شيئاً ثم خرجوا يريدون مكة في زي الحمالين .

وأقام الحج للناس في أيام مروان في سنتي ١٢٧ و ١٢٨ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، سنة ١٢٩ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ؛ ووافى معه الحج ابو حمزة المختار بن عوف الاباضي صاحب الأعور عبد الله بن يحيى الكندي والذي يسمي نفسه ﴿ طالب الحق ﴾ سنة ١٣٠ محمد بن عبد الملك بن مروان ؛ سنة ١٣١ عبد الملك (١) ابن محمد بن عطية السعدي ﴿ وقيل ﴾ هي آخر حجة لبني أمية ، ولم يغز في أيام مروان .

وكان الفقهاء في أيامه ، محمد بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، ابو الحويرث المرادي ، عمرو بن دينار ، صالح بن كيسان ؛ ابو الزناد عبد الرحمان بن ذكوان عبد الله بن ابي نجيح ، قيس بن سعد ، ابو الزبير محمد بن مسلم ، ابراهيم بن ميسرة

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل وغيره أن الذي حج بالناس في هذه السنة الوليد ابن عروة بن محمد بن عطية السعدي وأما عمه عبد الملك بن محمد بن عطية فانه قتل سنة ١٣٠ قتله ابو حمزة الخارجي في ﴿ وادى القرى ﴾ من اعمال المدينة لمحاربة وقعت بينهما .

عبد الملك بن عمير الليثي ، سلمة بن كهيل (١) جابر بن يزيد الجعفي ، غيلان بن جامع المحاربي ، ابو بكر بن نسر بن حرب ، يزيد بن عبد الله بن الشخير ، سالم الأفطس ؛ عبد الكريم الحنفي .

أيام أبي العباس السفاح

بويع عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس — وكنيته ابو العباس ؛ وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي — يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ﴿ وقيل ﴾ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ١٣٢ ، ومن شهور العجم في تشرين الآخر ، وكانت الشمس يومئذ في القوس عشر دقايق ؛ والقمر في الدلو إحدى وعشرين درجة وأربعين دقيقة والمشتري في العقرب اثنتين وعشرين درجة وأربعين دقيقة ؛ والمريخ في الأسد سبعاً وعشرين درجة ، والزهرة في الميزان ثلاثين درجة ، وعطارد في العقرب إحدى عشرة درجة وعشرين دقيقة ، والرأس في الميزان خمساً وأربعين دقيقة .

وكانت بيعته في الكوفة في دار الوليد بن سعد الأزدي ﴿ وقيل ﴾ إن أبا سلمة إنما أخفى أبا العباس وأهل بيته بها ودبر أن يصير إلى بني علي بن أبي طالب عليه السلام وكتب الى جعفر بن محمد عليه السلام كتاباً مع رسول له فأرسل اليه لست بصاحبكم فان صاحبكم بأرض الشراة ، فأرسل الى عبد الله بن الحسن يدعوه الى ذلك فقال أنا شيخ كبير وابني محمد أولى بهذا الأمر ، وأرسل الى جماعة بني أبيه وقال بايعوا لابني محمد فان هذا كتاب ابي سلمة حفص بن سليمان إلي فقال جعفر بن محمد عليه السلام أيها الشيخ لا تسفك دم ابنك فاني أخاف أن يكون المقتول باحجار الزيت (٢) .

---

(١) كذا في الأصل ؛ ولعل الصحيح (سلمة بن كهيل) بالهاء بعد الكاف

(٢) أحجار الزيت موضع بالمدينة المشرفة وهو خارجها به استشهد الامام محمد المهدي بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب في وقعة مشهورة ؛ ويقال له قتيل احجار الزيت .

وأقام ابو سلمة ينتظر انصراف رسله اليه ، ومرّ ابو حميد فلقي غلام ابي العباس فدلّه على موضعه فاتاه فسلم عليه بالخلافة ثم خرج فأخبر أصحابه بموضعه فمضوا معه سبعة وهم ابو الجهم بن عطية ، وموسى بن كعب ، وابو غانم عبد الحميد بن ربعي ، وسلمة ابن محمد ، وابو شراحيل ؛ وعبد الله بن بسام ، وابو حميد سابعهم ، سراً من ابي سلمة ، فسلموا على ابي العباس بالخلافة ، وألبسه أبو حميد السواد وأخرجه فمضى به الى المسجد الجامع وبلغ الخبر أبا سلمة فاتى ركضاً حتى لحقهم فقال انما كنت أدبر استقامة الأمر وإلا لا أعمل شيئاً فيه ، وقد قدمنا ذكر بيعة ابي العباس في أيام مروان ووصفنا ما عمل من وجّه لمحاربة مروان ، ووصلنا من الخبر بذلك الى قتل مروان ما يغني عن اعادته .

وكان من قدم الى الكوفة من بني هاشم اثنين وعشرين رجلاً منهم : داود ، وسليمان وعيسى ، وصالح ، واسماعيل ، وعبد الله ؛ وعبد الصمد ، بنو علي بن عبد الله بن عباس ، وموسى بن داود ؛ وجعفر ، ومحمد ابنا سليمان ، والفضل ، وعبد الله ابنا صالح ؛ وابو العباس ؛ ومحمد ابنه ، وجعفر ؛ ومحمد ابنا المنصور ، وعيسى بن موسى بن محمد ، وعبد الوهاب ، ومحمد ابنا ابراهيم ؛ ويحيى بن محمد ، والعباس بن محمد

ولما بويع ابو العباس صعد المنبر في اليوم الذي بويع فيه وكان حيياً فارتج عليه فاقام ملياً لا يتكلم ، فصعد داود بن علي فقام دونه بمرقاة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد [ص] وقال ﴿ أيها الناس الآن تقشعت حنادس الفتنة ، وانكشف غطاء الدنيا ؛ وأشرقت أرضها وسماؤها ؛ وطلعت الشمس من مطلعها ، وعاد السهم الى النزعة ، وأخذ القوس باريها ، ورجع الحق الى نصابه في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة بكم والرحمة لكم والتعاطف عليكم ؛ ألا وإن ذمة الله وذمة رسوله وذمة ابي العباس لكم أن نسير فنحكم في الخاصة والعامة منكم بكتاب الله وسنة رسوله ، وإنه والله أيها الناس ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحد أولى به من علي بن ابي طالب وهذا

القائم خلفي ، فاقبلوا عباد الله ما آتاكم بشكر واحمدوه على ما فتح لكم ، أبدلكم بمروان عدو الرحمان حليف الشيطان بالفتى المتمهل الشاب المتكهل المتبع لسلفه والخلف من أئمته وآبائه الذين هدى الله فبهداهم اقتدى ، مصابيح الدجا ، وأعلام الهدى وأبواب الرحمة ، ومفاتيح الخير ، ومعادن البركة ، وساسة الحق ، وقادة العدل ﴾

ثم نزل فتكلم ابو العباس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووعد من نفسه خيراً ثم نزل .

وولى ابو العباس الكوفة داود بن علي فكان اول من ولاه ابو العباس ، ووجه بأخيه أبي جعفر إلى خراسان لأخذ البيعة على ابي مسلم فصار الى مرو في ثلاثين فارساً فلم يحتفل به ابو مسلم ولم يلتفت واستخف به فانصرف واجداً عليه وشكاه الى ابي العباس وأعلمه ما نال منه وكثر عليه في بابه ، فقال ابو العباس فما الحيلة فيه وقد عرفت موضعه من الامام ومن ابراهيم وهو صاحب الدولة والقائم بأمرها . وقدم ابو مسلم على ابي العباس فأكرمه واعظمه ولم يذكر له من امر ابي جعفر شيئاً . ودخل اليه يوماً من الأيام وابو جعفر جالس معه فسلم عليه وهو قائم ثم خرج ولم يسلم على ابي جعفر فقال له ابو العباس مولاك مولاك لِمَ لا تسلم عليه — يعني أبا جعفر — فقال قد رأيته ولكنه لا يقضى في مجلس الخليفة حق أحد غيره .

ولما قتل صالح مروان بن محمد وجه برأسه الى ابي العباس وحوى خزائنه واملاكه وحمل أبا عثمان ويزيد بن مروان ونسوة من آل مروان وبناته فلما صرن الى الكوفة أطلق النساء وحبس الرجال وأخذ عبد الله بن مروان بمكة فحمل ايضاً وحبس مع سائر أهله .

وولى ابو العباس داود بن علي الحجاز فقدم وعامل مروان الوليد بن عروة بن عطية السعدي مقيم بمكة لم يعلم بأن الناس بايعوا أبا العباس فلما علم هرب . وقدم داود فخطب خطبة له مشهورة ذكرهم فيها ما فضلهم الله به وظلم من ظلمهم . ثم قال

﴿ إنما كانت لنا فيكم تبعات وطلبات وقد تركنا ذلك كله وأنتم آمنون بأمان الله أحمركم وأسودكم وصغيركم وكبيركم وقد غفرنا التبعات ووهبنا الظلامات فلا ورب هذه البنية لا نهيج احداً ﴾ وضرب بيده الى الكعبة فبينما هو يخطب إذ قام سديف بن ميمون فقال أصلح الله الأمير أدنني منك وائذن لي بالكلام ، فقال هلم فصعد المنبر حتى كان دون داود بمرقاة ثم أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وصلى على محمد ثم قال ﴿ أتزعم الضلال (خطئت أعمالهم) أن غير آل الرسول أولى بتراثه ولم ويم معاشر الناس ألهم الفضل بالصحابة دون ذوي القرابة الشركاء في النسب والورثة للسلب مع ضربهم في الفيء لجاهلكم وإطعامهم في اللأواء جائعكم وإيمانهم بعد الخوف سائلكم ، لم ير مثل العباس بن عبد المطلب اجتمعت له الأمة بواجب حق الحرمة ابو رسول الله بعد أبيه وجلدة ما بين عينيه يوم خيبر لا يرد له أمراً ولا يعصي له قسماً إنكم والله معشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم طرفة عين قط ﴾ ثم نزل ، فاستتم داود خطبته ثم نزل ، فلما انقضى الموسم وجه داود الى قوم كانوا بمكة من بني أمية فقتل جماعة منهم وأوثق جماعة منهم في الحديد ووجههم الى الطائف فقتلوا هنالك وحبس خلقاً من الخلق فماتوا في حبسه ، وصار الى المدينة ففعل مثل ذلك ولم يقم بالمدينة إلا شهرين حتى توفي .

وبلغ أبا العباس عن ابى سلمة الخلال أمور أنكرها وذكر له تدبيره الذي كان عليه وتأخيره له والتماسه صرف الدولة الى بعض الطالبيين ؛ وكتب اليه ابو مسلم من خراسان أن اقتل أبا سلمة فانه العدو الغاش الخبيث السريرة ، فكتب اليه ابو العباس أن وجه انت من يقتله وكره ابو العباس أن يوحش ابا مسلم بقتله أو يوجده سبيلاً الى الاحتجاج به عليه ، فوجه ابو مسلم مراد بن أنس الضبي فجلس على باب ابى العباس وكان يسمر عنده فلما خرج ثار اليه وضرب عنقه . وكان ابو سلمة يسمى وزير آل محمد . وكان ابو مسلم يكتب اليه للأمير حفص بن سليمان وزير آل محمد من ابى مسلم

أمين آل محمد . فقال سليمان بن مهاجر لما قتل ابو سلمة :

إن الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا

ووجه أبو العباس أخاه ابا جعفر الى واسط . وكان الحسن بن قحطبة محاصراً ليزيد بن عمر بن هبيرة وأمره بمجاذته فحوصر احد عشر شهراً وكان معه جماعة من قواد مروان واصحابه وممن كان مع عامر بن ضبارة ونباتة بن حنظلة الذين قتلهم قحطبة وكان يزيد قد استعد لحصار سنتين وأدخل الأقوات والعلوفة لعشرين الف مقاتل فصدقوه المحاربة وطلب الأمان ووجه السفراء فأجيب الى ذلك وكتب له كتاب أمان وشرط له فيه ما سأل . وختمه ابو العباس . وخرج ابن هبيرة حتى صار الى ابى جعفر فبايع ثم رجع الى موضعه . وكان يركب كل يوم في الف فارس والف راجل فقال بعض أصحاب ابى جعفر له أصلح الله الأمير إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر فقال لأبى . . (١) . . حاجبه قل لابن هبيرة فليقلل من جمعه فركب اليه في خمسمائة راجل فقال له الحاجب كأنك تأتينا مباهياً فركب اليهم في ثلاثين فارساً وثلاثين راجلاً فكان ابو جعفر يقول ما رأيت أنبل من ابن هبيرة ولا أتيه إن كان ليدخل إلي فيقول كيف انت ياهذا او حالك وكيف ما يأتيك عن صاحبك . فان كنت لأحدثه فيقول إيها لله أبوك ثم يتدار كها فيقول أصلح الله الأمير إبى قريب عهد بامارة . وكان الرجل يحدثني فأقول بهذا ونحوه . وقال له يوماً حدثني فقال لامحضنك النصيحة محضاً إن عهد الله لا ينكث وعقده لا تحل وإن امارتكم هذه جديدة فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها . ووجدت كتب لابن هبيرة الى محمد بن عبد الله بن حسن يعلمه أن يبايع له وأن قبله اموالاً وعدة وسلاحاً وأن معه عشرين الف مقاتل فانفذت الكتب الى ابى العباس فقال ابو العباس نقض عهده وأحدث ما أحل به دمه

(١) بياض في الأصل ، وقد سقط اسم حاجب ابى جعفر وسماه ابن الأثير في التاريخ (سلام بن سليم) أنظر حوادث سنة ١٣٢ . (م . ص)

فكتب الى ابي جعفر أن اضرب عنقه فانه غدر ونكث ونقض العهود ، وكثرت كتبه بذلك . وكتب ابو مسلم من خراسان يحرض على قتله ويخبره أن الأمر لا يستقيم ما كان حياً وأنه ممن لا يصلح للاستبقاء . وقال ابو جعفر للحسن بن قحطبة الطائي إن أمير المؤمنين أمر بقتل هذا الرجل فتول ذلك فقال له الحسن إن قتلته كانت العصبية بين قومي وقومه والعداوة واضطرب عليك من بعسكرك من هؤلاء وهؤلاء ، ولكن أنفذ اليه برجل من مضر يقتله فوجه اليه بخازم بن خزيمة التميمي فاتاه في جماعة فوافاه وهو جالس في رحبة القصر بواسط فلما رآهم قال أقسمت بالله إن في وجوه القوم لغدرة فلما دنوا منه قام ابنه داود في وجوههم فضربه بعضهم بالسيف فجدله وصاروا الى يزيد فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه ثم تتبعوا قواده وأصحابه فقتلوهم عن آخرهم .

وخرج شريك بن شيخ المهري ببخارا فقال : ما على هذا بايعنا آل محمد أن نسفك الدماء ونعمل غير الحق فوجه اليه ابو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

وخرج ابو محمد السفياني وهو يزيد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان بمالديه وخرج محمد بن مسلمة بن عبد الملك بحران وحاصر موسى بن كعب ، وكان عامل ابي جعفر وابو جعفر يومئذ عامل الجزيرة ورماها بالمنجنيق وحرق أبوابها وكان ذلك سنة ١٣٣ ، ثم بلغ محمد بن مسلمة قتل أبي محمد السفياني وقتل ابي الورد بن الكوثر ابن زفر فانصرف عنها وتفرق جمعه واتبعه موسى بن كعب فقتل خلقاً من اصحابه وتعمد عدة مدائن من الجزيرة وأقام اسحاق بن مسلم العقيلي بسميساط سبعة أشهر وابو جعفر محاصر له ﴿ وقيل ﴾ لم يحاصره ابو جعفر ولكن عبد الله بن علي حاصره ، وكان اسحاق يقول في عنقي بيعة فلا أدعها ابداً حتى اعلم أن صاحبها قد مات اوقتل ، فأرسل اليه ابو جعفر يقول إن مروان قد قتل فقال حتى أتبين ذلك فلما صح عنده أنه قتل طلب الأمان وأعطيه وصار مع ابي جعفر وكان عظيم المنزلة عنده .

وانصرف عبد الله بن علي الى فلسطين بالسبب الذي شرحناه من خبره فيما شرحنا

من خبر مروان ، فلما صار بنهر ابي فطرس بين فلسطين والأردن جمع اليه بني أمية ثم أمرهم أن يغدوا عليه لأخذ الجوائز والعطايا ثم جلس من غد وأذن لهم فدخل عليه ثمانون رجلاً من بني أمية وقد أقام على رأس كل رجل منهم رجلين بالعمد وأطرق مليا ثم قام العبدي فانشد قصيدته التي يقول فيها :

أما الدعاة الى الجنان فهاشم * وبنو أمية من كلاب النار

وكان النعمان بن يزيد بن عبد الملك جالساً الى جنب عبد الله بن علي فقال له كذبت يا بن اللخناء فقال له عبد الله بن علي بل صدقت يا ابا محمد فامض لقولك ، ثم أقبل عليهم عبد الله بن علي فذكر لهم قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته ثم صفق بيده فضرب القوم رؤوسهم بالعمد حتى أتوا عليهم فناداه رجل من أقصى القوم :

عبد شمس أبوك وهو أبونا * لا تناديك من مكان بعيد
فالقرابات بيننا واشجات * محكمات القوى بعقد شديد

فقال : هيهات قطع ذلك قتل الحسين ، ثم أمر بهم فسحبوا فطرحت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام فاكل فقال يوم كيوم الحسين بن علي ولا سواء وكان قد دخل معهم « . . . . . » قال رجوت ان ينالوا خيراً فانال معهم فقال عبد الله بن علي :

ومدخل رأسه لم يدنه احدٌ * بين الفريقين حتى لزّه القرن

إضربا عنقه ، وقدم عبد الله بن علي دمشق في شهر رمضان سنة ١٣٢ فحاصرها واستغاث الناس ووجهوا اليه يحيى بن بحر يطلب لهم الأمان فخرج اليه فسأله الأمان فأجابه الى ذلك فدخل فنادى في الناس الأمان فخرج خلق من الخلق ، ثم قال له يحيى بن بحر اكتب لنا أيها الأمير كتاب الأمان فدعا بدواة وقرطاس ثم ضرب ببصره نحو المدينة فاذا بالسور قد غشيه المسودة فقال له قد دخلها قسراً فقال يحيى لا والله ولكن غدراً فقال عبد الله لولا ما أعرف من مودتك لنا أهل البيت لضربت

عنقك إذا استقبلتني بهذا ثم ندم فقال يا غلام خذ هـذا العَلَم فاركزه في داره وناد من دخل دار يحيى بن بحر فهو آمن ، فانحشر الناس اليها فما قتل فيها ولا في الدور التي تليها أحد ، ونادى المنادي بعد أن قتل خلق كثير من الخلق ﴿ الناس آمنون إلا خمسة : الوليد بن معاوية ، ويزيد بن معاوية ، وأبان بن عبد العزيز ، وصالح بن محمد ، ومحمد بن زكريا ﴾ .

وصار عبد الله بن علي الى المسجد الجامع فخطبهم خطبة مشهورة يذكر فيها بني أمية وجورهم وعداوتهم وأنهم اتخذوا دين الله هزؤاً ولعباً ، ويصف ما استحلوا من المحارم والمظالم والمآثم وما ساروا به في أمة محمد ﴿ ص ﴾ من تعطيل الأحكام وادراء الحدود والاستئثار بالفيء وارتكاب القبيح وانتقام الله منهم وتسليط سيف الحق عليهم ثم نزل .

﴿ ويقال ﴾ إن أبا العباس كتب اليه خذ بثأرك من بني أمية ففعل بهم ما فعل ووجه فنبش قبور بني أمية فاخرجهم وأحرقهم بالنار فما ترك منهم أحداً ، ولما صار الى الرصافة أخرج هشام بن عبد الملك ووجده فى مغارة على سريره قد طلي بمـاء يبقيه فأخرجه فضرب وجهه بالعمود وأقامه بين العقابين فضربه مائة وعشرين سوطاً وهو يتناثر ، ثم جمعه فحرقه بالنار ، وقال عبد الله عند ذلك ان ابي — يعني علي بن عبد الله — كان يصلي يوماً وعليه أزار ورداء فسقط الرداء عنه فرأيت فى ظهره آثار السياط فلما فرغ من صلاته قلت يا أبة جعلني الله فداك ما هذا فقال إن الأحول — يعني هشاماً — أخذني ظلماً فضربني ستين سوطاً ، فعاهدت الله إن ظفرت به أن أضربه بكل سوط سوطين .

وخرج حبيب بن مرة المري بحوران فبيض ونصب رجلاً من بني أمية فزحف اليه عبد الله بن علي فقتله وفرق جمعه .

وكان عامل مروان على افريقية عبد الرحمان بن حبيب العقبي فقدمها سنة ١٢٧ ولم يزل مقيماً بها حتى قتل مروان فلما علم أهل افريقية بقتل مروان وثبت عليه جماعة

من أهل البلد منهم : عروة بن الوليد الصدفي من ناحية « . (١) . » وتفرقت بنو أمية بعد قتل مروان فخلف منهم بافريقية جماعة فصاروا الى عبد الرحمان بن حبيب فاقام عبد الرحمان على محاربة أصحاب ابي العباس فوثب به أخوه الياس بن حبيب فدعا الى بني العباس فبايعه الناس وأخذ من صار الى افريقية من بني أمية فحبسهم وكتب يخبرهم الى ابي العباس .

ووثب أهل الموصل على عاملهم فانتهبوه وأخرجوه فولى ابو العباس أخاه يحيى بن محمد بن علي الموصل وضم اليه أربعة آلاف رجل من أهل خراسان فقدمها سنة ١٣٣ فقتل من أهلها خلقاً عظيماً ﴿ وقيل ﴾ انه اعترض الناس في يوم جمعة فقتل ثمانية عشر الف انسان من صايب العرب ثم قتل عبيدهم ومواليهم حتى أفناهم فجرت دماؤهم فغيرت ماء دجلة فلم يعرف لأهل الموصل وثوب الى هذه الغاية .

وولى أبو العباس محمد بن صول أرمينية فسار اليها فى خلق عظيم ومسافر بن كثير متغلب على البلد وكان خليفة اسحاق بن مسلم العقيلي عامل مروان فحاربه محمد بن صول حتى قتله واستولى على ارمينية وصد أهل البيلقان الى قلعة الكلاب وأسلموا المدينة ورئيسها يومئذ ورد بن صفوان السامي من ولد سامة بن لوي وجمعوا اليهم لفيفاً من الصعاليك وغيرهم بقلعة الكلاب فوجه اليهم محمد بن صول صالح بن صبيح الكندي فحاصرهم وقتل منهم خلقاً عظيماً .

ووجه ابو العباس الى السند موسى بن كعب التميمي ومنصور بن جمهور متغلب عليها فنفذ موسى فى عشرين الف مقاتل فصار الى قندابيل فأقام بها حيناً ثم كاتب موسى من كان مع منصور من أصحاب « .. (٢) .. » وكاتب قبائلهم ، وزحف موسى

(١) بياض في الأصل وفيه سقط وقد ذكر ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ١٢٧ أن وثوب عروة بن الوليد الصدفي على عبد الرحمان من ناحية (تونس) .

(٢) بياض في الأصل ، وقد نقل في الهامش عن نسخة ان الساقط (قدد بن أصفر) [م ص]

حتى أتى منصوراً فانهزم منه ومرّ في مفازة وأدركه فقتله .

وانتقل ابو العباس من الحيرة فنزل الأنبار واتخذ بها مدينة سماها ﴿ الهاشمية ﴾ سنة ١٣٤ واشترى أشربة كثيرة بنى فيها وأقطعها أهل بيته وقواده ، ثم رفع اليه أهل تلك الأرضين والمنازل انهم لم يقبضوا أثمانها فقال هذا بناء أسس على غير تقوى وأمر فضربت مضاربه بظاهرها وبريّها حتى استوفى القوم أثمان أرضهم ثم عاد الى قصره

وولى ابو العباس ابا جعفر أخاه الجزيرة والموصل والثغور وأرمينية وآذربيجان فخرج حتى صار الى الرقة واختط الرافقة على شط الفرات وهندسها له أدهم بن محرز فولى الحسن بن قحطبة الطائي الجزيرة ، وولى يزيد بن أسيد السلمي ارمينية ثم عزله وولى الحسن بن قحطبة ارمينية فلم يزل عليها أيام ابي العباس .

وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك قد استأمن الى أبي العباس فقدم معه بابنين له فاكرمه ابو العباس وبره وأجلسه وابنيه على النمارق والكراسي ، فكان ابو العباس يجلس بالعشيات ويأذن لخواصه وأهل بيته فدخل عليهم ابو الجهم ليلة وقد أذن لأهله وخواصه فقال له إن اعرابياً أقبل يوضع على ناقته حتى أناخها بالباب وعقلها ثم جاءني وقال استأذن لي على أمير المؤمنين فقلت اذهب وضع عنك ثياب سفرك وعد علي سأستأذن عليه ، فقال إني آليت أن لا أضع عني ثوباً ولا أحل لثاماً حتى أنظر الى وجهه ، قال فهل أنبأك من هو قال نعم زعم أنه سديف مولاك فقال سديف ايذن له فدخل أعرابي كأنه محجن فوقف فسلم عليه بامرة المؤمنين ثم تقدم فقبل بين يديه ورجليه ثم تأخر فوقف مثله ثم اندفع فقال :

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبها ليل من بني العباس
يا أمير المطهرين من الرجـ * ـس ويا رأس منتهى كل راس
انت مهدي هاشم وفتاها * كم أناس رجوك بعد أياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً * واقطعن كل رقلة وغراس

أفنها أيها الخليفة واحسم * عنك بالسيف شافة الأرجاس
أنزلوها بحيث أنزلها الله * به بدار الهوان والاتعاس
ولقد ساءني وساء قبيلي * قربهم من نمارق وكراسي
خوفهم أظهر التودد منهم * وبهم منكم كحز المواسي
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أمسى * رهن رمس في غربة وتناس
نعم كلب الهراش مولاك لولا * حله من حبائل الافلاس (١)

فقام سليمان بن هشام وقال يا أمير المؤمنين إن مولاك هذا يحرضك منذ مثل بين يديك على قتلي وقتل ابني وقد تبينت أنك والله تريد أن تغتالنا ؛ فقال لو أردت ذلك ما كان يمنعني منكم على غير غيلة فاما إذا سبق ذلك الى قلبك فلا خير فيك يا أبا الجهم أخرجه وأخرج ابنيه فاضرب أعناقهم وأتني برؤوسهم فخرج فضرب أعناقهم وأتاه برؤوسهم .

وقدم عبد الله بن الحسن بن الحسن على ابي العباس ومعه أخوه الحسن بن الحسن ابن الحسن فاكرمه ابو العباس وبره وآثره ووصله الصلات الكثيرة ثم بلغه عن محمد ابن عبد الله أمر فكرهه فذكر ذلك لعبد الله بن الحسن فقال يا أمير المؤمنين ما عليك من محمد شيء تكرهه وقال له الحسن بن الحسن اخو عبد الله بن الحسن يا أمير المؤمنين أنتكلم بلسان الثقة والقرابة ام على جهة الرهبة للملك والهيبة للخلافة ، فقال بل بلسان القرابة ، فقال أرأيت يا أمير المؤمنين إن كان الله قضى لمحمد أن يلي هذا الأمر ثم

(١) كذا في الأصل ، وقد روي في ﴿ نسمة السحر ﴾ — مخطوط — وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي (ج ٢ ص ٢٠٤) من طبع مصر نقلا عن الكامل المبرد :

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس (م ص)

أجلبت واهل السموات والأرض معك أكنت دافعاً عنه ؟ قال لا ، قال فان كان لم يقض ذلك لمحمد ثم أجلب محمد وأهل السموات والأرض معه أيضرك محمد ، قال لا والله ولا القول إلا ما قلت ؛ قال فلم تنغص هذا الشيخ نعمتك عليه ومعروفك عنده ، قال لا تسمعني ذاكراً له بعد اليوم ، وبلغ ابا العباس أن محمد بن عبد الله قد تحرك بالمدينة فكتب الى عبد الله بن الحسن في ذلك وكتب في الكتاب :

أريد حياءه ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

فكتب اليه عبد الله بن الحسن :

وكيف يريد ذاك وانت منه * بمنزلة النياط من الفؤاد

وكيف يريد ذاك وانت منه * وزندك حين يقدح من زناد

وكيف يريد ذاك وانت منه * وانت لهاشم رأس وهاد

وطفئ أمر محمد في خلافة ابي العباس فلم يظهر منه شيء وكان متى بلغ ابا العباس عنه شيء ذكر ذلك لعبد الله فيقول يا أمير المؤمنين انا نحميها بكل قذاة يخل ناظراك منها فيقول بك أثق وعلى الله أتوكل .

وكان ابو العباس كريماً حليماً جواداً وصولاً لذوي ارحامه ﴿ حدثني ﴾ محمد بن علي بن سليمان النوفلي عن جده سليمان ، قال دخلنا على أبي العباس جماعة من بني هاشم فادنانا حتى أجلسنا معه ثم قال يا بني هاشم احمدوا الله إذ جعلني فيكم ولم يجعلني بخيلاً ولا حسوداً .

واستأذن ابو مسلم في القدوم فأذن له فقدم من خراسان في سنة ١٣٦ فلما حضر وقت الحج استأذنه فأذن له وحج معه ابو جعفر المنصور فلما خرجا اشتدت بأبي العباس العلة فقيل له صير ولاية عهدك الى ابي جعفر (١) في علته بعد نفوذه الى الحج .

وكان الغالب عليه ابو الجهم بن عطية الباهلي ، وكان له سمار من جلساء ، منهم

(١) فيه سقط ولعله (فصيّر ولاية عهده الى أخيه ابي جعفر وهو) في علته .

ابو بكر الهذلي ، وخالد بن صفوان ، وعبد الله بن شبرمة ، وجبلة بن عبد الرحمان الكندي ، وكان على شرطته عبد الجبار بن عبد الرحمان الأزدي ، وعلى حرسه ابو بكر بن أسد بن عبد الله الخزاعي ، وحاجبه ابو غسان مولاه ، وكان قاضيه عبد الرحمان بن ابي ليلى ؛ وابن شبرمة .

ولما اشتدت علته قدم عليه وافدان أحدهما من السند والآخر من افريقية فلما بلغه قدومهما قال أنا ميت بعد ثلاث ، قال عيسى بن علي فقلت بل يطيل الله بقاءك فقال حدثني أخي ابراهيم عن أبيه وأبيه عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب عن أبيه عن جده أنه يقدم علي في مدينتي هذه في يوم واحد وافدان أحدهما وافد السند والآخر وافد أهل افريقية فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة ايام حتى أغيب في لحدي ويورث الأمر بعدي ، ثم نهض وقال لا ترم مكانك حتى أخرج اليك ﴿ قال ﴾ فلم ازل بمكاني حتى سلم المؤذنون في وقت صلاة العصر بالخلافة فخرج الي رسوله يأمرني بالصلاة بالناس فدخلت فلم يخرج الى أن سلم المؤذنون لوقت صلاة العشاء فخرج إلي رسوله يأمرني بالصلاة بالناس ففعلت ذلك ، ثم أتيت مكاني الى ادراك الليل فلما فرغت من فنوتي خرج إلي ومعه كتاب معنون من عبد الله ووليه الى آل رسول الله والأولياء وجميع المسلمين ، ثم قال يا عم إذا خرجت نفسي فسجني بثوبي واكتم موتي حتى يقرأ هذا الكتاب على الناس فاذا قرئ فخذ ببيعة المسمى فيه فاذا بايع الناس فخذ في أمري وجهزني وصل علي وادفني فقلت يا أمير المؤمنين فهل وجدت علة ! فقال واية علة أقوى من الخبر الصحيح عن رسول الله ، والله ما كذبت ولا كذبت ، خذ هذا الكتاب وامض راشداً واعتل من ليلته وتوفي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦ وهو ابن ست وثلاثين سنة ﴿ وقيل ﴾ لم يبلغ ذلك السن ، وذلك أنه ولد في سنة ١٠٥ في أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان وصلى عليه اسماعيل بن علي ﴿ وقيل ﴾ عيسى بن علي ودفن بالأنبار في قصره

وكانت ولايته اربع سنين وتسعة أشهر ، وخلف ابناً لم يكن بلغ وابنته ريطة امرأة المهدي التي حرمت على جميع خلفاء بني هاشم إلا زوجها .

وأقام الحج للناس فى أيامه سنة ١٣٢ داود بن علي ؛ سنة ١٣٣ زياد بن عبيدالله الحارثى ، سنة ١٣٤ عيسى بن موسى ، ١٣٥ سليمان بن علي .

وغزا بالناس فى أيامه سنة ١٣٣ أقبل طاغية الروم وهو قسطنطين حتى أناخ على ملطية فحصرها فصولح عنها وزحف اليه موسى بن كعب التميمي فلم يكن بينهما لقاء وكتب ابو العباس الى عبد الله بن علي يعلمه أن العدو قد كلب بالغفلة عنه وأمره أن ينفذ بالجيوش التي معه فيبث جيوشه فى نواحي الثغور وزحف حتى قطع الدرب ولم يزل يعبي حتى أتاه خبر وفاة ابى العباس فانصرف .

وكان الفقهاء في أيامه يحيى بن سعيد الأنصاري ، ابن ابى طولة الأنصاري موسى بن عقبة ، عبد الرحمان بن حرملة الاسلمي ؛ ابو حمزة الثمالي ، زيد بن أسلم ابوخازم القاضى ، هشام بن عروة بن الزبير ؛ محمد « . (١) بن » علقمة ؛ موسى ابن عبيدة الربذي ، ابن ابى صعصعة ؛ ربيعة الرأي ، عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ؛ محمد بن اسحاق بن (يسار) عبيدالله بن طاوس ، صدقة « . . (٢) . . » يسار ، حميد بن قيس الأعرج ، عبد الله بن عثمان بن خثيم عثمان بن الأسود ، عبد الملك بن جريج ؛ عبد الملك بن عمير الليثي ، ابوسيار

(١) بياض في الأصل ، والظاهر أن محمداً هذا هو ابن (عمرو) بن علقمة بن وقاص الليثي المتوفى سنة ١٤٤ او سنة ١٤٥ وكان من فقهاء زمان ابى جعفر المنصور ايضاً ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب (ج ٩ ص ٣٧٦) من طبع حيدر آباد دكن

(٢) بياض في الأصل ، والظاهر أنه صدقة (بن) يسار الجزري الذى روى عن سعيد بن جبير وروى عنه شعبة ؛ توفي أول خلافة بني العباس ، ذكره ابن حجر في التهذيب (ج ٤ ص ٤١٩) . (م . ص)

النساري (١) مجالد بن سعيد ، الأجلح بن عبد الله الكندي ، منصور بن المعتمر السلمي ، مطرّف بن طريف الحارثي ، جابر بن يزيد الجعفي ، الحسن بن عمر الفقيمي محمد بن عبد الرحمان بن ابي ليلى ، مِسعر بن كدام ، عبد الجبار بن عباس الهمداني زفر بن الهذيل ، اسحاق بن سويد العذري ، ابو بكر بن نسر بن حرب ، يونس ابن عبيد ، ابو المعتمر سليمان التيمي ، عمرو بن عبيد ، حميد الطويل مولى خزاعة عبد الرحمان بن عمرو الأوزاعي ، سالم الأفطس ، عبد الكريم الجزري .

أيام أبي جعفر المنصور

هو عبد الله بن محمد بن علي — وأمه سلامة البربرية — وبويع في اليوم الذي توفي فيه ابو العباس وهو يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ؛ ومن شهور العجم في حزيران سنة ١٣٦ ، وكانت الشمس يومئذ في السرطان درجة وعشر دقائق ، والقمر في الجوزاء سبع درج وخمساً واربعين دقيقة ، وزحل في الجدي ست عشرة درجة وخمسين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الحمل سبعاً وعشرين درجة والمريخ في العقرب تسع عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والزهرة في الثور خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة ، وعطارد في السرطان إحدى عشرة درجة ، والرأس في السرطان درجة وخمسين دقيقة ، وكان ابو جعفر حاجاً فأخذ له عيسى بن علي البيعة على من حضر من الهاشميين والقواد بالأنبار ، ووافاه الخبر بذلك في طريق مكة بعد وفاة ابي العباس بخمسة عشر يوماً ؛ فبايع ابو مسلم ومن حضر من الهاشميين والقواد وكان الذي وافاه بالخبر محمد بن الحصين العبدي ، فقال أي موضع هذا قالوا موضع يقال له زكية ، قال امر يزكى انشاء الله ؛ وبويع بالصفية فقال أمر يصفو لنا اعداد السنين (٢)

(١) ذكر في هامش الأصل أن اسمه هرار بن مرة ، كما أنه ذكره من فقهاء زمان ابي جعفر المنصور ايضاً وسماه بهذا الاسم .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصحيح (أغذوا السير) وحثوا النجاء .

وحُنوا النجاء ﴿ وكان ﴾ أبو العباس قبل وفاته قد كتب الى عبد الله بن علي في غزو الصائفة وأمره بقطع الدرب فلما توفي أبو العباس كره عيسى بن علي ومن حضر من الأبناء أن يكتبوا الى عبد الله بن علي فكتبوا الى صالح بن علي وهو بمصر يعرفونه الحادثة في أبي العباس وما كان عهد به ابو العباس لأبي جعفر ومبايعتهم له واجتماعهم عليه وأمره أن يبايع ويصير الى الشام فيأخذ البيعة على عبد الله ويبلغ عبد الله الخبر ﴿ وقيل ﴾ بعث عيسى بن علي ببيعة المنصور مع ابى غسان يزيد بن زياد حاجب ابى العباس فلحقه وقد كان قطع الدرب الى بلاد الروم فرجع حتى صار الى دلوك من أرض جند قنسرين فأحضر حميد بن قحطبة الطائي وجماعة من القواد الذين كانوا معه فقال ما تشهدون أن أمير المؤمنين أبا العباس ؟ قال من خرج الى مروان فهو ولي عهدي فشهدوا له بذلك وبايعوا وبايع اكثر أهل الشام له وكتب الى عيسى بن علي وغيره يعلمهم مبايعة من قبله من القواد وأهل الشام له بصحة عهد ابى العباس اليه ، وتوجه يريد العراق فلما صار الى حران وافى موسى بن كعب عاملاً بها فعرفه شهادة من أشهد الله أن أبا العباس جعله ولي عهده فلما تحصن بها حاصره أربعين يوماً ثم أعطاه الامان على أن يخرج عنها ويخلي بينه وبينها وتوجه يريد العراق .

فقدم أبو جعفر الكوفة غرة المحرم فنزل الحيرة وصلى بالناس الجمعة ثم شخص الى الأنبار الى مدينة ابى العباس فضم اليه أطرافه وخزائن ابى العباس وبلغه أمر عبد الله ابن علي وتوجهه الى العراق فقال لأبي مسلم ليس لعبد الله بن علي غيرى وغيرك فكره أبو مسلم ذلك وقال يا أمير المؤمنين إن أمر عبد الله بالشام أقل وأذل وأمر خراسان بجل خطبه ، ثم انصرف ابو مسلم الى منزله وقال لكاتبه ما أنا وهاذان الرجلان ثم قال ما الرأى إلا أن أمضي الى خراسان وأخلي بين هاذين الكبشين فايهما غلب كتب الينا وكتبنا اليه سمعنا وأطعنا فرأى انا قد انعمنا وعملنا له عملاً ، فقال له كاتبه أعيذك بالله من أن تمكن أهل خراسان من الطعن عليك وأن يروا أنك نقضت أمراً

بعد تأكيده ، فقال ويحك إني نظرت فيمن قتلت بالسيف صبراً سوى من قتل في المعارك فوجدتهم مائة الف من الناس فلا قليل من الله فلم يزل به كاتبه حتى أجاب ابا جعفر الى الخروج وعسكر في خلق عظيم ثم سار حتى صار الى الجزيرة فواقع عبدالله ابن علي عدة وقائع ؛ وكان حميد بن قحطبة الغالب على أمر عبد الله بن علي ثم بلغه أن عبد الله يريد قتله فاحتال حتى صار الى ابى مسلم فعظم ذلك على عبد الله بن علي وخاف ان يفعل بنظرائه من قواد خراسان الذين معه مثل ذلك .

قال السندي بن شاهك سمعت عبد الصمد بن علي يقول إني عند عبد الله بن علي إذ دخل حاجبه — وكان عبد الصمد مع عبد الله بن علي — فقال رسول ابى مجرم بالباب فقال إئذن له فدخل رجل كريه الوجه قبيح المنظر كثير الشعر طويل اللسان عظيم الحق (١) كثير حشو الخفتان (٢) فسلم سلاماً عاماً ثم قال إن الأمير أبامسلم يقول علام تقاتلني وانت تعلم أنه لا يقاتلك .

وواقع ابو مسلم عبد الله بن علي بنصيبين وفرق جمعه فهرب عبد الله وأمر ابو مسلم أن لا يعترضه أحد فصار الى البصرة الى أخيه سليمان بن علي وكان عامل البصرة فلم يزل مختفياً عنده ؛ وبعث ابو جعفر برسل يحصون ما حصل في يد أبي مسلم من الخزائن والأموال ، منهم اسحاق بن مسلم العقيلي ؛ وقطين بن موسى ؛ ومحمد بن عمرو النصيبي التغلبي ؛ فغضب ابو مسلم وقال أوتمن على الدماء ولا أوتمن على الأموال وشتم قطين بن موسى فقال قطين لما رأى ما داخله عليه إن كان أمير المؤمنين وجهني اليك إلا مهنأ بالفتح ، فاستخف باسحاق بن مسلم ومحمد بن عمرو وشتمهما وتناول أبا جعفر بلسانه حتى ذكر أمه وقال ويلي على ابن سلامة فانصرف القوم الى ابى جعفر

(١) الحق بضم الحاء المهملة وتشديد القاف اسم للنقرة التي على رأس الكتف .

(٢) الخفتان . بفتح الخاء المعجمة وسكون الفاء ثم التاء بعدها الالف والنون هو ضرب من الثياب والكلمة من الدخيل . (المنجد)

فاخبروه الخبر فزاد ذلك فيما في قلبه عليه ، وولى هشام بن عمرو العقيلي مكان ابي مسلم فانصرف ابو مسلم وأقبل يريد خراسان مغاضباً لأبي جعفر فمرّ بالمدائن وابو جعفر نازل برومية وبينه وبينه فرسخان فلم يلقه ، ونفذ لوجهه حتى جاز حلوان فاتبعه ابو جعفر بعيسى بن موسى وجرير بن عبد الله البجلي ونفر معهما من الشيعة فلحقوه فعظموا عليه الخطب وقالوا له إن الأمر لم يبلغ حيث تظن ، فشاور مالك بن الهيثم وكان خليفته وقال ما ترى ؟ قال أرى أن تصير الى خراسان فتستعتب الرجل منها وتكتب اليه منها سمعك وطاعتك فاذا فعلت ذلك لم يلحقك لوم وإلا فهو آخر عهدك بالدنيا إن وقعت عينه عليك ، فما زال رسل ابي جعفر حتى فتلوه عن رأيه وأقبل نحو العراق فلما جاز عقبة حلوان قال لمالك بن الهيثم ما الرأي قال الرأي تركته وراء العقبة ، فقال اني والله لا أقتل إلا بارض الروم ، وقدم على ابي جعفر وهو نازل برومية في المضارب فقال له كدت أن تنفذ قبل أن أقضي اليك بما أحتاج اليه فمكث يختلف اليه أياماً ثم أتاه يوماً وقد هيأ له ابو جعفر عثمان بن نهيك وكان على حرسه في عدة وهم : شبيب ابن واج وابو حنيفة ، وتقدم الى عثمان وقال إذا علا صوتي وصفقت بيدي فاقتلوا العبد ، ودخل ابو مسلم فأجلس في الحجرة ، وقيل له أمير المؤمنين على شغل فجلس مليّاً ثم أذن له وقيل له انزع سيفك فقال ولم قيل وما عليك فلم يزالوا به حتى نزع سيفه ثم دخل وليس في البيت إلا وسادة فجلس عليها ثم قال يا أمير المؤمنين فُعل بي ما لم يفعل باحد أخذ سيفي عن عاتقي فقال ومن فعل بك هذا قبحه الله فأقبل ابو مسلم يتكلم فقال له يابن اللخناء إنك لمستعظم غير العظيم ألست الكاتب الي تبدأ باسمك قبل اسمي ألست الذي كتبت الي تخطب عمتي آمنة بنت علي وتزعم أنك من ولد سليط بن عبدالله ألست الفاعل كذا والفاعل كذا وجعل يعد عليه أموراً ، فلما رأى ابو مسلم ما قد دخله قال يا أمير المؤمنين إن قدري أصغر من أن يدخلك كما أرى . فعلا صوت ابي جعفر وصفق بيديه فخرج القوم فضربوه بأسيافهم فصاح أواه ألا مغيث ألا ناصر

وهم يضربونه حتى قتلوه . فلما قتل قال ابو جعفر :

إشرب بكأس كنت تسقى بها * أمر في فيك من العلقم

كنت حسبت الدين لا يقتضى * كذبت والله أبا مجرم

وكفن في مسح وصير في جانب المضرب . وقيل لأصحابه اجتمعوا فان أمير المؤمنين قد أمر أن ينثر عليكم الدراهم ونثرت عليهم بدرة دراهم فلما اكبوا يلقطونها طرح عليهم رأس ابي مسلم فلما نظروا اليه أسقط ما في أيديهم وعرتهم ضعضعة . وكان ذلك في شعبان سنة ١٣٧ . وخرج قوم من أصحاب ابى مسلم الى خراسان فصاروا الى سنباذ . وسنباذ بنيسابور فلما بلغه قتل أبى مسلم أظهر المعصية وخرج يطلب بدمه حتى اضطرب خراسان فوجه ابو جعفر جهور بن مرار فلقي سنباذ فواقعه فقتله وفرق جمعه

وبلغ ابا جعفر مكان عبد الله بن علي عند سليمان بن علي وهو إذ ذاك عامل البصرة فوجه الى سليمان فانكر أن يكون عنده ثم طلب الأمان فكتبه له ابو جعفر على نسخة وضعها ابن المقفع بأغلظ العهود والمواثيق أن لا يناله بمكروه وأن لا يحتال عليه في ذلك بحيلة . وكان في الأمان ﴿ فان أنا فعلت أو دسست فالمسلمون براء من بيعتي وفي حل من الأيمان والعهود التي أخذتها عليهم ﴾ فلما وقف ابو جعفر على هذا قال من كتبه ؟ قيل ابن المقفع فكان ذلك سبباً لميتة ابن المقفع . وقدم سليمان بن علي من البصرة حتى أخذ الأمان وشخص من البصرة ومعه عيسى بن علي فظهر بهما عبد الله ابن علي فقدما به الى ابى جعفر يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة ١٣٧ وهو بالحيرة فأقام في منزل عيسى بن علي وحبسه عند عيسى بن موسى وهو ولي عهد . ثم سأله عنه فاخبره انه قد توفي فوجه الى عيسى بن علي واسماعيل وعبد الصمد ابني علي فاحضرهم وجماعة من بني هاشم وقال لهم إني كنت دفعت عبد الله بن علي الى عيسى بن موسى وأمرته أن يحتفظ به وأن يكرمه ويبره وقد سألته عنه فذكر أنه قد مات فانكرت تستير خبر موته مني وعنكم . فقال القوم يا أمير المؤمنين إن عيسى

قتله ولو كان عبد الله مات حتف أنفه ما ترك أن يعلمك ويعلمنا موته فجمع بينه وبينهم فطالبوه بدمه وقال له إيت على ما ذكرت ببينة عادلة وإلا أقدتك منه وأحضر الناس لذلك فلما رأى عيسى تحقيق الأمر عليه قال أؤخر الى العشي فأخر فحضر بالعشي وحضر عبد الله بن علي معه وقال إنما أردت بما قلت الراحة من حراسته خوفاً أن يناله شيء فيقال لي مثل هذا وقد سلمته صحيحاً سوياً ، فقال ابو جعفر بل أردت أن تعرف ما عندنا فاذا احتملناك فعلت ذلك ، فامر ابو جعفر فبني له بيت في الدار وقال يكون نصب عيني ثم أجرى في أساس ذلك البيت الماء فسقط عليه فمات .

وأراد ابو جعفر أن يزيد في المسجد الحرام وشكا الناس ضيقه فكتب الى زياد بن عبيد الله الحارثي أن يشتري المنازل التي تلي المسجد حتى يزيد فيه ضعفه فامتنع الناس من البيع فذكر ذلك لجعفر بن محمد عليه السلام فقال سلهم أهم نزلوا على البيت أم البيت نزل عليهم فكتب بذلك الى زياد فقال لهم زياد بن عبيد الله ذلك فقالوا نزلنا عليه فقال جعفر بن محمد فان للبيت فناء فكتب ابو جعفر الى زياد بهدم المنازل التي تليه فهدمت المنازل وادخلت عامة دار الندوة فيه حتى زاد فيه ضعفه ، وكانت الزيادة مما يلي دار الندوة وناحية باب جمح ولم يكن مما يلي باب الصفا والوادي فكان البيت فى جانبه ؛ وكان ابتداء الأمر به في سنة ١٣٨ وفرغ سنة ١٤٠ ، وبنى ﴿ مسجد الخيف ﴾ بمنى وصيره على ما هو عليه من السعة ولم يكن بها قبل ذلك .

وحج ابو جعفر سنة ١٤٠ لينظر ما زيد في المسجد الحرام وكان قد بلغه أن محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن تحرك فلما قدم المدينة طلبه فلم يظفر به فأخذ عبد الله بن حسن بن حسن وجماعة من أهل بيته فأوثقهم بالحديد وحملهم على الابل بغير وطاء وقال لعبد الله دلني على ابنك وإلا والله قتلتك فقال عبد الله والله لامتحنت باشد مما امتحن الله به خليله ابراهيم وإن بليتي لأعظم من بليته لأن الله عز وجل أمره أن يذبح ابنه وكان ذلك لله عز وجل طاعة فقال ﴿ إن هذا لهو البلاء العظيم ﴾ وانت تريد مني

أن أدلك على ابني لتقتله وقتله الله سخط ، وقال ابو جعفر يا بن اللخناء فقال وإنك لتقول هذا ؟ ليت شعري أي الفواطم لحنت يابن سلامة ، أفاطمة بنت الحسين ! أم فاطمة بنت رسول الله ام جدتي فاطمة بنت أسد بن هاشم جدة أبي ! أم فاطمة ابنة عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم جدة جدتي ! قال ولا واحدة من هؤلاء وحمله .

وانصرف ابو جعفر على طريق الشام فاتى بيت المقدس ثم صار الى الجزيرة فنزل خارج الرقة وقد كان منصور بن جعونة الكلابي وثب بها فأسر فاحضره فضرب عنقه

ثم صار الى الحيرة فحبس عبد الله بن حسن بن حسن وأهل بيته فلم يزالوا في الحبس حتى ماتوا ﴿ وقد قيل ﴾ انهم وجدوا مسمرين في الحيطان ﴿ وحدثني ﴾ ابو عمرو عبد الرحمان بن السكن عن رجل من آل عبد الله أن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن كتب الى أبيه لما بلغه شدة ما يلقى من الحبس يستأذنه أن يظهر حتى يضع يده في أيديهم فأرسل اليه عبد الله إن ظهورك يا بني يقتلك ولا يحييني فأقم بمكانك حتى يرتاح الله بفرج .

وأخذ ابو جعفر في بناء الرافقة وكان ابتداؤها في أيام ابى العباس وقال أما انا فلست أنزلها فقيل له وكيف ذلك يا أمير المؤمنين فقال كان أبي صار الى هشام وهو بالرصافة فجفاه وناله منه ما يكره ثم انصرف وأنا وأخي معه فلما صار الى هذا الموضع قال لي ولأخي أما إنه سيبني أحدكما في هذا الموضع مدينة فقلت له ثم ماذا ! فقال : لا ينزلها لكن ينزلها ابنه وأنا اعلم أني لا أنزلها ولكن ينزلها ابني محمد — يعني المهدى — .

وولى ابو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمان الأزدى خراسان فاستخلف على الشرطة أخاه عمر بن عبد الرحمان وقتل المغيرة بن سليمان ومجاشع بن حريث وقصد لشيعة بني هاشم فقتل منهم مقتلة عظيمة وجعل يتبعهم ويمثل بهم ، فكتب اليه ابو جعفر يحلف له ليقتلنه فخلع سنة ١٤١ فوجه اليه ابو جعفر بالمهدى فصار المهدى الى الري واستعمل

على خراسان أسيد بن عبد الله الخزاعي ووجه معه بالجيوش فلقي عبد الجبار بمرو فهزم عسكره وهرب عبد الجبار فاتبعه فأسره وبعث به الى ابي جعفر فوافاه وهو بقصر ابن هبيرة من بغداد على مرحلة فقال له عبد الجبار لما وافاه يا أمير المؤمنين قتلة كريمة فقال تركتها وراءك يا ابن اللخناء وقدمه فضرب عنقه وصلبه وأقام على الخشبة أياماً ثم جاء أخوه عبيد الله بن عبد الرحمان ليلاً فانزله فدفنه فبلغ أبا جعفر ذلك فقال دعوه الى النار

وولى ابو جعفر أرمينية يزيد بن أسيد السلمي ، وولى آذربيجان يزيد بن حاتم المهلبي فنقل اليمانية من البصرة اليها ، وكان أول من نقلهم وانزل الزواد بن المثنى الأزدي تبريز الى البذ ، وأنزل مربن علي الطائي زيز (. . .) الهمداني الميانج وفرق قبائل اليمن فلم يكن بآذربيجان من نزار احد إلا الصفر بن الليث العتبي ، وابن عمه البعيث بن حليس ، وتحركت الخزر بناحية أرمينية ووثبوا بيزيد بن أسيد السلمي فكتب الى ابي جعفر يعلمه أن رأس طرخان ملك الخزر قد أقبل اليه في خلق عظيم وأن خليفته قد انهزم فوجه اليه ابو جعفر جبريل بن يحيى البجلي في عشرين الفاً من أهل الشام وأهل الجزيرة وأهل الموصل فواقع الخزر فقتل خلق من المسلمين وانهزم جبريل ويزيد بن أسيد حتى اتيا خرس فلما انتهى الخبر الى أبي جعفر بما نال وظهور الخزر ودخولهم بلاد الاسلام أخرج سبعة آلاف من أهل السجون وبعث فجمع من كل بلد خلقاً عظيماً ووجه بهم وبفعلة وبناثين فبنى مدينة كمخ ، ومدينة المحمدية ، ومدينة باب واق ، وعدة مدن جعلها ردءاً للمسلمين وأنزلها المقاتلة فردوا الحرب فحاربهم قومهم وقوي المسلمون بتلك المدن وأقام بالبلد ساكناً ثم تحركت الصفارية بأرمينية فوجه ابو جعفر الحسن بن قحطبة عاملا على أرمينية فحاربهم فلم يكن له بهم قوة فكتب الى ابي جعفر يخبرهم وكثرتهم فوجه اليه عامر بن اسماعيل الحارثي في عشرين الفاً فلقي الصفارية فقاتلهم قتالاً شديداً وأقام أياماً يحاربهم ثم رزقهم الله الظفر عليهم فقتل منهم في يوم واحد ستة عشر الف انسان ثم انصرف الى تفليس فقتل من كان معه من الأسرى ، ووجه في طلب الصفارية

حيث كانوا ثم ولى ابو جعفر أرمينية واضحا مولاه فلم يزل عليها وعلى آذربيجان خلافة أبي جعفر كلها .

ووثب أهل طبرستان وأظهروا الخلع والمعصية وزحفوا في جيوش عظيمة فوجه اليهم المهدي خازم بن خزيمة التميمي وروح بن حاتم المهلبي فهزموا جيوشهم وفتحت طبرستان سنة ١٤٢ .

وخرج ابو جعفر في هذه السنة الى البصرة يريد الحج فلما صار بالجسر الكبير أتاه الخبر بأن أهل اليمن قد أظهروا المعصية وأن عبد الله بن الربيع عامل اليمن قد هرب ممن وثب عليه وضعف عنهم وأن عيينة بن موسى بن كعب التميمي عامل السند قد عصى وأظهر الخلع فوجه بمعن بن زائدة الشيباني الى اليمن وعمر بن حفص بن عثمان بن ابي صفرة الى السند ، وانصرف ابو جعفر من البصرة ولم يحج .

وقدم معن بن زائدة اليمن فقتل من بها قتلا فاحشا وأقام بها تسع سنين ، وكان موسى بن كعب التميمي لما انصرف عن بلاد السند خلف ابنه عيينة بن موسى فخالف عليه قوم ممن كان معه من ربيعة واليمن فقتل عامتهم وأظهروا المعصية ، فوجه ابو جعفر عمر ابن حفص (هزارمرد) الى السند فلم يُسلم عيينة ومنعه من الدخول فأقام بالديبل وكان معه عقبة مسلم وحاربه عمر بن حفص وكان أصحاب عيينة يستأمنون الى عمر فطلب عيينة الصلح فصالحه وأخرجه مع رسله وبعث به الى المنصور وأقام عمر بن حفص بالمنصورة ومضى عيينة مع رسله حتى إذا كان في بعض الطريق هرب من الرسل ومضى يريد سجستان حتى دنا من الرخج فضربه قوم من اليمانية فقتلوه وذهبوا برأسه الى المنصور وأقام عمر بن حفص بالسند سنتين ثم عزله ابو جعفر وولى هشام بن عمرو التغلبي فصار الى المنصورة فأقام بها ووجه الى ناحية الهند بجيش ففتحوا وأصابوا رقيقا ﴿ وقيل ﴾ لهشام إن المنصورة لا تحملك والملتان بلاد واسعة ومنها معرى فسار اليها فاستخلف على المنصورة أخاه بسطام بن عمرو فلما قرب من الملتان خرج صاحبها اليه في خلق ليرده والتقيا فكانت بينهما وقعة عظيمة

ثم انهزم صاحب الملتان وظفر هشام ونزل المدينة وسبى سبيا كثيراً ثم عمل السفن وحملها على نهر السند حتى القندهار ففتحها وسبى وهدم ﴿ البدّ ﴾ وبنى موضعه مسجداً ، ثم قدم الى المنصور بما لم يقدم به أحد من السند فلم يقم بالعراق إلا قليلا حتى مات فولى المنصور معبد بن الخليل التميمي فكان محموداً في البلد .

وصار ابو جعفر الى بغداد سنة ١٤٤ فقال ما رأيت موضعاً أصلح لبناء مدينة من هذا الموضع بين دجلة والفرات وشريعة البصرة والأبلة وفارس وما والاها والموصل والجزيرة والشأم ومصر والمغرب ومدرجة الجبل وخراسان فاختط مدينته المعروفة بمدينة ابي جعفر فى الجانب الغربي من دجلة وجعل لها أربعة ابواب بابا سماه باب خراسان شرع على دجلة ، وبابا سماه باب البصرة شرع على الصراة التي تأخذ من الفرات وتصل الى دجلة ، وبابا سماه باب الكوفة ، وبابا سماه باب الشأم ، وعلى كل باب من هذه الأبواب مجالس وقباب مذهبة يصعد اليها على الخيل وجعل عرض السور من سفلى سبعين (١) ذراعاً وضرب على سائر بغداد سوراً وجدّ فى البناء وأحضر المهندسين والبنائين والفعلة من كل بلد ، وأقطع مواليه وقواده القطائع داخل المدينة ، فدروب المدينة تنسب اليهم وأخذهم بالبناء ، وأقطع آخرين على أبواب المدينة وأقطع الجند أرباض المدينة ، وأقطع اهل بيته الأطراف ، وأقطع ابنه المهدي وجماعة من أهل بيته ومواليه وقواده .

وشخص المهدي من خراسان منصرفاً الى العراق فى هذه السنة وهي سنة ١٤٤ فخرج ابو جعفر لاستقباله بنهاوند وقدم فصار الى الكوفة فنزل الحيرة والمدينة التي بناها المنصور وسماها ﴿ الهاشمية ﴾ فاقام المهدي أياماً ثم ابتنى بريطة بنت ابي العباس بالحيرة .

---

(١) كتب فى الهامش بدل (سبعين) تسعين ؛ وفى معجم البلدان « وأمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً ومن أعلاه عشرين ذراعاً » (م ص)

وبلغ المنصور أن محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسن قد تحرك بالمدينة فكاتبه أهل البلدان فخرج حاجاً ولم يدخل المدينة فى منصرفه وصار الى الربذة فأتى بجماعة من من العلويين ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخو عبد الله بن حسن لأمه فسألهم عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن فقالوا ما نعلم له موضعاً ولا نعرف له خبراً فقال لمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أقطعتك ووصلتك وفعلت وفعلت ولم اواخذك بذنوب أهل بيتك ثم تستميل علي عدوي وتطوي أمره عني ثم أمر به فضرب ضرباً شديداً وطيف به بالربذة على حمار ، وأشخص القوم جميعاً على أقتاب بغير وطاء وانصرف ابو جعفر من حجه فصار الى بغداد ونزل مدينته المعروفة بباب الذهب سنة ١٤٥ ، وكانت الأسواق داخل المدينة فأخرجها الى الكرخ .

ولم يقر أبو جعفر إلا أياماً حتى أتاه الخبر بخروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وظهور أمره فرجع الى الكوفة فاقام بقصر ابن هبيرة بين الكوفة وبغداد اياماً وولى رياح بن عثمان بن حيان المري المدينة وقال ما وجدت لهم غيرك ولا أعلم لهم سواك فلما قدم رياح المدينة قام على المنبر فخطب خطبة له مشهورة يقول فيها : ﴿ يا أهل المدينة انا الأفعى ابن الأفعى ابن عثمان بن حيان وابن عم مسلم بن عقبة المبيد خضراءكم المقتي رجالكم والله لأدعها بلقعاً لا ينبح فيها كلب ﴾ فوثب عليه قوم منهم وكلموه وقالوا والله يا ابن المجلود حدين لتكفن او لنكفنك عن أنفسنا فكتب الى ابي جعفر يخبره بسوء طاعة اهل المدينة فارسل ابو جعفر الى رياح رسولا وكتب معه كتاباً الى أهل المدينة يأمره أن يقرأه عليهم ؛ وكان في الكتاب ﴿ يا أهل المدينة فان واليكم كتب إلي يذكر غشكم وخلافكم وسوء رأيكم واستمالتكم على بيعة امير المؤمنين وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدلنكم بعد أمنكم خوفاً وليقطعن البر والبحر عنكم وليبعثن عليكم رجالا غلاظ الاكباد بعاد الارحام بو (١)

(١) كذا فى الاصل وكتب فى الهامش (يبوون) ولعل الصحيح (يثوون فى) قعر بيوتكم

فمر بيوتكم يفعلون ما يؤمرون والسلام ﴾ .

فصعد رياح المنبر وقرأ الكتاب فلما بلغ (يذكر غشكم) صاحوا من كل جانب كذبت يا بن المجلود حدين ورموه بالحصا وبادر المقصورة فأغلقها فدخل دار مروان ودخل عليه أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد المخزومي فقال ﴿ أصلح الله الأمير إنما تصنع هذا رعاع الناس فاقطع أيديهم واجلد ظهورهم ﴾ فقال له بعض من حضر من بني هاشم (لا نرى هذا ولكن ارسل الى وجوه الناس وغيرهم من أهل المدينة فاقرأ عليهم كتاب المنصور) فجمعهم فقرأ عليهم كتاب المنصور فوثب حفص بن عمر بن عبد الله ابن عوف الزهري وابو عبيدة بن عبد الرحمان بن الأزهر ، هذا من ناحية وهذا من ناحية فقالا لرياح كذبت والله ما أمرتنا فعصيناك ولا دعوتنا فخالفناك ، ثم قالا للرسول أتبلغ أمير المؤمنين عنا قال ما جئت إلا لذلك ، قالا فقل له أما قولك إنك تبدل المدينة وأهلها بالأمن خوفاً فان الله عز وجل وعدنا غير هذا قال الله عز وجل : ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ فنحن نعبده لا نشرك به شيئاً .

وظهر محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بالمدينة مستهل رجب سنة ١٤٥ فاجتمع معه خلق عظيم واتته كتب أهل البلدان ووفودهم فاخذ رياح بن عثمان المري عامل ابي جعفر فاوثقه بالحديد وحبسه ، وتوجه ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن الى البصرة وقد اجتمع جماعة فاقام مستتراً وهو يكاتب الناس ويدعوهم الى طاعته فلما بلغ أبا جعفر أراد الخروج الى المدينة ثم خاف أن يدع العراق مع ما بلغه من أمر ابراهيم فوجه عيسى ابن موسى الهاشمي ومعه حميد بن قحطبة الطائي في جيش عظيم فصار الى المدينة وخرج محمد اليه في أصحابه فقاتلهم في شهر رمضان ومضى اصحابه الى الحبس فقتل رياح بن عثمان ، وكانت أسماء ابنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بالمدينة وكانت معادية لمحمد بن عبد الله فوجهت بحمار أسود قد جعلته على قصبة مع مولى لها حتى نصبه على

مأذنة المسجد ووجهت بمولى لها يقال له مجيب المامرى الى عسكر محمد فصاح الهزيمة الهزيمة قد دخل المسوّدة المدينة فلما رأى الناس العلم الأسود انهزموا وأقام محمد يقاتل حتى قتل فلما قتل محمد بن عبد الله بن حسن وجه عيسى بن موسى كثير بن الحصين العبدي الى المدينة فدخلها فتتبع أصحاب محمد فقتلهم وانصرف الى العراق .

وكان ابراهيم بن عبد الله قصد الكوفة وهو لا يشك أن أهل الكوفة يثبون معه بابي جعفر فلما صار بالكوفة لم يجد ناصراً وبلغ أبا جعفر خبره فوضع الأرصاد والحرس بكل موضع فرام الخروج فلم يقدر فعلم أنه قد أخطأ فأعمل الحيلة وكان مع ابراهيم رجل يقال له سفيان بن يزيد العمي فصار الى ابي جعفر فقال له يا أمير المؤمنين تؤمنني وأدلك على ابراهيم بعد أن أدفعه اليك فقال أنت آمن واين هو ! قال بالبصرة فوجه معي برجل تثق به واحملني على دواب البريد واكتب الى عامل البصرة حتى أدله عليه فيقبض عليه فوجه معه بابي سويد صاحب طاقات ابي سويد ببغداد فى باب الشام فخرج ومعه غلام عليه جبة صوف وعلى عنقه سفرة فيها طعام حتى ركب البريد معه ابو سويد وذلك الغلام فلما صار الى البصرة قال سفيان لأبي سويد انتظرني حتى أعرف خبر الرجل ومضى فلم يعد ، وكان الغلام الذي عليه الجبة الصوف ابراهيم بن عبدالله ابن حسن بن حسن فلما ابطأ صار ابو سويد الى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب — وكان عامل الناحية — فقال له اين الرجل قال لا أدري فكتب الى ابى جعفر فعلم أنه ابراهيم وأنها حيلة .

وخرج ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبى طالب عليه السلام بالبصرة وقد بايع أهلها وكان خروجه فى أول شهر رمضان فقصد دار الامارة والامير سفيان بن معاوية المهلبي فتحصن منه فى القصر ثم طلب الأمان فآمنه ابراهيم فخرج سفيان بن معاوية وأسلم البلد فقبض ابراهيم على بيت المال وغيره وكان فى البلد جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي فخرجا الى ميسان فأقاما هناك متحصنين في خندق ، ووجه

ابراهيم بن عبد الله الى الأهواز المغيرة بن الفزع السعدي فأخرج محمد بن الحصين عاملها وغلب على البلد ؛ ووجه يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمان بن عباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب الى فارس فدخلها وأخرج عنها اسماعيل بن علي ، ووجه هارون بن سعد العجلي الى واسط واستولى على ما حولها ، ووجه برد بن لبيد اليشكري الى كسكر فغلب عليها ، وخرج ابراهيم من البصرة واستخلف نميلة بن مرة الأسعدي وكان قد احصى ديوانه فكانوا ستين الفاً فخرج من البصرة في أول ذي القعدة فاخذ على كسكر يقصد المنصور وكان ابو جعفر قد كتب الى عيسى بن موسى يأمره بسرعة القدوم فلما وصله قال له يا أبا موسى أنت اولى بالفتح من جعفر ومحمد ابني سليمان فانفذ ليكمل الله الظفر على يديك ، فخرج في ثمانية عشر الفاً من الجند وشيعة ابي جعفر وكتب الى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي أن يصيرا معه ، وزحف ابراهيم حتى صار الى قرية يقال لها ﴿ باخمرا ﴾ وصار عيسى بن موسى الى قرية يقال لها ﴿ سحا ﴾ وقدم حميد بن قحطبة الطائي للقتال والتحمت الحرب وكانت أشد حرب والدائرة على عيسى بن موسى حتى لم يشك الناس في علو ابراهيم وظفره ، ثم إن سلم بن قتيبة الباهلي خرج على أصحاب ابراهيم من ناحية بخيل فتوهموا كميناً فانهزموا وبقي ابراهيم في اربعمائة من الزيدية فحاربوا أشد محاربة ، وكان ابراهيم يدعو الى أخيه محمد فلما قتل محمد دعا الى نفسه ﴿ وحدثني ﴾ رجل من القحطانية قال أخبرني (. . . .) قال رأيت ابراهيم في اليوم الذي واقعه عيسى على بغلة دهماء وسديف بن ميمون آخذ بثفر بغله وهو يقول :

خذها أبا اسحاق ملتبهـا * في سيرة ترضى وعمر طويل

وظهر ابراهيم ظهوراً شديداً حتى هزم العسكر مرة بعد أخرى ، وزحف حتى قرب من الكوفة وحتى دعا ابو جعفر بنجائبه ليصير الى بغداد ، وكان العلو في ابراهيم حتى أنه لم يشك أنه يدخل الكوفة ، وكان ابو جعفر لا ينام في تلك الليالي

وحمل اليه امرأتان فاطمة بنت محمد الطلحية ؛ وأم كريم بنت عبد الله من ولد خالد ابن أسيد ، فوجه بهما الى بغداد ولم يكشف لهما كشفاً ، ولما أن هزم اصحاب ابراهيم قام يحارب أشد حرب في اربعمائة من اصحابه الى ان قتل وأخذ رأسه فوجه به الى ابي جعفر وهو بالكوفة فوضع بين يديه وأذن للناس فجعلوا يدخلون فينالون من ابراهيم وأخيه وأهله حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فقال أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك فسرّ بذلك ابو جعفر وقال أبا خالد مرحباً وأهلاً ههنا ، فعلم الناس أنه قد سرته مقالته فقالوا مثل قوله ، وأتاه الحسن بن زيد فعرض عليه الرأس فلما رآه امتقع لونه وتغير وجهه فقال والله يا أمير المؤمنين لقد قتلته صواماً قواماً وما كنت أحب أن تبوأ بإثمه ، فقال له رجل من أهله كأنك تزري على أمير المؤمنين في قتله ؛ فقال كأنك أردت مني أن اكذب عليه وقد صار الى الله ، فقال ابو جعفر والله ما كنت أنتظر إلا أن يدخل صاحبك من ذلك الباب فأدعو بك فاضرب عنقك وأخرج من الباب الآخر ، فقال او كنت اسبقك الى ذلك ؟

وانصرف ابو جعفر بعد قتل ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بثلاثة أشهر فنزل مدينة بغداد نزول مستوطن في شهر ربيع الأول سنة ١٤٦ ، وكان ذلك من شهور العجم في تموز ؛ وأشخص المهدي الى خراسان عاملاً عليها ومعه وجوه الجند والصحابة فاجتمع قواد خراسان الى ابي جعفر وذكروا له فعال المهدي في نبل أخلاقه ومدحوه وسألوه أن يصير اليه تولية العهد من بعده ؛ فكتب الى عيسى بن موسى وهو بالكوفة يعلمه ما قد وقع بقلوب أهل خراسان وغيرهم من هذا الأمر ، وكان عيسى بن موسى يقول إن له ولاية العهد بعد أبي جعفر ، فلما ورد عليه كتاب ابي جعفر بما اجتمع عليه القواد وأهل خراسان من تصيير ولاية العهد من بعده للمهدي وأشار عليه بأن يسبق الى ذلك فكتب اليه عيسى يعظم عليه هذا الأمر ويذكر له ما في نكث العهود ونقض الأيمان وأنه لا يأمن أن يفعل الناس هذا في بيعته وبيعة ابنه ، وجرت

بينهما مراسلات ، وقدم عيسى بغداد فوثب به الجند يوماً بعد يوم وصاروا الى بابه حتى خاف على نفسه ، فلما رأى ذلك رضي وسلم فبايع المنصور بولاية العهد لابنه المهدي سنة ١٤٧ ولم يبق أحد إلا دخل في البيعة ، وجعل لعيسى ولاية العهد بعد المهدي والمهدي يومئذ بخراسان ، وأتته كتب أبيه بالبيعة له فبايع من معه من القواد وأهل خراسان جميعاً خلا باذغيس فانه خالف بها ﴿ استاذسيس ﴾ فادعى النبوة وصحبه على ذلك خلق كثير فوجه اليه المهدي خازم بن خزيمة التميمي فحاربه ففض جموعه فاسره وحمله الى ابي جعفر الى بغداد فقتله ، وفي هذه السنة كان انقضاض الكواكب .

وفاة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وآرائه

توفي ابو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام — وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر — بالمدينة سنة ١٤٨ وله ست وستون سنة وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله ، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا أخبرنا العالم ﴿ قال سفيان ﴾ سمعت جعفراً يقول : الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، وترك حديث لم تروه أفضل من روايتك حديثاً لم تحصه ، إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه ﴿ وقال جعفر ﴾ ثلاثة يجب لهم الرحمة غني افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وعالم تلاعب به الجهال ﴿ وقال ﴾ من أخرجه الله من ذل المعاصي الى عز التقوى أغناه الله بغير مال واعزه الله بغير عشيرة ؛ ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ؛ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل ؛ ومن لم يستح من طلب الحلال خفت مؤنته ونعم أهله ، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه فاطلق لسانه من أمور الدنيا داءها ودواءها وأخرجه منها سالماً ﴿ وروي ﴾ أنه قال لما نزلت على رسول الله ﴿ لا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ الآية ﴿ قال ﴾ ومن لم يتعز بعزاء

رسول الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ومن أتبع طرفه ما في أيدي الناس طال همه ولم يشف غيظه ؛ ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في كل مأكل ومشرب فقد قصر عمره ودنا عذابه ﴿ وقال ﴾ ما أنعم الله على عبده نعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه إلا أعطي خيراً مما أخذ ﴿ وقال ﴾ إن مما ناجى الله عز وجل به موسى يا موسى لا تنسني على حال ولا تفرح بكثرة المال فان نسياني يميت القلب وعند كثرة المال تكثر الذنوب ﴿ يا موسى ﴾ كل زمان يأتي بالشدة بعد الشدة ، وبالرخاء بعد الرخاء ، والملك بعد الملك ؛ وملكي قائم لا يزول ؛ ولا يخفى علي شيء في الأرض ولا في السماء ، وكيف يخفى علي ما كان ابتداؤه مني ، وكيف لا تكون همتك فيما عندي وانت ترجع لا محالة الى عندي ﴿ وقال ﴾ خلتان من لزمهما دخل الجنة ، فقيل وما هما ! قال : احتمال ما تكره إذا أحبه الله وترك ما تحب اذا كرهه الله ، فقيل له من يطيق ذلك ، فقال من هرب من النار الى الجنة ﴿ وقال ﴾ فعل المعروف يمنع ميتة السوء ؛ والصدقة تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر ، وقول لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة ﴿ وقال ﴾ ما توسل الي أحد بوسيلة ولا تذرع بذريعة هي أحب إلي ولا أقرب مني من يد أسلفته اياها أتبع بها أختها لأحسن ربها وحفظها إذا كان منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل ، وما سمحت نفسي برد بكر من الحوائج ﴿ وقال ﴾ أوحى الله الى موسى ابن عمران أدخل يدك في فم التنين الى المرفق فهو خير لك من مسألة من لم يكن المسألة بمكان ﴿ وقال ﴾ لا تخالطن من الناس خمسة ؛ الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك والكذاب فان كلامه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد منك القريب ؛ والفاسق فانه يبيعك بأكلة أو شربة ؛ والبخيل فانه يخذلك أحوج ما تكون اليه ، والجبان فانه يسلمك ويتسلم الدية ﴿ وقال ﴾ المؤمنون يألفون ويؤلفون ويغشى رحلهم ﴿ وقال ﴾ من غضب عليك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءاً فاتخذه لك خلا ، ومن

أراد أن تصفو له مودة أخيه فلا يمارينه ولا يمازحنه ولا يعده ميعاداً فيخلفه .

وكان لجعفر بن محمد من الولد اسماعيل ، وعبد الله ، ومحمد ، وعلي ، والعباس

﴿ قال اسماعيل ﴾ بن علي بن عبدالله بن عباس : دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً وقد اخضلت لحيته بالدموع وقال لي ماعلمت مانزل باهلك فقلت وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال فان سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفي فقلت ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال جعفر بن محمد ، فقلت أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال لنا بقاءه فقال لي إن جعفراً كان ممن قال الله فيه ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات .

وكان اسماعيل بن علي من خيار بني هاشم وأفاضلهم ولاه ابو جعفر المنصور فارس وقد خرج مهلهل الحروري بها فلقيه في جمع فقتله وهزم عسكره وأسر من اصحابه اربعمائة ، وكان عبد الصمد أخوه معه فقال أصلح الله الأمير اضرب أعناقهم فقال له اسماعيل بن علي إن أول من علم قتال أهل القبلة علي بن ابي طالب ولم يكن يقتل أسيراً ولا يتبع منهزماً ولا يجهز على جريح .

وكان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس يتولى لأبي جعفر قنسرين والعواصم فبلغه كثرة عدده ومواليه فخافه فكتب اليه في القدوم عليه فكتب أنه شديد العلة فلم يقبل ذلك وكان مرضه (السل) فصار الى بغداد فلما رآه ابو جعفر صرفه ولم يأمر له بصلة ولا بر ، فقال إن أمير المؤمنين يئس مني ففعل هذا بي والله يحيي العظام وهي رميم فلما صار الى عانات من كور الفرات مات ، وكان نظير ابي جعفر في السن .

وولى ابو جعفر أهل بيته البلدان ، فولى اسماعيل بن علي فارس ، وسليمان بن علي البصرة ، وعيسى بن موسى الكوفة ، وصالح بن علي قنسرين والعواصم ، والعباس ابن محمد الجزيرة ، وعبد الله بن صالح حمص ، والفضل بن صالح دمشق ، ومحمد بن ابراهيم الأردن ، وعبد الوهاب بن ابراهيم فلسطين ، والسري بن عبد الله بن تمام

ابن العباس بن عبد المطلب مكة ، وجعفر بن سليمان المدينة ، ويحيى بن محمد الموصل ، ثم صرفه وولى ابنه جعفراً وصير معه هشام بن عمرو .

وكان عماله من العرب يزيد بن حاتم المهلبي ، ومحمد بن الأشعث الخزاعي وزياد بن عبيد الله الحارثي ، ومعن بن زائدة الشيباني ؛ وخازم بن خزيمة التميمي وعقبة بن أسلم الهنائي ، ويزيد بن أسيد السلمي ، وروح بن حاتم المهلبي ، والمسيب ابن زهير الضبي ، وعمر بن حفص المهلبي ، والحسن بن قحطبة الطائي ، وسلم ابن قتيبة الباهلي ، وجعفر بن حنظلة البهراني ، والربيع بن زياد الحارثي ، وهشام ابن عمرو التغلبي .

فكان ينقل هؤلاء في أعماله لثقته بهم واعتماده عليهم ، وكان عماله من مواليه عمارة بن حمزة ؛ ومرزوق ابو الخصيب ، وواضح ، ومنارة ، والعلاء ؛ ورزين وغزوان ، وعطية ، وصاعد ، ومريد . وأسد . والربيع .

وكتب المنصور الى معن بن زائدة الشيباني وهو على اليمن سنة ١٥١ أن يقدم فاستخلف ابنه زائدة على اليمن وقدم على ابى جعفر . وكان معن قد أسن فقال له ابوجعفر كبرت سنك يا معن . قال فى طاعتك يا أمير المؤمنين . قال وانك لتتجلد قال على أعدائك . قال وإن فيك لبقية . قال هي لك فأنفذه الى خراسان والمهدي بها فانصرف المهدي وأقام معن لقتال من هنالك من الخوارج حتى قتل منهم خلقاً عظيماً وأفناهم فلما رأوا انهم لا قوة لهم بمحاربته استعملوا الحيلة وكان يبني داراً له بيست فدخل بعضهم في هيئة البنائين ثم صيروا السيوف في أطنان القصب فأقاموا أياماً فلما توسطوا الدار أخرجوا السيوف ثم حملوا عليه وهو في داره فقتلوه فتجرد يزيد بن مزيد ابن اخيه فقتل من الخوارج حتى جرت دماؤهم كالنهر ثم شخص الى بغداد واتبعه الشراة . وكان يركب في موكب ضخم من موالي عمه وعشيرته فلم يظفروا له بغرة حتى صار على الجسر ببغداد فشدوا عليه فترجل فقتل منهم خلقاً عظيما وضربوه ضربات

بالسيوف وكانت وقعة جليلة وقتل من الخوارج قتالاً عظيماً وآمن الناس فلا يعلم أن الخوارج دخلت قط بغداد ظاهراً فقتلت أحداً إلا ذلك اليوم ، وأقام زائدة بن معن ابن زائدة خليفة أبيه باليمن حتى قتل أبوه واستعمل المنصور مكانه الحجاج بن منصور ثم صرفه واستعمل مكانه يزيد بن منصور .

وخالف أهل اليمامة والبحرين سنة ١٥٢ وقتلوا أبا السّاج عامل ابي جعفر عليهم فوجه عليهم عقبة بن أسلم الهنائي فقتل من بها من ربيعة مجازاة لما فعل معن باليمن وقال لو كان معن على فرس جواد وأنا على حمار أعرج لسبقته الى النار ؛ وسبى العرب والموالي وقدم على عقبة رسول ببشارة من عند المنصور فقال له عقبة ما عندي مال فأعطيك إلا أني أعطيك ما قيمته خمسمائة الف درهم ؛ قال وما ذاك ! قال أدفع اليك خمسين رجلا من ربيعة فتنطلق بهم فاذا صرت الى البصرة أظهرت أنك تريد ضرب اعناقهم وصلبهم على أبواب اعداء أمير المؤمنين فانك لا تشير على أحد إلا افتدى منك بعشرة آلاف درهم ، قال قد رضيت ؛ فدفعهم اليه فقدم بهم البصرة ووقف بهم في ﴿ المربد ﴾ وأظهر أنه يريد ضرب أعناقهم وصلبهم فاجتمع الناس حتى كادت تكون فتنة وسوار ابن عبد الله قاضي البصرة يومئذ فأرسل إلى الرسول فاحضره ثم وجه فحبس القوم وقال تمسك عنهم حتى آمرك وكتب الى المنصور يخبرهم وعظم عليه الخطب منهم وكتب اليه أنه قد عفا عنهم وجزاه الخير .

وقتل الياس بن حبيب الفهري عامل افريقية فولى ابو جعفر حبيب بن عبدالرحمان ابن حبيب ابن اخي الياس فاقام بها مدة ، ووثب رجل يقال له عاصم بن جميل الأباضي فقتله وكثرت الأباضية بافريقية وولت عليهم أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري فاستفحل أمره وغلب على البلد فولى ابو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعي فقدم طرابلس وزحف اليه ابو الخطاب من القيروان فحاربه فقتله محمد بن الاشعث ووجه برأسه الى ابي جعفر ، وصار محمد بن الأشعث الى القيروان فلم يقم إلا يسيراً حتى خرج

عليه هاشم بن اشتاخنج الخراساني وظافره من بالبلد من الجند وأهل خراسان فأخرجوه عن البلد وولوا عليهم رجلا يقال له عيسى بن موسى الخراساني وانصرف ابن الاشعث الى العراق ؛ وكتب ابو جعفر الى الأغلب بن سالم التميمي بولاية البلد فوثب أهل افريقية فنحوا الأغلب بن سالم وولوا الحسن بن حرب فلما بلغ ابا جعفر الخبر كره اضطراب البلد وكتب الى الحسن بن حرب بولاية البلد فلما سكن البلد ولى عمر بن حفص المهلبي ﴿ هزار مرد ﴾ فقدم البلد فلم يقم إلا يسيراً حتى وثب به يعقوب بن تميم الكندي المعروف بأبي حاتم ومعه أهل البلد فحاصره بالقيروان فلم يزل محاصراً حتى قتل سنة ١٥٣ وغلب على البلد ابو حاتم يعقوب بن تميم الأباضي ؛ وولى ابو جعفر يزيد بن حاتم المهلبي المغرب سنة ١٥٤ وخرج يشيعه حتى أتى بيت المقدس فأمره بالنفوذ وانصرف ابو جعفر فاستنفر الشامات والجزيرة ، وقدم يزيد بن حاتم مصر فأقام بها يسيراً ثم شخص الى افريقية فصار الى طرابلس في خلق عظيم وزحف اليه ابو حاتم الأباضي فالتقيا بطرابلس فقاتله وأقامت الحرب بينهما أياماً فقتل ابو حاتم وخلق عظيم من أصحابه ، وقدم يزيد بن حاتم القيروان سنة ١٥٥ ونادى في الناس جميعاً بالأمان ولم يزل مقيما على البلد خلافة ابي جعفر وخلافة المهدي وخلافة موسى وبعض خلافة الرشيد

وتحرك أهل الطالقان فوجه اليهم عمر بن العلاء ففتح الطالقان ودنباوند وديلمان وسبى من الديلم سبايا كثيرة ، ثم صار الى طبرستان فلم يزل مقيماً بها خلافة المنصور ووجه المنصور الليث مولى أمير المؤمنين الى فرغانة وملكها يومئذ (فمران بن اوراكون) ومنزله مدينة يقال لها ﴿ كاشغر ﴾ فحاربهم محاربة شديدة حتى طلب ملك فرغانة الصلح فصالحهم على مال كثير ، وأوفد ملك فرغانة رجلا من أصحابه يقال له ﴿ باتيجور ﴾ فعرض عليه الاسلام فأبى فلم يزل محبوساً الى أيام المهدي ، وقال لا أخون الملك الذى وجهني .

وبنى ابو جعفر مدينة المصيصة وكانت حصناً صغيراً ﴿ وقيل ﴾ ان عبد الله بن

عبد الملك بن مروان كان بناه ، وكانت الروم تطرقهم فى كل وقت فتستبيح ذلك الموضع فبنى عليها السور وجعل عليها الخندق وأسكنها المقاتلة وحمل اليها أهل المحابس وكان الذي تولى بناءها العباس بن محمد وصالح بن علي .

وأخذ أبو جعفر أموال الناس حتى ما ترك عند أحد فضلاً ، وكان مبلغ ما أخذهم ثمانمائة الف الف درهم ﴿ وكان يقول ﴾ لأهل بيته إني لأجل موضعي حتى أحذر منكم لأنه ما فيكم إلا عمٌ وأخ وابن عم وابن أخ فانا أراعيكم ببصري وأهتم بكم بنفسي فالله الله في أنفسكم فصونوها وفي اموالكم فاحتفظوا بها ، وإياكم والاسراف فيوشك أن تصيروا من ولد ولدي الى من لا يعرف الرجل حتى يقول له من أنت ﴿ وكان يقول ﴾ الملوك ثلاثة : فمعاوية وكفاه زياده ، وعبد الملك وكفاه حجاجه وانا ولا كافى لي ﴿ وكان يقول ﴾ من قل ماله قل رجاله ، ومن قل رجاله قوي عليه عدوه ، ومن قوى عليه عدوه اتضع ملكه ، ومن اتضع ملكه استبيح حماه ﴿ وقال ﴾ يوماً لأصحابه إن هذا الملك أفضي إلي وأنا حنيك السن قد حلبت هذا الدهر أشطره . وزاحمت المشاة في الأسواق . وشاهدتهم في المواسم . وغازيتهم في المغازي . فو الله ما احب أن أزداد بهم خيراً على أني أحب أن أعلم ما أحدثوا بعدى منذ تواريت عنهم بهذه الجدارات وتشاغلت عنهم بأمورهم مع أني والله مالمت نفسي أن اكون قد أذكيت العيون عليهم حتى أتتني أخبارهم وهم فى منازلهم ﴿ وحدثني ﴾ بعض اشياخنا قال إن أبا جعفر يوماً ليخطب ويذكر الله إذا قام اليه رجل فقال أذكرك من تذكر يا أمير المؤمنين به . فقال سمعاً لمن قبل عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن تأخذني العزة بالاثم ﴿ لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين ﴾ وأنت أيها القائل ما الله أردت بها وإنما أردت أن يقال قام وقال وعوقب فصبر . وأهون بقائلها لو همت فاهتبلها ويلك اذ غفرت . وإياك وإياكم أيها الناس وأختها فان الحكمة علينا نزلت ومن عندنا فصلت وردوا الأمر الى أهله تصدروه كما أوردوه . ثم عاد الى الموضع من الخطبة

وحج ابو جعفر فى خلافته خمس حجج سنة ١٤٠ وسنة ١٤٤ وسنة ١٤٧ وسنة ١٥٢ وسنه ١٥٨ . فلم يتم الحج . وهلك فى أول العشر فأقام الحج ابراهيم بن يحيى ابن محمد بن علي ﴿ وقال أبو جعفر ﴾ لما حضرته الوفاة لمواليه « إني كنت رأيت فى المنام قبل أن يقضى هذا الأمر الينا كأنا فى المسجد الحرام إذا خرج النبي من البيت ومعه لواء فقال أين عبد الله فقمت أنا وأخي وعمي فسبقنا أخي يعني أبا العباس فأخذ اللواء فخطا به خطوات أحصيها فاعدها ثم سقط وسقط اللواء من يده فاخذه رسول الله ثم رجع الى موضعه فقال أين عبد الله فقمت انا وعمي فزحمت فالقيته وتقدمت فأخذت اللواء فخطيت به خطوات أحصيها وأعدها ثم سقطت وسقط اللواء من يدى وقد انقضت تلك الخطا وانا ميت فى يومي » ومات لثلاث خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ وهو ابن ٦٨ سنة . ودفن ببئر ميمون وصلى عليه ابنه صالح فكانت ولايته ٢٢ سنة وخلف من الولد الذكور ستة محمد المهدى وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية . وصالح ويعقوب وأمهما الطلحية . . (١) . . وكان ابنه جعفر الاكبر قد توفي في حياته وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية .

وكان الغالب عليه ابو ايوب الخوزى . وكان ابو ايوب كاتباً لسليمان بن حبيب المهلبي الذى كان ابو جعفر عامله فى أيام بني أمية فعتب على ابي جعفر فأمر بضربه وحبسه فتخلصه ابو ايوب فحفظ ذلك له فاستوزره ثم سخط عليه وقتله واستصفى

(١) بياض في الأصل وسقط بقية أولاده الذين خلفهم . وقد جعلهم ابن الاثير في حوادث سنة ١٥٨ من الكامل ستة ايضاً . محمد المهدى . وصالح . ويعقوب وجعفر الاصغر أمه أم ولد كردية . ويقال له ابن الكردية . وسليمان وعيسى أمهما أم أخيهما يعقوب فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله . وكان له القاسم مات قبله وله عشر سنين أمه أم ولد تعرف بأم القاسم . كما أن جعفر الاكبر مات قبله ايضاً . وله من البنات العالية أمها امرأة من بني امية . (م . ص)

ماله . وقتله سنة ١٥٤ ولم يعرف أن أحداً غلب عليه بعد . وكان له سمار منهم : هشام بن عمرو التغلبي ؛ وعبد الله بن الربيع الحارثي ؛ واسحاق بن مسلم العقيلي والحارث بن عبد الرحمان الحرشي .

وكان أول من ولى القضاة الأمصار من قِبله ، وكان يوليهم أصحاب المعاون وكان قضاته عثمان بن عمر التميمي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ؛ ثم عبد الله بن صفوان الجمحي ، وعلى الكوفة شريك بن عبد الله النخعي ، وعلى البصرة عمر بن عامر السلمي ثم سوار بن عبد الله العنبري . وعلى مصر عبد الله بن لهيعة الحضرمي . وعلى شرطه عبد الجبار بن عبد الرحمان الأزدي . الى أن عزله وولاه خراسان واستعمل أخاه عمر بن عبد الرحمان ثم عزله لما عصى اخوه وفتك . واستعمل موسى بن كعب التميمي ثم المسيب بن زهير الضبي ، وكان في أول أمره خليفة موسى بن كعب ثم مات موسى وكان كعب بن مالك على حرسه . ثم عثمان بن نهيك . ثم استعمل مكانه ابا العباس الطوسي ، وكان حاجبه عيسى بن روضة مولاه . ثم حجبه الربيع مولاه وغلب على اكثر اموره .

وأقام الحج للناس فى أيامه فى سنة ١٣٦ : اسماعيل بن علي ﴿ وقيل ﴾ ابوجعفر وكان معه ابومسلم ؛ سنة ١٣٧ اسماعيل بن علي ، سنة ١٣٨ فضل بن صالح ابن علي ، سنة ١٣٩ وهو عام الخصب العباس بن محمد بن علي ؛ سنة ١٤٠ ابوجعفر المنصور ، سنة ١٤١ اسماعيل بن علي وهو على دمشق وحمص وقنسرين ، سنة ١٤٢ اسماعيل بن علي ، ١٤٣ عيسى بن موسى بن محمد بن علي ؛ سنة ١٤٤ العباس ابن عبد المطلب ؛ سنة ١٤٦ عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي ، سنة ١٤٧ ابو جعفر المنصور ، سنة ١٤٨ جعفر ابنه ، سنة ١٤٩ محمد بن ابراهيم بن علي سنة ١٥٠ عبد الصمد بن علي ، سنة ١٥١ محمد بن ابراهيم ؛ سنة ١٥٢ ابو جعفر المنصور . ١٥٣ المهدي وهو ولي عهد ابيه . ١٥٤ محمد بن ابراهيم . سنة ١٥٥

عبد الصمد بن علي . سنة ١٥٦ العباس بن محمد . سنة ١٥٧ ابراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي . سنة ١٥٨ خرج ابو جعفر يريد الحج فمات وأقام الحج ابراهيم .

وغزا بالناس فى أيامه ، سنة ١٣٨ صالح بن علي على جند الشام ؛ والعباس بن محمد بن علي على خراسان ، ولم يغز بلاد الروم منذ غزا الغمر بن يزيد في سنة ١٢٥ الى هذه الغاية ، واقام صالح بن علي والياً على الشام والثغور وهو يغزي بلاد الروم امراء من قبله عليهم ابنه الفضل بن صالح وغيره ، سنة ١٤٢ العباس بن محمد ، سنة ١٤٣ العباس ايضاً ، سنة ١٤٥ حميد بن قحطبة ؛ سنة ١٤٦ محمد بن ابراهيم سنة ١٤٧ السري بن عبد الله بن الحارث ، سنة ١٤٨ الفضل بن صالح ، سنة ١٤٩ يزيد بن أسيد ، سنة ١٥٥ يزيد بن أسيد ، سنة ١٥٧ زفر بن عاصم الهلالي .

وكان الفقهاء في زمانه : يحيى بن سعيد الأنصاري ؛ محمد بن عبد الرحمان ، ابن ابي طوالة ، هشام بن عروة بن الزبير ، محمد بن عمر بن علقمة ، موسى بن عبيدة ، ابن ابي صعصعة ، ربيعة الرأى وهو ابن ابي عبد الرحمان ، محمد بن عبد الرحمان بن ابي ذئب ، عثمان بن الأسود ، حنظلة بن ابي سفيان ، عبد الملك بن جريج ، عبد العزيز بن ابى الرواد ، ابراهيم بن يزيد ﴿ محمد برد الاندى ﴾ ابو سيار النسارى واسمه هرار بن مرة ؛ سليمان بن مهران الكاهلي ، الحسن بن عبد الله النخعي ، ابوحيان يحيى بن سعيد التيمي ، مجالد بن سعيد ، محمد بن السائب الكلبي ، الأجلح ابن عبد الله الكندى ، البراء بن ابى زائدة الهمداني ، يونس بن ابى اسحاق السبيعي الحسن بن عمر الفقيمي . محمد بن عبد الرحمان بن ابى ليلى . الحجاج بن ارطاة ابو حنيفة النعمان بن ثابت . محمد بن عبد الله العرزمي . الحسن بن عمارة . مسعر بن كدام . ابو حمزة الثمالي . سفيان بن سعيد الثورى . عبد الجبار بن عباس الهمداني يحيى بن سلمة بن كهيل . عبد الله بن عون المزني . خالد بن مهران . ابو المعتمر سليمان التيمي . عمرو بن عبيد . سوار بن عبد الله . ابو الأشهب العطاردى ، حميد

الطويل ، شعبة بن الحجاج العبدي ، حماد بن سلمة ، حماد بن زيد ، عبد الله بن محرز ، عمرو ابن قيس الكندي ، الأوزاعي عبد الرحمان بن عمرو ، غالب بن عبد الله العقيلي .

أيام المهـــدى

وهو محمد بن عبد الله المنصور — وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن يزيد الحميري — وبويع في اليوم الذي توفي فيه المنصور ؛ وأخذ الربيع له البيعة بمكة على من حضر من الهاشميين والقواد ، وكان صالح بن المنصور حاضراً وموسى بن المهدي فأنفذ اليه الخبر مع منارة مولى ابي جعفر ووصيته ، فسار منارة اثني عشر يوماً الى بغداد والمهدي بها فاحضر القواد والهاشميين والصحابة فبايعوا .

وكانت الشمس يومئذ في الميزان اربعاً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والقمر في الجوزاء عشرين درجة وخمسين دقيقة ، وزحل في الميزان ثماني عشرة درجة وخمسين دقيقة ؛ والمشترى فى الجدى سبع عشرة درجة واربعين دقيقة ، والمريخ فى الجوزاء خمس درجات وأربعين دقيقة راجعاً ، والزهرة في الميزان خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، وعطارد في العقرب ثماني عشرة درجة وعشر دقائق ، والرأس في الثور تسع درجات وعشر دقائق .

وقرأ المهدى وصية أبي جعفر وكانت نسختها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ما عهد عبد الله أمير المؤمنين الى المهـدى محمد ابن أمير المؤمنين ولي عهـد المسلمين حين أسند وصيته اليه بعده واستخلفه على الرعية من المسلمين وأهل الذمة وحرم الله وخزائنه وأرضه التي يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، أن أمير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد ، والعمل بطاعته في العباد ، ويحذرك الحسرة والندامة ، والفضيحة في القيامة ، قبل حلول الموت ؛ وعاقبة الفوت حين تقول « رب لولا أخرتني الى أجل قريب » هيهات ابن منك المهل ، وقد انقضى عنك الأجـل ، وتقول رب ارجعني لعلي أعمل صالحاً ، فحينئذ ينقطع عنك املك ، ويحل بك عملك ؛ فترى

ما قدمته يداك ، وسعت فيه قدماك ، ونطق به لسانك ، واستركبت عليه جوارحك ، ولحظت له عينك ، وانطوى عليه غيبك ، فتجزى عليه الجزاء الاوفى إن شراً فشراً ، وإن خيراً فخيراً ، فليكن تقوى الله من شأنك ، وطاعته من بالك استعن بالله على دينك ، وتقرب به الى ربك ، ونفسك فخذ منها ولا تجعلها للهوى وكن لعمل الشر قامعاً ، فليس أحد اكثر وزراً ولا أعز اثماً ولا أعظم مصيبة ولا أجل رزية منك لتكاثف ذنوبك وتضاعف اعمالك ، إذ قلدك الله الرعية تحكم فيهم بمثل الذرة فيقتضون منك أجمعون وتكافى على افعال ولاتك من الظالمين فان الله يقول « إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » فكأني بك وقد أوقفت بين يدى الجبار ، وخذلك الأنصار ، وأسلمك الأعوان ، وطوقت الخطايا ، وقرنت بك الذنوب ، وحل بك الوجل ، وقعد بك الفشل ، وكلت حجتك ، وقلت حيلتك ، وأخذت منك الحقوق ، واقتاد منك المخلوق ، في يوم شديد هوله ، عظيم كربه « تشخص فيه الأبصار لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » فما عسيت أن يكون حالك يومئذ إذا خاصمك الخلق ، واستقضى عليك الحق ، إذ لا خاصة تنجيك ، ولا قرابة تحميك ، تطلب فيه التباعة ولا تقبل فيه الشفاعة ، ويعمل فيه بالعدل ، ويقضى فيه بالفصل ، قال الله « لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » فعليك بالتشمير لدينك ، والاجتهاد لنفسك فأفكك عنقك . وبادر يومك . واحذر غدك . واتق دنياك فانها دنيا غدارة موبقة . ولتصدق الله نيتك . وتعظم اليه فاقتك . وليتسع انصافك . وينبسط عدلك ويؤمن ظلمك . وواس بين الرعية في الاحتكام . واطلب بجهدك رضا الرحمان وأهل الدين فليكونوا اعضادك . وأعط حظ المسلمين من أموالهم . ووفر لهم فيئهم وتابع أعطياتهم عليهم . وعجل بنفقاتهم اليهم . سنة سنة وشهراً وشهراً . وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج . واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة . وليكن أهم

أمورك اليك تحفظ أطرافك ، وسد ثغورك ، وإكماش بعوثك ، وارغب الى الله عز وجل في الجهاد والحماة عن دينه ، واهلاك عدوه ، بما يفتح الله على المسلمين ويمكن لهم في الدين ، وابذل فى ذلك مهجتك ، ونجدتك ومالك ، وتفقد جيوشك ليلك ونهارك ، واعرف مراكز خيلك ، ومواطن رحلك ؛ وبالله فليكن عصمتك وحولك وقوتك ، وعليه فليكن ثقتك وافتدارك وتوكلك ، فانه يكفيك ويغنيك وينصرك ، وكفى به مؤيداً ونصيراً ﴾

وأمره بعد ذلك بامور يطول الكتاب بها فاقتصرنا على صدر الوصية ، وأظهر جزعاً شديداً على المنصور ؛ ووردت الوفود عليه يعزونه فجعل كل قوم يقولون بما أمكنهم حتى دخل شبيب بن شيبة فعزاه ثم قال ﴿ يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لك إذ قسم لك الدنيا إلا باسناها وأرفعها فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا بمثل ما رضي الله لك من الدنيا ؛ وعليك بتقوى الله فانها عليكم نزلت ، ومنكم اخذت ؛ واليكم ردت ﴾

وقدم الربيع مستهل المحرم ومعه مفاتيح الخزائن ؛ فجلس المهدي للناس فى النصف من المحرم وأمر الربيع فاحضر دفتر القبوض ووجه الى كل من كان ابو جعفر قبض شيئاً من ماله فاحضره وأقبل عليهم فقال ﴿ إن أمير المؤمنين المنصور كان بما حمله الله من أموركم وقلده من رعايتكم يدبر عليكم كما يدبر الوالد البر على ولده وكان أنظر لكم منكم لأنفسكم ، وكان يحفظ عليكم مالا تحفظون على أنفسكم فخرس لكم من اموالكم مالم يأمن ذهابه ؛ وهذه أموالكم مبارك لكم فيها فخلوا أمير المؤمنين من إبطائها عنكم ، ثم أمر باخراج من فى المحابس من الطالبيين وغيرهم من سائر الناس فاطلقهم وأمر لهم بجوائز وصلات وأرزاق دارة ، ثم أطلق سائر الناس ولم يطلق احداً إلا وكساه ووصله على قدره حتى بلغ الى عبد الله بن مروان وكان فى الحبس من أيام أبي العباس فأمر بتخلية سبيله وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال له عيسى بن علي إن فى أعناقنا بيعة له وقد كان هذا الرجل ولي عهد أبيه وأنت أعلم وقد كان وهب لكاتبي

جوهراً قيمته ثلاثون الفاً ، وكان سبب الجوهر الذي ذكره عيسى أن امرأة عبدالله ابن مروان وهي أم يزيد قدمت الكوفة رجاء أن تجد من تكلمه في زوجها وقيل لها لو كلمتِ عيسى بن علي فجاءت الى كاتبه عباس بن يعقوب فكلمته ووهبت له جوهراً كان بقي عندها وسألته أن يكلم عيسى فيتكلم فيه فأخذ الجوهر ولم يكلمه فقال عبد الله بن الربيع الحارثي لما فعل المهدي ما فعل من رد الأموال وإطلاق المحبسين وأمن الخائفين وصلات المعدومين سمعت المنصور يقول للمهدي لما ودعه عند خروجه الى مكة : اني تركت الناس ثلاثة اصناف فقيراً لا يرجو إلا غناك ، وخائفاً لا يرجو إلا أمنك ، ومسجوناً لا يرجو الفرج إلا منك ، فاذا وليت فاذقهم طعم الرفاهية لا تمدد لهم كل المد .

ودخل الحارث بن عبد الرحمان على المهدي فذكر ما حضر من أمر المنصور ومكر الربيع وقال لقد رأيت تدبيره ما لا يهتدي اليه أحد ، قال وما ذاك ؟ قال لما توفي المنصور صير الربيع صالحاً أخاك في صدر المجلس وقدمه على جميع من حضر فلما دفن قدم ابنك موسى وقال لأخيك كنت اولى بالتقدم لغيبة أخيك المهدي فلما صار ابوك تحت الأرض وولي الأمر ابوهذا كان اولى بالتقدم منك ، فقال المهدي : إن ساس الملك احد فليسسه مثل الربيع .

وخلع المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد واشترى ذلك بعشرة آلاف الف درهم وبايع لابنه موسى بولاية العهد من بعده سنة ١٥٩ ثم بايع لابنه هارون بولاية العهد بعد موسى .

وحج المهدي سنة ١٦٠ فجرد الكعبة وكساها القباطي والخز والديباج وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من أعلاها الى أسفلها وكانت الكعبة في جانب المسجد لم تكن متوسطة فهدم حيطان المسجد الحرام وزاد فيه زيادات واشترى من الناس دورهم ومنازلهم وأحضر الصناع والمهندسين من كل بلد وكتب الى واضح مولاه وعامله على

مصر في حمل الأموال الى مكة واتخاذ الآلات وما يحتاج اليه من الذهب والفسيفساء وسلاسل القناديل والخروج بها حتى يسلمها الى يقطين بن موسى ومحمد بن عبد الرحمان وصيّرت الكعبة في الوسط وزاد مما يلي الكعبة الى باب الصفا تسعين ذراعاً ؛ ومن الكعبة الى باب بني شيبة ستين ذراعاً ، وصير ذرعه مكسراً مائة الف ذراع وعشرين الف ذراع ، وطول المسجد من باب بني جمح الى باب بني هاشم الى عند العلم الأخضر اربعمائة ذراع واربع اذرع ، وفيه من الأساطين مما حمل في البحر من مصر اربعمائة واربع وثمانون أسطوانة ، طول كل اسطوانة عشر أذرع ، وصير فيه اربعمائة طاق وثمانية وتسعين طاقاً ، وجعل في المسجد الأبواب ثلاثة وعشرين باباً ، فكان المهدي آخر من زاد في المسجد الحرام ، وبنى العلمين اللذين يسعى بينهما وبين الصفا والمروة ، وبينهما من الذرع مائة واثنتا عشرة ذراعاً ؛ فصار بين الصفا والمروة لما أخرج المسجد الى الموضع الذي هو فيه الساعة سبعمائة واربع وخمسون ذراعاً ؛ ووسع المسجد الذي لرسول الله ﴿ ص ﴾ وزاد فيه مثل ما كان عليه ؛ وحمل اليه عمل الرخام والفسيفساء والذهب ؛ ورفع سقفه وألبس خارج القبر الرخام .

وبنى الثغر المعروف بالحدث سنة ١٦٣ وكان فيه دفع للعدو وتسديد ، وذلك إن الروم أغاروا على مرعش فسبوا وقتلوا خلقاً فلما بنى المهدى الحدث عظم ارتفاق اهل الثغور به ، وأغزى هارون ابنه في هذه السنة ومعه جماعة من القواد والجند وخرج يشيعه الى جيحان ففتح هارون في تلك الغزاة سمالو وعدة حصون ؛ ثم أغزاه سنة ١٦٤ الى القسطنطينية فطلب منه الروم الصلح فصالحهم وانصرف .

وعزل عقبة بن سلم الهنائي عن اليمامة والبحرين لما بلغه من قتله ما قتل من ربيعة وقال لا يراني الله ابوء باثمه ولا أرضى فعله ، فلما قدم عقبة بن سلم لقيه الحسن بن قحطبة وقال له يا عقبة أدخلت نفسك النار فقال ما أنصفتني يا أبا الحسن أدخلت نفسي النار لأنفي عنك العار ، وقدم غلام من أهل اليمامة من ربيعة كان عقبة بن سلم قتل أباه

وعمه وخالين له وخمسة أخوة فوقف له على باب المهدي فلما جاز عقبة في موكبه ضربه بسكين مسمومة فقتله وأخذ الغلام الى المهدي فسأله عن قصته فقصها عليه فاراد تخليته فتكلم القواد وقالوا والله ما فيه درك من عقبة ولكنه إن ترك وثب كل يوم كلب من الكلاب على قائد فقتله ، فأمر المهدي بضرب عنقه .

واضطربت خراسان وتحركت السغد وفرغانة وخرج يوسف البرم وهو رجل من موالي ثقيف ببخارا يدعو الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاتبعه على ذلك خلق من الناس فحارب السلطان ، وخرج أحمد بن أسد الى فرغانة ففتح حتى وصل الى كاسان وهي المدينة التي ينزلها الملك وكان يزيد بن مزيد الشيباني يحارب يحيى الشاري فكتب اليه المهدي أن يتكفى فيمن معه الى يوسف البرم فلقيه فكانت بينهما وقعات عدة ثم هزمه يزيد فرفع علماً احمر وآمن من يصير تحته فصار أصحاب يوسف كلهم تحته وأسر يوسف فحمله الى المهدى فلما دخل اليه كلمه بكلام غليظ فشتمه المهدى فقال لبئس ما أدبك أهلك فضرب عنقه وصلبه .

فكتب الى عمر بن العلاء وكان بطبرستان أن يصير الى جرجان فيخرج من بها من المحمرة (١) بعد أن يدعوهم الى الطاعة فصار الى جرجان ففرق جمع المحمرة وقتل عبد القاهر وفض الجمع .

ووجه المهدى رسلاً الى الملوك يدعوهم الى الطاعة فدخل اكثرهم في طاعته فكان منهم ملك كابل شاه يقال له ﴿ جنجل ﴾ وملك طبرستان ﴿ الاصبهبذ ﴾ وملك السغد ﴿ الاخشيد ﴾ وملك طخارستان ﴿ شروين ﴾ وملك باميان ﴿ الشير ﴾

(١) المحمرة على صيغة اسم الفاعل مشددة فرقة من الخرمية وهم يخالفون المبيضة والمسودة واحدهم محمر . وفي التهذيب ويقال للذين يحمرون راياتهم خلاف زى المسودة من بني هاشم (المحمرة) كما يقال للحرورية (المبيضة) لأن راياتهم في الحروب كانت بيضاء ، قاله الزبيدى في التاج بمادة (حمر) . (م ص)

وملك فرغانة ﴿ وران ﴾ وملك أسروشنة ﴿ أفشين ﴾ وملك الخرلخية [جيغويه] وملك سجستان ﴿ رتبيل ﴾ وملك الترك ﴿ طرخان ﴾ وملك التبت [جهورن] وملك السند ﴿ الزاى ﴾ وملك الصين ﴿ بغبور ﴾ وملك الهند ﴿ وايراح ﴾ وهو فور ، وملك التغزغز ﴿ خاقان ﴾ .

واستعمل المهدي روح بن حاتم المهلبي على السند فقدمها والزط قد تحركوا بها فلم يقم إلا يسيراً حتى عزل وولي نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ؛ ثم ضمت السند الى محمد بن سليمان بن علي الهاشمي ، واستعمل عليها عبد الملك بن شهاب المسمعي فولي أقل من عشرين يوماً وردت السند الى نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ؛ ثم استمهل المهدي الزبير بن العباس من ولد قثم بن العباس بن عبد المطلب ولم يبلغ البلد فاستعمل المهدي (مصحح) «١» بن عمرو التغلبي وكانت العصبية بالسند أول ما وقعت فاستعمل ليث بن طريف مولاه فقدم المنصورة فاقام بها شهراً والزط قد كثروا فجرد عليهم السيف فافناهم .

وشخص المهدي الى البصرة سنة ١٦٥ يريد الحج فخبر بقلة الماء في الطريق فاقام وبلغه أن أمر السند قد اضطرب فوجه الى الليث بجيش من البصرة وسار راجعاً الى بغداد وخرج يريد الشام وعسكر بالبردان فاتاه الخبر بوفاة عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس فانصرف الى بغداد حتى حضر جنازته ومشى فيها ثم رجع الى معسكره وخرج حتى صار الى الثغر ثم صار الى بيت المقدس فاقام أياماً وانصرف فلما صار بجند قنسرين لقيته تنوخ بالهدايا وقالوا نحن أخوالك يا أمير المؤمنين فقال من هؤلاء قيل تنوخ حتى تنتمي الى قضاعة ووصف له حالهم وكثرة عددهم ، وقيل له إنهم كلهم نصارى فقال لا أرضاكم ﴿ انتم (٢) الى خؤولتي ﴾ وارتد منهم رجل فضرب عنقه

«١» كذا فى الأصل وسماه ابن الأثير في الكامل فى حوادث سنة ١٥٩ و١٦٠ و ١٦١ (بسطام بن عمرو التغلبي) (٢) لعل الصحيح (أن تنتموا) الى خؤولتي

فخافوا فثبتوا على الاسلام .

وتوفى عيسى بن موسى سنة ١٦٧ فولى المهدى ابنه موسى بن عيسى الكوفة وما كان الى ابيه من الأعمال ، وتوفي يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى وكان عامل ابي جعفر على اليمن فاستعمل المهدى مكانه رجاء بن سلام بن روح بن زنباع الجذامي ثم ولي علي بن سليمان بن علي وهو الذى كتب اليه في اشخاص الغطريف بن عطاء اخي الخيزران أم موسى وهارون ابنيه ؛ وكان الغطريف غلاماً لرجل من أهل جُرَش فاعتقه وكان يواخر نفسه بنظر كروم فبعث الى عامله على جرش في حمله فوجده في كرم عليه جبة صوف فكساه وحباه وحمله الى المهدى فرفع منزله ، ثم صرف علي وولي عبد الله بن سليمان ؛ ثم صرفه وولى منصور بن يزيد بن منصور الحميرى ، ثم صرفه وولى عبدالله بن سليمان بن علي ؛ وصرفه وولى سليمان بن يزيد الحارثي ثم عبدالله بن محمد بن ابراهيم الزينبي ، وهو ابن بنت سليمان ؛ ثم ابراهيم بن سليمان العبدى ، ثم الغطريف ابن عطاء خال موسى وهارون ، ثم الربيع بن عبد الله الحارثي .

وأمر المهدى بجباية أسواق بغداد وجعل عليها الأجرة ، وجعل سعيد الحرشي بذلك فكان أول ما جبيت اسواق بغداد ، فكان للمهدى ، فيقال إنه قام اليه رجل فقال عندى نصيحة يا أمير المؤمنين فقال لمن نصيحتك هذه لنا ام لعامة المؤمنين أم لنفسك ، قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساعي أعظم عورة ولا أفحش لوماً من قابل سعايته ولن تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا تشفي غيظك او عدواً فلا تعاقب لك عدوك ، ثم أقبل على الناس فقال : لا أعلم ما تنصح لنا متنصح إلا بما لله فيه رضى وللمسلمين صلاح ؛ فانما لنا الأبدان وليس لنا القلوب من استتر عنا لم نكشفه ومن أبدانا طلبنا توبته ؛ ومن أخطأ علينا أقلناه عثرته ، إني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو اكثر منها مع العاجلة ، والقلوب لا تبقى لوالٍ لا يعطف إذا استعطف ، ولا يعفو إذا قدر ، ولا يغفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا

استرحم ، من قلت رحمته واشتدت سطوته ، وجب مقته وكثر مبغضوه .

وكان المهدي قد ألحّ في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل خلقاً كثيراً فبلغه أن صالح بن ابي عبيد الله كاتبه زنديق فاحضره فلما صح عنده أمره استتابه فقال لا رغبة عما انا عليه ولا حاجة في غيره ، فأمر المهدي أبا عبيد الله أباه أن يقوم فيضرب عنقه فقام فاخذ السيف ثم دنا من ابنه فلما رفعه رجع فقال يا أمير المؤمنين إني قمت سامعاً مطيعاً وإنه أدركني ما يدرك الرجل في ولده ، فامره فجلس ، ثم أمر بضرب عنقه بين يديه ثم أملى عليه كتاباً وهو ينظر الى ابنه مقتولاً ثم قال إن كنت كرهت قتل عدو الله كافر به فابعدك الله ، فلما قام ابو عبيد الله قال بعض الجلساء ما أحسب هذا يطيب قلبه ابداً ، فقال كذلك والله أظنه وإنه لقريب من ابنه ، ثم كانت السخطة عليه وصير مكانه يعقوب بن داود وأتى بصالح بن عبد القدوس فاستتابه فتاب فلما خرج من عنده ذكر له قوله :

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه

قال : وإنك لتقول هذا ؟ فرده فضرب عنقه ولم يستتبه .

ووثب أهل الحوف بمصر سنة ١٦٨ فخرج اليهم موسى بن مصعب فكان العامل بها فقاتلهم قتالاً شديداً وكان صاحب علمه هاشم بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج السكوني فنكس العلم وانهزم ومال أهل الحوف على موسى بن مصعب فقتلوه فولى المهدي الفضل بن صالح الهاشمي فلم يرد البلد إلا بعد وفاة المهدي .

وكان الغالب على المهدي صدر خلافته معاوية بن عبد الله المعروف بابي عبيد الله مولى الأشعريين ، ثم وقف منه على خيانة وصير مكانه يعقوب بن داود ، وكان يعقوب جميل المذهب ميمون النقيبة محباً للخير كثير الفضل حسن الهدى ، ثم عزله وسخط عليه فحبسه فلم يزل محبوساً حتى مات المهدي وصير مكانه محمد بن الليث صاحب البلاغة ، وكان علي بن يقطين والحسن بن راشد يغلبان على اموره ، وكان على شرطته

نصر بن مالك ثم مات نصر فولى أخاه حمزة بن مالك ، ثم عزله وولى عبد الله بن مالك ؛ وكان على حرسه محمد بن ابراهيم ، ثم عزله واستعمل مكانه أبا العباس الطوسي ، وكان حاجبه الربيع مولاه ، وكان قضاته ابن علاثة العقيلي ، وعافية بن يزيد الأزدى ، وعلى الكوفة شريك بن عبد الله ، وعلى البصرة عبيد الله بن الحسن العنبرى ؛ وعلى المدينة عبد الله بن محمد بن عمران التيمي — وكان اول قاض قضى بها من قبل خليفة — وعلى مصر عبد الله بن لهيعة الحضرمي ، ثم استعمل ابن اليسع الكندى من أهل الكوفة ، ثم غوث بن سليمان الحضرمي من أهل مصر ، ثم المفضل بن فضالة القتباني .

وأصاب الناس فى آخر سنة ١٦٨ ودخول سنة ١٦٩ وباء وموت كثير وظلمة وتراب أحمر كانوا يجدونه فى فرشهم وعلى وجوههم .

وخرج المهدي من بغداد لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ١٦٩ الى الجبل فنزل قرية يقال لها ﴿ الرذ ﴾ من أرض ماسبذان وخرج يتصيد فاقام سائر يومه يطرد واتبعت الكلاب ظبياً وأمعن فى الطلب واقتحم الظبي باب خربة ومرت الكلاب واقتحم به الفرس فى اثره فصدمه باب الخربة وحمل الى مضاربه فتوفي لثمان بقين من المحرم سنة ١٦٩ وهو ابن ثمان وأربعين ﴿ وحكي ﴾ أنه أصبح ذات يوم فقال لعلي بن يقطين ولجماعة جلسائه ﴿ أصبحت اليوم جائعاً ﴾ فأتي بخبز ولحم بارد فأكل وأكل القوم معه ، ثم قال إني داخل هذا البهو فنائم فيه فلا تنبهوني حتى أنتبه فدخل فنام ونام القوم فى الرواق فما راعهم إلا بكاؤه فتبادروا اليه وسألوه عن حاله فقال أرأيتم ما رأيت ؟ قالوا ما رأينا شيئاً قال : رأيت شيخاً لو رأيته بين مائة الف لعرفته وهو آخذ بعضادة البهو وهو يقول :

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ركنه ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة * وملك الى قبر علته جنادله

فلم يبق إلا ذكره وحديثه * تنادي عليه معولات حلائله

فلم يلبث بعد ذلك إلا عشرة أيام حتى توفي ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً ، وصلى عليه ابنه علي بن ريطة ، ودفن بالرذ ، وخلف من الولد الذكور ثمانية : موسى ، وهارون ، وعلي ، وعبيد الله ، واسحاق ، ويعقوب وابراهيم ، ومنصور .

وأقام الحج للناس فى أيامه ، سنة ١٥٩ يزيد بن منصور الحميري ، سنة ١٦٠ المهدي وأمر بالتوسعة فى المسجد الحرام ومسجد رسول الله [ص] سنة ١٦١ موسى بن المهدى ، سنة ١٦٢ ابراهيم بن جعفر بن ابي جعفر ، سنة ١٦٣ علي بن المهدي وأمه ريطة بنت ابي العباس ، سنة ١٦٤ خرج المهدي يريد الحج فسار من الكوفة أربع مراحل ومعه خلق عظيم فعطش الناس وبلغه قلة الماء فى الطريق فرجع من العقبة وحج بالناس صالح بن ابي جعفر ، سنة ١٦٥ صالح بن ابي جعفر ، سنة ١٦٦ محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ، ١٦٧ ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، سنة ١٦٨ علي بن المهدي .

وغزا بالناس في أيامه ، سنة ١٥٩ جاءت الروم الى سميساط فسبوا خلقاً كثيراً فوجه اليهم صغيراً مولاه فاستنقذ المسلمين ، وغزا بالناس العباس بن محمد فبلغ أنقرة ، سنة ١٦٠ غزا ثمامة بن الوليد العبسي ، سنة ١٦١ غزا عيسى بن علي ولقيه جيش الروم فحاصروه ، سنة ١٦٢ الحسن بن قحطبة الطائي ، سنة ١٦٣ هارون ابن المهدي ففتح سمالو ، سنة ١٦٤ هارون ايضاً فبلغ خليج القسطنطينية ، سنة ١٦٦ ثمامة بن الوليد ، ١٦٧ الفضل بن صالح ، سنة ١٦٨ محمد بن ابراهيم .

وكان الفقهاء في أيامه ، محمد بن عبد الرحمان بن ابي ذئب ، ابراهيم بن محمد ابن ابى الحسن ، سعيد بن عبد العزيز الجمحي ، عبد العزيز بن ابى حازم ، عبد الحميد المدني ، يونس بن ابى اسحاق السبيعي ، الحجاج بن ارطاة النخعي ، سفيان بن

سعيد الثوري ، شريك بن عبد الله النخعي ، يحيى بن سلمة بن كهيل ، سلمة الأحمر ابراهيم بن سعد الزهري ، ابو مخنف لوط بن يحيى ؛ سفيان بن الحسن الخثعمي جعفر بن عتاب ، يحيى بن ابي زائدة ، علي بن مسهر ، محمد بن مروان السدي ، زياد ابن الطفيل ، عبد الرحمان بن مالك ، مالك بن الفضيل ، ابو محمد بن (.....) محمد بن جابر اليمامي ، ابو الاشهب جعفر بن حيان العطاردي ، سلمة بن علقمة ، سعيد ابن اياس ؛ خالد بن دينار ، جرير بن حازم الازدي ، شعبة بن الحجاج ، حماد ابن سلمة ، مهدي بن ميمون ؛ موسى بن علي بن رباح ؛ عبد الله بن لهيعة ، جعفر ابن الغطريف ، بقية بن الوليد الحمصي ، عبد السلام بن عبد الملك الدمشقي .

أيام موسى بن المهـــدى

وبويع لموسى الهادى بن محمد المهدي — وأمه أم ولد يقال لها الخيزرانة — بماسبذان وكان غائباً بجرجان وأخذ له أخوه هارون البيعة وكتب اليه بالخبر فوافاه الرسول وهو نصير الوصيف بعد وفاة ابيه بثمانية أيام ، وكانت الشمس يومئذ في الأسد سبع عشرة درجة ، والقمر في الأسد اثنتين وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، وزحل في الدلو درجة وأربعين دقيقة راجعاً ، والمشترى في العقرب أربع عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، والمريخ في السرطان ثمانى وعشرين درجـــة وخمسين دقيقة ، والزهرة فى السنبلة ثمانى درجات وثلاثين دقيقة ، وعطارد فى السنبلة تسع درجات وخمسين دقيقـة والرأس في الميزان تسعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة .

وارتحل من جرجان بعد ثلاثة أيام الى العراق فنزل بعيسا اباذ ، وكان المهدى بنى هذا الموضع فاستتمه موسى ، وكان به منزله ، وولى الغطريف بن عطاء خاله خراسان وأعمالها فقـدم خراسان وكانت هادئة الأمور ساكنة والملوك في الطاعة فظهرت منه أمور قبيحة وضعف شديد فاضطربت البلاد وتحرك جماعة من الطالبيين وصاروا الى ملوك النواحي فقبلوهم ووعدوهم بالنصر والمعونة ؛ وذلك إن موسى ألح

في طلب الطالبيين وأخافهم خوفاً شديداً وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطية ، وكتب الى الآفاق في طلبهم وحملهم فلما اشتد خوفهم وكثر من يطلبهم ويحث عليهم عزم الشيعة وغيرهم الى الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي — وكان له مذهب جميل وكمال مجد — وقالوا له أنت رجل أهل بيتك وقد ترى ما أنت وأهلك وشيعتك فيه من الخوف والمكروه ، فقال إني وأهل بيتي لا نجد ناصرين فنتصر ، فبايعه خلق كثير ممن حضر الموسم فقال لهم إن الشعار بيننا أن ينادي رجل ﴿ من رأى الجمل الأحمر ﴾ فما وافاه إلا أقل من خمسمائة ، وكان ذلك في سنة ١٦٩ بعد انقضاء الموسم فلقيه سليمان بن ابي جعفر ، والعباس بن محمد بن علي وموسى بن عيسى بفخ فانهزم من كان معه وافترقوا وقتل الحسين بن علي وجماعة من أهله ، وهرب خاله إدريس بن عبد الله بن الحسن الحسن بن علي فصار الى المغرب فغلب على ناحية تناخم الأندلس يقال لها ﴿ فاس ﴾ فاجتمعت عليه كلمة أهلها ﴿ فذكر ﴾ أهل المغرب أن موسى (١) وجه اليه من اغتاله بسم في مسواك فمات وصار إدريس بن أدريس مكانه وولده بها الى هذه الغاية يتوارثون تلك المملكة .

فاضطربت اليمن على الربيع بن عبد الله الحارثي مولى موسى فاستعمل الحصين بن كثير العبدي ثم صرفه واستعمل مكانه أيوب بن جعفر الهاشمي ، ثم رد الربيع بن عبد الله الحارثي على البلد خلا صنعاء ، فلم تزل البلاد مضطربة أيام موسى كلها .

وقدم الفضل بن صالح مصر فلم يهج أحداً من أهل الخوف الذين قتلوا موسى بن مصعب عامل المهدي ، فسكنهم وكف عن طلبهم فلم يقم إلا يسيراً حتى خرج دحية ابن الأصبغ بن عبد العزيز بناحية ﴿ أهناس ﴾ من قرى صعيد مصر في خلق عظيم فقطع الطريق وأخاف السبيل ، ثم تغلب فجبى الخراج فوجه الفضل بن صالح

(١) الصحيح أن الذي اغتال الامام إدريس (ع) هو هارون الملقب بالرشيد .
(عن هامش الأصل)

بقائد يعرف بسفيان ورجل من أهل الفيوم يعرف بعبد الله بن علي المرادي فلقيا دحية بموضع يقال له ﴿ صحراء بُويط ﴾ وناوشاه الحرب فانهزم دحية فدخل [قرموسا] وهو الأتون الذي يعمل فيه الفخار فاخذاه أسيراً وأتيا به الفضل فضرب عنقه وصلبه وبعث برأسه الى موسى .

وشجرت بين موسى وبين أخيه الوحشة فعزم على خلعه وتصيير ابنه جعفر ولي العهد ودعا القواد الى ذلك فتوقف عامتهم وأشاروا عليه أن لا يفعل وسارع بعضهم وقووا عزيمته فى ذلك وأعلموه أن الملك لا يصلح إن صار الى هارون ، فكان ممن سعى فى خلعه ابوهريرة محمد بن فروخ الأزدي القائد من الأزد ، وقد كان موسى وجه به فى جيش كثير يستنفر من بالجزيرة والشام ومصر والمغرب ويدعو الناس الى خلع هارون فمن أبى جرّد فيهم السيف ؛ فسار حتى صار الى الرقة فاتاه الخبر بوفاة موسى وأخذ موسى يحيى بن برمك فحبسه وأشرف عليه بالقتل عدة مرار ﴿ فحدثني ﴾ بعض المشايخ عن يحيى بن خالد قال حبسني موسى بسبب الرشيد وتربيتي إياه ومكاني معه ، وكان الرشيد دفع الينا مولوداً في الخرق فغذته ثدي نسائنا وربي في حجورنا فقال بلغني أنك ترضى هارون للخلافة ونفسك للوزارة والله لآتين على نفسه ونفسك قبل ذلك ، وحبسني في بيت ضيق لا أقدر أن امد رجلي فيه فأقمت اياماً فانا ليلة في حبسي على تلك الحال إذ بالأبواب تفتح فقلت تذكرني فأراد قتلي وسمعت كلام الخدم فارتعت لذلك ففتح علي الباب وأنا أتشهد فقيل لي هذه السيدة يعنون (الخيزران) فخرجت فاذا بها واقفة على الباب فقالت إن هذا الرجل قد خفت منذ الليلة وأحسبه قد قضى فتعال انظره فازداد جزعي وطمتي ، وقالت كما أقول فجئت فوجدته محول الوجه الى الحائط وقد قضى ، فمضيت الى هارون حتى أخرجته من الموضع الذي كان فيه محبوساً فأصبح القواد فبايعوا وأصبحت أدبر الملك .

وكان الغالب على موسى الفضل بن الربيع . وعلى شرطه عبد الله بن خازم التميمي

ثم عزله وولى عبد الله بن مالك الخزاعي ، وعلى حرسه علي بن عيسى بن ماهان وحاجبه الفضل بن الربيع ، وكانت خلافته اربعة عشر شهراً ؛ وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ وهو ابن ست وعشرين سنة ، وصلى عليه أخوه هارون ودفن بعيسا باذ ، وكان له من الولد الذكور سبعة : جعفر . واسماعيل وعبد الله . وسليمان . وعيسى . وموسى الأعمى . وولد له بعده العباس . وأقام الحج للناس في ولايته سنة ١٦٩ سليمان بن ابي جعفر .

أيام هارون الرشيد

وولي هارون الرشيد بن محمد المهدي — وأمه الخيزران — في اليوم الذي توفي فيه أخوه موسى وهو لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ ، ومن شهور العجم فى أيلول ، وكانت الشمس يومئذ فى السنبلة عشرين درجة ، والقمر فى الحوت خمساً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، وزحل فى الدلو إحدى عشرة درجة راجعاً والمشتري فى القوس سبع عشرة درجة ؛ والمريخ فى القوس ثماني وعشرين درجة وعشر دقائق والزهرة في السنبلة خمس درجات واربعين دقيقة ، والرأس في الميزان ثماني درجات وست دقائق ؛ وولد المأمون في الليلة التي استخلف فيها الرشيد فبشر به فلذلك سماه المامون ؛ وولد محمد بن هارون بعده بستة أشهر ، ووجه موسى بن عيسى في الليلة التي ولي فيها ليقيم الحج للناس ثم بدا له في الخروج فخرج هو فلحقه في الطريق فأقام الحج وأعطى أهل مكة والمدينة عطايا كثيرة وفرق فيهم أموالاً ثم انصرف فصار الى قبر المهدي بماسبذان فتصدق عنه باموال عظيمة وجعلها رسماً في كل سنة .

وولى الفضل بن يحيى خراسان فشخص اليها وقد خالف أهل الطالقان فافتتح الطالقان وزحف صاحب الترك في خلق عظيم والتقي عسكر الفضل والتحمت بينهما الحرب فضرب وجه صاحب الترك واستنام (١) واستباح الفضل عسكره وغنم

(١) كتب في الهامش عن نسخة (استأسر) بدل (استنام) [م ص]

أمواله وفيه يقول الشاعر :

للفضل يوم الطالقان وقبله * يوم أناخ به على خاقان
ما مثل يوميه اللذين تواليا * في غزوتين تواليا يومان

وكان الامام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن قد هرب الى خراسان ودخل أرض الديلم فكتب هارون الى صاحب الديلم يطلبه منه ويتهدده فطلبه فلما رأى يحيى ذلك طلب الأمان من الفضل فآمنه وحمله الى الرشيد فحبسه فلم يزل محبوساً حتى مات ﴿ وقيل ﴾ إن الموكل به منعه من الطعام أياماً فمات جوعاً ﴿ وخبرني ﴾ رجل من موالي بني هاشم قال كنت محبوساً في الدار التي فيها يحيى بن عبد الله فكنت الى جانب البيت الذي هو فيه فربما كلمني من خلف حائط قصير فقال لي يوماً إني قد منعت الطعام والشراب منذ تسعة أيام فلما كان اليوم العاشر دخل الخادم الموكل به ففتش البيت ثم نزع ثيابه ثم حل سراويله فاذا بانبوبة قصب قد شدها في باطن فخذه فيها سمن بقر كان يلحس منه الشيء بعد الشيء يقيم به رمقه فلما أخذها لم يزل يفحص برجله حتى مات ﴿ فحدثني ﴾ ابو جميل قال : خرجت الى البصرة في أيام المأمون فركب معنا في السفينة خادم فكان يخبرنا انه من خدم الرشيد ثم حدثنا بحديث يحيى ابن عبد الله وأنه الذي تولى قتله بمثل ما تقدم ذكره فلما كان في الليل قام اليه رجل كان في السفينة فدفعه في الماء والسفينة تسير فغرقه .

وبايع هارون لابنه محمد بالعهد من بعده سنة ١٧٥ ومحمد ابن خمس سنين وأعطى الناس على ذلك عطايا جمة ، وأخرج محمداً الى القواد فوقف على وسادة فحمد الله وصلى على نبيه ، وقام عبد الصمد بن علي فقال ﴿ أيها الناس لا يغرنكم صغر السن فانها الشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ وجعل الرجل من بني هاشم يقول في ذلك حتى انقضى المجلس ونثرت عليهم الدراهم والدنانير وفأر المسك وبيض العنبر .

واستعمل هارون على السند سالماً اليونسي مولى اسماعيل بن علي مكان الليث

مولى أمير المؤمنين فاحسن السيرة ولم يلبث أن ولي اسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي وقدم البلد وكان عفيفاً ثم عزله وولى طيفور بن عبد الله بن منصور الحميري فهاجت بين اليمانية والنزارية حرب فوجه جابر بن الأشعث الطائي على غربي النهر ومكران ، ثم ولى سعيد بن سلم بن قتيبة فوجه أخاه كثير بن سلم فأساء السيرة وكان مذموماً ، وصير الرشيد السند الى عيسى بن جعفر بن المنصور فبعث اليها محمد بن عدي الثعلبي فلما قدم بدأ بالعصبية والتحامل وضرب القبائل بعضها ببعض وخرج من المنصورة يريد الملتان فلقيه أهلها فقاتلوه فهزموه ونهبوا ما معه من السلاح ومرّ منهزماً لا يلوي على شيء حتى صار الى المنصورة والتحمت العصبية بين اليمانية والنزارية واتصلت فولى الرشيد عبد الرحمن « . . (١) . . » ثم ولى ايوب بن جعفر بن سليمان ، ثم ولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبي سنة ١٨٤ فوجه اليها أخاه المغيرة فرفعت النزارية رؤوسهم وعزموا على أن يقتسموا البلاد ارباعاً ربعاً لقريش وربعاً لقيس وربعاً لربيعة (٢) ويخرجوا اليمانية ، ولما قدم المغيرة أغلق اهل المنصورة الأبواب ومنعوه الدخول إلا أن يعاهدهم أن لا يستعمل فيهم العصبية أو يخرجوا جميعاً عن المدينة ويدخلها وخرج من به رمق ودخلها المغيرة فتحامل على النزارية فقاتلوه فهزموه ، وسار داود ابن يزيد لما بلغه الخبر حتى قدم البلد فجرد فيهم السيف فقتل من النزارية خلقاً عظيماً وصار الى المنصورة فاقام يقاتلهم عشرين يوماً ولم تزل الحروب بينهم عدة شهور ففتحها ثم سار الى سائر مدن السند فلم يزل يفتح ويخرب الى ان استقامت له البلاد .

وولى هارون سليمان بن ابي جعفر دمشق فوثب به أهلها بسبب القلة البلور التي كانت في محرابهم فأخرجوه وانتهبوا كلما كان معه ، وخرج رجل من بني مرة يقال له

---

(١) بياض في الأصل وفيه سقط ولعله ، عبد الرحمان (بن عبد الملك بن صالح الهاشمي) .

(٢) كذا في الأصل ، فانه ذكر ثلاثة ارباع ولم يذكر الرابع . (م ص)

عامر بن عمارة ويكنى أبا الهيذام بحوران من ارض دمشق فقتل اليمانية وذلك فى سنة ١٧٦ فوجه اليهم الرشيد السندي وجماعة من القواد فقتل ابو الهيذام وفرق جمعه، وخرج هارون يريد الشام فلما بلغه قتل ابي الهيذام مضى الى الثغر فاغزى هرثمة بن اعين من بلاد الروم وأمر ببناء طرسوس فى سنة ١٧١ فاحكم بناءها وجعل لها خمسة ابواب وحولها سبعة وثمانين برجاً ولها نهر عظيم يشق في وسطها عليه القناطر المعقودة، وكان ابتداء بنائها على يد ابي سليمان مولاه ثم انصرف الى العراق يريد الحج واستخلف على الشامات والجزيرة جعفر بن يحيى بن خالد فظهرت العصبية بحمص فصعد جعفر بن يحيى منبرها فخطب وحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وقال ﴿ يا أهل الشام أحذركم عواقب البطر ووبال مالا يشكر من النعم وعلمة كل خطب يدفع الى ندم فان السعيد من سعد بغيره والشقي من شقي بنفسه واتعظ به غيره والمغبون من غبن عقله والمفتون من فتن في دينه والمحروم من حرم حظه من ربه والخاسر من باع آخرته بدنياه وآجله بعاجله وإنما يخشى الله من عباده العلماء ولم يعط الله من عباده إلا اولي البهاء ﴾ في كلام كثير

وخرج الوليد بن طريف الحروري بالجزيرة سنة ١٧٩ وكان عبد الملك بن صالح يتولاها ويتولى بعض الشام فحصره الوليد بالرقة فوجه الرشيد موسى بن خازم التميمي في جيش فهزمه الوليد فوجه بمعمر بن عيسى العبدي فكانت بينهما وقائع ثم مات معمر وهو في محاربته فتوجه اليه يزيد بن مزيد الشيباني فواقعه يوماً واحداً ثم قال له في اليوم الثاني ابرز يا وليد ولا يقتل الناس بيني وبينك فبرز له فقتله يزيد واحتز رأسه وبعث به الى الرشيد وتفرق أصحابه ، ثم اجتمعت طائفة منهم مع رجل يقال له خراشة فمالوا نحو الجزيرة مما يلي ديار ربيعة .

ولم يزل يزيد بن حاتم المهلبي على افريقية منذ أيام المنصور الى أيام الرشيد ثم توفي واستخلف على افريقية ابنه داود بن يزيد بن حاتم فلم يقم فيهم بالعدل وقاتلوه فهزموه فولى الرشيد روح بن حاتم المهلبي فقدم البلد فسكنهم ثم مات فولى الرشيد نصر بن

حبيب المهلبي ثم عزله ، وولى الفضل بن روح فثار عليه عبد الله بن الجارود واجتمع معه أهل المغرب فحاربوه فقاتلوه وقتلوا عساكره وظفروا به فحبسوه واصحابه ، وغلب على البلد عبد الله بن الجارود فطلب الأمان وسأل أن يقضى له حوائج سماها فاجابوه الى كل ما سأل وانصرفوا الى الرشيد بخبره ، ووجه الرشيد هرثمة بن أعين الى الشام ومصر والمغرب يتقراها ويصلحها فلم يزل يمر ببلد بلد فيصلح ما يريد إصلاحه حتى صار الى مصر فى سنة ١٧٩ وقد كانوا وثبوا على عاملهم وصار هرثمة الى المغرب فلما بلغ طرابلس من أرض المغرب أعطى جندها أرزاقهم الفائتة وآمنهم جميعاً حتى قدم القيروان سنة ١٧٩ فآمن الناس وسكنهم وخرج عليه قوم فى ناحية من النواحي فوجه اليهم جيشاً ففرقهم وأقام هرثمة حتى أصلحها ثم عاد الى مصر فاقام بها حتى استقامت أحوالها وحمل من رأى حمله منها ثم انصرف ، وولى الرشيد افريقية محمد بن مقاتل العكي فثار عليه تمام بن تميم التميمي حتى حصره فى القيروان ثم فتح أهل القيروان ﴿ الباب ﴾ لتمام فدخل المدينة وطلب محمد بن مقاتل الأمان فآمنه ، وخرج ابن مقاتل الى العراق وتغلب تمام على البلد ، ثم ثار عليه أهل خراسان وأهل الشام فحاربوه فانهزم منهم ، وقدم ابراهيم بن الأغلب فولاه أهل المغرب عليهم فضبط عليهم ، وبلغ الرشيد ذلك فكتب اليه بعهده على افريقية وبعث اليه بالعهد مع يحيى بن موسى الكندي ؛ وكان ابراهيم ابن الأغلب بن سالم أحد الجند الذين أخرجوا من مصر الى افريقية ، وكان يتولى شرطة صاحب افريقية فلما توفي ابن مقاتل واستخلف ابراهيم على البلد وضبطه وحسنت طاعة أهله وكان يحمل الى صاحب افريقية من مصر في كل سنة ستمائة دينار فكتب ابراهيم ابن الأغلب الى الرشيد يعلمه أنه يقوم بالبلد بغير مال فولاه اياه فدام أمره وأمر ولده الى هذه الغاية .

وكان الرشيد ولى اليمن العباس بن سعيد مولاه فضج منه أهل اليمن وحكي عنه مذاهب قبيحة فصرفه الرشيد وولى مكانه ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الامام ، ثم

صرفه وولى عبد الله بن مصعب الزبيري ؛ ثم صرفه وولى احمد بن اسماعيل بن علي مكانه ، ثم صرفه وولى حماداً البربري مولاه فجار على اهل اليمن وغلظ عليهم ؛ ووثب الهيصم بن عبد المجيد الهمداني باليمن سنة ١٧٩ وغلب عليها فكان معقله بجبل يقال له ﴿ مسور ﴾ وكان معه عمر بن ابي خالد الحميري مقيماً بعشتان (١) وكان معه الصباح بناحية يقال لها ﴿ حراز ﴾ فلقوا حماداً البربري فكانت بينهما وقائع قتل فيها نيف وعشرون الفاً من الناس وأسر حماد عمر بن ابي خالد فوجه به الى الرشيد واتصلت الحرب بينه وبين هيصم تسع سنين ثم صار الى حماد رجل من أهل البلد فاعلمه أن الهيصم قد نزل من قلعته وصار الى قرية من القرى متنكراً يتجسس الأخبار فوجه معه الى تلك القريه بقائد يقال له ﴿ حراد ﴾ فأخذ الهيصم فقال الهيصم والله إن القتل لشيء ما أنكره وما خلقت الرجال إلا للموت والقتل ، فحمله حماد على جمل وأدخله الى صنعاء ثم وجه به الى الرشيد فانشده فى شعر طويل :

فشفاء ما لا تشتهيـ ... ـه النفس تعجيل الفراق

فدعا بالهيصم فامر بضرب عنقه وانحرف حماد البربري الى صبّاح فتضرع صباح الى الأمان فاعطاه الأمان ﴿ وقيل ﴾ لم يعطه إياه ولكنه أسره ووجه به الى الرشيد مع سبعمائة رجل من أصحاب الهيصم فضرب أعناقهم جميعاً وصلب الهيصم وصباحاً معاً ، وأقام حماد البربري على اليمن ثلاث عشرة سنة وسام أهلها سوء العذاب حتى صاح قوم منهم بالرشيد وهو بمكة نحن نعوذ بالله وبك يا أمير المؤمنين اعزل عنا حماداً البربري إن كنت تقدر ، فقال لا ولا كرامة ، وكان حماد عبداً لهارون فاعتقه في أول خلافته ، ثم عزل الرشيد حماداً واستعمل مكانه عبد الله بن مالك فلم يزل فى البلد محمود السيرة جميل المذهب حتى توفي هارون .

* *
*

(١) عشتان بلدة من أرض صعدة . (مراصد الاطلاع)

وفاة موسى بن جعفر عليه السلام

وتوفي موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام — وأمه أم ولد يقال لها حمدة — (١) سنة ١٨٣ وسنه ثمان وخمسون سنة ، وكان ببغداد في حبس الرشيد ، قتله السندي بن شاهك فاحضر مسروراً الخادم واحضر القواد والكتاب والهاشميين والقضاة ومن حضر ببغداد من الطالبيين ثم كشف عن وجهه فقال لهم أتعرفون هذا ؟ قالوا نعرفه حق معرفته هذا موسى بن جعفر فقال هارون أترون أن به أثراً وما يدل على اغتيال ؟ قالوا لا ، ثم غسل وكفن وأخرج ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي ، وكان موسى بن جعفر عليه السلام من أشد الناس عبادة ، وكان قد روى عن أبيه ﴿ قال ﴾ الحسن بن أسد سمعت موسى ابن جعفر يقول : ما أهان الدنيا قوم قط إلا هنأهم الله إياها وبارك لهم فيها ، وما أعزها قوم قط إلا بغضهم الله إياها ﴿ وقال ﴾ إن قوماً يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفاً فهم الآمنون يوم القيامة إن كنت لأرى فلاناً منهم ﴿ وذكر ﴾ عنده بعض الجبابرة ﴿ فقال ﴾ أما والله ليذلن عز بالظلم في الدنيا ليذلن بالعدل في الآخرة ﴿ وقيل ﴾ لموسى بن جعفر وهو في الحبس لو كتبت الى فلان يكلم فيك الرشيد ﴿ فقال ﴾ حدثني أبي عن آبائه أن الله عز وجل أوحى الى داود يا داود إنه ما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي دوني عرفت ذلك منه إلا قطعت عنه أسباب السماء وأسخت الأرض من تحته ﴿ وقال ﴾ موسى بن جعفر حدثني أبي أن موسى ابن عمران قال يارب أي عبادك شر قال الذي يتهمني ؛ قال يارب وفي عبادك من يتهمك ؟ قال نعم الذي يستخيرني ثم لا يرضى بقضائي .

وكان له من الولد ثمانية عشر ذكراً وثلاث وعشرون بنتاً ، فالذكور : علي الرضا ؛ وابراهيم ، والعباس ؛ والقاسم ؛ واسماعيل ، وجعفر ، وهارون ؛ والحسن

(١) كذا في الأصل ، والمشهور أن اسمها (حميدة) البربرية (م ص)

وأحمد ، ومحمد ، وعبيد الله ، وحمزة ، وزيد ، وعبد الله ، واسحاق ، والحسين والفضل ، وسليمان .

وأوصى موسى بن جعفر أن لا تتزوج بناته فلم تتزوج واحدة منهن إلا أم سلمة فانها تزوجت بمصر تزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد فجرى في هذا بينه وبين أهله شيء شديد حتى حلف أنه ما كشف لها كنفاً وأنه ما أراد إلا أن يحج بها .

وبايع الرشيد لابنه المأمون بعد محمد بولاية العهد في هذه السنة ، وهي سنة ١٨٣ وأخذت له البيعة على الناس كلهم حتى أهل الأسواق فكان بين البيعة للمأمون والبيعة لمحمد ثماني سنين ، وكان يبعث بالمأمون ومحمد الى الفقهاء والمحدثين فيسمعان منهم ويحضر لهما أهل الكلام والنظر ، فكان محمد بطيء الحفظ ، وكان المأمون سريع الحفظ ، وأخذ الرشيد العمال والتناء والدهاقين وأصحاب الضياع والمبتاعين للغلات والمقبلين ، وكان عليهم أموال مجتمعة فولى مطالبتهم عبد الله بن الهيثم بن سلم فطالبهم بصنوف من العذاب ، وكان سنة ١٨٤ واعتل الرشيد فى تلك السنة علة شديدة أشفى منها فدخل اليه الفضيل بن عياض فرأى الناس يعذبون فى الخراج فقال ارفعوا عنهم إني سمعت عن رسول الله ﴿ ص ﴾ يقول من عذب الناس في الدنيا عذبه الله يوم القيامة فامر بأن يرفع العذاب عن الناس فارتفع العذاب من تلك السنة .

وأقام الرشيد بالرافقة حتى بناها وكان مقامه بها سنة ١٨٦ ، وحج في تلك السنة ومعه محمد والمأمون وجلة بني هاشم والقواد والكتاب فلم يتخلف منهم أحد له ذكر وقدر ، وقدم الرشيد المدينة فأعطى اهل المدينة ثلاثة أعطية وكسى كثيرة ثم صار الى مكة فلم يفعل مثل ذلك ، ولما صار الى مكة صعد المنبر فخطب ثم نزل فدخل البيت ودعا بمحمد والمأمون فاملى على محمد كتاب الشرط على نفسه ، وكتب محمد الكتاب وأحلفه على ما فيه وأخذ عليه العهود والمواثيق وفعل بالمأمون مثله وأخذ عليه مثل ذلك .

نسخة العهد

وكان نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بخطه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله هارون امير المؤمنين كتبه محمد بن هارون في صحة من بدنه وعقله وجواز من أمره أن امير المؤمنين هارون ولاني العهد من بعده وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعاً ، وولى أخي عبد الله ابن امير المؤمنين العهد والخلافة وجميع امور المسلمين بعدي برضى مني وتسليم طائعاً غير مكره ، وولاه خراسان بثغورها وكورها واجنادها وخراجها وطرازها وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها وجميع أعمالها في حياته وبعد موته ، وشرطت لعبد الله أخي علي الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدي وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها وما أقطعه هارون أمير المؤمنين من قطيعة وجعل له من عقدة او ضيعة من ضياعه وعقده او ابتاع من الضياع والعقد وما أعطاه في حياته من مال او حلي أو جوهر أو متاع أو كسوة أو رقيق قليلاً أو كثيراً فهو لعبد الله ابن أمير المؤمنين أخي موفراً عليه مسلماً له وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً باسمه واضافه ومواضعه أنا وأخي عبد الله بن هارون فان اختلفنا في شيء منه فالقول فيه قول عبد الله أخي لا أنتقصه صغيراً ولا كبيراً من ماله ولا من ولايته خراسان وأعمالها ولا أعز له عن شيء منها ولا أستبدل به غيره ولا أخلعه ولا أقدم عليه في العهد والخلافة احداً من الناس جميعاً ولا أدخل عليه مكروهاً في نفسه ولا دمه ولا خاص ولا عام من أموره وولايته ولا أمواله ولا قطائعه ولا عُقده ولا أغير عليه شيئاً بسبب من الأسباب ولا آخذ احداً من كتابه وعماله وولاة أموره ممن صحبه وأقام معه بمحاسبة في ولاية خراسان وأعمالها وغيرها مما ولاه هارون أمير المؤمنين في حياته وصحته من الجباية والأموال والطراز والبريد والصدقات والعشر والعشور وغير ذلك من ولايتها ولا آمر بذلك احداً ولا أرخص فيه لغيري ولا أحدث نفسي فيه بشيء أمضيه عليه ولا التمس قطيعته ولا أنقص شيئاً

مما جعل له هارون امير المؤمنين وأعطاه في حياته وخلافته وسلطانه من جميع ما سميت في كتابي هذا وأخذ له علي وعلى جميع الناس البيعة ولا أرخص لأحد من الناس كلهم في خلعه ولا مخالفته ولا أسمع من أحد من البرية في ذلك قولاً ولا أرضى به في سر ولا علانية ولا أغمض عليه ولا أتغافل عنه ولا أقبل من بر من العباد ولا فاجر ولا صادق ولا كاذب ولا ناصح ولا غاش ولا قريب ولا بعيد ولا أحد من ولد آدم ذكراً وأنثى مشورة ولا حيلة ولا مكيدة في شيء من الأمور سرها وعلانيتها وحقها وباطلها وباطنها وظاهرها ولا سبب من الأسباب أريد بذلك إفساد شيء مما أعطيت عبد الله بن هارون امير المؤمنين من نفسي وشرطت في كتابي هـذا علي وأوجبت على نفسي وشرطت وسميت وإن أراد أحد من الناس شراً أو مكروهاً أو خلعاً أو محاربة أو الوصول الى نفسه ودمه أو حرمه أو ماله أو سلطانه أو ولايته جميعاً أو فرادى أو مسرين ذلك أو مظهرين له أن أنصره وأحوطه وأدفع عنه كما أدفع عن نفسي ومهجتي ودمي وشعري وبشري وحرمي وسلطاني وأجهز الجنود اليه وأعينه على كل من أعنته وخالفه ويكون أمري وأمره في ذلك واحداً ابداً ما كنت حياً ولا أخذله ولا أسلمه ولا أتخلى عنه، وإن حدث بهارون حدث الموت وأنا وعبد الله بحضرة امير المؤمنين أو أحدنا أو كنا غائبين عنه مجتمعين كنا أو مفترقين وليس عبد الله بن هارون في ولايته بخراسان فعلي لعبد الله بن هارون امير المؤمنين أن أمضيه الى خراسان وأسلم له ولايتها واعمالها كلها وجنودها ولا أعوقه عنها ولا أحبسه قِبلي ولا في شيء من البلدان دون خراسان وأعجل إشخاصه اليها والياً عليها وعلى جميع أعمالها مفرداً بها مفوضاً اليه اعمالها كلهـا وأشخص معه جميع من ضم اليـه امير المؤمنين من قواده وجنوده واصحابه وكتابه ومواليه وخدمه ومن تبعه من صنوف الناس باموالهم واهليهم ولا أحبس عنه احداً منهم ولا أشرك معه في شيء منها احداً ولا أبعث اليه أميناً ولا كاتباً ولا بنداراً ولا أضرب على يديه في قليل ولا كثير ؛ وأعطيت امير المؤمنين هارون وعبد الله بن هارون

على ما شرطت لهما على نفسي من جميع ما سميت وكتبت في كتابي هذا عهد الله وميثاقه وذمة امير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والأيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها ونهى عن نقضها وتبديلها ، فان أنا نقضت شيئاً مما شرطت لهارون ولعبد الله بن هارون امير المؤمنين او بدلت أو حدثت في نفسي أن انقض شيئاً مما أنا عليه أو قبلت من احد من الناس فبرئت من الله ومن ولايته ومن دينه ومن محمد رسول الله ولقيت الله يوم القيامة كافراً به ومشركا ، وكل امرأة هي في اليوم لي أو تزوجتها الى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتة طلاق الحرج والسنة ، وعلي المشي الى بيت الله الحرام ثلاثين حجة نذراً واجباً في عنقي حافياً راجلا لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك ، وكل مال هو لي اليوم او أملكه الى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة الحرام ، وكل مملوك هو لي اليوم أو أملكه الى ثلاثين سنة حر لوجه الله عز وجل ، وكلما جعلت لأمير المؤمنين ولعبد الله بن هارون امير المؤمنين وكتبته وشرطته لهما وحلفت عليه وسميت في كتابي هذا لازم لي الوفاء به ولا أضمر غيره ولا أنوي إلا اياه فان أضمرت او نويت غيره فهذه العهود والايمان المؤكدة كلها لازمة لي واجبة علي ، وقواد امير المؤمنين وجنوده وأهل الآفاق والأمصار وعوام المسلمين بُراء من بيعتي وخلافتي وعهدي وهم في حل من خلعي واخراجي من ولايتي عليهم حتى أكون سوقة من السوق وكرجل من عرض الناس ولا حق لي عليهم ولا ولاية ولا بيعة لي في اعناقهم وهم في حل من الأيمان التي أعطوني وبراء من تبعتها ووزرها في الدنيا والآخرة ﴾ (وكتبه محمد بن هارون بخطه)

الشهود على العهد

شهد سليمان ابن أمير المؤمنين المنصور ، وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن جعفر وعبيدالله بن المهدي ، وجعفر بن موسى امير المؤمنين ، واسحاق بن عيسى بن علي ، وعيسى ابن موسى امير المؤمنين ، واسحاق بن موسى امير المؤمنين ، وأحمد بن اسماعيل بن

علي ، وسليمان بن جعفر بن سليمان ، وعيسى بن صالح بن علي ، وداود بن عيسى ابن موسى ، وداود بن سليمان بن جعفر ، ويحيى بن عيسى بن موسى ، ويحيى بن خالد ، وخزيمة بن خازم ، وهرثمة بن أعين ، وعبد الله بن الربيع ، والفضل بن الربيع ، والعباس بن الفضل ، والقاسم بن الربيع ، ودقاقة بن عبد العزيز ، وسليمان ابن عبد الله بن الأصم (. . . . .) ومحمد بن عبد الرحمان قاضي مكة ، وعبد الكريم الحجبي ، وابراهيم بن عبد الرحمان الحجبي ، وأبان مولى أمير المؤمنين والحارث مولى امير المؤمنين ، وخالد مولى أمير المؤمنين ، ومحمد بن منصور ، واسماعيل ابن صبيح .

(وكتب في ذي الحجة سنة ١٨٦)

نسخة الشرط

الذي كتبه عبد الله ابن امير المؤمنين بخطه في البيت ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله هارون امير المؤمنين كتبه له عبد الله بن هارون امير المؤمنين في صحة من عقله وجواز من أمره وصدق نيته فيما كتب في كتابه هذا ومعرفته بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين ؛ إن أمير المؤمنين ولاني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخي محمد بن هارون امير المؤمنين وولاني في حياته وبعد موته ثغور خراسان وكورها وجميع اعمالها من الصدقات والعشر والعشور والبريد والطرز وغير ذلك ، واشترط لي على محمد بن هارون امير المؤمنين الوفاء بما عقد لي من الخلافة والولاية للعباد والبلاد بعده وولاية خراسان وجميع اعمالها لا يعرض لي في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين او ابتاع لي من الضياع والعقد والدور والرباع أو ابتعت لنفسي من ذلك ؛ وما أعطاني امير المؤمنين هارون من الاموال والجوهر والكسى والمتاع والدواب في سبب محاسبة لاصحابي ، ولا يتبع لاحد منهم ابداً ، ولا يدخل علي ولا على احد كان معي ومني ولا عمالي ولا كتابي ؛ ومن استعنت به من جميع الناس مكروهاً في نفس ولادم ولا شعر ولا بشر ولا مال ولا صغير ولا كبير

فاجابه الى ذلك وأقرّ به وكتب بذلك كتاباً وكتبه على نفسه ورضي به هارون أمير المؤمنين وعرف صدق نيته ، فشرطت لعبد الله هارون امير المؤمنين وجعلت له على نفسي أن أسمع لمحمد ابن امير المؤمنين وأطيعه ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشه ، وأوفي ببيعته وولايته ولا أغدر ولا أنكث ، وأنفذ كتبه وأموره ، وأحسن موازرته ومكانفته ، وأجاهد عدوه فى ناحيتي ما وفى لي بما شرط لي. ولعبد الله هارون أمير المؤمنين ورضي لي به وقبلته ولا أنتقص شيئاً من ذلك ولا انتقص أمراً من الأمور التي شرطها لي عليه امير المؤمنين فان احتاج محمد ابن أمير المؤمنين الى جند وكتب إلي يأمرني باشخاصهم اليه او الى ناحية من النواحي او عدو من اعدائه وخالفه وأراد نقص شيء من سلطانه الذي أسنده هارون امير المؤمنين الينا وولاناه أن أنفذ أمره ولا أخالفه ولا أقصر في شيء كتب به الي وإن أراد محمد ابن امير المؤمنين أن يولي رجلا من ولده العهد من بعدي فذلك له ما وفى بما جعل لي امير المؤمنين هارون واشترط لى عليه وشرط على نفسه في أمري وعلي إنفاذ ذلك والوفاء به ولا أغيره ولا أبدله ولا أقدم قبله احداً من ولدي ولا قريباً ولا بعيداً من الناس اجمعين إلا أن يولي هارون امير المؤمنين أحداً من ولده العهد بعدي فيلزمني ومحمداً الوفاء بذلك ، وجعلت لأمير المؤمنين هارون ولمحمد ابن امير المؤمنين علي الوفاء بما شرطت وسميت فى كتابي هذا ما وفى لي محمد ابن امير المؤمنين بجميع ما اشترط لي هارون امير المؤمنين في نفسي وما اعطاني امير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في الكتاب الذي كتبه له ، وعلي عهد الله وميثاقه وذمة امير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والايمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها ؛ فان انا نقضت شيئاً مما شرطت وسميت في كتابي هذا أو غيرت أو بدلت او نكثت او غدرت فبرئت من الله ومن ولايته ومن دينه ومن محمد رسول الله ولقيت الله يوم القيامة كافراً به مشركا ، وكل امرأة هي اليوم لي او أتزوجها الى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتة

طلاق الحرج ، وكل مملوك لي او املكه الى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله ، وعلي المشي الى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة نذراً واجباً علي وفي عنقي حافياً راجلاً لا يقبل الله مني إلا الوفاء به ، وكل مال هو لي اليوم او أملكه الى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة ؛ وكلما جعلت لعبد الله هارون امير المؤمنين وشرطت في كتابي هذا لازم لي ولا أضمر غيره ولا أنوي سواه .

وشهد الشهود الذين شهدوا على أخيه محمد ابن امير المؤمنين ، وأقام الرشيد الحج للناس وأمر بتعليق هاذين الكتابين فعلقا أيام الموسم على باب الكعبة وقرئا على الناس عدة مرار وجعلا في الكعبة ، وانصرف الرشيد فنزل الحيرة فاقام اياماً ثم مضى على طريق البرية فنزل بموضع من الأنبار يقال له ﴿ الحرف ﴾ بدير يقال له ﴿ العُمر ﴾ وأقام يومه .

وقتل جعفر بن يحيى بن خالد وزيره في تلك الليلة بغير امر متقدم قبل ذلك واصبح فحمله الى بغداد فقطع ثلاث قطع وصلب على جسر بغداد ولبغداد يومئذ ثلاثة جسور ؛ وحبس يحيى بن خالد بن برمك وولده واهل بيته واستصفى اموالهم وقبض ضياعهم وقال لو علمت يميني بالسبب الذي له فعلت بهذا لقطعتها ؛ واكثر الناس في اسباب السخط عليهم مختلفين .

وحدث اسماعيل بن صبيح قال : بعث الي الرشيد يوما وهو ببغداد فدخلت فلم أر في المقاصير والأروقة احداً حتى انتهيت اليه فقال : يا اسماعيل هل رايت في الدار احداً فقلت : لا والله قال فطف المجالس والأروقة والمقاصير فطفت فلم اجد احداً فقال : عد ثالثة فعدت ثم قال خذ ذلك الكرسي فاخذته وخرج وفي يده عمود حتى صار الى وسط الصحن ثم قال ضع الكرسي فوضعته فجلس عليه والعمود في يده ثم قال اجلس فاوحشت نفسي خيفة وجلست فقال إني اريد ان افشي اليك سراً والله لئن سمعته من احد من الناس لأضربن عنقك فتراجعت نفسي وقلت إن كنت يا امير المؤمنين

قلته لأحد أو تقوله فلا حاجة بي اليه فقال ما قلته لأحد ولا أقوله اني أريد أوقع بآل برمك ايقاعاً ما أوقعته باحد وأجعلهم أحدوثة ونكالاً الى آخر الأبد فقلت وفقك الله يا أمير المؤمنين وأرشد أمرك ، ثم قام فعاد وأخذت الكرسي فرددته وقلت إنما أراد أن يعرف ما عندي فيهم فبعث بي اليهم وكان يفعل ذلك كثيراً ، ثم حال الحول وحال حول ثان ثم حال ثالث فلما كان رأس الحول الرابع قتلهم ؛ وكان قتل جعفر في صفر سنة ١٨٨ بدير العمر ، وكان يحيى بن خالد قد نزل هذا الدير منصرفاً من الحج قبل أن يحل بهم الأمر بحول كامل فدخل الى الدير الذي قتل ابنه جعفر فيه فطافه فظهر له ﴿ قس ﴾ فقال له مذ كم بنيت هذه البيعة فقال مذ ستمائة سنة وهذا قبر صاحبها فوقف على قبر عليه كتابة فقرأها فاذا عليه .

ان بني المنذر عام انقضوا * بحيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك ذفاريهم * وعنبر يقطبه القاطب
والقطن والكتان أثوابهم * لم يجتنب الصوف لهم جانب
فاصبحوا حشاً لدود الثرى * والدهر لا يبقى له صاحب
أضحوا وما يرجو لهم راغب * خيراً ولا يرهبهم راهب
كأنما جنتهم لعنة * سار الى (بن بها) راكب (١)

قال فتغير وجه يحيى وقال اعوذ بالله من شرك يا قس فغاب القس بين عينيه فطلبه فلم يقدر عليه ، واقام يحيى وولده فى الحبس عدة سنين ، وكتب يحيى الى الرشيد يستعطفه ويذكر له حرمته وتربيته فوقع على ظهر رقعته ﴿ إنما مثلك يا يحيى

(١) كذا فى الأصل ، وقد رواه الحموي فى معجم البلدان بمادة (دير هند الكبرى) ج ٤ ص ١٨٤ كما يلي :

كأنهم كانوا بها لعبة * سار الى اين بها راكب

وروى الأبيات ثمانية باختلاف يسير . (م ص)

ما قال الله عز وجل « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

واغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة فى هذه السنة وهي سنة ١٨٨ ومعه عبد الملك ابن صالح الهاشمي وعلى امره ابراهيم بن عثمان بن نهيك فحاصر حصن سنان وقرة واصاب الناس جوع شديد وعوز وغلاء ، وطلب الروم الصلح على ان يدفعوا اليه ثلاثمائة وعشرين مسلماً فقبل وانصرف واخذ الرشيد احمد (١) بن عيسى بن زيد العلوي فحبسه بالرافقة سنة ١٨٨ فهرب احمد بن عيسى من الحبس وصار الى البصرة وكان يكاتب الشيعة يدعوهم الى نفسه فاذكى الرشيد عليه العيون وجعل لمن جاء به الأموال فلم يقدر عليه فاخذ حاضر صاحبه وكان المدبر لأمره فحمل الى الرشيد فلما صار ببغداد وهو بباب الكرخ قال ﴿ ايها الناس انا حاضر صاحب احمد بن عيسى ابن زيد العلوي وقد اخذني السلطان ﴾ فمنعه الموكلون به من الكلام فلما دخل على الرشيد سأله عنه وتهدده فقال والله لو كان تحت قدمي هذه ما رفعتها عنه واغلظ في الجواب وقال انا شيخ قد جاوزت التسعين أفأخيم عملي بأن ادل على ابن رسول الله حتى يقتل ؟ فامر الرشيد فضرب حتى مات وصلب ببغداد وطفئ احمد بن عيسى ولم يعرف خبره بعد ذلك .

وحبس الرشيد عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي فى هذه السنة وهي سنة ١٨٨ وذلك إن ابنه عبد الرحمان وكاتبه قمامة بن يزيد وكان مولى لعبد الملك رفعا عنه انه يؤهل نفسه للخلافة وانه يراسل رؤساء القبائل والعشائر بالشام والجزيرة وكان نبيلا فصيحا حسن البيان فقال ما سبب حبسي فان كان لذنب اعترفت به او لبلاغ تنصلت منه ، فاحضره الرشيد فقال هذا ابنك عبد الرحمان يذكر ما كنت تدبره من المعصية

(١) احمد هذا : هو ابن عيسى بن زيد ابن الامام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام . (م . ص)

والشقاق ، فقال ليس يخلو ابني ان يكون مأمورا فمعذورا أو عدوا محذوراً وقدقال الله تعالى ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ قال فهذا قثامة بن يزيد كاتبك يذكر مثل ذلك وقد سأل أن يجمع بينه وبينك ، قال من كذب علي واشاط بدمي لغير مأمون أن يبهتني .

﴿ وحدثني ﴾ بعض أشياخنا قال أخرج الرشيد يوماً عبد الملك بن صالح بن علي فاقبل عليه فقال ﴿ كأني أنظر الى شؤبوبها قد همع ، والى عارضها قد لمع ، والى الوعيد قد أورى ناراً فاقلع عن براجم بلا معاصم ، ورؤس بلا غلاصم ، فمهلاً مهلا بني هاشم لا تستوعروا السهل ، وتستسهلوا الوعر ، ولا تبطروا النعم ، وتستجلبوا النقم ، فمن قليل يذم ذو الحكم رأيه ، وينكص ذو الحزم على عقبيه ، وتستبدلون الذل بعد العز ، والخوف بعد الأمن ﴾ فقال : عبد الملك أفذاً أتكلم ام توأماً — يعني واحداً أو اثنين — فقال فذاً ، قال فخف الله فيما ولاك ، واحفظه في رعاياك التي استرعاك ، ولا تجعل الكفر موضع الشكر ، ولا العقاب بدل الثواب ولا تقطع رحمك التي أوجب الله عليك والزمك حقها ، وتطق الكتاب بان عقوقها كفر ، واردد الحق على محقه ، ولا تصرف الحق الى غير أهله ، فلقد جمعت عليك الألسن بعد افتراقها ، وسكنت القلوب بعد نفارها ، وشددت أواخي ملكك باشد من ركن يلملم ، فكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرجته * بلساني وبياني وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامي وزحل

قال ثم خرج فاتبعه الرشيد بصره وقال : أما والله لولا الابقاء على بني هاشم لضربت عنقك .

وخرج هارون الرشيد الى الري سنة ١٨٩ فلما صار بقرميسين بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون وكان بين البيعة للمأمون وبيعة القاسم ست سنين ، ثم سار حتى

نزل الري وكتب الى محمد ابنه وكان ببغداد يأمره بالخروج الى الري والقيام بما خلف بها ، وكتب الى ﴿ بندار هرمز ﴾ صاحب طبرستان فخرج و ﴿ شروين ﴾ صاحب طخارستان ، فخرج بندار هرمز على يدي هرثمة بن اعين واخرج ابنه [قارن] فصيره في معسكر الرشيد من الري واستخلف عبد الله بن مالك الخزاعي على قومس وطبرستان ودنباوند وسار الى بغداد فمرَّ بها نهاراً ولم ينزلها فلما صار الى الجسر امر بتحريق جثة جعفر بن يحيى وقتل الوليد بن حشم .

وولى الرشيد علي بن عيسى بن ماهان مكان منصور بن يزيد بن منصور الحميري سنة ١٨٩ وضم اليه جماعة من القواد فيهم . رافع بن الليث الليثي وأمره أن لا يستعمله على بلد قاصياً ، فلما قدم علي بن عيسى خراسان استعمل رافع بن الليث على سمرقند فلم يحل عليه الحول حتى خلع ونادى بالمعصية وحارب وبلغ الرشيد ان ذلك عن تدبير من علي ابن عيسى فوجه هرثمة بن أعين في أربعة آلاف كأنه مدد لعلي بن عيسى حتى دخل المدينة ثم صار الى دار الامارة وأدخل الجند الذين معه الدار وأخرج الكتاب فدفعه الى علي بن عيسى فلما قرأه قال أسامع انت مطيع قال نعم فدعا بقيد ثقيل فقيده ثم أخرجه من ساعته وخرج معه حتى جاز من عمل مرو وبعث به مع رسل من قبله الى الرشيد وأمر الرشيد بحبسه وحبس ولده وقبض أمواله فلم يزل محبوساً حتى مات الرشيد

وكانت ارمينية قد انتقضت بعد وفاة المهدي فلم تزل منتقضة أيام موسى ، فلما ولى الرشيد خزيمة بن خازم التميمي ارمينية قام بها سنة وشهرين وضبطها وصلحت البلاد وأعطى أهلها الطاعة ، ثم ولى الرشيد يوسف بن راشد السلمي مكان خزيمة بن خازم فنقل الى البلد جماعة من النزارية ، وكان الغالب على ارمينية اليمانية فكثرت النزارية في ايام يوسف ، ثم ولى يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فنقل اليها ربيعة من كل ناحية حتى هم اليوم الغالبون عليها ، وضبط البلد أشد ضبط حتى لم يكن أحد يتحرك ثم ولى عبد الكبير بن عبد الحميد من ولد زيد بن الخطاب العدوي وكان منزله حران

فصار اليها في جماعة من أهل ديار مضر ولم يقم إلا أربعة اشهر حتى صرف ، وولى الفضل ابن يحيى بن خالد البرمكي فسار اليها بنفسه فلما قدم توجه الى ناحية [الباب والأبواب] فغزا قلعة حمزين فهزمه أهل حمزين فانصرف ما يلوي على شيء حتى أتى العراق واستخلف على البلد عمر بن ايوب الكناني ، فلما صار الفضل الى العراق وجه أبا الصباح على خراج إرمينية وسعيد بن محمد الحراني اللهبي على حربها فوثب أهل برذعة على ابى الصباح فقتلوه وانتقضت ارمينية ، وظهر فيها ابو مسلم الشاري فولى الفضل خالد بن يزيد بن أسيد السلمي ارمينية ووجه اليه عبد الملك بن خليفة الحرشي في خمسة آلاف فلقوا أبا مسلم الشاري برويان فهزمهم وانصرف ابو مسلم الى قلعة الكلاب فاخذها واستعمل الرشيد على ارمينية العباس بن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي فلما صار الى برذعة وثب به البيلقانية فتحصن منهم في ربض برذعة ووجه معدان الحمصي الى ابي مسلم الشاري في ستة آلاف والتقيا وكانت بينهما وقعة وقتل معدان الحمصي فصار ابو مسلم الشاري الى دبيل فحصرها اربعة اشهر ثم انصرف فصار الى البيلقان فنزلها وقوي أمر ارمينية ووجه الرشيد يحيى الحرشي فى اثني عشر الفاً ويزيد بن مزيد الشيباني فى عشرة آلاف وأمر يزيد بن مزيد أن يقصد ارمينية وأمر الحرشي أن يأخذ على آذربيجان وكان قد تغلب بآذربيجان مهلهل التميمي فلقيه الحرشي فقاتله وهزمه وأصلح البلاد ، ثم صار الى ارمينية ليجتمع ويزيد بن مزيد على محاربة ابي مسلم الشاري فوافى البلد وقد مات ، وقام من بعده السكن بن موسى البيلقاني مولى (. . . .) وكان منزله البيلقان فلما بلغه قدوم يحيى الحرشي وجه اليه الخليل بن السكن في خيار خيله فلقي الحرشي فاسره الحرشي وزحف الى البيلقان فلما بلغ السكن الخبر خرج هارباً فصار الى قلعة الكلاب وصار اهل البيلقان الى الحرشي فطلبوا الأمان فادخلوا المدينة فآمن اهلها وهدم حصنها وسار السكن الى يزيد بن مزيد فى ثمانية آلاف مستأمناً منه وحمله الى الرشيد ، ولما سكن البلد ولى الرشيد موسى بن عيسى الهاشمي فاقام بارمينية سنة فعاد انتقاضها فاضطربت

نواحيها وكتب الى الرشيد بذلك فقال الرشيد ما أرى لها إلا الحرشي فعزل موسى بن عيسى ووجه الحرشي عاملاً عليها فوضع فيهم السيف حتى استقامت ، ثم ولى الرشيد أحمد بن يزيد بن أسيد السلمي فلما قدم وثب به من كان فى البلد من اهل خراسان ممن قدم مع الحرشي وقبل الحرشي وقاتلوه وتعصبوا عليه وقالوا لا نسمع لك ولا طاعة ، فولى الرشيد سعيد ابن سلم بن قتيبة الباهلي فلما قدم البلد تلاءمت الناس شهوراً ثم تعبث بالبطارقة فخالف عليه ﴿ الباب والأبواب ﴾ ووثبوا بعامله وكان النجم بن هاشم صاحب الباب والأبواب ، فقتله سعيد بن سلم فوثب ابنه حيون بن النجم فقتل عامل سعيد على الباب والأبواب وكشف رأسه للمعصية وكتب الى خاقان ملك الخزر فزحف اليه ملك الخزر فى خلق عظيم فاغار على المسلمين فقتل وسبى خلقاً عظيماً وسار حتى أتى جسر الكر وسبى خلقاً من المسلمين وقتل عالماً وحرق البلاد وقتل النساء والصبيان فلما بلغ الرشيد خبره وجه بنحاب وأمره أن يعرض على سعيد بن سلم ويقيمه للناس فلما وافى البلد أعطاه سعيد مالاً فمال النحاب الى اخذ المال فبلغ الرشيد ذلك فوجه نصر بن حبيب المهلبي عاملا على البلد فلم يلبث الا يسيراً حتى عزله وولى علي بن عيسى بن ماهان فلما قدم ساءت سيرته ووثب به اهل شروان واضطرب البلد فولى الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ورد علياً الى خراسان وجمعت ليزيد بن مزيد ارمينية وآذربيجان فلما قدم تلاءمت الناس وأصلح البلاد وساوى بين النزارية واليمانية وكتب الى أبناء الملوك والبطارقة يبسط آمالهم فاستوى البلد ، ثم ولى الرشيد خزيمة بن خازم التميمي فاخذ البطارقة وأبناء الملوك فضرب أعناقهم وسار فيهم أسوء سيرة فانتقضت جرجان والصنارية (١) فانفذ اليهم جيشاً فقتلوه فوجه اليهم سعد بن الهيثم بن شعبة بن ظهير التميمي فى جيش عظيم فقاتل أهل جرجان والصنارية حتى أجلاهم عن البلد وانصرف الى تفليس ، فاقام خزيمة بن خازم أقل من سنة ثم عزله وولى سليمان بن يزيد بن الأصم

(١) الصنارية بالكسر قوم بارمينية ، قاله الزبيدي فى التاج بمادة (صنر)

العامري وكان شيخاً ضعيفاً مغفلاً فضعف حتى لم يكن له أمر يجوز حتى كاد أن يغلب على البلد ؛ وولى الرشيد العباس بن زفر الهلالي فانتقضت عليه الصنارية فقاتلهم وضعف عنهم فوجه الرشيد محمد بن زهير بن المسيب الضبي وكان آخر عمال الرشيد على ارمينية .

وخلع أهل حمص سنة ١٩٠ ووثبوا على واليهم فخرج الرشيد نحوهم فلما صار بمنبج لقيه وفدهم يعطون بايديهم ويسألون الاقالة فعفا عنهم ونفذ الى بلاد الروم فغزا الصائفة وفتح هرقلة والمطامير .

وحجت أم جعفر بنت جعفر بن المنصور في هذه السنة وهي سنة ١٩٠ فنال الناس عطش شديد وغارت زمزم حتى لم يوجد فيها من الماء إلا القليل وحفرت زمزم فنزل فيها عدة أذرع فكأن الماء زاد يسيراً وكان مقدار رشاء زمزم ثماني عشرة ذراعا فحفر فيها تسع أذرع ليزيد فكان أول ما حفر زمزم .

واجتمع عند الرشيد عمه وعم أبيه وعم جده ، سليمان بن جعفر عمه ، والعباس بن محمد عم أبيه ، وعبد الصمد بن علي عم جده ، فقال عبد الصمد بن علي (أحمد الله يا امير المؤمنين على نعمه عليك فقد جمع لك ما لم يجمع لخليفة قبلك ثم جمع لك عمك وعم أبيك وعم جدك)

وكان الغالب على الرشيد يحيى بن خالد بن برمك ، وجعفر والفضل ابناه صدراً من خلافته حتى ما كان له معهم أمر ولا نهي ، فاقاموا على تلك الحال وأمور المملكة اليهم سبع عشرة سنة ، ثم كان الفضل بن الربيع يغلب عليه ، واسماعيل بن صبيح ، وعلى شرطه القاسم بن نصر بن مالك ، ثم عزله وولى خزيمة بن خازم ؛ ثم عزله وولى المسيب بن زهير الضبي ، ثم عزله واستعمل عبد الله بن مالك ، ثم عزله واستعمل علي بن الجراح الخزاعي ، ثم عزله واستعمل عبد الله بن خازم ، وكان على حرسه جعفر بن محمد بن الأشعث ، ثم عزله واستعمل عبد الله بن مالك ثم هرثمة بن أعين ، وكان حاجبه الفضل بن الربيع .

وخرج هارون الى خراسان في شعبان سنة ١٩٢ فنزل قرميسين فصار بها شهر رمضان وضحى بالري فلما صار الى جرجان كتب الى عيسى بن جعفر بالخروج اليه فخرج اليه عيسى فلما صار في بعض الطريق توفي * فحدثني * شيخ من آل المهلب كان مع عيسى بن جعفر قال : دخلنا اليه يوماً وقد اشتدت علته فسمعناه يقول إنا لله وإنا اليه راجعون ذهبت والله نفسي فقلنا له إنك بحمد الله اليوم صالح فقال اني دققت ما يخرج من أذني فوجدته رمياً حتى أغمي عليه وسمع النساء بكاء الرجال ففلين الخدم وخرجن فافاق ورفع رأسه فنظر اليهن وقال :

قد كن يخبأن الوجوه تستراً * فاليوم حين بدون للنظار

ثم قضى من ساعته ، فلما بلغ الرشيد خبر وفاته اشتد جزعه عليه فدخل على جارية فقالت يا أمير المؤمنين ان عيسى كان يريد بك ما صار اليه فاحاقه الله به ، وهذا مسرور وحسين يعلمان ذلك فقالا صدقت فتسلى ودعا بالطعام ، وصار هارون الى طوس فنزل قرية يقال لها * سناباذ * وهو شديد العلة فتوفي مستهل جمادى الأولى سنة ١٩٣ وهو ابن ست وأربعين سنة ؛ وصلى عليه ابنه صالح بن هارون ، وكان المأمون قد نفذ الى مرو قبل ذلك بثلاثة وعشرين يوماً وجاء نعيه من طوس الى مدينة السلام يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى .

وخلف من الولد اثني عشر ذكراً : عبد الله المأمون ، ومحمد الأمين ، والقاسم وابا اسحاق المعتصم ، وأبا عيسى ، وابا العباس ؛ وعلياً ، وصالحاً ، وابا يعقوب وأبا علي ، وأبا احمد ، وأبا أيوب ، وكل مكنى من بني هاشم فاسمه محمد .

وأقام الحج فى ولايته ، سنة ١٧٠ هارون الرشيد ، سنة ١٧١ عبد الصمد بن علي ؛ سنة ١٧٢ يعقوب بن المنصور ، سنة ١٧٣ الرشيد ، سنة ١٧٤ وسنة ١٧٥ الرشيد ، سنة ١٧٦ سليمان بن ابي جعفر ، سنة ١٧٧ ، الرشيد ، سنة ١٧٨ محمد ابن ابراهيم بن محمد بن علي ، سنة ١٧٩ الرشيد ؛ وكان قد اعتمر فلم يزل معتمراً

حتى حج فانصرف الى البصرة ؛ سنة ١٨٠ موسى بن عيسى وجه هارون من الرقة سنة ١٨١ الرشيد ، سنة ١٨٢ موسى بن عيسى ؛ سنة ١٨٣ العباس بن موسى سنة ١٨٤ ابراهيم بن المهدي ، سنة ١٨٥ منصور بن المهدي ، سنة ١٨٦ الرشيد ١٨٧ عبد الله بن العباس بن محمد ، سنة ١٨٨ الرشيد وهي آخر حجة حجها ولم يحج بعده خليفة ؛ سنة ١٨٩ العباس بن موسى بن عيسى ؛ سنة ١٩٠ عيسى بن موسى الهادي ؛ سنة ١٩١ الفضل بن العباس بن محمد بن علي ، سنة ١٩٢ العباس بن عبد الله بن جعفر بن ابي جعفر .

وغزا بالناس في ايامه ، سنة ١٧١ يزيد بن عنبسة الحرشي عاملا من قبل اسحاق ابن سليمان ، ١٧٢ محمد بن ابراهيم ، ١٧٣ ابراهيم بن عثمان ، سنة ١٧٤ سليمان ابن ابي جعفر ، سنة ١٧٥ عبد الملك بن صالح ﴿ وقيل ﴾ إنه لم يدخل بلاد الروم ولما صار الى الدرب وجه الفضل بن صالح ، ١٧٦ هاشم بن الصلت ، سنة ١٧٧ داود بن النعمان من قبل عبد الملك ؛ سنة ١٧٨ يزيد بن غزوان ، سنة ١٧٩ الفضل ابن محمد ؛ سنة ١٨٠ اسماعيل بن القاسم ، سنة ١٨١ هارون الرشيد فافتتح حصن الصفصاف ، سنة ١٨٢ ابراهيم بن القاسم من قبل عيسى بن جعفر ، سنة ١٨٣ الفضل ابن عباس ، سنة ١٨٤ محمد بن ابراهيم ، سنة ١٨٥ ابراهيم بن عثمان ، سنة ١٨٦ ابراهيم بن عثمان ايضاً ، ١٨٧ القاسم بن الرشيد ؛ وعبد الملك بن صالح ؛ وابراهيم ابن عثمان بن نهيك ، وفيها قتل الرشيد ابراهيم بن عثمان ، سنة ١٨٩ الفضل بن العباس ، سنة ١٩٠ الرشيد فافتتح هرقلة والمطامير ، وأغزى حميد بن معيوف بالبحر وكان أهل قبرس قد نقضوا الصلح فغزاهم فقتل وسبى ، ١٩١ خرج الرشيد يريد الغزو فلما صار بالحدث أغزاهم مع هرثمة بن أعين وأقام بالثغر حتى انصرف هرثمة .

وكان الفقهاء في أيامه ؛ محمد بن عمران بن ابراهيم ، مالك بن انس ، ابراهيم ابن محمد بن ابي الحسن الأسلمي ، ابو البختري بن وهب القرشي ، عبد الله بن جعفر

المديني ؛ اسماعيل بن جعفر ابو عقيل ، ابو معشر السندي ، سعيد بن عبد العزيز الجمحي ؛ عبد العزيز بن ابي حازم ، عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عبد الرحمان بن عبد الله العمري ، سليمان بن فليح (. . . .) عطاء بن يزيد ، سفيان بن عيينة شريك بن عبد الله النخعي ؛ سلمة الأحمر ، ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ؛ ابراهيم ابن سعد الزهري ، سفيان بن الحسن الحماني ، جعفر بن عتاب ، ابن ابي زائدة علي بن مسهر ؛ عبد الله بن ادريس الأودي ، محمد بن مروان السدي ، جرير بن عبد الحميد الكوفي ، شعيب بن صفوان صاحب ابن شبرمة ، جعفر بن سليمان ؛ محمد ابن الحسن ، علي بن هاشم ، عبد الله بن الأصلح الكندي ، الصلت بن الحجاج القاسم بن مالك المزني ، علي بن ظبيان ، ابو شهاب الكوفي ، محمد بن مسروق القاضي ، عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكيع بن الجراح ، يحيى بن الهانى (١) عمرو بن هشام ؛ حماد بن زيد ؛ ابو عوانة . يزيد بن زريع . عبيد الله بن الحسن المعتمر بن سليمان . داود بن الزبرقان . عباد بن عباد المهلبي . حمزة بن نجيح . خالد ابن يزيد . محمد بن راشد . عمران بن خالد صاحب عطاء . محمد بن يزيد الواسطي عبد المنعم بن نعيم . عمر بن جميع . يوسف بن عطية . عبد العزيز بن عبد الصمد .

أيام محمد الأمين

وبويع لمحمد الأمين بن هارون الرشيد — وأمه أم جعفر بنت جعفر بن المنصور — ولم يكن في الخلفاء هاشمي الأبوين غير علي بن أبي طالب عليه السلام ومحمد . وكانت البيعة له بطوس في اليوم الذي توفي فيه الرشيد وهو يوم الأحد مستهل جمادى الاولى سنة ١٩٣ . واخذ له الفضل بن الربيع بيعة من حضر من الهاشميين والقواد . وقدم

(١) كذا في الأصل . والظاهر أن الصحيح (الهنائي) وهو يحيى بن ابي اسحاق الذي روى عن انس بن مالك وروى عنه عتبة بن حميد الضبي . ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (ج ١١ ص ١٧٨) (م . ص)

رجاء الخادم الى محمد ببغداد يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى وكان ذلك من شهور العجم في آذار وكانت الشمس يومئذ في الحمل ثلاث درجات وثلاثاً وخمسين دقيقة ، وزحل فى القوس ست درجات وعشرين دقيقة راجعاً ، والمشتري فى القوس ست درجات وعشرين دقيقة راجعاً ؛ والمريخ فى الدلو ستاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة فى الحوت سبع درجات وثلاثين دقيقة ، والرأس فى السرطان اثنتين وعشرين درجة .

فبايع الناس فى هذا اليوم ببغداد ، وخرج اسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله ابن العباس فصعد المنبر فحمد الله وصلى على محمد ، ثم قال ﴿ نحن أعظم الناس رزية وأحسن الناس بقية رزء نا (١) رسول الله فلم يكن احد أشد رزءً منا ، وعُوضنا خلفاً ابنه فمن ذا له مثل عوضنا ﴾ ثم نعاه الى الناس وذكّرهم العهد ثم نزل فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وذكر ما فضله الله به ، ثم قال ﴿ وأفضت خلافة الله وميراث نبيه الى أمير المؤمنين الرشيد ، فعمل بالحق ، وساس بالعدل ، وحج بيت الله ، وجاهد فى سبيل الله . وبذل مهجته في طاعة الله ، وباشر الجهاد طلباً لرضا الله جل وعز ؛ حتى أعز الله دينه ، وأقام حقه ، ووقم العدو وآمن السبل ، ونصح العباد ؛ وعمر البلاد ، وقد اختار له ما عنده ، وأكرمه بلقائه ؛ فعند الله نحتسبه ، وإياه نسأل حسن الخلافة من بعده ، والمعونة على ما حملني من أمركم ، وأرغب اليه في التسديد والتوفيق لما يرتضيه فيكم ﴾

ثم حض على الطاعة وأمر بالمناصحة ونزل ، وقدم الفضل بن الربيع الخزائن وبيوت الأموال ووصية الرشيد مستهل جمادى الآخرة ، وكان محمد بن هارون قد أمر باظهار الحج فقال له الفضل بن الربيع إن أباك قد أمرني أن أقول لك أنه لن يحج بعدي من خلفاء بني العباس فاقام ، وحجت أمه أم جعفر معتمرة شهر رمضان وقد كانت تقدمت

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصحيح رزء نا (خليفة) رسول الله (الخ)

في حفر ﴿ عين المشاش ﴾ في أيام الرشيد فقدمت مكة وقد فرغ منها فبنت المصانع وجعلت الحياض والسقايات ، ووجه محمد بعشرين الف مثقال ذهباً فجعلت صفائح على باب الكعبة ومسامير الباب والعتبة .

وأخرج عبد الملك بن صالح من الحبس وولاه جميع ما كان اليه من الجزيرة وجند قنسرين والعواصم والثغور ، ورد عليه أمواله وضياعه ودفع اليه ابنه عبد الرحمان وكاتبه قمامة فحبس قمامة في حمام قد أحكم وأوقد أشد وقود وطرح معه سنانير فلم يزل فيه حتى مات ، وحبس ابنه فلم يزل محبوساً ، وقال عبد الملك حين أخرج من الحبس وذكر ظلم الرشيد له ﴿ والله إن الملك لشيء ما نويته ولا تمنيته ولا قصدت اليه ولا ابتغيته ولو أردته لكان أسرع الي من السيل الى الحدور ومن النار الى يابس العرفج وإني لمأخوذ بما لم أجن . ومسؤول عما لا أعرف . ولكنه والله حين رآني للملك قمناً . وللخلافة خطراً . ورأى لي يداً تنالها إذا مدت . وتبلغها اذا بسطت ونفساً تكمل لخصالها . وتستحقها بخلالها . وإن كنت لم أختر تلك الخصال . ولا اصطنعت تلك الخلال . ولم أترشح لها في سر . ولا أشرت اليها في جهر . ورآها تحن إلي حنين الوالدة . وتميل إلي ميل الهلوك . وخاف أن تنزع الي أفضل منزع وترغب في خير مرغب . عاقبني عقاب من قد سهر في طلبها . ونصب في التماسها وتفرد لها بجهده . وتهيأ لها بكل وسعه . فان كان إنما حبسني على أني أصلح لها وتصلح لي . وأليق بها وتليق بي . فليس ذلك بذنب فاتوب منه . ولا تطاولت اليه فاحط نفسي عنه . وإن زعم أنه لا صرف لعقابه . ولا نجاة من عذابه . إلا بأن أخرج له من الحكم والعلم . والحزم والعزم . فكما لا يستطيع المضيع أن يكون حافظاً كذا لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلا . وسواء (١) عليه عاقبني على عقلي ام عاقبني

(١) وسواء عليه عاقبني على علمي وحلمي . أم عاقبني على نسبي وسني وسواء « الخ » (كذا روى في هامش الأصل هذه الزيادة عن نسخة) (م . ص)

على طاعة الناس لي ولو أردتها لاعجلته عن التفكير ، وأشغلته عن التدبير ، ولم يكن لما كان من الخطاب إلا اليسير ، ومن بذل المجهود إلا القليل ﴾

وأخرج علي بن عيسى بن ماهان من الحبس ورد عليه أمواله وولاه شرطته وقدمه وآثره ؛ وولى أسد بن يزيد بن مزيد إرمينية فقدمها وقد غلب على ناحية من البلد يحيى بن سعد الملقب ﴿ كوكب الصبح ﴾ واسماعيل بن شعيب مولى مروان بن محمد بن مروان وكانا بناحية جُرزان فاحتال لهما حتى أخذهما ثم مَنّ عليهما وخلى سبيلهما ، وكان حسن السيرة سخياً ، ثم عزله محمد وولى ارمينية اسحاق بن سليمان الهاشمي فوجه اليها ابنه الفضل خليفة له ، ولم يزل الفضل بها أيام المخلوع .

وولى محمد بن سعيد بن السرح الكناني اليمن وكان من أهل فلسطين فاقام بها ثلاث سنين ثم عزله ، وولى جرير بن يزيد البجلي فخرج سعيد بن السرح من اليمن باموال عظام حتى صار الى فلسطين فاتخذ الدور والضياع فلم يزل جرير بن يزيد على اليمن حتى بويع المأمون .

وقد وجه الرشيد هرثمة بن أعين في جيش الى رافع بن الليث الى سمرقند وقد استكثف جمع رافع واستمال اهل الشاش وفرغانة واهل خجندة واشروسنة والصغانيان وبخارا وخوارزم وختل وغيرها من كور بلخ وطخارستان والسغد وما وراء النهر والترك والخرلخي والتغزغز وجنود التبت وغيرهم ، واستنصر بهم على قتال السلطان وقتل المسلمين ؛ وصار الى مدينة سمرقند فتحصن بها فلم يزل هرثمة محارباً له حتى قتل خلق من أصحابه ثم استمان رافع بجيغويه الخرلخي ، وكان جيغويه هذا قد أسلم على يد المهدي فجعل يخادع هرثمة ويوهمه أنه معه ومعونته وهواه لرافع ، ثم أظهر المعصية والخلع فقوى امر رافع بمكانه ؛ وأحرق السواد بالنار ، وتبرأ من أهله . ودعا لغير بني هاشم . وأخذ هرثمة باكظامهم حتى ضرع رافع الى الأمان فآمنه فخرج اليه بولده وأهل بيته وأمواله . وذلك في المحرم سنة ١٩٤ فكتب المأمون الى محمد

بالفتح وأعلمهم ما كان من تدبيره واجتهاده حتى فتح الله عليه فأفسد قوم قلب محمد على المأمون وأوقعوا بينهما الشر . وكان الذي يحرضه علي بن عيسى بن ماهان والفضل ابن الربيع وزينا له أن يبايع لابنه بولاية العهد من بعده ويخلع المأمون ففعل ذلك وبايع لابنه موسى . وذلك لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٩٤ . وجمع العهود التي كتبها الرشيد بينهما فخرقها وجرت الوحشة بينهما . وكتب محمد الى المأمون يأمره بالقدوم عليه في جميع القواد فكتب اليه يعلمه أنه لا سمع عليه في هذا ولا طاعة . فكتب الى من بخراسان من القواد فاجابوه بمثل ذلك وقالوا إنما يلزمنا لك الوفاء إذا وفيت لأخيك وانت فقد نقضت العهود وأحدثت الاحداث واستخففت بالأيمان والمواثيق .

ووجه محمد الى أم عيسى بنت موسى الهادي امرأة المأمون يطلب منها جوهراً كان عندها للمأمون فمنعته وقالت ما عندي شيء أملكه . فوجه من هجم على منزلها فانتهب كل ما فيه وأخذ ذلك الجوهر فلما انتهى ذلك الى المأمون جمع القواد الذين عنده فقال لهم ﴿ قد علمتم ما كان أبي شرط علي وعلى أخي محمد وقد نكث ونقض العهود وأوجد السبيل الى خلعه بنكثه ونقضه وتعرضه لأموالي وأسبابي وأعمالي وتحريقه الشروط والعهود التي عليه واستخفافه بحق الله فيما نكث من ذلك واشتغاله بالخصيان ﴾ فاتفق رأيهم على مراسلته فان رجع وإلا خلعوه . وبلغ محمد ذلك فجمع قواده وذكر لهم خلع المأمون اياه وندبهم الى الخروج اليه فاختاروا عصمة بن أبي عصمة السبيعي فسير معه جيشاً كثيفاً فخرج حتى صار الى حد خراسان . ثم وقف وكتب اليه يحركه على المسير فامتنع فقال أخذت علينا البيعة أن لا ندخل خراسان وأخذت عليك أن لا تدخلها ولا ترسل أحداً اليها فان جاءني انسان من قبل المأمون الى هاهنا قاتلته وإلا لم أجز الحد . فوجه محمد علي بن عيسى بن ماهان والياً على خراسان وأمره باشخاص المأمون ومن معه وضم اليه من القواد والجند أربعين الف مرتزق وحملت اليه الأموال ودفع اليه قيد فضة وقال إذا قدمت خراسان قيد بهذا القيد المأمون واحمله الى ما قبلي . فلما

أتى المأمون الخبر ندب طاهر بن الحسين بن مصعب البوشنجي للخروج وقبل ما كان ولاه كورة بوشنج ، وأزاح علته بالكراع والأموال ونفذ فلقي علي بن عيسى بالري في سنة ١٩٥ وعلي بن عيسى في خلق عظيم وطاهر بن الحسين في خمسة آلاف ، فخرج علي بن عيسى في نفر يسير يدور حول العسكر ويصربه طاهر بن الحسين فأسرع اليه في جماعة من أصحابه فلاقى علياً وهو على برذون أصفر وعليه طيلسان كحلي طويل فدافع عنه من كان معه حتى قتل جماعة وركض فاتبعه طاهر وحده فضربه بسيفه حتى أثخنه وسقط الى الأرض فنزل واحتز رأسه ورجع الى معسكره ونصب الرأس على رمح ونادى في عسكر علي بن عيسى قتل الأمير ، وبلّغ اصحابه به خبره فانهزموا واسلموا الخزائن والكراع فلم يبت طاهر حتى حوى جميع ما كان في عسكره فاستأمن اليه كثير من اصحابه ، وكتب طاهر بالفتح الى المأمون الى مرو ووجه بالرأس اليه مع رجل من أصحابه فلما دخل على ذي الرئاستين سأله عن الخبر فذهل وانقطع كلامه فلم يقدر على إجابته فهال ذلك الفضل ففتح الخريطة وقرأ الكتب ، ثم قال أين الرأس فطلب مامعه فلم يوجد وسأل عنه فلم يتكلم فوجه في طلبه فوجده قد سقط على مقدار ميلين فحمل وأدخل الى مرو ، وقرئ الفتح على الناس ، وبويع المأمون بالخلافة وخلع محمداً فاعطى جميع أهل خراسان الطاعة للمأمون ﴿ فحدثني ﴾ احمد بن عبد الرحمان الكلبي قال سُلم على المأمون بالخلافة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال : ﴿ أيها الناس إني جعلت لله على نفسي إن استرعاني اموركم أن أطيعه فيكم ولا أسفك دماً عمداً لا تحله حدوده وتسفكه فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالاً ولا اثاثاً ولا نحلة تحرم علي ، ولا أحكم بهواي في غضبي ولا رضاي إلا ما كان في الله له ، جعلت ذلك كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ، إني أفي رغبة في زيادته إياي في نعمي ورهبة من مسألته إياي عن حقه وخلفه ، فان غيرت أو بدلت كنت للعبر مستأهلا وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، وارغب اليه في المعونة على طاعته

وأن يحول بيني وبين معصيته } .

ولما بلغ محمداً قتل علي بن عيسى بن ماهان وانهزام عسكره ومصيرهم الى حلوان وخلع أهل خراسان له واجتماع كلمتهم على المأمون وأن طاهراً قد قوي بما صار في يده من الأموال والسلاح والسكراع ، وكتب اليه المأمون أن لا يعرج دون بغداد وأن يقصدها . ووجه عبد الرحمان بن جبلة اليه وأمره أن يضم اليه من بحلوان من القواد والجند الذين كانوا مع علي بن عيسى فلقي طاهراً بهمذان في ذي القعدة سنة ١٩٥ فقتله طاهر واستباح كلما في عسكره . فوجه محمد عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي فرجع من حلوان .

ووثب بالشام رجل يقال له علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية يدعو الى نفسه . فوجه اليه محمد بالحسين بن علي بن ماهان . فلما صار الحسين الى الرقة أقام ولم ينفذ اليه . وتوفي داود بن يزيد المهلبي عامل السند فاستخلف ابنه . ووثب مالك بن لبيد اليشكري بالسواد فدعا للمأمون .

وبلغ محمد بن ابي خالد القائد وكان شيخ قواد الحربية والمطاع فيهم أن محمداً قد عزم على قتله والفتك به فجمع اليه اهل الحربية والأبناء ثم وثبوا بمحمد فوجه اليهم محمد (. . .) فتحاربوا بموضع ببغداد يقال له باب الشام فكانت تلك الحرب أول حرب وقعت ببغداد في تلك السنة .

وكان عامل محمد بمصر حاتم بن هرثمة بن أعين فعزله وولى جابر بن الأشعث الخزاعي سنة ١٩٥ فلما قدم جابر بن الاشعث لم يدع للمأمون على المنابر كما كان يدعى بعد محمد فشغب الجند وقالوا لا طاعة فاعطاهم عطاءين . وقدم يحيى بن الأشعث ابن محمد المديني بكتاب المأمون فامتنع جابر بن الاشعث من البيعة له وأقام على طاعة محمد فوثب السري بن الحكم البلخي — وكان أحد قواد مصر — وجماعة معه ودعوا الجند الى البيعة للمأمون ووعدوهم رزق سنتين فاجابوا الى ذلك وأخرجوا جابر بن

الأشعث من دار الامارة وصيروا مكانه عباد بن محمد ، وكان عباد خليفة هرثمة بن أعين في البلد فدعا المأمون بالخلافة في رجب سنة ١٩٦ (. «١» .) قوم فوجه اليهم عبد بن حكيم بن كون ومحمد بن صعير فكانت بينهم وقعة ثم سلموا وبايعوا ، وكتب محمد الى رجل يقال له ربيعة بن قيس الحرشي بولاية مصر فجمع اليه اهل الحوف وغيرهم وقاتل عباد بن محمد وزحف اليه حتى صار الى قرب الفسطاط فكانت بينهم وقعات وغلب عباداً على البلد الى أن وجه المأمون بالمطلب بن عبدالله الخزاعي عاملا على مصر .

وتوفي عبد الملك بن صالح بالرقة في هذه السنة وهي سنة ١٩٦ ، وكان عامل محمد بن هارون على الجزيرة وجند قنسرين والعواصم والثغور ، واضطرب البلد بعد وفاته وتغلب كل رئيس قوم عليهم وصار الناس حزبين حزب يظاهر بمحمد وحزب يظاهر بالمأمون فلم يبق بلد إلا وفيه قوم يتحاربون لاسلطان يمنعهم ولا يدفعهم وأخذ طاهر من ناحية الجبل الى الأهواز وقتل محمد بن يزيد بن حاتم عامل محمد وجيلويه الكردي ، وتوجه زهير بن المسيب الضبي الى فارس فاخذها وبايع بها ، وصار طاهر الى واسط لثلاث خلون من رجب بعد أن بايع أهل البصرة للمأمون على يد منصور بن المهدي ، وبالكوفة على يد الفضل بن موسى بن عيسى ، وبالموصل على يد المطلب بن عبد الله ، وبمصر على يد عباد بن محمد ، وبالرقة على يد الحسين بن علي بن ماهان ؛ فاخرجه من كان بها من الزواقيل وغيرهم ، فقدم بغداد لثمان خلون من رجب سنة ١٩٦ فانكر مذهب محمد وبلغه عنه ما يكره فدعا الجند ببغداد الى بيعة المأمون فاجابوه فوثب على محمد فحبسه وأمه وولده فلما حبسهم طالبه الجند بارزاقهم فاعتل عليهم فقبضوا عليه واخرجوا محمداً وأمه وولده من الحبس وبايعوه وضربوا عنق الحسين ابن علي فسألوا محمداً في أرزاقهم فاعطاهم خمسمائة خمسمائة وقارورة غالية وعقد اربعمائة لواء لقواد شتى واستعمل عليهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك وأمرهم بالمسير الى

«١» بياض في الأصل وفيه سقط ولعله (وشغب) قوم (الخ) (م ص)

هرثمة وهرثمة يومئذ معسكر بالنهروان فالتقوا في شهر رمضان فهزمهم وأسر علي بن محمد بن عيسى بن نهيك وبعث به الى المأمون وزحف بجيشه حتى صار بموضع يقال له ﴿ نهربين ﴾ على فرسخ أو فرسخين ، وصار طاهر بنهر (صرصر) على أربعة فراسخ من بغداد ، وكان طاهر فى الجانب الغربي وهرثمة فى الجانب الشرقي وحرب بغداد قائمة في الجانبين جميعاً إلا أن الأسواق قائمة والتجار على حالهم لا يهاجون ويجتمع على التاجر الواحد جماعة من أصحاب المأمون وجماعة من أصحاب محمد فلايكون بينهم تنازع ، ووثب الأبناء والحربية بمحمد ودعوا للمأمون وكاتبوا طاهراً وأعطوه الرهائن فدخل طاهر بغداد فاشتق الجانب الغربي الى باب الأنبار وكان محمد قد حبس سليمان بن ابي جعفر وابراهيم بن المهدي لأمر بلغه فلما صار هرثمة على باب بغداد أخرجهما من الحبس ووجه بهما مع جماعة من بني هاشم الى هرثمة يدعونه الى طاعته ويجعل له ما أراد من الأموال والقطايع فقال لهم هرثمة لولا أن لا تقتل الرسل لضربت أعناقكم فانصرفا الى محمد وخلى سبيلهما ، ووثب اهل شرقي بغداد بمحمد ودعوا للمأمون واجلوا خزيمة بن خازم التميمي فصار الى الجسر فقطعه ودخل زهير بن المسيب من كلواذى في السفن وفيها المنجنيقات والعرادات فصار محمد الى قصره المعروف بـ ﴿ الخلد ﴾ في غربي بغداد فتحصن به فرماه زهير بالمنجنيق ودخل هرثمة من باب خراسان من معسكر المهدي وهو الجانب الشرقي من بغداد ودخل طاهر من معسكره الى مدينة ابي جعفر وأحدقوا بالخلد فخرج محمد من باب خراسان حتى أتى دجلة يريد هرثمة فبلغ اصحاب طاهر ذلك فوثبوا بهرثمة وهو فى حراقة له حتى غرقوه وأخرجوه بعد ساعة وخرج محمد فى غلالة وسراويل حتى جلس على الشط والعسكر يمر به ولا يعرفه حتى مر به مولى لشكلة فعرفه فحمله الى منزله ثم أتى طاهر بن الحسين بخبره فوقعت بين طاهر وبين هرثمة وزهير منازعة فأمر طاهر قريشاً الدنداني مولاه فضرب عنقه ونصب رأسه على رمح ومضى به الى معسكره بالبستان ثم بعث به إلى المأمون فكان

مقتله يوم الأحد من المحرم سنة ١٩٨ وسمعت من يقول لخمس خلون من صفر .

وكتب طاهر الى المأمون كتاباً بخطه ﴿ أما بعد فان المخلوع وإن كان قسيم امير المؤمنين في النسب واللحمة فقد فرق حكم الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة لمفارقته عصمة الدين وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين يقول الله عز وجل فيما قص علينا من نبأ نوح يانوح « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ولا طاعة لاحد في معصية الله ولا قطيعة اذا ما كانت القطيعة في ذات الله وكتابي هذا الى امير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع وأسلمه بغدره ونكثه وأحصد لأمير المؤمنين أمره وأنجز له ما كان ينتظره من سابق وعده والحمد لله الراجع الى أمير المؤمنين حقه الكائد له فيمن خان عهده ونقض عقده حتى رد به الألفة بعد فرقتها وجمع به الأمة بعد شتاتها فاحيى به أعلام الدين بعد دثور سراثرها ﴾ ثم كتب كتاباً بالفتح يشرح فيه خبره منذ يوم شخص من خراسان وما عمل في بلد بلد ويوم يوم جعلناه في كتاب مفرد .

وكانت خلافته منذ يوم توفي فيه الرشيد الى أن قتل اربع سنين وسبعة أشهر وأحد وعشرين يوماً ، ومنذ مات هارون الى أن خلع ثلاث سنين ، وكان سنه يوم قتل سبعاً وعشرين سنة وثلاثة اشهر ﴿ وقيل ﴾ ثماني وعشرين سنة ، وخلف من الولد الذكور اثنين موسى وعبد الله .

وكان الغالب عليه اسماعيل بن صبيح الحراني والفضل بن الربيع ، وعلى شرطه محمد بن المسيب ، ثم عزله وولاه ارمينية وصير مكانه محمد بن حمزة بن مالك ، ثم عزله وصير مكانه عبدالله بن خازم التميمي ؛ وكان على حرسه عصمة بن ابي عصمة ، وحجابته الى الفضل بن الربيع يقوم بها ولد الفضل .

وأقام الحج للناس في ولايته ، سنة ١٩٣ داود بن عيسى بن موسى ، سنة ١٩٤ علي بن هارون الرشيد ، سنة ١٩٥ داود بن عيسى ، سنة ١٩٦ العباس بن موسى بن عيسى وهو على مكة ، سنة ١٩٧ العباس .

وغزا بالناس فى سنة ١٩٤ الحسن بن مصعب من قبل ثابت بن نصر ، سنة ١٩٥ ثابت بن نصر الخزاعي ، سنة ١٩٦ ثابت بن نصر ، سنة ١٩٧ ثابت بن نصر

وكان الفقها ، فى ايامه ، محمد بن عمر بن واقد ، يحيى بن سليمان الطائفي ، ابو معاوية محمد بن حازم المكفوف ، اسباط مولى قريش ، عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ؛ عبدالرحمان بن مسهر ؛ محمد بن كثير الكوفي صاحب التفسير ، سفيان بن عيينة ، وكيع بن الجراح ، عبد الله بن نمير ، يزيد بن اسحاق ؛ اسماعيل بن عُلية عبد الوهاب الثقفي ، يحيى بن سعيد القطان ، يزيد بن مالك ، الوليد بن مسلم صاحب الأوزاعي ، اسحاق الأزرق ، زيد بن هارون ؛ علي بن عاصم ، حماد بن عمرو سلم بن سالم التميمي .

أيام المأمون

وبويع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد — وأمه أم ولد يقال لها مراجل الباذغيسية — في سنة ١٩٥ على ما ذكرنا في أمره وأمر محمد ، وبايع له عامة أهل البلدان سنة ١٩٦ ، فلما كان في المحرم سنة ١٩٨ وقتل محمد اجتمع عليه أهل البلدان ولم يبق أحد إلا أعطى طاعته وادعى كل ممتنع في بلد أنه إنما كان في طاعة المأمون وعلى الميل اليه .

وكانت الشمس يومئذ في الميزان درجة وثلاثاً وخمسين دقيقة ، والقمر فى الأسد ستاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الحمل ثماني عشرة درجة وعشر دقائق راجعاً ، والمريخ في الأسد اربع درجات وأربعين دقيقة ، والزهرة في الأسد اربعاً وعشرين درجة ، وعطارد في السنبلة ثلاثاً وعشرين درجة وعشر دقائق ؛ والرأس في الحمل اربعاً وعشرين درجة وخمسين دقيقة .

ووجه المأمون المطلب بن عبد الله الخزاعي الى مصر عاملا عليها سنة ١٩٨ فاقام سبعة اشهر ثم ولى العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي مصر سنة ١٩٩ فوجه بابنه

عبد الله بن العباس فحبس المطلب بن عبد الله واستخلف ابراهيم بن تميم على الخراج ؛ وصير شرطته الى عبد العزيز بن الوزير الجروي وساءت سيرة عبد الله بن العباس فوثب السري بن الحكم واستمال الجند ثم حارب عبدالله حتى أخرجه من البلد وأخرج المطلب من الحبس فبايع له ونزل دار الامارة وبيت عبد الله بن العباس وأخذ كل ما كان معه من الأموال ، ومضى عبد العزيز الجروي الى تنيس فاقام متغلباً عليها وعلى ما والاها من كور أسفل الأرض وغلب السري بن الحكم على قصبة الفسطاط والصعيد ، وتغلب العباس بن موسى بن عيسى على الحوف في قيس فخذلته فأقام ببلبيس خمسة وثلاثين يوماً

وفي سنة ١٩٨ وجه المأمون الحسن بن سهل الى العراق عاملاً عليها وعلى غيرها من البلد وقد كان وثب الأصفر المعروف بـ ﴿ أبي السرايا ﴾ واسمه السري بن منصور الشيباني بالكوفة ومعه محمد بن ابراهيم العلوى المعروف بـ ﴿ ابن طباطبا ﴾ ثم توفي محمد بن ابراهيم فاقام ابو السرايا مكانه محمد بن محمد بن زيد فاخذ البصرة العباس ابن محمد بن موسى الجعفري ؛ وقدم زيد بن موسى بن جعفر بن محمد من الكوفة وقد كان خلع بها فصار الى البصرة مع العباس بن محمد الجعفري ، وأخذ واسط محمد بن الحسن المعروف بـ ﴿ السلق ﴾ وأخذ اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر ، وأخذ الحجاز محمد بن جعفر ؛ وتغلب على نصيبين وما والاها أحمد بن عمر بن الخطاب الربعي وبالموصل السيد بن انس ، وبميا فارقين موسى بن المبارك اليشكري ، وبارمينية عبد الملك بن الجحاف السلمي ومحمد بن عتاب ، وبآذربيجان محمد بن الرواد الأزدي ويزيد ابن بلال اليمني ومحمد بن حميد الهمداني وعثمان بن افكل وعلي بن مرة الطائي ؛ وبالجبل ابو دلف العجلي ومرة بن ابي الرديني وعلي بن البهلول ومحمد بن زهرة وسنان وزيد ابن . . . . . ﴿ وبالسلسلة وحص حساس ﴾ (١) وناحيتها بسطام بن الساس الربعي ، وبكفرتوثا ورأس عين حبيب بن الجهم ، وبكيسوم وما والاها من ديار

(١) كذا في الأصل ، وكتب في الهامش بدله عن نسخة (وبسيسية وحصن سنان)

مضر نصر بن شبث النصري ، وكان اصعب القوم شوكة وأشدهم امتناعاً ، وبقورس وما والاها من كور قنسرين عثمان بن نمامة العبسي ، وبالحاضر الذي الى جانب حلب منيع التنوخي ، وقد كان يعقوب بن صالح الهاشمي يحارب الحاضر فلم يبق منهم أحد وافترقوا ايدي سبا فصار اكثرهم الى مدينة قنسرين وخرب يعقوب الحاضر حتى الصقه بالأرض وكان فيه عشرون الف مقاتل فهو خراب الى اليوم ؛ فكان بمعرة النعمان وتل منس وما والاها من اقليم حمص الحواري بن حنطان التنوخي ، وبحماة وما والاها حراق البهراني ، وبشيزر وما والاها بنو بسطام ؛ وبمدينة حمص بنو السمط وبالمصيصة وأذنة وما والاها من الثغور الشأمية ثابت بن نصر الخزاعي ، وكان عاملا للأمين فلما كان من أمره ما كان تغلب على البلد ، وأقام بدمشق والأردن وفلسطين جماعة من سائر القبائل ، وبمصر السري بقصبة الفسطاط والصعيد ، وباسفل الأرض عبد العزيز الجروي ، وبالحوفين القيسية واليمانية ، وغلبت لخم وبنو مدلج على الاسكندرية ورئيس لخم رجل يقال له ﴿ أحمد بن رحيم اللخمي ﴾ ثم غلب الاندلسيون وكان ابتداء أمر الأندلسيين أنهم قدموا من الأندلس في أربعة آلاف مركباً فارسوا في ميناء الاسكندرية في الرمل وكانوا زهاء ثلاثة آلاف رجل فاقاموا على ساحل البحر وما (. . . .) ثم وثب بعض أعوان السلطان على رجل منهم فوقعت عصبية فوثب الأندلسيون على الفضل بن عبد الله أخي المطلب بن عبد الله وقتلوا صاحب شرطته وصاروا الى الحصن وحاربوا أهل الاسكندرية حتى أجلوهم عن منازلهم فخلوا الديار والأموال ورأسوا عليهم رجلا يقال له ابو عبد الله الصوفي يسفك الدماء ويقتل المسلمين ثم عزلوه وصيروا عليهم رجلاً يقال له الكناني وأجلوا بني مدلج ولخما عن البلد فصار البلد كله لهم ، وكان ببرقة مسلم بن نصر الأعور الأنباري .

فلما ولى المأمون الحسن بن سهل العراق وجه خليفته ذا العلمين علي بن ابي سعيد وكتب المأمون الى طاهر بن الحسين أن يمضي الى الجزيرة فيحارب نصر بن شبث

فلما قدم ذو العلمين العراق غاظ ذلك على طاهر وقال ما أنصفني أمير المؤمنين ثم نفذ الى الجزيرة فحارب نصراً وقدم الحسن بن سهل العراق فنزل النهروان وتوجه هرثمة الى ابي السرايا والتقوا بناحية الكوفة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ فكانت بينهم وقائع فانصرف هرثمة وزحف زهير بن المسيب الضبي اليه فهزمه ابو السرايا ورجع زهير الى قصر ابن هبيرة فوجه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن ابي خالد في جيش عظيم فلقي أبا السرايا بموضع يقال له ﴿ الجامع ﴾ بين بغداد والكوفة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب من هذه السنة فقتله ابو السرايا وأسر أخاه هارون بن محمد ابن ابي خالد وجماعة من اصحابه ، وبلغ زهيراً الخبر فانصرف من قصر ابن هبيرة الى بغداد فرجع هرثمة في جيوش عظيمة فلقي أبا السرايا فلم يزل هرثمة حتى صار الى الكوفة فقاتله قتالاً شديداً حتى قتل عامة اصحاب ابي السرايا ودخل هرثمة الكوفة وخرج ابو السرايا منهزماً حتى صار الى واسط ثم الى الأهواز فلقيه الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بـ ﴿ المأموني ﴾ فهزمه وانصرف ابو السرايا راجعاً منهزماً الى ﴿ روستقباذ ﴾ وهو عليل شديد العلة من بطن به وبلغ حماداً الخادم المعروف بالكند غوش مكانه فهجم عليه فاخذه وأخذ معه محمد بن محمد العلوي وأبا الشوك مولاه فصار بهم الى الحسن بن سهل وهو بالنهروان فلما أدخل عليه قال له ابو السرايا استبقني أصلح الله الأمير قال لا أبقى الله علي إن أبقيت عليك فامر به فضربت عنقه وقطع بنصفين وصلب على جسري بغداد وأتي بمحمد بن محمد العلوي فقربه وأدناه وقال له لا خوف عليك لعن الله من غرك وولى خالد بن يزيد بن مزيد الكوفة .

وصار الحسن بن سهل الى المدائن ووجه الى محمد بن الحسن السلق (١) عبد الله

(١) كذا في الأصل ، وضبطه الزبيدي فى التاج بمادة سلق (السليق) كأمير وقال « هم بطن من العلويين وهم بنو الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن جعفر الخطيب الحسني فيهم كثرة بالعجم ، وبطن آخر من بني الحسين منهم ينتهون الى محمد بن —

ابن سعيد الحرشي فالتقوا بواسط فى شرقي دجلة فهزم ﴿ السلقى ﴾ وفض جمعه ، ووجه عيسى بن يزيد الجلودي الى محمد بن جعفر العلوي وقد تغلب بمكة واخرج داود بن عيسى الهاشمي فلما قدم الهاشمي مكة لم يحاربه واستأمن اليه فاخذه الجلودي وخرج به بنفسه الى المأمون وهو بمرو وخلف ابنه بمكة فلما صار بجرجان توفي محمد بن جعفر وورد كتاب المأمون على الجلودي يأمره بالرجوع الى الحجاز فرجع .

ووجه حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان الى اليمن وابراهيم بن موسى بن جعفر العلوي متغلب بها فحاربه ابراهيم بمن معه من اليمن وكانت وقعات منكرة تأخذ من الفريقين ، وكان حمدويه قد استخلف على مكة يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي فخرج ابراهيم بن موسى من اليمن يريد مكة وبلغ يزيد بن محمد فخندق عليه مكة وأرسل الى الحجبة فاخذ السرائر الذهب الذي كان بعث به المأمون من خراسان وضرب ملك التبت وضربه دنانير ودراهم وقرض قرضاً من الأعراب ودفع اليهم المال وصار ابراهيم الى مكة فوافقه يزيد فى اصحابه وبعث ابراهيم بن موسى بعض اصحابه فدخل من الجبل فانهزم يزيد ولحقه بعض اصحابه فقتله ودخل ابراهيم الى مكة فغلب عليها وأقام بها حمدويه فى ناحية من اليمن .

وأشخص المأمون الرضا علي بن موسى بن جعفر عليه السلام من المدينة الى خراسان وكان رسوله اليه رجاء بن ابي الضحاك قرابة الفضل بن سهل ، فقدم بغداد ثم أخذ به على طريق ماه البصرة حتى صار الى مرو ، وبايع له المأمون بولايه العهد من بعده ، وكان ذلك يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١ وألبس الناس الأخضر مكان السواد وكتب بذلك الى الآفاق وأخذت البيعة للرضا ودعي له على المنابر وضربت الدنانير والدراهم باسمه ولم يبق احد إلا لبس الخضرة إلا اسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي

— عبد الله بن محمد بن الحسن بن الحسين الأصغر ، لقب بالسليق ؛ قال ابو نصر البخاري لقب بذلك لسلاقة لسانه وسيفه » (م . ص)

الهاشمي فانه كان عاملا للمأمون على البصرة فامتنع من لبس الخضرة وقال هذا نقض لله وله ، وأظهر الخلع فوجه اليه المأمون عيسى بن يزيد الجلودي فلما أشرف على البصرة هرب اسماعيل من غير حرب ولا قتال ودخل الجلودي البصرة فأقام بها ، وصار اسماعيل الى الحسن بن سهل فحبسه وكتب في امره الى المأمون وكتب بحمله الى مرو فحمل فلما صار بالقرب من مرو أمر المأمون أن يرد الى جرجان فيحبس بها فاقام بجرجان محبوساً ممنوعاً منه ثم رضي عنه بعد حين ، ووجه ببيعة الرضا مع عيسى الجلودي الى مكة وابراهيم بن موسى بن جعفر بها مقيم وقد استقامت له غير أنه يدعو الى المأمون فقدم الجلودي ومعه الخضرة وبيعة الرضا فخرج ابراهيم فتلقاه وبايع الناس للرضا بمكة ولبسوا الأخضر ، وكان حمدويه بن علي بن عيسى لما خرج ابراهيم الى مكة استمال جماعة من أهل اليمن ثم خلع فكتب المأمون الى ابراهيم بن موسى بولاية اليمن وأمر الجلودي بالخروج معه ومعونته على محاربة حمدويه فخرج ابراهيم حتى صار الى اليمن فلم يخرج الجلودي معه فلحقه ابن حمدويه فحاربه فقتل من أصحابه خلقاً وانهزم ابن حمدويه وصار ابراهيم الى صنعاء فخرج حمدويه فحاربه محاربة شديدة فقتل من أصحاب ابراهيم خلقاً عظيماً وانهزم ابراهيم فلم يرد وجهه شيء دون مكة ، وانصرف الجلودي الى البصرة وقد تغلب عليها زيد بن موسى ونهب دوراً واموالا كثيرة للناس وكان معه جماعة من القيسية وغيرهم فلما قرب الجلودي حاربوه يومهم ذاك ثم انهزموا وانهزم زيد فاخذه عيسى وحمله الى المأمون فمن عليه وأطلق سبيله .

وشخص هرثمة من العراق الى مرو سنة ٢٠١ وقيل انه انصرف بغير إذن من المأمون فلما دخل على المأمون « . . (١) . . » قال من نقرس ولا يمكنني أمشي فى محفة وكلم المأمون بكلام غليظ ودخل معه يحيى بن عامر بن اسماعيل الحارثي فقال السلام عليك يا أمير الكافرين فاخذته السيوف فى مجلس المأمون حتى قتل فقال

(١) بياض فى الأصل وفيه سقط ولعله (ثم تأخرك) قال (أخ) (م ص)

هرثمة قدمت هذه المجوس على أوليائك وأنصارك فامر المأمون بسحب رجل هرثمة وحبسه فاقام فى محبسه ثلاثة ايام ومات .

وخرج بخراسان منصور بن عبد الله بن يوسف البرم فوجه اليه المأمون (١) وبادر عبد الله فقتله ، ووثب محمد بن ابي خالد وأهل الحربية بالحسن بن سهل حتى أخرجوه من بغداد وأسروا زهير بن المسيب الضبي وذلك انه كان مع محمد بن ابي خالد (. . . .) وأتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن أنصار دولتكم وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس وقد أخذ المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا فهلم نبايعك فانا نخاف أن يخرج هذا الأمر عنكم فقال لهم قد بايعت للمأمون وكان محمد بن صالح اول هاشمي بايع المأمون ببغداد ولست لكم بصاحب وصار الحسن بن سهل الى واسط فاتبعه محمد بن ابي خالد والحربية والأبناء فالتقوا بقرية ابي قريش دون واسط فكانت بينهم وقعة منكرة وأصاب محمد بن ابى خالد سهم فاثخنه فحمل الى جبل وأقام أياماً وتوفي فحمل الى بغداد وقام عيسى بن ابى خالد بالعسكر وقد كان محمد بن أبى خالد أسر زهير بن المسيب الضبي فلما أدخل محمد بن ابى خالد الى بغداد ميتاً وثب الأبناء على زهير بن المسيب وهو محبوس فقتلوه وشدوا فى رجله حبلاً فجروه فى طرق بغداد ومثلوا به فاجتمع قواد الحربية فبايعوا لابراهيم بن المهدى المعروف بـ ﴿ ابن شكلة ﴾ لخمس ليال خلون من المحرم سنة ٢٠٢ ودعي له بالخلافة وسمي بـ ﴿ المرضي ﴾ ونزل الرصافة وصلى بالناس ببغداد في مسجد المدينة وعسكر بكلواذى ومعه الفضل بن الربيع وعيسى بن محمد بن ابى خالد وسعيد بن الساجور وابو البط ، وكتب بالولايات وعقد الألوية واستقامت له الأمور وأطاعه الأبناء وأهل الحربية وما والاها إلا من كان في طاعة المأمون فانهم كانوا يحاربون مع حُميد بن

(١) كذا فى الأصل ؛ وفى العبارة سقط وقد كتب فى الهامش وبادر (منصور بن) عبد الله . (م . ص)

عبد الحميد الطائي الطوسي ويصيحون يا عنقود يا مغني .

وكان ابراهيم أسود شديد السواد وبنصف وجهه شامة ، سمج المنظر وكانوا يدعونه عنقوداً لذلك ، ثم وثب أسد الحربي وكان من أصحاب ابراهيم في جماعة من الحربية فخلعوا ابراهيم ودعوا للمأمون وأخذ عيسى بن أبي خالد أسد الحربي وابناً له فقتلهما وصلبهما ، وكان حميد بن عبد الحميد نازلاً بموضع يقال له خان الحكم بنهر صرصر فراسل عيسى بن ابي خالد ليجتمعا ثم صار حميد الى بغداد فصلى ابن ابي رجاء القاضي صلاة الجمعة وانصرف الى معسكره .

وخرج مهدي بن علوان الشاري بناحية عُكبرا فخرج اليه المطلب بن عبد الله فواقعه وقعة بعد وقعة ثم هزمه فانصرف المطلب منهزماً الى بغداد وخرج اليه ابو اسحاق بن الرشيد فواقعه وهزم مهدي ولم يزل يتبعه حتى أسره فمن عليه المأمون وألزمه بابه وألبسه السواد فلم يزل على باب المأمون حتى مات .

وخرج المأمون من مرو متوجها الى العراق سنة ٢٠٢ ومعه الرضا عليه السلام وهو ولي عهده وذو الرئاستين الفضل بن سهل وزيره ، وقد كتب للفضل الكتاب الذي سماه ﴿ كتاب الشرط والحباء ﴾ يصف فيه طاعته ونصيحته وعظته وعنايته وذهابه بنفسه عن الدنيا وارتفاعه عما بذل من الأموال والقطائع والجوهر والعقد ويشرط له على نفسه كلما يسأل ويطلب لا يدفعه ولا يمنعه ؛ ووقع فيه المأمون بخطه وأشهد على نفسه فلما صار المأمون بقومس قتل الفضل بن سهل وهو في الحمام دخل عليه غالب الرومي وسراج الخادم بالسيوف فقتلاه المأمون جميعاً وقتل قوماً معهما ، وقتل ذا العلمين علي ابن ابى سعيد وكان ابن خالة الفضل بن سهل وقال إنه الذي دس في قتله ووجه برأسه الى الحسن بن سهل الى العراق ، وقتل خلف بن عمر البصري المعروف بـ (الحف) وموسى البصري وعبد العزيز بن عمران الطائي وغالباً الرومي وسراجاً الخادم ، وأقصى قوماً من قواده سماهم الشامتة ، وأظهر عليه أشد جزع ، ولم يوجد للفضل مال ولا ضيعة

ولا فرس ولا آنية إلا خمسة أعبد وفرساً وبرذوناً ﴿ قال غسان ﴾ بن عباد قلت للفضل يوماً أيها الأمير لو أمرت أن يتخذ لك ضياع وعُقد فقال ولِم ويحك إن دام ما أنا فيه فالدنيا كلها ضيعتي وعقدي وإن زال فما أنا فيه لا يزول إلا باصطلام

﴿ قال أبو سمير ﴾ وكنت أسمع الفضل بن سهل في أيام المأمون كثيراً ما يقول :

لئن نجوت أو نجت ركابي * من غالب ومن لفيف غالب
إني لنجاء من الكرائب

وهو لا يدري من غالب ولا يذهب إلا الى قريش حتى دخل عليه غالب الرومي صاحب ركاب المأمون فقتله ، فقال الفضل لك مائة الف دينار فقال ليس بأوان عتق ولا رشوة فقتله .

وكان المأمون كلما أقام ببلد أقام فيه حتى يصلح حاله وينظر في مصالح أهله واستخلف على خراسان عند خروجه رجاء بن أبي الضحاك قرابة الحسن بن سهل وكانت خراسان قد استقامت وأعطى ملوكها جميعاً الطاعة وأسلم ملك التبت وقدم على المأمون الى (. . . . .) بصنم له من ذهب على سرير من ذهب مرصّع بالجوهر فارسله المأمون الى الكعبة يعرف الناس هداية الله لملك التبت ، ولم يبق ناحية من نواحي خراسان يخاف خلافها فلما فصل المأمون عن خراسان قلت مداراة رجاء بن ابي الضحاك وضعف في تدبيره ولم يكن بالحازم في أموره فخاف المأمون أن يضطرب خراسان فعزله وولى غسان بن عباد فاحسن السيرة واستمال ملوك النواحي .

وفاة علي الرضا عليه السلام

ولما صار الى طوس توفي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام بقرية يقال لها ﴿ النوقان ﴾ أول سنة ٢٠٣ ولم تكن علته غير ثلاثة أيام فقيل إن علي بن هشام أطعمه رماناً فيه سم وأظهر المأمون عليه جزعاً شديداً ﴿ فحدثني ﴾ ابوالحسن ابن ابي عباد قال : رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا حاسراً في مبطنة بيضاء وهو

بين قائمتي النعش يقول ﴿ إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن ﴾ وأقام عند قبره ثلاثة أيام يؤتى في كل يوم برغيف وملح فيأكله ، ثم انصرف في اليوم الرابع ، وكانت سن الرضا عليه السلام اربعاً وأربعين سنة (وقال) أبو الحسن بن ابي عباد سمعت الرضا يقول : إن مشي الرجال مع الرجل فتنة المتبوع ومذلة للتابع ﴿ وسمعته ﴾ يقول : إن في صحف إبراهيم ﴿ أيها الملك المغرور إني لم أبعثك لتبني البناء ولا لتجمع الدنيا ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من كافر ﴾ [وقال] المأمون ما التقت فئتان قط إلا نصر الله أعظمها عفواً ﴿ وقال ﴾ إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ فأما صاحب سيف وسوط فلا ، إن من تعرض لسلطان جائر فاصابته منه بلية لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر فيها .

وقدم المأمون مدينة السلام في شهر ربيع الأول سنة ٢٠٤ ولباسه لباس قواده وجنده والناس كلهم الخضرة فاقام جمعة ثم نزعها وأعاد لباس السواد ، وتغيب ابراهيم ابن المهدي فلم يدر ابن هو وخرج من منزله ومعه عبد الله بن صاعد كاتبه وامرأة من أهله فلما صار في الطريق قال لعبد الله بن صاعد ارجع الى أمي فسلها أن تدفع الجوهر الذي عندها ؛ فرجع عبد الله ومضى هو فخفي موضعه ، وهرب الفضل بن الربيع الى البصرة فاستتر عند يزيد بن المنجاب المهلبي وأمر المأمون ان يقبض ضياعه واموالهِ وعقاراته ثم صار الى باب المأمون طالباً للأمان وقد كان بلغ المأمون أنه مات وشهد عنده بذلك جماعة فلما قيل للمأمون هذا الفضل بن الربيع قال إن كان بعث من الآخرة فقد بعث الرشيد معه ثم أدخله فاعطاه الأمان ومنَّ عليه وأحضره ليلة فقال هبك تعتذر في محمد بانه كانت له في عنقك بيعة من الرشيد فما عذرك في ابن شكلة وإنما محله محل المغنين والسفهاء إذ قويت عزمه على ما خرج اليه من خلعي بعد أن صارت بيعتي في عنقك فقال : يا أمير المؤمنين ما أجد قلبي مكانه وقد عظم جرمي عن الاعتذار وجل ذنبي عن الاقالة وما أرجو الحياة إلا من سعة عفوك فهب دمي لحرمتي بآبائك فأمسك عنه

ورد عليه ضيعة من ضياعه مبلغ ما لها ثلاثمائة الف درهم وستون الف قدرها لقوته وقوت عياله ، فانزل المأمون محمد بن صالح بن المنصور دار الفضل بن الربيع وزوجه بخديجة ابنة الرشيد وأمر له بالفي الف درهم مكافاة على ما كان من مسارعته الى بيعته وطاعته والامتناع من بيعة ابراهيم وأعفاه من الركوب الى بابه والى دار العامة فكان يركب مكانه كاتبه جعفر بن وهب .

وزوج محمد بن الرضا عليه السلام ابنته أم الفضل وأمر له بألفي الف درهم وقال إني أحببت أن اكون جداً لمرة ولده رسول الله وعلي بن ابي طالب عليهما السلام فلم تلد منه ، وولى صالح بن الرشيد البصرة فاستخلف أبا الرازي محمد بن عبد الحميد ، وولى أبا عيسى بن الرشيد الكوفة فاستخلف محمد بن الليث ، وكان طاهر بن الحسين بالجزيرة في محاربة نصر بن شبث فوجه اليه بعهده على الجزيرة والشام ومصر ، وولى دينار بن عبد الله الجبال وقد كان الحسن بن سهل ولى الجبل بأمر المأمون الحسن بن عمرو الرستمي فخلع ايضاً وأظهر المعصية فلما قدم دينار حاربه فاسره وأسر علي بن البهلول ووجه المأمون بنصر بن حمزة بن مالك الخزاعي الى الثغر ، وقد ولى الرشيد اياها ثابت ابن نصر بن مالك الخزاعي وخيف معصيته فتسلمها منه نصر بن حمزة وتولى الثغور ولم يلبث ثابت بن نصر إلا أقل من جمعة حتى مات فقيل إن نصر بن حمزة بن مالك سقاه السم .

ووجه المأمون بعيسى بن يزيد الجلودي عاملاً على اليمن وبها حمدويه بن علي بن عيسى متغلباً قد أظهر المعصية بعد خروج ابراهيم بن موسى بن جعفر العلوي فلما صار الى مكة أشخص ابراهيم بن موسى الى بغداد وولى مكانه عبيد الله بن الحسن العلوي بعهد من المأمون ونفذ الجلودى الى اليمن ، وزحف اليه حمدويه فالتقوا لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٢٠٥ فدعاه الى الطاعة فامتنع وشبت الحرب بينهم فقتل من اصحاب حمدويه خلق عظيم وانهزم حمدويه حتى دخل مدينة صنعاء فاتبعه الجلودى

حتى صار الى الدار التي كان ينزلها فاخذه الجلودي وهو في ثوب جارية فقال له سوأة لك قائد ابن قائد يقاتل الخليفة ويفر من الموت هذا الفرار قد آمنك الله على دمك حتى تصير الى أمير المؤمنين فيحكم فيك برأيه وأشخصه الى المأمون .

ووثب الجند بطاهر بن الحسين وهو بالرقة يحارب نصر بن شبث فانصرف الى بغداد وولى مكانه يحيى بن معاذ فاقام بالرقة حتى توفي ؛ وولى المأمون طاهراً الشرط فاقام سنة ثم شكا الى احمد بن ابي خالد الأحول كاتب المأمون تبرمه المقام بالباب ومحبته الخروج من بغداد وكان بينهما مودة وخلة وجعل له ثلاثة آلاف الف درهم فاحتال احمد ابن ابي خالد أن كتب عن غسان بن عباد عامل خراسان كتاباً الى المأمون فيه ﴿ إن تعفني من خراسان ﴾ فقال المأمون والله ما أعرف في المملكة إلا خراسان وما أدري ما حمل هذا الجاهل على الاستعفاء إلا أن يكون ما رأى نفسه لها أهلاً ، فقال له احمد ابن ابي خالد فولها طاهراً فولى طاهر بن الحسين خراسان في أول سنة ٢٠٦ مكان غسان بن عباد فقدمها طاهر وقد خرج حمزة الشاري بها فوجه اليه بجيش بعد جيش ثم توفي حمزة فقام بعده ابنه ابراهيم بن النصر (١) التميمي فلم يزل أيام طاهر ؛ وقدم غسان بن عباد من خراسان فحجبه المأمون عنه أشهراً ثم كتب الحسن بن سهل فيه فاذن له فقال يا امير المؤمنين جعلني الله فداك ما ذنبي قال تستعفيني من خراسان وهي المملكة باسرها « . . (٢) . . » فحلف له على ذلك ووقف على تدبير احمد بن ابي خالد .

وولى المأمون عبد الله بن طاهر الجزيرة والشام ومصر والمغرب وصيّر اليه جميع أهلها وأمره بمحاربة المتغلبين بها فنفذ عبد الله في سنة ٢٠٦ بعد نفوذ أبيه الى خراسان بشهرين فصار الى الرقة فواقع نصر بن شبث النصري المتغلب بكيسوم وما والاها من ناحية الجزيرة وكتب الى سائر المتغلبين في النواحي من الجزيرة والشامات وأنفذ

(١) كذا في الأصل ولعله بن (حمزة) التميمي .

(٢) بياض في الأصل ، وفيه سقط ولعله (فقال لم أفعل) فحلف .

اليهم الرسل في المعاون فكتب القوم جميعاً أنهم في الطاعة وسألوه ان يكتب لهم الأمانات فقبل ذلك منهم .

ووجه المأمون خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني الى مصر ومعه عمر بن فرج الرخجي في جيش وأمرها أن يتكانفا على النظر فاذا فتحا البلاد نظر عمر بن فرج الرخجي في أمر الخراج وكان الى خالد المعاون والصلات فسارا من العراق وأخذا طريق البرية حتى صارا بفلسطين ثم قدما الى مصر وعلي بن عبد العزيز الجروي متغلب باسفل الأرض فلما قربا منه كتب اليهما أنه في السمع والطاعة وأنه لم يزل وابوه على ذلك وأن كتبهما لم تزل بهذا فصار خالد بن يزيد وعمر بن فرج الى ناحية أسفل الأرض فاقاما عدة شهور يكاتبان عبيد الله بن السري ثم زحف اليه خالد فاقام عمر بموضعه وخرج عبيد الله من الفسطاط لمحاربة خالد فلما التقيا خذل خالداً اصحابه الذين كان الجروي أنفذهم معه فحارب خالد ساعة في مواليه وعشيرته وكاثره عبيد الله وأسره فاقام عنده مكرماً في أحسن حال وأجملها ثم حمله في البحر وزوده وأجازه الى العراق وكان خالد يقول ﴿ ما شكرت أحداً شكري لعبيد الله بن السري لقد أحسن الي كل إحسان لولا أنه حملني في البحر ﴾ وأقام عمر بن الفرج باسفل الأرض إلى أن حضر وقت الحج فبذرقه (١) ابن الجروي الى مكة .

وكتب صاحب الخبر بخراسان يذكر أن طاهر بن الحسين صعد المنبر في يوم الجمعة فخطب الناس ولم يدع لأمير المؤمنين ، فدعا المأمون باحمد بن ابي خالد ليلاً فقال له بعني بثلاثة آلاف الف درهم أخذتها من طاهر ، فقال أنا أخرج اليه فاكفيك أمره فامره أن يتجهز ثم ورد كتاب طاهر على أحمد بن ابي خالد يسأله أن يوجه اليه محمد بن فرخ العمركي — وكان أحب الناس الى طاهر وأوثقهم في نفسه — فقال احمد بن ابي خالد للمأمون يا امير المؤمنين إن محمد بن فرخ يقوم بما كنت أقوم به فأقطع عدة

(١) البذرقة بالذال المعجمة والمهملة ، الحفارة فارسي معرب (تاج العروس)

قطائع ووصل بمال عظيم ونفذ الى خراسان فما أقام عنده شهراً حتى توفي ﴿ فيقال ﴾ إن ابن أخي العمركي سقاه سماً فقتله ، وتوفي طاهر بن الحسين في سنة ٢٠٧ وهو ابن ٤٨ سنة فولى المأمون ابنه طلحة بن طاهر خراسان وأنفذ أحمد بن ابي خالد في الجيش الذي كان ضمه اليه فنفذ الى خراسان وقدم معه الأفشين حيدر بن كاوس الأشروسني وجملة من أبناء ملوك خراسان .

وبلغ المأمون أن بشر بن داود المهلبي عامل السند قد خالف فوجه حاجب بن صالح عاملاً مكانه فلما صار بمكران ألفى اخاً لبشر بن داود فقال له ﴿ سلم العمل إذ سبيل كتاب العمل أن يقرأه بشر ليكتب بالتسليم ﴾ وقال ﴿ إنما أنا من قبل بشر وبشر بالمنصورة وبينك وبينه يومان فاذا اجتمعت معه وكتب إلي بالتسليم سلمت اليك ﴾ فوقعت بينهما المنازعة وكتب الى المأمون يخبره أن بشراً قد خلع وأنه على محاربته فاحضر المأمون محمد بن عباد المهلبي وكان سيد أهل البصرة في زمانه فقال قد خالف بشر فقال معاذ الله ، قال فاخرج مع غسان بن عباد فوجه مع غسان بجماعة من القواد وبموسى بن يحيى بن خالد البرمكي وأمره ان يولي موسى البلد فلما صار غسان الى بلاد السند خرج اليه بشر وأعطاه الطاعة من غير حرب ولا منازعة فأشخصه وولى البلد موسى ابن يحيى فلم يزل موسى في البلد حتى مات فصار ابنه عمران بن موسى مكانه ، ولما قدم بشر بن داود العراق ومن كان معه من آل المهلب أطلقهم المأمون جميعاً وأحسن اليهم .

وظفر المأمون بابراهيم بن المهدي ابن شكلة في اول سنة ٢٠٨ ظفر به ليلا فجلس في تلك الليلة جلوساً عاماً وحبسه عند احمد بن ابي خالد بغير وثاق وأمره بالاحسان اليه ثم كتب ابراهيم من حبسه — وهو لا يشك أنه يقتله — كتاباً الى المأمون قال فيه ﴿ ولي الثأر يا أمير المؤمنين محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، من تناوله الاغترار بما مدّ له من الرخاء أمر عادية الدهر على نفسه وقد

جعلك الله فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دوني فان عفوت فبفضلك وان اخذت فبحقك ﴾ فوقع المأمون في رقعته ﴿ القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة بينهما عفو الله وهو من اكثر ما نسأله ﴾ وخلى سبيله وعفا عنه ، وقال ﴿ إني شاورت جميع أصحابي في أمرك حتى شاورت أخي أبا اسحاق وابني العباس فكلهم أشار علي بقتلك فابيت إلا العفو عنك ﴾ فقال ﴿ أما أن يكونوا قد نصحوك في عظم الخلافة وتدبير الملك فقد فعلوا ولكنك أبيت أن تستجلب نصر الله من حيث دعوك ﴾ وكان المأمون شاور فيه اصحابه جميعاً فكل أشار بقتله فقال لهم ﴿ إن قتلته كنت متبعاً للملوك قبلي فيما فعلته بمن ناواها ونازعها ، وإن عفوت كنت أمة وحدي ﴾

ووثب ابن عائشة وهو ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس في جماعة معه منهم مالك بن شاهي النفري من أهل السواد ومحمد ابن ابراهيم الافريقي فدونوا الدواوين وأثبتوا اسماء الرجال وسموا العمال ، فظفر به المأمون فحبسه في المطبق فاستمال ابراهيم بن عائشة أهل المطبق حتى حملهم على الوثوب وأن يشغبوا وتنصروا وشدوا الزنانير في أوساطهم والصلب في أعناقهم ورفع محمد بن عمران صاحب البريد خبرهم فركب المأمون الى المطبق ليلا كما صح عنده الخبر وأحضر جماعة من قواده ودعا بابراهيم فضرب عنقه وقتل الذين كانوا معه وهم الافريقي وفرج البغواري وصلب ابن عائشة ببغداد ثلاثة ايام ثم انزله وكان ذلك في سنة ٢١٠

وشخص المأمون من بغداد الى فم الصلح وهو منزل الحسن بن سهل فتزوج بوران بنت الحسن بن سهل فمرس بها هناك فكان عرساً لم ير مثله فانفق الحسن بن سهل على المأمون وجميع من معه من أهل بيته وكتابه واصحابه وجميع من حوى عسكره من الاتباع أيام مقام المأمون ونثر عليهم الضياع والقرى والجواري والوصفاء والخيل والدواب ؛ فكانت تكتب اسماء هذه الأنواع في رقاع صغار وتجعل في بنادق المسك وتنثر على الناس فكلما اخذ انسان بندقة نظر الى الرقعة فيها ثم قبضها من الوكلاء

ثم نثر على الناس الدراهم والدنانير وفأر المسك وقطع العنبر ، وأقام المأمون أربعين يوماً ثم انصرف .

وفتح عبد الله بن طاهر كيسوم فظفر بنصر بن شبث في هذه السنة وهي سنة ٢١٠ وحمله الى المأمون ﴿ فحكى ﴾ ابن منصور بن زياد وكان على بريد عبد الله بن طاهر وكتب بخبره الى المأمون (إن عبد الله بن طاهر يخرج في كل ليلة من عسكره ويخرج اليه نصر بن شبث فيجتمعان ويتحدثان) فدعا المأمون بعمرو بن مسعدة فامره أن يظهر علة يحتاج أن يقيم لها في منزله وأن يخرج على خمس عشرة دابة من دواب البريد ولا يعلم أحد حتى يصير الى عبد الله بن طاهر ويقول له يا بن الفاعلة لقد عم أمير المؤمنين أن يأمر عبداً أسود ثم يوجهه مكانك ويجعلك سائساً له ، وأمر عمراً أن لا يسلم عليه ولا يسمع له جواباً فخرج عمرو فلما اجتمع مع عبد الله لم يسلم عليه حتى بلغه الرسالة على رؤوس الناس ثم انصرف ولم يسمع منه جواباً ؛ فلما كان يوم الأربعين من مصير عمرو وافى نصر بن شبث وسار عبد الله ليستقري الشأم بلداً بلداً لا يمر ببلد إلا أخذ من رؤسا القبائل والعشائر والصعاليك والزواقيل (١) وهدم الحصون وحيطان المدن ، وبسط الأمان للأسود والأبيض والأحمر وضمهم جميعاً ، ونظر في مصالح البلدان وحط عن بعضها الخراج فلم يبق مخالف ولا خالع إلا خرج من قلعته وحصنه ، وسار عبد الله بالقوم جميعاً الى مصر فلقيه علي بن عبد العزيز الجروي المتغلب كان باسفل الأرض فاعلمه أنه لم يزل هو وابوه في الطاعة فقبل قوله وسيره معه حتى نزل ببلبيس فواقع عبيد الله بن السري وقعات وجعل أصحاب عبيد الله يستأمنون شيئاً بعد شيء حتى لم يبق معه ممن كان يعتمد عليه احد فلما رأى ذلك طلب الأمان على أن يسوغ ما أخذ ويطلق له جباية الصعيد شهرين فاجابه الى ذلك وأعطاه الأمان وقال لو شرط أن أضع له خدي في الأرض يطأ عليه لفعلت ، وكان ذلك قليلاً عندي في جنب ما أوتره

(١) الزقل بالضم والزواقيل ، اللصوص . (تاج العروس)

من حقن الدماء ، فخرج اليه لعشر بقين من صفر سنة ٢١١ .

ودخل عبدالله بن طاهر الفسطاط وكتب بالفتح ، وأقر عبد الله بن طاهر عبيدالله ابن السري على الصعيد شهرين ثم سيره الى العراق ، ثم ولى العباس بن هاشم بن باتيجور البلد ، وكان قوم من الأندلس قد تغلبوا بالاسكندرية فزحف اليهم عبدالله فحاصرهم حصاراً شديداً ثم آمنهم وفتح الاسكندرية سنة ٢١٢ وولاها الياس بن اسد الخراساني وانصرف الى الفسطاط ثم صار الى العراق وحمل معه الجروي وجماعة من أهل مصر والشأم واستخلف على مصر عيسى بن يزيد الجلودي .

فكان احمد بن محمد العمري من ولد عمر بن الخطاب قد وثب باليمن وأخرج محمد بن نافع واحتوى على بيت المال فولى المأمون أبا الرازي محمد بن عبد الحميد اليمن فلما قدم ضرع العمري الى الأمان فاعطاه إياه ثم مكر به ابو الرازى فاخذه وجماعة من أهل بيته وولده فاوثقهم في الحديد وحملهم الى باب المأمون وأخذ أهل اليمن باداء خراجين جباها ابن العمرى ووجه الى ابراهيم بن ابي جعفر الحميرى المعروف بالمناخي وكان في جبل له منيع يأمره بالمصير اليه فلم يصر اليه فزحف اليه يريده فلما صار الى الجبل سلك طريقاً ضيقاً وخرج ابن ابي جعفر فقتله وقتل خلقاً من اصحابه وأسر خلقاً فقطع أيديهم وأرجلهم وخلى سبيلهم ، وغلب ابراهيم بن ابي جعفر على اليمن وخرب مدينة السلطان ، وكان ذلك في سنة ٢١٢ .

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن مالك الخزاعي في ذي الحجة وفيها كثر الحريق في الكرخ .

وكان المأمون قد ولى طاهر بن محمد الصنعاني إرمينية وآذربيجان ﴿ وقيل ﴾ بل وجه هرثمة بن أعين من همذان وهو متوجه الى العراق فصار الى ورثان من عمل آذربيجان وكاتب قواد إرمينية ووجوه جندها فبايعوا للمأمون وكان العامل عليها من قبل المخلوع اسحاق بن سليمان فكان معه عمر والحزون وترسى وعبد الرحمان بطريق

الران وجماعة من البطارقة وأقبل يريد برذعة ليوقع باهلها لاخراجهم ابنه فوجه اليهم طاهر عامل المأمون زهير بن سنان التميمي في خلق عظيم فالتقوا فاقتتلوا عامة يومهم ثم انهزم اسحاق بن سليمان وأصحابه وأسر ابنه جعفر بن اسحاق بن سليمان فوجه ومن معه من الأسارى الى المأمون ولم يقم طاهر الصنعاني إلا أياماً حتى خرج عليه عبد الملك بن الجحاف السلمي خالعاً ووثب في أهل البيلقان فحصروا طاهراً في مدينة برذعة فاقام محصوراً عدة أشهر وبلغ المأمون فولى سليمان بن احمد بن سليمان الهاشمي فقدم البلد وطاهر محصور فاخرجه وصرفه وأعطى عبد الملك الأمان واستقامت البلاد ، ثم ولى حاتم بن هرثمة بن أعين إرمينية فقدم البلد وقد وقعت بين المعتزلة والجماعة العصبية فبعضهم يقتل بعضاً حتى كادوا يتفانون ثم اصطلحوا ولم يقم حاتم بن هرثمة في البلد إلا أياماً قلائل حتى أتاه خبر موت أبيه هرثمة والحال التي مات عليها فخرج من برذعة حتى نزل ﴿ كسال ﴾ فبنى فيها حصناً وعمل على أن يخلع وكاتب البطارقة ووجوه أهل إرمينية وكاتب بابك والخرمية وهوّن أمر المسلمين عندهم فتحرك بابك والخرمية وغلب بابك في عمل آذربيجان وبلغ المأمون الخبر فولى يحيى بن معاذ بن مسلم مولى بني ذهل إرمينية (. . . .) ففعل ذلك وأوقع يحيى بن معاذ وقعات لم يظهر عليه في وقعة منها وكان المأمون قد أمر عيسى بن محمد بن ابي خالد القائد المحارب كان فى أيام المخلوع فلما لم يحمد أثر يحيى ولى عيسى إرمينية وآذربيجان وأمره أن يجهزهم ويعطيهم الأرزاق من ماله فجهزهم عيسى بن محمد من ماله وهم الذين كانت ناحيتهم بمدينة السلام وخرج فلم يبق ببغداد أحد من الجند الحربية الذين كانوا فى الفتنة فلما صار فى البلد أتاه محمد بن الرواد الأزدي وجميع رؤساء تلك البلاد فاحتشد لقتال بابك وأخذ فى مضيق فلقيه بابك فيه فهزمه فمر عيسى مولياً لا يقف على شيء فصاح به بعض شطار الحربية الى اين يا أبا موسى فقال ليس لنا فى قتال هؤلاء بخت إنما نخشى فى قتال المسلمين وانصرف من آذربيجان الى إرمينية وقد عصى سوادة بن عبد الحميد الجحافي فعرض عليه عيسى

أن يوليه إرمينية فابى إلا محاربته فحاربه فهزمه بعد جهد واستقامت لعيسى بن محمد إرمينية واستعظم أمر بابك بالبذ فولى المأمون زريق بن علي بن صدقة الأزدي فلم يصنع شيئاً فولى ابن حميد الطوسي فلما بلغ زريقاً خبر صرفه خلع وأظهر المعصية ، وقدم محمد بن حميد البلد فحاربه زريق فقتل محمد أصحابه ثم طلب الأمان فآمنه وحمله الى المأمون ؛ وأقام محمد بن حميد حتى نقى البلاد ممن كان يخاف ناحيته فلما امكنه محاربة بابك عبأ لقتاله وزحف اليه فحاربه محاربة شديدة له في كل ذلك الظفر ثم صار الى موضع ضيق فيه حزونة فترجل ابن حميد وجماعة معه فحمل عليهم أصحاب بابك فقتل محمد وجماعة من وجوه أصحابه وانهزم العسكر وأقام على الجيش مهدي بن أصرم قرابة لابن حميد ، وكان ذلك فى أول سنة ٢١٤ ، ولما قتل محمد بن حميد ولى المأمون عبد الله بن طاهر وعقد له على كور الجبال وارمينية وآذربيجان وكتب الى القضاة وعمال الخراج بالانتهاء الى أمره فخرج عبد الله وأقام بالدينور وكتب الى مهدي بن أصرم ومحمد بن يوسف وعبد الرحمان بن حبيب القواد الذين كانوا مع محمد بن حميد أن يقيموا بمواضعهم ، وتوفي طلحة بن طاهر بخراسان فولى المأمون مكانه عبد الله ووجه اليه بعهده وعقده مع اسحاق ابن ابراهيم ويحيى بن اكثم قاضي القضاة فنفذ عبد الله الى خراسان في هذه السنة فولى المأمون آذربيجان ومحاربة بابك علي بن هشام ، وولى عبد الأعلى بن احمد بن يزيد بن أسيد السلمي ارمينية فقدم البلد وقد تغلب على جرزان محمد بن عتاب وانضمت اليه الصنارية فحاربه ابن عتاب ولم يكن له ضبط ولا معرفة بالحرب فولى المأمون خالد بن يزيد بن مزيد فاخرج من كان فى الحبس بالعراق من عشيرته وشخص الى الجزيرة فانضم اليه خلق عظيم من ربيعة ثم صار الى البلد فلما قدم خلاط أتاه سوادة بن عبد الحميد الجحافي فآمنه ثم صار الى النشوى وقد كان تغلب بها يزيد بن حصن مولى بني محارب فهرب يزيد بن حصن وأتى ﴿ كسال ﴾ فاقام بها وبعث الى محمد بن عتاب وأتاه فى الأمان مظهراً للطاعة فآمنه خالد ثم قال الصنارية في طاعتك فقال له محمد بن عتاب ما هم لي

في طاعة فزحف اليهم خالد فواقعهم بجرزان فهزمهم وأخذ مواشيهم ثم دعا الى الصلح وصالحهم على ثلاثة آلاف رَمكة (١) وعشرين الف شاة فلم يلبثوا إلا قليلا حتى . . (٢) . . ووثب معهم القيسية وشغبوا على خالد وكان في القوم علي بن يحيى الأرمني فاسره خالد وأسر جماعة ووجه بهم الى المأمون فصيرهم في ناحية ابى اسحاق المعتصم وضمهم اليه وفرض لهم ؛ ثم ولى المأمون عبد الله بن مصاد الأسدي مكان خالد وأشخص خالداً اليه فخاف خالد أن يكون قد سعى عنده فلما قدم ضمه الى اخيه المعتصم وقدم عبد الله بن مصاد الأسدي البلد فلم يقم إلا يسيراً حتى مات واستخلف ابنه علياً فاضطرب البلد ، وولى المأمون الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بـ [المأموني] فقدم والبلد مضطرب فقاتل أهل قلعة ﴿ لاهس ﴾ ففتحها وانصرف الى ديبل فأقام بها وكتب الى اسحاق بن اسماعيل بن شعيب التفليسي في حمل الأموال فدافعه اسحاق وردّ رسله فزحف الى تفليس فلما قرب منه خرج اليه فاعطاه مالاً فانصرف عنه .

وعقد المأمون لأخيه ابي اسحاق على مصر والمغرب ولابنه العباس على الجزيرة سنة ٢١٤ فقدم العباس الجزيرة وقد وثب بلال الشاري فاجتمع هو وابو اسحاق وجماعة من معهما من القواد عليه فظفروا به فقتلوه ووثبت القيسية واليمانية بمصر بناحية الحوف فحاربهم عيسى بن يزيد الجلودى فهزموه غير مرة فوجه ابو اسحاق بعمير بن الوليد عاملاً على مصر مكان الجلودى فحاربهم واكثر فيهم النكاية ثم قتل فامر المأمون ابا اسحاق أن ينفذ اليهم فسار اليهم من الرقة فدعاهم الى الأمان فأبوا عليه فقاتلهم فظفر بهم وأسر عبد الله بن جليس الهلالي رئيس القيسية وعبد السلام الجذامي رئيس اليمانية فضرب أعناقهما وصلبهما على جسر مصر وأسر منهم خلقاً عظيماً حملهم الى بغداد ووشى يحيى بن اكثم بالمعتصم الى المأمون وقال له إنه بلغني أنه يحاول الخلع فوجه اليه يأمره

(١) الرمكة محركة الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل ، الجمع رمك .

(٢) بياض في الأصل ولعله حتى (عصوا) ووثب . (م ص)

بالقدوم له وأن يكون مقيماً حتى يوافيه فسار على مائتي بغل اشتراها وحذفها واستخلف على الفسطاط عبدويه بن جبلة .

وخرج المأمون متوجهاً الى ارض الروم في المحرم سنة ٢١٥ فغزا الصائفة وافتتح أنقرة نصفاً بالصلح ونصفاً بالسيف وأخربها وهرب منويل البطريق منها وفتح حصن شمال ثم انصرف فنزل دمشق ثم أتاه الخبر أن اهل ﴿ البشرود ﴾ من كور مصر قد ثاروا فأمر أخاه أبا اسحاق أن يوجه الأفشين حيدر بن كاوس فوجه به وكف عاديتهم ، ونفذ الى برقة وقد خالف أهلهـــا فافتتحها وأسر مسلم بن نصر بن الأعور وانصرف الى مصر سنة ٢١٦ وقد عاود اهل الحوف واهل البشرود المعصية فحاربهم .

وغزا المأمون أرض الروم سنة ٢١٦ ففتح اثني عشر حصناً وعدة مطامير ، وبلغه أن طاغية الروم قد زحف فوجه العباس ابنه فلقيه فهزمه وفتح الله على المسلمين ؛ ووجه اليه توفيل ملك الروم بالأسقف صاحبه وكتب اليه كتاباً بدأ فيه باسمه فقال المأمون لا أقرأ له كتاباً يبدأ فيه باسمه ورده فكتب اليه توفيل بن ميخائيل لعبد الله ﴿ غاية الناس الشرف ﴾ (١) ملك العرب من توفيل بن ميخائيل ملك الروم من قبل . . . وسأل أن يقبل منه مائة الف دينار والأسرى الذين عنده وهم سبعة آلاف أسير وأن يدع لهم ما افتتحه من مدائن الروم وحصونهم ويكف عنهم الحرب خمس سنين فلم يجبه الى ذلك وانصرف الى كيسوم من أرض الجزيرة من ديار مضر .

وتوفيت أم جعفر بن ابي جعفر بن المنصور يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٢١٦ وفي هذا اليوم ورد نعي عمرو بن مسعدة مات بأذنة ، وفي هـــذه السنة توفي طوق بن مالك الربعي في شهر رمضان .

واشتدت شوكة من كان يحارب الأفشين بمصر من أهل الحوف والبيا والبشرود وهي من كور اسفل الأرض فخرج المأمون الى كور مصر وقدم الافشين في محاربة أهل

(١) كذا فى الأصل ، ولعل فيه تحريفاً وسقطاً . (م . ص)

الخوف فزحف اليهم بنفسه فقتلهم وسبى البيا وهم قبط البشرود واستفتى في ذلك فقيه بمصر يقال له الحارث بن مسكين مالكي فقال إن كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا يحل دماؤهم وأموالهم ، فقال المأمون ﴿ أنت تيس ومالك أتيس منك ﴾ هؤلاء كفار لهم ذمة إذا ظُلموا تظلموا الى الامام وليس لهم إن يستنصروا با . . «١» . . ولا يسفكوا دماء المسلمين فى ديارهم وأخرج المأمون رؤساءهم فحملهم الى بغداد .

ووشى محمد بن ابي العباس الطوسي واحمد بن ابي دؤاد يحيى بن اكثم الى المأمون تقرباً الى ابي اسحاق فسخط عليه المأمون وأمر بنفيه من عسكره ونزع السواد عنه وأخرجه الى بغداد وأمره أن لا يخرج من منزله فاخرج من مصر وأرسل موكلين به ، وسخط ايضاً على عيسى بن منصور القائد الرافقي وأخرجه من عسكره وكان السخط عليهما فى يوم واحد ، وكان مقام المأمون بمصر سبعة وأربعين يوماً قدم لعشر خلون من المحرم وخرج لثلاث بقين من صفر سنة ٢١٧ ؛ وقدم دمشق منصرفاً من مصر فأقام أياماً ثم شخص الى الثغر فنزل ﴿ أذنة ﴾ معسكراً بها وقد كان ابوسعيد محمد بن يوسف الطائي وعبد الرحمان بن حبيب وغيرهما من اصحاب محمد بن حميد الطوسي الذين كانوا بآذربيجان صاروا الى باب المأمون فرقوا على علي بن هشام ونسبوه الى الخلاف والمعصية فكتب العباس بن سعيد الجوهري صاحب بريد علي بن هشام بمثل ذلك فوجه المأمون بعجيف بن عنبسة وكان من أجل قواده وأحمد بن هشام واشخص عجيف علياً الى أذنة فأمر المأمون بضرب عنقه وعنق أخيه الحسين بن هشام وكان المتولي لذلك منهما بيده ابن اختهما احمد بن الخليل بن هشام ونصب رأس علي بن هشام على قناة أياماً ثم وجه به الى برقة فجعل فى المنجنيق ثم رمي به فى البحر .

وغزا المأمون بلاد الروم فى هذه السنة وهي سنة ٢١٧ وصار الى حصن من حصون الروم يقال له ﴿ لؤلؤة ﴾ فأقام عليه حيناً لم يفتحه فبنى عليه حصنين أنزل فيهما

(١) بياض فى الأصل ، وقد كتب فى الهامش مكانه (باسيافهم) (م ص)

أبا اسحاق والرجال ثم قفل متوجهاً الى قرية يقال لها ﴿ سلغوس ﴾ وخلف على حصنه أحمد بن بسطام وخلف ابو اسحاق على حصنه محمد بن الفرج بن ابي الليث بن الفضل وصير عندهم زاد سنة ، وخلف المأمون على جميع الناس عجيف بن عنبسة فمكرت الروم أصحاب لؤلؤة بعجيف فاسروه فمكث في ايديهم شهراً وكاتبوا ملكهم فسار نحوهم فهزمه الله بغير قتال وظفر من كان في الحصنين من المسلمين بعسكره فحووا كل ما كان فيه فلما رأى ذلك أهل لؤلؤة وأضر بهم الحصار طلب رئيسهم الحيلة فقال لعجيف احلي سبيلك على أن تطلب لي الأمان من المأمون فضمن له ذلك فقال أريد رهينة فقال انا احضرك ابني فوجه الى خليفته ان يوجه اليه بفراشين نصرانيين ﴿ وبحوسان ﴾ (١) ويجملان فوجه معهما بجماعة من غلمان نصارى في زي المسلمين ففعل ذلك فدفعهم عجيف اليهم وخرج فلما صار الى المعسكر كتب اليهم (ان الذين في ايديكم نصارى وأنتم مخيرون فيهم) فكتب اليه رئيسهم (إن الوفاء حسن وهو من دينكم أحسن) فاخذ لهم عجيف الأمان وفتحها واسكنها المسلمين .

وصار المأمون الى دمشق سنة ٢١٨ وامتحن الناس في العدل والتوحيد وكتب في إشخاص الفقهاء من العراق وغيرها فامتحنهم في خلق القرآن واكفر من امتنع أن يقول القرآن غير مخلوق وكتب أن لا تقبل شهادته ، فقال كل بذلك إلا نفراً يسيراً وكتب المأمون على عنوانات كتبه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فكان أول من أثبتها على عنوانات كتب الخلفاء ، وكبر بعد كل صلاة فبقي ذلك سنة ، وحوّل العلم عند مواقيت الصلاة ، ونزع المقاصير من المساجد الجامعة وقال هذه سنة أحدثها معاوية ، وكان بشر بن الوليد الكندي قاضي المأمون ببغداد قد ضرب رجلاً قُرف بانه شتم أبا بكر وعمر وأطافه على جمل فلما قدم المأمون أحضر الفقهاء فقال إني قد نظرت

(١) كذا في الأصل ، ولعله (ويتجوشنان) أي يلبسان الجوشن وهي الدرع ، وفي الهامش كتب بدله (وبجوشنان) (م . ص)

في قضيتك يا بشر فوجدتك قد اخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم أقبل على الفقهاء فقال أفيكم من وقف على هذا قالوا وما ذاك يا امير المؤمنين فقال يا بشر بما أقمت الحد على هذا الرجل ؟ قال بشتم ابي بكر وعمر قال حضرك خصومه ؟ قال لا قال فوكلوك ؟ قال لا قال فللحاكم أن يقيم حد القرفة بغير حضور خصم ؟ قال لا قال وكنت تأمن أن يهب بعض القوم حصته فيبطل الحد ؟ قال لا قال فامهما كافرتان او مسلمتان ؟ قال بل كافرتان قال فيقام في الكافرة حد المسلمة ؟ قال لا قال فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحق أفيشهد عندك شاهدا عدل ؟ قال قد زكي أحدهما قال فيقام الحد بغير شاهدين عدلين ؟ قال لا قال ثم أقمت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر رمضان ؟ قال لا قال ثم جلدته وهو قائم فالمحدود يقام ؟ قال لا قال ثم شبحته (١) بين العقابين فالمحدود يشبح ؟ قال لا قال ثم جلدته عرياناً فالمحدود يعرى ؟ قال لا قال ثم حملته على جمل فاطفته فالمحدود يطاف به ؟ قال لا قال ثم حبسته بعد أن أقمت عليه الحد فالمحدود يحبس بعد الحد ؟ قال لا قال لا يراني الله أبوء بإثمك وأشاركك في جرمك خذوا عنه ثيابه وأحضروا المحدود ليأخذ حقه منه ، فقال له من حضر من الفقهاء ﴿ الحمد لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه عارفاً باحكامه تقول الحق وتعمل به وتأمر بالعدل وتؤدب من رغب عنه ، إن هذا يا أمير المؤمنين حاكم أجد برأيه فاخطأ فلا تفضح به الحكام وتهتك به القضاة ﴾ فامر به فحبس في داره حتى مات .

ورفع جماعة من ولد الحسن والحسين الى المأمون يذكرون أن فدك كان وهبها رسول الله ﴿ ص ﴾ لفاطمة وأنها سألت أبا بكر دفعها اليها بعد وفاة رسول الله [ص] فسألها أن تحضر على ما ادعت شهوداً فاحضرت علياً والحسن والحسين وأم أيمن فاحضر المأمون الفقهاء فسألهم عن . . (١) . . رووا أن فاطمة قد كانت قالت هذا

(١) شبح الرجل مده مداً مفرق اليدين والرجلين كالمصلوب . (التاج بايضاح)

(٢) بياض في الأصل ، ولعله فسألهم عن (ذلك) فرووا . (م ص)

وشهد لها هؤلاء وأن أبا بكر لم يجز شهادتهم فقال لهم المأمون ما تقولون في أم أيمن قالوا امرأة شهد لها رسول الله بالجنة فتكلم المأمون بهذا بكلام كثير ونصهم الى أن قالوا أن علياً والحسن والحسين لم يشهدوا إلا بحق ، فلما أجمعوا على هذا ردّها على ولد فاطمة وكتب بذلك وسلمت الى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ؛ ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام .

وغزا المأمون بلاد الروم سنة ٢١٨ وقد استعد لحصار عمورية وقال أوجه الى العرب فآتي بهم من البوادي ثم أنزلهم كل مدينة افتتحها حتى أضرب الى القسطنطينية فاتاه رسول ملك الروم يدعوه الى الصلح والمهادنة ودفع الأسرى الذين قبله فلم يقبل فلما قرب من لؤلؤة أقبل فأقام اياماً وتوفي بموضع يقال له ﴿ البدندون ﴾ بين لؤلؤة وطرسوس .

وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨ وسنه ثمان واربعون سنة وأربعة أشهر ، وصلى عليه أخوه ابو اسحاق ، ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم ، وكانت خلافته منذ يوم سلم عليه بالخلافة في حياة المخلوع الى أن مات عشر بن سنة وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

وكان الغالب عليه في خلافته ذو الرئاستين ثم جماعة ، منهم الحسن بن سهل ، واحمد ابن ابي خالد ؛ وأحمد بن يوسف ، وكان على شرطه العباس بن المسيب بن زهير ثم عزله وولى طاهر بن الحسين ، ثم عبد الله بن طاهر فاستخلف اسحاق بن ابراهيم ببغداد فوجه اسحاق باخيه طاهر بن ابراهيم خليفة له على شرطه ، وكان على حرسه شبيب ابن حميد بن قحطبة ثم عزله وولاه قومس واستعمل مكانه هرثمة بن أعين ؛ ثم عبد الواحد بن سلامة الطحلازي قرابة هرثمة ، ثم علي بن هشام ثم قتله وولى عجيف بن عنبسة ، وكانت حجابته الى احمد بن هشام وعلي بن صالح صاحب المصلى .

وخلف من الولد الذكور ستة عشر ذكراً وهم : محمد ، واسماعيل ؛ وعلي والحسن ، وابراهيم ، وموسى ، وهارون ، وعيسى ، واحمد ، والعباس والفضل ، والحسين ، ويعقوب ، وجعفر ، ومحمد الأكبر — وهو ابن معلقة وتوفي في حياته — ومحمد الأصغر ؛ وعبيد الله أمها أم عيسى بنت موسى الهادي .

أيام المعتصم بالله

وولي ابو اسحاق محمد بن الرشيد — وأمه أم ولد يقال لها ماردة — وبايع له القواد والجند الذين كانوا مع المأمون ، وبايعه العباس بن المأمون يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ ، وكانت الشمس يومئذ في الأسد ثلاث عشرة درجة واربعين دقيقة ، وزحل في الميزان خمس عشرة درجة وأربعين دقيقة ؛ والمشتري في القوس درجة وعشر دقائق ، والمريخ في القوس اربع درجات وخمساً وثلاثين دقيقة وعطارد في الأسد ستاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة راجعاً ، والزهرة في السنبلة ثماني درجات وعشرين دقيقة راجعاً ؛ والرأس في الحمل عشر دقايق .

وامتنع بعض القواد من البيعة لمكان العباس بن المأمون فخرج اليهم العباس من مضر به فكلمهم بكلام استحمقوه فيه وشتموه وبايعوا لأبي اسحاق وانصرف المعتصم من الثغر يريد العراق فلما صار بالرقة ولى غسان بن عباد الجزيرة وقنسرين والعواصم ونفذ الى بغداد فقدمها يوم السبت مستهل شهر رمضان وعلى جنده الديباج المذهب وأقر عمال المأمون على أعمالهم ثلاثة أشهر ثم استبدل بهم .

وخرجت المحمرة بالجبل فقتلوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل وعرضوا لحاج خراسان فهزموه وقتلوا منهم جماعة فوجه المعتصم هاشم بن باتيجور فكانت بينه وبينهم وقعة فهزموا هاشماً فوجه المعتصم اسحاق بن ابراهيم فى جيش واستخلف اسحاق على الشرط أخاه طاهراً ونفذ فواقعهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأقام حتى أصلح البلد بعد أن نالته منهم شدة .

وتحرك محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بالطالقان واتبعه جماعة فوجه اليه عبد الله بن طاهر بعض عماله فلما لحقه هرب محمد بن القاسم من الطالقان الى نيسابور وذكر أن القوم اعتقلوه وأنه لم يكن له فى ذلك إرادة فأخذه عبد الله بن طاهر فحمله الى المعتصم فحبسه فى قصره فهرب منه ليلة الفطر سنة ٢١٩ فطلبوه فلم يقدروا عليه .

ووثب الزط بالبطائح بين البصرة وواسط فقطعوا الطريق فوجه اليهم المعتصم احمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي فهزموه فعقد المعتصم لعجيف فى جمادى الأولى سنة ٢١٩ وطلبوا الامان وخرجوا اليه على حكم المعتصم فادخلهم بغداد فاجاز المعتصم لهم الامان وأسكنهم خانقين

وسخط المعتصم على الفضل بن مروان وزيره وبطش بجماعة من أصحابه واستصفى أموالهم ووجه الفضل الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد وامر بطلب اموالهم فركب به الى داره وأخرج منها مالاً عظيماً ثم نفي فقال فيه راشد بن اسحاق :

يكفيك من غير الأيام ما صنعت * حوادث الدهر بالفضل بن مروان

وامتحن المعتصم أحمد بن حنبل في خلق القرآن فقال أحمد أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا فاحضر له الفقهاء وناظر عبد الرحمان بن اسحاق وغيره فامتنع أن يقول أن القرآن مخلوق فضرب عدة سياط فقال اسحاق بن ابراهيم ولني يا امير المؤمنين مناظرته فقال شأنك به فقال اسحاق هذا العلم الذي علمته نزل به عليك ملك أو علمته من الرجال ؟ فقال بل علمته من الرجال فقال شيئاً بعد شيء أو جملة ؟ قال علمته شيئاً بعد شيء قال فبقي عليك شيء لم تعلمه ؟ قال بقي علي قال فهاذا مما لم تعلمه وقد علمكه امير المؤمنين قال فاني أقول بقول أمير المؤمنين قال فى خلق القرآن قال فى خلق القرآن قال فأشهد عليه وخلع عليه وأطلقه الى منزله .

وخرج المعتصم الى القاطول في النصف من ذي القعدة سنة ٢٢٠ فاختط موضع المدينة التي بناها وأقطع الناس المقاطع وجد في البناء حتى بنى الناس القصور والدور

وقامت الأسواق ثم ارتحل من القاطول الى سر من رأى فوقف في الموضع الذي فيه دار العامة وهناك دير للنصارى فاشترى من أهل الدير الأرض واختط فيه وصار الى موضع القصر المعروف بـ ﴿ الجوسق ﴾ على دجلة فبنى هناك عدة قصور للقواد والكتاب وسماها باسمائهم وحفر الأنهار في شرقي دجلة وعمر العمارات ؛ ونصب الدواليب والدوالي على الأنهار وحملت النخيل والغروس من سائر البلدان ، وكان ابتداء ذلك في سنة ٢٢١ وبنى القرى وحمل اليها الناس من كل بلد وأمرهم أن يعمروا عمارة بلدهم ، وحمل قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس فعملوها فلم يأت في تلك الجودة .

واشتدت شوكة بابك وكان محمد بن البعيث قد شايعه وعصمة الكردي صاحب مرند في طاعته فوجه المعتصم طاهر بن ابراهيم أخا اسحاق بن ابراهيم عامل البلد وأمره بمحاربة القوم فلما قدم البلد كتب ابن البعيث الى المعتصم يعلمه أنه في الطاعة وأنه في التدبير على بابك وأصحابه ثم مكر بعصمة الكردي صاحب مرند فتزوج ابنته وصار الى مرند ثم دعاه الى منزله فحمل عليه وعلى من معه في الشرب فلما سكروا حملهم في الليل الى قلعته التي يقال لها ﴿ شاهي ﴾ ثم أنفذهم الى المعتصم فأجازه المعتصم وحباه وأعطاه ، وذلك لأنه أخبر طاهر بن ابراهيم بما كان منه وسأله أن يبعث اليه الحديد والبغال يحملهم اليه ففعل ذلك طاهر فحملهم الى المعتصم وكتب اليه يخبرهم فغلظ المعتصم على اسحاق وقال ما أرى عند أخيك شيئاً ولا أرى الرجلة إلا عند ابن البعيث ووجه الأفشين حيدر بن كاوس الأسروشني وعقد له على جميع ما اجتاز به من الأعمال وحملت معه الأموال وخزائن السلاح فلما صار الأفشين الى الجبل أخذ ما كان به الصعاليك والوجوه فنفذ فكانت بينه وبين بابك وقائع وكان عسكره بموضع يقال له ﴿ برزند ﴾ فصار بموضع يقال له ﴿ سادارسد ﴾ فأقام في محاربته حولاً حتى كثرت الثلوج ثم رجع الى برزند ثم وجه بخليفته الى ﴿ سادارسد ﴾ وزحف وصير في كل ناحية . . . . وصار بـ [دروذ الروذ] فخندق خندقاً وبنى سوراً وكمن

السكناء وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون من شهر رمضان سنه ٢٢٢ فارسل اليه بابك يسأله أن يكلمه فوافقه وبينهما نهر فعرض عليه الأفشين الأمان فسأله أن يؤخره يومه ذلك فقال له إنما تريد أن تحصن مدينتك فان أردت الأمان فاقطع الوادي فانصرف واشتدت الحرب ودخل المسلمون مدينة البذ وهرب بابك وستة من أصحابه وأخرج من كان بالبذ من أسارى المسلمين فكانوا سبعة آلاف وستمائة ومضى بابك على بغلة وقد لبس ثياب الصوف وكتب الأفشين الى البطارقة بارمينية وآذربيجان في طلبه وضمن لمن جاء به الف الف درهم والصفح عن بلادهم فصار بابك الى رجل من البطارقة يقال له (سهل بن سنباط) فاخذه وكتب الى الأفشين بخبره فانفذ فأخذه (١) وكتب بالفتح وبما كان من تدبيره فقرئ الفتح وكتب به الى الآفاق في . . . . . حتى أصلح البلاد وسار واستخلف منكجور الفرغاني خال ولده وقدم على المعتصم وهو بسر من رأى فتلقاه القواد والناس على مراحل ودخلها لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٢٣ وبابك بين يديه على الفيل حتى دخل الى المعتصم فأمر بقطع يدي بابك ورجليه ثم قتله وصلبه بسر من رأى ووجه بأخيه عبد الله الى بغداد فقتله اسحاق بن ابراهيم وصلبه على رأس الجسر في الجانب الشرقي من بغداد .

وكان الأفشين لما قدم آذربيجان ولى ارمينية محمد بن سليمان الأزدي السمرقندي وقد خالف سهل بن سنباط بالران وتغلب عليها فدخل بلاده فبايته سهل فهزمه ، ووثب

(١) قال ابو تمام الطائي يمدح المعتصم ويذكر أخذ (بابك) بقصيدة طويلة مثبتة في ديوانه مطلعها :

آلت أمور الشرك شر مآل * وأقر بعد تخمط وصيال

يقول فيها :

لولا الظلام وقلة علقوا بها * باتت رقابهم بغير فلال

فليشكروا جنح الظلام ودروءاً * فهم لدروذ والظلام موال

محمد بن عبيد الله الورثاني بورثان فوجه اليه الأفشين منكجور ليحاربه وتكلم في امره علي بن يحيى الأرمني فآمنه المعتصم فقدم به علي بن يحيى ثم ولى الافشين إرمينية محمد بن خالد بخاراخذاه فلما قدم حارب الصنارية وصار الى تفليس فبرّه اسحاق بن اسماعيل ووصله ثم ولى ارمينية علي بن الحسين بن سباع القيسي فاستضعفه أهل البلد حتى كان يسمى اليتيم لضعفه ، فولى المعتصم خالد بن يزيد إرمينية وناحية من ديار ربيعة فلما بلغ خبره ارمينية تحصن كل رئيس فيها واشتد خوفهم منه وعملوا على العصيان فكتب منصور ابن عيسى السبيعي صاحب بريد إرمينية الى المعتصم بذلك فرد خالداً وأمر باقرار علي ابن الحسين فلم يلبث إلا أياماً حتى شغب الجند عليه ببرذعة وطلبوا أرزاقهم فقال ليس لي شيء والأموال عند أهل البلد وطالب أهل البلد فامتنعوا عليه وتحصنوا في حصونهم ثم تراسلوا واجتمعوا فحاصروه ببرذعة فوجه المعتصم حمدويه بن علي بن الفضل الى البلد فصار الى النشوي فخرج اليه يزيد بن حصن في الأمان « . . . . . » فكان لا يهيجهم خوفاً من أن يعلوا عليه .

ودخلت الروم زبطرة سنة ٢٢٣ فقتلوا وأسروا كل من فيها وأخرجوهم فلما انتهى الخبر الى المعتصم قام من مجلسه نافراً حتى جلس على الارض وندب الناس للخروج ووضع الأعطاء وعسكر من يومه بموضع يعرف بـ ﴿ العيون ﴾ من غربي دجلة وقدم أشناس التركي على مقدمته ، وخرج يوم الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة ٢٢٣ ودخل أرض الروم فقصد أرض عمورية وكانت من أعظم مدائنهم واكثرها عدة ورجالاً فحاصرها حصاراً شديداً وبلغ طاغية الروم فزحف في خلق عظيم فلما دنا وجه المعتصم بالافشين في جيش عظيم فلقي الطاغية وأوقع به وهزمه وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة فأوفد طاغية الروم من قبله وفداً الى المعتصم يقول إن الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدوا أمري وأنا أبنيها بمالي ورجالي وأرد من أخذ من اهلها وأخلي جملة من في بلد الروم من الاسارى وأبعث اليك بالقوم الذين فعلوا بزبطرة على رقاب

البطارقة ، وفتحت عمورية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٢٢٣ فقتل وسبى جميع من فيها وأخذ ياطس خال ملك الروم وأخرب وأحرق كلما اجتاز به من بلادهم وانصرف فلما صار بأذنة حبس العباس بن المأمون لما كان بلغه من المعصية والخلاف واجتماع من اجتمع اليه من القواد ووجد له مائة الف وستة عشر الف دينار فأمر أن تفرق على الجند ويؤمروا أن يلعنوه فاحصوا فوجدوا ثمانين الف مرتزق فدفع اليهم دينارين دينارين وتمم ذلك المعتصم من عنده ودفع العباس الى الأفشين مقيداً ليسيره فلما صار ﴿ بحد راس ﴾ توفي ﴿ وقيل ﴾ إن الأفشين أطعمه طعاماً كثير الملح في يوم شديد الحر ومنعه الماء فحمل الى منبج فدفن بها ، وسخط المعتصم على عجيف بن عنبسة لأنه كان سبب معصيته وحمله من أذنة في الحديد الثقيل في فيه لبود قد خيطت عليه وفي عنقه غل عظيم فلما صار بموضع يقال له ﴿ باعيناثا ﴾ على مرحلة من نصيبين مات ودفن بها وسأل ابنه صالح بن عجيف أن لا ينسب اليه وأن يدعى صالحاً المعتصمي ولعنه وبرئ منه .

وكان المازيار وهو محمد بن قارن بن بنداد هرمز اصبهبذ طبرستان قد قدم على المأمون بعد وفاة أبيه وتصيير مملكة طبرستان الى عمه فملكه المأمون على مدينتين من مدن طبرستان وكتب الى عمه في تسليمهما اليه وخرج متوجهاً فلما بلغ عمه ذلك أغاظه وبلغ منه فخرج كأنه يتلقاه وكان مع المازيار مولى لأبيه له دراية فقال إن عمك لم يخرج في هذه الهيئة إلا ليفتك بك فاذا قربت منه وانفردت عن أصحابه فاني أدفع اليك الحربة فضمها في صدره ففعل ذلك فقتل عمه واجتمعت عليه المملكة وضبط البلد وكتب الى المأمون بأن عمه كان مخالفاً لملكه على البلد فلما عظم امره كتب من جيل جيلان اصبهبذ ﴿ اصبهذان بشوار ﴾ خرشاد محمد بن قارن مولى امير المؤمنين ، ثم ذهب بنفسه أن يقول مولى امير المؤمنين ، ثم تفاقم أمره حتى اظهر المعصية وخلع ﴿ ويقال ﴾ إن الأفشين كاتبه وحمله على الخلع فوجه المعتصم محمد بن ابراهيم لمحاربته

في جيش فنفذ وكتب الى عبد الله بن طاهر أن يمده بالجيوش فحاربه وألح عليه عبد الله بالبعثة اليه بالجيوش فحاربه فقطعوا الأودية والحزونة وخرج ليلاً فوضع يده في يد قرابة لعبد الله وقدم به سنة ٢٢٦ فضرب بالسياط حتى مات وصلب الى جانب بابك

﴿ فحدثني ﴾ محمد بن عيسى قال قدم بالمازيار وقد حبس الأفشين في ذلك الوقت فجمع ابن دؤاد بينه وبين المازيار وقال له هذا الأفشين الذي زعمت أنه حملك على المعصية فقال له الأفشين والله إن الكذب بالسوقة لقبيح فكيف بالملوك والله ما ينجيك كذبك من القتل فلا تجعل الكذب خاتمة أمرك ، فقال المازيار والله ما كتب إلي ولا راسلني إلا أن أبا الحارث وكيلي أخبرني أنه لما قدم عليه برّه واكرمه فرُد الأفشين الى الحبس فضرب المازيار حتى قتل ؛ وكان أول سبب حبس الافشين أن منكجور الفرغاني خال ولد الافشين وخليفته بآذربيجان خلع هناك وجمع اليه أصحاب بابك وسار الى ورثان فقتل محمد بن عبيد الله الورثاني وجماعة من اولياء السلطان فقال المعتصم للأفشين أحضر منكجور فوجه اليه الافشين بابي الساج المعروف بديوداد في جيش عظيم ثم بلغ المعتصم أن منكجور انما خلع بأمر الافشين وانما وجه اليه بأبي الساج مدداً له فوجه محمد بن حماد على البريد ووجه بغا التركي فحارب منكجور فلما صدقه القتال ضرع منكجور الى طلب الأمان فاعطاه الامان وقدم به الى سر من رأى وقد حبس الافشين وكان حبسه سنة ٢٢٦ ثم توفي في الحبس وصلب على باب العامة بسر من رأى عريانا ساعة من نهار ثم أنزل فاحرق بالنار (١)

(١) قال ابو تمام الطائي يمدح المعتصم ويذكر احراق الافشين بقصيدة مطلعها :

الحق ابلج والسيوف عواري * فحذار من أسد العرين حذار

يقول فيها : —

ولقد شفى الأحشاء من برحائها * أن صار (بابك) جار مازيار

ثانيه في كبد السماء ولم يكن * لاثنين ثانٍ إذ هما في الغار

وكان الغالب على المعتصم احمد بن ابي دؤاد الأيادي قاضي القضاة ، والفضل ابن مروان الكاتب ثم غضب على الفضل فنفاه واستصفى ماله فغلب عليه محمد بن عبد الملك الزيات ؛ وكان على شرطه اسحاق بن ابراهيم ؛ وعلى حرسه عجيف بن عنبسة ثم الافشين ، ثم اسحاق بن يحيى بن معاذ ، وحجبه جماعة من الاتراك ، منهم وصيف وسيما الدمشقي ، وسيما الشرابي ، ومحمد بن حماد بن ﴿ دمس ﴾ وتوفي يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٢٢٧ وصلى عليه ابنه هارون ودفن في قصره المعروف بـ ﴿ الجوسق ﴾ وكانت سنه ٤٩ سنة ، وكانت ولايته ثماني سنين ، وخلف من الولد الذكور ستة ، هارون الواثق ، وجعفر المتوكل ومحمد ، واحمد ؛ وعلي ، والعباس .

أيام هارون الواثق بالله

وولي هارون الواثق بالله بن أبي اسحاق — وأمه أم ولد يقال لها قراطيس — يوم توفي المعتصم وهو يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٢٢٧ وكان من شهور العجم فى كانون الآخر ، وكانت الشمس يومئذ فى الجدي خمس عشرة درجة واثنتين وعشرين دقيقة .

وتوجه اسحاق بن ابراهيم ساعة بايع الى بغداد فسار ليلته أجمع ووافى بغداد قبل أن يطلع الفجر فوكل بالأطراف والسجون وأحضر القواد والوجوه فأخذ عليهم البيعة ؛ ووثب عوام الجند والغوغاء بشعيب بن سهل قاضي الجانب الشرقي ببغداد فانتهبوا داره فوجه اسحاق جعفر [معتشه] وابراهيم الدبزج وجماعة معهما فاخرجوا شعيب بن سهل حتى صاروا به الى دار اسحاق فاراد الواثق الحج في هذه السنة وصحت عزيمته فتأخر حجه وأذن لأمه فخرجت ومعها جعفر بن المعتصم فلما صارت بالكوفة توفيت ؛ وأذن الواثق لاخيه جعفر في النفوذ فنفذ وأقام الحج بالناس وكان أول من عقد له الواثق من قواده أشناس التركي ولاه من بابه الى آخر عمل المغرب فوجه

عماله وكتب الى محمد بن ابراهيم الأغلب بولاية المغرب من قبله وكان المدبر له احمد ابن الخصيب ؛ وولى الواثق خراسان ايتاخ التركي والسند وكور دجلة ، وكانت السند قد اضطربت وقتل عمران بن موسى بن يحيى بن خالد عامل السند فوجه ايتاخ الى السند عنبسة بن اسحاق الضبي فقدم البلد وقد تغلب عليه عدة ملوك فلما قدمها عنبسة سمعوا وأطاعوا وخرجوا اليه جميعاً خلا عثمان . . . . فسار اليه عنبسة (. . . . فأقام) على البلد تسع سنين .

ووثب ابن بيهس الكلابي بدمشق في جمع كثير من بطون قيس ووثب بفلسطين رجل يقال له تميم اللخمي ويعرف بابي حرب ويلقب بالمبرقع في لخم وجذام وعاملة وبلقين وصار الى كورة ﴿ الأردن ﴾ وخلع قوم من البربر ببرقة ومعهم قوم من قريش من بني أسيد بن ابي العيص ووثبوا بعاملهم محمد بن عبدويه بن جبلة فوجه الواثق رجاء ابن ايوب الحضاري فبدأ بدمشق فاوقع بابن بيهس فأسره وسار الى فلسطين فاوقع بتميم اللخمي وأسره وحمله الى سر من رأى فوقف بباب العامة ونودي عليه وصار رجاء الى مصر سنة ٢٢٨ فنزل الجيزة ثم توجه الى برقة فهرب من كان فيها وظفر بجماعة منهم فحملهم ثم انصرف .

وتوفي عبد الله بن طاهر بخراسان سنة ٢٣٠ وهو ابن سبع وأربعين سنة ومنزله منها بنيسابور ، وكانت ولايته اربع عشرة سنة وولى الواثق طاهر بن عبد الله ، وكان عبد الله بن طاهر قد ضبط خراسان ضبطاً ما ضبطها أحد ودانت له البلاد واستقامت عليه الكلمة .

وكانت بطون قيس قد عاثت فى طريق الحجاز وقطعوا الطريق حتى تخلف الناس عن الحج ونصبوا رجلاً من سليم يقال له عزيزة الخفاني وسلموا عليه بالخلافة فوجه الواثق بغا الكبير سنة ٢٣٠ وأمره أن يقاتل كل من وجده من الأعراب فشخص قبل أوان الحج فاجتمعت قيس من كل ناحية واكثرهم بنو سليم ورئيسهم عزيزة

فلقيهم فقاتلوه فقتل منهم خلقاً عظيماً وصلبهم على الشجر وأسر منهم عالماً حبسهم في دار يزيد بن معاوية بالمدينة فنقبوا وخرجوا على أهل المدينة فوثب عليهم أهل المدينة فقتلوا عامتهم وحمل بقيا الباقين فى الأغلال ووافى اسحاق بن ابراهيم الموسم في تلك السنة .

وسخط الواثق على ابراهيم بن رباح وكان ابراهيم مقدماً عنده بمكانه منه أيام إمرته فولاه ديوان الضياع فتشاغل باللهو وفوّض أمره الى نجاح بن سلمة كاتبه والى يمان ابن . . . . النصراني وتجافيا للناس عن أموال كثيرة فكثروا عليه عند الواثق وأمر بقبض ضياعه وأمواله وصير ما كان اليه الى عمر بن فرج الرخجي ، وكان احمد بن الخصيب كاتب أشناس التركي وهو يلي أعمال الجزيرة والشامات ومصر والمغرب ، والمدبر لذلك احمد فرفع الى الواثق أنه قد حاز أموالاً عظيمة فسخط عليه وقبض أمواله وأموال أخيه ابراهيم وعذبا وعذبت أمهما .

وتوفي أشناس في هذه السنة فصيرت مرتبته واكثر أعماله الى ايتاخ التركي وتركت ضياعه وأمواله بحالها لولده ورد القيام بها الى عبد الله بن صاعد فلم يزل يقوم بها الى أن توفي .

وانتقضت إرمينية وتحرك بها قوم من العرب والبطارقة والمتغلبين وتغلب ملوك الجبال والباب والأبواب على ما يليهم وضعف أمر السلطان فولى الواثق خالد بن يزيد ابن مزيد وأمره بالنفوذ وضم اليه كوراً من كور ديار ربيعة فسار في جيش عظيم فلما بلغ المتغلبين بتلك البلاد خبره هابوه وكتب اكثرهم يذكر أنه لم يزل في الطاعة ووجهوا بالهدايا فقال لا أقبل إلا هدية من جاءني فزاد ذلك في وحشتهم ، وكتب الى اسحاق بن اسماعيل يأمره أن يقدم عليه فلم يفعل فزحف اليه فكاد أن يعطى اسحاق بيده ، واعتل خالد فأقام أياماً ثم مات فحمل في تابوت الى دبيل فدفن فيها وتفرق أصحابه فعاد البلد الى اقبح احواله فولى الواثق محمد بن خالد مكان أبيه فكتب

محمد بذكر انصراف أصحاب أبيه وسأل ردهم اليه فوجه أحمد بن بسطام الى نصيبين فضرب وحبس وحرق الدور فاجتمع الى محمد أصحاب أبيه ومواليه فحاربوا الصفارية واسحاق حتى أخرجه وهزمهم ولم يزل ضابطاً للبلد .

وامتحن الواثق الناس في خلق القرآن فكتب الى القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان وأن لا يجيزوا إلا شهادة من قال بالتوحيد فحبس بهذا السبب عالماً كثيراً وكتب طاغية الروم يذكر كثرة من بيده من أسارى المسلمين ويدعو الى الفداء فاجابه الواثق الى ذلك ووجه بخاقان الخادم « . . . . » المعروف بأبي رملة والآخر جعفر بن احمد الحذاء وكان صاحب الجيش ، وولى الثغر احمد بن سعيد بن سلم الباهلي فصاروا الى موضع يقال له (نهر اللامس) على مرحلتين من طرسوس وحضر ذلك الفداء سبعون الف رامح سوى من ليس معه رمح ، وكان ابو رملة وجعفر الحذاء واقفين على قنطرة النهر فكلما مر رجل من الأسرى امتحنوه في القرآن فمن قال أنه مخلوق فودي به ودفع اليه ديناران وثوبان فبلغ عدة من فودي به خمسمائة رجل وسبعمائة امرأة ، وكان هذا في المحرم سنة ٢٣١ ، وصار احمد بن نصر بن مالك الخزاعي الى ابي دؤاد في بعض أموره فرده فانصرف ذاماً له فجعل يبسط عليه لسانه ويشهد عليه بالكفر فمال اليه قوم منهم وهم لا يشكون أن ذلك غضب للدين فاشرأبت قلوبهم المعصية لسبب القرآن ؛ وخرج قوم فضربوا بطبل وصاروا الى ناحية صحراء أبي السري فأخذوا وأقروا عليه فكتب الواثق الى اسحاق في إشخاصه فأشخصه اليه فكلمه بكلام غليظ وحضر قوم فشهدوا عليه بشهادات وامتحنه بالقرآن فابى أن يقول أنه مخلوق وشتمه الواثق فرد عليه فضرب عنقه وصلبه بسر من رأى ووجه برأسه فنصب ببغداد في الجانب الشرقي .

وخرج محمد بن عمرو الشيباني الخارجي بديار ربيعة وابو سعيد محمد بن يوسف بها فخرج اليه مع الجند ومحمد بن عمرو في ثلاث مائة أو أربعمائة من الخوارج فصار الى سنجار

ثم انهزم الى ناحية الموصل فتبعه ابو سعيد فاسره وادخله نصيبين على بغرة وحمله .... الى الواثق فكتب اليه ما ينبغي أن يقتل فانه لن يخرج خارجي ما دام حياً فلم يزل محبوساً أيام الواثق .

وفرق الواثق أموالاً جمة بمكة والمدينة وسائر البلدان على الهاشميين وسائر قريش والناس كافة ؛ وقسم في أهل بغداد قسماً كثيرة مرة بعد أخرى على أهل البيوتات وعلى عامة الناس وكثر الحريق ببغداد ، وفرق على قوم من التجار اموالا جمة وبنى لقوم وأسقط ما كان يؤخذ ممن يرد في بحر الصين من العشر .

وكان الغالب على الواثق احمد بن ابي دؤاد ، ومحمد بن عبد الملك ، وعمر بن الفرج الرخجي ، وكان على شرطه اسحاق بن ابراهيم ، وعلى حرسه اسحاق بن يحيى ابن سليمان بن يحيى بن معاذ ، واعتل الواثق فاشتدت علته حتى حفر له في الأرض حفيراً كالتنور ثم سخن بحطب الطرفاء وصير فيه مراراً ؛ وكان يقول في علته لوددت اني أقلت العثرة وأني حمال أحمل على رأسي ، وقيل له في البيعة لابنه فقال لا يراني الله أتقلدها حياً وميتاً ، وكان قد انتقل من قصور المعتصم وبنى له قصراً على شط دجلة يقال له ﴿ الهارونى ﴾ وجعل له دكتين دكة غربية ودكة شرقية ، وكان من أحسن القصور ، وكانت وفاته يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ وسنه يومئذ أربع وثلاثون سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وخلف من الولد الذكور ستة ؛ محمداً ، وعلياً ، وعبد الله ، وابراهيم واحمد ، ومحمداً الأصغر .

أيام جعفر المتوكل

وبويع جعفر بن المعتصم — وأمه أم ولد يقال لها شجاع — يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ ، وكان اول من بايعه سيما التركي المعروف بالدمشقي ووصيف التركي ؛ وركب الى دار العامة من ساعته ، وأمر باعطاء الجند ثمانية اشهر

وسلم عليه اولاد سبعة خلفاء مجتمعين ، منصور بن المهدي ، والعباس بن الهادي ، وابو احمد بن الرشيد ، وعبدالله بن الأمين ، وموسى بن المأمون ، وأحمد بن المعتصم واخوته ومحمد بن الواثق ، وأقر الأمور على ما كانت عليه أربعين صباحاً ثم سخط على محمد بن عبد الملك واستصفى أمواله وعذب حتى مات وكان يعتمد عليه بامور كثيرة ، وكان محمد رجلاً شديد القسوة قليل الرحمة جباهاً للناس كثير الاستخفاف بهم لا يعرف له إحسان الى أحد ولا معروف عنده ، وكان يقول الحياء خنث ، والرحمة ضعف والسخاء حمق ، فلما نكب لم يُر إلا شامت به وفرح بنكبته .

وكتب المتوكل الى علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام في الشخوص من المدينة وكان عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي قد كتب يذكر أن قوماً يقولون إنه الامام فشخص من المدينة وشخص يحيى بن هرثمة معه حتى صار الى بغداد فلما كان بموضع يقال له ﴿ الياسرية ﴾ نزل هناك وركب اسحاق بن ابراهيم لتلقيه فرأى تشوق الناس اليه واجتماعهم لرؤيته فأقام الى الليل ودخل به في الليل فاقام ببغداد بعض تلك الليلة ثم نفذ الى سر من رأى .

ونهى المتوكل الناس عن الكلام في القرآن ، وأطلق من كان في السجون من أهل البلدان ومن اخذ في خلافة الواثق فخلاهم جميعاً وكساهم جميعاً ، وكتب الى الآفاق كتباً ينهى عن المناظرة والجدل وأمسك الناس .

وسخط على عمر بن فرج الرخجي وعلى أخيه محمد وكان محمد بن فرج عامل مصر إذ ذاك فوجه كتاباً في حمله وقبضت أموالهما وكان ذلك في سنة ٢٣٣ وكان عمر محبوساً بسر من رأى فأقاما سنتين واعتل احمد بن ابي دؤاد من فالج فولى المتوكل ابنه محمداً المعروف بـ ﴿ أبي الوليد ﴾ مكانه وفي ذلك الوقت « . . . . » قال ابوالعيناء قد حبس لأنه بطل لسانه فكان لا يتكلم ، وسخط المتوكل على الفضل بن مروان وقبض ضياعه واموالة ونفاه ثم رضي عليه فردّه ، وسخط على احمد بن خالد المعروف

بـ ﴿ أبي الوزير ﴾ فاستصفى امواله فى سنة ٢٣٤ ثم رضي عليه ، ولما سخط المتوكل على الكتاب قال لاسحاق بن ابراهيم انظر لي رجلين احدهما لديوان الخراج والآخر لديوان الضياع فقال هما عندى يحيي بن خاقان وموسى بن عبد الملك بن هشام ؛ وكان يحيي محبوساً قبل اسحاق باموال كان يطلب بها من ولايته فارس وموسى محبوس ايضاً فاحضرهما فولى يحيي بن خاقان ديوان الخراج وموسى ديوان الضياع .

وأمر المتوكل أن يسلم الناس على ابنه محمد بالامرة ويدعى له على المنابر فكتب بذلك الى الآفاق وذلك فى ذي القعدة سنة ٢٣٤ ، واستأذن ايتاخ التركي فى الحج فى هذه السنة فاذن له فخرج فى أحسن زي واتصل بالمتوكل أنه كان على ايقاع الحيلة به فلما لم يمكنه ذلك طلب الحج فكتب الى جعفر بن دينار المعروف بـ ﴿ الخياط ﴾ — وكان عامل اليمن — بالمصير الى مكة وأن يأخذ ايتاخ بتعجيل الانصراف فلما صار الى مكة وافاه جعفر فانصرف الى العراق ووجه اليه سعيد بن صالح الحاجب فلقيه بالكوفة فلما قرب من بغداد تلقاه اسحاق فامره بنزع السواد والسيف والمنطقة وادخل بغداد فى قباء أبيض وعمامة بيضاء حتى صار به الى قصر خزيمة الذي على رأس الجسر فحبسه وقيده وقبضت ضياعه واموله وبعث بسليمان بن وهب وقدامة بن زياد كاتبيه وبابنه منصور الى بغداد حتى جمع بينه وبينهم فبكتوه ووبخوه بما كان منه وأمر ابنه منصور أن يبصق فى وجهه فابى وقال لأمير المؤمنين عبيد يأمرهم بما أحب فأقام عدة أيام ثم مات فطرح فى دجلة ؛ وقبض ما كان لهرثمة بن النصر عامل مصر لما تأدى الى المتوكل من مكاتبته ايتاخ ومطابقته إياه وصير ما كان الى ايتاخ من أعمال مصر الى أبي اسحاق ولما بلغ عنبسة بن اسحاق عامل ايتاخ على السند الخبر سار الى العراق فولى المتوكل مكانه هارون بن ابي خالد ولم يعرض لعنبسة .

وتوفي الحسن بن سهل هذه السنة وكان قد لزم منزله قبل ذلك فلم يكن يتصرف في شيء من أمور السلطان ، وكان محمد بن البعيث متغلباً على ناحية من آذربيجان

يقال لها ﴿ مرند ﴾ فنافره حمدويه بن علي عامل آذربيجان ثم . . (١) . . فحمله الى باب السلطان فلما قدم رفع على حمدويه بن علي فضرب حمدويه وأخذ باموال رفعت اليه وخلى سبيل ابن البعيث فأقام شهوراً وهرب من سر من رأى الى مرند وجمع اليه من كان بناحيته من الصعاليك وأظهر المعصية والخلاف فأخرج حمدويه بن علي من الحبس وولي البلد فسار اليه فحاربه فقتله وقوي امر ابن البعيث فوجه اليه زيرك التركي فحاربه ثم وجه اليه عتاب بن عتاب وكان البلد الى بغا الصغير فاقام يحاربه شهوراً ثم أعطاه الأمان فلما صار اليه حمله الى باب السلطان فحبس في يد اسحاق ، وذلك سنة ٢٣٥ فأقام في الحبس قليلاً ومات وحمل يحيى بن رواد ايضاً فصير له اسم وقيادة .

وفي هذه السنة أمر المتوكل بلبس أهل الذمة الطيالسة العسلية وركوبهم البغال والحمير بركب الخشب والسروج التي فيها الاكر ولا يركبوا الخيل والبراذين ويصيروا على أبوابهم خشباً فيها صورة الشياطين .

وبايع المتوكل بولاية العهد من بعده لابنه محمد ثم لابنيه ابي عبد الله المعتز بالله وابراهيم المؤيد بالله وأحضر وجوه الناس من كل بلد الى سر من رأى فاعطاهم على البيعة الجوائز وأعطى الجند لعشرة أشهر ووجه الخطباء ليخطبوا بذلك ، وحج محمد المنتصر في هذه السنة ومعه أم المتوكل ووقف بالناس في الموسم فكان محمود الأخلاق في طريقه « . . (٢) . . » الى كل واحد ممن ولاه العهد ناحية من الأرض فصير الى المنتصر مصر والمغرب وكاتبه احمد بن الخصيب ، وصير الى أبي عبد الله المعتز بالله خراسان والجبل وكاتبه احمد بن اسرائيل ، وصير الى ابراهيم المؤيد بالله الشامات وإرمينية وآذربيجان وكاتبه محمد بن علي المعروف .

(١) بياض في الأصل ولعله ثم (ظفر به) فحمله .

(٢) بياض في الأصل ولعله (وصير) الى كل واحد (الخ) (م ص)

وأمر المتوكل في هذا الوقت أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة فى شيء من عمل السلطان وأن تهدم الكنائس والبيع المحدثة ، ومنعوا من العمارة وكتب بذلك فى الآفاق

وتوفي اسحاق بن ابراهيم فصير الى ابنه محمد ما كان اليه من أعمال خراج طساسيج السواد واعمال مصر وكور دجلة وغير ذلك وزيادة أعمال (. . . . .) وفارس وخلع عليه سبعة أيام في كل يوم سبع خلع وعقد له ألوية كثيرة وكان عنده بافضل منزلة ، وأقر محمد عمال أبيه وكان كاتبه على الخراج علي بن عيسى بن (ازداد مرود) «١» وعلى الرسائل ميمون بن ابراهيم ، وعلى المظالم اسحاق بن يزيد قرابة هارون بن جيغويه ، ووجه الى فارس بالحسين بن اسماعيل مكان عمه محمد بن ابراهيم وأمره أن يعذبه حتى يستخرج الأموال التي صارت اليه فعذب حتى مات ، وكان عبد الواحد بن يحيى المعروف بـ ﴿ حوط ﴾ قرابة الطاهر على خراج مصر ومعاونها فاقره محمد بن اسحاق على جنده وأقام محمد بعد أبيه سنة ثم توفي فصير مكانه عبد الله بن اسحاق على الشرط فقط ، وأشخص كتاب محمد بن اسحاق الذين كانوا كتاب أبيه الى باب المتوكل فضرب عماله وأشخص علي بن عيسى كاتب اسحاق بن ابراهيم على طساسيج السواد من سر من رأى فولاه ديوان الخراج الأعظم فأقام عليه شهرين ثم صرفه ، وولى احمد بن محمد بن مدبر مكانه واستصفيت اموال الحسين واسماعيل ابنيه وأخذ احمد بن محمد بن مدبر عماله على طساسيج السواد فصالحهم على أموال عظيمة ، وولى احمد بن محمد بن مدبر سبعة دواوين ديوان الخراج والضياع والنفقات الخاصة والعامة والصدقات والموالي والغلمان والجند والشاكرية فوفر اموالاً عظيمة .

وقدم محمد بن عبد الله بن طاهر الى بغداد من خراسان سنة ٢٣٧ فصير اليه ما كان الى اسحاق بن ابراهيم وصيرت اعمال مصر الى عنبسة بن اسحاق الضبي من قبل المنتصر فلم يقم بمصر إلا شهوراً حتى أناخت الروم على دمياط في خمسة وثمانين

(١) كذا فى الأصل ولعله علي بن عيسى بن (جعفر بن المنصور) .

مركباً فقتلوا خلقاً من المسلمين وأحرقوا الفاً وأربعمائة منزل وكان رئيس القوم يقال له (قطوناريس) وسبوا من المسلمات الفاً وثمانمائة وعشرين امرأة ، ومن نساء القبط الف امرأة ، ومن اليهود مائة امرأة ، وأخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط وتهارب الناس فغرق في البحر نحو الفين وأقاموا يومين وليلتين ثم انصرفوا .

وسخط المتوكل على محمد بن الفضل كاتب ديوان التوقيع لأمر وقف عليه منه فصير مكانه عبيد الله بن يحيى بن خاقان ورفعه وأعلى مرتبته ومحله وولاه ، وأمره أن يكتب مولى امير المؤمنين وكان ولاؤه في الأزد ، وأمره أن يأمر كتاب الدواوين أن يؤرخوا الكتب باسمه فاستعفاه من ذلك غير أنه كان يولي عمال الخراج والضياع والبريد والمعاون والقضاة في جميع الدنيا ولم يكن لأحد معه عمل ، وكان مع ذلك محموداً عند الناس وصير اباه على المظالم ثم مات فصير مكانه عمه عبد الرحمان وسخط المتوكل على محمد بن احمد بن ابي دؤاد وعلى أبيه فولى يحيى بن اكثم التميمي قضاء القضاة وقبضت ضياع ابن ابي دؤاد وأمواله وأحضر الى بغداد فلم يقم إلا قليلا حتى مات . (١) . اكابر ولده وأقام يحيى قليلاً ثم ولى مكانه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ، وخرج المتوكل الى مدينة السلام سنة ٢٣٨ فنزل الشماسية في المضارب ثم دخل بغداد فشقها حتى خرج الى المدائن للنزهة .

واضطرب امر إرمينية وتحرك بها جماعة من البطارقة وغيرهم وتغلبوا على نواحيهم فولى المتوكل أبا سعيد محمد بن يوسف فخرج متوجهاً الى البلد ودعا بثيابه فلبسها ودعا بفرد خفه فلبسه وسقط ميتاً من غير علة ، فولى المتوكل ابنه يوسف فخرج حتى صار الى البلد وكاتب البطارقة فاجابه بعضهم وخرج بقراط بن اشوط اليه على الأمان فحمله الى المتوكل (و . . «٢» . . فحاربه سوان بن الف فقتله) وفسد البلد فوجه

«١» كذا في الأصل وفيه سقط ولعله (وحبس) اكابر ولده كما ذكره ابن الاثير

«٢» كذا في الاصل ، وفي تاريخ ابن الاثير في حوادث سنة ٢٣٧ —

المتوكل بغا الكبير فلما صار بأرزن أتاه موسى بن زرارة المتغلب على بدليس في الأمان فقيده وحمله الى المتوكل ثم صار الى موضع يقال له ﴿ الباق ﴾ فيه اشوط بن حمزة فحاصره ثم آمنه وحمله الى سر من رأى فضربت عنقه على باب العامة وصلب ، وكتب الى اسحاق بن اسماعيل المتغلب بتفليس أن يقدم عليه فكتب اليه أنه لم يخرج يداً من طاعة السلطان فان أراد الأموال أمده بها وإن اراد الرجال أنفذهم اليه وأن القدوم لا يمكنه فزحف اليه فحاربه وظفر به فضرب عنقه وحمل رأسه الى السلطان وزحف الى الصنارية فحاربهم فهزموه وفلوه فانصرف عنهم منهزماً وتتبع من كان أعطاه الأمان فاخذهم ، وهرب منهم جماعة وكاتبوا الروم وصاحب الخزر وصاحب الصقالبة واجتمعوا في خلق عظيم وكتب بذلك الى المتوكل فندب للبلد محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني فلما قدم سكن المتحركون وجدد لهم الأمان .

ووثب أهل حمص سنة ٢٤٠ واخرجوا عاملهم وكان أبا البعيث موسى بن ابراهيم فخرج الى حماة فوجه المتوكل عتاب بن عتاب ومحمد بن عبدويه بن جبلة وصير محمداً عامل البلد فسكنهم وأقام بديارهم عدة شهور ثم وثبوا فشغبوا عليه فسكنهم ومكر بهم فأخذ جماعة من وجوههم وأوثقهم في الحديد فحملوا الى باب المتوكل ثم ردوا اليه فضربهم بالسياط حتى ماتوا وصلبهم على ابواب منازلهم ، وتتبع رجال الفتنة فافناهم وولى المتوكل احمد بن محمد خراج دمشق والأردن وذلك إن كتاب الدواوين احتالوا

— أنه بعد أن حمل بقراط بن أشوط الى المتوكل « اجتمع بطارقة ارمينية مع ابن اخى بقراط بن أشوط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة وهو صهر بقراط على ابنته فاتى الخبر يوسف ونهاه أصحابه عن المقام بمكانه فلم يقبل فلما جاء الشتاء ونزل الثلج مكثوا حتى سكن الثلج ثم أتوه وهو بمدينة طرون فحصروه بها فخرج اليهم من المدينة فقاتلهم فقتلوه وكل من قاتل معه » وفسد البلد فوجه المتوكل (الخ) (م . ص)

عليه لخوفهم منه وقالوا إن البلد يحتاج أن يعدل ولا يقوم بالتعديل إلا من ولي ديوان الخراج فتوجه سنة ٢٤٠ يعدل دمشق والأردن وحمل كل أرض ما يستحقه .

وتوفي هارون بن ابي خالد عامل السند سنة ٢٤٠ وكتب عمر بن عبد العزيز السامي المنتمي الى سامة بن لؤي صاحب البلد هنالك يذكر إنه إن ولي البلد قام به وضبطه فاجابه الى ذلك فاقام طول أيام المتوكل .

ووجه طاغية الروم برسل وهدايا وكانت يسيرة فبعث اليه باضعافها ووجه شنيفا الخادم وكان يقوم بامنائه فعقد له على الفداء فقدم طرسوس سنة ٢٤١ وعامل الثغور احمد بن يحيى الأرمني وخرج الى القنطرة اللامس فنادى بالأسرى وكان قد حمل من كل بلد من فيه من أسرى الروم واشترى عبيد النصارى .

وبنى المتوكل قصوراً أنفق عليها أموالاً عظاماً منها الشاه ، والعروس ، والشبداز والبديع ، والغريب ، والبرج ، وأنفق على البرج الف الف وسبعمائة الف دينار وكان انقضاض الكواكب ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة ٢٤١ ولم تزل تنقض من أول الليل الى طلوع الفجر ، وكانت الزلازل بقومس ونيسابور وما والاها سنة ٢٤٢ حتى مات بقومس خلق كثير ، ونالتهم رجفة يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان فمات فيها زهاء مائتي الف ، وخسف بعده مدن بخراسان ونال أهل فارس في هذا الشهر شعاع ساطع من ناحية القلزم ورهج أخذ بأكظام الناس فمات الناس والبهائم واحترقت الأشجار ، ونال أهل مصر زلزلة عمت حتى اضطربت سواري المسجد وتهدمت البيوت والمساجد ، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة .

وعزم المتوكل على المسير الى دمشق ووصف له برد هوائها وكان محروراً فكتب الى محمد بن احمد بن مدبر يأمره باتخاذ القصور وإعداد المنازل ، وكتب في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافد ، وسار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ ونزل دمشق يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة ٢٤٤ فنزل

تلك القصور فاقام ثمانية وثلاثين يوماً وبلغه عن بعض الموالي من الاتراك أمر كرهه فشخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة إلا في نزهة ، ولم ير في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة أحد ؛ وأصابت الشأم كله زلازل حتى ذهبت اللاذقية وجبلة ومات عالم من الناس حتى خرج الناس الى الصحراء وأسلموا منازلهم ومافيها واتصل ذلك شهوراً من سنة ٢٤٥ ؛ وانتقل المتوكل الى موضع يقال له ﴿ الماحوزة ﴾ (١) على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى وبنى هناك مدينة سماها ﴿ الجعفرية ﴾ وحفر فيها نهراً من القاطول ونقل الكتاب والدواوين والناس كافة اليها وبنى فيها قصراً لم يسمع بمثله وذلك في المحرم سنة ٢٤٦ وسخط على نجاح بن سلمة الكاتب ، وكان أغلب كتابه عليه بعد عبيد الله بن يحيى ؛ وكان لا يزال يتنضخ بأموال الناس فسلمه الى موسى بن عبد الملك بن هشام صاحب ديوان الخراج والى الحسن بن مخلد بن الجراح صاحب ديوان الضياع وكانا قد ضمناه بألفي الف دينار فعذبه موسى بن عبد الملك اياماً فتوفي في يده فقبضت ضياعه ودوره وأمواله ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٢٤٦ .

وكان المتوكل جفا ابنه محمداً المنتصر فاغروه به ودبروا على الوثوب عليه فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧ دخل جماعة من الاتراك منهم بغا الصغير وأوتامش ، صاحب المنتصر ، وباغر ، وبغلوا ، ويرمد ، وواجن ، وسعلفه ، وكنداش ، وكان المتوكل في مجلس خلوة فوثبوا عليه فقتلوه بأسيافهم وقتلوا الفتح ابن خاقان معه ، وكانت خلافة المتوكل اربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام ، وسنه اثنتين واربعين سنة ؛ ودفن في قصره المعروف بالجعفري الذي كان سماه الماحوزة (٢)

(١) بالحاء المهملة والزاء المعجمة وفي تاريخ ابن الأثير والمعجم بالخاء المعجمة والراء المهملة . (م . ص)

(٢) قد ذكرنا أن ابن الاثير والحموي اورداه بالخاء المعجمة والراء المهملة .

وكان الغالب عليه الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الكاتب ، وكان صاحب شرطه اسحاق بن ابراهيم وبعده محمد بن اسحاق ؛ وبعده محمد بن عبد الله بن طاهر وكان صاحب حرسه اسحاق بن يحيى بن معاذ ؛ وبعده رجاء بن ايوب ، ثم سليمان بن يحيى بن معاذ ، وكان حجابه وصيف وبغا .

أيام محمد المنتصر

وبويع محمد المنتصر بن جعفر المتوكل — وأمه أم ولد يقال لها حبشية رومية — في الليلة التي قتل فيها ابوه وهي ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة ٢٤٧ .

وكانت الشمس يومئذ في العقرب خمس عشرة درجة واثنتين وخمسين دقيقة ، والقمر في الميزان ستاً وعشرين درجة واربع دقايق ؛ وزحل فى السنبلة إحدى وعشرين درجة وعشرين دقيقة ، والمشتري فى الثور درجتين وخمساً وثلاثين دقيقة ، والمريخ فى القوس خمساً وعشرين درجة ودقيقتين ؛ والزهرة في العقرب درجتين وخمساً وعشرين دقيقة وعطارد في العقرب ثلاث درج واثنتين وعشرين دقيقة .

واحضر اخويه ابا عبد الله المعتز بالله وابراهيم المؤيد فاخذ عليهم البيعة وعلى جميع من حضر من الناس ، وركب الى دار العامة ، وأعطى الجند رزق عشرة أشهر وانصرف من الجعفري الى سر من رأى وأمر بتخريب تلك القصور فنقل الناس عنها وعطل تلك المدينة فصارت خراباً ورجع الناس الى منازلهم بسر من رأى ، وخلع اخويه المعتز والمؤيد وأشهد عليهما بخلعهما أنفسهما ، ونقل احمد بن محمد بن المدبر عن الشأمات الى مصر ، وفرقت أعمال الشامات على جماعة ، وكان الغالب عليه اوتامش واحمد بن الخصيب ، وكانت خلافته ستة أشهر ، وتوفي يوم السبت لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨ ، وكانت سنه خمساً وعشرين وستة أشهر .

* *
*

أيام أحمد المستعين

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو يوم السبت لاربع خلون من شهر ربيع الآخر .

وكانت الشمس يومئذ في الجوزاء خمس عشرة درجة واحدى عشر دقيقة ، وزحل في السنبلة ست عشرة درجة وسبع دقايق ، والمشتري في الجوزاء خمس عشرة درجة وسبع دقايق ، والمشتري في الجوزاء خمس عشرة درجة ، والمريخ في الجوزاء ثلاث درج وسبعاً وعشرين دقيقة ، والزهرة في السرطان اربع عشرة درجة واثنتين وعشرين دقيقة ، وعطارد في السرطان أربع درجات واثنتين وعشرين دقيقة ، ولم يكن يؤهل للخلافة ولكنه لما توفي المنتصر استوحش الأتراك من ولد المتوكل وخشوا سوء العاقبة فأشار عليهم أحمد بن الخصيب أن يبايعوا احمد بن محمد بن المعتصم فبايعوه وأنكر بعض القواد البيعة وجرى بين الأتراك والأبناء منازعات حتى تحاربوا ثلاثة ايام ثم ضعف أمر الأبناء ، وفرّق المستعين في الناس اموالاً كثيرة واستقامت أموره .

وغلب على أمره اوتامش التركي ، وشجاع بن القاسم كاتب اوتامش ، واحمد ابن الخصيب حتى لم يبق لأحد معهم أمر ، ثم تحامل الأتراك على احمد بن الخصيب فسخط المستعين عليه ونفاه الى المغرب بعد اربعة اشهر من ولايته فحمل في البحر الى اقريطش ثم حمل الى القيروان .

ولم يكن أصحاب المستعين لأحد أخوف منهم لصاحب خراسان ، وتوفي طاهر بن عبد الله بن طاهر في رجب سنة ٢٤٨ وهو ابن اربع واربعين سنة فافرخ روعهم ودبروا أن يخرجوا محمد بن عبد الله من العراق الى خراسان فقال له المستعين إن ينفذ الى خراسان فقال إن أخي قد أوصى الى ابنه ولا آمن أن يكون في خروجي فساد البلد وكتب المستعين الى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بولاية خراسان مكان أبيه ، وخرج ابو العمود الشاري بديار ربيعة في هذه السنة فوجه اليه المستعين منكجور الفرغاني فواقعه فقتله

وفرق جمعه ، ولما توفي طاهر وولي محمد ابنه — وكان يوم وُلي حدث السن — تحرك قوم بخراسان من الشراة وغيرهم وكثرت الشراة حتى كادوا ان يغلبوا على سجستان فقام له يعقوب بن الليث ويعرف بالصفار من أهل البأس والنجدة فسأل محمد ابن طاهر أن يأذن له فى الخروج الى الشراة وجمع المطوعة فاذن له في ذلك فسار الى سجستان فنفى من بها من الشراة ثم زحف الى كرمان ففعل كذلك حتى نقى البلاد منهم فعظم شأنه فكتب المستعين الى محمد أن يوليه كرمان فاقام بها وأحسن أثره في البلاد

ووثب بالأردن رجل من لخم فطلبه صاحب الأردن فصار الى ﴿ باباسق ﴾ وهرب فقام مكانه رجل من عماله يعرف بالقطامي وكثف جمعه فجبى الخراج وكسر جيشاً بعد جيش أنفذهم اليه صاحب فلسطين فلم تزل هذه حاله حتى قدم مزاحم بن خاقان التركي في جمع من الأتراك وغيرهم ففرق جمعهم ونفاهم عن البلاد .

ووثب أهل حمص بعاملهم كيدر بن عبد الله الأشروسني فخرج اليهم في جماعة من الجند فهزموهم ولحق بحماة وقتلوا من الجند جماعة وصلبوهم فولى المستعين عبد الرحمان ابن حبيب الأزدي حمص فخرج متوجهاً اليه فلما كان على أربع مراحل منها توفي فولى الفضل بن قارن الطبري فقدم البلد فتلقاه أهله بالسمع والطاعة وشكوا قبح ما كان يعاملهم به كيدر فدخل المدينة فأقام أياماً والبلد ساكن ثم بلغه أنهم يريدون الوثوب عليه فأخذ جماعة منهم فضرب أعناقهم ، ونفى المستعين عبيد الله بن يحيى الى مكة ثم نفاه منها الى برقة وكان ذلك في أول سنة ٢٤٩ .

ووثب الجند بسر من رأى مرة بعد أخرى وتحاربوا وتحاملوا على اوتامش وقالوا أخذ أرزاقنا وأزال مراتبنا ، وخرجت عصبة من الاتراك والموالي الى الكرخ فخرج اليهم اوتامش ليسكنهم فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٩ ونهبت دورهما فوقع ذلك بموافقة المستعين وكتب الى الآفاق بلعنه .

ووجه المستعين جعفراً الخياط لغزو الصائفة سنة ٢٤٩ ومعه عمر بن عبد الله الاقطع

عامل ملطية فلما دخل الى بلاد الروم استأذنه عمر أن يوغل وكان فى ثمانية آلاف فأحاط به العدو فأصيب هو ومن معه فى رجب سنة ٢٤٩ ؛ وولى المستعين علي بن يحيى الأرمني إرمينية فى هذه السنة وكان أمرها قد اضطرب فصار الى ميا فارقين وأغارت الروم وتوسطت بلاد المسلمين فاجتمع قوم من أهل ذلك البلد الى علي بن يحيى فكلموه فى لقاء الروم ورفعوه فخرج معهم فلقي عسكر الروم فقاتل قتالاً شديداً فقتل وأخذ الروم بدنه وعدوه فتحاً عظيماً لما كان قد أشجاهم .

ووثب أهل حمص بالفضل بن قارن الطبري عاملهم في هذه السنة واستجاشوا عليه باحياء كلب فتحصن منهم بقصر خالد بن يزيد بن معاوية وقد كان جدده فحاصروه وغاله من كان معه وأسلمه فاخذوه وذبحوه وصلبوه على باب الرستن ؛ ولما قتلوه خافوا عامل دمشق فزحفوا اليه وهو نوشري بن طاجيل التركي فوجه اليهم بعسكر من البابكية وغيرهم فهزموهم وانصرفوا الى حمص ، ووجه المستعين موسى بن بغا الكبير فى ستة آلاف من الموالي الى حمص فلما بلغها خرج اليه رجل يقال له ﴿ دابر العفار ﴾ فى خلق عظيم من كلب وغيرهم فحاربه فكانت عليهم ودخل موسى حمص عنوة وأباحها ثلاثة أيام فانتهبت وطرحت النار فى منازلها فانتهبت أموال التجار ؛ وكان الواثب بحمص الغطيف بن نعمة الكلبي .

ووثب ايضاً بالمعرة المعروف بـ ﴿ القصيص ﴾ وهو يوسف بن ابراهيم التنوخي فجمع جموعاً من تنوخ وصار الى مدينة قنسرين فتحصن بها فلم يزل بها حتى قدم محمد المولد مولى أمير المؤمنين فاستماله واستمال غطيف بن نعمة وصار اليه ثم وثب بغطيف بن نعمة فقتله وهرب القصيص فصار الى جبل الأسود واجتمعت قبائل كلب بناحية حمص على الامتناع على المولد فسار اليهم فواقعهم فكانت عليهم ثم ثابوا عليه فهزموه وقتلوا خلقاً عظيماً من أصحابه وانصرف الى حلب فى فله ورجع القصيص الى قنسرين وجرت بينه وبين كلب محاربة وعزل المولد وولى ابو الساج الأشروسني ، وكتب الى القصيص

يؤمنه وصير اليه الطريق والبذرقة ثم ولاه اللاذقية ونحوها .

وكان يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام بسر من رأى فاتى بعض الولاة في حاجة فلقيه بما لا يحب فخرج الى الكوفة واجتمع اليه الناس فوثب بالكوفة وفتح الحبس وأطلق من كان فيه وأخرج عامل الكوفة وقوي أمره وكثر أتباعه فوجه المستعين رجلاً من الأتراك يقال له كلكاتكين ووجه محمد بن عبد الله بن طاهر بالحسين بن اسماعيل قرابته وزحف يحيى ابن عمر في خلق عظيم وجماعة كثيرة فالتقوا بموضع يقال له ﴿ شاهي ﴾ بين الكوفة وبغداد لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ٢٤٩ فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم اصحاب يحيى عنه وقتل في المعركة وحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فوضع بين يديه في ترس ودخل الناس يهنونه فقال له رجل من بني هاشم إنك لتهنأ بما لو كان رسول الله حاضره لعزي به .

ووثب جند فارس في هذه السنة بعاملهم الحسين بن خالد فشغبوا عليه ووثبوا على مال قد حمل فاخذوا أرزاقهم منه وكان رئيسهم علي بن الحسين بن قريش البخاري وكانت فارس مضمومة الى محمد بن عبد الله بن طاهر فلما بلغه الخبر ولى عبد الله بن اسحاق فشخص اليها في عُدة وعدد فلما قدمها أعطاه الجند الطاعة وكان قصده ابن قريش فناله بالمكروه ثم رضي عنه وولاه محاربة قوم من الخوارج بناحية الفرش والروذان وهو الحد بين فارس وكرمان فصار ابن قريش الى ناحية اصطخر ؛ وكاتب الجند وأعلمهم أنه على الوثوب بعبد الله بن اسحاق فانجدوه على ذلك لسوء سيرة عبدالله فيهم ومنعه إياهم ارزاقهم ، ورجع علي بن الحسين فوثب به وأخرجه من منزله وانتهب امواله ومتاعه وأمروا علي بن الحسين عليهم وانصرف عبد الله الى بغداد فوجه محمد بن عبد الله بن نصر بن حمزة الخزاعي فلما قدم تألف علي بن الحسين فلم يصلح وأقام منافراً له في ناحية من كور فارس .

ووثب اسماعيل بن يوسف الطالبي بناحية المدينة لسبب كان بينه وبين الوالي بها وتحامل عليه في وقف كان له وجمع لفيفاً من الأعراب ثم نفذ الى ناحية الزوحاء فاخذ مالاً للسلطان وكان حمل من بعض المواضع ثم صار الى مكة وجعفر بن الفضل المعروف بـ ﴿ بشاشات ﴾ العامل بها فواقعه فهزم بشاشات ودخل مكة وأقام ثلاثاً ثم دفع الى المزدلفة وصبّح منى وقد تهارب الناس ودخل من كان مع ابن يعقوب مكة فقدر أهلها أنهم أصحاب اسماعيل فلقوهم بالسيوف فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأقبل اسماعيل الى مكة فمنعه أهل مكة من الدخول فوضع أصحابه السيوف فيهم حتى دخل وطاف وسعى ورجع وطاف ثم صار الى منى ، وكان بمكة رجل يقال له محمد بن حاتم على نفقات المصانع فقال ليعقوب أقلع ما على درو ندى البيت والعتبة من الذهب والفضة وأعطه الناس وحارب اسماعيل فقلع ذلك الذهب وأقام اسماعيل بمنى أيام منى ثم انصرف .

(. . . .) وغلت الأسعار ببغداد وبسر من رأى حتى كان القفيز بمائة درهم ودامت الحرب وانقطعت المـيرة وقلت الأموال فجرت السفراء بينهم سنـة ٢٥٢ فدعا المستعين الى الصلح على أن يخلع نفسه ويسلم الأمر الى المعتز ويصير الى بلد فيقيم فيه آمناً على نفسه وولده على أن يدفع اليه مال معلوم وضياع تقيمه فاجيب الى ذلك فخلع نفسه وبايع محمد بن عبد الله ، وكتب المستعين كتاب الخلع على نفسه وأشهد بذلك وصار الى واسط بامه وولده وسائر اهله ليجعلها دار مقامه .

أيام المعتز بالله

وبويع ابو عبد الله المعتز بالله بن المتوكل — وأمه أم ولد يقال لهـا قبيحة — بسر من رأى يوم الخميس لسبع خلون من المحرم سنة ٢٥٢ ؛ وكتب الى جميع العمال بذكر ما تقدم من العقد لابراهيم المؤيد ويأمرهم بالدعاء له بعده ، وبايع عمال البلاد للمعتز لما علموا مبايعة محمد بن عبد الله بن طاهر ومن ببغداد ، وتوقف ابن مجاهد صاحب شمشاط ؛ وعيسى بن شيخ في فلسطين ويزيد بن عبد الله في مصر ، وعمران بن مهران

باصبهان ، ووجه المعتز حاتم بن زريك الى شمشاط فاوقع بابن مجاهد وأهلها وأخذه وجماعة من وجوهها الى آمد فضرب اعناقهم .

وزحف نوشري بن طاجيل التركي عامل دمشق الى عيسى بن شيخ وزحف اليه عامل فلسطين عيسى فالتقيا بالأردن وكانت بينهما حروب صعبة قتل فيها ابن نوشري وانهزم الجند عن عيسى فتركوه وحده فانهزم الى فلسطين فحمل منها ما قدر عليه وسار الى مصر ودخل نوشري الرملة ، ووجه المعتز برجل من الأتراك الى مصر بالبيعة فاحتبسه يزيد بن عبد الله عامل مصر بالعريش اياماً ثم أذن له في الدخول وبايع هو ومن بحضرته وعيسى بن شيخ للمعتز ، ووجه المعتز برجل من الأتراك يقال له محمد بن المولد الى فلسطين لما انتهى اليه خبر عيسى بن شيخ وما كان بينه وبين النوشري فلما صار محمد بن المولد بحمص وقد كان تغلب عليها خطيف الكلبي فدعاه الى الطاعة وأعطاه الأمان فاجابه فلما صار في يده ضرب عنقه فوثبت به كلب من كل جانب فهزموه وصار محمد بن المولد الى فلسطين فلما قدمها انصرف النوشري عنها ، وسار عيسى بن شيخ من مصر مستعداً فلما وافى فلسطين نزل قصراً كان بناه بين الرملة ولد ولم يمكن ابن المولد فيه فرصة وحذر كل واحد منهما من صاحبه ثم انصرفا جميعاً الى العراق ، ووجه مزاحم بن خاقان الى ملطية وقد ظهر فيها الروم عدة مرار ، ووثب بمصر رجل من كنانة يقال له جابر ويعرف بأبي حرملة (. . . .) فوجهه الى أسفل الأرض وقام هو موضعه فكثف جمعه وجبي الخراج .

وكان صفوان العقيلي قد وثب بديار مضر في أيام المستعين على ما ذكرنا من أمره ودعا للمعتز وحارب محمد بن داود المعروف بـ ﴿ ابن الصغير ﴾ فلما استقامت الكلمة وبايع من كان بالرافقة من العمال كتب محمد بن الأشعث الخزاعي صاحب البريد بديار مضر الى المعتز يذكر سوء مذهب صفوان وانه منطو على المعصية فوجه اليه المعتز بسيما الصعلوك ليحمله الى بابه ، وكان قد تحرك بحران في ذلك الوقت رجلان

أحدهما من ولد ابي لهب ، والآخر اموي ودعا كل واحد الى نفسه فبدأ سيما بهما حتى أخذهما ثم صار الى الرافقة وقد وثب صفوان العقيلي على محمد بن الأشعث الخزاعي فقتله فلقي سيما ابن عبدوس فكانت بينهما وقعات ثم دعا ابن عبدوس الى الصلح على أن يولى بلده ويدفع اليه تسعمائة الف درهم ، وأقام موسى بن بغا بهمذان ووجه خليفة له الى ناحية الكوكبي ابن الأرقط فكانت بينهما وقعات ، وزحف موسى الى عمران بن مهران المتغلب باصبهان فحاربه ثم انصرف واستخلف على البلد ورجع الى همذان .

وتوفي محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد في ذي القعدة سنة ٢٥٣ وكتب المعتز الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولايته على ما كان أخوه يتولاه من الشرطة وسائر الأعمال ، وكانت سن محمد يوم مات اربعاً واربعين سنة ، ثم وجه طاهر بن محمد ابن عبد الله بن طاهر صاحب خراسان سليمان بن عبد الله عمه لما بلغه اضطراب الاحوال وغلبة وصيف وبغا وغيرهما من الأتراك على أمر الخلافة ﴿ فيقال ﴾ إن المعتز كتب اليه في ذلك فصار سليمان الى بغداد في خلق كثير من جند خراسان ثم دخل الى سر من رأى والناس لا يشكون في أنه سيغلب فخلع عليه ودبره وصيف وبغا أن ينحياه فأمر بالرجوع الى بغداد فقدمها يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٤ .

وأغزى بغا عيسى بن شيخ الى جند فلسطين ورصده الاتراك ليقتلوه بابن توشري الذي كان قتله بالأردن فخرج مستتراً في يوم مطير في خيل جريدة حتى فاتهم وصار الى فلسطين فوجد بها اموالاً قد حملت من مصر فاحتبسها وفرض فروضاً من العرب وجمع اليه خلقاً من ربيعة ، وصار الى كلب وابتنى خارج مدينة الرملة حصناً سماه ﴿ الحسامي ﴾ .

ولما كثر الاضطراب تأخرت أموال البلدان ونفد ما في بيوت الأموال فوثب الاتراك بكرخ سر من رأى فخرج اليهم وصيف ليسكنهم فرموه فقتلوه وحزوا رأسه

في سنة ٢٥٣ وتفرّد بغا بالتدبير ثم تحرك صالح بن وصيف واجتمع اليه أصحاب أبيه فصار في منزلته ، وضعف أمر المعتز حتى لم يكن له أمر ولا نهي وانتقضت الاطراف وخرج بديار ربيعة رجل من الشراة يقال له مساور بن عبد الحميد ويعرف بأبي صالح من بني شيبان ثم صار الى الموصل فطرد عاملها وسار حتى قرب من سر من رأى ونزل في المحمدية (ثلاثة فراسخ من قصور الخليفة) فدخل القصر وجلس على الفرش ودخل الحمام وندب له المعتز قائداً وجيشاً بعد قائد وجيش وهو يهزمهم حتى كثف جمعه واشتدت شوكته .

وتوفي مزاحم بن خاقان لخمس خلون من المحرم سنة ٢٥٤ وصار مكانه ابن له يقال له أحمد فلم يقم إلا أياماً حتى اشتدت به العلة وتوفي ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر وتوفي في شهر ربيع الآخر وصار على البلد ارخوز بن اولغ طرخان التركي .

وفاة الامام علي الهادي عليه السلام

وتوفي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بسر من رأى يوم الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ وبعث المعتز بأخيه ابي أحمد بن المتوكل فصلى عليه في الشارع المعروف بشارع ابي احمد فلما كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجيجهم فرد النعش الى داره فدفن فيها وسنه أربعون سنة وخلف من الولد الذكور اثنين الحسن وجعفراً .

وتنكر المعتز لبغا وآثر صالح وبابكباك وصير الى بابكباك أعمال المعاون بمصر فولاها بابكباك من قبله أحمد بن طولون ، فقدم احمد بن طولون الفسطاط في شهر رمضان سنة ٢٥٤ وبلغ المعتز أن بغا قد عزم على الوثوب به فدبر على قتله فلما بلغه ذلك هرب فصار الى ناحية الموصل وهو يقدر أن اكثر الاتراك وغيرهم سيلحقونه فلم يلحقه أحد فصرف راجعاً في زورق فاخذه أصحاب المسالح وكوتب المعتز بخبره فأمر بضرب عنقه فضربت عنقه ونهبت داره ونفى ابنه فارس الى المغرب في سنة ٢٥٤ ، ولما خاف المعتز

وثوب الأتراك أشخص من كان بسر من رأى من الهاشميين من أولاد الخلافة وغيرهم الى بغداد لئلا يخلص الأتراك احداً منهم .

وتلاحى احمد بن طولون وأحمد بن المدبر وهو عامل الخراج بمصر وأفسد بينهما شقير الخادم المعروف بأبي صحبة فكان شقير يتولى البريد وضياعاً من ضياع الأقطار وما يستعمل للسلطان من المتاع (واليه ينسب الدبيقي الشقيري) وكتب كل واحد منهما في صاحبه فنصر بابكباك احمد بن طولون ، وكان بابكباك الغالب على أمر الخليفة وأعانه الحسن بن مخلد بن الجراح وابو نوح عيسى بن ابراهيم بن نوح فكتب بعزل ابن المدبر وتولية رجل من أهل مصر يقال له محمد بن هلال فتولى الخراج وقبض ابن طولون على ابن المدبر فقيده وألبسه جبة صوف ووقفه في الشمس فأقام بهذه الحال ثلاثة أشهر .

وقوي أمر يعقوب بن الليث الصفار فسار الى فارس وبها علي بن الحسين بن قريش متغلب فهزم جيشه وأسره وتغلب على فارس .

ووثب صالح بن وصيف التركي على احمد بن اسرائيل الكاتب وزير المعتز وعلى الحسن بن مخلد صاحب ديوان الضياع وعلى عيسى بن ابراهيم بن نوح وعلي بن نوح فحبسهم وأخذ أموالهم وضياعهم وعذبهم بأنواع العذاب وغلب على الأمر فهم المعتز بجمع الاتراك ثم دخل اليه فازاله من محبسه وصير في بيت وأخذ رقعته بخلعه نفسه وتوفي بعد يومين ، وصلى عليه المهتدي ؛ وكان ذلك يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ ؛ وكانت ولايته من يوم بويع الى يوم خلع فيه نفسه اربع سنين وتسعة أشهر ، ومنذ خلع المستعين وبايع له من ببغداد ثلاث سنين وسبعة أشهر وكان سنه اثنتين وعشرين سنة ، وخلف من الولد الذكور ثلاثة ، عبد الله ومحمد ، والمهتدي .

﴿ ٥ ﴾

أيام محمد المهتدي بن هارون الواثق

واجتمع القواد أنه ليس في أولاد الخلفاء أفضل ولا أعقل من محمد بن الواثق — وأمه أم ولد يقال لها قرب — وكان ممن اشخص الى بغداد في أيام المعتز فأشخص فلما قدم بايعوه فاجتمعت كلمتهم عليه وكانت البيعة له يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ وجلس للناس يوم الخميس بعد أن بويع له ؛ وذكر في الكتب خلع المعتز نفسه وسماه ﴿ خالع نفسه ﴾ وظهرت من المهتدي سيرة حسنة ومذاهب محمودة ، وجلس للمظالم بنفسه ، وباشر الأمور بجسمه ، ووقع في القصص بخطه ، وأبطل الملاهي وقدم أهل العلم ، وأقام يلبس اليوم الواحد لبسة فتقيم عليه أياماً كثيرة لا يغيرها وكان صالح وبابكباك الغالبين عليه ؛ وأخرج صالح احمد بن اسرائيل وعيسى بن ابراهيم بن نوح من الحبس الى باب العامة فضربا حتى ماتا ، وأفلت الحسن بن مخلد وردّ احمد بن المدبر الى خراج مصر فأقاما تسعين يوماً ثم ورد كتاب بابكباك الى احمد ابن طولون بازالة ابن المدبر ورد النظر الى محمد بن هلال ففعل ذلك .

ووثب أهل حمص بمحمد بن اسرائيل فخرج هارباً ولحقه ابن عكار فكانت بينهما وقعات قتل فيها ابن عكار ورجع ابن اسرائيل على البلد وأخرج قبيحة أم المعتز وأبا احمد واسماعيل ابني المتوكل وعبد الله بن المعتز الى مكة ، ثم ردوا الى العراق وكتب الى جميع المتحركين والمتغلبين بالأمان ، وكتب الى عيسى بن شيخ الربعي بمثل ذلك وأمره بحمل ما قبله من أموال مصر وغيرها فامتنع فكتب الى ابن طولون بالمسير اليه فسار اليه فلما وصل بالعريش ورد عليه الكتاب بالانصراف فانصرف ولم يلق حربا ، ولقي ابن شيخ أماجور التركي عامل دمشق فهزمه أماجور وقتل ابنه منصوراً ورجع ابن شيخ فحمل عياله الى صور وتحصن بها .

ووثب رجل من الطالبيين يقال له ابراهيم بن محمد من ولد عمر بن علي ويعرف بـ ﴿ الصوفي ﴾ بناحية صعيد مصر ، ووثب ايضاً في تلك الناحية رجل يقول إنه

عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فحارب السلطان ؛ وقوي أمر صاحب البصرة وصار الى الأبلة فاخربها ، ووقعت بين أهل البصرة العصبية حتى أحرق بعضهم منزل بعض .

وتنكر المهتدي للأتراك وعزم على تقديم الأبناء فلما علموا بذلك استوحشوا منه وأظهروا الطعن عليه فاحضر جماعة منهم فضرب أعناقهم وفيهم بابكباك رئيسهم فاجتمع الأتراك وشغبوا فخرج اليهم المهتدي في السلاح معلقاً في عنقه المصحف واستنفر العامة وأباحهم دماءهم وأموالهم ونهب منازلهم فتكاثر الأتراك عليه وافترقت عنه العامة حتى بقي وحده وأصابته عدة جراح ومر منصرفاً حتى دخل دار رجل من القواد يقال له أحمد بن جميل ولحقوه فاخذوه وحملوه على دوابه وجراحاته تنطف دماً فدعوه الى أن يخلع نفسه فابى ومات بعد يومين ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ وكانت خلافته سنة إلا أحد عشر يوماً .

أيام أحمد المعتمد على الله

وبويع أحمد المعتمد (١) على الله بن جعفر المتوكل في اليوم الذي قتل فيه المهتدي وهو يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ ، ومن شهور العجم حزيران ؛ وكانت الشمس يومئذ في الأسد سبعاً وعشرين درجة وثماني وعشرين دقيقة والقمر في الدلو ثماني درج واثنتين وعشرين دقيقة ؛ وزحل في القوس خمساً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمريخ في الأسد ثلاث درج واربعين دقيقة ؛ والزهرة

(١) ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد تسمى فتيان وتوفي ببغداد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩ وبويع قبل يوم من وفاته المعتضد احمد بن طلحة الموفق وأمه أم ولد تسمى حفير وتوفي سنة ٢٨٩ وله سبع واربعون سنة فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر و ٢٢ يوماً قاله المسعودي في التنبيه والاشراف ص ٣١٨ — ٣١٩ — ٣٢٠ — من طبع مصر .

(م . ص)

في الأسد درجة واربعاً وأربعين دقيقة ، وعطارد في الجوزاء تسع درج وثلاثاً وثلاثين دقيقة ، وصير المعتمد عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيراً وقلده أموره ، وكتب بالبيعة الى الآفاق فبايع بخراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وبكور الفرات مالك ابن طوق التغلبي ، وبديار مضر وديار ربيعة وجند قنسرين ابو الساج بن ديوداد الأشروسني ، وبمصر احمد بن طولون التركي ، وامتنع عيسى بن شيخ بن الشاهل الربعي من البيعة بفلسطين فوجه برجل من الأتراك في سبعمائة تركي يقال له [أماجور] فقدم أماجور دمشق وزحف عيسى بن شيخ اليه من فلسطين حتى أناخ بباب دمشق فحاصره ولما اشتد الحصار بدمشق خرج أماجور وأصحابه من المدينة واتبعه ابن لعيسى ابن شيخ يقال له ﴿ منصور ﴾ وخليفة له يقال له ﴿ ظفر بن اليمان ﴾ ويعرف بأبي الصهباء فحمل عليهما أماجور وأصحابه فقتل منصور بن عيسى بن شيخ وأسر المعروف بابي الصهباء فضرب عنقه وصلب وانصرف عيسى بن شيخ الى الرملة .

وزحف الخارج بالبصرة المدعي الى آل أبي طالب — واسمه علي بن محمد — الى الابلة فنهبها وأخربها وأحرقها بالنار ، وتوجه اليه سعيد بن صالح فواقعه بنهر أبي الخصيب .

ووردت كتب المعتمد الى احمد بن طولون عامل مصر يأمره برد أعمال الخراج الى احمد بن محمد بن المدبر وكان محبوساً في يده ومحمد بن هلال يتولى الخراج فأخرج يوم السبت لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦ ؛ وتولى الخراج وكان حبسه تسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

وفى هذه السنة تنازع قوم من بني هلال وقوم من أهل مكة فى الموقف بعرفات فقتل قوم من هؤلاء وقوم من هؤلاء ، وكان صاحب الموسم الحسين بن اسماعيل الطاهري ؛ فأقام الحج للناس احمد بن اسماعيل بن يعقوب الملقب (كعب البقر) .

وتوفي بابكباك التركي فصير المعتمد ما كان اليه من أعمال مصر وغيرها الى يارجوج

التركي وكتب ياوجوج التركي الى احمد بن طولون التركي عامل مصر باقراره على ما كان يتولى ، وولى المعتمد محمد بن هرثمة بن أعين برقة فقدم الفسطاط فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٧ ونفذ الى برقة .

ووجه المعتمد بالحسين الخادم المعروف بـ ﴿ عرق الموت ﴾ الى عيسى بن شيخ — وقد تغلب على فلسطين — بأمان على نفسه وماله وولده والصفح عما كان منه وتوليته إرمينية ففعل ذلك وشخص من البلد فى جمادى الآخرة سنة ٢٥٧ وسلم ما كان في يده الى ماجور التركي ولم يرد من الأموال درهماً واحداً ، وكانت في السماء نار عظيمة اخذت من المشرق الى المغرب ثم أجلت ، وتلتها هدةٌ شديدةٌ وزلزلة ، وكان ذلك مع طلوع الفجر لثمان بقين من رجب ، ومن شهور العجم في حزيران .

وحمل أحمد بن طولون ما كان حاصلا في بيت المال بمصر الى امير المؤمنين المعتمد فكان مبلغه الفي الف ومائة الف درهم ، وقاد الخيل وحمل الطراز والخيش (١) والشمع ووازنه بنفسه حتى يسلمه الى أماجور التركي وأشهد به عليه وانصرف الى الفسطاط ، وكتب المعتمد بالله الى احمد بن طولون بولاية الاسكندرية مكان اسحاق بن دينار بن عبد الله فشخص احمد بن طولون الى الاسكندرية في شهر رمضان سنة ٢٥٧ ، وولى احمد المعتمد بالله احمد بن محمد بن المدبر خراج الشامات وصرفه عن خراج مصر ، وولى خراج مصر احمد بن محمد شجاع المعروف بابن اخت الوزير فقدم الفسطاط في شهر رمضان من هذه السنة ، وعزل شقير الخادم المعروف بأبي صحبة عن البريد بمصر وولى مكانه احمد بن الحسين الأهوازي فقدم في شوال من هذه السنة .

وفي هذه السنة وجه احمد بن طولون رجلاً من الأتراك يقال له ﴿ ماطمان ﴾ في الف فارس مع حاج مصر وأمره أن يدخل المدينة ومكة بالصلاح والتعبية ويفعل مثل

(١) الخيش ، ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ تتخذ من مشاقة الكتان ومن اردئه أو من أغلظ العصب . (تاج العروس)

ذلك بعرفات وفعل ذلك ووافى عرفات بالأعلام والطبول والسلاح .

وفي هذه السنة دخل المدعي البصرة ونهب وحرق المسجد الجامع وتوجه اليه رجل من الأتراك يقال له ﴿ محمد المولد ﴾ فلما بلغه الخبر انصرف ولم يلقه .

وفي هذه السنة بدأ أمر المعروف بأبي عبد الرحمان العمري وأظهر رأسه لمحاربة أصحاب السلطان ولقي شعبة بن حركان صاحب احمد بن طولون فحاربه باسوان .

وفي هذه السنة وقعت عصبية بفلسطين بين لخم وجذام فتحاربوا حرباً أخذت من الفريقين ؛ وفيها حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد ، وأخرج احمد بن محمد بن المدبر من الفسطاط متوجهاً الى الشأمات في المحرم سنة ٢٥٨ فقام بالشأمات وقصد مدينة دمياط وتولى أعمال الخراج .

وفي هذه السنة دخل محمد المولد التركي البصرة وأخرج المدعي الى آل أبي طالب وأصحابه عنها ورجع قوم فلم يجدوا منزلاً يسكن .

وفي هذه السنة وثب جند برقة بمحمد بن هرثمة بن أعين عامل المعونة فاخرجوه عنها (فا . . «١» . . رو) الى الفسطاط ، وفيها اخرج احمد بن طولون الطالبيين من مصر الى المدينة ووجه معهم من ينفذهم وكان خروجهم في جمادى الآخرة وتخلف رجل من ولد العباس بن علي وأراد أن يتوجه الى المغرب فأخذه احمد بن طولون وضربه مائة وخمسين سوطاً وأطافه بالفسطاط .

وفيها وقع الوباء بالعراق فمات خلق من الخلق وكان الرجل يخرج من منزله فيموت قبل أن ينصرف ﴿ فيقال ﴾ إنه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر الف انسان ، وفيها زاد ابو أيوب احمد بن محمد — ابن أخت الوزير عامل خراج مصر — في المسجد الجامع بمصر في آخر المسجد .

وفيها توجه ابو احمد بن المتوكل على الله الى المدعي الى آل ابي طالب الخارج بالبصرة

(١) كذا في الأصل وفيه سقط ولعله (فانفذوه) الى الفسطاط . (م ص)

في جمع كثيف وكان العسكر والزاد والسلاح في السفن فوقعت النار في السفن فاحترقت وانصرف ابو احمد راجعاً .

وفيها اخذ أحمد بن طولون على الجند والشاكرية والموالي وسائر الناس البيعة لنفسه على أن يعادوا من عاداه ويوالوا من والاه ويحاربوا من حاربه من الناس جميعاً .

وفيها غزا الصائفة محمد بن علي بن يحيى الأرمني وقدم شنيف الخادم مولى المتوكل الفداء فاجتمعوا بنهر [اللامس] ففادوا وشرطوا للروم هدنة اربعة أشهر ، وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ٢٥٨ ، وفيها قتل يارجوج التركي بسر من رأى وبويع لأحمد بن الموفق بن المتوكل ولقب بالمعتضد بولاية العهد وصير اليه اعمال يارجوج من مصر وغيرها فدعي له على منابر مصر .

وحج بالناس الفضل بن العباس ونال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة [وخاف الناس] ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد فهربوا الى المدينة والى مكة يستجيرون بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالكعبة وأحضروا متاعاً من متاع الحاج الذين قطعوا عليهم الطريق ، وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم في البادية ، وكان ذلك في سنة ٢٥٩ ، وفيها تغير ماء نيل مصر حتى صار يضرب الى الصفرة وأقام على هذا الحال اياماً ثم رجع الى ما كان عليه ، وفي هذه السنة مات ابو صحبة شقير الخادم وابن مطهر الصنعاني صاحب بريد مصر .

* * *

﴿ تم الموجود ﴾

من تاريخ ابن واضح الكاتب العباسي رحمه الله تعالى وعفا عنه ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما .

فهرس مواضيع الجزء الثالث

صفحة

٠٢ ﴿ أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ﴾
٠٢ عمال عبد الله بن الزبير على البلدان .
٠٣ قدوم مروان الى الشام والدعوة لنفسه .
٠٤ قيام التوابين بعين الوردة لأخذ ثار الحسين بن علي عليه السلام .
٠٥ مبايعة الناس لعبد الملك بن مروان بعد أبيه .
٠٥ حبس عبيد الله بن زياد المختار بن ابي عبيد وضربه .
٠٥ خروجه من الحبس ولحوقه بابن الزبير في الحجاز .
٠٥ مبايعة الناس للمختار وقيامه بالأخذ بثار الحسين عليه السلام .
٠٦ قتل عبيد الله بن زياد ومن معه وتحريق أبدانهم بالنار .
٠٦ إرسال رأس ابن زياد الى الامام علي بن الحسين عليه السلام .
٠٦ قتل عمر بن سعد وتحريقه بالنار .
٠٦ هدم ابن الزبير الكعبة .
٠٧ تطييبها بالخلوق فكان أول من طيبها .
٠٨ تحامل ابن الزبير على بني هاشم واظهاره العداوة لهم .
٠٨ تركه الصلاة على محمد ﴿ ص ﴾ في خطبته .
٠٨ أخذه محمد ابن الحنفية ومن معه من بني هاشم ليبايعوا له وحبسهم .
٠٩ وفاة عبد الله بن عباس بالطائف وشيء من ترجمته .
١٠ وقوف اربعة الوية بعرفات .
١٠ الوقعات بين مصعب بن الزبير والمختار .
١٠ أول امرأة ضربت عنقها صبراً .

صفحة

١٢ الوقعات بين عبد الملك ومصعب بن الزبير وقتل مصعب .
١٣ المحاربة بين الحجاج وعبد الله بن الزبير وهدم البيت الحرام .
١٤ قتل ابن الزبير وصلبه .
١٤ من أقام الحج للناس فى أيام ابن الزبير .
١٤ وقوف أربعة الوية بعرفات سنة ٦٨ .
١٤ ﴿ أيام عبد الملك بن مروان ﴾
١٥ دعوة عمرو بن سعيد بن العاص لنفسه بدمشق .
١٧ إعادة الحجاج بنيان الكعبة .
١٨ تولية الحجاج العراق وكتاب عبد الملك له .
١٨ خطبة الحجاج بالكوفة .
١٩ خروج شبيب بن يزيد الشيباني بالعراق وما كان بينه وبين جيش الحجاج من الحرب
٢٠ قتله من كان فى المسجد الجامع بالكوفة .
٢٢ وفاة عبد الله بن جعفر بن ابي طالب .
٢٣ بناء الحجاج مدينة واسط .
٢٤ خلع عبد الملك أخاه عبد العزيز والبيعة لابنه الوليد بولاية العهد .
٢٥ الغالب على عبد الملك ومن على شرطته وحرسه .
٢٥ جمعه العراقين للحجاج .
٢٥ وفاته ومن صلى عليه ومدة ولايته ومقدار عمره وعدد ولده .
٢٦ نقش الدراهم والدنانير بالعربية فى زمانه .
٢٦ من أقام الحج فى ولايته .

صفحة

٢٦ من غزا بالناس في ولايته .
٢٧ الفقهـــاء في أيامه .
٢٧ ﴿ أيام الوليد بن عبد الملك ﴾
٢٨ تولية الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة .
٢٨ بناؤه المسجد الجامع بدمشق .
٢٩ الوليد أول من ذهب البيت الحرام في الاسلام
٣٢ حبس الحجاج ولد المهلب وهربهم من المحبس .
٣٤ وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي .
٣٤ أوليـات الوليد .
٣٥ وفاة الوليد ومن خلف من الولد .
٣٥ من أقام الحج للناس في أيامه .
٣٥ من غزا الصوائف فى أيامه .
٣٦ الفقهـــاء فى أيامه وصفة الوليد .
٣٦ ﴿ أيام سليمان بن عبد الملك ﴾
٣٧ انشاؤه المسجد الجامع وقصر الامارة بالرملة .
٣٧ أخـذ عمر بن عبد العزيز البيعة له بدمشق .
٤٠ قدوم ابي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية على سليمان وإكرامه .
٤٠ سم ابى هـاشم باللبن وموته .
٤٠ قراءة ابي هاشم وصية أبيه الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .
٤١ وفاة ابي هاشم .
٤٢ الغالب على سليمان ومن على شرطه وعلى حرسه وحاجبه وصفته .

صفحة

٤٣ وفاة سليمان وعهده الى عمر بن عبد العزيز .
٤٣ من خلفه من الولد الذكور .
٤٣ من أقام الحج للناس فى ولايته ومن غزا فى أيامه والفقهاء فى أيامه .
٤٤ ﴿ أيام عمر بن عبد العزيز ﴾
٤٤ مبايعته والكتاب الذي كتبه سليمان اليه حين توليته ولاية العهد .
٤٥ ﴿ وفاة علي بن الحسين عليه السلام ﴾
٤٦ بعض كلماته الخالدة .
٤٧ عدد أولاده عليه السلام .
٤٨ ما أنكره عمر بن عبد العزيز على أهل بيته من المظالم .
٤٨ كتابته الى الآفاق بترك لعن علي بن أبي طالب عليه السلام .
٤٨ إعطاؤه بني هاشم الخمس ورد فدك اليهم وبعض أعماله الصالحة .
٤٩ توجيهه الجيش الى شوذب الحروري الخارجي .
٥٠ مناظرته مع رسل شوذب .
٥٠ الغالب عليه وصاحب شرطته ووفاته ووصفه .
٥١ من صلى عليه ودفنه بدير سمعان .
٥١ من خلف من الولد .
٥١ من أقام الحج للناس فى ولايته ومن غزا الصوائف والفقهاء فى أيامه .
٥٢ ﴿ أيام يزيد بن عبد الملك ﴾
٥٢ عزله عمال عمر بن عبد العزيز جميعاً .
٥٢ غلبة يزيد بن المهلب على البصرة وما والاها وقتلة .
٥٣ قتل معاوية بن يزيد بن المهلب ومن معه .

صفحة

٥٣ تولية عمر بن هبيرة العراق مكان مسلمة .
٥٤ تولية عبد الرحمان بن الضحاك الفهري المدينة .
٥٤ خطبته فاطمة بنت الحسين عليه السلام وتهديدها إن أبت .
٥٤ استنجادها بيزيد بن عبد الملك من شره .
٥٤ غزوة الترك وفتح بلنجر .
٥٥ مسح عمر بن هبيرة سواد العراق .
٥٥ اخذ يزيد بن عبد الملك ولاية العهد لابنه الوليد .
٥٦ الغالب على يزيد وصاحب شرطه ومن على حرسه وحاجبه .
٥٦ مدة ولايته ووفاته ومن صلى عليه ودفنه .
٥٦ من خلف من الولد الذكور .
٥٦ من أقام الحج للناس ومن غزا بهم والفقهاء فى ولايته .
٥٧ ﴿ أيام هشام بن عبد الملك بن مروان ﴾
٥٧ تولية خالد بن عبد الله القسري العراق .
٦٠ ﴿ وفاة الامام ابي جعفر الباقر عليه السلام ﴾
٦١ كلماته الوعظية الخالدة وعدد أولاده عليه السلام .
٦٢ وفاة علي بن عبد الله بن العباس وكلماته الخالدة وعدد أولاده .
٦٣ انكار هشام على خالد بن عبد الله القسري اموراً بلغته وتعذيبه .
٦٥ قدوم زيد بن علي الشهيد على يوسف بن عمر الثقفي بالكوفة وحادثته وقتله .
٦٦ تحرك الشيعة بخراسان وظهورهم بعد قتل زيد .
٦٧ هرب يحيى بن زيد الى خراسان وموارائه ببلخ .
٦٧ أخذ يوسف بن عمر الثقفي عمال خالد وحبسهم .

صفحة

٦٨ أوصاف هشام بن عبد الملك .
٦٨ الغالب على أمره وصاحب شرطه ومن على حرسه وحاجبه .
٦٨ مقدار ولايته ووفاته ومن صلى عليه ودفنه وعدد أولاده ومن أقام الحج في أيامه
٦٩ من غزا بالناس في ولايته .
٧٠ الفقهاء في أيامه .
٧١ ﴿ أيام الوليد بن يزيد ﴾
٧١ عزله عمال هشام وتعذيبهم انواع العذاب .
٧١ عقده لابنه الحكم ولاية العهد بعده وتوليته دمشق .
٧١ عقده لابنه عثمان ولاية العهد بعد أخيه الحكم وتوليته حمص .
٧٢ قيام يحيى بن زيد الشهيد وقتله بالجوزجان .
٧٢ أخبار محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ووفاته .
٧٣ اضطراب البلدان لاهمال الوليد أمره .
٧٣ قتل الوليد ومقدار ولايته ومن كان على شرطه وعلى حرسه وحاجبه .
٧٤ من خلف من الولد الذكور .
٧٤ ﴿ أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك ﴾
٧٤ وجه تسميته بيزيد الناقص .
٧٤ اضطراب البلدان ومن خرج عليه ومقدار ولايته .
٧٤ مبايعته لأخيه ابراهيم بولاية العهد من بعده .
٧٤ من غلب على أمره ومن كان على شرطه وعلى حرسه وحاجبه .
٧٥ وفاته ومن صلى عليه ودفنه ومن أقام الحج بالناس في أيامه .
٧٥ ﴿ أيام ابراهيم بن الوليد ﴾

صفحة

٧٦ ﴿ أيام مروان بن محمد بن مروان ودعوة بني العباس ﴾
٧٧ إفتراق الخوارج فرقاً بعد قتل الضحاك .
٧٧ تولية مروان يزيد بن عمر بن هبيرة العراق وأعماله .
٧٧ قيام الحرورية الخوارج مع رئيسهم ابي حمزة المختار بن عوف .
٧٨ المحاربة بين الكرماني ونصر بن سيار وقتل الكرماني .
٧٩ إظهار ابى مسلم الخراساني الدعوة لبني هاشم .
٨٠ استمالة العمال على البلدان .
٨١ خطبة قحطبة بعد الفراغ من قتال يزيد بن عمر بن هبيرة .
٨٢ غرق قحطبة في الفرات وقدوم ابي العباس السفاح وإخوته وأهل بيته الى الكوفة .
٨٣ مبايعة الناس له بالكوفة .
٨٣ صلب ابي العباس لمروان وعبد الله بن يزيد بن عبد الملك بالحيرة .
٨٣ مدة ولاية مروان .
٨٤ الغالب على مروان ومن على شرطه وعلى حرسه وحاجبه وعدد ولده الذكور .
٨٥ من أقام للناس الحج في أيامه والفقهاء في أيامه .
٨٦ ﴿ أيام ابي العباس السفاح ﴾
٨٧ من قدم الى الكوفة من بني هاشم .
٨٧ خطبة داود بن علي بعد مبايعة ابي العباس العباس .
٨٨ تولية ابي العباس السفاح لداود بن علي الكوفة .
٨٨ توجيهه أخاه أبا جعفر المنصور الى خراسان لأخذ البيعة على ابى مسلم .
٨٩ قتل ابى سلمة الخلال وزير آل محمد .
٩١ قتل يزيد بن عمر بن هبيرة وخروج ابى محمد السفياني وقتله .

صفحة

٩٢ قتل عبد الله بن علي ثمانين رجلاً من بني أمية .
٩٣ نبشه قبور بني أمية واخراجهم وحرقهم بالنار .
٩٣ حرقه لهشام بن عبد الملك بعد اخراجه من القبر .
٩٥ انتقال ابي العباس، من الحيرة الى الهاشمية .
٩٦ قتله سليمان بن هشام وابنيه .
٩٦ قدوم عبد الله بن الحسن بن الحسن وأخيه الحسن على ابي العباس ومكالمته معه .
٩٧ صفة ابي العباس .
٩٧ اشتداد العلة بابي العباس وجعله أخاه أبا جعفر ولي العهد .
٩٧ الغالب على أمره وسماره .
٩٨ من كان على شرطته وعلى حرسه وحاجبه وقضاته .
٩٨ وصيته ووفاته والصلاة عليه ودفنه .
٩٩ مقدار ولايته ومن خلف من الولد ومن أقام الحج بالناس في أيامه .
٩٩ من غزا بالناس في أيامه والفقهاء في أيامه .
١٠٠ ﴿ أيام ابي جعفر المنصور ﴾
١٠١ قدومه الكوفة ونزوله الحيرة .
١٠٢ ابو مسلم الخراساني وأعماله .
١٠٣ قتل المنصور أبا مسلم الخراساني .
١٠٤ قتل عبد الله بن علي بالحيرة في منزل عيسى بن علي .
١٠٥ زيادة المنصور في المسجد الحرام وبناؤه مسجد الخيف بمنى .
١٠٥ أخذه عبد الله بن الحسن بن الحسن وجماعة من أهل بيته بالمدينة وايثاقهم بالحديد
١٠٦ حبسه إياهم بالحيرة حتى ماتوا .

صفحة

١٠٧ قيام الصنارية بارمينية ومحاربتهم .
١٠٨ وثوب اهل طبرستان واظهارهم الخلع والمعصية وإظهار أهل اليمن المعصية .
١٠٩ بنـــاء المنصور مدينة بغداد
١٠٩ شخوص المهدي من خراسان الى العراق وبناؤه بريطة بنت أبي العباس بالحيرة
١١٠ خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن الملقب بالنفس الزكية وظهور أمره
١١٢ قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وأصحابه
١١٢ خروج ابراهيم بن عبد الله بن الحسن من الكوفة الى البصرة بالحيلة
١١٢ خروجه بالبصرة ومبايعة أهلها له
١١٣ بعثه البعوث الى البلدان وزحفه الى قرية (باخمرا) ووقوع المحاربة
١١٤ قتله وارسال رأسه الى المنصور بالكوفة
١١٥ مبايعة المنصور لابنه المهدي بولاية العهد ولعيسى بن موسى بعده
١١٥ ﴿ وفاة الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ﴾
١١٥ كلماته الحكمية
١١٧ عذد أولاده وتأبين المنصور له عليه السلام
١١٩ مخالفة أهل اليمامة والبحرين وقتلهم أبا الساج عامل المنصور عليهم وقيام الأباضية
١٢٠ قتل ابي حاتم الأباضي رئيس الأباضية وقتل أصحابه
١٢٢ حج المنصور ووفاته وتحديثه بالرؤيا التي رآها قبل وفاته
١٢٢ من صلى عليه ودفنه ومدة ولايته ومن خلف من الذكور والغالب عليه
١٢٣ سمّاره وقضاته ومن على شرطه وحرسه وحجابه ومن أقام الحج للناس في أيامه
١١٤ من غزا بالناس فى أيامه والفقهاء فى زمانه
١٢٥ ﴿ أيام محمد المهدي بن عبد الله المنصور ﴾

صفحة

١٢٥ قراءته للناس وصية أبيه له بولاية العهد
١٢٧ ارجاعه الأموال التي قبضها ابو جعفر الى اربابها
١٢٧ إخراجه من في المحابس من الطالبيين وغيرهم والأمر لهم بالجوائز والصلات
١٢٧ إخراجه عبد الله بن مروان من الحبس واعطاؤه عشرة آلاف درهم
١٢٨ خلعه عيسى بن موسى من ولاية العهد والمبايعة لابنه موسى ، ثم لابنه هارون بعده
١٢٨ حجه وكسوته الكعبة القباطي والخز والديباج وهدم حيطان المسجد والزيادة فيه
١٣٠ اضطراب خراسان والسغد وفرغانه وخروج يوسف البرم
١٣٠ توجيه المهدي الرسل الى الملوك يدعوهم الى الطاعة
١٣١ توليته الولاة على السند
١٣٢ توليته الولاة على اليمن
١٣٣ الغالب على أمر المهدي
١٣٤ من كان على شرطته وعلى حرسه وحاجبه وقضاته ووفاته وكيفيتها
١٣٥ مدة خلافته ومن صلى عليه وموضع دفنه ومن خلف من الولد ومن أقام الحج فى أيامه
١٣٥ من غزا بالناس والفقهاء فى أيامه
١٣٦ ﴿ أيام موسى بن المهدي ﴾
١٣٧ خروج الحسين بن علي بن الحسن العلوي قتيل فخ
١٣٧ غلبة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن على بلاد المغرب
١٣٨ جعل موسى الهادي ابنه جعفر ولي عهده
١٣٨ الغالب على أمر موسى الهادي ومن على شرطه
١٣٩ حارسه وحاجبه ومدة خلافته ووفاته
١٣٩ من صلى عليه ودفنه ومن خلف من الذكور ومن أقام الحج في أيامه

صفحة

١٣٩ ﴿ أيام هارون الرشيد ﴾
١٣٩ ولادة المأمون والأمين وتولية الفضل بن يحيى خراسان
١٤٠ هرب الامام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن الى خراسان وقتله .
١٤٠ أخذ هارون البيعة بولاية العهد لابنه الأمين وتوليته الولاة على البلاد .
١٤٥ ﴿ وفاة الامام موسى بن جعفر عليه السلام ﴾
١٤٥ كيفية قتله وما يؤثر عنه من الكلمات الخالدة ومن كان له عليه السلام من الذكور
١٤٦ توصيته عليه السلام بان لا تتزوج بناته .
١٤٦ أخذ الرشيد البيعة لابنه المأمون بولاية العهد بعد الأمين .
١٤٦ املاؤه بمكة على محمد الأمين كتاب الشرط على نفسه .
١٤٧ نسخة العهد
١٤٩ الشهود على العهد .
١٥٠ ﴿ نسخة الشرط ﴾ الذي كتبه المأمون بخطه فى البيت على نفسه .
١٥٢ شهادة الشهود وتعليق الكتابين على باب الكعبة .
١٥٢ قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي .
١٥٢ حبسه يحيى بن خالد وولده وأهل بيته واستصفاء أموالهم .
١٥٤ قتل حاضر صاحب احمد بن عيسى بن زيد العلوي وصلبه .
١٥٤ حبس عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي .
١٥٥ مبايعة الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون .
١٥٦ أمره بتحريق جثة جعفر بن يحيى البرمكي .
١٥٩ الغالب على الرشيد وشرطه وحرسه وحاجبه .
١٦٠ وفاته ومن صلى عليه ومن خلف من الولد ومن أقام الحج في ولايته .

صفحة

١٦١ من غزا بالناس والفقهاء في أيامه
١٦٢ ﴿ أيام محمد الأمين ﴾
١٦٢ أخذ البيعة له من الهاشميين والقواد
١٦٣ خطبة اسحاق بن عيسى يوم البيعة .
١٦٣ حج أم الأمين أم جعفر وآثارها في مكة .
١٦٦ خلع الأمين أخاه المأمون وأخذ البيعة بولاية العهد لابنه موسى .
١٦٦ تخريقه العهود التي كتبها الرشيد بينهما وتحريقها
١٦٦ بدء المحاربة بين الأمين والمأمون
١٦٧ التسليم على المأمون بالخلافة وخطبته
١٧٠ الحرب في بغداد بين جيشي الأمين والمأمون وقتل الأمين
١٧١ مدة خلافته ومقدار عمره وعدد ولده
١٧١ الغالب عليه ومن على شرطه وعلى حرسه وحجابه ومن أقام الحج في ولايته
١٧٢ من غزا بالناس والفقهاء في أيامه
١٧٢ ﴿ أيام المأمون ﴾
١٧٢ توليته العمال
١٧٣ توليته الحسن بن سهل العراق وقيام أبي السرايا بالكوفة وابن طباطبا
١٧٤ محاربة طاهر بن الحسين نصر بن شبث في الجزيرة
١٧٥ محاربة هرثمة مع ابي السرايا في الكوفة
١٧٥ قتل ابي السرايا وصلبه على جسري بغداد
١٧٦ اشخاص المأمون الامام الرضا عليه السلام من المدينة الى خراسان
١٧٦ أخذ البيعة له بولاية العهد وضرب الدنانير والدراهم باسمه

صفحة

١٧٧ مبايعة الناس له عليه السلام بمكة ولبسهم الأخضر
١٧٨ وثوب أهل الحربية بالحسن بن سهل وإخراجه من بغداد وقتلهم زهير بن المسيب
١٧٨ مبايعتهم لابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة
١٧٩ خلعه والدعوة للمأمون
١٧٩ خروج المأمون من مرو الى العراق ومعه علي الرضا عليه السلام
١٧٩ قتل الفضل بن سهل بقومس
١٨٠ وفاة الامام علي الرضا عليه السلام
١٨٠ جزع المأمون عليه ومشيه خلف جنازته حاسراً
١٨١ إقامته عند قبره ثلاثة أيام ومدة عمره وكلماته الحكمية عليه السلام
١٨١ قدوم المأمون مدينة السلام بغداد
١٨٢ تزويج المأمون محمد الجواد عليه السلام بابنته أم الفضل وتوليته للعمال
١٨٥ ظفر المأمون بابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة وحبسه
١٨٦ وثوب ابراهيم بن عائشة العباسي في جماعة معه
١٨٦ تزويج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل
١٨٩ الوقعة بين بابك وعيسى بن محمد قائد جيش المأمون
١٩١ وثوب القيسية واليمانية بمصر
١٩٣ قتله علي بن هشام والقاء رأسه في البحر
١٩٤ امتحانه الناس في العدل والتوحيد وخلق القرآن
١٩٤ مناظرته مع القاضي بشر بن الوليد الكندي في حكم حكم به ونخطئته في ١٥ قضية
١٩٥ طلب جماعة من ولد الحسن والحسين فدك من المأمون وردها اليهم
١٩٦ وفاته والصلاة عليه ودفنه ومدة خلافته والغالب عليه ومن على شرطه وحرسه وحجابه

صفحة

١٩٧ من خلف من الولد الذكور
١٩٧ ﴿ أيام المعتصم بالله ﴾
١٩٧ خروج المحمرة بالجبل ومحاربتهم
١٩٨ تحرك محمد بن القاسم العلوي بالطالقان ووثوب الزط بالبطائح بين البصرة وواسط
١٩٨ امتحان المعتصم احمد بن حنبل في خلق القرآن
١٩٩ بناؤه مدينة سامراء واشتداد شوكة بابك
٢٠٠ الظفر ببابك وقتله وصلبه بسر من رأى
٢٠٤ الغالب على المعتصم ومن على شرطه وعلى حرسه وحجابه
٢٠٤ وفاته والصلاة عليه ودفنه ومدة عمره وخلافته ومن خلف من الأولاد الذكور
٢٠٤ ﴿ أيام هارون الواثق بالله ﴾
٢٠٥ وثوب ابن بيهس الكلابي بدمشق وأسره
٢٠٥ وفاة عبد الله بن طاهر ومدة ولايته
٢٠٥ توجيه الواثق بغا الكبير لقتال قيس التي عاثت في طريق الحجاز
٢٠٧ امتحان الواثق الناس في خلق القرآن
٢٠٧ خروج الشيباني الخارجي بديار ربيعة
٢٠٨ تفريق الواثق اموالا كثيرة على الهاشميين وسائر قريش
٢٠٨ الغالب عليه وشرطه وحرسه واعتلاله ووفاته وسنه ومدة خلافته وولده
٢٠٨ ﴿ أيام جعفر المتوكل ﴾
٢٠٩ كتابته الى الامام علي الرضا (ع) في الشخوص من المدينة الى بغداد
٢٠٩ نهيه الناس عن الكلام في القرآن
٢١٠ أمره أن يسلم الناس على ابنه محمد بالامرة ويدعى له على المنابر

صفحة

٢١٠ وفاة الحسن بن سهل
٢١١ أمر المتوكل أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية
٢١١ أخذه البيعة بولاية العهد لابنه محمد ثم لابنيه المعتز والمؤيد
٢١٢ أمره بان لا يستعان باحد من أهل الذمة
٢١٢ أمره بهدم الكنائس والبيع المحدثة ومنعهم من العمارة
٢١٥ بناء المتوكل قصوراً انفق عليها اموالاً عظاماً وانقضاض الكواكب سنة ٢٤١
٢١٥ حدوث الزلازل والرجفة والخسف
٢١٦ حدوث زلازل بالشام وبناء المتوكل مدينة الجعفرية وقصر الجعفري
٢١٦ قتل الأتراك المتوكل والفتح بن خاقان ومدة خلافته ومقدار عمره
٢١٧ الغالب عليه وصاحب شرطه وحرسه وحجابه
٢١٧ أيام محمد المنتصر
٢١٧ الغالب عليه ومدة خلافته وسنة ووفاته ومقدار عمره
٢١٨ أيام أحمد المستعين
٢١٨ الغالب على أمره
٢١٩ تحرك الشراة بخراسان ووثوب الجند بسر من رأى وقتلهم اوتامش وكاتبه
٢٢٠ وثوب أهل حمص وقتل عاملهم وصلبه ووثوب القصيص بالمعرة
٢٢١ وثوب يحيى بن عمر بن يحيى العلوي بالكوفة ووثوب جند فارس بعاملهم
٢٢٢ وثوب اسماعيل بن يوسف الطالبي بناحية المدينة وخلع المستعين نفسه
٢٢٢ أيام المعتز
٢٢٣ الحروب بين نوشري بن طاجيل التركي عامل دمشق وعيسى بن شيخ عامل فلسطين
٢٢٤ وفاة محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد

صفحة

٢٢٤ وثوب الأتراك بكرخ سر من رأى وضعف أمر المعتز
٢٢٥ وفاة مزاحم بن خاقان ومدة ولايته
٢٢٥ ﴿ وفاة الامام علي الهادي عليه السلام ﴾
٢٢٥ من صلى عليه ودفنه في داره ومقدار عمره ومن خلف من الذكور
٢٢٥ وثوب بغا على المعتز والقبض عليه وقتله
٢٢٦ وثوب صالح بن وصيف التركي على وزير المعتز وعلى صاحب ديوان الضياع
٢٢٦ خلع المعتز نفسه ووفاته ومن صلى عليه ومدة ولايته وأولاده
٢٢٧ ﴿ أيام محمد المهتدي بن هارون الواثق ﴾
٢٢٧ وثوب ابراهيم بن محمد الصوفي من أولاد عمر بن علي بصعيد مصر
٢٢٨ تنكر المهتدي للاتراك وتقديمه الأبناء ووفاته ومدة خلافته
٢٢٨ ﴿ أيام أحمد المعتمد على الله ﴾
٢٢٩ الوقعة بين أماجور التركي وعيسى بن شيخ
٢٢٩ خروج علي بن محمد الطالبي في الابلة
٢٢٩ المنازعة بين قوم من بني هلال وقوم من أهل مكة في عرفات
٢٣١ دخول المدعي الطالبي الى البصرة ونهبها وحرق المسجد الجامع
٢٣١ وقوع المحاربة بين لخم وجذام بفلسطين ووقوع الوباء بالعراق
٢٣٢ أخذ احمد بن طولون على الناس البيعة لنفسه
٢٣٢ المبايعة للمعتضد بولاية العهد والدعوة له على المنابر
٢٣٢ وقوع الزلازل حول المدينة واستجارة الناس بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ملاحظات واستدراكات

جاء في صفحة ٢٠٢ سطر ٦ من الجزء الأول (سنة جديدة) والصواب (سنة شديدة) وفي ص ٢٩ س ١١ من الجزء الثاني (قام في مضجعه) وهكذا ورد في الأصل ولكن الصحيح (نام في مضجعه) وفي ص ١٥٣ س ٢ — ٣ من الجزء الثاني ايضاً (وقيل لم يصل عليه ، وقيل أحد الأربعة قد صلى عليه فدفن بغير صلاة) وهكذا ورد في الأصل ولكن في العبارة تقديماً وتأخيراً والصواب (وقيل أحد الأربعة قد صلى عليه وقيل لم يصل عليه فدفن بغير صلاة)

وقد ورد في ﴿ الأصل ﴾ بياضات كثيرة واسقاطات وتصحيفات وأغلاط نحسب أن جملة منها كانت كذلك في المخطوطة التي طبع عليها الأصل ولعل بعض الفاظها كانت مطموسة لم يهتد الطابع الى قراءتها وبعضها من غفلة الطابع نفسه ونحن — بفضل التتبع — اهتدينا الى اكثرها فاوردناها في الهامش مع بيان مصادرها واستظهرنا ايضاً جملة وافرة منها بالمناسبات وسياق الكلام محافظين على صورة الأصل ولكن بالرغم من كل ذلك بقيت بعض البياضات والتصحيفات على حالها لم نهتد اليها لخلو المصادر التي بايدينا منها وأوكلناها الى من توفرت عنده المصادر ووصل اليه اطلاعه من القراء الأفاضل ، ومما نحسب أنه سقط من حوادث سنة ٢٢٠ ذكر وفاة الامام محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ، إذ من المستبعد جداً تعمد صاحب الكتاب على عدم ذكره مع أن سيره في الكتاب ذكر وفيات الأئمة من الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام الى الامام الهادي عليه السلام وهو إمام عصره وزمانه ، فلعل سقوطه غفلة من الطابع أو من الناسخ للمخطوطة والله العالم ؛ وكانت وفاة الامام محمد الجواد خامس ذي الحجة سنة ٢٢٠ وعمره خمس وعشرون سنة ودفن ببغداد الى جانب جده الامام موسى بن جعفر بمقابر قريش وقبره ظاهر يزار ، ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص وابن

الأثير في التاريخ وغيرها .

وعلى كل فقد بذلنا غاية الجهد والطاقة في تصحيح الكتاب وإخراجه بحلة فشية وصحة وإتقان فان أحسنا فذلك أقصى ما كنا نتمناه ونؤمله وإن لم نصل الى بغية الطالب فهو لا عن تقصير في السعي بل لقصور إذ العصمة لله وحده وفوق كل ذي علم عليم . ٥

(م . ص)

جدول الخطأ والصواب للجزء الثالث

ص	س	الخطأ	الصواب
٠٦	١١	المختارابن	المختاربن
٠٨	١٨	أيقال	أيقال هذا
٠٩	٠٣	خولد	خويلد
١٧	١٢	بن	ابن
٢٦	١٣	معيط	ابي معيط
٢٩	٢٠	الأندلسي	الأندلس
٣٠	١٦	طرخان	طرخون
٣١	١٧	فقيل	فى الاصل فصل، وفي هامشه فقبل
٣١	٢٢	إلى	على
٣٢	١٩	وعم	وغم
٤٠	٠٦	بمراكرهم	بمراكرهم
٤٥	١٠	من بلاد	من فى بلاد
٤٨	٠٦	وتقرظه	تقرظه
٤٨	١٦	أقطها	أقطعها
٥١	١٤	التميمي	التيمي
٥٩	٢٢	فلتراجع	فلتراجع
٦٠	٠٨	العزيف	الغريف
٦٥	٠١	فاستنفذوه	فاستنقذوه
٦٧	١٧	فدخل	فدخلوا
٨٢	١٧	أن يحاصر	ان يحاصراه
٩٩	١٤	عبيد الله	عبد الله
١٠٢	٠٣	واقع	وواقع
١٠٤	٠٦	أسقط	سُقط
١٠٧	٠٨	زبز	نريز
١٠٧	١٨	الصفارية	الصنارية
١٠٧	٢٠	الصفارية	الصنارية
١٠٧	٢٢	الصفارية	الصنارية
١٠٨	١٥	مسلم	بن مسلم
١١٣	١١	(سحا)	(سحا) كذا فى الاصل
١٣٢	٠٧	يواحر	يواجر
١٣٧	٠١	الأزاق	الأرزاق
١٤٥	١٩	يسخيرني)	فى الاصل (يستجيرني)
١٦٤	٠٥	اليه	اليه
١٦٥	٠٩	بن سعيد	سعيد
١٧٠	٠٣	على فرسخ (من بغداد	على فرسخ
١٧١	٠٩	فرقتها	فرقتها
١٨٠	١٠	كلما أقام	كلما مر
١٨١	١٠	لباس	ولباس
١٩٩	١٧	الاسروشنى	الأشروسني

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٠٩	١٠	وشخصس	وشخص
٢١٠	١٠	بتعحيل	بتعجيل
٢١٦	٢٠	وفى تاريخ ابن) كافى المعجم وفى الأثير والمجم) تاريخ ابن الاثير	
٢١٦	٢٢	ابن الاثير والحموي أورداه	ابن الاثير أورده
٢١٨	٢٢	منكجور	بلكاجور
٢٢٥	٢١	نصرف	فانصرف
٢٢٥	٢٢	نقه	عنقه
٢٢٦	١٦	محبسه	مجلسه
٢٣٠	٢٠	بالصلاح	بالسلاح

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the rules of the Library or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
	JUN 2 3 1952		
MAY 2 3 1952			

C28(1141)M100

893.ZY1 03

0655609Y

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58889493
893.7Y1 O3
Tarikh al-Ya kubi ..